انسان العيون في سيرة

الأمين المأمون

١

علي الحلبي

٢١٩ ١ ٠ن ٤
إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، تأليف
علي بن ابراهيم الحلبي - ١٠٤٤هـ ، خط
سنة ١٠٨٣هـ

ج ١ ، ٢ في مج (٦٧٥ق) ٣٥س ٢٩,٥×١٨,٥ سم
١٢٢٣ نسخة جيدة ، خطها نسخ حسن ، طبع
الأعلام ٥ : ٥٤ دار الكتب المصرية ٨ : ٢٨
١- السيرة النبوية أ- نور الدين الحلبي ،
علي بن ابراهيم سنة ١٠٤٤هـ ب- تاريخ النسخ
ج- السيرة الحلبية

عدة كراريس هذا الجزؤ
عدد ٣٦

كتاب

انسان العيون في سيرة الامين المامون

تاليف الشيخ الامام عمدة المحققين الحبر البحر الهمام
علامة عصره ووحيد اوانه ودهره حاوي
الفضائل ونخبة ارباب الفواضل
شيخ الاسلام والمسلمين ونور الملة
والدين مولانا الشيخ نور الدين
على الحلبي الشافعي
رحمه الله تعالى ونفع
بها في الدين والدنيا
والاخرة
امين

وصلي الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١



بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن نضر وجوه اهل الحديث • وصلاة وسلاما على من نزل
عليه احسن الحديث • وعلى اله واصحابه اهل التقدم في القديم والحديث
صلاة وسلاما دائمين متلازمين • ما سارت الانباء في جميع سير المصطفى السير
الحثيث وسلم وبعد فيقول العبد الفقير • افقر المحتاجين •
واحوج المفتقرين • لعفو ذي الطول والفضل المتين • علي بن برهان الدين
الحلبي الشافعي • ان سيرة المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام • مما اهتم
به العلماء الاعلام • وحفاظ ملة الاسلام • كيف لا وهو الموصل
لعلم الحلال والحرام • والحامل على التخلق بالاخلاق العظام • وقد قال
الزهري في علم المغازي خير الدنيا والاخرة • وهو اول من الف في السير
قال بعضهم اول سيرة الفت في الاسلام سيرة الزهري • وعن
سعد بن ابي وقاص • رضي الله تعالى عنه انه قال كان ابي يعلمنا مغازي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه • فيقول يا بني هذه شرف
ابائكم فلا تنسوا ذكرها • واحسن ما الف في ذلك • وتداولته الاكياس
سيرة الحافظ ابي الفتح ابن سيد الناس • لما جمعت من تلك الدراري
والدرر • ومن ثم سماها عيون الاثر • غير انه اطال بذكر الاسناد
الذي كان للمحدثين به تزيين الاعتقاد • وعليهم كثيرا الاعتماد •
اذ هو من خصائص هذه الامة • ومفاخر الائمة • لكنه صار الان لقصور
الهمم لا تقبل عليه الطباع • ولا تمتد اليه الاطماع • واما سيرة الشمس
الشامي فهو وان تفرد بما ابدع في صحائف وجوه الصفائح حسنات
لكنه اتى فيها بما هو في اسماع ذوي الافهام كالعادات • ولا يخفى

ان السير

انسان العيون في السير

ان السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل •
دون الموضوع • ومن ثم قال الزين العراقي رحمه الله وليعلم الطالب ان السير
تجمع ما قد صح وما قد انكرا • وقد قال الامام احمد بن حنبل وغيره من الائمة اذا روينا
في الحلال والحرام شددنا • واذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا وفي
الاصل الذي ذهب اليه كثير من اهل العلم الترخص في الرقائق وما لا حكم فيه
من احكام المغازي وما يجري مجرى ذلك ويقبل منها ما لا يقبل في الحلال والحرام لعدم
تعلق الاحكام بها فلما رايت السيرتين المذكورتين على الوجه الذي
لا يكاد ينظر اليه لما اشتملتا عليه عن لي ان الخص من تينك السيرتين انموذجا
لطيفا يروق للاحداق • ويحلو للاذواق • يزاحم ما اشتهر اليه بين يدي
المشايخ على غاية الانسجام • ونهاية الانتظام • ولا زلت في ذلك اقدم
رجلا واؤخر اخرى لكوني لست من اهل هذا الشان • ولا ممن يسابق في ميدانه
على خيل الرهان • حتى اشار علي بذلك وسلوك تلك المسالك من اشارته
واجبة الاتباع • ومخالفة امره لا تستطاع • ذو البديهة المطاوعة • والفضائل
البارعة • والفواضل الكثيرة النافعة • من اذا سئل عن اي معضلة اشكلت على
ذوي المعرفة والوقوف لا تراه يتوقف • ولا يخرج عن صوب الصواب ولا يتعسف
ولا اخبر في كثير من الاوقات عن شيء من المغيبات وكاد ان يتخلف • وهو الاستاذ
الاعظم • والملاذ الاكرم • مولانا الشيخ ابو الفضل عبد الله وابو المواهب
محمد فخر الاسلام البكري الصديقي • كيف لا وهو محل نظر والده من سرت بركته في
المشارق والمغارب • وسري سره في سائر المشارب والمسارب • ولي الله والقائم
بخدمته في الاسرار والاعلان • والعارف به الذي لم يتمار في انه القطب الفرد
الجامع اثنان • مولانا الاستاذ ابو عبد الله وابو بكر محمد البكري الصديقي
ولا بدع فانه نتيجة صدر العلماء العاملين • واستاذ جميع الاستاذين والمعدود
من المجتهدين • صاحب التصانيف المفيدة • في العلوم العديدة • مولانا الاستاذ
محمد ابو الحسن تاج العارفين البكري الصديقي • اعاد الله علي وعلى احبابي
من بركاتهم • وجعلنا في الاخرة من جملة اتباعهم ايقن فلما اشار علي ذلك
الاستاذ بتلك الاشارة • ورايتها منه اعظم بشارة • شرعت معتمدا في
ذلك على من يبلغ كل مؤمل امله • ولا يخيب من قصده وامله • وقد يسر الله

ذلك على اسلوب لطيف • ومسلك شريف لا تمله الاسماع • ولا تنفر منه الطباع
والزيادة التي اخذتها من سيرة الشمس الشامي على سيرة ابي الفتح ابن سيد
الناس الموسومة بعيون الاثر ان كثرت ميزتها بقولي في اولها قال •
وفي اخرها انتهي • وان قلت اتيت بلفظة اي وجعلت في اخر القول الدائرة
هكذا (o) بالحمرة وربما اقول وفي السيرة الشامية وربما عبرت في الزيادة
القليلة بقال دون الكثير اي وما ليس بعده تلك الدائرة فهو من الاصل
اعني عيون الاثر غالبا وقد يكون من زيادة في محل الاصل والشامي كما يعلم
بالوقوف عليهما وربما ميزت تلك الزيادة بقولي في اولها اقول وفي اخرها
والله اعلم • وقد يكون من تلك الزيادة ما اقول وفي السيرة الهشامية
بتقديم الهاء على الشين • وحيث اقول قال في الاصل او ذكر في الاصل او
نحو ذلك فالمراد به عيون الاثر • ثم عن لي ان اذكر من ابيات القصيدة
الهمزية المنسوبة لامام الشعرا واشعر العلما وهو الشيخ شرف الدين
الابوصيري ناظم القصيدة المعروفة بالبردة ما تضمنته تلك الابيات
واشارت اليه من ذلك السياق فانها احلى في الاذواق • وربما احل تلك
النظم بما يوضح معناه • ويظهر تركيب مبناه • وربما اذكر من ابيات تائية
الامام السبكي ما يناسب المقام وربما اذكر ابياتا من كلام صاحب الاصل
من قصايده النبوية المجموعة بديوانه المسمى ببشرى اللبيب
بذكرى الحبيب وقد سميت مجموعة ذلك انسان العيون
بسيرة الامين المامون واسال من لا يسئل الا اياه ان يجعله لي وسيلة الرضا

باب نسبه الشريف

هو محمد بن عبد الله ومعنى عبد الله الخاضع الذليل لله تعالى وقد جا
ان احب اسمائكم وفي رواية ان احب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن
وما احب الاسما الى الله تعالى ما تعبد به • وقد سمي صلى الله عليه وسلم
بعبد الله في القران قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه • وعبد الله
هذا هو ابن عبد المطلب ويدعى شيبة الحمد لكثرة حمد الناس له اي
لانه كان مفزع قريش في النوايب وملجاهم في الامور فكان شريف
قريش وسيدها كمالا وفعالا من غير مدافع • وقيل قيل له شيبة الحمد

لانه

لانه ولد وفي راسه شيبة اي وفي لغة كان وسط راسه ابيض اي سمي بذلك
تفاولا بانه سيبلغ سن الشيب • قيل اسمه عامر وعاش مائة واربعين سنة •
اي وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وكان مجاب الدعوة وكان
عجيبة
يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السما لانه كان يرفع من مائدته للطير
والوحوش في رؤس الجبال • قال وكان من حلما قريش وحكمايها وكان نديمه
حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف والد ابي سفيان وكان في جوار عبد المطلب
يهودي فاغلظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من اسواق تهامة
فاغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب
ولم يفارقه حتى اخذ منه مائة ناقة ودفعها لابن اليهودي حفظا لجواره
ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمي انتهى • وقيل له عبد المطلب لان
عمه المطلب لما جا به من المدينة صغيرا اردفه خلفه اي وكان بهيئة رثة
اي ثياب خلقة فصار كل من يسال عنه ويقول من هذا يقول عبدي
اي حيا ان يقول ابن اخي فلما دخل مكة احسن من حاله واظهر انه ابن اخيه
مهمة موقظة
وصار يقول لمن يقول له عبد المطلب ويحكم انه شيبة ابن اخي لكن غلب
عليه الوصف المذكور فقيل له عبد المطلب وقيل لانه تربى في حجر عمه المطلب
وعادة العرب ان تقول لليتيم الذي تربى في حجر احد هو عبده • وكان
عبد المطلب يامر اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق
وينهاهم عن دنيات الامور • وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى
ينتقم منه وتصيبه عقوبة الى ان هلك رجل ظلوم من اهل الشام لم تصبه
ومما يؤثر عن عبد المطلب
عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان ورا هذه الدار
دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسي باسايته اي فالظلوم شانه
في الدنيا ذلك حتى اذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الاخرة
ورفض في اخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله • وتوثر عنه سنن جا
القران باكثرها وجات السنة بها منها الوفا بالنذر والمنع من نكاح
المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموودة وتحريم الخمر والزنا وان
لا يطوف بالبيت عريان كذا في كلام سبط ابن الجوزي ابن هاشم وهاشم هو
عمرو العلا اي لعلو رتبته وهو اخو عبد شمس وكانا توامين وكانت رجلها ثم

أي أصبعهما ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يكن نزعهما إلا بسيلان الدم فكانوا يقولون
سيكون بينهما دم أي فكان بين ولديهما أي بني بني العباس وبني بني أمية
سفك دماء ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة ووقعت العداوة بين هاشم
وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس لأن هاشما لما ساد قومه بعد أبيه
عبد مناف حسده أمية ابن أخيه فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز
فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشما للمنافرة
فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لأمية
أنا فأنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة
عشر سنين فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان
بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن
يخبروه بخبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر
وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق
هاشم أمية إلى المفاخر فنفر هاشما على أمية فعاد هاشم إلى مكة ونحر
الإبل وأطعم الناس وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه
أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارث ذلك بنوهما وكان يقال
لهاشم وإخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار أي الذهب
ويقال لهم المجيرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على سائر العرب قال
بعضهم ولا يعرف بنو أب تباينوا في محالهم ثم شملهم فإن هاشما مات
بغزة أي كما يأتي وعبد شمس مات بمكة وقبره بأجياد ونوفل مات
بالعراق والمطلب مات بردمان من أرض اليمن وقيل له هاشم لأنه
أول من هشم الثريد بعد جده إبراهيم فإن إبراهيم أول من فعل ذلك
أي ثرد الثريد وأطعم المساكين وفيه أن أول من ثرد الثريد وأطعمه
بمكة بعد إبراهيم جده هاشم فيه ففي الإمتاع أول من ثرد الثريد وأطعمه
بمكة وفيه أيضا هاشم عمرو العلا أول من أطعم الثريد بمكة وسيأتي
أن أول من فعل ذلك عمرو بن لحي فلينظر الجمع وقد يقال لا منافاة لأن
الأولية في ذلك إضافية فأولية قصي بكونه من قريش وأولية عمرو
ابن لحي بكونه أول من فعل ذلك من خزاعة وأولية هاشم باعتبار

شأنه

أول من ثرد الثريد بمكة

شدة مجاعة حصلت لقريش وإلى ذلك أشار صاحب الأصل بقوله
وأطعم في المحل عمرو العلا ... فللمستنتين به خصب عام وقال
عمرو العلاء والندى الإ ابنه ... من السحاب ولا الريح يجاريه
جفانه كالجوابي للوفود إذا ... لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو أمحلوا أخصبوا منها وقد تلبث ... منها لحاضرة منهم وباديه وقيل فيه أيضا
قل للذي طلب السماحة والندا ... هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش ... والقائلون هلم للأضياف
وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبا بكر رضي الله عنه على باب بني شيبة فمر رجل وهو يقول
يا أيها الرجل المحول رحله ... ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم ... منعوك من عدم ومن إقتار
فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال أهكذا قال
الشاعر قال لا والذي بعثك بالحق لكنه قال
يا أيها الرجل المحول رحله ... ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم ... منعوك من عدم ومن إقراف
الخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يعود فقيرهم كالكافي
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدون
وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية والرفادة فكان يحمل
الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد ويقال لذلك الرفادة
واتفق أنه أصاب الناس سنة جدب شديد فخرج هاشم إلى الشام
وقيل بلغه ذلك وهو بغزة من الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم مكة في
الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزور فجعله ثريدا وأطعم الناس حتى
أشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء قال بعضهم لم تزل
مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء وكان يقال له ابن السيد [illegible]
الخائف قال وقد ذكروا أنه كان إذا أهل هلال ذي الحجة قام صبيحته
وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته يا معشر
قريش إنكم سادة العرب أي أشرفها أحسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما

يا معشر قريش انكم جيران بيت الله اكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون
بني اسمعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم اضيافه وزواره احق من اكرم
اضياف الله انتم فاكرموا اضيافه وزواره فانهم يأتون شعثا غبرا
من كل بلد على ضوامر كالقداح فاكرموا ضيفه وزوار بيته فورب هذا
البيت لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه وانا مخرج من طيب مالي
وحلاله ما لم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء
منكم ان يفعل مثل ذلك فعل واسألكم بحرمة هذا البيت ان لا يخرج
احد منكم من ماله لكرامة زوار بيته ومعونتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما
ولم يقطع فيه رحما ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون في ذلك
ويخرجونه من اموالهم فيضعونه في دار الندوة انتهى وقيل في تسمية
شيبة الحمد عبد المطلب غير ما تقدم فقد قيل انما سمي شيبة الحمد
عبد المطلب لان اباه هاشما قال للمطلب الذي هو اخو هاشم وهو بمكة حين
حضرته الوفاة ادرك عبدك يعني شيبة الحمد بيثرب فمن ثم سمي عبد المطلب
كذا في المواهب وقدمته على ما تقدم وقيل انه حكى غير واحد ان
هاشما خرج تاجرا الى الشام فنزل على رجل من بني النجار بالمدينة
وتزوج بنته على شرط انها لا تلد ولدا الا في اهلها اي ثم مضى لوجهه
قبل ان يدخل بها ثم انصرف راجعا فبنى بها في اهلها ثم ارتحل بها الى مكة
فلما اثقلت بالحمل خرج بها فوضعها عند اهلها بالمدينة ومضى الى الشام
فمات بغزة قبل وضعها حين عمره عشرون سنة وقيل اربع وقيل خمس وعشرون سنة
وولدت شيبة الحمد فمكث بالمدينة سبع سنين وقيل ثمان فمر رجل على
غلمان يتجاولون اي ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا اصاب قال انا
ابن سيد البطحاء فقال له الرجل من انت يا غلام فقال انا شيبة بن هاشم
ابن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه
ما رأى فذهب المطلب الى المدينة فلما رآه عرف شبه ابيه فيه ففاضت
عيناه وضمه اليه خفية من امه وهي تعلم انه يعرفه بالسنة وقال لمن
كان يلعب معه هذا ابن هاشم قالوا نعم فعرفتهم انه عمه فقالوا له ان كنت
تريد اخذه فالساعة قبل ان تعلم به امه فانها ان علمت لم تدعك وحالت
بينك

بينك وبينه فدعاه المطلب وقال يا ابن اخي انا عمك وقد اردت الذهاب بك
الى قومك واناخ راحلته فجلس على عجز الناقة وانطلق به ولم تعلم به
امه حتى كان الليل فقامت تدعو بحربها فاخبرت ان عمه قد ذهب به وكساه
حلة يمانية ثم قدم به مكة فقالت قريش هذا عبد المطلب اي قال هذا
السياق يدل على ان عبد المطلب انما ولد بعد موت ابيه هاشم بغزة وكون
المطلب كساه حلة لا ينافي ما سبق انه دخل به مكة وثيابه رثة خلقة لانه
يجوز ان تكون تلك الحلة ليست له عندما قدم ثم نزعت عنه في السفر اي او
انها الحلة اشتراها بمكة كما يصرح به كلام بعضهم وما وقع هنا من تصرف
الراوي على انه يجوز ان يكون اشترى له حلتين واحدة اليمانية بالمدينة
واخرى اشتراها بمكة واليمانية. وفي السيرة الهشامية ان ام عبد المطلب
كانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها ان امرها بيدها اذا
كرهت رجلا فارقته اي وانها لا تلد ولدا الا في اهلها كما تقدم وان عمه
المطلب لما جاء له قالت له لست بمرسلته معك فقال لها المطلب
اني غير منصرف حتى اخرج به معي ان ابن اخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه
ونحن اهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير له من الاقامة
في غيرهم فقال شيبة لعمه لست بمفارقها الى ان تأذن لي فاذنت له ودفعته
اليه فارتدفه خلفه على بعيره ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين ما قبله
فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه اي ظنا منهم انه اشتراه من المدينة فان
الشمس ترى فيه وعليه اثواب خلقة فقال لهم ويحكم انما هو ابن اخي هاشم
ولا ينافي هذا ما سبق من انه كان يقول لمن يسأله عنه من هذا فيقول
عبدي لانه يجوز ان يكون بعض الناس قال من عند نفسه هذا عبد المطلب
لما سمعه وبعضهم سأله فاجابه بقوله هذا عبدي لما تقدم ولما دخل مكة
قال لهم ويحكم ابن اخي وهاشم ابن عبد مناف وعبد مناف اسمه المغيرة
اي وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله وهذا هو الجد الثالث لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الجد الرابع لعثمان بن عفان والجد التاسع
لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنهما. ووجد كتاب في حجر ايام المغيرة ابن
قصي اوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم وثبا في اصله ساقه اسم

من كان اعظم اصنامهم وكانت امه حليلة طامثا لم ترى بذلك الصنم وقيل هبنه
له لانه كان ابو ولد وولد ولده قصي على ما قيل **وعبد مناف بن قصي** اي
ويدعى قصي زيدا وعن امامنا الشافعي رضي الله عنه ان اسمه يزيد ويدعى
مجمعا ايضا وقيل له قصي لانه قصى اي بعد عن عشيرته الى اخواله بني كلب
في بلادهم وقيل بعد الى قضاعة مع امه لانها كانت منهم اي ولـــ
لا منافاة لجواز ان تكون ام قصي من كلب وابوها من قضاعة وانما رحلت
انها وهو فطيم لانها كانت جهة الشام فلا يخالف ما قيل ان قيل له قصي
لانه بعد مع امه الى الشام لان امه تزوجت بعد موت ابيه وهو فطيم
بشخص يقال له ربيعة بن حزام وقيل حزام بن ربيعة العذري فرحل
بها الى الشام وكان قصي لا يعرف له ابا الا زوج امه المذكور فلما كبر وقع
بينه وبين رجل من ال زوج امه شر اي فاخر ما مثل رجله منهم فنضله
قصي اي غلبه فغضب ذلك الرجل وعيره فضربا بالغربة وقال له الا
تلحق بقومك وبلادك فانك لست منا وفي لفظ لما قيل له ذلك
قال ممن انا فقيل له سل امك فشكى الى امه فقالت له بلادك خير من
بلادهم وقومك خير من قومهم انت اكرم ابا منهم انت ابن كلاب بن مرة
وقومك بمكة عند البيت الحرام تفد اليه العرب وقد قالت لي كاهنة
رأتك صغيرا انك تلي امرا جليلا فلما اراد الخروج الى مكة قالت له
امه لا تعجل حتى يدخل الشهر الحرام فتخرج مع حجاج قضاعة فاني اخاف
عليك فخرج مع الحجاج فقدم قصي مكة على قومه مع حجاج قضاعة فعرفوا
له فضله وشرفه فاكرموه وقدموه لعلمهم فساد فيهم ثم تزوج بنت حليل
بالحاء المهملة المضمومة الخزاعي وكان امر مكة والبيت اليه وهو اخر من
ولي البيت والحكم بمكة من خزاعة فتخلفها بالولادة الا في ذكورهم فلما انتشر ولده
وكثر ماله وعظم شرفه مات حليل فرأى قصي انه اولى بامر مكة من خزاعة
لان قريشا اقرب الى اسماعيل من خزاعة فدعى قريشا وبني كنانة الى
اخراج خزاعة من مكة فاجابوه الى ذلك وانضم اليهم قضاعة جاء بهم اخو
قصي لامه فاراد قصي نفي خزاعة وولي امر مكة وقيل ان حليلا جعل
امر البيت لقصي ولا منافاة لجواز ان تكون خزاعة لم ترض بما فعله

حليلا من ان يكون امر البيت لقصي فحاربهم واخرجهم من مكة وقيل ان حليلا اوصى — اوصى
بذلك لابي غبشان بضم الغين المعجمة بعد ان اوصى بذلك لابنته زوج
قصي وقالت له لا اقدر على فتح البيت واغلاقه وان قصيا اخذ منه
ذلك بزق خمر فقالت العرب اخسر صفقة من ابي غبشان وقيل ان ابا
غبشان اعطى ذلك لبنت حليل زوج قصي واعطاه قصي اتوا ابا واسرته
فكان ابو غبشان اخر من ملك امر مكة والبيت من خزاعة ولا يخالف
ذلك ما تقدم من ان حليلا اخر من ولي امر البيت والحكم بمكة لجواز ان
يكون المراد اخر من ولي ذلك واستمر كذلك الى ان مات . قال بعضهم
وكان ابو غبشان خال لقصي وكان في عقله شيء فخدعه قصي واشترى
منه امر البيت ومكة باذواد من الابل والجمع بين هذه الروايات ان
قصيا اخذ ذلك من ابي غبشان بزق خمر وبين انه اخذ ذلك بالثواب
والسيف وبين انه اخذ ذلك باذواد من الابل ممكن لجواز ان يكون جمع
الخمر والاثواب والابل ودفع الاقتصار على بعضها من بعض الرواة تامل
ثم جمع قصي قريشا بعد تفرقها في البلاد وجعلها اثني عشر قبيلة كما يأتي
ومن ثم قيل له مجمع وفي كلام بعضهم وكذلك سماه النبي صلى الله عليه وسلم
مجمعا والى ذلك يشير بعض البلغاء الشعراء بقوله

قصي لعمري كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر •

وهذا البيت من قصيدة مدح بها المطلب مدحه بها حذافة بن غانم لانه
فان ركبا من جذام فقد رجلا منهم ولقوا حذافة فاخذوه وربطوه ثم
انطلقوا به فلقيهم عبد المطلب مقبلا من الطائف وابنه ابو لهب يقوده
فانه كان قد ذهب بصره فلما نظر اليه حذافة هتف به فقال عبد المطلب
لابي لهب ويلك ما هذا قال حذافة بن غانم مربوط مع ركب فقال الحقهم
واسالهم ما شانهم فلحقهم فاخبروه الخبر فرجع الى عبد المطلب فقال له
ما معك قال والله ما معي شيء فقال الحقهم لا ام لك واعطهم بيدك واطلق
الرجل فلحقهم ابو لهب فقال قد عرفتم تجارتي واني احلف لكم لاعطينكم عشرين
اوقية ذهبا وعشرا من الابل وفرسا وهذا ردائي رهنا بذلك فقبلوا منه
واطلقوا حذافة فاقبل به فلما سمع عبد المطلب صوت ابي لهب قال وابي

وابي لك العام ما رحج لا ام لك فقال يا ابتاه هذا الرجل حي فناداه يا حذافة
اسمعني صوتك فقال ها انا يا ابي انت يا ساقي الحجيج اردفني فاردفه
خلفه حتى دخل مكة فقال حذافة هذه القصيدة • ومطلعها •
بنوا شيبة الحمد الذي كان وجهه • يضيء ظلام الليل كالقمر البدر •
وهي قصيدة جيدة فان قيل كيف قبل القوم من ابي لهب رهن
ردايه على ما ذكرتم لهم في ان يخلوا عن الرجل مع ان رداه لا يقع موقعا
من ذلك واجيب بان سنة العرب وطريقتهم ان الواحد منهم
اذا رهن عنهم ولو شيئا حقيرا على امر جليل لا يغدر بل يحرص على وفا
ما رهن عليه ومن ثم لما اجدبت ارض تميم بدعا النبي صلى الله عليه وسلم
عليهم ذهب سيدهم حاجب بن زرارة والد عطارد رضي الله عنه
الى كسرى ليأخذ منه امانا لقومه لينزلوا ارياف العراق لاجدب
المرعى فقال له كسرى انتم قوم غدر واخاف على الرعايا منكم
فقال له حاجب انا ضامن ان لا يفعل قومي شيئا من ذلك فقال
له كسرى ومن لي بوفا بذلك فقال ارهن قوسي رهينة فضحك كسرى
وجلساؤه وضحكوا استقبالهم من العرب لو رهن احدهم شيئا
لا بد ان يفي مثلا اخصبت ارض تميم بدعا النبي صلى الله عليه وسلم
لما وفد اليه جماعتهم واسلموا وكان حاجب امر عطارد قومه
بالذهاب الى بلادهم وجا عطارد الى كسرى فطلب قوس ابيه فقال
انك لن تسلم الي شيا فقال ايها الملك اني وارث ابي ووفد وفينا
بالضمان فان لم تدفع الي قوس ابي صار عارا علينا وسبة فدفعها
له وكساه حلة فلما وفد عطارد على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم
دفعها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها وقال انما يلبس هذه
الحلة من لا خلاق له فكانت بنو تميم بعد ذلك القوس مفاخرهم
والى ذلك اشار بعضهم شعرا بقوله رجب فقال •
تزهوا علينا بقوس حاجبها • تيها تميم بقوس حاجبها •
وصار قصي رئيسا لقريش على الاطلاق حين ازاح خزاعة
عن البيت واجلاهم من مكة بعد ان لم يسلموا المفتي في ولايته

امر البيت ولم يجز واما فعل خليل او ابو غبشان على ما تقدم وذلك بعد ان
اقتتلوا اخر ايام منى بعد ان حذرتهم قريش الظلم والبغي وذكرتهم ما صارت
اليه جرهم حين الحدوا في الحرم بالظلم فابت خزاعة فاقتتلوا قتالا شديدا
وكثر القتل والجراح في الفريقين الا انه في خزاعة اكثر ثم تداعوا
للصلح واتفقوا على ان يحكموا بينهم رجلا من العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان
رجلا شريفا فقال لهم موعدكم فنا الكعبة غدا فلما اجتمعوا قام يعمر فقال
الا اني شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين فلا تباعة لاحد
على احد في دم اي ذلك فقضى بان كل دم اصابته قريش من خزاعة
موضوع وان ما اصابته خزاعة من قريش فيه الدية وقضى لقصي
بانه اولى بولاية مكة من خزاعة فتولاها قصي وكان يعشر من دخل مكة
من غير اهلها بتجارة • وكانت خزاعة قد ازالت جرهم عن ولاية
البيت فان مضاض بن عمرو الجرهمي الاكبر ولي امر البيت بعد نابت بن
اسمعيل عليه السلام فانه كان جد نابت وغيره من اولاد اسمعيل
لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم ولد اسمعيل
في ذلك لخؤولتهم واعظاما لان يكون بمكة بغي ثم ان جرهما بغوا بمكة
وظلموا من يدخلها من غير اهلها واكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها
حتى ان الرجل منهم كان اذا اراد ان يزني ولم يجد مكانا دخل البيت
فزنى فيه فاجمعت اي عزمت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة
ففعلوا ذلك بعد ان سلط الله على جرهم دواب تشبه النغف
بالغين المعجمة والفا وهو دود يكون في انوف الابل والغنم فهلك
منهم ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله
عليهم الرعاف فافنى غالبهم اي وجاز ان يكون ذلك الدم ناشيا
عن ذلك الدود فلا منافاة وذهب من بقي الى اليمن مع عمرو بن
الحارث الجرهمي اخر من ملك امر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فاتوا
من امر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو ابياتا منها •
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا • انيس ولم يسمر بمكة سامر •
وكنا ولاة البيت من بعد نابت • نطوف بذاك البيت والخير ظاهر •

ولاية خزاعة امر البيت

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا • صروف الليالي والدهور البواتر •
ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت أكتب بين يدي
الوزير يحيى البرمكي بن خالد أيام الرشيد فأخذه النوم فنام برهة
ثم انتبه مذعورا فقال لي والله ذهب ملكنا وذل عزنا وانقضت
أيام دولتنا قلت وما ذاك أصلح الله الوزير قال سمعت منشدا أنشد
كأن لم يكن بين الحجون الى البيت واجبة من غير زور ويتر بلى نحن كنا أهلها
البيت فلما كان اليوم الثالث وأنا بين يديه على عادتي إذ جاءه
إنسان واكب عليه وأخبره أن الرشيد قتل جعفرا الساعة قال
أوقد فعل قال نعم فما زاد أن رمى القلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة
بغتة ومما يؤثر عن يحيى هذا ينبغي للإنسان أن يكتب أحسن
ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويحدث بأحسن ما يحفظ وقال من لم يبت
على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما وصار خزاعة بعد جرهم
ولاة البيت والحكام بمكة كما تقدم وكان كبير خزاعة عمرو بن لحي
وهو ابن بنت عمرو بن الحارث الجرهمي آخر ملوك جرهم المتقدم ذكره
وقد بلغ عمرو بن لحي في العرب من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله
ولا بعده في الجاهلية وهو أول من أطعم الحاج بمكة سدائف الإبل
ولحمانها على الثريد والسدائف جمع سديف وهو السنام وذهب
شرفه في العرب كل مذهب حتى صار قوله دينا متبعا لا يخالف وفي
كلام بعضهم صار عمرو للعرب ربا لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها
شرعة لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم وربما نحر في الموسم
عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة وهو أول من غير دين
إبراهيم عليه الصلاة والسلام أي فقد قال بعضهم تظاهرت
نصوص العلماء على أن العرب من عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام استمرت على
دينه أي من رفض عبادة الأصنام إلى زمن عمرو بن لحي فهو أول من غير دين
إبراهيم وشرع للعرب الضلالة لأنه عبد الأصنام وسيب السائبة
وبحر البحيرة وقيل أول من بحر البحيرة رجل من بني مدلج كانت له ناقتان
فجدع آذانهما وحرم ألبانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيته

في

أول من غير دين ابراهيم

في النار يخبطانه بأخفافهما ويعضانه بأفواههما وعمرو أول من وصل الوصيلة
وحمى الحامي ونصب الأصنام حول الكعبة وأتى بهبل من أرض الجزيرة ونصبه
في بطن الكعبة فكانت العرب تستقسم عنده بالأزلام على ما سيأتي وأول
من أدخل الشرك في التلبية فإنه كان يلبي بتلبية إبراهيم الخليل
وهي لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك فعند ذلك تمثل له الشيطان
في صورة شيخ يلبي معه فلما قال عمرو لبيك لا شريك لك قال له ذلك
الشيخ إلا شريكا هو لك فأنكر عمرو ذلك فقال له ذلك الشيخ تملكه
وما ملك وهذا لا بأس به فقال عمرو ذلك فتبعه العرب على ذلك
أي فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها
بيده قال تعالى في توبيخها لهم وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون
وهو أول من أحل أكل الميتة أيضا فإن أهل الجاهلية من ولد
إسماعيل لم تزل تحرم أكل الميتة حتى جاء عمرو بن لحي فزعم أن الله
لا يرضى بتحريم أكل الميتة قال كيف لا تأكلون ما قتل الله وتأكلون
ما قتلتم • وروى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ورأيت عمرا يجر قصبه في النار وفي
رواية أمعاءه أي وهي المرادة بالقصب بضم القاف وفي رواية يؤذي أهل
النار بريح قصبه ويقال للأمعاء الأقتاب واحدها قتب بكسر القاف
وسكون المثناة الفوقية أخرجه أبو حرقة ومن ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه
في النار والاندلاق الخروج بسرعة • وقال صلى الله عليه وسلم
لأكثم بن الجون الخزاعي واسمه عبد العزى وأكثم بالثاء المثلثة
وهو في اللغة الواسع البطن يا أكثم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في
النار فما رأيت رجلا أشبه من رجل به منك ولا بك منه فقال أكثم
فعسى أن يضرني شبهه يا رسول الله قال لا إنك مؤمن وهو كافر
إنه أول من غير دين إسماعيل نصب الأوثان أي ودين إسماعيل هو
دين إبراهيم عليهما السلام فإن العرب من عهد إبراهيم استمرت على
دينه لم يغيره أحد إلى عهد عمرو المذكور كما تقدم • ومن كلام بعضهم أن

أول من نصب الأوثان حول البيت

أكثم هذا هو أبو معبد زوج أم معبد التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم
وقال رأيت الدجال فإذا هو أشبه الناس بك يا أكثم بن عبد العزى
فقام أكثم فقال أيضرني شبهه فقال لا أنت مؤمن وهو كافر ورده ابن
عبد البر حيث قال الحديث الذي فيه ذكر الدجال لا يصح إنما يصح منه
ما قاله في ذكر عمرو بن لحي . وإنما كان عمرو بن لحي أول من نصب الأوثان
بمكة لأنه خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره فرأى بأرض البلقاء
العماليق ولد عملاق بن لاود بن سام بن نوح ورآهم يعبدون الأصنام
فقال لهم ما هذه فقالوا هذه أصنام نعبدها نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها
فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فأعطوه
صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه في بطن الكعبة على بئرها وأمر الناس
بعبادته وتعظيمه فكان الرجل إذا قدم من سفره بدأ به قبل أهله بعد
طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده وكان عند هبل سبع قداح قدح فيه
مكتوب العقل إذا اختلفوا في من يحمله فعلى من خرج حمله وقدح مكتوب
فيه نعم وقدح مكتوب فيه لا وذلك للأمر الذي يريدونه وقدح فيه
منكم وقدح فيه ملصق من غيركم إذا اختلفوا في ولد هل هو منهم أو لا
وقدح فيه مياه وقدح فيه ما بها إذا أرادوا أن يحفروا بئرا للماء . وكان
هبل من العقيق على صورة إنسان وعاش عمرو بن لحي هذا ثلاثمائة
سنة وأربعين سنة ورأى من ولده وولد ولده ألف مقاتل أي وملك
هو وولده وولد ولده من بعده في ولاية البيت خمسمائة سنة وكان أخزم
جبل الذي تزوج قصي ابنته لا يقدم . وقيل كان لعمرو تابع من الجن
فقال له اذهب إلى جدة وأت منها بالآلهة التي كانت تعبد في زمن
نوح وإدريس وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر فذهب وأتى
بها إلى مكة ودعا الناس إلى عبادتها فانتشرت عبادة الأصنام في العرب
فكان ود لكلب وسواع لهمدان وقيل لهذيل ويغوث لمذحج بالذال
المعجمة على وزن مسجد أبو قبيلة من اليمن ويعوق لمراد وقيل لهمدان
ونسر لحمير أي فكان هؤلاء على صورة عباد كانوا فحزن أهل عصرهم عليهم
فصور لهم إبليس أمثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فجعلوها في مؤخر

مساجدهم

أول حدوث عبادة الأصنام

مساجدهم فلما هلك أهل ذلك العصر قال اللعين لأولادهم هذه آلهة
آبائكم فعبدوها ثم إن الطوفان دفنها في ساحل فأخرجها اللعين . وفي
كلام بعضهم أن آدم كان له خمسة أولاد صلحاء وهم ود وسواع ويغوث
ويعوق ونسر فمات ود فحزن الناس عليه حزنا شديدا واجتمعوا حول
قبره لا يكادون يفارقونه وذلك بأرض بابل فلما رأى ذلك إبليس جاء
إليهم في صورة إنسان وقال لهم هل لكم أن أصور لكم صورته إذا نظرتم
إليها ذكرتموه قالوا نعم فصور لهم صورته ثم صار كلما مات واحد منهم صورت
صورته وسموا تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمان تناست
الآباء والأبناء وأبناء الأبناء قال لمن حدث بعدهم إن الذين كانوا
قبلكم يعبدون هذه الصور فعبدوها فأرسل الله لهم نوحا فنهاهم عن
عبادتها فلم يجيبوه وكان بين آدم ونوح عشرون قرنا كلهم على شريعة
من الحق . فالحاصل ما حدثت عبادة الأصنام في قوم نوح فأرسله الله
إليهم ينهاهم عن ذلك ويقال إن عمرو بن لحي هو الذي نصب مناة على ساحل
البحر مما يلي قديد وكانت الأزد يحجون إليه ويعظمونه وكذلك الأوس
والخزرج وغسان . وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني في تفسيره
لبعض الآيات القرآنية عند قوله تعالى ولله يسجد من في السموات والأرض أن
أصل وضع الأصنام إنما هو من فوق الشرع بين العلماء الأقدمين فإنهم نزهوا الله
عز وجل عن كل شيء وأمروا بذلك عامتهم فلما رأوا أن بعض عامتهم صرح بالتعطيل
وضعوا لهم الأصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود
وغيره ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن عقولهم وغاب عن أولئك العلماء
أن ذلك لا يجوز إلا بإذن من الله تعالى في هذا الكلام وكان في زمان
جرهم فجر رجل يقال له إساف بامرأة يقال لها نائلة في جوف الكعبة أي
قبلها فيها كما في تاريخ الأزرقي وقيل زنى بها فمسخا حجرين فأخرجا منها
ونصبا على الصفا والمروة ليكونا عبرة فلما كان في زمان عمرو بن لحي أخذهما
عمرو ونصبهما حول الكعبة أي على زمزم وجعلهما وصار من يطوف
يتمسح بهما يبدأ بإساف ويختم بنائلة وذلك قبل أن يقدم عمرو بهبل
وبتلك الأصنام . وكانت قريش تذبح ذبائحها عندها وذكر أنه صلى الله

عليه وسلم لما كسر نائلة عند فتح مكة خرج منها امراة سوداء شمطاء تخمش
وجهها وتنادي بالويل والثبور • وكان عمرو بن لحي قد نصب ان العرب
بيتين بالطايف عند اللات وبنخلة عند العزى فكانوا يعظمونهما
وكانوا يعبدون اللات والعزى كما يعبدون الكعبة • وقصي هو الذي امر
قريشا ان يبنوا بيوتهم داخل الحرم حول البيت وقال لهم ان فعلتم
ذلك هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم فبنوا حول البيت من جهاته الاربع
وجعلوا ابواب بيوتهم جهة الكعبة لكل بطن منهم باب ينسب اليه الى الان كباب بني
شيبة وباب بني سهم وباب بني مخزوم وباب بني جمح وتركوا قدر الطواف
بالبيت فبنى قصي دار الندوة وهي اول دار بنيت بمكة واستمر الامر
على انه ليس حول الكعبة الا قدر الطواف وليس حوله جدار في زمنه
صلى الله عليه وسلم وزمن ولاية الصديق رضي الله عنه • فلما كان
زمن ولاية عمر رضي الله عنه اشترى تلك الدور من اهلها وهدمها
وبنى المسجد المحيط بها • ثم لما كان زمن ولاية عثمان رضي الله عنه
اشترى دورا اخرى واغلى في ثمنها وهدمها وزاد في سعة المسجد
ثم ان ابن الزبير زاد في المسجد زيادة كثيرة • ثم ان عبد الملك
ابن مروان رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ولم يزد
فيه شيئا • ثم ان الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل اليه اعمدة
الرخام • ثم زاد فيه المهدي والد الرشيد مرتين واستقر بناؤه على
ذلك الى الان • وكانت قريش قبل ذلك اي قبل بنائها منازلهم في الحرم
يحترمون الحرم ولا يبيتون به ليلة واذا اراد احدهم قضاء حاجة الانسان
خرج الى الحل • وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة اذا اراد
حاجة الانسان خرج الى المغمس بكسر الميم افصح من فتحها وهو محل
على ثلثي فرسخ من مكة • وهابت قريش قطع شجر الحرم الذي في منازلهم التي
بنوها فقد كان بمكة شجر كثير من العضاة والسلم وشكوا ذلك الى قصي
فامرهم بقطعها فهابوا ذلك وقالوا نكره ان ترى العرب انا استخففنا
بحرمنا فقال لهم انما تقطعونه لمنازلكم وما تريدون به فسادا لعنة
الله اي لعنته على من اراد فسادا فقطعها قصي بيده وبيد اعوانه

اول دار بنيت بمكة

واول من عمر المسجد الحرام

وفي

وفي كلام السهيلي في الروض الانف ان قريشا حين ارادوا البنيان قالوا
لقصي كيف نصنع في شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك
فكان احدهم يحوق بالبنيان حول الشجرة حتى تكون في منزله الحوايط • قال
واول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى
دورا بقعيقعان لكنه جعل دية كل شجرة بقرة ثنيتا من الجمع • وانزل
قصي القبايل من قريش في نواحي مكة بطاحها وظواهرها اي نازل جملتها
التي عن قبيلة كما تقدم ومن ثم قيل لمن سكن البطاح قريش البطاح ولمن
سكن الظواهر والاولى اشرف من الثانية ومن الثانية بنو هاشم والى
ذلك يشير صاحب الاصل في وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله •
من بني هاشم بن عبد مناف • وبنو هاشم بحار الحيا •
من قريش البطاح من عرفوا الناس • لم تطلهم بغير امتراء •
قال بعضهم كان قصي اول رجل من بني كنانة اصاب ملكا ولما حضر الحج
قال لقريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ولا اعلم
مكرمة عند العرب اعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله
خرجا ففعلوا فجمع من ذلك شيئا كثيرا فلما جاء اوائل الحج نحر على كل طريق
من طرق مكة جزورا ونحر بمكة وجعل الثريد واللحم وسقى الماء المحلى
بالزبيب وسقى اللبن وهو اول من اوقد النار بمزدلفة ليراها الناس من
عرفة ليلة النفر • ومما يوثر عن قصي من اكرم لئيما اشركه في لؤمه
ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة اصلحه الهوان
ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود العدو الخفي • ولما احتضر
قال لاولاده اجتنبوا الخمر فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان
وحاز قصي شرف مكة فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة
واللواء والقيادة وكان عبد الدار اكبر اولاد قصي وعبد مناف اشرفهم
لكنه شرف في زمن ابيه قصي وذهب شرفه كل مذهب وكان يليه في الشرف
اخوه المطلب فكان يقال لهما البدران وكانت قريش تسمي عبد مناف الفياض
لكثرة جوده فاعطى قصي ولده عبد الدار جميع تلك الوظايف التي هي السقاية
والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة اي قايلا له اني والله

ومما يوثر عن قصي

يا بني لا تحتفل بالقوم يعني اخوته عبد مناف والمطلب وان كانوا قد شرفوا به
عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت تفتحها لهم يعني الحجابة
للبيت ولا يعقد لقريش لوا لحربها الا انت بيدك اي وهذا هو المراد بـ
باللوا ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك وهذا هو المراد بالسقاية
ولا ياكل احد من اهل الموسم الا من طعامك اي وهذا هو المراد بالرفادة
ولا تقطع قريش امرا من امورها الا في دارك يعني دار الندوة اي ولا
يكون احدا قايدا للقوم الا انت وذلك هو القيادة فلما مات عبد الدار
واخوه عبد مناف اراد بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب
وهم اخوة لاب ولام امهم عاتكة بنت مرة ونوفل اخوهم لابيهم امه
واقدة بنت حرمل ان ياخذوا تلك الوظايف من بني عمهم عبد الدار واجمعوا
على المحاربة اي واخرج بنو عبد مناف جفنة مملوة طيبا فوضعوها لاحلافهم في المسجد
عند باب الكعبة ثم غمس القوم ايديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة
بايديهم توكيدا على انفسهم فسموا المطيبون اي اخرجتها لهم ام حكيم البيضا بنت عبد
المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وتوامة ابيه ووضعتها في الحجر وقالت من تطيب من
هذا فهو منا فتطيب منها من بني عبد مناف بنو زهرة وبنو اسد بن عبد العزى وبنو تيم بن
مرة وبنو الحارث بن فهر فالمطيبون من قريش خمس قبايل وتعاقد بنو عبد الدار
هم واحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب واحلافهم
على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف لتحالفهم بعد ان اخرجوا
جفنة مملوة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من ادخل يده في دمها فلعق منه
فهو منا فادخلوا ايديهم فيها ولعقوا منها فسموا لعقة الدم وقيل الذين
لعقوا الدم بنو عدي خاصة ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة
والقيادة لبني عبد مناف والحجابة واللوا لبني عبد الدار ودار الندوة بينهم
بالاشتراك وتحالفوا على ذلك وهذا هو الذي رايته في السيرة فيما حضرني
من ادب المشرف ولما شرف عبد مناف بن قصي في حياة ابيه وذهب شرفه كل
مذهب وكان قصي يحب ابنه عبد الدار واراد ان يلحق به ذكرا فاعطاه الحجابة
ودار الندوة واللوا واعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة وجعل
عبد الدار الحجابة لولده عثمان وجعل دار الندوة لولده عبد مناف بن عبد الدار

ثم دونها

ثم دفعها لولده من بعده والسقاية كانت حياضا من ادم توضع بفنا الكعبة ويستقى
فيها الماء العذب من الابار على الابل في المزاود والقرب قبل حفر زمزم وربما قذف
فيها التمر والزبيب في غالب الاحوال يسقى الحجاج ايام الموسم حتى يتفرقوا وهذه
السقاية قام بها وبالرفادة بعد عبد مناف ولده هاشم وبعده ولده عبد
المطلب وكان شريفا مطاعا جوادا كانت قريش تسميه الفياض لكثرة جوده
فلما كبر عبد المطلب فوض اليه امر السقاية والرفادة فلما مات المطلب
وثب عليه نوفل بن عبد مناف وغصبه اركاحا اي افنية ودورا فسال
عبد المطلب رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فابوا وقالوا لا ندخل
بينك وبين عمك فكتب الى اخواله بنو النجار بالمدينة بما فعله معه عمه نوفل
فلما وقف خاله ابو سعد بن عدي النجاري على كتابه بكى وسار من المدينة في
ثمانين راكبا حتى قدم مكة فنزل بالابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل
يا خال فقال لا والله حتى القى نوفلا فقال تركته بالحجر جالسا في مشايخ قريش
فاقبل ابو سعد حتى وقف عليهم فقام اليه نوفل قايما وقال يا ابا سعد انعم
صباحا فقال ابو سعد لا انعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه
البنية لئن لم ترد على ابن اختي اركاحه لاملان منك هذا السيف فقال قد رددتها
عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فاقام عنده ثلاثا ثم
اعتمر ورجع الى المدينة ولما جرى ذلك حالفت بنو عبد شمس على بني هاشم
وحالفت بنو هاشم خزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس اي فكان خزاعة
كانت تحض الى نصرة عبد المطلب لان عبد مناف جد عبد المطلب امه حبي
بنت حليل سيد خزاعة كما تقدم فقالوا لعبد المطلب نحن نحالفك فدخلوا
دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا
ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة
والمواساة ما بل بحر صوفة وما اشرقت الشمس على ثبير وما حن بفلاة بعير
وما قام الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد منه الى الابد • وعبد
المطلب لما حفر زمزم صار ينقل الماء منها الى تلك الاحواض ويلقي فيها التمر
والزبيب ثم بعده قام ولده ابو طالب ثم اتفق ان ابا طالب املق اي افتقر
في بعض السنين فاستدان من اخيه العباس عشرة الاف درهم الى الموسم الاخر

فخر بها أبو طالب في الحجيج كامة ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام القابل
لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لأخيه العباس أسلفني أربعة عشر ألفا إلى العام
المقبل لأعطيك جميع ذلك فقال له العباس بشرط أن لم تعطني تنزل لي عن
السقاية لأكفلها فقال نعم فلما أن جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب
ما يعطيه لأخيه العباس فنزل له عن السقاية فصارت إلى العباس
ثم لولده عبد الله بن العباس واستمر ذلك في بني العباس إلى زمن
السفاح ثم تركت بنو العباس ذلك والرفادة إطعام الحاج أيام الموسم
حتى ينفروا فإن قريشا كانت على زمن قصي تخرج من أموالها في كل موسم
فتدفعه إلى قصي فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد
كما تقدم حتى قام بها بعده ولده عبد مناف ثم بعد عبد مناف ولده هاشم
ثم بعد هاشم ولده عبد المطلب ثم ولده أبو طالب وقيل ولده العباس
ثم استمر ذلك إلى زمنه صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء بعده ثم استمر
ذلك في الخلفاء إلى انقراض الخلافة فقد من بغداد ثم من مصر وأما القيادة
وهي إمارة الركب فقام بها عبد مناف بن عبد مناف ثم ابنه عبد شمس
ثم كانت بعد عبد شمس لابنه أمية ثم لابنه حرب ثم لابنه أبو سفيان
فكان يقود الناس في غزواتهم فإذا الناس يوم أحد ويوم الأحزاب
ومن ثم لما قال الوليد بن عبد الملك لخالد بن يزيد بن معاوية لست
في العير ولا في النفير قال له ويحك العير والنفير غيري أي وغيرك
لأن العير التي تحمل فيه الثياب جدي أبو سفيان صاحب العير
وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير ودار الندوة كانت قريش
تجتمع فيها للمشاورة في أمورها ولا يدخل فيها إلا من بلغ الأربعين
وكانت الجارية إذا حاضت لا تخرج إلا لدار الندوة ثم يشق عليها درعها
الا ولد عبد الدار ثم بيد رجل منهم إياه وانقلب بها فتحجب وهي كانت سنة
قصي فكان لا ينكح رجل امرأة من قريش إلا في دار قصي التي هي دار
الندوة ولا يعقدون حربا إلا فيها ولا تدرع جارية من قريش إلا في
تلك الدار فكانت قريش بعد قصي يتبعون ما كان عليه في حياته
كالدين المتبع ولا زالت هذه الدار في يد بني عبد الدار إلى أن صارت

إلى

إلى حكيم بن حزام فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم فلامه عبد الله بن الزبير وقال
أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم إلا التقوى والله لقد
اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف درهم وأشهدكم أن ثمنها في
سبيل الله فأينا المغبون قيل ومقتضى هذا إجماع قريش فلا ينافي ذلك حدوث
أولاد من بعد فهر قرشي ونسب هذا القول لبعض الرافضة وهو قول باطل
لا أصل له لأنه يتوصل به إلى أن لا يكون سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضي الله
عنهما من قريش فلا حق لهما في الإمامة العظمى التي هي الخلافة فقد قال
صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش وقال صلى الله عليه وسلم أنتم أولى
الناس بهذا الأمر ما كنتم على الحق إلا أن تعدلوا عنه لأنهما لم يلتقيا مع
النبي صلى الله عليه وسلم إلا فيما بعد فهر لأن أبا بكر يجتمع مع النبي صلى الله
عليه وسلم في مرة كما سيأتي لأن تيم ابن مرة وبين أبي بكر وتيم خمسة
آباء وعمر يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في كعب كما سيأتي وبين عمر
وكعب سبعة آباء **وقصي بن كلاب** أي واسمه حكيم وقيل عروة ولقب
بكلاب لأنه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد
الثالث لآمنة أمه صلى الله عليه وسلم ففي كلاب يجتمع نسب أبيه وأمه
وكلاب ابن مرة وهو الجد السادس لأبي بكر والإمام مالك رضي الله
عنهما يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في هذا الجد الذي هو مرة أيضا **ابن كعب**
أي وهو الجد الثامن لعمر رضي الله عنه وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة
أي يوم الرحمة الذي هو يوم الجمعة وقيل إنه أول من سماه يوم الجمعة قيل
لاجتماع قريش فيه إليه لكن في الحديث كان أهل الجاهلية يسمون يوم
الجمعة يوم العروبة وإنما سماه الله يوم الجمعة قال ابن دحية ولم تسم
العروبة الجمعة إلا منذ جاء الإسلام وسيأتي ذلك فكانت قريش تجتمع
إلى كعب فيعظهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من
ولده ويأمرهم باتباعه فيقول سيأتي لحرمكم هذا نبأ عظيم وسيخرج منه
نبي كريم وينشد أبياتا آخرها • على غفلة يأتي النبي محمد •
فيخبر أخبارا صدوق خبيرها • وينشد أيضا ويقول •
يا ليتني شاهد فحواء دعوته • حين العشيرة تبغي الحق خذلانا •

وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسماية سنة وستون سنة وفي
الامتاع وعشرون سنة لان الحق ان الخمسماية والستون انما هو بين موت
كعب والفيل الذي هو مولده صلى الله عليه وسلم كما ذكره ابو نعيم في
الدلايل النبوية ‧ وقيل ان كعبا اول من قال اما بعد فكان يقول
اما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا ليل داج وفي رواية ليل
ساج ونهار ساج ‧ والارض مهاد ‧ والسماء بناء ‧ والجبال اوتاد ‧ والنجوم
اعلام ‧ والاولون كالاخرين ‧ فصلوا ارحامكم ‧ واحفظوا اصهاركم
وثمروا اموالكم الدار امامكم والظن غير ما تقولون ‧ اي وقيل له
كعب لعلوه وارتفاعه لان كل شيء علا وارتفع فهو كعب ومن ثم
قيل للكعبة كعبة لعلوها وارتفاع شانه ارخوا بموته حتى كان عام
الفيل ارخوا به ثم ارخوا بعام الفيل بموت عبد المطلب ‧ وكعب
ابن لوي ‧ اي بالهمز اكثر من عدمه اي دوي تصغير [illegible] خلاف
ابن غالب بن فهر ‧ سماه ابوه فهرا وقيل هو لقب واسمه قريش
والمناسب ان يكون لقبا لقولهم انما سمي قريشا لانه كان يقرش اي
يفتش عن حاجة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون اهل
الموسم عن حوايجهم فيرفدونهم فسموا بذلك قريشا قال بعضهم
وهو جماع قريش عند الاكثر قال الزبير بن بكار اجمع النسابون
من قريش وغيرهم على ان قريشا انما تفرقت من فهر وفهر هذا هو
الجد السادس لابي عبيدة بن الجراح ‧ ولما جاء حسان بن عبد كلال
من اليمن في حمير وغيرهم لاخذ احجار الكعبة الى اليمن ليبني بها بيتا
ويحج الناس اليه ونزل بنخلة خرج فهر الى مقاتلته بعد ان جمع
قبايل العرب فقاتله واسره وانهزمت حمير ومن انضم اليهم واستمر
حسان في الاسر ثلاث سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير وخرج فمات
بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا امره ‧ ومما يؤثر
عن فهر قوله لولده غالب قليل ما في يديك اغنى لك من كثير ما اخلق
وجهك وان صار اليك ‧ وفهر هو ابن مالك ‧ قيل له ذلك لانه
ملك العرب ‧ ابن النضر ‧ ولقب به لنضارته وحسنه وجماله واسمه

قيس

قيس وهو جماع قريش عند الفقهاء فلا يقال لاولاد من فوقه قرشي ويقال لكل من
اولاده الذين منهم مالك واولاده قرشي فتنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قريش فقال ولد النضر اي وعلى ان جماع قريش فهر كما تقدم فالنضر واولاده
والنضر جد اولاده ليس من قريش ‧ والنضر بن كنانة ‧ قيل له ذلك لانه لم
يزل [illegible] بين قومه وقيل لستره على قومه وحفظه لاسرارهم وكان شيخا
حسنا عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد ان خروج نبي
من مكة يدعى احمد يدعو الى الله والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق
فاتبعوه تزدادوا عزا وشرفا الى عزكم ولا تعتدوا وان تكذبوا ما جاء به فهو
الحق قال ابن دحية كان كنانة يانف ان ياكل وحده فاذا لم يجد
احدا اكل لقمة ورمى لقمة الى صخرة ينفعها بين يديه ‧ ومما يؤثر عنه
رب صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها فاحذر الصور
واطلب الخبر ‧ وكنانة بن خزيمة بن مدركة ‧ ومدركة اسمه عمرو وقيل له
مدركة لانه ادرك كل عز وفخر كان في ابايه وكان فيه نور رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولعل المراد ظهوره فيه ‧ ومدركة ابن الياس ‧ بهمزة قطع مكسورة
وقيل مفتوحة وقيل همزة وصل ونسب للجمهور قيل سمي بذلك لان اباه مضر كان
قد كبر سنه ولم يولد له ولد فولد له هذا الولد فسماه الياس وعظم امره
عند العرب حتى كانت تدعوه بكبير قومه وسيد عشيرته وكانت لا تقضي امرا
دونه ‧ وهو اول من اهدى البدن الى البيت واول من ظهر مقام ابراهيم
لما غرق البيت زمن نوح فوضعه في زاوية البيت كذا في حياة الحيوان
[illegible] وجاء في حديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وقيل انه جماع قريش اي
فلا يقال لاولاد من فوقه قرشي وكان الياس يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله
عليه وسلم المعروفة في الحج قيل وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وهو
اول من مات بعلة السل ولما مات حزنت عليه زوجته خندف حزنا شديدا
حتى لم يظلها سقف بعد موته حتى ماتت ومن ثم اخذ من خندف ‧ والياس
ابن مضر ‧ فقيل وهو جماع قريش فلا يقال لمن فوقه قرشي فهو جماع قريش
حينئذ اقوال اربعة قيل فهر وقيل النضر وقيل الياس وقيل مضر ويقال
له مضر الحمراء قيل لانه لما اقتسم هو واخوه ربيعة مال ابيهما اعني نزارا اخذ مضر

ومما يؤثر عنه

اول من اهدى البدن

اول من مات بالسل

الاقوال في جماع قريش

ومما يؤثر عنه

اول من حدا للابل

الذهب فقيل له مضر الحمراء واخذ ربيعة الخيل ومن ثم قيل له ربيعة الفرس وجا
في حديث لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين اي وفي رواية لا تسبوا مضر
فانه كان على ملة ابراهيم. وفي حديث غريب لا تسبوا مضر فانه كان على دين
اسمعيل. ومما حفظ عنه من يزرع شرا يحصد ندامة. اقول سيأتي
في بنيان قريش للكعبة انهم وجدوا فيها كتبا بالسريانية من جملتها كما تقدم انا
من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة الى اخر ما ياتي في
وعن ابي عبيدة البكري ان قبر مضر بالروحاء يزار والروحاء على ليلتين
من المدينة. وكان مضر من احسن الناس صوتا وهو اول من حدا الابل
ذلك انه وقع فانكسرت يده فصار يقول وا يداه وا يداه فجاءت اليه الابل من
المرعى فلما صح وركب حدا. وقيل اول من سن الحداء للابل عبد لمضر ضربه مضر
مولاه وجرحه فصار يقول يا يداه يا يداه فجاءت اليه الابل من مرعاها
اي لان الحداء انما ينشط الابل لا سيما ان كان بصوت حسن فانها عند سماعه
تمد اعناقها وتصغي الى الحادي وتسرع في سيرها وتستخف الاحمال
الثقيلة فربما قطعت المسافة البعيدة في زمن قصير وربما اهلكت
لثلاثة ايام في يوم واحد وفي ذلك حكاية مشهورة ولاجل ما ذكر ذكر ائمتنا
انه يستحب. وفي الاذكار للامام النووي باب استحباب الحداء للسرعة
في السير وتنشيط النفوس وترويحها وتسهيل السير عليها وفيه احاديث
كثيرة مشهورة. ومضر بن نزار يكنى ابا النور كان يرى نور النبي صلى الله عليه
وسلم بين عينيه وهو اول من كتب الكتاب العربي على الصحيح والامام
احمد بن حنبل يمنع نسبه صلى الله عليه وسلم في نزار هذا ابن معد
ابن عدنان هذا هو النسب المجمع عليه في نسبه صلى الله عليه وسلم
عند العلماء بالانساب ومن ثم قال بعض فقهائنا شرط الامام الاعظم
ان يكون قرشيا فان لم يوجد قرشي جامع للشروط التي ذكروها فكناني
قال بعضهم وقياس ذلك ان يقال فان لم يوجد كناني فخزيمي فان لم
يوجد خزيمي فمدركي فان لم يوجد مدركي فالياسي فان لم يوجد الياسي
فمضري فان لم يوجد مضري فنزاري فان لم يوجد نزاري فمعدي

فان لم

وكان عدنان في زمن موسى

اول من تكلم بالعربية الفصيحة

فان لم يوجد معدي فعدناني فان لم يوجد عدناني فمن ولد اسمعيل لان
من فوق عدنان لا يصح فيه شيء ولا يكفي حفظ النسب فيه الى اسمعيل
وقيل لمعد ذلك لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب
احدا الا رجع بالنصر والظفر. قال بعضهم ولا يخرج عربي في الانساب
عن عدنان وقحطان قيل وولد عدنان يقال لهم قيس وولد قحطان
يقال لهم يمن. ولما سلط الله بخت نصر على العرب امر الله ارميا ان
يحمل معه ابن معد بن عدنان على البراق كيلا تصيبه النقمة وقال
فاني ساخرج من صلبه نبيا كريما اختم به الرسل فاحتمله ارميا معه
الى ارض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ثم عاد بعد ان هدأت الفتن اي بموت
بخت نصر. وكان عدنان في زمن عيسى عليه السلام وقيل في زمن موسى
قال الحافظ ابن حجر وهو اولى اي ومما يضعف الاول ما في الطبراني
عن ابي امامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بلغ
ولد معد بن عدنان اربعين رجلا وقعوا في عسكر موسى عليه السلام
فانتهبوه فدعا عليهم موسى فاوحى الله اليه لا تدع عليهم فان منهم النبي
الامي البشير النذير الحديث اذ يبعد بقاء معد الى زمن عيسى ومعلوم انه
لا خلاف في ان عدنان من ولد اسمعيل نبي الله اي ارسله الله الى جرهم
والى العماليق والى قبائل اليمن في زمن ابراهيم وكذا بعث اخوه اسحاق
الى اهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا
انبياء على عهد ابراهيم عليه السلام. وذكر بعضهم ان من العماليق فرعون
موسى ومنهم الريان بن الوليد فرعون يوسف. وكان اسمعيل بكر ابيه
خالدا وقد بلغ من العمر سبعين سنة وقيل ستا وثمانين سنة ولد بين
الرملة وايليا. وكان بين عدنان واسمعيل اربعون ابا وقيل سبعة
وثلاثون. وفي الهزلاني ان ابراهيم هو الجد الحادي والثلاثون
لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا يخفى ان اسمعيل اول من سمي
بهذا الاسم من بني ادم ومعناه بالعبرانية مطيع الله. واول من تكلم
بالعربية اي البينة الفصيحة والا فقد تعلم اصل العربية من جرهم ثم الهمه
الله العربية الفصيحة البينة فنطق بها وفي الحديث اول من فتق

لسانه بالعربية البينة اسمعيل وهو ابن اربع عشرة سنة • وفي كلام بعضهم لما
خرج ابراهيم بهاجر وولدها اسمعيل الى مكة على البراق واحتمل معه
قربة فيها ماء ومزود فيه تمر فلما انزلهما بها وولى راجعا تبعته هاجر وهي
تقول الله امرك ان تذرنا في هذا المحل الموحش الذي
ليس به انيس قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ولا زالت تاكل من التمر
وتشرب من الماء الى ان نفد الماء الحديث وكان انزاله لهما بموضع الحجر وذلك
لمضي مائة سنة من عمر ابراهيم • وكون اسمعيل اول من تكلم بالعربية
البينة لا ينافي ما قيل اول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان قال
وقحطان اول من قيل له ابيت اللعن واول من قيل له انعم صباحا •
ويعرب هذا قيل له يمن لان هودا نبي الله قال له انت ايمن ولدي
وسمي اليمن يمنا لانه نزل فيه واول من قال الشعر يعرب والرجز وقيل
سمي اليمن يمنا لانه يمين الكعبة • وقيل اول من كتب الكتاب العربي
اسمعيل والصحيح ان اول من كتب به نزار بن معد كما تقدم وكون
اسمعيل اول من تكلم بالعربية البينة لا ينافي ما قيل اول من تكلم
بالعربية ادم في الجنة فلما هبط الى الارض تكلم بالسريانية قيل
وسميت سريانية لان الله تعالى علمها ادم سرا من الملائكة وانطقه
بها [illegible] ولعل كتب الكتاب العربي والفارسي والسرياني والعبراني
وغيرها من بقية الاثني عشر كتابا وهي الحميري واليوناني والرومي
والقبطي والبربري والاندلسي والهندي والصيني ادم كتبها
في طين وطبخه فلما اصاب الارض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه •
فاصاب اسمعيل الكتاب العربي • اي واما ما جاء اول من خط بالقلم
ادريس فالمراد به خط الرمل • وفي كلام بعضهم اول من تكلم بالعربية
المحضة وهي عربية قريش التي نزل بها القران اسمعيل • واما
عربية قحطان وحمير فكانت قبل اسمعيل ويقال لمن تكلم بلغة
هؤلاء العرب العاربة ويقال لمن يتكلم بلغة اسمعيل العرب المستعربة
وهي لغة الحجاز وما والاه • وجاء من احسن ان يتكلم بالعربية فلا
يتكلم بالفارسية فانه يورث النفاق • وقد ذكر بعضهم ان اهل

الكهف

عدد الكتب واول من تكلم بها

الكهف كلامهم اعجام ولا يتكلمون الا بالعربية وانهم يكونون وزراء المهدي وقد
اشتهر على الالسنة انه صلى الله عليه وسلم قال انا افصح من نطق بالضاد
قال جمع لا اصل له ومعناه صحيح لان المعنى انا افصح العرب لكونهم
هم الذين ينطقون بالضاد ولا توجد في غير لغتهم ∴ واسمعيل
اول من ركب الخيل وكانت وحوشا اي ومن ثم قيل لها العراب •
وقد قال صلى الله عليه وسلم اركبوا الخيل فانها ميراث ابيكم اسمعيل
وفي رواية اوحى الله تعالى لاسمعيل ان اخرج الى جياد الموضع المعروف
سمي بذلك لانه قتل فيه مائة رجل من العمالقة من جياد الرجال فادع
بالكنز فخرج الى جياد فالهمه الله تعالى فما بقي فرس بقي على وجه
الارض من ارض العرب الا جاءت اليه وامكنته من نواصيها وذللها
الله تعالى له فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وانها ميراث ابيكم
اسمعيل • وذكر الحافظ السيوطي ان له كتابا في الخيل سماه جر الذيل في
علم الخيل • وفي العرائس ان الله تعالى لما اراد ان يخلق الخيل قال
لريح الجنوب اني خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائي ومذلة على اعدائي
وجمالا لاهل طاعتي فقالت افعل ما تشاء فقبض قبضة فخلق منها فرسا
فقال لها خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم محوزة
على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطيري بلا جناح فانت
للطلب وانت للهرب • وعن وهب انه قال لسليمان عليه السلام ان
خيلا بلقا لها اجنحة تطير بها وترد ماء كذا فقال للشياطين علي بها فصبوا
في العين التي ترد منها خمرا فشربت فسكرت فربطوها وساسوها حتى
تانست قيل ويجوز ان يكون المراد من تلك الخيل الفرس الذي قال فيه
صلى الله عليه وسلم اوتيت بمفاتيح الدنيا على فرس ابلق جاءني به جبريل
وجاء ان الله تعالى لما عرض على ادم كل شيء مما خلق قال له اختر من خلقي
ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ابدا ما خلدوا
وباقيا ما بقوا ابد الابدين ودهر الداهرين وهذا صريح في ان الخيل
خلقت قبل ادم • وقد سئل الامام السبكي هل خلقت الخيل قبل ادم او بعده
وهل خلقت الذكور قبل الاناث او الاناث قبل الذكور فاجاب بانا نختار

اول من ركب الخيل وما فيها من الفضل

وهذا مبحث في خلق الخيل

ان خلق الخيل قبل ادم لان الدواب خلقت يوم الخميس وادم خلق يوم الجمعة بعد العصر وان الذكور خلقت قبل الاناث لامرين احدهما ان الذكر اشرف من الانثى والثاني حرارة الذكر اقوى من الانثى ولهذا كان خلق ادم قبل حوا فليتامل • وذكر التميمي ان في الفرس عشرين عضوا كل عضو مناسب باسم طاير ذكرها وبينها الدميري منها النسر والنعامة والقطا والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر قال وان في الحيوان اعضا باردة يابسة كالعظام نظير السودا واعضا باردة رطبة كالدماغ نظير البلغم واعضا حارة يابسة كالقلب نظير الصفرا واعضا حارة رطبة كاللحم نظير الدم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شي احب اليه بعد النسا من الخيل • وما من ليلة الا والفرس يدعو فيها ويقول رب انك سخرتني لابن ادم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعلني احب اليه من اهله وولده • قيل لبعض الحكما اي المال اشرف قال فرس يتبعها فرس وفي بطنها فرس ومن ثم قيل ظهور الخيل حرز وبطونها كنز • وفي الحديث لما اراد ذو القرنين ان يسلك في الظلمة الى عين الحياة سال اي الدواب في الليل ابصر فقيل له الخيل فقال واي الخيل ابصر قالوا الاناث قال فاي الاناث ابصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة الاف فرس • واعطى الله اسمعيل القوس العربية وكان لا يرمي شيا الا اصابه وفي الحديث ارموا بني اسمعيل فان اباكم كان راميا اي فارس ذكر انه مر عليهم وهم ينتضلون فقال احسن هذا اللهو مرتين او ثلاثا زاد في بعض الروايات ارموا وانا مع بني فلان فامسك الفريق الاخر فقال لهم ما بالكم لا ترمون فقالوا يا رسول الله كيف نرمي وانت معهم اذا ينتضلوا قال فارموا وانا معكم كلكم اخرجه البخاري في صحيحه زاد البيهقي في دلايل النبوة فرموا عامة يومهم ذلك ثم تفرقوا على السوا ما نضل بعضهم بعضا • وقد جا احب اللهو الى الله اجرا الخيل والرمي ارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا وجا احب اللهو الى الله تعالى اجرا الخيل والرمي • وجا كل شي يلهو به

الرجل باطل الا رميه لقوسه او تاديبه فرسه او ملاعبته امراته فانهن من الحق • وجا علموا اولادكم السباحة والرمي وفي رواية الرماية وفي رواية علموا ابنيكم الرمي فانه نكاية العدو • وقد جا تعلموا الرمي فان ما بين الهدفين روضة من رياض الجنة • وروي عن عمر فوحق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة والسباحة والرمي • وجا من تعلم الرمي ثم نسيه فليس منا وفي رواية فهو نعمة جحدها قال الحافظ السيوطي • والاحاديث المتعلقة بالرمي كثيرة وقد الفت كتابا في الرمي سميته غرس الانشاب في الرمي والنشاب • وفي العرايس كان اسمعيل مولعا بالصيد مخصوصا بالقنص والفروسية والرمي والصراع • والرمي سنة اذا نوي به التاهب للجهاد لقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي على صدقوله الحج عرفة والاقتد قال ابن عباس في الاية واعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الرمي والسيوف والسلاح • وقيل الحافظ السيوطي نقلا عما ذكره الطبري والمسعودي في تاريخهما ان اول من رمى بالقوس العربية ادم عليه السلام وذلك لما امره الله بالزراعة حين اهبطه من الجنة وزرع ارسل الله تعالى له طايرين يخرجان بالزرع وبالملهم فشكى الى الله تعالى فهبط عليه جبريل وبيده قوس ووتر وسهمان فقال ادم ما هذا يا جبريل فاعطاه القوس وقال هذه قوة الله ثم واعطاه الوتر وقال هذه شدة الله واعطاه السهمين وقال هذه نكاية الله وعلمه الرمي بها فرمى الطايرين فقتلهما وجعلهما يعني السهمين عدة في غربته وانسا عند وحشته ثم صارت القوس العربية الى ابراهيم ثم الى ولده اسمعيل وهو يبدد مكى ان القوس ابراهيم وهو ظاهر قول بعضهم انها عينها اهبطت الى ابراهيم من الجنة • فاجاب الحافظ السيوطي بقوله راجعت تاريخ الطبري في تاريخ ادم وابراهيم عليهما السلام فلم اجد فيه ذلك بعد مجتهدا فان الله تعالى علم ادم علم كل شي • وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الرمي من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال اول من عمل القسي ابراهيم عمل لاسمعيل ولاسحاق قوسين فكانا يرميان بهما وتقدم ان اسحاق جا لابراهيم بعد اسمعيل بثلاث عشرة سنة وقيل باربع عشرة سنة

دعا الفرس في كل ليلة

ما جاء في القوس والرمي

وقيل السيوطي رحمه الله

اول من عمل القسي

خبر خالد بن سنان

اي جعلت برا له سارة في البلدة التي خسف الله بها بقوم لوط وكان عمر
سبعون سنة وفي جامع ابن شداد يرفعه كان اللواط في قوم لوط في النسا
قبل الرجال باربعين سنة ثم استغنى النسا بالنسا والرجال بالرجال فخسف
الله بهم • قيل ولا يعمل عمل قوم لوط من الحيوانات الا الحمار والخنزير •
وكان اول من اتخذ المجوس الفارسية غرود تعبدا مثل الحج ونحوه
بنا لالاسافات لجواز ان يكون ابراهيم اول من عمل المعنى بعد ذهاب
تلك المجوس فالاولية اضافية • ومعلوم ان اسمعيل بن ابراهيم
خليل الله عليهما السلام اي ولم يبعث بشريعة مستقلة من العرب بعد
اسمعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم • واما خالد بن سنان وان كان من
ولد اسمعيل عليهما فقد قال بعضهم لم يكن في بني اسمعيل نبي غيره قبل محمد
صلى الله عليه وسلم الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة
عيسى اي وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو
الذي اطفا النار التي خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت
العرب ان تعبدها كالمجوس كان يرى ضوها من مسافة ثمان ليال
وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيا الا اكله
فامر الله خالد بن سنان باطفايها وكانت تخرج من بير ثم تنتشر
فلما خرجت وانتشرت اخذ خالد بن سنان يضربها ويقول بدا بدا
كل هدى وهي تتاخر حتى نزلت الى البير فنزل الى البير خلفها فوجد
كلابا تحتها فضربها حتى اطفاها ويذكر انه هو كان السبب في خروجها
فانه دعا بني قومه وكذبوه وقالوا له انما تخوفنا النار فان تسهل
علينا هذه الحرة نارا اتبعناك فتوضا ثم قال اللهم ان قومي كذبوني
ولم يؤمنوا بي الا ان تسيل عليهم هذه الحرة نارا فارسلها عليهم نارا
فخرجت فقالوا يا خالد ارددها فانا مؤمنون فردها • قيل وكان خالد
ابن سنان اذا استسقى يدخل راسه في جيبه فيجي المطر ولا يقلع الا
ان رفع راسه فيقلع وقدمت ابنته وهي عجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
فتلقاها بخير واكرمها وبسط لها رداءه وقال مرحبا بابنة اخي مرحبا
بابنة نبي ضيعه قومه فاسلمت وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفي

البخاري

خبر حنظلة ابن صفوان

البخاري انا اولى الناس بابن مريم في الدنيا والاخرة وليس بيني وبينه نبي
قال بعضهم ورد بذلك على من قال كان بينهما خالد بن سنان ومن يقال مراده صلى
الله عليه وسلم بالنبي الرسول الذي ياتي بشريعة مستقلة وحينئذ لا اشكل
هذا لا علمت انه لم ياتي بشريعة مستقلة ولا اماما في رواية اخرى ليس
بيني وبينه نبي ولا رسول والاما في كلام البيضاوي تبعا للكشاف
ان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم اربعة انبيا ثلاثة من بني اسرائيل
وواحد من العرب وهو خالد بن سنان • وبعده حنظلة بن صفوان
ارسله الله تعالى لاصحاب الرس بعد خالد بمائة سنة لانه يجوز ان
يكون كل من هؤلاء الثلاثة لم يبعث بشريعة مستقلة بل كان مقررا لشريعة
عيسى ايضا كخالد بن سنان والرس البير الغير المطوية اي الغير المبنية
كذا في الكشاف والذي في القاموس كالصحاح المطوية باسقاط غير
فانهم قتلوا حنظلة ودسوه فيها اي وحيث دسوه فيها غار ماوها
وعطشوا بعد ريهم ويبست اشجارها وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماوها
يرويهم ويكفي ارضهم جميعا وتبدلوا بعد الانس وحشة وبعد الاجتماع فرقة
لانهم كانوا ممن يعبد الاصنام اي وقد كان ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم ذي
عنق طويل كان فيه من كل لون فكان ينقض على صبيانهم يخطفهم اذا اعوزه
الصيد وكان اذا خطف احدا منهم اغرب به اي ذهب الى جهة المغرب فقيل
له لطول عنقه عنقا ولذهابه جهة المغرب مغرب فشكوا ذلك الى حنظلة
فدعا على تلك العنقا فارسل الله عليها صاعقة فاهلكتها ولم تعقب
وكان جزاوه منهم ان قتلوه وفعلوا به ما تقدم • وذكر بعضهم ان حنظلة
هذا كان من العرب من ولد اسمعيل ايضا • ثم رايت ابن كثير ذكر ان حنظلة
هذا كان قبل موسى وانه ذكر انه لما كان زمن عمر بن الخطاب فتحت تستر
المدينة المعروفة فوجدوا تابوتا وفي لفظ سريرا عليه دانيال عليه
السلام ووجدوا طول انفه شبرا وقيل ذراعا ووجدوا عند راسه مصحفا
فيه ما يحدث الى يوم القيمة وان من زمنه وما انتهى الى ذلك اليوم ثلاثماية
سنة فاذا ان كان تاريخ وفاته العدد المذكور فليس بنبي بل رجل
صالح لان عيسى ابن مريم ليس بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقت الفترة

بيني بقية الحديث في البخاري اقول وقد علمت الجواب عن ذلك من ان المراد بالنبي
الرسول وفيه ان هذا بعيد عطف الرسول على النبي الا ان يجعل من
عطف التفسير والله اعلم ● والفترة التي كانت بينهما اربعمائة سنة
وقيل ستمائة سنة وقيل بزيادة عشرين سنة فانه كما في الشفاء رضي الله
عنهما ما وجدنا احدا يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان الا تخرصا
اي كذبا لان الخراص الكذاب كذا قيل اقول لعل المراد بالكذب الغير
المطابق للحقيقة لان الخرص حقيقة الحزر والتخمين وكل من تكلم بلا بناء
على ذلك قيل لخراص ثم قيل للكذاب خراص توسعا وحينئذ كان القياس
ان يقال الا خرصا اي حزرا وتخمينا وعلى هذا كان الصديقة رضي الله
عنها ارادت المبالغة للتنفير عن الخرص في ذلك والله اعلم ● وعن عمرو
ابن العاص رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم انتسب حتى بلغ النضر
ابن كنانة ثم قال فمن قال غير ذلك اي مما زاد على ذلك فقد كذب
اقول المراد في الكذب على من زاد كنانة الى عدنان يخالف ما سبق
من ان المجمع عليه الى عدنان الا ان يقال لا يخالفه لانه يجوز ان يكون
عمرو بن العاص لم يسمع ما زاد على النضر بن كنانة الى عدنان مع ما ذكره
صلى الله عليه وسلم لذا الذي سمعه غيره ومن المراد بالكذب … كذلك
… السابق ● واخرج الجلال السيوطي في الجامع الصغير عن البيهقي
انه صلى الله عليه وسلم انتسب فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
الى ان قال ابن نضر ابن نزار هذا ما قاله المؤلف المالوف وهو الابتداء
بالاب ثم بالجد ثم يأتي بجد الجد وهكذا وقد جاء القران على خلافه
في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام واتبعت ملة
اباي ابراهيم واسحاق ويعقوب قال بعضهم والحكمة انه لم يرد مجرد
ذكر الاباء وانما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها فبدأ بصاحب الملة
ثم بمن اخذها عنه اولا فاولا على الترتيب والله اعلم ● وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب
لم يجاوز معد بن عدنان بن ادد ثم يمسك ويقول كذب النسابون
مرتين او ثلاثا قال البيهقي والامر ان قول كذب النسابون من

قول

عمر الدنيا

قول ابن مسعود اي لا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول وان ابن مسعود ذلك
لما كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون
يعني الذين يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد ولا مانع
ان يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم اولا ثم تابعه ابن مسعود
عليه وحينئذ يقال هذه الروايات اما الزيادة على المجمع عليه واما النقص
عنه اي زيادة ادد او نقص عدنان فهي مخالفة لما قبلها ● وفي كلام
بعضهم ان بين عدنان وادد … فعدنان بن اد بن ادد قيل له
ادد لانه كان مديد الصوت وكان طويل العز والشرف قيل وهو
اول من تكلم بالكتابة اي العربية من ولد اسمعيل وتقدم ان الصحيح
ان اول من كتب نزار وانظر هل يشكل على ذلك ما رواه الهيثم بن عدي
ان اول من نقل الكتابة العربية من الحيرة الى الحجاز حرب بن
امية ابن عبد شمس وقد يقال الاولية اضافية اي من قريش وعدنان يحمل ذلك
قيل ان الذي بين الاسود والحجر كانت رأيته ناظرة ● وفي كلام بعضهم اختلف الناس
فيما بين عدنان واسمعيل من الاباء فقيل سبعة وقيل خمسة عشر
وقيل اربعون والله اعلم قال الله عز وجل وقرونا بين ذلك كثيرا اي
لا يكاد يحاط بها … كما كان ما بين ادم ونوح عشرة قرون ● وبين نوح
وابراهيم عشرة قرون ● وعن ابن عباس ان عمر الدنيا اي من ادم سبعة الاف سنة
اي وقد مضى منها قبل وجود النبي صلى الله عليه وسلم خمسة الاف سنة وستمائة
واربعون سنة وعن ابي خيثمة وثمانمائة سنة ● قلت وفي كلام بعضهم من خلقة
ادم الى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم خمسة الاف سنة وثمانمائة وثلاثون
سنة وقد جاء عن ابن عباس من طرق صحاح ان الدنيا سبعة الاف سنة
اي سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر
يوم منها ● وفي كلام الحافظ السيوطي دلت الاحاديث والاثار على ان مدة هذه
الامة تزيد على الف سنة ولا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة اصلا وانما
تزيد بما يقرب من اربعمائة سنة تقريبا وانما اشتهر على السنة الناس ان النبي صلى
الله عليه وسلم لا يمكث في قبره اكثر من الف سنة باطل لا اصل له هذا

هذا الكلام وقولهم لا تبلغ الزيادة خمسمائة سنة هل يخالف ما اخرجه ابو داود
وابن جرير انه اي يؤخر من الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة وفي كلام
بعضهم قد اكثر المنجمون في تقدير مدة الدنيا فقال بعضهم عمرها سبعة الاف
سنة بعدد النجوم السيارة وهي سبعة وبعضهم اثني عشر الف سنة بعدد
البروج وبعضهم ثلثمائة الف سنة وستون الف سنة بعدد درجات
الفلك وكلها تحكمات عقلية لا دليل عليها • وفي كلام الشيخ محيي

ترتيب خلق الموجودات

الدين ابن العربي ان الله خلق الموجودات من الجماد والنبات
والحيوان بعد انه خلق العالم الطبيعي باحدى وسبعين الف سنة
ثم خلق الله الدنيا بعد ان انقضى من مدة خلق العالم الطبيعي اربع
وخمسون الف سنة ثم خلق الله الاخرة يعني الجنة والنار بعد الدنيا
بتسعة الاف سنة ولم يجعل الله للجنة والنار امدا ينتهي اليه
بقاؤهما بل لهما الدوام ثم قال وخلق الله طينة ادم بعد ان
مضى من عمر الدنيا سبعة عشر الف سنة ومن عمر الاخرة التي لا نهاية لها في الدوام
ثمانية الاف سنة وخلق الله الجان في الارض قبل ادم بستين الف سنة اي
ولعل المراد هذا هو المعنى بقول بعضهم خلق الله قبل ادم خلقا في صورة
البهائم ثم اماتهم قبيلة وهم الجن والبن والطم والرم والحس والبس
فافسدوا في الارض وسفكوا الدماء كما سياتي • قال الشيخ محيي

نكتة

الدين وقد طفت بالكعبة مع قوم لا اعرفهم فقال لي واحد منهم اما تعرفني
فقلت له فقال انا من اجدادك الاول فقلت له كم لك منذ مت فقال لي
بضع واربعون الف سنة فقلت ليس لادم هذا القدر من السنين فقال
عن اي ادم تقول عن هذا الاقرب اليك او عن غيره فتذكرت حديثا
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق مائة الف ادم
فقلت قد يكون ذلك الجد الذي نسبني اليه من اولئك والتاريخ في
ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك هذا كلامه • ومن كلام الشيخ
عبد الوهاب الشعراني وكان وهب بن منبه رضي الله عنه يقول
سأل بنو اسرائيل المسيح عليه السلام ان يحيي لهم سام ابن نوح عليهما
السلام فقال اروني قبره فوقفوا على قبره وقال يا سام قم باذن الله تعالى

فقام

فقام واذا راسه ولحيته بيضا فقالوا له مت وشعرك اسود فقال لما
سمعت النداء ظننت انها القيامة فشاب راسي ولحيتي فقال له عليه السلام
كم لك من السنين ميت قال خمسة الاف سنة والى الان لم تذهب
عني حرارة الموت ومعالجة خروج الروح والله سبحانه اعلم •

ذكر سبب الاختلاف فيما بين عدنان وادم

اي ان قدماء العرب لم يكونوا اصحاب كتب يرجعون اليها وانما كانوا يرجعون
الى حفظ بعضهم بعضا من حفظ بعض ولعله لا يخالف ما تقدم من ان
اول من كتب معد او نزار • ومن كلام سبط ابن الجوزي ان سبب
الاختلاف المذكور اختلاف اليهود فانهم اختلفوا اختلافا متفاوتا فيما
بين ادم ونوح وفيما بين النبيين من السنين قال ابن عباس لو شاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلمه لعلمه اي لو اراد ان يعلم ذلك
للناس لعلمه لهم وهذا اولى من يعلمه بفتح اليا وسكون العين وذكر
ابن الجوزي ان بين ادم ونوح شيث وادريس وبين نوح وابراهيم هود

مدة غيبة يوسف ليعقوب

ثم صالح وبين ابراهيم وموسى ابن عمران اسمعيل واسحاق ولوط وهو ابن اخي
ابراهيم وكان كاتبا لابراهيم وشعيب وكان يقال له خطيب الانبياء ويعقوب
ويوسف ولد يوسف ليعقوب وله من العمر احد وستون سنة وكان
فارقه وله من العمر ثمان عشرة سنة وبقيا متفرقين احدى وعشرين
سنة وبقيا مجتمعين بعد ذلك سبع عشرة سنة • هذا وفي الاتقان
القي يوسف في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة ولقي اباه بعد الثمانين
وعاش مائة وعشرين سنة وكان كاتبا للعزيز • قيل سبب الفرقة
بين سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف ان سيدنا يعقوب ذبح جديا بين
يدي امه فلم يرحمها الله لذلك فاراه دما بدم وفرقة بفرقة وحرقة
بحرقة وموسى ابن ميشا وبين موسى ابن عمران وهو اول انبياء بني

وصية داود لولده سليمان

اسرائيل وداود ويوشع وكان كهارون يوشع يكتب لموسى • ويذكر ان
داود قال لولده سليمان عليهما السلام لما استخلفه يا بني اياك والهزل
فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان اي دع عنك قبل ان تنازع
الصبيان فهؤلاء يعلم ولا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني

فيجترئ عليك • كل شي بذر وبذر العداوة المزاح • وقد قيل المزاح يذهب
بالمهابة ويورث الضغينة • وقيل اكد اسباب القطيعة المزاح • وقد قيل
من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به او حقد عليه • واقطع طمعك من الناس
فان ذلك هو الغنى وإياك وما تعتذر منه من القول او الفعل • وعود
لسانك الصدق • والزم الاحسان ولا تجالس السفهاء • واذا اغتبت
اشتغلت بالارض • اي وقد جا في الحديث اذا جلس على حكم جاهل
فان كان قائما جلس وان كان جالسا فليضطجع • ومن كان من الانبيا
قضاة داود وولده سليمان وابراهيم الخليل ثم من بعده يوشع ثم كالب
ابن يوقنا وهو خليفة يوشع ثم حزقيل وهو خليفة كالب ويقال له
ابن العجوز لان امه سالت الله تعالى ان يرزقها ولدا بعد ما كبرت
وعقمت ثم بعده هود والكفل لانه تكفل بسبعين نبيا وانجاهم من القتل
والياس ثم طالوت الملك اي فان شمويل عليه السلام لما حضرته الوفاة
سالة بنوا اسرائيل ان يقيم فيهم ملكا فاقام فيهم طالوت ملكا ولم يكن من انبيائهم
بل كان داعيا وقيل سقا وقيل غير ذلك وكان بين داود وعيسى وهو اخر
الانبيا من بني اسرائيل ايوب ثم يونس ثم شعيب ثم اخيا ثم زكريا ويحيى
وفي الهيولا بيحيان في تفسير مؤلف تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب
وقفينا من بعده بالرسل كان بينه وبين عيسى من الرسل يوشع وشمويل
وشمعون وداود وسليمان وشعيب وارميا وعزيرا من اولاد هارون
ابن عمران وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وكان بين عيسى وموسى
الف نبي هذا وكان يحيى يكتب لعيسى وتقدم الكلام على من بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم ومما يدل على شرف هذا النسب
وارتفاع شانه وفخامته وعلو مكانته ما جا عن سعد بن ابي وقاص
قال قيل يا رسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال ابعده الله انه
كان يبغض قريشا • وفي الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولا تصلح
الناس الا بهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خالصة الله تعالى
فمن نصب لها حربا سلب ومن ارادها بسو خزي في الدنيا والاخرة قال
سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش

اهانه

اهانه الله اي واشد الاهانة ما كان في الاخرة وحينئذ اما ان يريد بالارادة
العزم والتصميم او المراد المبالغة او يكون ذلك من خصايص قريش فلا
ينافي ان حكم الله المطرد في عدله ان لا يعاقب على مجرد الارادة انما يعاقب
ويجازي على الافعال الدالة على الارادة او ما هو منزل منزلتها الواقع
كالتصميم فانه من خصايص هذه الامة عدم مواخذتها بما حدثت به نفسها
وعن ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل الله
قريشا اي ذكورهم فضلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولم يعطاها احد
بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا
على الفيل اي على اصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين
لم يعبده احد غيرهم • ونزلت فيهم سورة من القران لم يذكر فيها احد
غيرهم لايلاف قريش وتسمية لايلاف قريش سورة واحدة يرد ما قيل
ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة ويشير الى تعيين عبادتهم
الله دون غيرهم في تلك المدة • وعن انس حب قريش ايمان وبغضهم كفر
وعن ابي هريرة الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم
وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش • اي وقال الايمة من قريش
وقد جمع الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث في كتاب سماه لذة العيش
في طرق حديث الايمة من قريش • وفي الحديث عالم قريش يملا طباق
طباق الارض • وفي رواية لا تسبوا قريشا فان عالمها يملا الارض
علما • اللهم اهد قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما • قال
جماعة من الايمة منهم الامام احمد هذا العالم هو الشافعي رضي الله عنه
لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر
من علم الشافعي • ومن كلام بعضهم ليس في الايمة المتبوعين في الفروع قرشي
غيره • وفيه ان الامام مالك ابن انس من قريش ويجاب بانه انما يكون
قرشيا على القول الباطل من ان جماع قريش فهر • وذكر ابن السبكي
انهم ذكروا ان من خصايص الشافعي من بين الايمة ان من تعرض اليه او الى
مذهبه بسو او تنقص هلك قريبا واخذوا ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم
من اهان قريشا اهانه الله هذا الكلام • قال الحافظ العراقي في اسناد

ومن كان من الانبيا قضاة

مناقب قريش

مناقب الشافعي رضي الله عنه

هذا الحديث يقول لا تنبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما لا يخلو اما متصف
وبه يرد ما زعمه الصغاني من انه موضوع وكما سع الامام ان يحتج بحديث موضوع
او بما ليس به على فضل الشافعي وقال ابن حجر الهيتمي هو حديث معمول به في مثل
ذلك اي في المناقب وزعم وضعه حسدا او غلط فاحش • اي وعن الربيع قال
رايت في المنام كان ادم مات فسالت عن ذلك فقيل هذا موت اعلم اهل الارض
لان الله تعالى علم ادم الاسماء كلها فما كان الا يسيرا حتى مات الشافعي
رضي الله عنه • ومما يؤثر عن امامنا الشافعي من المراثي وجدت بما ليس
فيه فقد شتمك ومن نقل اليك نقل عنك ومن نم عندك نم بك ومن اذا ارضيته
قال فيك ما ليس فيك واذا اسخطته قال فيك ما ليس فيك • وقال صلى الله
عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها اي لا تتقدموا ومن رواية ولا تعلموها
اي لا تغالبوها بالعلم ولا تكاثروها فيه وفي رواية لا تعلموها اي لا تجعلوها
في المقام الادنى الذي هو مقام المتعلم بالنسبة للمعلم • وقال صلى الله عليه
وسلم احبوا قريشا فان من احبهم احبه الله • وقال صلى الله عليه وسلم
لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل • وفي السنن
المأثورة عن امامنا الشافعي رضي الله عنه رواية المزني عنه قال الطحاوي
قال حدثنا المزني قال حدثنا الشافعي عن ابن قتادة ابن النعمان وقع بقريش
وكانه نال منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا قتادة لا تشتم
لا تشتم قريشا فانك لعلك ترى منهم رجالا اذا رأيتهم اعجبتك بهم لولا ان
تطغى قريش لاخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل اي لولا انها اذا علمت ما لها
عند الله من الخير المدخر لها تركت العمل بل وربما ارتكبت ما لا يحل اتكالا على
ذلك لاعلمتها به وفي رواية لاخبرتها بما لخيارها عند الله من الثواب
وهذا ادل دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله تعالى • وقال صلى
الله عليه وسلم يوما يا ايها الناس ان قريشا اهل امانة من بغاها العواثر
اي من طلب لها المكايد اكبه الله لمنخريه اي اكبه على وجهه قال ذلك ثلاث
مرات وقال عمر رضي الله عنه قريش افضل الناس احلاما واعظم الناس امانة
ومن يرد بقريش سوءا يكبه الله لفيه هذا الكلام • وقال صلى الله عليه وسلم
قريش خيار الناس وشرار قريش شرار الناس ثم رأيت في كتاب السنن

ومما يؤثر عن امامنا الشافعي

المأثورة

المأثورة عن امامنا الشافعي رضي الله عنه خيار قريش خيار الناس وشرار قريش
شرار الناس • وفي الحديث قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم
تبع لفاجرهم ومن ثم قال الطحاوي قريش اهل امانة اي بالكون وانما هو اهل امانة
اي باليمن ومن كلام فقهائنا قريش قطب العرب وفيهم الفتوة • ومما يدل على
شرف هذا النسب ما جاء عن عمرو بن العاص ان الله اختار العرب على
الناس واختار في علي من انا منه من اوليك العرب • وما جاء عن واثلة بن الاسقع
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى قريشا من كنانة
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم • اقول وجاء بلفظ
اخر عن واثلة بن الاسقع ان الله اصطفى من ولد ادم ابراهيم واتخذه خليلا
واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزار ثم اصطفى من ولد
نزار مضر ثم اصطفى من ولد مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى
من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من
بني عبد المطلب والله اعلم • قال وفي رواية ان الله اصطفى من ولد
ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم • وما جاء عن جعفر بن
محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فقال
لي يا محمد ان الله بعثني فطفت شرق الارض وغربها وسهلها وجبلها فلم
اجد حيا خيرا من مضر ثم امرني فطفت في مضر فلم اجد حيا خيرا من كنانة ثم امرني
فطفت في كنانة فلم اجد حيا خيرا من قريش ثم امرني فطفت في قريش
فلم اجد حيا خيرا من بني هاشم ثم امرني ان اختار في انفسهم اي اختار نفسا
من انفسهم فلم اجد نفسا خيرا من نفسك انتهى • اي وفي الوفا عن ابن
عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال ليس من
العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم مضريها وربيعيها ويمانيها
قال وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بني ادم واختار من بني ادم العرب
واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم •
واختارني من بني هاشم فانا خيار من خيار انتهى • وقوله واختار من مضر

قريشا بيده على ان مضر بني جامع قريش ذا الا انه كانت اولاده كلهما قريشا
وعن ابي هريرة يرفعه بسند حسنه الحافظ العراقي ان الله حين
خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين ثم قسم العرب قسما وقسم
العجم قسما فكانت خيرة الله في العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن
قسما وقسم مضر قسما وكانت خيرة الله في مضر وقسم مضر قسمين فكانت قريش
قسما وكانت خيرة الله في قريش ثم اخرجني من خير من انا منه ● قال
بعضهم وما جاء في فضل قريش فهو ثابت لبني هاشم والمطلب لانهم اخص
وما ثبت لهم يثبت لهم خصوصا ولا عكس ● وفي الشفا عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سبحانه وتعالى قسم الخلق
قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله تعالى اصحاب اليمين واصحاب
الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل
القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى فاصحاب
الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من السابقين
وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها
قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا
اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر وجعل القبائل بيوتا فجعلني
من خيرها بيتا ولا فخر فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الاية هذا كلام الشفا ● والى شرف هذا
النسب يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله ●

وبدا للوجود منك كريم ● من كريم اباؤه كرماء ●
نسب تحسب العلا بحلاه ● قلدتها نجومها الجوزاء ●
حبذا عقد سودد وفخار ● انت فيه اليتيمة العصماء ●

اي ظهر لهذا العالم منك كريم اي جامع لكل صفة كمال وهذا على حذف
مضاف اي من قولك فلان صديق حميم وذلك الكريم الذي ظهر وجد من اباء
كرام سالم من نقص الجاهلية اباؤه ليست من تلك المهمات جميعهم كرماء
اي سالمون من نقايص الجاهلية اي ما يعد في الاسلام نقصا من اوصاف
الجاهلية وهذا النسب لا اجل منه وحلاه لتزداد انا بالسنة نطقت [illegible]

تحلى

تحلى بدر الكمالات اي صفاتها حلت الجوزاء نجومها التي بينها كانها نطاق الجوزاء
قلادة لذلك الحلي وهذه القلادة ثم هي قلادة سيادة ومدح موصوفة
بانك من نقد الملاحظة الدرة اليتيمة التي لا اشباه لها المحفوظة عن الاعين
لجلالها لا ينقاد ثمرة الاها للامهات لا ينافيه قوله نسب لان النسب شرعي
في الاب خاصة لان شمولها للمراة انما يثبت ما يتم السوي او ينقاد شك فيه انه
من النقايص انما هو من حيث ابوته اي كونه متفرعا عنه وذلك يستلزم
ان تكون امهاته كذلك وبيان ثم اذ لا ينتقل من الاصلاب الطاهرة الى
ارحام الطاهرات وبيان الكلام على ذلك مستوفى ● وقد قال الماوردي
في كتاب اعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت
طهارة مولده علمت انه سلالة اباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة
قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة هذا كلامه ولبعضهم [margin: عمه ابو طالب]

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ● فعبد مناف سرها وصميمها ●
وان حصلت اشراف عبد منافها ● ففي هاشم اشرافها وقديمها ●
وان فخرت يوما فان محمدا ● هو المصطفى من سرها وكريمها ●

بالرفع عطفا على المصطفى وسر القوم وسطهم فاشرف العرب قومه واشرف
القبائل قبيلته واشرف الافخاذ فخذه ● وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ● وعن سلمان رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك
قلت يا رسول الله كيف ابغضك وبك هداني الله قال تبغض العرب
فتبغضني ● وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يبغض العرب الا منافق ● وفي الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل
في شفاعتي ولم تنله مودتي قال الترمذي هذا حديث غريب وقال
صلى الله عليه وسلم الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب
فببغضي ابغضهم ● وقال صلى الله عليه وسلم احب العرب لثلاث لاني
عربي والقران عربي وكلام اهل الجنة في الجنة عربي ● وقال صلى الله

عليه وسلم لوا الحمد بيدي يوم القيمة كان ادم فمن الخلق من لوائي يومئذ
العرب ۔ وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام ۔ وفي كلام
فقهائنا العرب اولى الامم لانهم المخاطبون اولا ولان الدين عربي
وعن ابن عباس خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير بني عبد مناف
بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان
منذ خلق الله ادم الا كنت في خيرهما ۔ وفي لفظ صح عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حين خلقني جعلني
من خير خلقه ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة وحين خلق
الانفس جعلني من خير انفسهم ثم حين خلق البيوت جعلني من خير
بيوتهم فانا خيرهم بيتا وانا خيرهم قبيلة وانا خيرهم نسبا وفي لفظ
اخر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق
قسمين فجعلني من خيرهم قسما ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني من خيرهم
ثلثا ثم جعل الثلث قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة ثم جعل القبائل
بيوتا فجعلني من خيرها بيتا وتقدم نحو السابق مثل ذلك مع زيادة
الاستدلال بالايات وتقدم الامر بالتامل في ذلك والله اعلم
وفيما ورد النهي في الاحاديث الكثيرة عن الانتساب الى الاباء
في الجاهلية على سبيل الافتخار ۔ فمن ذلك لا تفتخروا بابائكم الذين
كانوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده لما يدحرج الجعل بانفه خير
من ابائكم الذين كانوا في الجاهلية اي والذي يدحرجه الجعل هو
النتن ۔ وجاء في الحديث ليدعن الناس فخرهم في الجاهلية او ليكونن
ابغض الى الله من الخنافس ۔ وجاء في الحسب الغرائب ما هنا السؤال
بالاباء التفاخر بذلك واجاب الامام الحليمي بانه صلى الله عليه وسلم
لم يرد بذلك الفخر وانما اراد تعريف منازل اوليائه ومراتبهم اي ثم
ثم جاء في بعض الروايات قوله ولا فخر اي نحو من التعريف بما يجب
اعتقاده وان لزم منه الفخر وهي اشارة الى نعمة الله تعالى عليه من
من التحدث بالنعمة وان لزم من ذلك الفخر ايضا ۔ وعن ابن عباس رضي
الله عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى

اخرجنا

اخرجنا نبيا اي وجدت الانبياء في ابائه فيما اي انه تنقل في صلب ادم ثم في صلب
نوح ثم في صلب ابراهيم بتسلسلها بانبياء ۔ وفي لفظ اخر عنه ما زال النبي
صلى الله عليه وسلم يتقلب في اصلاب الانبياء اي المذكورين او غيرهم ۔
حتى ولدته امه ۔ اي وهذا الكلام يحتمل لانبيائي وقوع من ليس نبيا في ابائه
فالمراد وقوع الانبياء ولو ان الله تعالى سلام عليهم في نسبه عليهم السلام
كما علمت ضرورة ان اباه وامه ليسوا كلهم انبياء لكن قال عبد الله ان نوره يتنقل
وينتقل من ساجد الى ساجد قال ابو حيان واستدل بذلك اي بما ذكره
من الانبياء المذكورة في العشرة بما ذكر الرافضة على ان ابا النبي صلى الله
عليه وسلم كانوا مؤمنين اي لانه الساجد لا يكون الا مؤمنا فعبر عن الايمان
بالسجود وسيأتي مزيد الكلام في ذلك وهو استدلال ظاهر ۔ والاية
قبلها اعنى وتقلبك اي ذلك المتهجدين من اصحابك لانه لما نسخ فرض
قيام الليل عليه وعليهم بناء على انه كان واجبا عليه وعلى امته وهو الاصح
وعن ابن عباس انه كان واجبا على الانبياء قبله كان صلى الله عليه وسلم
ليلة النسخ على بيوت اصحابه ينظر ما يصنعون اي هل تركوا قيام الليل
لكونه نسخ وجوبه بالصلوات الخمس ليلة المعراج حرصا على كثرة طاعتهم
فوجدها كبيوت الزنابير ۔ اي لانه سبحانه افترض عليه وعلى امته قيام
الليل او نصفه او اقل او اكثر في اول سورة المزمل ثم نسخ ذلك في اخر
السورة بما تيسر وكان ذلك بعد سنة ثم نسخ بالصلوات الخمس ليلة
المعراج كما سيأتي وجعل بعضهم ذلك من نسخ الناسخ فيصير منسوخا
علمت ان اخر هذه السورة ناسخ لاولها ومنسوخ بفرض الصلوات
الخمس ۔ واعترض بان الاصطخري ذهب الى ان قوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر
من القران انما نزل بالمدينة بدليل ان قوله علم ان سيكون منكم مرضى
واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل
الله لان القتال في سبيل الله انما كان بالمدينة فقوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر
اخبار لا ايجاب ۔ وقيل معنى وتقلبك في الساجدين وتقلبك في اركان
الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا في الساجدين اي المصلين
وقيل ساجدين ليس بتقلبك بل متعلق بمحذوف ۔ لا بالحال تعارض

حمل الساجدين عبارة عن المؤمنين لانه من جملة آبائه آزر والد ابراهيم
عليه السلام وكان كافرا الا ان نقول اجمع اهل الكتابين على ان آزر كان
عمه والعرب تسمي العم ابا كما تسمي الخالة اما فقد حكي عن يعقوب
انه قال آبائي ابراهيم واسمعيل ومعلوم ان اسمعيل انما كان عمه
اي ويقال لذلك ان ابا ابراهيم كان اسمه تارخ بالمثناة فوق
والمعجمة كما عليه جمهور اهل النسب وقيل بالمهملة وعليه اقتصر
ابن قطن في المنح لا آزر لكن ادعى بعضهم انه لقب له لانه آزر اسم
صنم كان يعبده فصار له اسمان آزر وتارخ كيعقوب واسرائيل
قال بعضهم وهذا تساهل منه ضد ظاهر الاية قال القاضي البيضاوي
وغيره فقالوا ان ابراهيم اباه مات على الكفر وما قيل انه عمه فمعدول
عن الظاهر من غير دليل ونوا فقد ما في الهمز نقلا عن ابن عباس
ان آزر كان اسمه ويرد ذلك قول الحافظ السيوطي يستنبط من قول
ابراهيم ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وكان
ذلك بعد موت عمه بمدة طويلة ان المذكور في القران بالكفر والتبري
من الاستغفار له اي من قوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه هو عمه
لا ابوه الحقيقي قال فحمد الحمد على لفظه اي ولا يخفى ان هذا لا يتم
الا اذا كان ابوه الحقيقي جاف التبري وكان التبري سببه الموت
اي موت عمه على الكفر لا الوحي بالدعوة كما قال قائل وحينئذ
يكون ابوه الحقيقي المعني بقول ابي هريرة احسن كلمة قالها
ابراهيم ان قال لما راى ولده وعلى النبي من النار على تلك الحالة
اي حي وقد حضر احوال النار ولم تحرق منه الا الكتاف نعم الرب ربك
يا ابراهيم وكان سنه حين القي في النار ست عشرة سنة كما هو الكائن
وفي كلام غيره كان سنه ثلاثون سنة بعدما سجن ثلاث عشرة
سنة • وعن ابن عباس قال ان قريشا كانت نورا بين يدي
الله تعالى قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح
الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه

قال

سن ابراهيم حين في النار

قال صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح
وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط • اقول
قوله فاهبطني ينبغي ان يكون معطوفا على ما قبله من قوله ان قريشا كانت
نورا بين يدي الله الى آخره ليكون نوره من جملة نور قريش وانه انفرد
عن نور قريش واودع في صلب نوح الى آخره ثم علمها بان من قوله كنت
نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام اللازم لذلك
ان يكون نوره سابقا على نور قريش ويكون نور قريش من نوره
وحكمة اقتصاره صلى الله عليه وسلم على من ذكر من الانبياء لا يخفى وهو
انهم آباء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ذريته نوح هود وصالح ومن
ذريته ابراهيم اسمعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى
وهارون بناء على انه شقيق موسى لا لابيه • وفيه ان نوره صلى الله
عليه وسلم انتقل اليه ثبت وتقدم انه صلى الله عليه وسلم من ذرية اسمعيل
وعن علي بن الحسين عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام • ورايت
في كتاب التشريفات في الخصائص والمعجزات لم اقف على اسم مؤلفه
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال
جبريل عليه السلام فقال يا جبريل كم عمرت من السنين فقال يا رسول
الله لست اعلم غير ان في الحجاب الرابع نجما يطلع في كل سبعين الف سنة مرة
وقد رايته اثنين وسبعين الف مرة فقال يا جبريل وعزة ربي جل جلاله انا
ذلك الكوكب رواه البخاري هذا كلامه ولما خلق الله آدم جعل ذلك النور
في ظهره اي فهو كائن كونه سابقا على نور قريش حال كونه نورا بين يدي
الله تعالى بل بيان في ان نوره سابق على سائر المخلوقات بل وان المخلوقات
خلقت من ذلك النور كما تقدم وحينئذ يحتاج الى بيان وجه كون آدم خلق
من نوره وجعل نوره في ظهر آدم فقد تقدم في الخبر لما خلق الله آدم جعل
ذلك النور في ظهره فكانت الملائكة تقف خلفه فسأل ربه فجعله في
جبينه فكان يلمع في جبينه فتغلب على سائر نوره الى آخره بان يقال ثم انتقل

وفي كتاب التشريفات

الى ولده شيث الذي هو وصيه وكان من جملة ما اوصى به ان يوصي من انتقل اليه
ذلك النور من ولده الا يضعه الا في المطهرات من النسا ولم تزل هذه
الوصية معمولا بها في القرون الماضية الى ان وصل ذلك النور الى عبد
المطلب • اي وهذا السياق يدل على ان ذلك النور كان ظاهرا في جبين
من ينتقل اليه من ابايه وهو يخالف ما تقدم من تخصيص بعض ابايه بذلك
ولم تلد حوا ولدا منفردا الا شيث كرامة لهذا النور • تنبيه في نطقها
حتى ثبت اسناده وكان ينظر الى وضعه من منابتها وهو الثالث
من ولد ادم وكانت تلد ذكرا وانثى معا اي فقط فقيل انها ولدت لادم
اربعين ولدا في عشرين بطنا وقيل ولدت مائة وعشرين ولدا وقيل
مائة وثمانين ولدا وقيل خمسمائة وبعضها ان ادم لما مات بكى عليه من
ذريته وولد ولده اربعون الفا ولم يحفظ نسل ادم الا ما كان من صلب شيث
دون اخوته فانهم لم يعقبوا اصلا فهو ابو البشر • وعن جابر بن عبد الله
قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شي خلقه الله
قبل الاشيا قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره
الحديث وفيه انه اصل لكل موجود والله اعلم • واختلف الناس في
عدد طبقات العرب وترتيبها والذي في الاصل عن الزبير ابن بكار
انها ست طبقات • وان اولها شعب • ثم قبيلة • ثم عمارة بكسر العين
المهملة • ثم بطن • ثم فخذ • ثم فصيلة • وقد نظمها الزين العراقي فقال

للعرب العربا طباق عده • فصلها الزبير وهي سته •
اعم ذاك الشعب فالقبيله • عمارة بطن فخذ فصيله •

اي فالشعب اصل القبيله • والقبيله اصل العماره • والعماره اصل البطن
والبطن اصل الفخذ • والفخذ اصل الفصيله • فمضر شعب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي وقيل شعبه خزيمه • وكنانه قبيلته • وقريش
عمارته • وقصي بطنه • وهاشم فخذه • وبنو العباس فصيلته • وقيل بعد الفصيله
العشيره • وليس بعد العشيره شي • وقيل بعدها الفصيله • ثم الرهط وزاد
بعضهم الذريه والعتره والاسره ولم يرتب بينها • وقد ذكرها جماعه الى
اثني عشر فقال الجذم • ثم الجمهور • ثم الشعب • ثم القبيله • ثم العماره • ثم البطن

ثم

ومكث شيث فيهم

عدد طبقات العرب

ثم الفخذ • ثم العشيره • ثم الفصيله • ثم الرهط • ثم الاسره • ثم الذريه • ويحكى عن العتبي
وفي كلام بعضهم الاسباط لبني اسرائيل • والشعب في لسان العرب الشجرة
المختلفة الكثيرة الاغصان والاوراق • والقبائل بطون العرب
والشعوب بطون العجم فليتامل ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم •

باب تزويج عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم امنة وحفر زمزم وما يتعلق بذلك • قيل خرج

عبد المطلب ومعه ولده عبد الله وكان احسن رجل في قريش خلقا
وخلقا وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه • وقد روي انه كان
احسن الناس جمالا يكثر النظر الى وجهه ثم هو مع صنوه شطرا الى قريش
وقد روي انه كان افضل بني ابيه واحسنهم واعفهم واحبهم الى قريش
وهو والد رسول الله وقد سماه باحب الاسما الى الله ففي الحديث احب
الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح وذلك ان اباه عبد
المطلب حين امر في النوم بحفر زمزم بير اسمعيل عليه السلام وكانت
جرهم حين دفنتها اي فانهم لما استخفوا بامر البيت وارتكبوا الامور العظام
قام فيهم رئيسهم مضاض بن عمرو ووعظهم فلم يرتدعوا فلما راى
ذلك منهم عمد الى غزالين من ذهب كانا في الكعبة وما وجد بها من الاموال اي
السيوف والدروع التي كانت تهدى الى الكعبة ودفنها في بير زمزم • وذكر المسعودي
انهما اي الغزالين اهداهما للكعبة وكذا السيوف ساسان اول ملوك الفرس
الثانية وقد ورد بان الفرس لم يحجوا اعلى البيت ولا حجوم هذا الا منه وفيه
انقطعا الابنا في ذلك مشاكل وكانت بير زمزم قد نضب ماوها اي ذهب
فحفرها مضاض بالليل واعمق الحفر ودفن فيها ذلك اي ودفن الحجر الاسود
لانه لما بغوا واعتدوا فيه سلط الله عليهم خزاعة فاخرجوهم من الحرم •
وتفرقوا وهلكوا كما تقدم ولم تزل زمزم مطموسة لا يعرف محلها مدة خزاعة
ومدة قصي الى زمن عبد المطلب ورؤياه التي امر فيها بحفرها كما سيات وكانت المدة
خمسماية سنة اي وكان قصي قد احتفر بيرا في الدار التي سكنتها ام هاني
اخت علي رضي الله تعالى عنها وهي اول سقاية احتفرت بمكة • فصل عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب اني لنايم في الحجر اذ اتاني ات

فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي
فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة ثم ذهب عني فلما كان الغد
رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة
ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فقال احفر زمزم قلت
وما زمزم قال لا تنزف ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث
والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل وقوله لا تنزف اي
لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وفيه انه ذكر انه وقع فيها عبد حبشي
فمات بها وانتفخ فنزحت من اجله ووجدوا قعرها فوجدوا ماءها
يفور من ثلث اعين اقواها واكثرها من ناحية الحجر الاسود
وقوله ولا تذم بالذال المعجمة اي لا توجد قليلة الماء من قولهم بير
ذمة اي قليلة الماء قيل وليس المراد انه لا يذمها احد لان خالد
ابن عبد الله القسري امير العراق من جهة الوليد بن عبد الملك
ذمها وسماها ام جعلان واحتفر بيرا خارج مكة باسم الوليد
ابن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك
بها وفيه ان هذا جراءة منه على الله تعالى وقلة حيا وهو الذي
كان يفصح بلعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه على المنبر فلا عبرة
بذمه • وقيل لزمزم طيبة لانها للطيبين والطيبات
من ولد ابراهيم وقيل لها برة لانها فاضت للابرار وقيل لها
المضنونة لانه ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق
وقد جاء في رواية يقول الله ضننت بها على الناس الا عليك ولعل
المراد الا على انبائك فيكون بمعنى ما قبله وفي رواية انه قيل
لعبد المطلب احفر زمزم ولم يذكر له علامتها فجاء الى قومه وقال
لهم اني امرت ان احفر زمزم قالوا فهل بين لك اين هي قال لا قالوا
فارجع الى مضجعك الذي رايت فيه ما رايت فان يكن حقا من الله
يبين لك وان يكن من الشيطان فلا يعود اليك فرجع عبد المطلب
الى مضجعه فنام فيه فاتاه فقال له احفر زمزم فانك ان حفرتها
لم تندم وهي ميراث من ابيك الاعظم لا تنزف ابدا ولا تذم تسقي

الحجيج

والغراب الاعصم

الحجيج الاعظم فقال عبد المطلب اين هي فقال هي بين الفرث والدم عند قرية
النمل حيث ينقر الغراب الاعصم غدا • اي والاعصم قيل احمر المنقار والرجلين
وقيل ابيض البطن وعلى هذا اقتصر الامام الغزالي قال في قوله صلى الله
عليه وسلم مثل المراة الصالحة في النساء مثل الغراب الاعصم بين مائة
غراب يعني الابيض البطن هذا كلامه وقيل الاعصم الابيض الجناحين
وقيل ابيض احدى الرجلين • فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده
الحارث ليس له ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها
بين الفرث والدم اي في محلهما وذلك بين اساف ونايلة الصنمين
الذين تقدم ذكرهما وتقدم ان قريشا كانت تذبح عندهما ذبائحها اي
التي كانت تتقرب بها وهذا يبعد ما جاء في رواية انه لما قام يحفرها راى
ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينما
هو كذلك ندت بقرة من ذابحها فلم يدركها حتى دخلت المسجد فنحرها
في الموضع الذي رسم له وقد يقال لا يبعد لانه يجوز ان يكون الفرث
والدم موجودين بالفعل ولا يلزم من كون المحل المذكور محلهما وجودهما فيه
ذلك الوقت فلم يكتف بنقرة الغراب في محلهما فارسل الله تلك البقرة
ليرى الامر عيانا • وذكر السهيلي ان كون هذه العلامات الثلاث حكمة
لا باس بها ولعل اساف ونايلة نقلا بعد ذلك الى الصفا والمروة من
بعد ان نقلهما عمرو بن لحي من جوف الكعبة الى المحل الذي ذكر فلا يخالف
ما ذكره القاضي البيضاوي وغيره ان اساف كان على الصفا ونايلة على
المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما اي ومن ثم لما جاء الاسلام
وكسرت الاصنام كره المسلمون الطواف اي السعي بينهما وقالوا يا رسول
الله هذا كان شعارنا في الجاهلية لاجل التمسح بالصنمين فانزل الله
تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الاية • ويقال ان بقرة نحرت
بالحزورة بوزن قسورة فانفلتت ودخلت المسجد في موضع زمزم
فوقعت مكانها فاحتمل لحمها فاقبل غراب اعصم فوقع في الفرث فلبث ال
الجمع وقد يقال لا منافاة لان قوله في الرواية الاولى ندت بقرة من
ذابحها اي ممن شرع في ذبحها ولم يتمه حتى دخلت المسجد فنحرها اي الذي

ذبحها فقد نحرنا بالحزورة وبالمحصب او يراد بنحرها في الحزورة ذبحها
ونحرها في المسجد سلخها وتقطيع لحمها فقد تأرنا الحيوان بعد ذبحه
يذهب الى محل آخر ثم يقطع به • وعند ذلك جاء عبد المطلب بالمعول
وقام ليحفر فقامت اليه قريش فقالوا والله لا نتركك تحفر
بين صنمينا الذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لولده الحارث
ذد عني اي امنع عني حتى احفر فوالله لامضين لما امرت به فلما راوه
غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى
بدا الطي اي البناء فكبر وقال هذا طي اسمعيل اي بناؤه فعرفت
قريش انه اصاب حاجته فقاموا اليه وقالوا والله يا عبد المطلب
انها بير ابينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فقال
ما انا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم فقالوا انا مخاصموك
فيها فقال اجعلوا بيني وبينكم من شئتم احاكمكم اليه قالوا كاهنة
بني سعد بن هذيم وكانت باعالي الشام اي وتقدم انها التي لما حضرتها
الوفاة طلبت شقا وسطيحا وتفلت في فمهما وذكرت ان سطيحا
يخلفها في كهانتها ثم ماتت في يومها ذلك وشق ابن خالة سطيح
واما شق فقيل له ذلك لانه كان شق انسان اي يدا واحدة
ورجلا واحدة وعينا واحدة فركب عبد المطلب ومعه نفر من قومه
من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر وكان اذ ذاك
ما بين الحجاز والشام مفاوز لا ماء بها فلما كان عبد المطلب ببعض
المفاوز فني ماؤه وماء اصحابه فظمئوا ظمأ شديدا حتى ايقنوا
بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا عليهم وقالوا نخشى
على انفسنا مثل ما اصابكم فقال عبد المطلب لاصحابه ما ترون قالوا
ما راينا الا تبع لرايك فقال اني ارى ان يحفر كل منا حفيرة يكون
فيها الى ان يموت فكلما مات رجل دفنه اصحابه في حفرته ثم واروه
حتى يكون اخرهم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد ان يبقى بلا
مواراة ايسر من ضيعة ركب جميعا فقالوا نعم ما امرت به فحفر كل واحد
حفيرة لنفسه ثم قعدوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب لاصحابه

والله

والله ان القانا بايدينا هكذا الى الموت لعجز فليضرب كل منا في الارض فعسى الله
ان يرزقنا فانطلقوا كل ذلك وقومهم ينظرون اليهم فتقدم عبد المطلب
الى راحلته فركبها فلما انبعثت انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب
فكبر عبد المطلب وكبر اصحابه ثم نزل فشرب وشرب اصحابه ثم
ملؤوا اسقيتهم ثم دعى القبائل فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله
فاشربوا واستقوا فجاءوا وشربوا واستقوا ثم قالوا لعبد المطلب
قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم
ابدا ان الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع
الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة
فلما جاء اخذ في الحفر وجد فيها الغزالين من الذهب اللذين دفنتهما
جرهم ووجد فيها اسيافا وادرعا فقالت له قريش يا عبد المطلب
لنا معك في هذا شرك فقال لا ولكن هلموا الى امر نصف بيني وبينكم
والنصف بكسر النون وسكون الصاد المهملة وبفتحهما النصفة اي
بفتحات نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال اجعل للكعبة
قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء فهو له
ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا انصفت فجعل قدحين اصفرين
للكعبة وقدحين اسودين لعبد المطلب وقدحين ابيضين لقريش
ثم اعطوها لصاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل اي وجعلوا
الغزالين قسما والاسياف قسما والادرع قسما اخر وقام عبد المطلب
يدعو الله بشعر مذكور في الامتاع فضرب صاحب القداح فخرج
الاصفران على الغزالين وخرج الاسودان على الاسياف والادرع
وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب
في الباب الغزالين فكان اول ذهب حليت به الكعبة ذلك اي
وبين ما جاء عن ابن عباس والله ان اول من حلى باب الكعبة ذهبا
عبد المطلب • وفي شفاء الغرام ان عبد المطلب علق الغزالين
في الكعبة فكان اول من علق المعاليق بالكعبة وسيأتي الجمع
بينهما كونهما علقا بالكعبة وبين جعلهما حليا لباب الكعبة • وقد كان

اول من حلا باب الكعبة بالذهب

بالكعبة بعد ذلك ثم التعليق فان عمر رضي الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث
به اليها هلالان فعلقهما بالكعبة . وعلق بها عبد الملك بن مروان شمستين .
وقدحين من قوارير . وعلق بها الوليد بن يزيد سريرا . وعلق بها السفاح صحفة
خضراء . وعلق بها المنصور القارورة الفرعونية . وبعث المأمون بياقوتة كانت
تعلق كل سنة في وجه الكعبة في زمن الموسم في سلسلة من ذهب . ولما اسلم بعض
الملوك في زمنه ارسل اليها بصنمه الذي كان يعبده وكان من ذهب متوجا مكللا
بالجواهر والياقوت الاحمر والاخضر والزبرجد فجعل في خزانة الكعبة . ثم
ان الغزالين سرقتا وابيعتا من قوم تجار قدموا مكة بخمر وغيرها فاشتروا
بثمنهما خمرا . وقد ذكر انه بالباء مع جماعة تنفدت خمرهم في بعض الايام ثم
وقيل قافلة من الشام معها خمر فنزلوا المزالف واشتروا بهما خمرا وطلبتهما
قريش وكان اشدهم لهما طلبا عبد الله بن جدعان فعلموا بهم فقطعوا بعضهم
وهرب بعضهم وكان فيمن هرب ابو لهب هرب الى اخواله بني خزاعة فمنعوا منه
قريشا ومن ثم كان يقال لابي لهب سارق غزال الكعبة . وقد قيل منافع
الخمر المذكورة فيها انهم كانوا يشترونها اذا جلبوها من النواحي بكثرة ما يربحون
فيها لان من كان لا يشتري اذا ترك المماكسة في شرائها عده فطنة له ومكرمة فكانت
ارباحهم تكثر بسبب ذلك وما قيل في منافعها انها تقوي الضعيف وتهضم
الطعام وتعين على الباه وتسلي المحزون وتشجع الجبان وتصفي اللون وتنعش
الحرارة الغريزية وتزيد في الهمة والاستعلاء فذلك كان قبل تحريمها
ثم لما حرمت سلبت جميع ذلك من المنافع وصارت ضررا صرفا ينشا عنها الصداع
والرعشة في الدنيا والشارب بعد في الاخرة يسقى عصارة اهل النار . وفي كلام
بعضهم من لازم شربها حصل له خلل في جوهر العقل وفساد الدماغ والبخر في الفم
وضعف البصر والعصب وموت الفجاءة وقسوة القلب وسخطة الرب . ومن ثم
جاء انها ليست بدواء ولكنها داء وجاء اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر اي كان سلفنا
وجاء الخمرة ام الفواحش ومن دوا مزدام الخبائث وجاء ان الخمر لا طيب الله من تطيب
بها ولا شفا من استشفى بها . وقد قيل لا منافاة بين كون الغزالين علقتا
في الكعبة وسرقتا او سرقت احداهما وبين كون عبد المطلب جعلهما حلية
للباب لانه يجوز ان يكون عبد المطلب استخلص الغزال الثاني او الغزال الذي من التجار

ثم

ثم جعلهما حلية للباب بعد ان كان علقهما وفي الامتاع وكان الناس قبل ظهور زمزم ي
تشربون من ابار حفرت بمكة واول من حفر بئرا قصي كانت تسمى العجول وكان الماء العذب
بمكة قليلا ولما حفر عبد المطلب زمزم بنى عليها حوضا وصار هو وابنه يملأ ن
فيكسره قوم من قريش حسدا له فيصلحه نهارا حين يصبح فلما اكثروا من ذلك
وجا يحفر والمغتسل به غضب عبد المطلب غضبا شديدا فاري في المنام ان
قل اللهم اني لا احلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل وبلا وكفيتهم اي كلال
مباح فقام عبد المطلب حين اختلفت قريش في المسجد ونادى بذلك فلم يكن
يفسد حوضه احد الا رمي في جسده بدا . ثم ان عبد المطلب لما قال
لولده الحارث ذرني ابا اصنع حتى احفر وعلم انه لا قدرة له على ذلك ن
نذر ان رزق عشرة من الولد الذكور يعينونه ثم منهم ينحر احدهم
عند الكعبة . اي وقيل ان سبب ذلك ان عدي بن نوفل بن عبد مناف ابا المطعم
قال له يا عبد المطلب تستطيل علينا وانت فذ لا ولد لك اي منفرد بلا
ولد ولا احد ولا مال لك وما انت الا واحد من قومك فقال له عبد المطلب
اتقول هذا وانما كان نوفل ابوك في حجر هاشم اي لان هاشما كان خلف على
ام نوفل وهو صغير فقال له عدي وانت ايضا قد كنت في يثرب عند غير
ابيك كنت عند اخوالك من بني النجار حتى ردك عمك المطلب فقال له
عبد المطلب او بالقلة تعيرني فوالله علي النذر لئن اتاني الله عشرة
من الاولاد الذكور لاذبحن احدهم عند الكعبة وفي لفظ لانحرن احدهم
نحيرة وقيل ان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل له حفر زمزم
حكى معاوية رضي الله عنه ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل
الله الامر بها ان ينحر بعض ولده فلما صاروا عشرة اي وحفر زمزم امر في النوم
بالوفا بنذره اي قيل له قرب احد اولادك اي بعد ان بني ذلك وقيل
له اوف بنذرك فذبح كبشا واطعمه الفقرا ثم قيل له في النوم قرب ما هو اكبر من ذلك
فذبح ثورا ثم قيل له في النوم قرب ما هو اكبر من ذلك فذبح جملا ثم قيل له في
النوم قرب ما هو اكبر من ذلك فقال فما اكبر من ذلك فقيل له قرب احد
اولادك الذي نذرت ذبحه فقرب القداح على ولاده بعد ان جمعهم واخبرهم
بنذره ودعاهم الى الوفا فاطاعوه ويقال ان اول من اطاعه عبد الله وكتب

منافع الخمرة ومضارها

اسم كل واحد منهم على قدح ودفعت تلك القداح للسادن والقائم بخدمة هبل ف
ضرب بتلك القداح فخرجت على عبد الله اي وكان اصغر ولده واحبهم اليه
ثم كان تقدم من ان ما نذر فاخذه عبد المطلب بيده واخذ الشفرة ثم اقبل به على
اساف ونائلة واضجعه على الارض ووضع رجله على عنقه فجذب العباس
عبد الله من تحت رجل ابيه حتى اثر في وجهه شجة لم تزل في وجه عبد الله
الى ان مات كذا قيل وفيه ان العباس لما ولد صلى الله عليه وسلم كان
عمره ثلث سنين ونحوها فقد روي عنه رضي الله عنه اذكر مولد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا ابن ثلثة اعوام او نحوها فجيء به حتى نظرت اليه
وجعلت النسوة يقلن لي قبل اخاك فقبلته وقيل سقما جاء له بنوا
مخزوم وقالوا له والله ما احسنت عشرة امه وقالوا له ارض ربك
وافد ابنك ففداه بما يرنا فعله وفي رواية واجتمعت قريش في ذلك
اي وقالت سادة قريش من انديتها اليه وسفوه في ذلك وقالوا له
والله لا تفعل حتى تستفتي فيه فلانة الكاهنة اي تعذر فيه
الى ربك لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه اي
ويكون سنة اي ولعل المراد اذا وقع له مثل ذلك الذي وقع لك من
النذر وقال له بعض عظماء قريش لا تفعل ان كان فداؤه باموالنا
فديناه وتلك الكاهنة قيل اسمها قطبة وقيل غير ذلك كانت بخيبر
فانطلقوا اليها فانا امرتك بذبحه فاذبحه وان امرتك بامر لك
فيه فرج قبلته فاتاها ابعض فوقهم وفيهم جماعة من اخوال عبد
الله بني مخزوم فسالها وقص عليها القصة فقالت لهم ارجعوا عني
اليوم حتى ياتيني تابعي فاساله فرجعوا من عندها ثم عادوا اليها
فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت
تخرج عشرة من الابل وتقدح ولعلها وقعت عليه يزاد الابل حتى
تخرج القداح عليها فضربت على عشرة فخرجت عليه فلا زال يزيد عشرة
عشرة حتى بلغت مائة من الابل فخرجت القداح عليها فقالت قريش
ومن حضره قد انتهى رضا ربك فقال عبد المطلب لا والله حتى اضرب عليها
ثلث مرات اي ففعل ذلك وذبح الابل عند الكعبة لا يصد عنها احد

اي

اي من ادمي ووحش وطير قال الزهري فكان عبد المطلب اول من سن ذلك
اي مائة من الابل اي بعد ان كانت عشرة كما تقدم وقيل اول من سن
ذلك ابو سيارة العدواني وقيل عامر بن الظرب فجرت في قريش اي
وعملت ذلك فاولية عبد المطلب اضافية ثم فشت في العرب واقرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم • واول من ودي بالابل من العرب زيد
ابن بكر من هوازن قتله اخوه واما ما قيل ان القداح بعد المائة خرجت
على عبد الله ايضا ولا زال يخرج عليه حتى جعل الابل ثلثمائة فخرج على
الابل فنحرها عبد المطلب فضعيف جدا • وقد ذكر ابن كثير ان ابن
عباس رضي الله عنهما سالته امراة انها نذرت تذبح ولدها عند الكعبة
فامرها بذبح مائة من الابل اخذا من هذه القصة ثم سالت عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما عن ذلك فلم يفتها بشيء فبلغ مروان بن الحكم
وكان اميرا على المدينة فامر المراة ان تعمل ما استطاعت من خير بدل ذبح
ولدها وقال ابن عمر وابن عباس لم يصيبا في الفتيا ولا يخفى ان هذا
نذر باطل عندنا معاشر الشافعية فلا يلزمها شيء وعند ابي حنيفة
ومحمد يلزمها ذبح شاة في ايام النحر في الحرم اخذا من قصة ابراهيم •
الخليل عليه السلام قال القاضي البيضاوي وليس فيه ما يدل عليه
وفي الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين اي عبد الله
واسمعيل • وعن بعضهم قال كنا عند معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم
الذبيح هل هو اسمعيل او اسحاق فقال معاوية على الخبير سقطتم
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي اي يشكو جدب
ارضه فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة هلك المال وضاع
العيال فعد علي مما افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فقال القوم من الذبيحان يا امير
المؤمنين قال عبد الله واسمعيل • قال الحافظ السيوطي وهذا حديث
غريب وفي اسناده من لا يعرف حاله • قال بعضهم لما احب ابراهيم
اسمعيل بطبع البشرية اي لا سيما وهو بكره ووحيده اذ ذاك وقد جرى
الله تعالى العادة البشرية انه يحكم الا لا داخت الى الاولاد وخصوصا

اول من سن دية النفس مائة من الابل

تعيين الذبيح

ومما كتب يعقوب للعزيز

اذا كان لا ولد له غيره امره الله بذبحه ليخلص سره من حب غيره بابلغ الاسباب
الذي هو الذبح للولد فلما استسلم وخلص سره لله ورجع عن عادة الطبع فداه
بذبح عظيم لان مقام الخلة يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة فلما خلصت الخلة
من شائبة الشرك لم يبق في الذبح مصلحة فنسخ الامر وفدي هذا ومما
ما يدل على ان الذبيح اسحاق حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي النسب اشرف وفي رواية من اكرم الناس فقال يوسف صديق الله
ابن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله كذا
روي قال بعضهم والثابت يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وما
زاد على ذلك من الراوي • ومما ذكر من ان يعقوب لما بلغه ان ولده بنيامين
اخذ بسبب السرقة كتب الى العزيز وهو يوسف ولده يوسف بسم الله الرحمن
الرحيم من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله
الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فربطت
يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه
بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله واما
انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب فذهبت عيناي من بكائي
عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته
وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت
عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام لم يثبت • وفي كلام
البيضاوي وما روي ان يعقوب كتب ليوسف بن يعقوب بن اسحاق
ذبيح الله لم يثبت ايضا ولعله ما يثبت ايضا ما في انس الجليل ان موسى لما اراد
... دفن شعيب وذهابه الى وطنه بمصر فرعون بسط شعيب
يديه وقال يا رب ابراهيم الخليل واسمعيل الصفي واسحاق الذبيح ويعقوب
الكظيم ويوسف الصديق رد علي قوتي وبصري فامن موسى على دعائه فرد الله
عليه بصره وقوته • وذكر ان يعقوب رأى ملك الموت في منامه فقال
له هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي وعلمه ما يدعو به وهو
يا دائم المعروف الدائم الذي لا ينقطع معروفه ابدا ولا يحصيه غيره فرج
عني • وذكر ان سبب ذبح اسحاق اي على القول بانه الذبيح ان الخليل عليه

ومن دعا يعقوب عليه السلام

سارة

سارة ان جاني منك ولد فهو لله ذبيح فلما بشرت سارة باسحاق وكان بينه وبين ولادة
هاجر لاسمعيل ثلاث عشرة او اربع عشرة سنة واسحاق اسمه بالعبرانية
الضحاك • وجاء في حديث داود بن هضيف ان داود سال ربه فقال اي رب
اجعلني مثل ابائي ابراهيم واسحاق ويعقوب فاوحى الله اليه اني ابتليت
ابراهيم بالنار فصبر وابتليت اسحاق بالذبح فصبر وابتليت يعقوب بفقد
يوسف فصبر الحديث • وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
وبشرناه باسحاق نبيا قال بشر به نبيا حين فداه الله من الذبح ولم
تكن البشارة بالنبوة عند مولده اي لما صبر الاب على ما امر به وسلم الولد
لامر الله حصلت المجازاة على ذلك باعطاء النبوة • قال الحافظ السيوطي
وجزم بهذا القول عياض في الشفا والسهيلي في التعريف والاعلام وكنت
ملت اليه في علم التفسير وانا الان متوقف عن ذلك انتهى الكلام • وقد
نشا كل من اسمعيل واسحاق ويعقوب في حياة ابراهيم عليهم السلام
فبعث الله اسمعيل لجرهم واسحاق الى ارض الشام ويعقوب الى ارض كنعان
ولا ينافي ذلك ان كون اسحاق هو الذبيح تسميته صلى الله عليه وسلم من قوله
انا ابن الذبيحين ولم ينكر عليه لان العرب تسمي العم ابا كما تقدم ذلك
وفي الهدي ان اسمعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة
والتابعين ومن بعدهم واما القول بانه اسحاق مردود باكثر من عشرين
وجها • ونقل عن ابن تيمية ان هذا القول متلقى من اهل الكتاب مع انه باطل
بنص كتابهم الذي هو التوراة فان فيها ان الله امر ابراهيم ان يذبح ابنه بكره
وفي لفظ وحيده ويذكر في التوراة التي بايديهم اذبح ابنك
اسحاق اي ومن ثم ذكر الحافظ ابن كثير ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا
اسلم من علماء اليهود اي ابني ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المؤمنين
ان اليهود ليعلمون انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب ان يكون
اباكم للفضل الذي ذكره الله تعالى فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه
اسحاق لان اسحاق ابوهم وفي رسالة للسيوطي سماها القول الفصيح
في تعيين الذبيح رجح فيها ان الذبيح اسمعيل جوابا عن سؤال رفعه الى
بعض الفضلاء وعلى ان الذبيح اسمعيل فمحل الذبح منى وعلى انه اسحاق

عدد اعمامه صلى الله عليه وسلم واشقائهم

نخلة معروف بالارض المقدسة على ميلين من بيت المقدس. وفي كلام ابن
القيم ما يفيد ان كون الذبيح اسمعيل لا اسحاق لو كان الذبح بالشام
كما يزعم اهل الكتاب وكانت القرابين والذبح بالشام لا بمكة. وقد
استشكل كون اولاد عبد المطلب عند ارادة ذبح عبد الله كانوا عشرة
بان حمزة ثم العباس انما ولدا بعد ذلك وانما كانوا عشرة بهما وحينئذ
يشكل عد بعضهم فيما تقدم بنيه عشرة. وهم الحارث والزبير وحجل
وضرار وابو لهب والعباس وحمزة وابو طالب وعبد الله واجيب
عن الاول بانه يجوز ان يكون له حينئذ اي عند ارادة الذبح تسعة
ولد او ولد ولد فقد ذكر ان لولده الحارث ولدين ابو سفيان ونوفل
وولد الولد يقال له ولد تغليبا. هذا وذكر بعضهم ان اعمامه صلى الله
عليه وسلم كانوا اثني عشر بل قيل ثلاثة عشر وان عبد الله ثالث
عشرهم وعليه فلا اشكال ولا يشكل كون حمزة اصغر من عبد الله والعباس
اصغر من حمزة فكلاهما اصغر من عبد الله لما تقدم من ان عبد الله كان اصغر
بني ابيه وقت الذبح لانه يجوز ان يكون المراد انه كان اصغرهم حين
اراد ذبحه اي حينئذ كونهم عشرة او بعد ذلك العدد ولا ينافيه كونه
ثالث عشرهم لان المراد به واحد من ثلاثة عشر. وكان عبد الله
كما تقدم احسن فتى في قريش واجملهم وكان نور النبي صلى الله عليه
وسلم يرى في وجهه كالكوكب الدري اي المضيء منسوب الى الدر حتى
شغف به نساء قريش ولقي منهم عناء. وننظر ما هذا العنا الذي لقيه
منهم قبل ما تزوج امنة لم يبق امرأة من قريش من بني مخزوم وعبد شمس
وعبد مناف الا مرضت اي اسفا على عدم تزوجها به فخرج مع ابيه
ليزوجه امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بضم الزاي واسكان
الهاء واما الزهرة التي هي النجم فبضم الزاي وفتح الهاء والزهرة في
الاصل هي البياض فيقدم على وهب امها قيلة بنت ابي كبشة اي وكان
عمر عبد الله حينئذ ثمان عشرة سنة فمر على امرأة من بني اسد بن
عبد العزى اي يقال لها قتيلة وقيل رقيقة وهي اخت ورقة بن نوفل
وهي عند الكعبة وكانت تسمع من اخيها ورقة انه كائن في هذه الامة

بني

بنيه اي وان من دلائله ان يكون نوره في وجه ابيه اذ انها ايقنت ذلك فقالت
لعبد الله اي وقد رات نور النبوة في غرته اين تذهب يا عبد الله قال
مع ابي قالت لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع علي الان قال انا مع ابي
ولا استطيع خلافه ولا فراقه ثم انشد يقول

اما الحرام فالممات دونه ● والحل لا حل فاستبينه
فكيف بالامر الذي تبغينه ● يحمي الكريم عرضه ودينه

قال ومن شعر عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم كما في تذكرة الصفدي

لقد حكم البادون في كل بلدة ● بان لنا فضلا على سائر الارض
وان ابي ذو المجد والسودد الذي ● يشار به ما بين نشز الى خفض

اي ارتفاع وانخفاض. ومن ابي يزيد المدني ان عبد المطلب لما خرج
بابنه عبد الله ليزوجه مر به على امرأة كاهنة من اهل تبالة بفتح التاء
المثناة فوق بلدة باليمن قد قرات الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية
فرات نور النبوة في وجه عبد الله فقالت يا فتى هل لك ان تقع علي الان
واعطيك مائة من الابل فقال عبد الله ما تقدم. اقول قال الحلبي
كانت اي تلك الكاهنة من اجمل النساء واعفهن قد دعته الى نكاحها فابى
ولا منافاة لانه جاز ان تكون ارادت بقولها وقع علي الان اي بعقد النكاح
وفهم عبد الله انما تريد الامر من غير سبق نكاح فانشد الشعر المتقدم
الدال على طهارته وعفته وهذا بناء على اتحاد الواقعة وان المرأة في
هاتين الواقعتين واحدة وانما اختلف في اسمها وان الامر مع تلك المرأة
في ذهابه مع ابيه ليزوجه امنة ويدل لذلك فان المرأة التي عرضت
عليه ما عرضته وظاهر سياق المواهب يقتضي انهما قضيتان وان الاولى
عند ذهابه مع ابيه ليزوجه امنة وقوله قد قرات الكتب اي فكان فيما
رات في تلك الكتب ان النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر يكون نوره في وجه
ابيه وانه يكون من اولاد عبد المطلب اذ انها ايقنت ذلك فطمعت ان يكون
ذلك النبي منها ويوافقه الثاني ما سياتي منها والله اعلم. فان عبد المطلب
عم امنة وهو وهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة
سنا وشرفا وكانت في حجره لموت ابيها وهب بن عبد مناف وقيل ابي عمه

المطلب الى وهب بن عبد مناف ليزوجه ابنته آمنة وقدم هذا في الاستشهاد
فزوجها لعبد الله وهي يومئذ افضل امراة في قريش نسبا وموضعا
فدخل بها عبد الله حين املك عليها مكانه فوقع عليها فحملت برسول
الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها فلما فرغ عليها جمع الاثنين
في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى اقول فيما ذكره السهيلي في فتح مكة انه
نزل بالحجون بقرب الجمرة العليا عند شعب ابي طالب المكان التي حصرت فيه
بنو هاشم وبنو المطلب ويمكن ان يقال ذلك الشعب الذي في الحجون
كان محلا لسكنى ابي طالب في بعض ايام سنيه وهذا الذي عند الجمرة الوسطى
كان يتردد فيه ابو طالب ايام منى فلا مخالفة والله اعلم ثم اقام عندها
ثلاثة ايام وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على امراته اي
عند اهلها اي فهي واهلها كانوا بشعب ابي طالب ثم خرج من عندها فاتى
المراة التي عرضت عليه فقال لها ما لك لا تعرضين على اليوم ما عرضت
بالامس فقالت فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي اليوم
بك حاجة وفي رواية انه لما مر بها بعد ان وقع على آمنة قال لها ما لك
لا تعرضين على اليوم ما عرضت بالامس فقالت من انت قال انا فلان قالت
لست انت هو لقد رايت بين عينيه نورا ما اراه الان فما صنعت بعدي
فاخبرها فقالت والله ما انا بصاحبة ريبة ولكن رايت في وجهك
نورا فاردت ان يكون في وابى الله ان لا يجعله حيث اراد اذهب
فاخبرها انها حملت خير اهل الارض انتهى اقول ومما يدل على ان المراة
التي عرضت نفسها عليه هي ليلى العدوية وان عبد الله كان في بناء له
وعليه اثر الطين والغبار رواية قالت امض فاغتسل مما عليك وارجع الي وانه دخل
الى آمنة بعد ان وقع على آمنة وانتقل ذلك النور اليها وقال لها هل لك فيما قلت
قالت له فاتحم قالت لقد دخلت بنور وما خرجت به ● اي وفي سيرة
ابن هشام مررت بي وبين عينيك غرة فدعوتك فابيت ودخلت على
آمنة فذهبت بها وحيث كنت المهمة بآمنة لتلدن ملكا ● ولا يخفى ان
تعدد الواقعة ممكن وان هذا السياق يدل على ان هذه المراة كان عندها
علم بان عبد الله تزوج آمنة وانه يريد الدخول بها واينما عمدت اليه كانت

بني

بني يكون له الملك والسلطان وغير خاف ان عرض عبد الله نفسه على المراة
لم يكن لريبة بل لما يتبعه الامر الذي يحصل لها اي بذل المال الكثير لا لاجل
ونظائر هذا اتى على خلاف عادة النساء مع الرجال ولا يخالف ذلك بل يؤكده
ما في الروض في قوله ثم تذكر الخثعمية وجمالها وما عرضت عليه فاقبل اليها
الحديث والله اعلم ● وعن الكلبي انه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم
خمسمائة ام اي من قبل امه وابيه فما وجدت فيهن سفاحا والمراد بالسفاح
الزنا اي فان المراة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان اراد ولا
شيئا مما كان من امر الجاهلية اي من نكاح الام اي زوجة الاب لانه كان
في الجاهلية يباح اذا مات الرجل ان يخلف على زوجته اكبر اولاده من
غيرها ● وفي كلام بعضهم كان اقبح ما يصنعه اهل الجاهلية الجمع بين
الاختين وكانوا يعيبون التزوج بامراة الاب ويسمونه الضيزن
والضيزن الذي يزاحم اباه في امراته ويقال له نكاح المقت وهو
العقد على الربة وهي امراة الاب والراب زوج الام ● وما قيل ان
هذا اي نكاح امراة الاب وقع في نسبه صلى الله عليه وسلم لان
خزيمة احد ابائه لما مات خلف على زوجته اكبر اولاده وهو كنانة
فجاءها بالنضر فهو مردود ساقط غلط لان الذي خلف عليها كنانة بعد
موت ابيه ماتت ولم تلد منه شيئا الغلط انه تزوج بعدها بنت اختها
وكان اسمها برة فظنوا انها عمتها فجاءها بالنضر وهذا ايعلم ان قول السهيلي ان
نكاح زوجة الاب كان مباحا في الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من المحرمات
التي انتهكوها ولا من العظائم التي ابتدعوها لانه امر كان في عمود نسبه صلى الله
عليه وسلم فكنانة تزوج امراة ابيه خزيمة وهي برة بنت مر فولدت
له النضر بن كنانة وهاشم ايضا فقد تزوج امراة ابيه واقدة فولدت له قيمة
ولكن هذا خارج عن عمود نسبه صلى الله عليه وسلم لانها اي واقدة لم تلد جده
صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم انا من نكاح لا من سفاح
ولذلك قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف اي الا
ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء ان لا يعاب
نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن في اجداده من كان

بغي

من بغيته ولا اسفاح الا ترى انه لم يقل فيشي مما نهي عنه في القران اي مما لم يبح له
الا ما قد سلف عوضوا تعالى ولا تقربوا الزنا ولم يقل الا ما قد سلف
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولم يقل الا ما قد سلف ولا في شي من المعاصي
التي نهى عنها الا في هذا الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين كان
مباحا ابيحا في شرع من كان قبلنا وقد جمع يعقوب عليه السلام بين راحيل
واختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى هذا الكلام
فلا التفات اليه ولا معول عليه على ان يعقوب جمع بين الاختين بنازعه
قول القاضي البيضاوي ان يعقوب انما تزوج ليا بعد موت اختها راحيل
وفي اسباب النزول للواحدي ان في البخاري عن اسباط قال المفسرون
كان اهل المدينة في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وله
امراة جاء ابنه من غيرها فالقى ثوبه على تلك المراة وصار احق بها من نفسها
ومن غيرها فان شاء ان يتزوجها تزوجها بغير صداق الا الصداق
الذي اصدقها به الميت وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها
شيا وان شاء عضلها وضارها لتفتدي منه فمات بعض الانصار فجاء ولده
من غيرها وطرح ثوبه عليها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها ليضارها
لتفتدي منه فاتت تلك المراة النبي صلى الله عليه وسلم وشكت حالها
فانزل الله الاية ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا الاية وقيل توفي ابو
قيس فخطب ابنه امراة ابيه فقالت اني اعدك ولدا ولكني اتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم استامره فاتته صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فانزل الله الاية • وعن البرا بن عازب قال لقيت خالي يعني ابا الدردا
رضي الله عنه ومعه الراية فقلت له اين تذهب قال ارسلني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه ان اضرب عنقه زاد في
رواية واخذ ماله • وذكر بعضهم ان من الجاهلية كان اذا اراد الرجل ان
يتزوج قال خطب ويقول اهل الزوجة نكح ويكون ذلك قايما مقام
الايجاب والقبول • ومن نكاح الجاهلية الجمع بين الاختين فانه كان مباحا
عندهم اي مع استقباحهم له كما تقدم • وذكر بعضهم ان قبل نزول السورة
كان يجمع بين الاختين اي ثم حرم ذلك بنزولها • قال ولذا افتخر صلى الله عليه

وسلم بجداته اي تحدث بنعمة ربه قاصدا بذلك التنبيه على شرف النسب وفضله على غيره
فقال انا ابن العواتك والفواطم فعن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجرى فرسه مع ابي ايوب الانصاري فسبقته فرس المصطفى صلى الله عليه وسلم
فقال انا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعني فرسه وقال في بعض غزواته
اي في غزوة حنين وفي غزوة احد انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب انا ابن
ابن العواتك وجا انا ابن العواتك من سليم والعاتكة في الاصل المتلطخة
بالطيب او الطاهرة وعن بعض الطالبيين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في يوم احد انا ابن الفواطم اي ولا ينافي ما سبق انه قال في ذلك اليوم
انا ابن العواتك لانه يجوز ان يكون قال كلا من الكلمتين في ذلك اليوم
واختلف الناس في عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم من مكثر ومن
مقلل • وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه كانوا
اربع عشرة وقيل احدى عشرة اي واولهن ام لوي بن غالب والعواتك من بني
سليم ثلاث عاتكة بنت هلال ام عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة
ابن هلال ام هاشم • وعاتكة بنت مرة بن هلال ام ابي امه وهب • اي ولعل
اراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بني سليم ابكارا ارضعنه كما سياتي في قصة
الرضاع وكل واحدة منهن تسمى عاتكة • قال وعن سعيد ان العواتك من جداته
عشرة انتهى اقول ولعل قيل خمس وقيل ست وقيل ثمان ولم اقف على من اسمها فاطمة
من جداته من جهة ابيه الا على اثنتين فقط فاطمة ام عبد الله وفاطمة ام
قصي الا ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يرد الامهات التي في عمود نسبه صلى الله
عليه وسلم بل اراد الا عم حتى يشمل فاطمة بنت اسد بن هاشم ام اسد بن
هاشم وفاطمة بنت اسد التي هي ام علي بن ابي طالب وفاطمتها وهولا الفواطم
عنوا الثلاث الفواطم الثلاث قال صلى الله عليه وسلم لعلي وقد دفع اليه
ثوبا حريرا وقال له اقسمه بين الفواطم الثلاث كان هولا فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت اسد ثم زاد
بعضهم عدتهن ام عمرو بن عايذ وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وامها فاطمة
بنت الحارث وفاطمة بنت نصر بن عوف ام ام عبد مناف والله اعلم • وعن عايشة
وابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح

عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم

وقد افتخر صلى الله عليه وسلم بجداته

اي زنا فقد تقدم ان المراة كانت تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها ان اراد فكانت
العرب تستحل الزنا الا ان الشريف منهم كان يتورع عنه علانية والا فبعض
امرائهم حرمه على نفسه في الجاهلية • وفي حديث غريب خرجت من نكاح ولم
اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي ولم يصبني من سفاح الجاهلية
شيء ما ولدني الا نكاح اهل الاسلام • قال وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب ادم
ولم تزل تنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من افضل حيين من
العرب هاشم وزهرة انتهى • افودوا البغايا كن في الجاهلية يضعن
على ابواب بيوتهن رايات تكون علما لمن ارادهن دخل عليهن فاذا احملت
احداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها
بالذي يرون به شبهه فالتاط اي نطق والتحق به ودعي ابنه
لا يمتنع من ذلك والله اعلم • وعن انس رضي الله عنه قال قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح الفاء وقال
انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلها
نكاح • وفي رواية عن ابن عباس كنكاح الاسلام اي يخطب الرجل الى الرجل
موليته فيصدقها ثم يعقد عليها انتهى • وعن الامام السبكي الانكحة
التي في نسبه صلى الله عليه وسلم كلها مستجمعة شروط الصحة كانكحة
الاسلام ولم يقع في نسبه صلى الله عليه وسلم منه الى ادم الا نكاح صحيح
مستجمع لشرائط الصحة كنكاح الاسلام الموجود الان فاذا فاعتقد
هذا بقلبك وتمسك به ولا تزل عنه فتخسر الدنيا والاخرة قال
بعضهم وهذا من اعظم العناية به صلى الله عليه وسلم ان اجرى الله تعالى
نكاح ابائه من ادم الى ان اخرجه من بين ابويه على نمط واحد وافق
شرعه صلى الله عليه وسلم ولم يكن كما كان يقع في الجاهلية اذا اراد
الرجل ان يتزوج قال خطب ويقول اهل الزوجة نكح ويكون ذلك قائما
مقام الايجاب والقبول والمراد بنكاح الاسلام ما يفيد الحل في نفس
الشرع بنا على ان ام اسمعيل كانت مملوكة لابراهيم حتى حلت باسمعيل
ولم يعتقها ولم يعقد عليها قبل ذلك • ومن ثم ابنه رضي الله عنهما كما في البخاري

ان

صفة انكحة الجاهلية

ان النكاح في الجاهلية كان على اربعة انحا • نكاح كنكاح الناس اليوم اي بايجاب
وقبول شرعيين دون ان يقول الزوج خطب ويقول اهل الزوجة نكح وحينئذ
يزيد على ذلك النكاح الذي كان يقال فيه ذلك • ونكاح البغايا • ونكاح
الاستبضاع • ونكاح الجمع • اي ومن انكحة الجاهلية نكاح زوجة الاب
لاكبر اولاده والجمع بين الاختين كما تقدم وحينئذ يكون المراد ليس في نسبه
صلى الله عليه وسلم نكاح لزوجة الاب خلافا لما تقدم عن السهيلي ولا
الجمع بين الاختين ولا نكاح البغايا ولا الاستبضاع وذلك ان المراة
كانت في الجاهلية اذا طهرت من حيضها يقول لها زوجها ارسلي الى فلان
استبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها ابدا حتى يتبين حملها من ذلك
الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها اصابها زوجها اذا احب • وليس
فيه نكاح الجمع وهو ان يجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امراة من
البغايا دون ذوات الرايات كلهم يطؤها فاذا حملت ووضعت ومر عليها ليال
بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا
عندها فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت وهو ابنك يا فلان
وتسمي من احبت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمتنع منه الرجل ان لم
يغلب شبهه عليه فنكاح البغايا فيهن وحينئذ يحتمل ان تكون ام عمرو بن
العاص من القسم الثاني من نكاح البغايا فانه قيل انه ادعاه اربعة العاص
وابو لهب وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب وادعى كلهم عمرو فالحقته
بالعاص وقيل لها لم اخترت العاص قالت لانه كان ينفق على بناتي
ويحتمل ان يكون من القسم الاول ويدل عليه ما قيل انه الحق بالعاص
لغلبة شبهه عليه وكان عمرو يعير بذلك عيره علي وعثمان والحسن
وعمار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وسياتي ذلك في قصة قتل
عثمان عند الكلام على بناء المدينة • قال وقال صلى الله عليه وسلم قال
لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات • اي وفي رواية لم
يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة • وروى البخاري
بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه
انتهى وتقدم في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قيل من ساجد الى ساجد

نكحة الجاهلية المتقدمة

وتقدم ما فيه • ومن جملة قول فقول ابي حيان ان ذلك استدل به بعض الرافضة
على ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين متمسكين بشرائع انبيائهم ثم
ثم رايت الحافظ السيوطي قال الذي تلخص ان اجداده صلى الله عليه وسلم من
ادم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم اي في الاحاديث واقوال السلف وبقي
بين مرة وعبد المطلب اربعة اجداد لم اظفر فيهم بنقل وعبد المطلب سياتي
الكلام فيه وقد تكون في عبد المطلب ثلاثة اقوال احدها وهو الاشبه انه
لم تبلغه الدعوة اي لانه مات في الفترة وسنه صلى الله عليه وسلم ثمان
سنين والثاني انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام اي ولم يعبد الاصنام
والثالث ان الله احياه له حتى امن به ثم مات وهذا
اضعف الاقوال واوهاها ولم يرد قط في حديث ضعيف ولا غيره ولم يقل
بها احد من ائمة السنة وانما حكي عن بعض الشيعة • قال بعضهم وقوله صلى
الله عليه وسلم من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات دليل على
ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم وامهاته الى ادم وحوى ليس فيهم كافر
لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وفيه ان الطاهرية فيه يجوز ان يكون المراد
بها ما قابل الانكحة الجاهلية المتقدم الاشارة اليها المتقدمة

وقد اشار الى اسلام ابائه وامهاته صاحب الهمزية •

لم تزل في ضمائر الكون تختار • لك الامهات والاباء

اي لان الكافر لا ينقاد انه مختار لله • والبيت الذي دعى عبد المطلب
لاختيار بني زهرة ما حدث به ولده العباس رضي الله عنه قال قال
عبد المطلب قدمنا اليمن في رحلة الشتاء فمررت على حبر من اليهود يقرا
الزبور اي الكتاب ولعل المراد به التوراة فقال من الرجل فقلت من قريش
قال من ايهم قلت من بني هاشم قال اتاذن لي ان انظر بعضك قلت نعم ما لم
يكن عورة قال ففتح احدى منخري فنظر فيه ثم نظر في الاخرى فقال اشهد
ان في احدى يديك ملكا وهو مراد الاصل بقوله في منخريك ملكا وفي الاخرى
نبوة وانا نجد ذلك اي كلا من الملك والنبوة في بني زهرة فكيف ذلك
قلت لا ادري قال هل لك من شاعة قلت وما الشاعة قال الزوجة اي
لا منها تشايع اي تتابع وتناصر زوجها قلت اما اليوم فلا اي ليست لي زوجة

من

ومن الفراسة

من بني زهرة اي كان معه غيرها او مطلقا ان لم يكن معه غيرها فقال اذا تزوجت
فتزوج منهم اي وهذا الذي نظر في الاعضاء وفي خيلان الوجه فيحكم على صاحبها
بطريق الفراسة يقال له زجرا بالمهملة وتشديد الزاي اخره همزة سويته وقد
ذكر الشيخ عبد الوهاب عن شيخه سيدي علي الخواص نفعنا الله ببركاتهما انه
كان اذا نظر الى انف انسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة الى ان يموت
على التعيين من محض فراسته هذا الكلام • اي ومن ذلك ان معاوية بن ابي
سفيان تزوج امراة ولم يدخل بها فقال لزوجته ميسون ام ابنه يزيد
اذهبي فانظري اليها فاتتها فنظرت ثم رجعت اليه وقالت له هذه بديعة
الحسن والجمال ما رايت مثلها لكن رايت خالا اسود تحت سرتها وذلك
يدل على ان راس زوجها يقطع ويوضع في حجرها فطلقها معاوية ثم تزوجها
النعمان بن بشير رضي الله عنه وكان واليا على حمص فدعى لابن الزبير وترك
مروان ثم خاف من اهل حمص لما تبعوا مروان فخرج هاربا فتبعه جماعة
منها فقطعوا راسه ووضعوه في حجر تلك المراة ثم بعثوا بذلك الراس
الى مروان وقتل النعمان هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لان
امه لما ولدته وكان اول مولود ولد للانصار بعد الهجرة على ما سياتي
حملته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعى بتمرة فمضغها ثم وضعها في فيه
فحنكه بها فقالت يا رسول الله ادع الله ان يكثر ماله وولده فقال اما ترضين
ان يعيش حميدا ويقتل شهيدا ويدخل الجنة والنعمان هذا هو الذي اشار على
يزيد بن معاوية باكرام اهل البيت لما قتل الحسين ممن كان مع الحسين من اولاده
واولاد اخيه واقاربه وقال له عاملهم بما كان يعاملهم به رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو راهم على هذه الحالة فرق لهم يزيد واكرمهم ورده معهم ذا من
باكرامهم على ما سياتي ذكره • ومما يروى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان للشيطان مخوطا ومصالي وان من مخوطه ومصاليه
البطر بنعم الله والفخر بعطاء الله والتكبر على عباد الله واتباع الهوى
في غير ذات الله • وقد ذكر ان حمص نزلها من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم تسعمائة سبعون بدريا • وفي حياة الحيوان ان حمص لا تعيش
بها العقارب واذا طرح فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها قبل العلم بما

الفراسة بالتوراة والوجه

وفي حديث منيف ان عصى من سدرة الجنة • وقيل الحزا هو الكاهن وقيل هو الذي
يحزر الاشيا ويقدرها بظنه ويقال للذي ينظر في النجوم لانه ينظر فيها
بظنه وربما اخطا اي ومن علوم العرب الكهانة والعيافة والزجر
والخط اي الرمل والطب ومعرفة الانوا ومهاب الرياح • فلما رجع عبد
المطلب الى مكة تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة
وصفية وزوج ابنه امنة بنت وهب اخي وهيب فولدت له رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما تقدم فكانت قريش تقول فلج عبد الله على
ابيه اي فاز وظفر لان الفلج بالفا واللام المفتوحتين والجيم الفوز
والظفر اي فاز وظفر اي بما لم يظفر ابوه من وجود هذا المولود العظيم
الذي وجد عنده ولادته ما لم يوجد عند ولادة غيره • وقيل الذي دعى عبد
المطلب لاختيار امنة من بني زهرة لولده عبد الله ان سودة بنت زهرة
الكاهنة وهي عمة وهب والد امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم كان من
امرها انها لما ولدت راها ابوها زرقا شيما سودا وكانوا
يدفنون من البنات من كانت على هذه الصفة انه يدفنوها حية
ويعيشون من لم يكن على هذه الصفة مع ذل وكان بني لهم نسيان في
ان الجاهلية كانوا يدفنون البنات وهن احيا خوفا ما كنى
قبيلة من العرب خوف العار او خوف الفقر والاملاق وكان عمرو بن نفيل
يحيى الموودة اي لاجل الاملاق يقول للرجل اذا اراد ان يفعل ذلك لا تقتل
انا اكفيك مونتها فياخذها فاذا ترعرعت قال له ان شئت دفعتها
اليك وان شئت كفيتك مونتها وكان صعصعة جد الفرزدق يفعل
ذلك • فلما سرا ابوها بوادها وارسلها الى الحجون لتدفن هناك
فلما حفر لها الحافر واراد دفنها سمع هاتفا يقول لا توئد الصبية
وخلها البرية فالتفت فلم ير شيا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع
بسجع اخر في المعنى فرجع الى ابيها واخبره بما سمع فقال ان لها لشانا
فتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبني زهرة ان فيكم نذيرة
او تلد نذيرا فاعرضوا على بناتكم فعرضن عليها فقالت في كل واحدة
من البنات قولا ظهر بعد حين حتى عرضت عليها امنة بنت وهب فقالت

ذكر الموودة وتسميتها

هذه

هي النذيرة او تلد نذيرا له شان وبرهان منير اي فاختار عبد المطلب
امنة من بني زهرة والاصح من سياق قصة هذه الكاهنة واما اختياره
لتزويجه بعض نسا بني زهرة فنسبه ما تقدم عن الحبر بناء على ان ام عبد
الله كانت من بني زهرة • واما جعل سببها لنسا بني ما تقدم سببا
لتزويج عبد المطلب ابنه عبد الله امراة من بني زهرة ففيه نظر ظاهر
اذ كيف يا من ذلك مع قوله اذا تزوجت فتزوج منهم بعد قوله الك
شا فيه اي زوجة ثم رايت ابن دحية ذكر من السهيلي عن الحبر في ان
سبب تزويج عبد الله امنة ان عبد المطلب كان يأتي اليمن وكان
ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا عنده رجل من قرا الكتب
فقال له ائذن لي ان افتش منخريك فقال له دونك فانظر فقال اري
نبوة وملكا وارا هما في المنافين عبد مناف بن قصي وعبد مناف ابن
زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد
المطلب هالة بنت وهيب فولدت له حمزة وزوج ابنه عبد الله
امنة فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اوضح لانه
اسقط من الخبر لعبد المطلب ما لكن من شانه الى اصح في احتياط عبد
المطلب فتزوج من بني زهرة وزوج ولده عبد الله منهم وحينئذ كان
المناسب للسهيلي ان يزيد بعد قوله ان سبب تزويج عبد الله امنة
قوله وتزوج عبد المطلب هالة لاجل تمام العبارة والله اعلم

باب ذكر حمل امه به صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبيا والمرسلين عن الزهري قال قالت امنة

لقد علقت به فما وجدت له مشقة حتى وضعته وفي رواية انها كانت تقول
ما شعرت بنفخ او كره وثانيه اي ما علمت باني حملت به ولا وجدت له ثقلا
بنفخ الثاف كما تجد النسا الا اني انكرت رفع حيضتي بكسر الحا الهيئة التي
تلزمها الحايض من التجنب واما بالفتح فالمرة الواحدة من دفعات الحيض
اي وانه الذي ينبغي ان يكون الثاني هو المراد فاستعمل المرة في مطلق الدم
الذي تراه الحايض وربما يوئيد ان هذا هو المراد ان بعضهم نقل ان الحيضة
بالكسر اسم الحيض قالت وربما ترفعني وتعود اي فلم يكن رفعها دليلا على

على الحمل اي وعن ارعا يفيد ان حيضها تكرر قبل حملها به صلى الله عليه وسلم
ولم اقف على تعدد ان تكرره وقد ذكروا انه يوم حاضت قبل حملها بنبي عليه
السلام حيضتين قالت اتاني ات وانا بين النائمة اي من الملائكة وانا بين
النائمة واليقظانة فقال لي هل شعرت بانك قد حملت بسيد هذه الامة
ونبيها اي وفي رواية بسيد الانام اي اعلمي بذلك وامهلني حتى دنت
ولادتي اتاني فقال لي قولي اي اذا ولدتيه اعيذه بالواحد من شر كل
حاسد اي ثم سميه محمدا فان اسمه في التوراة والانجيل احمد يحمده
اهل السماء واهل الارض وفي الفرقان محمد اي والقران كما يأتي
وسياتي لمن محمدا اي القران تسمية احمد قال بعضهم ويذكر في هذا ان
ابيات لا اصل لها واذا اثبتت انها قالت لي ذلك بعد ولادته كان
دليلا لما يقوله بعض الناس استقرت النبي صلى الله عليه وسلم
من البعض اقول ظاهر هذا السياق انها لم تعلم بحملها الا من
قول الملك لها وانها لم تجد ما تستدل به على ذلك لانها لم تجد ثقله
وعادة النساء ان حيضها دائما عادة بعد عدم وجوده في زمنه المعتاد لها
اي ولم تعول على مفارقة النور لعبد الله وانتقاله لوجهها على
ما ذكر بعضهم فهي كلام هذا البعض لما فارق النور وجه عبد الله
انتقل الى وجه امنة ولا على خروج النور منها مناما او يقظة
بناء على انه غير الحمل على ما يأتي لخفائه لها لم تمام ذكر ... ولعل
اباه عبد الله لم يبلغها قول المراة التي عرضت نفسها عليه اذ هب
ما صنعنا انما حملت خير اهل الارض وانتقل في امنة الحمل الذي حمل
عليه جمعا للروايات كما يأتي يجوز ان يكون بعد اخبار الملك لها لكن في
المواهب في رواية عن كعب ان مجي الملك لها كان بعد ان مضى من حملها
ستة اشهر نبينا مع ان السنة شهر يعاد اخبارا اتضعه الحمد وفي
الرواية كانت امنة تحدث وتقول اتاني ات حين مر بي من حملي ستة
اشهر في المنام وقال لي يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه
فسميه محمدا واكتمي شانك الا انه الحال يجوز ان تعدد الملك وتكرر مجي
الملك لها فيها والله اعلم وعن ابن عباس كان من دلالة حمل امنة

رسول

وتكلم الدواب عند الحمل
برسول الله صلى الله عليه وسلم

برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة اي
التي حمل فيها اي في ذلك اليوم قبلها برسول الله صلى الله عليه وسلم اي بناء على ما هو الظاهر
مما تقدم انه حين وقع عليها انتقل اليها ذلك النور وعلقت حملت برسول الله
صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا
اصبح منكوسا اي وسياتي هذا لا ينافي قبله الرابع اقول لا ينافي الاول
تعلق الحمل به صلى الله عليه وسلم لا يكون حصوله من حمل امنة به حقيقة وانفخة ...
واما كلام الثاني عليه فقد يتوقف فيه الا ان يتادى ان ذلك كان من
علامة الحمل ... الحديث ... في كلام ابن عباس انما هو
حصوله من حمل امنة ... ان السياق ... على ... الله علم اختيارها برواية
اعلم ● وعن كعب الاحبار ان في صبيحة تلك الليلة اصبحت اصنام الدنيا
منكوسة اي ولعل ذلك ... من ... في الكتب ...
وقوله ... ايما تنكس الاصنام
والاتباع للتعدد ● قال وروى الحاكم وصححه اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك فقال انا دعوة ابراهيم وبشرى
اخي عيسى ورات امي حين حملت بي كانه خرج منها نور ... وفي
لفظ ... اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام قال الحافظ العراقي وبعاني
انها راته ... النور خرج منها ... عند حملها به ... اي
وكلاهما يقظة ولا مانع من ذلك ... اي روية النور حين حملت به كان
مناما كما تصرح به الرواية الاولى ويقظة فلا تنافي بين الحديثين
انتهى ... الرواية ... ابن سعد ... ولفظها
انها رات في المنام ان الذي في بطنها خرج نورا ... ذلك النور
هو نفس حملها ... تحقق الحمل ووجوده والرواية التي هنا ...
ان ... وفي ... وجود الحمل ... حمل احدهما
على الاخر ... ان ... حملت به ... وان الولد
كان ... لكن ... ينبغي ان يكون ... حملت
... الولادة ... النور
... ويقظة ... على ... الروايات

مطلب في [illegible] الاختلاف في مدة حمله [illegible]

وطلات على طاهرها وليمارات منا اخرج بها نور اعند ابتدا الحمل ثم ذات
كتلك عند قرب ولادتها الذي في بطنها خرج نور امه كانت بقظة
عند وضعها وخروج النور وسياتي في رواية من اعقه امها فانه لما
وضعته خرج معه نور وهي لا تنافي هذه الرواية لجواز التعدد حتى تكون
ولادته . فقرى اوله بقصور الشام خصها بها نور النبوة وعلامتين
نامت فيه ومن صلى الله عليه وسلم الى الشام مرتين مرة مع عمه ابي طالب ومرة
مع ميسرة غلام خديجة كما سياتي وبها بركت الناقة التي جاءت
له ثانية مثل اجسر عليه وسلم بركت فيه فاثر ذلك فيه ونبع على
ذلك المحل مسجد وهذه الكرامات اوله من فتح من ارض الشام في
الاسلام وكان فتحها في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه
على يد خالد بن الوليد وبها متوسعة بن عبادة وهو من ارض هكذا ان

ووقع الاختلاف في مدة حمله صلى الله عليه وسلم فعن

معبد بن عايذ اي بالياء المثناة تحت والذال المعجمة انه صلى الله عليه وسلم
بقي في بطن امه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا
ما يعرض للنساء وان الحمل ابي فلا ولد عند وجود المشتري
وهو كوكب سعيد فقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم عند وجود
السعد الاكبر والنجم الانور وكانت امه تقول والله ما رايت من حمل
هو اخف من حمله ولا اعظم بركة منه ورواه ابن حبان عن حليمة
رضي الله عنها عن ام النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت ان لابني
هذا شانا اني حملت به فلم اجد حملا قط كان اخف علي ولا اعظم بركة
منه وقيل بقي عشرة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل سبعة اشهر وقيل ثمانية
اشهر اي ويكون ذلك اية كما ان عيسى عليه السلام ولد في الشهر الثامن كما
قيل به مع نص الحكما والمنجمين على ان من يولد في الشهر الثامن لا يعيش
بخلاف التاسع والسابع والسادس الذي هو اقل مدة الحمل اي فقد
قال الحكما في بيان سبب ذلك ان الولد عند استكماله سبعة اشهر يتحرك
للخروج حركة عنيفة اقوى من حركته في الشهر السادس فان خرج
عاش وان لم يخرج استراح في البطن عقب تلك الحركة المضعفة

فلا

خبر شداد بن اوس

فلا يتحرك في الشهر الثامن ولذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر
فاذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلا
حركتين مضعفتين له مع ضعفه . وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي
لم ار للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد في
الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض ان يعيش يكون معلولا لا
ينتفع بنفسه وذلك لان الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد
واليبس وهو طبع الموت . اي وقيل بل كان حمله ووضعه في ساعة
واحدة وقيل في ثلاث ساعات اي كما قيل بذلك في عيسى . اي
وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم
يقال لها سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب
وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الرغد من كل
جانب في تلك السنة . وفي حديث مطعون فيه ان الله تعالى اذن تلك السنة
لنسا الدنيا ان يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهم
اتفقا على ما يجري على السنة العامة من انه صلى الله عليه وسلم كان
يذكر الله في بطن امه كما نقل عن عيسى عليه السلام انه كان يكلم امه اذا
خلت من الناس ويسبح الله ويذكره اذا كانت مع الناس وهي تسمع
وعن شداد بن اوس قال بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ اقبل شيخ كبير من بني عامر هو مدره قومه اي المقدم فيهم
متوكئا على عصا فمثل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه الى جده
فقال يا ابن عبد المطلب اني انبئت انك تزعم انك رسول الله الى الناس
ارسلك بما ارسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الا وانك
فهت بعظيم وانما كانت الانبياء والخلفا اي معظمهم في بيتين من بني
اسرائيل وانت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان فما لك والنبوة ولكن
لكل حق حقيقة فانبئني بحقيقة قولك وبدء شانك قال فاعجب
النبي صلى الله عليه وسلم بمسألته ثم قال يا اخا بني عامر ان لهذا الحديث
الذي تسالني عنه نبا ومجلسا فاجلس فجلس فثنى رجليه ثم برك كما
يبرك البعير فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال

يا اخا بني تميم فما ان حقيقة قوله بدء شاني انه دعوة ابي ابراهيم اي حين
قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم اي وعند ذلك قيل له قد
استجيب لك وهو كاين في اخر الزمان كما في تفسير ابن جرير • قال
في ينبوع الحياة اجمع الكل ان الرسول المذكور هاهنا هو محمد صلى
الله عليه وسلم اقول وفيما ان جبريل اعلم ابراهيم قبل ذلك بانه
يوجد نبي من العرب من ذريته ولده اسمعيل فقد جاء ان ابراهيم لما امر
بان يذهب بهاجر ام ولده اسمعيل حملهو وهي وولدها على البراق فلما
اتى مكة قال له جبريل انزل قال حيث لا زرع ولا ضرع قال نعم
هاهنا يخرج النبي الامي الذي هو من ذريتك ولدك يعني اسمعيل
الذي تتم به الكلمة العليا الا ان يقال المراد من دعائه بذلك
تحقيق حصوله وتقدم ان ام اسمعيل قالت لابراهيم ما قال له جبريل
والله اعلم • ثم قال وبشرى اخي عيسى وفي رواية انا اخر من بشر به
عيسى اي اخر نبي بشر به من الانبيا عيسى ويدل له الرواية الاخرى
وكان اخر من بشر بي عيسى لان الانبيا بشرت بي قومها والى ذلك
اشار صاحب الهمزية رضي الله عنه في الهمزية بقوله •
ما مضت فترة من الرسل الا • بشرت قومها بك الانبيا •
وبشرى عيسى في قوله تعالى قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول
الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد اي والمبشر به من الانبيا قبل وجوده اربعة اسحاق ويعقوب
ويحيى وعيسى قال الله تعالى في حق سارة فبشرناها باسحاق ومن ورا
اسحاق يعقوب قيل بشرت بان تبقى الى ان يولد يعقوب لولدها اسحاق
وقال في حق زكريا ان الله يبشرك بيحيى • وقال في حق مريم ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح • ثم قال واني كنت بكر ابي وامي وانها
بقيت تثقل ما تحمل النسا وجعلت تشكو الى صواحبها ثقل ما تجد ثم انها
رات في المنام ان الذي في بطنها نور قالت فجعلت اتبع بصري
النور والنور يسبق بصري حتى اضا لي مشارق الارض ومغاربها

المبشر بعيسى من الانبيا

وبشاني

وشانه في تتمة في الرضاع • وقال ابن الجوزي بعض من روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم هو صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا رسول الله ما كان بدء امرك
قال دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورويا امي قالت خرج مني نور
اضات له قصور بصري • قال الحافظ ابو نعيم الثقل الذي وقع في بعض
الروايات كان في ابتدا الحمل والخفة التي جات فيما سبق من الروايات
كانت عند استمرار الحمل ليكون ذلك خارجا عن المعتاد كذا قال • اقول
قد تقدم انه يجوز ان يكون هذا الثقل الواقع في ابتدا الحمل كان بعد
اخبار الملك لها بالحمل فلا يخالف ما سبق وفيه ما سبق من الجواب عنه
بكونه تقدم عن الزهري قالت ما شعرت انه حملت به فما وجدت له
ثقلة حتى وضعته ويمكن ان يكون المراد بالثقلة ما تقدم في بعض
الروايات لم تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض للنساء
اي مع وجود الثقل لم يحصل لها المشقة المذكورة وحينئذ لا ينافي شكواها

باب وفاة والده صلى الله عليه وسلم

عن ابن اسحاق لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ان توفي وام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حامل به اي كما عليه اكثر العلما اي وصححه الحافظ الدمياطي وسياتي
في بعض الروايات ما يدل على ان ذلك من غلط ما يوجد في الكتب القديمة
قيل وان موت والده كان بعد ان تم لها من حملها شهران وقيل قبل ولادته
بشهرين وقيل كان في المهد حين توفي ابوه ابن شهرين • وذكر السهيلي •
ان عليه اكثر العلما قلت ولا يشكل مع ما قبله وقيل كان ابن سبعة اشهر اي وقيل
ابن سنتين اشهر قيل وعليه الاكثرون والحق انه توفي كبيرين لا الاكثرين
وقيل ابن ثمانية عشر شهرا وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا اي وما ياتي في
الرضاع من ان المرضع ابنة ابيه يخالف تمام زمن الرضاع وكذا يخالف
القول الذي قبله لانه لم يبق من زمن الرضاع الا شهران وكانت وفاته
بالمدينة خرج اليها يمتار تمرا اي لزيارة اخواله بني عدي اي اخوال ابيه
عبد المطلب بني عدي بن النجار ولا مانع من قصد الامرين معا وقيل خرج
الى غزة في تجارة في عير من عيرات قريش وهي ان بكسر العين وفتح المثناة
تحت جمع عير وهي الابل تحمل الميرة خرجوا للتجارة ففرغوا من تجارتهم وانصرفوا

نزلوا بالمدينة وعبد الله توفي فقال أنا أتحمل عند أخوالي بني عدي بن النجار
واسمه تيم وقيل له النجار لأنه اختتن بقدوم أي وهو آلة النجارة وقيل
لأنه نجر وجه رجل بقدوم فأقام عندهم مريضا شهرا أي وهذا الشك من
الراوي وبعض أصحابه فقدموا مكة فسألهم أبوه عبد المطلب عنه فقالوا
خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض فبعث إليه أخاه
الحارث وهو أكبر أولاد عبد المطلب لا تقدم فوجده قد توفي. أي وفي

ما قيل في السباحة

أسد الغابة أن عبد المطلب أرسل إليه ابنه الزبير شقيق عبد الله
فشهد وفاته ودفن في دار التابعة بالتاء المثناة فوق والباء الموحدة
والعين المهملة وهو رجل من بني عدي بن النجار أي فقد جاء أنه صلى الله
عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ونظر إلى تلك الدار عرفها وقال ههنا
نزلت بي أمي وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله وأحسنت العوم في بئر
عدي بن النجار ومن هذا أو مما جاء عن عكرمة عن ابن عباس أنه صلى الله
عليه وسلم كان هو وأصحابه يسبحون في غدير أي في الجحفة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لأصحابه ليسبح كل رجل منكم إلى صاحبه فسبح كل رجل
إلى صاحبه وبقي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فسبح النبي صلى الله
عليه وسلم إلى أبي بكر حتى اعتنقه وقال أنا وصاحبي أنا وصاحبي وفي
رواية أنا إلى صاحبي أنا إلى صاحبي فليعلم رد قول بعضهم وقد سئل هل
عام النبي صلى الله عليه وسلم الظاهر لا لأنه لم يثبت أنه سافر في بحر ولا
بالحرمين بحر. وقيل قد توفي ودفن بالأبواء محل بين مكة والمدينة
انتهى. أقول سيأتي أن الذي بالأبواء قبر آمنة على الأصح فلعل قائل ذلك
اشتبه عليه الأمر لأنه يجوز أن يكون سمعه صلى الله عليه وسلم يقول وهو
بالأبواء هذا قبر أحد أبوي. وقد ذكر بعضهم في حكمة يتمه صلى الله

وإحياء أبويه حتى آمنا به

عليه وسلم يتيما لئلا يطول به. وقد جاء ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء
فإني كنت في الصغر يتيما وفي الكبر غريبا. وقد جاء أن الله لينظر كل يوم
إلى الغريب ألف نظرة والله أعلم. وأورد الخطيب عن عائشة رضي الله
عنها أن الله أحيى له أباه وآمن به وفي المواهب أحيى له أبويه حتى آمنا
به قال السهيلي وفي إسناده مجاهيل وقال الحافظ ابن كثير إنه حديث منكر

جدا وسنده مجهول. وقال ابن دحية هو حديث موضوع يرده القرآن والإجماع
وعلى ثبوته يكون ناسخا أي معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل
أين أبي فقال في النار فلما قفى أي ولى دعاه وقال له إن أبي وأباك في النار
وفيه أن هذا رواه مسلم فلا يكون هذا الحديث ناسخا أي معارضا له أقول
هو على تقدير ثبوته يكون معارضا على أن حديث مسلم هذا لم تتفق
الرواة على قوله إن أبي وأباك في النار وهذه اللفظة إنما رواها حماد
ابن سلمة عن ثابت عن أنس ورواها معمر عن ثابت عن أنس فروى بدل
ذلك إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وقد نصوا على أن معمرا أثبت من
حماد فإن حمادا تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه
دسها في كتبه وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم فيها وأما معمر فلم يتكلم
في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه. وأيضا ما رواه معمر ورد من حديث
سعد بن أبي وقاص فقد أخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق
إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابيا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين أبي فقال في النار قال فأين
أبوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهذا الإسناد على شرط
الشيخين فاللفظ الأول من تصرف الراوي رواه بالمعنى حسبما فهم
فالحافظ السيوطي أن مثل هذا وقع في الصحيحين في روايات كثيرة من ذلك
حديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة والثابت من طريق آخر نفي
سماعها فقط ففهم منه الراوي نفي قراءتها فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ
كذا أجاب إمامنا الشافعي رضي الله عنه عن حديث نفي قراءة البسملة
والذي ينبغي أن يقال يجوز أن يكون هذا أي ما في مسلم كان قبل أن يسأل
الله أن يحييه له فلما أحياه له وآمن به كما أشار إليه الأصل أو أنه قال ذلك
لمصلحة إيمان ذلك الرجل بدليل أنه لم يبدأ له صلى الله عليه وسلم
إلا بعدما ولى فظهر له من حاله أنه يعرض له فتنة أي يرتد عن الإسلام
فأتى له بما هو شبيه بالمشاكلة حيث أراد بأبيه عمه أبا طالب لا عبد الله
لأنه كان أبا له لا يستقل لا بد يرجع عن شتم الهشا وقالوا له أعطنا
ابنك وخذ هذا مكانه فقال أعطيكم ابني تقتلونه الى غيره بأني على

انه تقدم ان العرب تسمي العم ابا لا ينافي قبل ثبوت هذا الحديث وصحته التي صرح بها
غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا الى طعن فيه من الحفاظ كيف ينفع الايمان بعد الموت
لانا نقول هذا من جملة خصوصياته صلى الله عليه وسلم لكن قال بعضهم من ادعى
الخصوصية فعليه الدليل لان الخصوصية لا تثبت بمجرد الاحتمال ولا تثبت الا
بحديث صحيح . وفي كلام القرطبي ما احيى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
ما تقدم المؤمن وان اثبت ذلك فما ينفع ايمان ابويه بعد احيائهما ويكون ذلك
زيادة في كرامته وفضيلته ولو لم يكن احيا ابويه نافعا لايمانهما وتصديقهما
لما احييا كما ان رد الشمس لو لم يكن نافعا في بقاء الوقت لم ترد والله اعلم
قال الواقدي المعروف عندنا وعند اهل العلم ان امنة وعبد الله لم يلدا غير رسول
الله صلى الله عليه وسلم . ونقل سبط ابن الجوزي ان عبد الله لم يتزوج قط
غير امنة ولم تتزوج امنة غيره . ونقل الاجماع على النقل على ان امنة لم تحمل
بغير النبي صلى الله عليه وسلم وبعض قولها ما حملت حملا اخف منه [illegible] انها
حملت بغيره صلى الله عليه وسلم خرج على وجه المبالغة انتهى . اقول هذه الرواية
لم اقف عليها والذي تقدم ما رايت من حمل هو اخف منه وفي اخرى حملت به
فما وجدت حملا قط اخف منه علي [illegible] لرواية ما ولو جدان على العلم انما حصل
باخبار غيرها من ذوات الحمل لها عن حالهن ممكن فلا ينتفي ذلك انما حملت
بغيره ولا ينافيه قولها اخف علي لان المراد على فيما علمت والله اعلم . قال
الحافظ ابن حجر وثبت سبط ابن الجوزي من نقل الاجماع الا المجازفة فقال
وجازف سبط ابن الجوزي كما [illegible] من نقل الاجماع ولا يمنع ان تكون امنة
اسقطت من عبد الله سقطا فاشارت بقولها المذكور اليه انتهى . اقول
وحينئذ تكون حملت بذلك السقط بعد ولادته صلى الله عليه وسلم بناء على ان
والده لم يمت وهو حمل بل بعد رضعه وايضا وجدت المشقة في حمل ذلك السقط
وان اخبارها بذلك تأخر عن حملها بذلك السقط وانها ارادت في حملها بذلك
السقط من المشقة ما لم تجده في حمله صلى الله عليه وسلم واما حملها بذلك
السقط قبل حملها به صلى الله عليه وسلم فلا يتاتى لما في القصة لما تقدم من ان
عبد الله دخل بها حين املك عليها واستقل اليها النور عند ذلك ولا يحتاج
بذلك من كونه بكر ابيه وامه . واما رواية حملت الاولاد فما وجدت حملا

قال فيها

٢٩

ومما تركه عبد الله

قال فيها الواقدي لا تعرف عند اهل العلم كما بين ذلك في الكوكب المنير على ان الكلام
حملها بسقط لا يحتاج الى نقل الاجماع على انها لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم الا لكان
ان تراده حملا تاما . وفي الخصائص الصغرى للجلال السيوطي ولم يلد ابواه غيره
صلى الله عليه وسلم والله اعلم . قالوا وورث عبد الله جارية ام ايمن بركة
الحبشية اسلمت قديما هي وولدها ايمن وكان من حبشي يبنا لعبد الله انتهى
اقول في كلام ابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم اعتقها حين تزوج خديجة
وزوجها عبيد الحبشي بن زيد من بني الحارث فولدت له ايمن ولا ينافيه ما في
الامتاع انه كانت ام ايمن تزوجت في الجاهلية بمكة عبيد الحبشي بن زيد وكان
قدم مكة واقام بها ثم نقل ام ايمن الى يثرب فولدت له ايمن ثم مات فرجعت
الى مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلاذري والله اعلم [illegible]
قالوا وقد زوجها صلى الله عليه وسلم اي بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة اي
وانما رغب زيد لما سمعه صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يتزوج امراة
من اهل الجنة فليتزوج بام ايمن فجاءت منه باسامة فكان يقال له الحب ابن
الحب . وقيل اعتقها عبد الله بعد موته وقيل كانت لامه صلى الله عليه وسلم
وترك اي عبد الله خمسة اجمال وقطعة من غنم فورث ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ابيه انتهى اي فهو صلى الله عليه وسلم يرث ولا يورث قال
صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة . ودعوى
بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم يرث لانه مات في حياته فعلى
تقدير صحته جاز ان يكون ترك اذ ثبوا انه من نفقة وشاني وقال
ابن الجوزي واصابت ام ايمن هذه عطش في طريقها لما هاجرت الى المدينة
على قدميها وليس معها احد وذلك في حر شديد فنزل شيء فوق راسها فتدلى
عليها من السماء دلو من ماء ابيض فشربت منه حتى رويت وكانت تقول
ما اصابني عطش بعد ذلك ولو تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر
ما عطشت . اي وفي مزيل الخفا قال الواقدي كانت ام ايمن عسرة اللسان
فكانت اذا دخلت على قوم قالت سلام لا عليكم اي بدل سلام الله عليكم فرخص
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقول سلام عليكم او السلام عليكم هنا
خصوص ولينا تدخل فان هذا ينتفي انما [illegible] الا ملونة في السلام سلام الله عليكم

ثم ان الصيغة في السلام اما السلام عليكم او سلام عليكم وكذا عليكم السلام وكرهوا
ان يذكروا ايضا تلك الصيغة • وعن عائشة رضي الله عنها شرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بوما وام ايمن عنده فقالت يا رسول الله اسقيني
فقلت لها الرسول الله صلى الله عليه وسلم تقولين هذا فقالت انا
هذه اكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه تنة فشتحاهما • وبعض
المورخين ذكر ان بركة هذه من سبي الحبشة اصحاب الفيل وكانت سوداء
اي لونها اسود ولهذا خرج ابنها اسامة في السواد اي وكان ابوه زيد
ابيض ومن ثم كان المنافقون يطعنون في نسب اسامة ويقولون هذا
ليس هو ابن زيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتشوش من ذلك
وقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي النبي
صلى الله عليه وسلم مسرورا فقال الم تري ان مجززا المدلجي دخل علي
فراى اسامة وزيد عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وقد بدت اقدامهما
فقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض وقد جعل ايضا ذلك اصلا لوجوب
الاخذ بقول القائف في الحاق النسب • قال الذهبي والمعروف ان
ام ايمن الحبشية انما هي بركة اخرى جارية ام حبيبة قدمت معها من الحبشة
وكانت تكنى ام يوسف كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم اي وهي التي
شربت بوله صلى الله عليه وسلم كما سياتي • قيل وورث صلى الله عليه
وسلم من ابيه مولاه شقران وكان عبدا حبشيا فاعتقه بعد بدر وقيل
اشتراه من عبد الرحمن بن عوف واعتقه وقيل بل وهبه عبد
الرحمن ابن عوف رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم والله اعلم •

باب ذكر مولده صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس رضي الله عنهما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسرورا اي مقطوع السرة • وجاء ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
حين ولد نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته واذن في اذنه وكساه
ثوبا ابيض • وولد نبينا صلى الله عليه وسلم مختونا اي على صورة
المختون اي مكمولا ونظيفا ما به قذر اي لم يحتج فقد ذكر
وبهذا فلا ينافي جواز وجود البلل والقذر بعده اي في زمن امكان

الثاني

• الثاني فلا يستدل بذلك على ان امه لم تر نفاسا فقد النفاس عند علمائنا
الشافعية هو البلل الحاصل بعد الولادة في زمن امكانه وهو قبل مضي خمسة
عشر يوما لا الحاصل مع الولد والله اعلم • قال وعن انس بن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت
مختونا ولم ير احد سوءتي اي بيلا يرى احد سوءتي عند الختان ثم
قال الحاكم تواترت الاخبار بانه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا
وتعقبه الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا واجيب
بانه اراد بالتواتر الاشتهار فقد جاءت احاديث كثيرة في ذلك قال
الحافظ ابن كثير ومن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من راها
من الحسان اي وتدبيغي انه لا مخالفة بين هولاء الاقوال الثلاثة
لانه يجوز ان يكون من قال صحيحة اراد صحيحة لغيرها والصحيحة لغيرها
قد تكون حسنة لغيرها ومن قال ضعيفة اراد في حد ذاتها • وفي الهدي
ان الشيخ كمال الدين ابن طلحة صنف في انه صلى الله عليه وسلم ولد
مختونا مصنفا اجلب فيه من الاحاديث التي لا خطام لها ولا زمام ورد
عليه في ذلك الشيخ كمال الدين بن العديم وذكر انه ختن على عادة العرب
وولد على صورة المختون من الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم ستة عشر
نبيا صلوات الله وسلامه عليهم وقد نظم الجميع بعضهم فقال •
وفي الرسل مختون لعمرك خلقة • ثمان وتسع طيبون اكارم •
وهم زكريا شيث ادريس يوسف • وحنظلة عيسى وموسى وادم •
ونوح شعيب سام لوط وصالح • سليمان يحيى هود يا سين خاتم •
وليس هذا من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل غيرهم من الناس
يولد كذلك • ومن خرافات العامة انهم يقولون المن يولد كذلك
ختنه القمر اي لان العرب تزعم ان المولود في القمر تتفسخ قلفته
فيصير كالمختون وربما قالت العامة ختنته الملايكة وهذا ابو ما ذكره
الجلال السيوطي في الخصايص الصغرى ان من خصايصه ولادته مختونا
وقيل ختن صلى الله عليه وسلم اي ختنه الملك الذي هو جبريل كما
صرح به بعضهم يوم شق قلبه عند ظئره اي مرضعته حليمة قال الذهبي

ذكر الختان يوم السابع

انه خبر منكر • وقيل ختنه جده يوم السابع من ولادته قال العراقي وسنده
غير صحيح انتهى اي لما تقرر عنه صلى الله عليه وسلم بكيفية كما سيأتي اقول
وقد يجمع بانه يجوز ان يكون ولد مختونا غير تام الختان كما هو الغالب
في ذلك ثم جده ختانه لكن ينازع فيه ما تقدم من قوله صلى الله عليه
وسلم من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوأتي اي لاجل
الختان كما هو الظاهر ان صح كما قدمناه اي وفي كلام بعضهم ان عيسى
عليه السلام ختن بالة وعلى صحته يجمع بنحو ما تقدم والظاهر ان المراد
بالالة التي ختن بها عيسى والتي ختن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بناء على ان جده ختنه كانت الالة المعروفة التي هي الموسى والا فقلت
لان ذلك مما نشأ من الدوام على فعله لا يقال عدم وجود القلفة نقص
من اصل الخلقة الانسانية فقد قالوا في حكمة وجود القلفة السوداء
التي هي حظ الشيطان فيه ولم يخلق بدونها بل خلقت بها تكميلا للخلقة
الانسانية لانا نقول انما لم يخلق بتلك القلفة ليحصل كمال الخلقة
الانسانية لان هذه القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد مع ما يلزم على
ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال
بخلوه من القلفة السوداء • وكره الحسن ان يختن الولد يوم السابع لان فيه
تشبها باليهود اي لان ابراهيم لما ختن ولده اسحاق يوم سابع ولادته
اتخذه بنو اسرائيل في ذلك اليوم سنة وختنوا ابنه اسمعيل لثلاث عشرة سنة
قال ابو العباس ابن تيمية فصار ختان اسمعيل اي في ذلك الوقت سنة
في ولده بني العرب ويؤيده قول ابن عباس كانوا لا يختنون الغلام حتى
يدرك اي لان الثلاث عشرة هي مظنة الادراك ومن ثم لما سئل ابن عباس
عن سنه حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانا يومئذ مختون
اي قد ادركت زمن الختان ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض
مقبوضا اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها • اخرج في رواية عن امه
انها قالت لما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه كالمتضرع
المبتهل ولا مخالفة لجواز ان يراد باصبعيه السبابتين من اليدين والله اعلم
وفي سجوده اشارة الى ان مبدأ امره على القرب من الحضرة الالهية قال وروي

ابن

وفرق بين الفال والتفاول

ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما ولد وقع على يديه رافعا راسه الى السماء وفي رواية
وقع على كفيه وركبتيه شاخصا ببصره الى السماء انتهى اقول وفي رواية وقع جاثيا
على ركبتيه ولا يخالف هذا ما سبق من انها نظرت اليه فاذا هو ساجد
لجواز ان يكون سجوده بعد رفع راسه وشخوص بصره الى السماء ولا منافاة
بين كونه وقع على الارض مقبوضة اصابع يديه ووقوعه على كفيه لجواز ان
يكون قبض اصابعه ما عدا السبابة بعد ذلك ولا ينافيه قوله مقبوضة
المتقدم على الحال لقرب زمنهما من الوقوع على الارض والا فتقدم على
الركبتين لا ينافي الجمع بينهما وبين الكفين • ورايت في كلام بعضهم انه صلى الله
عليه وسلم ولد واضعا احدى يديه على عينيه والاخرى على سوأته •
[illegible] والله اعلم • وفي رفع راسه صلى الله عليه وسلم وشخوص بصره الى
السماء يشير ما جاء الهمزية رحمه الله تعالى في قوله في همزيته •
رافعا راسه وفي ذلك الرفع • الى كل سودد ايماء •
رامقا طرفه السماء ومرمى • عينه من شأنه العلو العلاء •
اي ومن حالة كونه رافعا راسه الى السماء وفي ذلك الرفع الذي هو
اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم اشارة الى حصول رفعته
وسيادته • ومن حالة كونه رامقا ببصره الى السماء وسر ذلك
الاشارة الى علو مرماه اذ مرمى عين الذي نظره ارتفاع [illegible]
الرفعة والشرف • قال ومن روى انه قبض قبضة من تراب واهوى
ساجدا فبلغ ذلك رجلا من بني لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا
الفال ليغلبن هذا المولود اهل الارض اي لانه قبض عليها وملكها
في قبضته والفال بالهمزة وبدونه يقال فيما يسر والتطير فيما يسوء فالفال
ضد الطيرة بكسر الطاء وفتحها اي التشاؤم ولا التطير وقيل لذا الفال
قال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم • وقال صلى الله عليه وسلم لا عدوى
ولا طيرة ويعجبني الفال الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة وفي رواية واحب •
الفال الصالح • وفرق بعضهم بين الفال والتفاول بان الاول يكون في
سماع الكلام الطيب والثاني يكون في الاخذ باسمائها واصواتها وصورها • وقوله
لا عدوى [illegible] ما جاء انه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه

النبي صلى الله عليه وسلم انا قد بايعناك فارجع ولم يصافحه • وقال لا تديموا
النظر الى المجذومين وسياتي الجواب عنه مما يحصل به الجمع بينه وبين ما جا
انه اخذ بيد مجذوم فوضعها معه في الصحفة وقال كل باسم الله عز وجل
وتوكلا عليه وبنو لهب بكسر اللام وسكون الهاء حي من الازد اعلم الناس
بالزجر اي زجر الطير والتفاول بها وتطيرها فقد كان في الجاهلية
اذا اراد الشخص ان يخرج الى حاجة جا الى الطير وازعجها عن اوكارها •
فان مر الطير عن اليمين سمي سانحا واستبشر من تلك الحاجة بقضائها •
وان مر الى اليسار سمي بارحا بالموحدة والرا والحا المهملتين وتشأم
من تلك الحاجة فيتركها ولا يقدم لقضائها اي وهذا ما فسر به امامنا الشافعي
رضي الله عنه الحديث الا في اقروا الطير في اوكارها فعن سفيان بن
عيينة قال قلت للشافعي يا ابا عبد الله ما معنى هذا الحديث فقال
علم العرب كان في زجر الطير كان الرجل منهم اذا اراد سفرا جا الى
الطير في اوكارها فطيرها الحديث • وحكي عن وايل بن حجر وكان
زاجرا احسن الزجر انه خرج يوما مع زياد بالكوفة وهو الذي
الحقه معاوية بابيه ابو سفيان وهو والد عبيد الله بن زياد الذي
قتل الحسين رضي الله عنه وكان اميرها المغيرة ابن شعبة فراي
غرابا ينعق بالنهر المحمدي اي يصيح فرجع الى زياد وقال هذا
غراب يرحلك من هاهنا الى خير فقدم رسول معاوية الى زياد من
يومه بولاية البصرة • وقد ذكر ان ابا ذويب الهذلي الشاعر كان
مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به قال بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل وكان وقت السحر هتف
بي هاتف وانا نايم وهو يقول هذا البيت وهو •

قبض النبي محمد فعيوننا • تذري الدموع عليه بالتسجام •

قال فهببت من نومي فزعا فنظرت في السما فلم ار الا سعد الذابح
فتفاولت به وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض فركبت
ناقتي وحثثتها حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطير فاخبرني •
بوفاته صلى الله عليه وسلم فلما قدمت المدينة فاذا لها ضجيج بالبكا

كضجيج

كضجيج الحاج فسألت فقيل لي قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى
وقد خلا به اهله وابو ذويب هذا هو القايل هذه الابيات •

امن المنون وريبها تتوجع • والدهر ليس بمعتب من يجزع •
واذا المنية انشبت اظفارها • الفيت كل تميمة لا تنفع •
وتجلدي للشامتين اريهم • اني لريب الدهر لا اتضعضع •
والنفس راغبة اذا رغبتها • واذا ترد الى قليل تقنع •

ومن زجر الطير

ومن زجر الطير ما حكاه بعضهم قال جا اعرابي الى دار القاضي ابي
الحسين الازدي المالكي فجا غراب فقعد على نخلة في تلك الدار
وصاح ثم طار فقال الاعرابي هذا الغراب يقول ان صاحب هذه
الدار يموت بعد سبعة ايام فصاح الناس عليه وزجروه فقام وانصرف
ففي سابع يوم مات ذلك القاضي • وقد جا النهي عن ذلك لا تزجروها
وجا الطيرة شرك • وجا من رجعته الطيرة عن حاجته فقد اشرك
بل يقول اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول
ولا قوة الا بك وفي رواية لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله
غيرك ثم يمضي لحاجته • وقد جا لا عدوى ولا طيرة ولا هام وفي لفظ
ولا هامة بالتخفيف زاد في رواية ولا صفر والهامة هو انه كان اهل
الجاهلية يزعمون ان اذا قتل القتيل ولم يوخذ بثاره يخرج له طاير
يقول عند قبره اسقوني من دم قاتلي فلا يزال يقول ذلك حتى يوخذ
بثار القتيل فكانت العرب تسميه الهامة بالتخفيف واما الهامة
بالتشديد واحدة الهوام وهي الحيات والعقارب وما شاكلها ومن
ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في تعويذه للحسن والحسين
اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة
ثم يقول هكذا كان ابراهيم يعوذ اسمعيل واسحاق عليهم السلام •
وقوله ولا صفر ذكر الامام النووي ان المراد به حية صفرا تكون في
جوف الانسان اذا جاع تؤذيه كانت العرب تزعم ذلك قال وهذا
التفسير هو الصحيح الذي عليه عامة العلما وقد ذكره مسلم عن جابر
راوي الحديث فتعين اعتماده • وروى ابن سعيد ايضا ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال رأت امي حين وضعتني سطع منها نور اضاءت له قصور
بصرى • وفي رواية ايضا انها قالت لما وضعته خرج معه نور اضاء له ما بين
المشرق والمغرب حتى اضاءت له قصور الشام واسواقها حتى رأيت اعناق
الابل ببصرى • وفي الخصائص الصغرى رأت امه عند ولادته
نورا خرج منها اضاءت له قصور الشام وكذلك امهات الانبياء يرين
ذلك انتهى ولعل المراد برؤية مطلق النور لا الذي تبين منه قصور الشام
الى اخره وقوله قصور الشام ظاهر في ان المراد جميع الاقليم لا قصور
بصرى ولعل المراد من الاقتصار على بصرى في الروايات لكون النور
كان بها اتم ومن ثم قالت حتى رأيت اعناق الابل ببصرى او ان
رؤية وصول النور الى بصرى خاصة ورؤيته جاوزها تأمل • والى هذا
النور يشير عمه العباس رضي الله عنه بقوله في قصيدته التي امتدح
بها النبي صلى الله عليه وسلم عند رجوعه من غزوة تبوك وقد قال
في مرجعه من تلك الغزوة يا رسول الله اني اريد ان امتدحك
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فقال
قصيدة منها • وانت لما ولدت اشرقت الارض • واضاءت بنورك الافق •
فنحن في ذلك الضياء وفي النور • وسبل الرشاد نخترق •
• والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله •
• وتدلت قصور قيصر بالروم • يراها من داره البطحاء •
اي رؤيت قصور ملك الروم في بلاد الروم يبصرها الذي داره بمكة
قال وهذا الظاهر في انها كانت ذلك النور يقظة وتقدم في حكاية
شداد انها رأت ذلك منا ما وقد تقدم الجمع انتهى اي وتقدم ما في ذلك
الجمع • وذكرت ام امامنا الشافعي رضي الله عنه رأت وهي حامل به
ان النجم المسمى بالمشتري خرج من فرجها فوقع بمصر ثم وقع في كل بلد
منه شظية فتأول ذلك اصحاب التأويل بانها تلد عالما يكون علمه
بمصر اولا ثم ينتشر في سائر البلدان • وروى السهيلي عن الواقدي
انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم حين خروجه من بطن امه فقال
الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ولا تابع

انه

انه تكلم بكل ذلك والاولية في الرواية الثانية اضافية كما لا يخفى • وقد
وقع الاختلاف في وقت ولادته صلى الله عليه وسلم اي كان ليلا او نهارا
وعلى الثاني في اي وقت من ذلك النهار وفي شهره وفي عامه وفي محله فقيل
ولد في يوم الاثنين قال بعضهم لا خلاف فيه والله لقد اخطأ من قال
ولد يوم الجمعة • اي فعن قتادة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه • وذكره
الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر ان ذلك حين طلوع الشمس وقيل
لما ولد جده عبد المطلب ولد لي مع الصبح مولود وعن سعيد بن المسيب
ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابهار النهار اي وسطه وكان ذلك
اليوم لمضي ثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول اي وكان في فصل الربيع •
• وقد اشار الى ذلك بعض البلغاء فقال •
• يقول لسان الحال عنه • وقوله الحق يعذب للسميع •
• فوجهي والزمان وشهر وضعي • ربيع في ربيع في ربيع •
قال وحكي الاجماع عليه وعليه العمل الان في الامصار خصوصا اهل مكة في
زيارتهم موضع مولده وقيل لعشر ليال مضت وصححه الحافظ الدمياطي
اي لان الواقدي قال فيه ابن دحية ذكره ابن اسحاق مقطوعا دون اسناد
وذلك لا يصح اصلا ولو اسنده ابن اسحاق لم يقبل منه لتجريح اهل العلم له
فقد قال كل من ابن المديني وابن معين ان ابن اسحاق ليس بحجة وقد وصفه •
مالك بالكذب فقيل والاطلع عليه مالك لانه تكلم عنه انه قال هاتوا
حديث مالك فانا طبيب بعلله فعند ذلك قال مالك وما هو ابن اسحاق
انما هو دجال من الدجاجلة اخرجناه من المدينة قال بعضهم وابن اسحاق
من جملة من يروي عنه شيخ مالك يحيى بن سعيد وقال بعضهم ابن اسحاق ثقة
لكنه مدلس • وقيل ولد لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لثمان مضت منه
قال ابن دحية هو الذي لا يصح غيره وعليه اجمع اهل التاريخ وقال القسطلاني
وهو اختيار اكثر اهل الحديث اي كالحميدي وشيخه ابن حزم وقيل لتسع
خلت منه وجزم به ابن عبد البر وقيل لثمان عشرة خلت منه رواه ابن ابي
شيبة وهو حديث معلول وقيل لاثنتي عشرة بقيت منه وقيل لثمان ليال خلت

واختلف في وقت ولادته

وما رأته ام الشافعي رضي الله عنه

اول ما تكلم به عليه السلام

من رمضان وصححه كثيرون من العلماء وهذا هو الموافق لما تقدم من ان امه حملت به
في ايام التشريق او في يوم عاشوراء او انه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل
لكن قال بعضهم ان هذا القول غريب جدا او شاذ وقائله انه اوحي اليه
في رمضان فيكون مولده في رمضان وعلى انها حملت به في ايام التشريق
الذي لم يذكروا غيره يعلم ما في بقية الاقوال قال وقيل ولد في
صفر وقيل في ربيع الاخر وقيل في محرم وقيل في عاشوراء اي كما
ولد عيسى عليه السلام وقيل نحو ثمانين سنة انتهى • اي وذكر الذهبي
ان القول بانه ولد في عاشوراء من الافك اي الكذب لانه يلزم عليه
انها حملت به في ايام التشريق وانه مكث في بطنها تسعة اشهر كوامل
لا يخفى ان قائل هذا القول لم يلاحظ ما عند القول بانه ولد في
رمضان • ثم رأيت بعضهم حكى انها حملت به في شهر رجب وحينئذ يصح
القول المشهور بولادته في ربيع الاول • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ولد في يوم الاثنين في ربيع الاول وانزلت عليه النبوة
يوم الاثنين في ربيع الاول وهاجر الى المدينة في يوم الاثنين
في ربيع الاول ونزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الاول
وتوفي يوم الاثنين في ربيع الاول قال بعضهم وهذا غريب جدا
وتقدم انه ولد نهارا المولد ليلا فعن عثمان بن ابي العاص رضي
الله عنه عن امه رضي الله عنهما انها شهدت ولادة النبي صلى الله
عليه وسلم ليلا فما شيء انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى
النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن علي قال ابن دحية وهو حديث
مقطوع قال بعضهم ولا يصح عندي بوجه انه صلى الله عليه وسلم ولد
ليلا لقوله صلى الله عليه وسلم الثابت عنه بنقل العدل انه سئل عن
صوم يوم الاثنين فقال فيه ولدت ولا يوم انما هو النهار بنص القرآن
وايضا الصوم لا يكون الا نهارا • وافاد الامام الزركشي ان هذا الحديث
المتقدم من ام عثمان بن ابي العاص على تقدير صحته لا دلالة فيه على
انه ولد ليلا قال فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط
النجوم نهارا فضلا من ان تكاد تسقط اي التردد في وقت الولادة صلى

الله

الله عليه وسلم هو في الليل او في النهار اشار صاحب الهمزية بقوله

ليلة المولد الذي كان للدين • سرور بيومه وازدهاء
فهنيئا به لآمنة الفضل • الذي شرفت به حواء
من لحواء انها ولدت احمد • او انها به نفساء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب • من فخار ما لم تنله النساء

اي ليلة المولد النبوي وجد العالم ذا افتخار للدين بيومه وقد اضاف
مكان اليوم والليلة للولادة مراعاة للخلاف في ذلك فهنيئا لآمنة
الفضل الذي حصل لها بسبب ولادتها له صلى الله عليه وسلم اي لا يوجد
ذلك الفضل كذلك لآمنة الذي شرفت بذلك الفضل حواء التي
هي ام البشر ومن يشهد لحواء انها حملت به وانها اصابها نفاس به
يوم اعطيت آمنة بنت وهب بسبب وضعه من الفخار وهو ما يفتخر
به من الخصال العلية والشيم المرضية ما لم يعطه غيرها من النساء
اي وقد اقسم الله بليلة مولده صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
والضحى والليل وقيل المراد بالليل ليلة الاسرا ولا مانع ان يكون الاقسام
وقع بهما اي استعمل اللفظ فيهما • ويدل لكون ولادته صلى الله عليه وسلم
كانت ليلا قول بعض اليهود من علماء اهل الكتاب هذه الليلة قد ولد فيكم
الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة اي
اخرها اي وبين كتفيه علامة وهو خاتم النبوة صلى الله عليه وسلم
تحت الخنصر • وولادته صلى الله عليه وسلم كانت في عام الفيل قيل في
يومه فعن ابن عباس قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفيل
وعن قيس بن مخرمة ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الفيل فيحمل كما قال الحافظ ابن حجر المحفوظ لفظ العام اي بدل
لفظ اليوم وقد يطلق اليوم ويراد مطلق الوقت فيصدق بالعام كما يقال يوم
الفتح ويوم بدر وعليه فلا ان معناه متقاربان في الشيء بالموضع
وعلى ان المراد باليوم حقيقته يكون بالقرن • وفي تاريخ ابن حبان
ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله الطير الابابيل على اصحاب الفيل
وعند ابن سعد ولد يوم الفيل يعني عام الفيل انتهى اي لما تقدم عن ابن حجر

وعليه فيكون قول ابن حبان في اليوم تفسير للعام على ان المراد باليوم مطلق الوقت
الصادق بالعام . وقيل ولد بعد الفيل بخمسين يوما كما ذهب اليه جمع منهم السهيلي
قال بعضهم وهو المشهور قال وقيل بخمس وخمسين وقيل باربعين يوما وقيل
بشهر وقيل بعشر سنين وقيل بثلاث وعشرين سنة انتهى اي وعلى انه بعد
الفيل بخمسة وخمسين يوما اقتصر الحافظ الدمياطي . وعبارة المواهب
حكاه الدمياطي في آخرين وكونه في عام الفيل قال الحافظ ابن كثير هو
المشهور عند الجمهور وقال ابراهيم ابن المنذر شيخ البخاري لا يشك فيه
احد من العلماء ونقل غير واحد فيه الاجماع وهم اي وقول قبل عام
الفيل بخمس عشرة سنة وهذا اغرب منكر وضعيف ايضا اقول والقول
بانه ولد قبل عام الفيل او فيه او بعده بعشر سنين يقتضي تضعيف
ما ذكره الحافظ ابن سعد النيسابوري ان نور النبي صلى الله عليه وسلم
كان يضيء في غرة جده عبد المطلب وكانت قريش اذا اصابها قحط اخذت
بيد عبد المطلب الى جبل ثبير فيتقربون به ويستسقون فيسقيهم الله ببركة ذلك

قصة صاحب الفيل

النور وانه لما قدم صاحب الفيل لهدم الكعبة لتكون كنيسته التي بناها
وقال لها القليس كمثير له لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها
في اعلى الرؤوس مكان الكعبة في الحج اليها وقد اجتهد ابرهة في زخرفتها
فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب كان ينقل ذلك
من قصر بلقيس صاحبة سليمان بن داود عليهما السلام وجعل فيها صلبانا
من الذهب والفضة ومنابر من العاج والابنوس وشدد على عمالها
حتى انه اذا طلعت الشمس قبل ان ياخذ العامل في عمله قطع يده فنام رجل
منهم ذات ليلة حتى طلعت الشمس فجاءت معه امه وهي امرأة عجوز فتضرعت
اليه في ان لا يقطع يد ولدها فابى الا قطع يده فقالت له اضرب بمعولك
اليوم لك وغدا لغيرك فقال لها ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار
هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته موعظتها
فعفى عنه ورجع عن هذا الامر فعند ذلك ركب عبد المطلب في قريش
الى جبل ثبير فاستدار ذلك النور في وجه عبد المطلب كالهلال والقى
شعاعه على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك النور
قال

قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا
النور مني الا ان يكون الظفر لنا فرجعوا فلما دخل رسول صاحب الفيل الى
مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه اي وخر مغشيا عليه
اي فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب اي
قال ان صاحب الفيل امره ان يقول لقريش ان الملك انما جاء لهدم البيت فان لم
تحولوا بينه وبينه لم يرد قتل احد منكم وان اهلكم بينه وبينه اتى عليكم
فقال له عبد المطلب ما عندنا قوة ولا ندفع عن هذا البيت ولا نريد
ان نشاقه اي وفي لفظ فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك
طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليل الله فان يمنعه فهو بيته
وحرمه وان لم يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع وامر ابرهة
رسوله ايضا ان يأتي له بسيد القوم فقال عبد المطلب قد امرني ان آتيه
فقال عبد المطلب افعل فجاء ذا ابل وخيل واخبره ان الحبشة اخذت
الابل والخيل التي كانت ترعى بذي المجاز وفي سيرة ابن هشام وذكر
صاحب السيرة انه تعقر على الابل وانها كانت بايتي بعير وقيل اربعمائة
ناقة فركب عبد المطلب مع رسول صاحب الفيل وركب معه ولده الحارث
فاستأذن له على ابرهة اي قيل له ايها الملك هذا سيد قريش بالباب
يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة يعني زمزم وهو يطعم الناس بالسهل
والوحوش في رؤوس الجبال فاذن له فلما دخل ورآه ابرهة اجله واكرمه
عن ان يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة على سرير ملكه فنزل عن سريره
واجلسه معه على البساط وقال لترجمانه سله عن حاجته فذكر
الابل والخيل فذكر الترجمان له ذلك فقال للترجمان بلسان الحبشة
قل له كنت اعجبتني اذ رأيتك ثم قد زهدت فيك اذ تسألني ابلك
وخيلك وتترك ان تسأل عن البيت الذي هو عزك فقال له الترجمان
ذلك فقال عبد المطلب انا رب الابل والخيل التي سألها الملك واما
البيت فله رب ان شاء ان يمنعه من الملك فقال ابرهة ما كان يمنعه مني
فرد عليه ما كان اخذ له من الابل والخيل وابرهة جبان الحبشة الابيض الوجه
ثم ان الفيل لما نظر الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا

غريبة

وانطق الله الفيل فقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب وفي
كلام بعضهم ان ابرهة لما بعثه يجيء بعبد المطلب اليه امر ان عبد المطلب قبل
دخوله عليه ان يذهب به الى الفيلة ليراها ويرى الفيل العظيم وكان
ابيض اللون • اقول رايت ان ملك الصين كان في مربطه الف فيل
ابيض وكان مع الفرس في قتال ابي عبيد بن مسعود الثقفي امير الجيش
في خلافة الصديق افيلة كثيرة عليها الجلاجل وقد قدموا بين
ايديهم فيلا عظيما ابيض وصارت خيول المسلمين كلما حملت
وسمعت حس الجلاجل نفرت فامر ابو عبيد المسلمين ان يقتلوا
الفيلة فقتلوها عن اخرها وتقدم ابو عبيد لهذا الفيل العظيم
الابيض فضربه بالسيف فقطع زلومه فصاح الفيل صيحة هائلة
وحمل على ابي عبيد فتخبطه برجليه ووقف فوقه فقتله فحمل
على الفيل شخص كان ابو عبيد اوصى ان يكون اميرا بعده فقتله
ثم اخر حتى قتل سبعة من ثقيف كان ابو عبيد قد نص عليهم واحدا
بعد واحد وهذا من اغرب الاتفاقيات والله اعلم وانما ارى
عبد المطلب الفيلة ارهابا له وتخويفا فان العرب لم تكن تعرف
الافيال وكانت الافيال كلها ما عدا الفيل الاعظم تسجد لابرهة
واما الفيل الاعظم لم يسجد الا للنجاشي فلما رات الفيلة عبد المطلب
سجدت حتى الفيل الاعظم وقيل ان ابرهة لم يخرج الا بالفيل
الاعظم ولما بلغ ابرهة سجود الافيلة لعبد المطلب تطير ثم امر بادخال
عبد المطلب عليه فلما راه القيت الهيبة في قلبه فنزل عن سريره
تعظيما لعبد المطلب • ثم رايت ابن حجر في شرح الهمزية حاول الجواب
عن هذا الذي تقدم عن الحافظ النيسابوري من ان النور استقر في
وجه عبد المطلب اي وقول الفيل السلام على النور الذي في ظهرك
يا عبد المطلب مع ان ولادته صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت
يلزم منها ان يكون النور انتقل من عبد الله الى امنة بان النور وان
انتقل عن عبد المطلب لكن الله اكرم عبد المطلب فاحدث ذلك النور
في ظهره وفي وجهه واطلع الفيل عليه هذا محصله وليتامل • وذكر

بعضهم

بعضهم ان الفيل مع عظم خلقته وصورته هيكل ضعيف ويفرق اي يخاف
من السنور الذي هو القط ويفزع منه • وفي المواهب والمشهور انه صلى
الله عليه وسلم ولد عام الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته
صلى الله عليه وسلم ومقدمة لظهوره وبعثته هذا كلامه وفيه
ايذان بان الارهاصات انما تكون بعد وجوده وقبل بعثته الذي
هو مؤداه الرسالة لا قبل وجوده بالكلية الذي هو المراد بظهوره
وحينئذ فقول القاضي البيضاوي انما الارهاصات اذ هي انما وقعت
في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد وجوده
ومن ثم قال ابن القيم في الهدي اي ما جرت به عادة الله ان يقدم بين
يدي الامور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل لها من ذلك قصة
بعثته تقدمها قصة الفيل هذا كلامه • قال فلما شرع ابرهة
في الذهاب الى مكة ووصل الفيل الى وادي الحرم وعند وصوله الى وادي
الحرم برك فصاروا يضربون راسه ويدخلون الكلاليب مراق بطنه
فلا يقوم فوجهوه الى جهة اليمن فقام يهرول وكذا الى جهة
الشام فعل ذلك مرارا فامر ابرهة ان يسقى الفيل الخمر ليذهب تمييزه
فسقوه فثبت على امره ويقال انما برك لان نفيل بن حبيب الخثعمي قام الى
جنب الفيل فقال له ابرك وقال ابرك محمود او ارجع راشدا من حيث جئت
فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك • قال السهيلي الفيل
لا يبرك فيحتمل ان يكون بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من امر الله ويحتمل
ان يكون فعل البارك وهو الذي يلزم موضعه لا يبرح فعبر بالبروك
عن ذلك • قال وقد سمعت من يقول ان في الفيلة صنفا يبرك كما يبرك
الجمل وعند ذلك ارسل الله عليهم الطير الابابيل خرجت من البحر
اي قال الحافظ مغلطاي بلغنا ان حمام الحرم من نسل تلك الطير ما هلكتهم
وقد يقال ان هذا اشتباه لان الذي قيل انه من نسل الابابيل انما
هو شيء يشبه الزرزور يكون بباب ابراهيم من الحرم واما ما قيل ان حمام
الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار على ما ياتي • وفي حياة
الحيوان ان الطير الابابيل يعشش ويفرخ بين السماء والارض

الطير الابابيل

ولما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس وقالوا أهل الله
لأن الله معهم وفي نسخة لأن الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم الذي لم يكن
لسائر العرب بقتاله قدرة وغنموا أموال صاحب الفيل ومن جنده
وتوت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التي بناها أبرهة
فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكان كل
من أراد أن يأخذ منها شيئا أصابته الجن واستمرت كذلك إلى زمن السفاح
أول خلفاء بني العباس فذكر له أمرها فبعث إليها عامله على اليمن
فخربها وأخذ خشبها والآلات المفضضة التي تساوي قناطير المال
فحصل له منها مال عظيم وخفيت حتى درس رسمها وانقطع خبرها واندرست
آثارها وقد كان عبد المطلب أمر قريشا أن تخرج من مكة وتكون
في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من المعرة وخرج هو ومعه إلى ذلك بعد
أن أخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله تعالى وقال

لاهم إن العبد يمنع رحله • فامنع حلالك •
لا يغلبن صليبهم ومحالهم • عدوا محالك •

أي فإنهم كانوا نصارى ولاهم أصله اللهم فإن العرب تحذف الألف
واللام وتكتفي بما بقي ولذلك تقول لاه أبوك تريد لله أبوك
والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة والمحال بكسر
الميم القوة والشدة والغدو بالغين المعجمة أصله الغد وهو اليوم
الذي يأتي بعد يومك الذي أنت فيه ويقال إن عبد المطلب
جمع قومه وعقد ثابتين وعسكر بمنى وجم أي ظفر بنيته وبني ما ننقذ
من أبرهة ثم خرج بقومه إلى رؤوس الجبال لأنه علم أنه لا مراد أن تكون
الذرية في رؤوس الجبال أي وخرج معهم ثابتا لهم ثم رجع وجمع
إليه البتة ... ذكر في المواهب ثم إن أبرهة أمر رجلا
من قومه يهزم الجيش فلما وصل مكة ونظر إلى وجه عبد المطلب
خضع إليه خضوعا تاما فاستفاد المواهب كون قريش جبت جيشا
ثم قد لزم أن أبرهة أرسل رجلا من قومه ليهزم الجيش لا يخفى
ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيء القوم إلى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم

قد

واقعة [illegible] الحبشة

قد هلكوا أي عن آخرهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ما شاء الله من حمراء وبيضاء
ثم أذن أي أعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا أي وفي كلام
سبط ابن الجوزي وبعث عثمان بن عفان أن أباه عفان وعبد المطلب
وأبا مسعود الثقفي لما هلك أبرهة وقومه كانوا أول من نزل مخيمهم
فأخذوا من أموال أبرهة وأصحابه شيئا كثيرا ودفنوه عن قريش
فكانوا أغنى قريش وأكثرهم مالا • ولما مات عفان ورثه عثمان
ومن جملة من سلم من قوم أبرهة ولم يذهب بل بقي بمكة سائس الفيل
وقائده فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أدركنا قائد الفيل وسائسه
بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس وأورد على هذا أن الحجاج
ضرب الكعبة بضرب المنجنيق ولم يصبه شيء والجواب بأن الحجاج لم يجئ
لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وإنما قصد التضييق على
عبد الله بن الزبير ليسلم نفسه وهذا أولى من جواب المواهب كما
لا يخفى والله أعلم • وكان مولده صلى الله عليه وسلم بمكة في الدار
التي صارت تدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج أي وكانت قبل ذلك
لعقيل بن أبي طالب ولم تزل بيد أولاده بعده فانتقلت إلى أن باعوها
لمحمد بن يوسف أخي الحجاج بمائة ألف دينار ثم أدخلها
في داره وسماها البيضاء أي لأنها بنيت بالجص ثم طليت به فكانت
كلها بيضاء وصارت تعرف بدار ابن يوسف لكن سيأتي في فتح
مكة أنه قيل له يا رسول الله تنزل في الدار فقال هل ترك لنا عقيل
من رباع أو دور فإن هذا السياق يدل على أن عقيلا باع تلك
الدار فلم تبق بيده ولا بيد أولاده بعده إلا أن يقال المراد باع
ما عدا هذه الدار التي هي مولده صلى الله عليه وسلم أي لأنه
كما سيأتي في الفتح باع دار أبيه أبي طالب لأنه وطالبا أخاه
ورثا أبا طالب لأنهما كانا كافرين عند موته دون جعفر وعلي
لأنهما كانا مسلمين وعقيل أسلم بعد دون طالب فإن طالبا اختطفته
الجن ولم يعلم به وأما عقيل باع دار رسول الله صلى الله عليه وسلم
التي هي دار خديجة أي التي يقال لها مولد فاطمة وهي الآن مسجد

والدار التي ولد فيها صلى الله عليه وسلم

يصلى فيه بناه معاوية رضي الله عنه ايام خلافته قيل وهو افضل موضع
بمكة بعد المسجد الحرام اي لاشتهاره بمولد فاطمة ستر فيها والاظهر
لبقية اخوتها من خديجة وكان معاوية اشترى تلك الدار ممن
اشتراها من عقيل ويدل لما قلناه قول بعضهم ثم يعوض صلى الله
عليه وسلم بعد فتح مكة لتلك الدار التي ابتاعها في يد عقيل
اي التي هي دار خديجة فانه لم يزل بها صلى الله عليه وسلم حتى هاجر
فاخذها عقيل • وفي كلام بعضهم لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة
ضرب مخيمه بالحجون فقيل له الا تنزل منزلك من الشعب فقال
وهل ترك عقيل لنا منزلا وكان عقيل حين باع منزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومنازل اخوته حين هاجروا من مكة اي ومنزل
كل من هاجر من بني هاشم • وفي كلام بعضهم كان عقيل تخلف عنهم
عن الاسلام والهجرة فاذا اسلم تمام الحديبية التي هي في السنة
السادسة وباع دورهم فلم يرجع النبي صلى الله عليه وسلم في شي
منها وهي ان تلك الدار التي ولد بها عند الصفا قد بنتها زبيدة
زوجة الرشيد ام الامين مسجدا لما حجت • وفي كلام ابن دحية
ان الخيزران ام هارون الرشيد لما حجت اخرجت تلك الدار
من دار ابن يوسف وجعلتها مسجدا ويجوز ان تكون زبيدة جددت
ذلك المسجد الذي بنته الخيزران فنسب لكل منهما ويبان ان
الخيزران بنت دار الارقم مسجدا وهي عند الصفا ايضا ولعل
الامر التبس على بعض الرواة لان كلا منهما عند الصفا • وقيل
ولد صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم اقول قد يقال لا مخالفة
لانه يجوز ان تكون تلك الدار من شعب بني هاشم ثم رايت العز
بذلك ولا ينافيه ما تقدم في الكلام على الحمل ان شعب ابي طالب
وهو من جملة بني هاشم كان عند الحجون لانه يجوز ان يكون ابو
طالب انفرد عنهم بطرف الشعب والله اعلم • وقيل ولد صلى الله
عليه وسلم في الردم اي ردم بني جمح وهم من قريش ونسب لبني جمح
لانه ردم على من قتلوا اي الجاهلية من بني الحارث فقد وقع بين

بني

بني جمح وبني بني الحارث مقتلة وكان الظفر فيها لبني جمح فقتلوا منهم
جماعة كثيرا وردم على اوليك القتلى بذلك المحل وقيل ولد بعسفان انتهى • اقول
ما يرد القول بانه ولد بعسفان انه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة الا
ان يقال ان المراد بمكة ما هو الاصح عندهم • قال وفي الردم المحل الذي كانت فيه
ترى منه الكعبة قبل ويقال له الان المدعى لانه يدعى فيه بالدعاء الذي يقال
عند رؤية الكعبة ولم اقف على انه صلى الله عليه وسلم وقف به ولعله لم يكن ثم
مرتفعا في زمنه صلى الله عليه وسلم لانه انما رفعه سيدنا عمر رضي الله عنه في
خلافته فتسلطنا جا السيل الذي يقال له سيل ام نهشل وهي بنت عبيدة بن سعيد
ابن العاص فانه اخذها والقاها اسفل مكة فوجدت هناك ميتة ونقل
المقام الى ان القاه باسفل مكة ايضا فجي به وجعل عند الكعبة وكتب
عمر بذلك فجاء وهو فزع مرعوب ودخل مكة معتمرا فوجد محل المقام درس
وما كاد يعرف فيها لذلك ثم قال انشد الله عبدا عنده علم من محل
هذا المقام فقال المطلب بن رفاعة انا يا امير المؤمنين عندي ذلك
علم فقد كنت اخشى عليه مثل ذلك فاخذت قدره من موضعه الى باب الحجر
ومن موضعه الى زمزم بخياط فقال له اجلس عندي وارسل فارسل
يجي بذلك الخياط فقيس به ووضع المقام بمحله الان واحكم ذلك واستمر
الى الان فعند ذلك بني هذا المحل الذي يقال له الردم بالصخرات العظيمة
ودفنه فصار لا يعلوه السيل وصارت الكعبة تشاهد منه والا فقد
كانت للابنية صارت لا ترى ومع ذلك لا باس بالوقوف عنده
والدعاء فيه تبركا بمن سلف • ولعل هذا المحل قول من قال اول من نقل
المقام الى محله وكان ملصقا بالكعبة عمر بن الخطاب فلا ينافي ان
الناقل له هو صلى الله عليه وسلم كما سياتي لكن رايت ابن كثير قال
وقد كان هذا الحجر اي الذي هو المقام ملصقا بالكعبة على ما كان
عليه من قديم الزمان الى ايام عمر ابن الخطاب فاخره عنه لئلا
تشغل المصلون عنده الطائفين بالبيت هذا كلامه فقوله من قديم
الزمان ظاهره من عهد ابراهيم عليه السلام فليتامل • ومن كتب
الاحبار انه في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة اي وهو

ظاهر في ان كعب الاحبار كان قبل الاسلام على دين اليهودية • قال وعن
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن امه الشفاء اي بكسر الشين المعجمة و
وتخفيف الفاء وقيل بفتحهما وتشديد الفاء مقصورا قالت لما ولدت امنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي اي فهي دايته ووقع في كلام
ابن دحية ان ام ايمن دايته وقد يقال الملاقي الداية غلام ام ايمن له • فلما
قالت يحمد الله صلى الله عليه وسلم ومن ثم قيل لها حاضنته والشفا قابلته
وتقدم في ام الولادة والقابلة الامين والشفا وفي ام الحاضنة
البركة والها وفي ام مرضعته اولا التي هي ثويبة التواب وفي ام مرضعته
المستقلة برضاعه صلى الله عليه وسلم التي هي حليمة السعدية الحلم والسعد
قالت ام عبد الرحمن فسمعت قائلا يقول يرحمك الله او رحمك الله
ربك وهذا القول الذي لا يقال الا عند العطاس الذي هو التشميت
بالشين المعجمة والمهملة حمله بعضهم على الاستهلال الذي هو الصياح
المولود عندما يولد ويقال استهل المولود اذا رفع صوته على العطاس ثم
ثم الا يعرف بانه يجي في شيء من الاحاديث التصريح بانه صلى الله عليه
وسلم لما ولد عطس انتهى اي فقد قال الحافظ السيوطي لم اقف في شيء
من الاحاديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة
احاديث المولد من مظانها اي والعطس بفتح الطاء يعطس بكسر الطاء وضمها
وفي الفتح ولعله من نقل اهل اللغة لكن في القاموس التصحيح استهلال
الصبي العطاس وحينئذ يكون استهلال المولود له معنيان هما مجرد
رفع الصوت والعطاس وحملها على العطاس بقرينة الجواب
الذي لا يقال الا عند العطاس وقد اشار الى التشميت صاحب الهمزية
شمتته الاملاك اذ وضعته • وشفتنا بقولها الشفاء •
اي قالت له الاملاك يرحمك الله او رحمك ربك وقت وضع امه له
وشفتنا بقولها المذكور الشفاء التي هي ام عبد الرحمن بن عوف
الولدة لبعضهم ولعله صلى الله عليه وسلم حمد الله بعد عطاسه
لما تقرر من شرعه انه لا يستحق التشميت الا لمن حمد الله فتامل
هذا ويدل له ترجمه ما تقدم انه حين خروجه من بطن امه قال

ومما جا في العطاس

الحمد لله كثيرا وفي كلام بعض شراح الهمزية ويجوز ان يكون تشميته من غير حمد
تعظيما لقدره وقد جاء العاطس ان حمد الله فشمتوه وان لم يحمد فلا
تشمتوه • وجاء اذا عطس فحمد الله حق على كل من سمعه ان يشمته • وفي
الصحيح ان رجلا عطس عند النبي صلى الله عليه وسلم وحمد الله فشمته
وعطس اخر فلم يحمد الله فلم يشمته • وفي حديث حسن اذا عطس احدكم
فليشمته جليسه فان زاد على ثلاث مرات فهو مزكوم فلا يشمت بعد
ثلاث وتمسك بذلك اي الامر بالتشميت بصيغة افعل التي الاصل
فيها الوجوب زعموا لدعوى اهل الظاهر على وجوب التشميت على كل من سمع
وذهب بعض الائمة الى الوجوب على الكفاية وهو منقول عن مشهور مذهب
مالك • اي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس على الجليس اشد من
تشميت العاطس • وعن سالم بن عبد الله الاشجعي وكان من اهل الصفة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس احدكم فليحمد الله عز
وجل وليقل من عنده يرحمك الله وليرد عليهم يغفر الله لي ولكم •
ومن لطيف ما اتفق ان الخليفة المنصور دخل عنده بعض عماله فلما
حضر عنده عطس المنصور فلم يشمته ذلك العامل فقال له المنصور
ما منعك من التشميت فقال انك لم تحمد الله فقال حمدت في نفسي
فقال قد شمتك في نفسي فقال له ارجع الى عملك فانك اذا لم تحابيني
لا تحابي غيري • قال بعضهم والحكمة في قول العاطس ما ذكر انه ربما
كان العطاس سببا لانحلال عقدة فيحمد الله على ما انعم به ذلك انتهى
وقال غيرهم لان الاذى والابخرة المحتقنة تندفع به من الدماغ
الذي فيه قوة التفكر والتذكر اي فهو بحران الراس كما ان العرق بحران
البدن وذلك نعمة جليلة وفائدة عظيمة ينبغي ان يحمد الله تعالى عليها
اي ولان الاطباء كما ذكره بعضهم نصوا على ان العطاس من انواع الصرع
اعاذنا الله من الصرع وقد ينازع فيه ما تقدم وما ذكر بعض الاطباء
ان العطاس للدماغ كالسعال للرئة فاذا العطاس انفع الاشياء
لتخفيف الراس وهو كما يدل على نفض المواد الخبيثة ويسكن ثقل الراس
فيحصل منه النشاط والخفة • وفي نوادر الاصول للترمذي قال صلى الله

لطيفة

وحكمة التشميت

عليه وسلم هذا جبريل يخبركم عن الله تعالى ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات
متواليات الا كان الايمان في قلبه ثابتا • وفي الجامع الصغير ان الله يحب
العطاس ويكره التثاوب والعطسة الشديدة من الشيطان • وفي
الحديث العطاس شاهد عدل وفي حديث حق اصدق الحديث ما عطس
عنده • وقد جاء ان روح ادم لما ترلت الى جانبه عطس فلما نزلت
الى فيه ولسانه قال الله تعالى له قل الحمد لله رب العالمين فقالها
ادم فقال الحق يرحمك الله يا ادم ولذلك خلقتك وفي رواية للرحمة
خلقتك اي بمعونه • وقد روي الترمذي مرفوعا بسند ضعيف
العطاس والنعاس والتثاوب في الصلاة من الشيطان • وروي
ابن ابي شيبة موقوفا بسند ضعيف ايضا ان الله يكره التثاوب ويحب
العطاس في الصلاة اي من كل واحد من العطاس والتثاوب في
الصلاة من الشيطان والعطاس فيها احب الى الله من التثاوب
فيها والتثاوب فيها اكره الى الله من العطاس فيها لان الكثر اهمية
مغرونه بالتشكيك ويمكن حمل كون العطاس من الشيطان على شدته
ورفع الصوت به كما تقدم التقييد بذلك في الرواية السابقة
ومن ثم جاء اذا عطس احدكم اي هم بالعطاس فليضع يده او كفيه
على وجهه وليخفض صوته • اي وكلا ينافي وجود الشفا ووجود ام
عثمان بن العاص عند امه صلى الله عليه وسلم عند ولادته ما روي
عنها انها قالت لما اخذني ما ياخذ النساء يعني عند الولادة وانا في
وحدة في المنزل رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات عبد
مناف يحدقن بي • وفي كلام ابن المحدث ودخل علي نساء طوال
كانهن من بنات عبد مناف ما رايت اضوا منهن وجوها وكانت واحدة
من النساء تقدمت الي فاسندت اليها واخذني المخاض واشتد علي
الطلق وكانت واحدة ممن تقدمت الي ناولتني شربة من الما
اشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج واحلى من الشهد فقالت لي
اشربي فشربت ثم قالت الثالثة ازدادي فازددت ثم مسحت
بيدها على بطني وقالت بسم الله اخرج باذن الله فقالت لي اي

تلك

ومن حضر ولادة آمنة

اي تلك النسوة نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهولاء من الحور
العين لجواز وجود الشفا وام عثمان عندها بعد ذلك وتاخر خروجه
صلى الله عليه وسلم عن الوقت المذكور حتى ترد عليهن الشفا لا تقدم من
قولها وقع على يدي • وقد يتوجه ايضا آسية ومريم لولادته صلى الله عليه وسلم كونهما
يصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم اخت موسى ففي
الجامع الصغير ان الله تعالى زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامراة فرعون
واخت موسى وسيأتي عند موت خديجة انه صلى الله عليه وسلم قال لها
اشعرت ان الله قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثم اخت
موسى وآسية امراة فرعون فقالت الله اعلمك بهذا قال نعم قالت
بالرفاء والبنين • ولعل حكمة الله تعالى في هولاء النسوة عن ان يطاهن احد
قبله ذكر ان آسية لما ذكرت لفرعون احب ان يتزوجها فتزوجها
على كره منها ومن ابيها مع بذله لهما الاموال الجليلة فلما زفت له
وهم بها اخذه الله عنها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضي منها
بالنظر اليها • واما مريم فقيل انها زوجت بابن عمها يوسف النجار
ولم يقربها وانما تزوجها ليرافقها الى مصر لما ارادت الذهاب اليها
بولدها عيسى واقاموا بها اثنتي عشرة سنة ثم عادت مريم وولدها الى
الشام ونزلا الناصرة • واخت موسى لم يذكر انها تزوجت • وهذا ان
يفيد ان بنات عبد مناف او عبد المطلب على ما تقدم كن متميزات
عن غيرهن من النساء بفراط الطول • وقد رايت ان عليا بن عبد الله بن عباس
وهو جد الخليفتين السفاح والمنصور اول خلفا بني العباس ابوهما محمد
كان مفرطا في الطول اذا طاف كان الناس حوله وهو راكب وكان ينتهي هذا
الطول الى منكب ابيه عبد الله بن عباس وكان عبد الله بن عباس الى منكب
ابيه العباس وكان العباس الى منكب ابيه عبد المطلب لكن ابن الجوزي
اقتصر في ذكر الطول على عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وقيس بن سعد
وحبيب بن سلمة وعلي بن عبد الله بن عباس وسكت عن عبد الله بن عباس
وعن ابيه العباس وعن ابيه عبد المطلب • وفي المواهب ان العباس كان
معتدله وقيل كان طوالا ورايت ان عليا هذا جد الخلفا العباسيين كان يصلي

رد كانه صلى الله عليه وسلم في الجنة

ترجمة علي بن عباس

غاية في العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل حتى قيل انه كان في
اجمل قرشي على وجه الارض وكان يصلي في كل ليلة الف ركعة ولذلك
كان يدعى السجاد وان علي بن ابي طالب هو الذي سماه عليا وكناه ابا
الحسن وذلك روي ان عليا رضي الله عنه افتقد عبد الله بن عباس في
وقت صلاة الظهر فقال لاصحابه ما بال ابي العباس يعني عبد الله
لم يحضر فقيل له ولد له مولود فلما صلى علي قال امضوا بنا اليه فاتاه
فهناه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب زاد بعضهم
ورزقت بره وبلغ اشده ما سميته قال او يجوز لي ان اسميه حتى تسميه
فامر به فاخرج اليه فحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذ اليك
ابا الاملاك قد سميته عليا وكنيته ابا الحسن فلما ولي معاوية
الخلافة قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته يعني علي بن ابي
طالب كراهة في ذلك وقد كنيته ابا محمد فجرت عليه • وقد يخالف
ذلك ما ذكر بعضهم ان عليا المذكور لما قدم على عبد الملك بن مروان
قال له غير اسمك او كنيتك فلا صبر لي على اسمك وهو علي وكنيتك
وهو ابو الحسن قال اما الاسم فلا اغيره واما الكنية فاكتني بابي محمد
وانما قال عبد الملك ذلك كراهة في اسم علي بن ابي طالب وكنيته
وعلي هذا دخل هو وولدا ولده محمد وهما السفاح والمنصور وهما
صغيران يوما على هشام بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة فاكرمه هشام فقال
يوصيه بهما ويقول انه سيليان هذا الامر يعني الخلافة فصار هشام يتعجب •
من سلامة باطنه وينسبه في ذلك الى الحمق • ويقال ان الوليد بن عبد
الملك ايام ولي الخلافة قد بلغه عنه انه يقول ذلك فضربه بالسياط على
قوله المذكور واركبه بعيرا وجعل وجهه مما يلي ذنب البعير وصايح يصيح
عليه هذا علي بن عبد الله بن عباس الكذاب قال بعضهم فاتيته وقلت
له ما هذا الذي نسبوه اليك من الكذب قال بلغهم عني اني اقول ان هذا
الامر يعني الخلافة ستكون في ولدي والله لتكونن فيهم فكان الامر
على ما ذكر فانه ولي السفاح الخلافة ثم المنصور • وفي دلائل النبوة
للبيهقي ان عبد الله بن عباس قدم على معاوية فاجازه واحسن اليه

الجائزة

الجائزة ثم قال يا ابا العباس هل يكون لكم دولة قال اعفني يا امير المؤمنين
قال لتخبرني قال نعم قال فمن انصاركم قال اهل خراسان اي وهو ابو مسلم
الخراساني يجيء بجيشه مع رايات سود يسود ولد بني امية ويحمل الدولة
لبني العباس ببغداد لان ابا مسلم هذا قتل ستمائة الف رجل صبرا غير
الذي قتله في الحروب وهذه الرايات السود غير الذي قال صلى الله
عليه وسلم يقول اذا رايتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان
فأتوها فان فيها خليفة الله المهدي فان تلك الرايات تأتي قبيل قيام
الساعة ثم صارت الخلافة في اولاد المنصور وقول علي في ولدي واضح
لان ولد الولد ولد • وقد حكى نقران الزمان عن المأمون انه قال
حدثني ابي يعني هارون الرشيد عن ابيه المهدي عن ابيه المنصور
عن ابيه محمد بن علي عن ابيه علي عن ابيه عبد الله بن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال سيد القوم خادمهم • وذكر ان ابا بشر
عن المأمون انه كان يقول استخدام الرجل ضيفه لؤم • وكان يقول
لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا الي بالجرائم واني اخاف ان لا اوجر
على العفو اي لانه صار لي طبيعة وسجية • قالت امه صلى الله عليه وسلم
ورايت له ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما
على ظهر الكعبة والله اعلم • ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقعت عليه جفنة بفتح الجيم فانفلقت عنه فلقتين قال وهو يريد
انه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا وعن ابن عباس قال كان في عهد الجاهلية
اذا ولد لهم مولود من تحت الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى
يصبحوا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوه تحت برمة زاد
في لفظ ضخمة فالبرمة القدر فلما اصبحوا اتوا البرمة فاذا هي قد
انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء فعجبوا من ذلك • وعن امه انها قالت
فوضعت عليه الاناء فوجدته قد تفلق الاناء عنه وهو يمص ابهامه
يشخب اي يسيل لبنا انتهى • اي وفي العرائس ان فرعون لما امر بذبح
بني اسرائيل جعلت المرأة اي بعض النساء اذا ولدت الغلام انطلقت به
سرا الى واد او غار فاخفته فيه فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه

وقد يحكي

وعادة الجاهلية في اولادهم

ويتقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي اتى السامري لما جعلته امه في
غار من الملائكة جبريل فكان اي السامري يمص من احدى ابهاميه •
سمنا ومن الاخرى عسلا ومن ثم اذا جاع المرضع يمص ابهامه فيروى ثم
الحق فتحصل لذريته رزقا والسامري هذا كان منافقا يظهر الاسلام
لموسى ويخفي الكفر • ومما رواه ابن ان عبد المطلب هو الذي رفعه للسنوة
ليعقوه تحت ولانا اقول هذا هو الموافق لما بيناه عن ابن اسحاق من
ان امه لما ولدته ارسلت الى جده اي وكان بالبيت تلك الليلة فقالت
له يا ابا الحارث ولد لك مولود له امر عجيب فذعر عبد المطلب وقال اليس
بشرا سويا فقالت نعم ولكن سقط ساجدا ثم رفع راسه واصبعه الى السما
فاخرجته اليه فنظر اليه واخذه ودخل به الكعبة ثم خرج فدفعه اليها وبه
يظهر التوقف في قول ابن دريد اكبت عليه جفنة لئلا يراه احد قبل
جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه الا ان يقال يجوز ان يكون جده
اخذه بعد انفلاق الجفنة ثم دخل به الكعبة ثم بعد خروجه به من الكعبة
دفعه اليها وللسنوة ليعقوه تحت جفنة اخرى الا انه يبعد فانفلقت
تلك الجفنة الاخرى بحيث لا ينافي ذلك ما تقدم عن امه لم توجد الا انا
قد انفلق وهو يمص ابهامه • وعن اياس الذي يضرب به المثل في الذكاء قال
اذكر الليلة التي ولدت فيها وضعت امي على راسي جفنة فقال لامه ما شي
سمعته لما ولدت قالت يا بني طست سقط من فوق الدار الى اسفل ففزعت
منه فولدت تلك الساعة قال بعضهم يولد في كل مائة سنة رجل تام
العقل فكان اياس منهم ولعل هذا هو المراد بما جاء في الحديث يبعث الله
على راس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة امر دينها والمراد تواريخها
احدها بان يدرك اوائل المائة التي تليها بان تنقضي تلك المائة وهو
وهو حي الا اني لم اقف على ان اياسا من المجددين والله اعلم • وفي تفسير
ابن مخلد الذي قال فيه ابن حزم ما صنف مثله اصلا ان ابليس رن
اي صوت بحزن وكآبة اربع رنات رنة حين لعن ورنة حين اهبط •
ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهو المراد بقول بعضهم •
يوم بعث ورنة حين انزلت عليه صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب

وقد كان لابليس اربع رنات

والى رنته حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشار صاحب الهمزية بقوله •
لمولده قد رن ابليس رنة • فسحقا لذاك الغبي رنينه •
وعن عطا الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة
اجتمع اليه فيها جنوده من اقطار الارض فقالوا ما هذه الصرخة
التي قد افزعتنا قال امر نزل في لم ينزل قط اعظم منه قالوا وما هو
فتلى عليهم الاية وقال لهم فهل عندكم من حيلة قالوا اما عندنا من حيلة
فقال اطلبوا فاني سأطلب قال فلبثوا ما شاء الله ثم صرخ اخرى •
فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها الا التي
قبلها قال هل وجدتم شيئا قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما الذي
وجدت قال ازين لهم البدع التي يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون اي
لان صاحب البدعة يرى انه محق وهو مثاب ولا يرى انه خاطي حتى
يستغفر الله منها وقد جاء في الحديث ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة
حتى يدع بدعته اي لا يثيبه على عمله ما دام متلبسا بتلك البدعة
وعن الحسن قال بلغني ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا
ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الاهوا
اي البدع وقد جاء في الحديث اخاف على امتي من بعدي ثلاث خلال منها الاهوا
الحديث واهل الاهوا هم اهل البدع • وعن عكرمة ان ابليس لما ولد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وراى تساقط النجوم قال لجنوده لقد ولد الليلة
ولد يفسد علينا امرنا وهذا يدل على ان تساقط النجوم كان عند ابليس
علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم فقال لجنوده اذهبوا اليه
فخبلوه فلما دنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل فركضه
برجله ركضة حتى وقع بعدن • وكون تساقط النجوم كان عند ابليس
علامة على وجود نبينا صلى الله عليه وسلم مشكل مع قول بعضهم لما رجمت الشياطين
وسقطت من مقاعدها التي كانت تقعد فيها لاستراق السمع شكوا ذلك لابليس فقال لهم
هذا امر حدث في الارض وامرهم بان ياتوه بتربة كل ارض فصار يشمها الى ان
اتي بتربة ارض تهامة فلما شمها قال من هاهنا الحدث هكذا قال بعضهم عند

تساقط النجوم

عند ولادته صلى الله عليه وسلم الا ان يقال لا اشكال لان تساقط النجوم
وان كان علامة على وجود نبينا لكن في اي ارض على ان بعضهم انكر كون
تساقطها كان عند الولادة والمذكور في كلام غيره انما هو عند مبعثه صلى
الله عليه وسلم كما سياتي ولعله من خلط بعض الرواة وعبارة بعضهم
روي ان الشياطين كانت تصعد الى السماء تجاوز سماء الى غيرها فلما
ولد عيسى منعوا من مجاوزة سماء الدنيا وصاروا يسترقون السمع اي
في سماء الدنيا حتى ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعوا من التردد من
اليها اي وصاروا يسترقون السمع في سماء الدنيا في بعض الاحايين
ومن اكثر الاحايين يسترقون دونها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم
منعوا من السماء اصلا فصاروا لا يسترقون السمع الا دون سماء الدنيا • ثم
رايتني نقلت في الكوكب المنير في مولد البشير النذير عن ابن عباس ان
الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها وياتون
باخبارها مما يسمع في الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى حجبوا
عن ثلاث سموات وعن وهب عن اربع سموات فلما ولد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست بالشهب فما يريد احدهم استراق
السمع الا رمي بشهاب وسياتي عند المبعث ايضاح هذا المحل • وقد اخبرت
الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت
قال اني لغلام يفعة اي غلام مرتفع ابن سبع سنين او ثمان سنين اعقل
كل ما ابصر واسمع اذ يهودي بيثرب يصرخ ذات غداة على اطمة اي محل مرتفع
يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع فقالوا له ويلك ما لك قال طلع نجم
احمد الذي ولد به في هذه الليلة اي الذي طلوعه علامة على ولادته
صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة وحسان
هذا سياتي انه ممن عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين
سنة وكذا عاش ابوه ثابت وعشرون سنة وكذا جده ووالد جده قال
بعضهم ولا يعرف العرب اربعة تناسلوا وتساووا اعمارهم سواهم وكان حسان
يضرب بلسانه ارنبة انفه وكذا ابنه وابوه وجده • وعن كعب الاحبار
رايت في التوراة ان الله اخبر موسى عليه السلام عن وقت خروج محمد

صلى الله

وقد اخبرت الاحبار والرهبان بليلة مولده عليه السلام

صلى الله عليه وسلم اي من بطن امه وموسى اخبر قومه ان الكوكب المعروف عندهم
اسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد اي وصار ذلك
مما يتوارثه العلماء من بني اسرائيل • وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان
يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم
والله ما نعلم فقال احفظوا ما اقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة
الاخيرة اي وهو منكم معاشر قريش وقال او على كتفه اي عند كتفه علامة
اي شامة فيها شعرات متواترات اي متتابعات كانهن عرف فرس اي •
وتلك العلامة هي خاتم النبوة اي علامتها والدليل عليها لا يرضع ليلتين
وذلك في الكتب القديمة من ذلك يلتبسونه اي وعدم ارضاعه لعله لوعك
يصيبه • وفي كلام الحافظ ابن حجر وامره تعليله لعدم ارضاعه لان عفريتا
من الجن وضع يده في فيه وعند قول اليهودي ما ذكر تفرق القوم من مجالسهم
وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم اخبر كل انسان منهم اهله
فقالوا لقد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى
القوم حتى جاءوا اليهودي واخبروه الخبر اي قالوا له اعلمت انه ولد فينا ولد
فقال اذهبوا معي حتى انظر اليه فخرجوا حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي
الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فراى تلك الشامة فخر مغشيا
عليه فلما افاق قالوا له ويلك ما لك قال والله ذهبت النبوة
من بني اسرائيل افرحتم به يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة
يخرج خبرها من المشرق الى المغرب • اي وعن الواقدي انه كان بمكة
يهودي يقال له يوسف لما كان اليوم اي الوقت الذي ولد فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به احد من قريش قال يا معشر قريش
قد ولد نبي هذه الامة الليلة في بحرتكم هذه اي ناحيتكم وجعل يطوف في
انديتهم فلم يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسال فقيل له
قد ولد لعبد المطلب اي لعبد الله غلام فقال هو نبي التوراة • وكان
بمر الظهران راهب من اهل الشام يدعى عيص وقد كان اتاه الله علما كثيرا
وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس فيقول يوشك اي يقرب

ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين له العرب اي تذل وتخضع وتملك
العجم اي ارضها وبلادها هذا زمانه فمن ادركه اي ادرك بعثته ما
واتبعه اصاب حاجته اي ما يؤمله من الخير ومن ادركه وخالفه
اخطا حاجته فكان لا يولد بمكة مولود الا يسال عنه ويقول
ما جا بعد اي الى الان فلما كان صبيحة اليوم اي الوقت الذي ولد فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فوقف
على اصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال انا عبد المطلب وقد
الجاي له عبد الله ولد النبي صلى الله عليه وسلم بما علم انه يريد منه
وامه حامد ولعل غايته اخذ ذلك من قول الراهب لما قيل له
ما تري عليه اي على ذلك المولود فقال لكن اباه فقد ولد ذلك المولود
الذي كنت احدثكم به اي الذي طلوعه علامة على وجوده طلع البارحة
وعلامة ذلك ايضا انه الان وجع فيشتكي ثلاثا ثم يعافي • اقول
اي ولا يوضع في تلك الثلاث بلبنه فلا يخالف ما سبق من قول
الا حزله يوضع لبعلي ولا دله لدامي فقوله لكن اباه على ان الجاي للراهب
عبد الله لان عبد المطلب كان يقال له ابو النبي صلى الله عليه وسلم
ويقال للنبي ابن عبد المطلب وقال صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد
المطلب كما تقدم والله اعلم • ثم قال له فاحفظ لسانك اي لا تذكر
ما قلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد حسده احد ولم يبغ على
احد كما بغي عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت
في وتر دونها في احدي وستين او ثلاث وستين زاد في رواية
ودلك جلا عمار امته وعندولادته صلى الله عليه وسلم تنكست
الاصنام اي اصنام الدنيا وتقدم ايضا انها تنكست عند الحمل به
صلى الله عليه وسلم وتقدم ولا مانع من تعدد ذلك • وقال ان عيسى
عليه السلام لما وصفته امرحز كل شي يعبد من دون الله في مشارق
الارض ومغاربها ساجدة لوجهه وفزع ابليس فعن وهب بن منبه
لما كانت الليلة التي ولد فيها عيسى عليه السلام اصبحت الاصنام
في جميع الارض منكسة على رووسها ولما رووها على هواتها اتت ابليسه

فمارت

فمارت الشياطين لذلك ولم تعلم السبب فسكت الى ابليس فطاف ابليس في الارض
ثم عاد اليهم فقال رايت مولودا والملايكة قد حفت به فلم استطع ان ادنوا
منه وما كان نبي قبله اشد علي وعليكم منه واني لا ارجوا ان اضل به اكثر ممن يهتدي
به اقول قد علمت ان تنكس الاصنام تكرر لنبينا صلى الله عليه وسلم عند
الحمل به وعند الولادة فالخاص به ما كان عند الحمل لانها كانت عند
الولادة لمشاركة عيسى له في ذلك وبهذا يعلم ما في قول الجلال
السيوطي في خصايصه الصغري ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم تنكس
الاصنام لمولده • وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة فرايت الاصنام
سقطت من اماكنها وخرت سجدا وسمعت صوتا من جدار الكعبة يقول
ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ويطهر من عبادة الاصنام
ويامر بعبادة الملك العلام • ولا يخالف قول ابليس في حق عيسى لا استطيع
ان ادنوا اليه وتقدم في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ان ابليس دنى
منه فركضه جبريل لانا نقول يجوز ان يكون الدنو في حق نبينا صلى
الله عليه وسلم دنوا لمحله الذي هو فيه لا الى جسده والدنوا المنفي
في حق عيسى الدنو الى جسده فان قيل جا في الحديث ما من مولود يولد الا
يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان
اي لقول ام مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم •
وفي رواية كل ابن ادم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد
غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب وهي المشيمة •
التي يكون فيها الولد ولعل المراد بجنبه الايسر وعن قتادة كل
مولود يطعنه الشيطان باصبعه في جنبه فيستهل صارخا الا عيسى ابن مريم
وامه مريم ضرب الشيطان فاصابت الطعنة الحجاب الذي ضرب
الله عليهما فلم ينفذ اليهما منها شي ولعل هذا الحجاب هو المشيمة ويحتمل
ان يكون غيرها قلنا جا عن مجاهد ان مثل عيسى في عدم طعن
الشيطان له في جنبه حين يولد سائر الانبيا وذلك لا يقال من قبل
الراي وعلى تقدير صحته يكون تخصيص عيسى وامه بالذكر كان قبل
علمه صلى الله عليه وسلم بان سائر الانبيا كعيسى وامه وهذا الكلام

وتنكست الاصنام عند ولادته صلى الله عليه وسلم

طعنة ابليس كل مولود

يريد بيان الناس عاما من المفرد المعنى في قوله صلى الله عليه وسلم من قال اذا اراد
ان يأتي اهله بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا
فانه ان قدر بينهما في ذلك الوقت ولد من ذلك الجماع لم يضره الشيطان
ابدا فان المراد انه لا يطعن فيه عند ولادته بحيث يضره في عقله وبدنه وهذا
اي عدم ضرره من نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون من خصوص
ابليس فلا ينافي ما تقدم عن الحافظ ابن حجر ان عدم الانقطاعه صلى
الله عليه وسلم من ابليس يوم صرع عفريت من الجن يريد في فيه على
تسليم صحته وصاحب الكشاف اخرج المس وسائر الطعن عن حقيقته
وقال المراد به طمع الشيطان في اغوائه ونبه القاضي على ذلك وسيأتي
في شق صدره صلى الله عليه وسلم كلام يتعلق بذلك • ومن كلام الشيخ
محيي الدين ابن العربي اعلم انه لا بد لجميع بني ادم من العقوبة وادنى الالم
شيء بعد شيء الى حلول الجنة لا انه اذا انتقلوا الى البرزخ فلا بد له
من الالم ادناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلا بد من الم الخوف على
نفسه او غيره واول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا
لما يجده عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه
من الرحم فيحس بالم البرد فيبكي فان مات فقد اخذ حظه من البلاء
وقال بعد ذلك في قوله حكاية عن عيسى عليه السلام والسلام
علي يوم ولدت معناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال
عند الولادة حين يصرخ الولد اذا اخرج من بطن امه فلم يصرخ
عيسى بل وقع ساجدا لله حين خرج قلت مثل هذا مع قوله ان
استهلال المولود وصراخه حين يولد سببه الم البرد الذي يجده
عند مفارقة سخونة الرحم وقوله بل وقع ساجدا يدل على ان سجود
نبينا صلى الله عليه وسلم حين ولد ليس من خصائصه والله اعلم • وذكر
ان نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله
ابن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فاخذوه
فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة

فقالوا

ولابد لبني ادم من العقوبة

فقالوا ان هذا الامر حدث ثم انشد بعضهم ابياتا يخاطب بها الصنم ؛
ويتعجب من امره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم
بصوت جهير ينشد وهو يقول هذه الابيات بصوت عربي فصيح
تردى لمولود انارت بنوره • جميع فجاج الارض بالشرق والغرب
• والى ذلك اشار صاحب الهمزية رحمه الله بقوله •
وتوالت بشرى الهواتف ان قد • ولد المصطفى وحق الهناء •
اي تتابعت بشارة الهواتف جمع هاتف وهو ما يسمع صوته
ولا يرى شخصه بان قد ولد المصطفى المختار على الخلق كلهم وثبت
لهم الفرح والسرور • وليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تزلزلت
الكعبة ولم تسكن ثلاثة ايام ولياليهن وكان ذلك اول علامة
رأت قريش من مولد النبي صلى الله عليه وسلم • وارتجس اي اضطرب
وانشق ايوان كسرى انوشروان ومعنى انوشروان مجدد الملك
اي وكان بناء محكما مبنيا بالاحجار الكبار والجص بحيث لا يعمل فيه
الفؤوس مكث في بنايته نيفا وعشرين سنة اي وسمع لشقه صوت
هائل وسقط من ذلك الايوان اربع عشرة شرفة اي بضم الشين
المعجمة وسكون الراء اي وليس ذلك لخلل في بنايته وانما اراد الله
تعالى ان يكون ذلك اية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه
الدهر • اي وذكر ان الرشيد امر وزيره يحيى بن خالد البرمكي ؛
والد جعفر والفضل بهدم ايوان كسرى فقال له يحيى لا تهدم بناء
دل على فخامة شان بانيه فقال بل يا مجوسي ثم امر بنقضه فقدر له نفقته
على هدمه فاستكثرها الرشيد فقال له يحيى ليس يحسن بك ان تعجز
عن هدم شيء بناه غيرك هذا والذي رأيته في بعض المجاميع ان
المنصور لما بنى بغداد احب ان ينقض ايوان كسرى فان بينه وبينها
مرحلة ويبني به فاستشار خالد بن برمك فنهاه وقال هو اية
الاسلام ومن رآه علم ان من هذا بناؤه لا يزول امره وهو مصلى علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه والمؤنة في نقضه اكثر من الانفاق عليه ولا مانع
من تكرر طلب نقضه من المنصور ومن ولده الرشيد واما قال الرشيد

وانشق ايوان كسرى

عجيبة

ليحيى يا مجوسي لان جده والد خالد البرمكي وهو برمك كان مجوسيا
وكان من خراسان ثم اسلم وكان كاتبا عارفا محصلا لعلوم كثيرة
جا الى الشام في دولة بني امية فاتصل بهشام بن عبد الملك بن مروان فحسن
موقعه عنده وعلا قدره ثم لما زالت دولة بني امية وجات دولة
بني العباس صار وزيرا للسفاح ثم لاخيه المنصور وروي
عن برمك هذا حكاية عجيبة وهي انه صار الى زيارة ملك الهند
فاكرمه وانس به واحضر طعاما فاكلت حتى انتهيت فقال لي كل
فقلت لا اقدر واسد ايها الملك فامر باحضار قضيب فاخذ الملك
وامره على صدري فكاني لم اكل شيا ثم اكلت اكلا شديدا حتى
انتهيت فقال لي كل فقلت والله لا اقدر ايها الملك فامر باحضار
القضيب فامره على صدري فكاني لم اكل شيا قط فاكلت حتى انتهيت
فقال لي كل فقلت ما اقدر ايها الملك فاراد ان يمر بالقضيب على
صدري فقلت ايها الملك ان الذي دخل يحتاج الى ان يخرج فقال
صدقت واسك عني هذا السر عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك

ومن الحكم المأثورة

ومما يحفظ من يحيى بن خالد وهذا زيادة على ما تقدم اذا احببت انسانا
من غير سبب فارج خيره واذا ابغضت انسانا من غير سبب فتوق شره
ومما يحفظ عنه وقد قال له ولده واظنه الفضل وقد كان معه
مقيدا في حبس الرشيد بعد قتله لولده جعفر وصلبه ونهبه اموال
البرامكة ومن يلوذ بهم يا ابت بعد العز ونفوذ الكلمة صرنا الى هذا
الحال فقال يا ولدي دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها وما غفل
الله تعالى اي عنها قال ابو الفرج رضي الله عنه اياكم والدعا النيم
ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام اي والله تعالى
نعم يقول انا اظلم الظالمين ان غفلت عن ظلم الظالم وقد قال
صلى الله عليه وسلم اتق دعوة المظلوم فانما يسال حقه وان الله تعالى
لن يمنع ذا حق حقه وجا اتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله
حجاب وجا اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله تعالى
وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين والمراد بالغمام الغمام الابيض

الذي

ومما قاله والد يحيى البرمكي

الذي فوق السما السابعة المعنى يقول لقوله تعالى يوم تشقق السما بالغمام
اي لا تقوى على حمله اذا سقط وتفرد دعوة المظلوم استجابتها ولو بعد
زمن طويل فهو وان امهل الظالم لا يهمله وجا اتقوا دعوة المظلوم
فانها تصعد الى السما كانها شرارة اي تصعد الى السما السابعة فما فوقها
وجا اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانها ليس دونها حجاب
وقد قال بعض البلغا في هذا المعنى واحسن حيث قال
تنام عيناك والمظلوم منتبه • يدعو عليك وعين الله لم تنم
ومما قيل في يحيى ابن خالد هذا من المدح البليغ
سالت الندا هل انت حر • فقال لا ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شرا قال لا بل وراثة • توارثني من والد بعد والد
ومما يحفظ عن والد يحيى قوله شر المال ما لزمك الاثم في كسبه
وحرمت الاجر في انفاقه وقوله المعنى لا يطفى في الناس الا
سوا لانه يراهم بعين طبعه ومما قيل في جعفر من المدح
ترى الملوك لدى جعفر • ولا يصنعون كما يصنع
وليس باوسعهم في الغنا • ولكن معروفه اوسع
وخمدت نار فارس اي بيوت النار خمودها كما تقدم اي كتب لها صاحب فارس
ان بيوت النيران خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف عام
وغاضت اي غارت بحيرة ساوة اي يبست صارت يابسة كانها لم يكن بها
شي من الماء سنة انشاعها اي كتب له بذلك عامله باليمن والى
يشير صاحب الاصل رحمه الله تعالى بقوله
لولاه ايوان كسرى تشقق • بابه والحطت عليه شرفه
لولاه غارت بحيرة ساوة • واعقب ذاك المد جزر يبسه
لولاه نيران فارس اخمدت • فزعا لخماده كان جنسه
كان لم يكن بالامس زاد للنازل • وورد لعين المنهام معينه
والى ذلك ايضا يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله
وتداعى ايوان كسرى ولولا • اية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه • كربة من خمودها وبلاء

رؤيا الموبذان

وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها اطفاء •
اي ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم تهادم
ايوان كسرى انوشروان الذي كان يجلس فيه مع ارباب مملكته وكان
من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما ولولا وجود علة مرادة عند
الله لوجود نبيه ما تهدم هذا البناء المحكم ومن ذلك ايضا انه غارت
تلك الليلة كل واحد من بيوت نار الفرس التي كانوا يعبدونها خامدة
نيرانه والحال ان في ذلك البيت غما وبلاء عظيما من اجل سكون لهب تلك
النيران التي يعبدونها في وقت واحد • ومن ذلك ايضا غورها ببيوت الفرس
من الادهان حتى لم يبق منها قطرة وحصل بينهم توبيخا وتقريعا لهم
فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها اطفاء لتلك النيران ويقال
في جوابه لا بل اطفاؤها انما هو لوجود هذا النبي وظهوره صلى الله عليه
وسلم • ورأى الموبذان اي القاضي الكبير في علماء المجوس وهو
خادم النار الكبير ورئيس حكامهم وعنه يأخذون مسائل شرائعهم
رؤيا في نومه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا اي وهي خلاف البراذين
قد قطعت دجلة وهو نهر بغداد وانتشرت في بلادها اي والابل
كناية عن الناس ورأى كسرى ما هاله وافزعه اي انه بهول ارتجاس
الايوان وسقوط شرافاته فلما اصبح تصبر اي لم يظهر الاثر عليه
لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه لا يدخر ذلك اي هذا الامر
الذي هاله وافزعه عن مرازبته بفتح الزاي اي فرسانه وشجعانه
فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا عنده
قال اتدرون فيم بعثت لكم قالوا لا الا ان يخبرنا الملك فبينما هم كذلك
اذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران اي وورد عليه كتاب من صاحب
ايليا يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب
صاحب الشام يخبره ان وادي السماوة انقطع تلك الليلة وورد
عليه كتاب صاحب طبرية يخبره ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية
فازداد غما الى غمه ثم اخبرهم بما رأى وما هاله اي وهو ارتجاس
الايوان وسقوط شرفاته فقال الموبذان فانا اصلح الله

الملك

حضور عبد المسيح

الملك قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال اي
شيء هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث ايها الملك
بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فكتب
كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر اما
بعد فوجه الي برجل عالم بما اريد ان اسأله عنه فوجه اليه بعبد
المسيح الغساني اي وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين
سنة فلما ورد عليه قال الك علم بما اريد ان اسألك عنه قال
ليسألني الملك عما احب فان كان عندي علم منه والا اخبرته
بمن يعلمه فاخبره بالذي وجه اليه فيه فقال علم ذلك عند
خال لي يسكن مشارف الشام بالفاء اي اعاليها ويقال لها الجابية
المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فأته فاسأله عما سألتك
عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد
اشفى اي اشرف على الضريح اي الموت اي احتضر اي وعمره اذ ذاك
ثلثمائة سنة وقيل ستمائة سنة اي ولم يذكره ابن الجوزي في
المعمرين وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس
الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن
له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه
وفي لفظ ليس له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك
منه الا اللسان لكونه مخلوقا من ماء امرأة لان ماء الرجل يكون
منه العظم والعصب اي كما سيأتي عنه صلى الله عليه وسلم من
قوله نطفة الرجل يخلق منها العظم والعصب ونطفة المرأة
يخلق منها اللحم والدم قال ذلك حين سأله اليهودي فقال
له مم يخلق الولد منهما قال لهم ما ذكر فقالوا له هكذا كان يقول
من قبلك من الانبياء • وفيه ان يحيى عليه السلام على ما قيل انه
خلق من نطفة وهي نطفة امرأة كان فيه العظم والعصب فقد
تمثل لها الملك في صفة شاب امرد حتى اخذت من هو منها الى
احضن رحمها ولذلك لم يخلق من نطفة فقط وقد صرح بالاول السهيلي

محيي الدين ابن العربي حيث قال انكر الطبيعيون وجود ولد من ماء واحد
اي احد الزوجين وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء
امه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا لشدة اللذة بالنظر
اليه فنزل الماء منها الى الرحم فكون عيسى من ذلك الماء المتولد عن
النفخ الموجب للذة فما هو من ماء امه فقط هذا كلامه وكون سطيح
كان وجهه من صدره لم يخف سطيح بهذا الوصف فقد رايت ان عمرو
ذو الاذعار لما قيل له ذلك لانه سبي امة وجوهها في صدورها فذعر
الناس منهم وعمرو هذا كان في زمن سليمان بن داود عليهما السلام
وقيل قبله بقليل وملكت بلقيس بعد قتلها له. وكان لسطيح سرير
من الجريد والخوص اذا اريد نقله الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته
كما يطوى الثوب فيوضع على ذلك السرير فيذهب الى حيث يشاء واذا
اريد استخباره يخض من الغيبات يحرك كما يحرك وطب المخيض
اي سقا اللبن الذي يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلي ويعلوه النفس
فيخبر عما يسال وكانت جمجمته اذا لمست اثر اللمس فيها بلينها
قيل وهو اول كاهن كان من العرب وهذا يدل على انه سابق على شق
وقد تقدم في حفر زمزم ان الكاهنة التي ذهب اليها عبد المطلب
وقريش ليتحاكموا اليها تعللت فيهم سطيح ومنهم شق وذكرت ان
سطيحا يخلفها وعن عمر قال بعضهم لم يكن احد اشرف في الكهانة
ولا اعلم بها ولا ابعد فيها صيتا من سطيح وكان من غسان. وذكر
بعضهم ان سطيحا كان في زمن نزار بن معد بن عدنان وهو الذي قسم الميراث
بين بني نزار وهم مضر واخوته وهو يويد ما تقدم من انه عمر سبعمائة سنة
وشق وعبد المسيح كانوا رؤس الكهنة واهل العلم الغامض منهم
بالكهانة اي ولا منهم اهل العلم الغامض مسيلمة الكذاب من بني
حنيفة وسجاح كانت من بني تميم وسجاح اخرى كانت في بني سعد
والكهانة هي الاخبار عن الغيب والكهانة من خواص النفس
الانسانية لان لها استعداد للانسلاخ من البشرية الى الروحانية
التي فوقها. فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا

فانشد

اول كاهن من العرب

فانشد عبد المسيح يقول
اصم ام يسمع غطريف اليمن اي سيدهم الى اخر الابيات ذكرها فلما سمع
سطيح شعر عبد المسيح رفع راسه اقول فتنبيه لا منافاة بين اثبات
الراس هنا ونفيه في قوله لم يكن له راس لانه يجوز ان يكون المراد
المثبت الوجه لكن قد تقدم انه لم يكن عظم الا الراس فهي ذلك اثبات
الراس وقد يقال لما كانت راسه وكذلك الجمجمة يوثر فيها اللمس بلينها
لم يلتفتها للراس عظم شايع اثبات الراس له ونفيه عنه والله اعلم
وعند رفع راسه قال عبد المسيح على جمل مشيح اي سريع. الى سطيح.
وقد اوفى على الضريح اي المشرف والمراد به الموت كما تقدم. بعثك
ملك بني ساسان. لارتجاس الايوان. وخمود النيران. ورويا الموبذان
راي ابلا صعابا. تقود خيلا عرابا. قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها
يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة اي تلاوة القران. وظهر صاحب
الهراوة. وغارت بحيرة ساوه. وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس
مقاما. ولا الشام لسطيح شاما. يملك منهم ملوك وملكات. على عدد
الشرفات. وكلما هو ات ات. ثم قضى سطيح مكانه اي مات من ساعته
والهراوة بكسر الهاء وهي العصا الضخمة اي وهو النبي صلى الله عليه وسلم
لانه يمسك العصا كثيرا عند مشيه. وكان يمشي بالعصا بين يديه
وتغرز له فيصلي اليها وهي التي يقال لها العنزة. وفي الحديث حمل
العصا علامة المؤمن وسنة الانبيا وفي الحديث من بلغ اربعين
ولم ياخذ العصا عد اي عدم اخذ العصا من الكبر والتجبر والعجب
وقد يقال مراد سطيح بالعصا العنزة التي تغرز فيصلي اليها في غير
المسجد لا انه يعتمد عليها لان ذلك كان لمن كان قبله من الانبيا. وذكر
الطبري ان ابرويز ابن هرمز جاءه جاء في المنام فقيل له سلم ما في
يديك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه
النعمان بظهور النبي صلى الله عليه وسلم نهاية فعلم ان الامر سيصير
اليه. ولما مات سطيح نهض عبد المسيح الى راحلته وهو يقول
شمر فانك ماضي العزم شمير. ولا يغرنك تفريق وتغيير

جواب سطيح

حمل العصا علامة المؤمن

خبر سابور ذو الاكتاف

وانا من اولاد غلاة من علموا • ان قد اقد نخنو ردوا محجور •
والجو والسرسعز وناد في قرن • فالخير نتبع وان الشر محذور •
فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره بما قال سطيح قال كسرى الى ان
يملك منا اربعة عشر ملكا كانت امور وامور فملك منهم عشرة في اربع
سنين وملك الباقون الى خلافة عثمان رضي الله عنه اي فقد ذكر
ان آخر من هلك منهم كان في اول خلافة عثمان اي وكانت مدة ملكهم
ثلاثة آلاف سنة ومائتي سنة واربعا وستين سنة • ومن ملوك
بني ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع اكتاف
من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بني تميم وجدهم فروا منه ومن جيشه
ووجد فيها عمرو بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا في قفة
لعدم قدرته على الجلوس فاحضر وجيء به اليه فاستنطقه فوجد عنده
ادبا ومعرفة فقال له ايها الملك لم تفعل فعلك هذا بالعرب فقال
يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يد نبي يبعث في آخر الزمان فقال له
عمرو فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلا يضرك
وان يكن حقا الفك ولم تتخذ عندهم يدا يكافئونك بها ويحفظونك
بها في دولتهم فانصرف سابور وترك الغزو منه للعرب واحسن اليهم
بعد ذلك • وقد سلط عليهم ملوك وملكات لم اقف على اسماء
ملك منهم من النساء الا واحدة وهي بوران ولما بلغه صلى الله عليه وسلم
ذلك قال لن يفلح قوم ملكتهم امرأة فملكت سنة ثم هلكت وذكر
ابن اسحاق ان امه صلى الله عليه وسلم لما وضعته ارسلت الى
جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فانظر اليه فاتاه ونظر اليه
وحدثته بما رأت فاخذه عبد المطلب ودخل به الكعبة [illegible] وقام يدعو
الله ويتعوذ به ويشكر له ما اعطاه ثم خرج به الى امه فدفعه
اليها وقد تقدم الوعد بذلك وتقدم ما فيه • فائدة تكلم صلى الله
عليه وسلم في المهد اول ولادته واول كلام تكلم به ان قال الله
اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا انتهى اي وتقدم انه قال حين ولد
جلال ربي الرفيع كما اورده الشهاب ابن الاقفهسي [illegible]

واول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم

حين

من تكلم في المهد

كلام عيسى عليه السلام

حين خروجه وحين وضعه في المهد والمراد في المرة الثالثة وسبحان الله بكرة واصيلا
وحينئذ يكون تكلمه صلى الله عليه وسلم حين خروجه من بطن امه لم يثبت ذكره فيه
معجزة [illegible] ولادة نوح عليه الصلاة والسلام كما ياتي تكلمه حين
تكلم في المهد على الزمان الذي يجوز ان يكون المولود تكلم في المهد التكلم
فيه او ان الكلام ويقال انه قال ذلك عند فطامه وتقدم انه قال الحمد
لله كثيرا على الاحتمال الذي ابداه بعضهم كما تقدم ولا مانع من وجود جميع
الامور الثلاثة التي هي جلال ربي الرفيع والله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا حين ولادته وعلم من ذلك انه يتوقف على
نقل وحينئذ يكون [illegible] في بعض ذلك انما هو [illegible]
انما [illegible] ان الله [illegible] جلال ربي الرفيع بالنسبة لقوله الله اكبر
كبيرا والحمد لله كثيرا اما قبله والله اعلم • فائدة وقد تكلم في المهد جماعة
من غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام نظمهم الجلال السيوطي •
تكلم في المهد النبي محمد • ويحيى وعيسى والخليل ومريم •
ومبرئ جريج ثم شاهد يوسف • وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم •
وطفل عليه مر بالامة التي • يقال لها تزني ولا تتكلم •
وماشطة في عهد فرعون طفلها • وفي زمن الهادي المبارك يختم •
قال بعضهم لكن هو صلى الله عليه وسلم حصر من تكلم في المهد في ثلاثة
ولم يذكر نفسه فقد روي عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لم يتكلم
في المهد الا ثلاثة عيسى وصاحب جريج وابن المرأة التي مر عليها بامرأة
يقال انها زنت وقد يقال هذا الحصر انما هو في بني اسرائيل او ان
ذلك كان قبل ان يعلم ما زاد • وذكر ان عيسى عليه السلام تكلم في المهد وهو
ابن ليلة وقيل وهو ابن اربعين يوما اشار بسبابته وقال بصوت رفيع
اني عبد الله اي لما [illegible] بنو اسرائيل على مريم وهي حاملة له وانكروا عليها
ذلك واشارت اليهم ان كلموه وضربوا بايديهم على وجوههم تعجبا وقالوا
كيف نكلم من كان في المهد صبيا فقال لهم ما قصه الله تعالى • ثم ذكر ابني في
الكلام على قصة الاسراء والمعراج ذكرت ذلك وان عيسى تكلم يوم ولادته
قال له [illegible] خالته ام يوسف النجار وقد خرج في طلب امه وقد خرجت لما اخذها

ما يأخذ النساء الطلق عند الولادة خارج بيت المقدس وجلست تحت نخلة
يابسة فاخضرت النخلة من ساعتها وتدلت عراجينها وخرجت من تحتها
عين ماء وسمعته فحملنا ابشري يا يوسف وطب نفسا وقر عينا فقد اخرج
ربي من ظلمة الارحام الى هواء الدنيا وسأتي بنبي اسرائيل داود يوم الى
لما عند الحق فانصرف يا يوسف الى زكريا واخبره بولادة مريم وقول
ولدها ٭ وفي النطق المفهوم ان عيسى كلم يوسف المذكور
وهو في بطن امه فقد قيل اذا ولدني ثم يجد مريم فقال لها متزعا
بها يا مريم هل انبتت الارض زرعا من غير بذر وهل يكون ولد
من غير فحل فناداه عيسى وهو في بطنها ثم فاطلق الى ملاك
واستغفر ربك مما وقع في قلبك ٭ وعن ابي هريرة ان عيسى عليه
السلام تكلم في المهد ثلاث مرات حتى بلغ المدة التي تتكلم فيها
الصبيان ابد لعل المدة الثالثة هي التي حمد الله تعالى فيها بحمد
لم تسمع الاذان بمثله فقال اللهم انت القريب في علوك المتعالي
في دنوك الرفيع على كل شي من خلقك خارت الابصار دون النظر
اليك ٭ ومبري جريج تكلم كذلك في بطن امه قيل لذا من ابوك — كلام مبري جريج
فقال الراعي عبد بني فلان وتكلم بعد خروجه من بطن امه
فقد تكلم مرتين مرة في بطن امه ومرة وهو طفل كذا في النطق
المفهوم ولم اقف على وقت كلامه ولا على ما تكلم به ٭ واما
يحيى عليه السلام فتكلم وهو ابن ثلاث سنين فقال لعيسى — وكلام يحيى
اشهد انك عبد الله ورسوله ٭ والخليل عليه السلام تكلم
وقت ولادته ولم نقف على بيان ما تكلم به وفي كونه ابن ثلاث سنين
وكون من تكلم في المهد ووقت ولادته يكون في المهد نظر الا
ان يكون المراد بالتكلم في المهد التكلم في صغره وان الكلام لم
اقف على سن من تكلم في المهد غير من ذكر وغير الطفل الذي للملك
الاخدود فانه لما جي بامه لتلقى في نار الاخدود لتكفر وهو معها — كلام طفل ذي الاخدود
وهو مرضع فتقاعست فقال لها يا امه اصبري فانك على الحق
قال ابن قتيبة كان سنه سبعة اشهر ٭ وفي النطق المفهوم ان

شاهد

كلام شاهد يوسف — شاهد يوسف كان عمره شهرين وكان ابن داية زليخا ٭ وفي الخصائص
الصغرى وخص بكلام الصبيان في المراضع وشهادتهم له بالنبوة ذكر
ذلك الهدد را الدماميني هذه العلامة وفيه نظر لانه لم يشهد له بالنبوة
من هو له الا مبارك اليمامة حيا وقفت عليه ٭ ورايت في الاجوبة
المسكتة لابن عون ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لم تزل
نبيا قال نعم قالوا فلم لم تنطق في المهد كما نطق عيسى قال ان الله خلق
عيسى من غير فحل فلولا انه نطق في المهد لما كان لمريم عذر واخذت بما يوخذ
به مثلها وانا ولدت بين ابوين هذه العلامة وهو مخالف لما تقدم ان النبي
صلى الله عليه وسلم تكلم في المهد الا ان يقال ان مراده لو لم ينطق في
المهد بمثل الذي نطق به عيسى او ان ذلك منه صلى الله عليه وسلم ارهاص
لشان نبينا مثل ٭ ثم رايت ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما سقط — كلام الخليل عليه السلام
على الارض استوى قائما على قدميه وقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد الحمد لله الذي هدانا لهذا قال في النطق المفهوم
ولد بالنار الذي ولد به نوح ولوط عليهما السلام وبينهما لهذا و — ومن ذلك الغرائب
من التوراة عار النور ٭ ويلحق لهولاء ما ذكره الشيخ محيي الدين ابن
العربي قال تكلمت بنتي زينب مرة وهي في سن الرضاعة قريبا عمرها
من سنة ما تنوف بين في الرمل بجامع حليلتها ولم يتزل لك يحيى عليه
الفضل الحاضرون من ذلك ثم اني فارقت تلك البنت وغبت عنها
سنة في مكة وكنت اذنت لوالدتها في الحج فجاءت مع الركب الشامي فلما
خرجت لملاقاتها راتني من فوق الجمل وهي ترضع فقالت بصوت فصيح
قبل ان تراني امها هذا ابي وضحكت وارمت بنفسها الي ٭ قال وقد رايت
ابي تعلمت من اجاب امه بالتشميت وهو في بطنها حين عطست وسمعه
الحاضرون كلهم من جوانبها تشهد عندي الثقات بذلك قال
وهذا لا بجمعة الله بعلمه وهو في بطن امه ولا يجحد قوله في والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا لانه لا يلزم من العلم حضوره
مع علمه دائما ٭ ومن النطق المفهوم ان يوسف عليه السلام تكلم في بطن امه — كلام يوسف الصديق عليه السلام
فقال انا المفقود والمغيب عن وجه ابي زمانا طويلا فاخبرت امه والدته

كلام نوح عليه السلام وموسى عليه السلام

كلام مبارك اليمامة

وكان صلى الله عليه وسلم يناغي القمر

فقال لها اكفني امرك • وفيه ان نوحا عليه السلام تكلم عقب ولادته فان
امه ولدته في غار خوفا عليه وخلفته فلما وضعته وارادت الانصراف
نادت وا نوحاه فقال لها لا تخافي احدا علي يا اماه فان الذي خلقني
يحفظني • وفيه ان ام موسى لما وضعت موسى عليه السلام استوى قاعدا
وقال يا اماه لا تخافي اي من فرعون ان الله معنا • ومبارك اليمامة قال
بعض العلماء به دخلت دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورايت منه عجبا جاءه رجل بصبي يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا فقال الغلام بلسان فصيح طلق انت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم
بعد فكنا نسميه مبارك اليمامة وكانت هذه القصة في حجة الوداع •
وكان صلى الله عليه وسلم يناغي القمر وهو في مهده اي يحدثه يقال
ناغت المراة الصبي اذا كلمته بما يسره ويعجبه وعد ذلك من خصائصه
صلى الله عليه وسلم ففي حديث فيه مجهول وقيل فيه انه غريب المتن
والاسناد عن عمه العباس رضي الله عنه انه قال يا رسول الله دعاني
الى الدخول في دينك اشارة اي علامة لنبوتك رايتك في المهد
تناغي القمر اي تحدثه فتشير اليه باصبعك فحيث ما اشرت اليه مال
قال كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته اي سقطته
حين يسجد تحت العرش اي ولم اقف على سنده صلى الله عليه وسلم حينئذ
وكان من مهده صلى الله عليه وسلم يحركه تحريك الملائكة وعده
ابن سبع من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم

باب تسميته صلى الله عليه وسلم

محمدا واحمد لا يخفى ان جميع اسمائه الشريفة مشتقة من صفات قامت
به توجب له المدح والكمال فله من كل وصف اسم حال وكما ان الله عز وجل
الف اسم للنبي صلى الله عليه وسلم الف اسم عن ابي جعفر محمد بن علي بن ابي
طالب رضي الله تعالى عنه وهو الباقر سمي به لبقره العلم اي شقه قال امرت
امنة اي في المنام وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسميه احمد
وعن ابن اسحاق ان تسميه محمدا وقد يقال قال والثاني هو المعهود في الاول

اي وعلى الاول اقتصر الحافظ الدمياطي والمسمى له محمدا جده عبد المطلب فعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عنه يوم سابع
ولادته جده بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما حملك على ان تسميه
محمدا ولم تسمه باسم ابائه وليس من اسماء ابائك ولا قومك قال اردت
ان يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الارض انتهى اقول وهذا هو الموافق لما
اشتهر ان جده سماه محمدا بالهام من الله تعالى تفاؤلا بان يكثر حمد الخلق له لكثرة
خصاله الحميدة التي يحمد عليها ولذلك كان ابلغ من محمود والى ذلك يشير حسان بقوله
فشق له من اسمه ليجله • فذو العرش محمود وهذا محمد •
وهذا الالهام لا ينافي ان تكون امه قالت له انها امرت ان تسميه بذلك وقد حقق
الله تعالى رجاه بانه صلى الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة والخلال
المحبوبة فتكاملت له المحبة في الخلائق ذا الحقيقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة
وفي الخصائص الصغرى وخص باشتقاق اسمه من اسم الله تعالى وبانه
صلى الله عليه وسلم سمي احمد ولم يسم به احد قبله ولا فائدة لكثرة في
معناه لانه لا يقال الا لمن حمد المرة بعد المرة لما يوجد من المحاسن والمناقب
اذ هي بعضهم انه من صيغ المبالغة اي الصيغ المنسوبة لمبالغة بالمعنى المذكور
استعمالا له وضعا لان الصيغ الموضوعة لافادة المبالغة منحصرة في
الصيغ الخمسة وليس هذا منها وهذا السياق يدل على ان تسميته صلى الله
عليه وسلم به لذلك كانت في يوم العقيقة وان العقيقة كانت في اليوم
السابع من ولادته وتقدم ولد الليلة لعبد المطلب غلام سموه محمدا
وهو يدل على ان تسميته صلى الله عليه وسلم به لذلك كان في ليلة ولادته
او يومها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون قد لو هنا سماه محمدا اظهر
تسميته بذلك لعموم الناس وهذا التعليل لتسميته بهذا الاسم يرشد الى
ما قيل اقتضت الحكمة ان يكون بين الاسم والمسمى تناسب في الحسن او
القبح واللطافة والكثافة وربما غيره ومن ثم غير صلى الله عليه وسلم
الاسم القبيح بالحسن وهو كثير وربما غير الاسم الحسن بالقبيح للمعنى
المذكور كتسميته لابي الحكم بابي جهل وتسميته لابي عامر الراهب بالفاسق
وكان صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه ادع لي اناسا يحلبون لي

رؤيا عبد المطلب

ناقتي فجاء بانسان فقال له ما اسمك قال حرب فقال اذهب فجاء باخر فقال
ما اسمك قال يعيش فقال احلبها • ويروى انه صلى الله عليه وسلم طلب
شخصا يجز له بئرا فجاءه رجل فقال له ما اسمك قال دم فقال اذهب وليس
هذا من التطير التي كرهها لنهيه عنها وانما هو من كراهة الاسم القبيح
ومن ثم كان يكتب لامرائه اذا ابردتم لي بريدا فابردوه اي ارسلوه
الي رسولا حسن الوجه حسن الاسم ومن ثم لما قال له سيدنا عمر لما قال
لمن اراد ان يحلب له ناقته او يجز له البئر ما تقدم لا ادري اقول ام اسكت
فقال له صلى الله عليه وسلم قل فقال قد كنت نهيتنا عن التطير فقال
له صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكني آثرت الاسم الحسن • وللجلال
السيوطي كتاب فيمن غير اسمه صلى الله عليه وسلم ولم اقف عليه • ورايت
في كلام بعضهم ان حزن ابن ابي وهب اسلم يوم الفتح وهو جد سعيد بن المسيب
اراد النبي صلى الله عليه وسلم تغيير اسمه وتسميته سهلا فامتنع وقال
لا اغير اسما سمانيه ابواي قال سعيد فلم تزل الحزونة فينا واسالم
اي وفي حديث انه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعدما جاءته النبوة
قال الامام احمد وهذا منكر اي حديث منكر والحديث المنكر من اقسام
الضعيف لا انه باطل كما قد يتوهم والحافظ السيوطي لم يتعرض لذلك بل
وجعله اصلا لعمل المولد قال لان العقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك
على ان هذا الذي فعله صلى الله عليه وسلم اظهار للشكر على ايجاد
الله تعالى اياه رحمة للعالمين وتشريعا لامته كما كان يصلي على نفسه
فيستحب لنا اظهار الشكر بمولده صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ويروى
ويروى ان عبد المطلب سماه محمدا لرؤيا راها اي في منامه اي كان سلسلة
خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف
في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق
واهل المغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه
يتبعه اهل المشرق واهل المغرب ويحمده اهل السماء واهل الارض فلذلك
فلذلك سماه محمدا اي مع ما حدثته به امه بما رات كما تقدم • وفي
ابي نعيم عن عبد المطلب قال بينا انا نائم في الحجر اذ رايت رؤيا هالتني

ففزعت

ففزعت منها فزعا شديدا فاتيت كاهنة قريش فلما نظرت الي عرفت في وجهي التغير
فقالت ما بال سيدنا متغيرا هل رابه من حدثان الدهر شيء فقلت لها بلى اني
رايت الليلة وانا نائم في الحجر كان شجرة نبتت قد نال راسها السماء وضربت
باغصانها المشرق والمغرب وما رايت نورا ازهر منها ورايت العرب والعجم
ساجدين لها وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا ورايت رهطا من قريش
قد تعلقوا باغصانها ورايت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا
منها اخذهم شاب لم ار احسن منه وجها ولا اطيب منه ريحا فيكسر اظهرهم ويقلع
اعينهم فرفعت يدي لاتناول منها نصيبا فلم انل فانتبهت مذعورا فزعا
فقال رايت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن
من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس وعند ذلك •
قال عبد المطلب لابنه ابي طالب لعلك ان تكون هذا المولود فكان
ابو طالب يحدث بهذا الحديث بعد ما ولد صلى الله عليه وسلم ويقول كانت
الشجرة محمدا صلى الله عليه وسلم وفي الامتاع لما مات قثم بن عبد المطلب
قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وهو ابن تسع سنين
وجد عليه وجدا شديدا فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه قثم
حتى اخبرته امه آمنة انها امرت في منامها ان تسميه محمدا فسماه محمدا انته
اي ولا مخالفة بين هذه الروايات على تقدير صحتها لانه لا يخفى انه يجوز
ان يكون سماه بتلك الرؤيا بعد تذكرها ويكون معنى سؤالها لما حملت على
ان تسميه محمدا او ليس منها بما امرت • وذكر بعضهم انه لا يعرف في العرب
من تسمى بهذا الاسم يعني محمدا قبله الا ثلاثة طمع اباؤهم حين وفدوا على
بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول واخبرهم بمبعث النبي صلى
الله عليه وسلم اي بالحجاز وبقرب زمنه وباسمه المذكور الذي هو محمد
وهو يدل على ان اسمه في بعض الكتب القديمة محمدا وكان كل واحد منهم
قد خلف زوجته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ولد ذكر ان يسميه
محمدا ففعلوا ذلك • ومن الشعار في هذين الاسمين محمد واحمد من
بدائع اياته اي المصطفى وعجائب خصائصه ان الله تعالى حفظهما من ان
يتسمى بهما احد قبل زمانه اي قبل شيوع وجوده اما احمد الذي اتى في الكتب

ولم يتسم احد قبله باحمد

القديمة وبشرت به الانبيا فمنع الله بحكمته ان يتسمى به احد غيره ولا يدعى
به مدعو قبله منذ خلقت الدنيا وفي حياته زاد الزين العراقي
ولا في زمن اصحابه حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك • اي
فالتسمية به من خصائصه صلى الله عليه وسلم على جميع الناس ممن تقدمه
خلافا لما يوهمه كلام الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى انه من
خصائصه على الانبيا فقط ومن ثم ذهب بعضهم الى افضليته على محمد
وقال الصلاح الصفدي ان احمد ابلغ من محمد كما ان احمر واصفر ابلغ من
محمر ومصفر ولعله لكونه منقولا عن افعل التفضيل لانه صلى الله
عليه وسلم احمد الحامدين لربه العالمين لانه يفتح عليه في المقام
المحمود بمحامد لم تفتح على احد قبله • وفي الهدي لو كان اسمه احمد
باعتبار حمده لربه لكان الاولى ان يسمى الحماد كما سميت بذلك امته
وانما هو الذي يحمده اهل السما والارض لكثرة خصائله المحمودة
التي تزيد على عد العادين واحصا المحصين اي احمد الناس
واولاهم بان يحمد فهو كمحمد في المعنى فهو ماخوذ من الفعل الواقع
على المفعول لا الواقع من الفاعل والفرق بين احمد ومحمد ان
محمدا من كثر حمد الناس له واحمد من يكون حمد الناس له افضل من
حمد غيره وبهذا فهم السخاوي ان احمد المحمودين واحمد الحامدين
فيجوز ان يكون احمد ماخوذا من الفعل الواقع على المفعول كما يجوز
ان يكون ماخوذا من الفعل الواقع من الفاعل • وفي كلام السهيلي
ثم انه لم يكن محمدا حتى كان احمد فبا احمد ذكر قبل ان يذكر بمحمد لان
حمده لربه كان قبل حمد الناس له واطال في بيان ذلك • وفي كلام بعض فقهاء
متاخري الشافعية انه ليس في احد من اللفظين ما في محمد لانه اشهر اسمائه صلى
الله عليه وسلم وافضلها فلذلك لا يكفي الاتيان باحمد بدل محمد في التشهد

واختلف اي الاسمين افضل

وقد جا احب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن قال بعضهم وعبد الله
احب من عبد الرحمن لان اضافة العبد الى الله المختص به تعالى اتفاقا وعبد
الرحمن مختص به على الاصح ومن ثم سمي نبينا صلى الله عليه وسلم في القران
بعبد الله قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه وعليها فاد كرهما

وافضل الاسماء

يكون

اول من تسمى احمد في الاسلام

يكون بعد عبد الرحمن المذكور في قوله تعالى وعباد الرحمن احمد ثم محمد اي وبعدهما
ابراهيم خلافا لمن جعله بعد عبد الرحمن • وذكر بعضهم ان اول من تسمى باحمد بعد
نبينا ولد لجعفر بن ابي طالب وعليه يشكل ما تقدم عن الزين العراقي وقيل والد
الخليل اي ولعل المراد به الخليل بن احمد صاحب العروض ثم رايت الزين العراقي
صرح بذلك حيث قال واول من سمي في الاسلام باحمد والد الخليل بن احمد
العروضي ويشكل على ذلك وعلى قوله لم يتسم به احد في زمن الصحابة تسمية
ولد جعفر بن ابي طالب بذلك الا ان يقال لم يصح ذلك عند العراقي وهو
خامس خمسة كل تسمى الخليل بن احمد وزاد بعضهم سادسا وكذلك محمد
لم يتسم به احد قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده الا بعد ان
شاع ان نبيا يبعث اسمه محمد اي بالحجاز وقرب زمنه فسمى قوم قليل من
العرب ابناءهم بذلك وحمى الله تعالى هولا ان يدعي احد منهم النبوة او يدعيها
احد له او يظهر عليه شي من سماتها اي علاماتها حتى تحققت له صلى الله
عليه وسلم • وفي دعوى ان الذي في الكتب القديمة انما هو احمد يخالف
ما سبق وما ياتي عن التوراة والانجيل اي فالمراد بالكتب القديمة
غالبها فلا ينافي ان في بعضها اسمه محمد وفي بعضها الجمع بين احمد ومحمد
قال بعضهم سمعت محمد بن عدي وقد قيل له كيف سماك ابوك في الجاهلية
محمدا قال سالت ابي عدي اي عما سالتني عنه فقال خرجت رابع
اربعة من تميم نريد الشام فنزلنا عند دير فاشرف علينا الديراني
وقال ان هذه للغة ما هي لغة اهل هذه البلد فقلنا نحن قوم من مضر
فقال من اي المضاير فقلنا من خندف فقال انه سيبعث فيكم نبي
وشيكا اي سريعا فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا فانه خاتم
النبيين فقلنا ما اسمه فقال محمد ثم دخل ديره فوالله ما بقي احد منا الا
وقع قوله في قلبه فاضمر كل واحد منا ان رزق ولدا سماه محمدا رغبة
فيما قال اي فنذر كل واحد منا ذلك فلا يخالف ما سبق فلما انصرفنا
ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا رجاء ان يكون اياه هو والله اعلم
حيث يجعل رسالاته اقول يجوز ان يكون هولاء الاربعة منهم الثلاثة
الذين وفدوا على بعض الملوك وحينئذ تذكرتهم هذا القول من الملك

ومن ماجاله بر واظهار ذلك لا ينافي تقدم فالمراد باظهاره تقدمه كما تقدمنا
ويجوز ان يكونوا قبلهم فيكونوا تبعه • وذكر ابن ظفر ان سفيان ابن
مجاشع نزل على حي من بني تميم فوجدهم مجتمعين على كاهنتهم وهي تقول
العزيز من والاه والذليل من عاداه فقال لها سفيان من تذكرين
لله ابوك فقالت صاحب هدى وعلم وحرب وسلم فقال سفيان
من هو لله ابوك فقالت نبي مؤيد قد آن حين يوجد ودنا اوان
يولد يبعث للاحمر والاسود • اسمه محمد فقال سفيان اعربي ام
عجمي فقالت اما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان
انه لمن معد بن عدنان حسبك فقد اكثرت يا سفيان فامسك
عن سؤالها ومضى الى اهله وكانت امراته حاملا فولدت له ولدا
فسماه محمدا رجاء ان يكون هو النبي الموصوف والله اعلم • وقد
عدهم بعض العلماء ستة عشر وذكرهم في نظم له فقال •
ان الذين سموا باسم محمد • من قبل خير الخلق ضعف ثمان •
ابن البراء مجاشع بن ربيعة • ثم ابن مسلم يا اخي حرماني •
ليثيهم السلمي وابن اسامة • سعدي وابن سواءه همداني •
وابن الجلاح مع الاسيدي يا فتى • ثم الفقيمي هكذا الحمراني •
قال بعضهم وفاته اخران لم يذكرهما وهما محمد بن الحارث ومحمد
ابن عمرو بن مغفل بضم اوله وسكون المعجمة وكسر الفاء ثم لام • ووقع
النزاع الكثير والخلاف الشهير في اول من سمي بذلك الاسم
منهم احول وفي شرح الكفاية لابن الهمام ويمكن ان يكون من زاد
على اولئك الاربعة او السبعة سمع ذلك من بعضهم فانه ذكر به
من ذلك طمعا فيما طمع فيه وشك ذلك وقع لبني اسرائيل فان يوسف
عليه السلام لما حضرته الوفاة اعلم بني اسرائيل بخصوص اجله وكان
اول انبيائهم فقالوا الرباني انه انا نحب ان نعلم ما يولد فينا
امرنا بعد حتى دخلت من بين اظهرنا في امورنا فقال لهم انا
لم تزل مستقيمة حتى يظهر عليكم رجل جبار من القبط يدعي الربوبية
يذبح ابناءكم ويستحيي نساءكم ثم يخرج في بني اسرائيل رجل اسمه موسى

ابن

عدد من سمي محمدا واول من سمي به

وبشارة الانبيا لبني اسرايل

٦٤

ابن عمران فينجيكم الله تعالى به فجعل كل واحد من بني اسرائيل اذا جاءه ولد
يسميه عمران رجاء ان يكون ذلك النبي المنتظر ولا يخفى ان بين عمران •
ابي موسى وعمران ابي مريم ام عيسى وهو اخر انبياء بني اسرائيل الفا وثمانمائة
سنة والله اعلم • والذي ادرك الاسلام ممن تسمى باسمه صلى الله عليه
وسلم محمد بن ربيعة ومحمد بن الحارث ومحمد بن مسلمة وادعى بعضهم ان
محمد بن مسلمة ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باكثر من خمسة عشر
سنة • اي وقد ذكر ابن الجوزي ان اول من تسمى في الاسلام محمد محمد
ابن حاطب • وعن ابن عباس اسمي في القران اي كالتوراة محمد
وفي الانجيل احمد • واما فضل التسمية بهذا الاسم اعني محمد
فقد جاء فيه احاديث كثيرة واخبار شهيرة منها انه صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اعذب احدا تسمى باسمك في
النار اي باسمك المشهور وهو محمد او احمد • ومنها ما في تاريخ وصف
محفر كلياس اسمه محمد او احمد اي وفي رواية فيها يمهل الا قد الله
ذلك المنزول لكل يوم مرتين • ومنها قال يوقف عبدان اي اسم احدهما
احمد والاخر محمد بين يدي الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان
ربنا بما استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا تجازينا به الجنة فيقول الله
لهما ادخلا الجنة فاني اليت على نفسي ان لا يدخل النار من اسمه
احمد ومحمد لكن قال بعضهم لم يصح في فضل التسمية بمحمد حديث وكلما
ورد فهو موضوع قال بعض الحفاظ واصحها اي اقربها للصحة من ولد
له مولود فسماه محمدا حبا لي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة
وعن ابي رافع عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سميتم محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه وفي رواية طعن فيها
بان بعض رواتها متهم بالوضع فلا تسبوه ولا تجبهوه ولا تقبحوه
وشرفوه وعظموه واكرموه وبروا قسمه واوسعوا له في المجلس
ولا تقبحوا له وجها يورث في محمد وفي بيت فيه محمد ويحل فيه محمد
وفي رواية تسمونه محمدا ثم تسبونه وفي رواية طعن فيها انما ينبغي
ان يذكر الاسم بقولهم يا محمد ثم يعزره • وعن ابن عباس رضي الله عنهما

فضل التسمية باحمد ومحمد

من ولد له ثلاثة اولاد فلم يسم احدهم محمدا فقد جهل اي وفي رواية فهو من الجفا
وفي اخرى فقد جفاني. وذكر بعضهم انه لم يرد في الموضوع من اراد ان يكون
حمل زوجته ذكرا فليضع يده على بطنها وليقل ان كان هذا الحمل ذكرا فقد
سميته محمدا فانه يكون ذكرا. وجاء عن عطا قال ما سمي مولود في بطن
امه محمدا الا كان ذكرا. قال ابن الجوزي في الموضوعات ومن رفع هذا
جهلهم. اي وروي ما اجتمع قوم قط في مشورة فيهم رجل اسمه محمد
لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك فيه اي في هذا الامر الذي
اجتمعوا له. وفي رواية فيهم رجل اسمه محمد او احمد فشاوروه الا
خير لهم اي الا حصل لهم الخير فيما تشاوروا فيه وما كان اسم محمد
في بيت الا جعل الله في ذلك البيت البركة واتهم راوي ذلك
بانه مجروح. وروي ما قعد قوم على طعام حلال فيهم رجل اسمه
محمد الا ضاعفت فيهم البركة. وفي الشفا ان لله ملائكة سياحين
في الارض عبادتهم اي بالبا الموحدة كل دار فيها اسم محمد اي حراسة
اهل دار فيها اسم محمد. وقد ذكر الحافظ السيوطي ان هذا الحديث
غير ثابت. وعن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم
قال من كان له حمل فنوى ان يسميه محمدا حوله الله ذكرا وان كان
انثى قال بعض رواة الحديث فنويت سبعة كلهم سميتهم محمدا
وعنه صلى الله عليه وسلم من كان له ذو بطن فاجمع ان يسميه محمدا
رزقه الله غلاما. وشكت اليه صلى الله عليه وسلم امراة بانها
لا يعيش لها ولد فقال لها اجعلي لله عليك ان تسميه اي الولد
الذي تلدينه محمدا ففعلت فعاش ولدها. وعن علي رضي الله عنه
مرفوعا ليس احد من اهل الجنة الا يدعى باسمه اي ولا يكنى الا ادم
عليه السلام فانه يدعى ابا محمد تعظيما له وتوقيرا للنبي صلى الله
عليه وسلم اي لان العرب اذا عظمت انسانا كنته ويكنى الانسان
باجل ولده قاله الحافظ الدمياطي. وفي رواية ليس احد من اهل
الجنة يكنى الا ادم فانه يكنى ابا محمد. اي وفي حديث معضل
اذا كان يوم القيامة نادى مناد يا محمد قم فادخل الجنة بغير حساب

فيقوم

فيقوم كل من اسمه محمد يتوهم ان النداء له فلكرامة محمد لا يمنعون. وفي
الحلية لابي نعيم عن وهب بن منبه قال كان رجل عصى الله تعالى مائة سنة
اي من بني اسرائيل ثم مات فاخذوه والقوه على مزبلة فاوحى الله
الى موسى عليه السلام ان اخرجه فصل عليه قال يا رب ان بني
اسرائيل شهدوا انه عصاك مائة سنة هكذا قال نعم يا موسى
الا انه كان كلما نشر التوراة ونظر الى اسم محمد قبله ووضعه على
عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له وزوجته سبعين حوراء
ومن الفوائد انه جرت عادة كثير من الناس اذا سمعوا بذكر وصفه
صلى الله عليه وسلم ان يقوموا تعظيما له صلى الله عليه وسلم
وهذا القيام بدعة لا اصل لها اي لكن هي بدعة حسنة
لانه ليس كل بدعة مذمومة وقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه
في اجتماع الناس لصلاة التراويح نعمت البدعة وقد قال العز
ابن عبد السلام ان البدعة تعتريها الاحكام الخمسة وذكر
من امثلة كل ما يطول ذكره ولا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقوله صلى
الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه
فهو رد عليه لان هذا عام اريد به خاص فقد قال امامنا الشافعي
رضي الله عنه ما احدث وخالف كتابا او سنة او اجماعا او
اثرا فهو البدعة الضالة وما احدث من الخير ولم يخالف شيئا
من ذلك فهو البدعة المحمودة. وقد وجد القيام عند ذكر
اسمه صلى الله عليه وسلم من عالم الامة ومقتدى الائمة دينا
وورعا وهو الامام تقي الدين السبكي وتابعه على ذلك
مشايخ الاسلام في عصره فقد حكى بعضهم ان الامام السبكي اجتمع
عنده جمع كثير من علماء عصره فانشد منشده قول الصرصري في
مدحه صلى الله عليه وسلم حيث قال. [illegible]
قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب. على ورق من خط احسن من كتب.
وان تنهض الاشراف عند سماعه. قياما صفوفا او جثيا على الركب.

القيام عند سماع ذكره صلى الله عليه وسلم

فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل بذلك انس
كبير في ذلك المجلس ويكفي مثل ذلك في الاقتداء . وقد قال ابن حجر
الهيتمي والحاصل ان البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد
واجتماع الناس له كذلك اي بدعة حسنة ومن ثم قال الامام ابو شامة
شيخ الامام النووي ومن احسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام
في اليوم الموافق لمولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف
واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء
مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر
الله على ما من به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي ارسله
رحمة للعالمين هذا كلامه قال السخاوي لم يفعله احد من السلف
في القرون الثلاثة وانما حدث بعدهم ثم لا يزال اهل الاسلام
من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون
في لياليه بانواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده صلى الله عليه
وسلم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم قال ابن الجوزي
من خواصه انه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية
والمرام . واول من احدثه من الملوك صاحب اربل وصنف له ابن
دحية كتابا في المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فاجازه
بالف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر اصلا من السنة وكذا
الحافظ السيوطي ورد على الفاكهاني المالكي في قوله ان عمل المولد
بدعة مذمومة وقوله مردود لا يعول عليه والله تعالى اعلم

واول من احدث عمل المولد من الملوك

باب ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم

ومما اتصل بذلك انه صلى الله عليه وسلم ارتضع من ثمان نسا
وقيل من عشر بزيادة خولة بنت المنذر وام ايمن عن بركة قالت
اي بعد كما في الاصل اول من ارضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثويبة اي بعد ارضاع امه له كما سياتي قال وثويبة هي
جارية عمه ابي لهب وقد اعتقها حين بشرته بولادته صلى الله
عليه وسلم اي قالت له اشعرت ان امنة ولدت ولدا

وفي

وفي لفظ فقالت لا اخذت عبد الله فقال لها انت حرة فجوزي بتخفيف
العذاب عنه يوم الاثنين بان يسقى ما في جهنم في تلك النقرة اي
ليلة الاثنين في مثل النقرة التي بين السبابة والابهام انتهى
اي ان سبب تخفيف العذاب عنه يوم الاثنين ما يسقاه تلك
السقية في تلك النقرة ويذكر ان بعض اهل ابي لهب اي وهو اخوه
العباس رآه في النوم في حالة سيئة فقال العباس رضي الله عنه
قال كنت حوله يعني بعد موت ابي لهب لا رآه في نوم ثم رأيته في شر
حال فقال له ابو لهب لم اذق بعدكم رخا وفي لفظ فقال له
بشر خيبة بفتح الخاء المعجمة وقيل بكسر الخاء وهي سوء الحال غير اني
سقيت في هذه واشار الى النقرة المذكورة بعتاقتي ثويبة
ذكره الحافظ الدمياطي والذي في المواهب وقد روى ابو لهب
بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار الا انه يخفف
عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي هاتين ماء واشار
براس اصبعيه وان ذلك باعتاقي ثويبة عندما بشرتني بولادة
النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له فليتامل . وقيل انما
اعتقها لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة اي فان خديجة
كانت تكرمها وطلبت من ابي لهب ان تبتاعها منه لتعتقها فابى
ابو لهب فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة اعتقها ابو لهب
وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون لما اعتقها لم يظهر عتقها
واباه بيعها لكونها كانت معتوقة ثم اظهر عتقها بعد الهجرة
والله اعلم . وارضاعها له صلى الله عليه وسلم كان اياما قليلة
قبل ان تقدم حليمة وكان بلبن ابن لها يقال له مسروح بفتح الميم وسين
مهملة ساكنة ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة كذا في النور وفي السيرة
الشامية بفتح الميم وكانت قد ارضعت قبله ابا سفيان بن عمه الحارث
وفي كلام بعضهم كان تربا له صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه وكان
يالفه لتقاربهما في السن فلما بعث صلى الله عليه وسلم عاداه وهجره وهجا
اصحابه فلما كان عام الفتح اسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه

عمه ثويبة صلى الله عليه وسلم للنبي وارضعت ثويبة قبلها عمه حمزة
ابن عبد المطلب وكان اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين وقيل باربع سنين
اقول هذا ايضا انما تقدم من ان عبد المطلب تزوج من بني زهرة
هالة وأتى بها بحمزة وان عبد الله تزوج من بني زهرة بآمنة
وذلك في مجلس واحد وان آمنة حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم
عند دخول عبد الله بها وانه دخل بها حين املك عليها فكيف يكون
حمزة اسن منه صلى الله عليه وسلم بسنتين الا ان يقال ليس فيما
تقدم تصريح بان عبد المطلب وعبد الله دخلا على زوجتيهما في
وقت واحد • وعبارة السهيلي هالة بنت اهيب بن عبد مناف
ابن زهرة عم آمنة بنت وهب ام النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها
عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله آمنة في ساعة واحدة فولدت
هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة لعبد الله رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ارضعتهما ثويبة هذا كلامه وليس فيه كقول
اسد الغابة المتقدم ان عبد المطلب تزوج هو وعبد الله في مجلس
واحد تصريح بانهما دخلا بزوجتيهما في وقت واحد لامكان حمل
التزويج على الخطبة المصرح بها فيما تقدم عن ابن المحدث ان عبد
المطلب خطبها له في مجلس خطبة عبد الله لآمنة والله اعلم
ثم رأيته في الاستيعاب قال كان اي حمزة اسن من رسول الله صلى
الله عليه وسلم باربع سنين وهذا لا يصح عندي لان الحديث الثابت
ان حمزة ارضعته ثويبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يكون
ارضعتهما في زمانين هذا كلامه وفيه ما علمت وفيه ايضا ما تسليم
انها ارضعتهما في زمانين لكن يلزم ان بينهما مسروح كما بيناه ويبعد
بان بين ابنها مسروح اربع سنين ثم ارضعته برسول الله صلى الله
عليه وسلم ويأتي الجواب عنه • وارضعت ثويبة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا سلمة ابن عبد الاسد اي ابن عمته الذي كان
زوجا لام حبيبة بنت ابي سفيان ام المؤمنين فقد ارضعت ثويبة
حمزة ثم ابا سفيان ابن عمه الحارث ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم

ثم ابا سلمة وهو مخالف لظاهر قول الحافظ الطبري وارضعت ثويبة جارية
ابي لهب وارضعت معه حمزة بن عبد المطلب وابا سلمة عبد الله ابن عبد
الاسد يلزم ان ابنها مسروح هذا الحمل فيه ما علمت وقد يجاب بانه
يمكن بان يكون لم يحمل ولدها مسروح في المدة المذكورة فاستمر
لبنها وايضا هي ارضعت بلبن حمزة ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ابن عمه الحارث ابا سفيان كما علمت • وذكر بعضهم ان ابا سلمة اول
من يعطى كتابه باليمين وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا
واحدا عن ام سلمة قالت اتاني ابو سلمة يوما من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولا سررت به قال لا تصيب احدا من مصيبة فيسترجع عند مصيبته
ثم يقول اللهم اجرني من مصيبتي واخلف علي خيرا منها الا فعل به قال
الترمذي حديث حسن غريب • ويدل لكون ابي سلمة اخاه صلى الله
عليه وسلم من الرضاع ما جاء عن ام حبيبة قالت دخل علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت هل لك في اختي بنت ابي سفيان اي وهي عزة
بعين مهملة ثم زاي اي وفي رواية هل لك في اختي حمنة بنت ابي سفيان
والذي في مسلم انكح اختي عزة اي وفي البخاري انكح اختي بنت ابي
سفيان قال وتحبين ذلك قلت نعم لست لك بمخلية بضم الميم وسكون
الخاء وكسر اللام وبالتحتية اي لست بمنفردة بك واحب
من شاركني في خير اختي فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك لا يحل لي قالت
انا نبئت اي وفي لفظ انا نحدث انك تخطب درة اي وفي لفظ تريد
ان تنكح درة بنت ابي سلمة اي بضم الدال المهملة واما ضبطه بفتح الذال
المعجمة قال بعضهم هو تصحيف لا شك فيه نعم بدرة بنتها من ابي
سلمة قال ابنة ابي سلمة قلت نعم قال والله لو لم تكن ربيبتي في
حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني واباها ثويبة
اي وفي رواية فيها انها لو لم انكح ام سلمة يعني ام حبيبة التي هي امها لم تحل
لي ان اباها اخي من الرضاعة اي واخذ بعض قوم له ان تكون بنت اخي
من الرضاعة لا يحل لي فلا تعرضن علي بناتكن ولا ...

اول من يعطى كتابه باليمين

عرض بنت الربيبة

ولا اخواتكن قيد في هذا اي في قوله ولم تكن ربيبتي في حجري وفي قوله
تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم حجة لداود الظاهري ان الربيبة
لا تحرم الا اذا كانت في حجر زوج امها فان لم تكن في حجره فهي حلال
له اي وقيل لها ربيبة لانها مأخوذة من الرب وهو الاصلاح لان
زوج امها يقوم باصلاح احوالها قال وقد ان تقول لكان الظاهر
ولا فتصار على الاخوات لان ام حبيبة هي التي عرضت اختها ولم تعرض
بنتها التي هي درة وقد يجاب بانه صلى الله عليه وسلم جعل خطاب
ام حبيبة خطابا لجميع زوجاته لان هذا الحكم لا يختص بواحدة دون
الاخرى انتهى اقول فيه ان هذا واضح لو كان في زوجاته من عرض
عليه بنته الا ان يقال المراد فلا تعرضن لا ينبغي لكن ان تعرضن وذلك
لا يستلزم وقوع العرض بالفعل ثم رايت الامام النووي ذكر ان هذا من
ام حبيبة اي من عرض اختها محمول على انها لم تكن تعلم تحريم الجمع بين
الاختين عليه صلى الله عليه وسلم قال وكذا لم تعلم من عرض بنت ابي
سلمة تحريم الربيبة هذا كلامه وهو يقتضي ان بعض الناس عرض عليه
بنت ام سلمة واذا كان من عرضها عليه احدى نسائه اتجه قوله فلا
تعرضن علي بناتكن واخواتكن وهذا الحديث استدل به من قال انه لا يجوز
له ان يجمع بين المراة واختها وهو الراجح من وجهين ومقابله يقول
في حقه بجواز ذلك ولا يجمع بين المراة وبنتها حلالا فالوجه حكاه
الرافعي وهذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لو لم انكح ام سلمة
[illegible] لم ترد هذا الوجه وعبارة الخصائص الصغرى وله الجمع بين
المراة واختها وعمتها وخالتها في احد الوجهين وبين المراة وامها
في وجه حكاه الرافعي وتبعه في الروضة وجزموا بانه غلط واسناه
ومما يدل على ان عمه حمزة اخوه من الرضاعة ما جاء عن علي رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله ما لك لا تتوق من قريش اي تشتاق مولى
[illegible] ثم [illegible] قال اي لا تشتاق اليهم مأخوذ من
التوق الذي هو التشوق [illegible] بالتاء والنون اي لا تختار
ولا تتزوج منهم قال وعندك قلت نعم ابنة حمزة اي عمه صلى الله عليه

وهي

وهي امامة وهي احسن فتاة في قريش قال ذلك ابنة اخي من الرضاعة اي وهذا من
علي رضي الله عنه محمول على انه لم يكن يعلم بتحريم بنت الاخ من الرضاعة
عليه صلى الله عليه وسلم او انه لم يكن يعلم ان عمه حمزة اخ له صلى الله
عليه وسلم من الرضاعة وفيه انه قد علمت انه اخوه من الرضاعة وان انه
فقد مر من الرضاعة ما علم من المشبه الا ان يراد بقوله فقد علمت اي
اعلم قال ولعله لم يقل ارضعتني واياه ثويبة كما قال ذلك في ابي
سلمة لان ثويبة ارضعت حمزة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابا
سلمة لان حمزة رضيعه صلى الله عليه وسلم ايضا من امراة من بني
سعد ارضعته صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند حليمة اي فهو رضيعه
صلى الله عليه وسلم من جهة ثويبة ومن جهة تلك المراة السعدية
وتراضيا على اسم تلك المراة انتهى اي ولو اقتصر على ثويبة لا وهم
انه لم يرضع معه غيرها وفي عيون الاثر ان بعضهم ذكر في مراضعه
صلى الله عليه وسلم خولة بنت المنذر اقول ثم تقدم ذلك ونسب هذا
البعض في ذلك الى الوهم وان خولة بنت المنذر التي هي ام بردة
انما كانت مرضعة لابنه ابراهيم وقد يجاب عنه بانه يجوز ان تكون
خولة التي ارضعته صلى الله عليه وسلم واخرى ارضعت ولده ابراهيم
وان خولة التي ارضعته صلى الله عليه وسلم هي السعدية التي كانت
ترضع حمزة التي قال فيها الشمس الشامي لم اقف على اسم تلك المراة
والله اعلم. ولم يذكروا اسلام ثويبة الا ابن منده قال الحافظ ابن حجر
وفي طبقات ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم ولكن لا يدفع نقل ابن
منده به. وفي الخصائص الصغرى لم ترضعه صلى الله عليه وسلم امراة
الا اسلمت ولم اقف على اسلام ابنها مسروح اقول ومما يدل على عدم
اسلامها انها ما جاءت بعد مقدمه اذ كان يوم [illegible] لا في
ابي طالب قال الحافظ السيوطي بعض احاديث الرضاعة لا يلزم [illegible]
الاسلام [illegible] انه مسروح جاز ان يكون ابن حليمة وهو عبد الله
الذي كان يرضع معه بناء على انه لم يدرك الاسلام لا يلزم يعرف له اسلام
لانا نقول [illegible] في شرح الهمزية لابن حجر ان عبد الله ولد حليمة

وتراضعه صلى الله عليه وسلم خولة بنت المنذر

اسلم والله اعلم اي وفيه ما يدل على عدم اسلام ثويبة وابنها مسروح المذكور لما
انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث لها بالصلة وكسوة وهي بمكة حتى جاءه
خبرها فانها مرجعه من خيبر سنة سبع فقال ما فعل ابنها مسروح فقيل
مات قبلها اي ولو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة اقول وهذا ظاهر
يدل على ان مسروحا ما ادرك الاسلام وقد يتوقف فيه وقد قالت مرجعه من
خيبر ما كان ليتهيأ الا بمكة عليه الصلاة والسلام كان يصلها من المدينة
فلما فتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وقد
يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون سؤاله الثاني للتثبت لاحتمال
بعد فاتهما والقول بانهما لو كانا اسلما لهاجرا الى المدينة يقال عليه
يجوز ان تكون الهجرة تعذرت عليهما لعذر عرض لهما والله اعلم
قال في كتاب الامتاع ارضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة ايام اقول
وفي عيون المعارف للقضاعي سبعة ايام وفي الامتاع انها ارضعته
سبعة اشهر ثم ارضعته ثويبة اياما فليتأمل هذا الكلام وقوله
ثم ارضعته ثويبة الا ان يقال المراد اول من ارضعه غير امه ثويبة
فلا يخالف ذلك وهذا يرد نقل ابن المحدث عن الاصل ان اول لبن نزل
جوفه صلى الله عليه وسلم لبن ثويبة لما علمت ان الاولية اضافية
لا حقيقية الا ان يدعى ان ذلك من نقل ابن المحدث ايضا اي اول لبن
نزل جوفه بعد لبن امه والله اعلم قال وارضعه صلى الله عليه وسلم
ثلاث نسوة اي ابكار من بني سليم اخرجن ثديهن فوضعنها في فمه
صلى الله عليه وسلم فدرت فيه فرضع منهن وارضعته ام فروة
انتهى وهو لا يشمل الابكار كل واحدة منهن تسمى عاتكة وهن اللاتي
عناهن صلى الله عليه وسلم بقوله انا ابن العواتك من بني سليم
على ما تقدم وما نقلتم من ان ام ايمن ارضعته ذكره في الخصائص
الصغرى رد بانها حاضنته لا مرضعته وعلى تقدير صحته ينظر
بلبن اي ولد لها كان فانه لا يعرف لها ولد الا ايمن واسامة
الا ان يقال جاز ان لبنها در لها من غير وجود ولد كما تقدم في العواتك
الابكار وارضعته حليمة بنت ابي ذويب وتكنى ام كبشة اي

بانه

اسلام حليمة وزوجها

بانه ثبت لها اسمها كبشة ويكنى بها ابوها والدها الذي هو زوج حليمة اي وكانت
من هوازن اي من بني سعد بن بكر بن هوازن ويأتي في الكلام على اسلامها • ومعها
انها كانت تحدث انها خرجت من بلدها ومعها ابن لها ترضعه اسمه عبد الله ومعها
زوجها الحارث ابن عبد العزى ويكنى ابا ذويب اي كما يكنى ابا كبشة ادرك الاسلام
واسلم فقد روى ابو داود بسند منقطع عن عمرو بن السائب انه بلغه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم واجلسه بين يديه • وعن ابي اسحاق بلغني ان الحارث انما
اسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرد قول بعضهم لم يذكر الحارث
كثير ممن الف في الصحابة انتهى اقول يدل للاول لظاهر ما روي ان الحارث
هذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد نزول القرآن عليه فقالت
له قريش الا تسمع يا حارث ما يقول ابنك فقال وما يقول قالوا يزعم ان الله
يبعث من في القبور وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه وهي النار ويكرم فيها
من اطاعه وهي الجنة فقد شتت امرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال
اي بني ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول كذا اي ان الناس
يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم انا اقول ذلك وفي لفظ انا ازعم ذلك ولو قد كان ذلك
اليوم لاخذت بيدك حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم الحارث بعد ذلك
اي وقد كان يقول حين اسلم لو اخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني
حتى يدخلني الجنة • وفي شرح الهمزية لابن حجر وممن سماه من تابعي حليمة
توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وهم عبد الله والشيما وانيسة •
هذه الكلمة • وفي الامتاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
على ثوب فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت
امه فوضع لها شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وربما يقال ان ثغاته ولعل
المراد بجلوسه بين يديه جلوسه مقابله وحينئذ فما هنا جلوس النبي صلى الله
عليه وسلم وهو بين يديه راجع لاعتبار اي قام صلى الله عليه وسلم عن محل
جلوسه على الثوب واجلس اخاه على الثوب مكانه وجلس صلى الله عليه وسلم

قبالة اجير فعل ذلك ليكون اخاه هو وابوه جميعا على النوبة والله اعلم. قالت وخرجت
في نسوة من بني سعد اي ابن بكر ابن هوازن عشر يطلبن الرضعاء في سنة شهباء.
اي ذات جدب وقحط لم تبق شيئا على اتان قمراء بفتح القاف والمد اي شديدة
البياض ومعنا شارف اي ناقة مسنة ما تبض بالضاد المعجمة وربما روي
بالمهملة اي ما ترشح بقطرة لبن فلا نثور وما كنا ننام ليلتنا اجمع من صبينا
الذي معنا من بكائه من الجوع ما في ثديي وفي رواية ثدييّ ما يغنيه وما في
شارفنا ما يغذيه بمعجمتين وقيل بمعجمة ثم مهملة وقيل باسكان الغين المهملة
وكسر الذال المعجمة وضم الياء الموحدة اي ما يكفيه بحيث يرفع راسه وينقطع
عن الرضاعة. قالت حليمة ولكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على
اتاني تلك فلقد ادمت بالدال المهملة وتشديد الميم اي بالركب اي حبسته
تاخرها عنه لشدة ضعفها وهزالها حتى شق ذلك عليهم حتى قدمنا
مكة نلتمس اي نطلب الرضعاء جمع رضيع وادمت ماخوذ من الدال الدائم يقال
ادم بالركب اذا ابطا حبسهم قال لانه قال من شيم العرب واخلاقهم
اذا ولد له ولد يلتمسون له مرضعة في غير قبيلته ليكون انجب للولد وافصح
له وقيل لانهم كانوا يرون انه عار على المراة ان ترضع ولدها اي تشتغل
برضاعه وقيل ليتدرب لسانهم ولهذا انه صلى الله عليه وسلم كان يقول لاصحابه
انا اعربكم اي افصحكم عربية انا قرشي واسترضعت في بني سعد. وجاء ان
ابا بكر رضي الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم ما رايت افصح منك
يا رسول الله فقال له وما يمنعني وانا من قريش وارضعت في بني سعد فهذه
كان يحملهم على دفع الرضعاء الى المراضع الاعرابيات. ومن ثم نقل عن
عبد الملك بن مروان انه كان يقول اضر بنا حب الوليد يعني ولده لانه
لحبنا له ابقيناه مع امه في المدر ولم نسترضعه في البادية بين الاعراب
فصار لحانا لانه لم يحسن العربية واخوه سليمان استرضع في البادية بين الاعراب
فصار عربيا غير لحان. قالت حليمة فما منا امراة الا وقد عرض عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاباه اذا قيل لها يتيم وذلك انا انما نرجو
المعروف من ابي الصبي فكنا نقول يتيم ما عسى ان يصنع امه وجده فكنا نكرهه
لذلك فما بقيت امراة معي الا اخذت رضيعا غيري فلما اجمعنا الانطلاق

اي

اي عزمنا عليه قلت لصاحبي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ولم اخذ
رضيعا والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فقال لا عليك اي لا باس
عليك ان تفعلي عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فاخذته
انتهى وهذا السياق قد يخالف قول بعضهم ان عبد المطلب خرج يلتمس له
المراضع فالتمس له حليمة ابنة ابي ذويب الا ان يقال جاز ان يكون
التماسه للمراضع غير حليمة كان عند قدومهن فلا ينافي ان يكون ثم
طلب من حليمة ذلك بعد ان لم تجد رضيعا ويدل لذلك قول الشامي ان
حليمة قالت استقبلني عبد المطلب فقال من انت فقلت انا امراة
من بني سعد قال ما اسمك قلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ
سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة عندي غلام
يتيما وقد عرضته على نساء بني سعد فابين ان يقبلن وقلن ما عند اليتيم
من الخير انما نلتمس الكرامة من الاباء فهل لك ان ترضعيه فعسى ان تسعدي
به فقلت ذرني حتى اشاور صواحبي فانصرفت الى صواحبي فاخبرتهن فكان
الله قذف في قلبي فرحا وسرورا فقال يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد
المطلب فوجدته قاعدا ينتظرني فقلت هلم الصبي فاستهل وجهه فرحا فاخذني
وادخلني بيت امنة فقالت لي اهلا وسهلا وادخلتني في البيت الذي فيه
محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج في صوف ابيض من اللبن وتحته
حريرة خضراء راقد على قفاه يغط يفوح منه رائحة المسك فاشفقت
اي خفت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدي على صدره فتبسم
ضاحكا وفتح عينيه اي فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وانا
انظر فقبلته بين عينيه واخذته وما حملني على اخذه الا اني لم اجد غيره
والا فاذ كرته منا وما قد نتقض لاخذه اي وهذه الرواية ربما تدل على انها
لم تره قبل ذلك وان اباها له صلى الله عليه وسلم تبلد ويا حاله قالت فلما
اخذته رجعت به الى رحلي فلما وضعته في حجري اقبل ثدياي بما شاء الله
من لبن فشرب حتى روي اي من الثدي الايمن وعرضت عليه الايسر فاباه
قالت حليمة وكانت هذه حالته صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يقبل الا
ثديا واحدا وهو الايمن. ومن العجائب ان احد ثديي حليمة كان لا يدر

منه اللبن فلما وضعته في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم در ضرعه اللبن قالت
وشرب معه اخوه حتى رويا ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك اي لصغيره
نوم من الجوع فقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل اي ممتلية الضرع
من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير
ليلة يقول صاحبي حين اصبحنا تعلمي والله يا حليمة لقد اخذت نسمة مباركة
قلت والله اني لارجوا ذلك ثم خرجنا وركبت اتاني وحملته معي عليها
فوالله لقطعت بالركب اي صورتهم خلفها ما يقدر عليها اي على مرافقتها
وصاحبها شيء من حمرهم حتى ان صواحبي يقلن لي يا بنت ابي ذويب ويحك
اربعي اي اعطفي علينا بالوقوف وعدم السرعة في السير اليس هذا اتانك التي
كنت خرجت عليها اي تخفضك طورا او ترفعك اخرى فاقول لهن بلى والله
انها لهي فيقلن والله ان لها لشانا • اي وقالت حليمة فكنت اسمع اتاني
تنطق وتقول والله ان لي لشانا ثم شانا بعثني الله بعد موتي ورد
لي سمني بعد هزالي ويحكن يا نسا بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين
ما على ظهري على ظهري خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين
والاخرين وحبيب رب العالمين ذكره في السطور المفهوم وذكرت انها
ركابت فرايت مكة راتان تلك الاتان سجدت اي خفضت راسها نحو الكعبة
ثلث سجدات ورفعت راسها الى السما ثم مشت قالت ثم قدمنا منازل بني سعد
ولا اعلم ارضا من اراضي الله اجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به
شباعا لبنا اي غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفي لفظ نحلب ما شينا
وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومهم
في المنازل من قومنا يقولون لرعاتهم ويلكم حيث يسرح راعي بنت ابي
ذويب يعنوني فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمي
شباعا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته
وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما
جفرا اي غليظا شديدا وعن حليمة انه صلى الله عليه وسلم لما
بلغ شهرين كان يحبو الى كل جانب اي وهذا يضعف ما تقدم من الاثبات
من ان امه وضعته سبعة اشهر قالت حليمة فلما بلغ ثمانية اشهر كان يتكلم

يجي

سجود الغنم والجمل له صلى الله عليه وسلم

يجي بحيث يفهم كلامه ولما بلغ تسعة اشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة اشهر
كان يرمي السهام مع الصبيان • ومنها ايضا قالت انه لفي حجري اذ مرت غنم لي
فلما قربت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت راسه صلى الله عليه وسلم
ثم ذهبت الى صواحبها • اقول وقد سجدت له الغنم وكذا الجمل بعد بعثته
والهجرة فعن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل حايطا اي بستانا للانصار ومعه ابو بكر وعمر ورجال من الانصار
وفي الحايط غنم فسجدت له صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله
كنا احق بالسجود لك من هذه الغنم فقال انه لا ينبغي في امتي ان يسجد احد لاحد
ولو كان ينبغي لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها •
زاد في رواية ولو ان رجلا امر زوجته ان تنقل من جبل الى جبل لكان
نولها اي حقها ان تفعل • وحرب جمل بكسر الرا اي اشتد غضبه فصار
لا يقدر احد ان يدخل عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال افتحوا عنه ففتحوا وقالوا نخشى عليك يا رسول الله فلما راه الجمل
خر ساجدا اي فاخذ بناصيته ثم دفعه لصاحبه وقال له استعمله واحسن
علفه فقال القوم يا رسول الله كنا احق ان نسجد لك من هذه البهيمة •

حق الزوج علي المراة

فقال كلا الحديث • وفي هذا دلالة لعظم حق الزوج على زوجته •
وجا ما يدل على ذلك ايضا ما روي ان اسما بنت يزيد الانصارية اتت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الله بعثك الى •
الرجال والنسا فامنا بك واتبعناك ونحن معاشر النسا مقصورات
محذورات قواعد بيوت وموضع شهوات الرجال وحاملات اولادهم
وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنايز والجهاد واذا خرجوا
الى الجهاد حفظنا لهم اولادهم وربينا لهم وحفظنا لهم اموالهم افنشاركهم
في الاجر يا رسول الله فالتفت صلى الله عليه وسلم بوجهه الى صحابه
وقال هل سمعتم مقالة امراة احسن سوالا عن دينها من هذه قالوا بلى
يا رسول الله فقال انصرفي يا اسما واعلمي انه من النسا ان حسن تبعل
احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال
اي من حضور الجماعات وشهود الجنازات والجهاد فانصرفت اسما وهي تهلل وتكبر

انتشار انها قالت لها صلى الله عليه وسلم والنبل ملاعبة المراة لزوجها
والله اعلم • قالت حليمة وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم
ينجلي عنه والى قصة رضاعه يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله

وبدت في رضاعه معجزات • ليس فيها عن العيون خفاء
اذ ابته ليتمه مرضعات • قلن ما في اليتيم عنا غناء
فاتته من ال سعد فتاة • قد ابتها لفقرها الرضعاء
ارضعته لبانها فسقتها • وبنيها البانهن الشاء
اصبحت شولا عجافا وامست • ما بها شائل ولا عجفاء
اخصب العيش عندها بعد محل • اذ غدا للنبي منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الاجر • عليها من جنسها والجزاء
واذا سخر الاله اناسا • لسعيد فانهم سعداء

اي وظهرت في رضاعه وفي زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم امور خارقة
للعادة لوضوحها لا تخفى على العيون من ذلك ان المراضع ابت ان تاخذه
لاجل يتمه فبعد ان تركنه اتته فتاة من ال سعد قد ابتها اهل الرضاع
لفقرها فسقته لبنها فسقتها وبنيها الشاء البانها وكانت تلك
الشياه لا لبن لها هزيلات فصارت ذات البان وسمن ومن ذلك ان
العيش كثر عندها بعد شدة المحل لاجل حصول غذاء النبي صلى الله عليه
وسلم يا لها اي لتلك الفعلة الصادرة من حليمة وهي سقيها له لبنها
نعمة منه عليه لقد كرر الثواب والجزاء على تلك النعمة من جنس تلك
النعمة لان الجزاء من جنس العمل فلما سقته اللبن سقيته ولا بدع فان الله
تعالى اذا سخر اناسا لمحبة سعيد والقيام بخدمته فانهم بسبب ذلك سعداء
اقول لم اقف على رواية ان حليمة ابتها الرضعاء لفقرها وكان الناظم
اخذ ذلك من قولها فما بقيت امراة قدمت معي الا اخذت رضيعا غيري
وما حملني على اخذه الا اني لم اجد غيره ولولا ذلك لم ناخذه • واستفتي
الحافظ ابن حجر عن بعض الوعاظ يذكر عند اجتماع الناس للمولد ما جرى
اي وقائع تتعلق به صلى الله عليه وسلم جاءت بها الاخبار غير مخلة
بالتعظيم حتى يظهر من السامعين لها حزن فيبقى صلى الله عليه وسلم في حيز

من

من يرحم لا في حيز من يعظم من ذلك انهم يقولون ان المراضع حزن ولم ياخذنه لعدم ماله
فما قولكم في ذلك فاجاب بما نصه ينبغي لمن كان فطنا ان يحذف الخبر اي الحديث
الموهم في المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل يجب عليه لئلا يقع له ما وقع للشافعي
رضي الله عنه حيث قال في بعض نظمه وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة
لما سرقت فتكلم فيه فقال لو سرقت فلانة لامراة شريفة لقطعتها يعني فاطمة
بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصرح باسمها تادبا معها ان يذكرها في هذا
المقام وان كان صلى الله عليه وسلم ذكرها لان ذلك منه صلى الله عليه وسلم
حسن لدلالته على ان الخلق عنده في الشرع سواء فهو من كمال ادب الامام رضي الله
عنه وارضاه ونفعنا به في الدنيا والاخرة فاذا جاز حذف بعض الحديث
الموهم نقصا في بعض اهل بيته فما بالك بما يوهم النقص فيه صلى الله عليه
وسلم وهذا من الحافظ يدل على ان ابا المراضع له وارد حيث اقره ولم ينكره
والله اعلم • قال وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اول كلام تكلم به صلى
الله عليه وسلم حين فطمته حليمة الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة واصيلا اي وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم تكلم بهذا عند خروجه
من بطن امه • وفي رواية وكان اول كلام تكلم به في بعض الليالي اي وهو عند
حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تاخذه
سنة ولا نوم • وكان صلى الله عليه وسلم لا يمس شيئا حتى يقول الا
بسم الله وعن حليمة لما دخلت به الى منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد
الا شممنا منه ريح المسك والقيت محبته اي واعتقاد بركته في قلوب
الناس حتى ان احدهم كان اذا نزل به اذى في جسده اخذ كفه صلى الله
عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرا باذن الله تعالى سريعا وكذلك
اذا اعتل لهم بعير او شاة انتهى • قالت حليمة فقدمنا مكة على امه
اي بعد ان بلغ سنتين وعندنا حرص شديد على مكثه فينا لما نرى من بركته
فكلمنا امه وقلنا لها لو تركت بني عندي حتى يغلظ وفي كلام ابن الاثير
قلنا لها دعينا نرجع به هذه السنة الاخرى فاني اخشى عليه وباء مكة
اي حماها ووخمها فلم نزل بها حتى ردته معنا • وقيل ان امه امنة قالت
لحليمة ارجعي بابني فاني اخاف عليه وباء مكة فوالله ليكونن له شان

عجيب

او كلام تكلم به

وقد اجاب الحافظ ابن حجر

حديث شق الصدر

أي ولا يخالفه بينهما الجواز ان حليمة لما قالت لهما ما تقدم قالت لحليمة ارضعي
يا بني على الصدر فاني اخاف عليه وبأمكة كما تخافين عليه ذلك • قالت
حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به بأشهر عبارة ابن الاثير بعد
مقدمنا بشهرين او ثلاثة ثم مع اخيه يعني من الرضاعة عند لغني بهم لنا وبلفظ
هذا له يا ابيه فوالله الحب الطبري فلما شب وبلغ سنتين له هذا اللفظ
ذكر الكبير فبينما هو واخوه في بهم لنا خلف بيوتنا والبهم ولد الضان
اذا اتى اخوه يشتد اي يعدو فقال لي ولابيه ذاك اخي القرشي قد
اخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فهما يسوطانه اي
يدخلان يديهما في بطنه قالت فخرجت انا وابوه نحوه فوجدناه قائما
منتقعا وجهه وفي لفظ لونه اي متغيرا اي ما زال لونه كلون النقع الذي هو
الغبار وهو صفة الكاف اللون وذلك لما نالت من الفزع اي من رؤيته
الملائكة لا من شقه بدنه لانه من ذلك الشق لما يأتي في بعض الروايات
فلم اجد لذلك حسا ولا الما ومن ثم قال ابن الجوزي فشقه وما شق
عليه ولا الما وقد شاهد الحجرة التي هي الى ولي وقد قال بعضهم انه
لم يتبع لونه صلى الله عليه وسلم الا وهو صغير في بني سعد قالت
فالتزمته والتزمه ابوه فقلنا ما لك يا بني قال جاءني رجلان
عليهما ثياب بيض اي وهما جبريل وميكائيل او وهما الملائكة يقول في رواية
فاقبل الي طيران ابيضان كانهما نسران فقال احدهما لصاحبه اهو هو
قال نعم فاقبلا يبتدران فاخذاني فاضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه
شيئا اي طلباه فوجداه واخذاه وطرحاه ولا ادري ما هو زاد وسيأتي
ان هذا الذي قال فيه وما ادري ما هو انه علقة سوداء استخرجاها
من قلبه بعد شق بطنه ففي هذه الرواية لم يذكر القلب وشقه وسيأتي
ذكره في بعض الروايات • وفي رواية عربية نزل عليه كركيان
فشق احدهما بمنقاره جوفه ومج فيه الاخر بمنقاره ثلجا او بردا او
وقد يقال ان الطيرين تارة شبههما بالنسرين وتارة شبههما بالكركيين
وفي كون جبريل وميكائيل على صورة النسرين لطيفة لعلها النسر سيد
الطيور فقد جاء في الحديث هبط علي جبريل فقال يا محمد ان لكل شيء سيدا

ولكل شيء سيد

فسيد

فسيد البشر آدم وسيده وسيد ولد آدم انت وسيد الروم صهيب وسيد الفرس سلمان
وسيد الحبش بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر • وفي بحر العلوم
وسيد الملائكة اسرافيل وسيد الهند اقابيل وسيد الجبال الجبل موسى وسيد
الانعام الثور وسيد الوحوش الفيل وسيد السباع الاسد زاد بعضهم
وسيد الشهور رمضان وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد
العربية القرآن وسيد القرآن سورة البقرة • قالت حليمة فرجعنا
به الى خبائنا اي محل الاقامة وقال لي ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون هذا
الغلام قد اصيب فالحقيه باهله قبل ان يظهر ذلك به وفي رواية قال الناس
يا حليمة رديه على جده واخرجيه من امانتك وفي رواية وقال زوجي اري ان نرده
علانية لنفاجئه وارى انه اصابه ما بنا الاخشى امرا فكان لما يرون
من عظيم بركته قالت فحملناه فقدمنا به مكة على امه قال الحافظ وكان
ابن عباس رضي الله عنهما يقول رجع الى امه وهو ابن خمس سنين اي وزاد في
الشهاب ويومين من مولده صلى الله عليه وسلم • وكان غير ابي عمر ابن
عباس يقول رجع الى امه وهو ابن اربع سنين • وذكر الاموي انه رجع وهو
ابن ست سنين انتهى اقول سيأتي ما قبله يدل على ان قدوم حليمة به على
امه كان عقب الواقعة المذكورة وتقدم ان سنه حينئذ كان سنتين
واشهر وسيأتي ما فيه والله اعلم • قال وعن ابن عباس ان حليمة كانت
تحدث انه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون
فيجتنبهم فقال لي يوما يا اماه ما لي لا اري اخوتي بالنهار يعني اخوته من
الرضاعة وهم اخوه عبد الله واختاه انيسة والشيما بفتح المعجمة
وسكون التحتية اولاد الحارث قلت فدتك نفسي انهم يرعون غنما لنا
فيروحون من ليل الى ليل قال ابعثيني معهم فكان صلى الله عليه وسلم
يخرج مسرورا ويعود مسرورا اي وهذا لا ينافي قول الشامي كان
مع اخيه في بهم لنا خلف بيوتنا ولعله قول صلى الله عليه وسلم الا في فيما
انا مع اخي خلف بيوتنا نرعى غنما ولا ذكر فيها انا ذات يوم منتبذا
من اهلي في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان كما لا يخفى قالت حليمة فلما كان
يوما من ذلك فلما انتصف النهار اذا انا باخوه وفي رواية اذا اتى ابني ضمرة

يعدوا فزعا وجبينه يرشح باكيا ينادي يا ابتاه ويا اماه الحقا اخي محمدا فلا تلحقانه
الا ميتا قلت وما قصته قال بينا نحن قيام اذ اتاه رجل فاختطفه من وسطنا
وعلا به ذروة الجبل ونحن ننظر اليه حتى شق صدره الى عانته ولا ادري
ما فعل به اقول لعل ضمرة هذا هو اخوه عبد الله المتقدم ذكره لقب به
لخفة جسمه ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الآتي ان الرهط
الذين كانوا معه انطلقوا هرابا سراعا الى الحي يؤذنونهم ويستصرخونهم
لانه يجوز ان يكون ضمرة سبقهم والله اعلم قالت حليمة فانطلقنا انا وابوه
نسعى سعيا فاذا به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره الى السماء يبتسم ويضحك
فاكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت له فدتك نفسي ما الذي دهاك
قال خيرا كذا بالنصب يا اماه بينا انا الساعة قائم اذ اتاني رهط ثلاثة
بيد احدهم ابريق فضة وفي يد الآخر طست من زمردة خضراء والزمردة
بالذال المعجمة الزبرجد وهو معرب فاخذوني وانطلقوا بي
الى ذروة الجبل فاضجعوني اضطجاعا وفيه ان هذا قد يخالف قوله صلى الله
عليه وسلم الآتي فاخذوني حتى اتوا شفير الوادي فعمد احدهم فاضجعني
الى الارض ثم شق من صدري الى عانتي وسيأتي الجمع بينهما وقوله ثم
شق من صدري الى عانتي هو المراد بشطه فيما تقدم ويأتي قال وانا
انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا الما الحديث وفي هذه الرواية ذكر
القلب وشقه ايضا الفؤاد ولا منافاة بين تلك الرواية وبين قولها
فوجدناه قائما وبين قولها في هذه الرواية فاذا انا به قاعدا
على ذروة الجبل لجواز ان تكون ارادت بكونه قائما بكونه حيا وبكونه قاعدا
كونه ماكثا كما لا منافاة بين قولها في تلك الرواية منتقعا وجهه وبين
قولها في هذه الرواية يبتسم ويضحك لان ذلك لا ينافي الفزع او لجواز
ان يكون تبسمه وضحكه تعجبا لما رأى من الحالة التي عملتها امة من الشق
والسلت والله اعلم قال وذكر ابن اسحاق ان حليمة لما قدمت به مكة
لترده على امه اي بعد شق صدره وقد بلغ اربع سنين او خمسا او ستا
[illegible] اضلته في اعلى مكة فاتت جده عبد المطلب فقالت اني قدمت
بمحمد هذه الليلة فلما كنت باعلى مكة اضلني فوالله ما ادري اين هو فقام

عبد

عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله ان يرده عليه وفي رواية الامتاع انه انشد

يا رب رد والي محمدا • اردده ربي واصطنع عندي يدا •

ويأتي ان هذا البيت انشده عبد المطلب حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم
يرد ابلا له ضلت وقد يقال لا مانع من تكرره له منه ثم فاذا بهاتف
يقول يا ايها الناس لا تضجوا ان لمحمد ربا لن يخذله ولا يضيعه فقال عبد
المطلب من لنا به فقال انه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد
المطلب نحوه ومعه ورقة بن نوفل وسيأتي في بعض ترجمة ورقة هذا
فوجداه صلى الله عليه وسلم قائما تحت شجرة يجذب غصنا من اغصانها
فقال له جده من انت يا غلام فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
قال وانا جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع به الى مكة
وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاة والبقر واطعم اهل مكة اقول وقول
جده له من انت يا غلام لعله لكونه وجده على حالة لا توجد لمن يكون في
سعادة كما تقدم عن حليمة من قولها كان يشب شبابا لا يشبه فيه
الغلمان • وفي السيرة الشامية ان الذي وجده هو ورقة بن نوفل ورجل
آخر من قريش فاتيا به عبد المطلب • اي ويقال ان عمرو بن نفيل
راه وهو لا يعرفه فقال له من انت يا غلام قال انا محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله بين يديه على راحلته حتى اتى
به عبد المطلب • وفي كلام بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى روي انه صلى الله عليه وسلم قال ضللت عن
جدي عبد المطلب وانا صبي فصار ينشد وهو متعلق باستار الكعبة

يا رب رد ولدي محمدا • اردده ربي واصطنع عندي يدا •

فجاء ابو جهل بين يديه على راحلته وقال لجدي الا تدري ما وقع
من ابنك فسأله فقال انخت الناقة واركبته من خلفي فابت ان
تقوم فاركبته امامي فقامت ويحتاج الى الجمع على تقدير صحة ما ذكر
وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك ويدل لذلك ان بعض المفسرين
قال في تفسير قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل ضل عن مرضعته
حليمة وقيل ضل عن جده عبد المطلب وهو صغير فقالت حليمة

ومعنى قوله ووجدك ضالا فهدى

لتطلبنه يا ظئره اي يا مرضعته ولقد كنت حريصة على مكثه عندك
قلت قد بلغ الله وقضيت الذي علي وتخوفت عليه الاحداث فرددته •
عليك كما تحبين قالت ما هذا شانك فاصدقيني خبرك قالت حليمة
فلم تدعني حتى اخبرتها قالت افتخوفت عليه الشيطان قلت نعم •
قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لبني هذا لشانا افلا اخبرك
خبره قلت بلى قالت رايت حين حملت به انه خرج مني نور اضاءت
له قصور بصرى من ارض الشام ثم حملت به فوالله ما رايت اي ما علمت
من حمل قط كان اخف علي ولا ايسر منه ووقع حين ولدته وانه •
لواضع يديه بالارض رافعا راسه الى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة
قال وعن حليمة انه مر عليها جماعة من اليهود فقالت الا تحدثوني •
عن ابني هذا حملته كذا ووضعته كذا ورايت كذا كما وصفت لها امه
اي فانها ذكرت لها ذلك مرتين عند دفعه لها وعند اخذه منها
انتهى • اقول ولا ينافي ذلك قول امه لحليمة اولا اخبرك خبره وقول
حليمة لها بلى لجواز ان تكون امه لم تكن تذكرت انها اخبرتها به تلك
قبل وان حليمة كذلك او جوزت حليمة انها تخبرها بزيادة على
ما اخبرتها به اولا بناء على اتحاد ما اخبرتها به اولا وثانيا
والله اعلم • قال وقال اولئك اليهود بعد ذلك قال بعضهم لبعض
اقتلوه فقالوا ايتيم هو فقالت لا هذا ابوه وانا امه فقالوا لو كان
يتيما قتلناه انتهى • اقول وهذا يدل على ان ما ذكرته امه لحليمة
من انها حين حملت به خرج منها نور الى اخر ما تقدم وان يكون لا اب
له مذكور في بعض الكتب القديمة انه من علامة هذا النبي المنتظر والله اعلم
قال وعنها انها نزلت به سوق عكاظ اي وكان سوقا للجاهلية
بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا حجت اقامت
بهذا السوق شوال وكانوا يتفاخرون فيه ولعل المفاخرة فيه سمي
عكاظا لان عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه في المفاخرة •
وفي كلام بعضهم كان سوق عكاظ لثقيف وقيس عيلان فراه
كاهن من الكهان فنادى يا اهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام

فانه

فان له ملكا فزاغت اي مالت به وحادت عن الطريق فانجاه الله تعالى • اي
وفي الوفا لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه
وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر
هذيل ويا معشر العرب فاجتمع اليه الناس من اهل الموسم فقال اقتلوا
هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون اي صبي فيقول هذا
الصبي فلا يرون شيئا فيقال له ما هو فيقول رايت غلاما والآلهة •
ليقتلن اهل دينكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن امره عليكم فطلب فلم يوجد
وعنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على
فرسخ من عرفة اي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب
تنتقل اليه بعد انقضائهم من سوق عكاظ فتقيم فيه عشرين يوما
من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي هو سوق ذي المجاز
فتقيم فيه الى ايام الحج وكان بهذا السوق عراف اي منجم يؤتى اليه
بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يا معشر العرب
اقتلوا هذا الصبي فليقتلن اهل دينكم وليكسرن اصنامكم وليظهرن امره
عليكم ان هذا لينتظر امرا من السماء وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم
فلم يلبث ان وله فذهب عقله حتى مات انتهى • وفي السيرة الشامية
ان نفرا نصارى من الحبشة راوه مع امه السعدية حين رجعت
به الى امه بعد فطامه فنظروا اليه وقلبوه اي راوا خاتم النبوة
بين كتفيه وحمرة في عينيه فقالوا لها هل يشتكي عينيه قالت لا
ولكن هذه الحمرة لا تفارقه فقالوا لها خذي هذا الغلام ف
فلنذهب به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شان
نحن نعرف شانه فلم تكد تتفلت منهم به الى امه • وعنه صلى الله
عليه وسلم واسترضعت في بني سعد فبينا مع اخي خلف بيوتنا
نرعى بهما لنا اتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة
ثلجا فاخذاني فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه
علقة سوداء فطرحاها اي وقيل هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله

اي وفي رواية فاستخرجا منه علقتين سوداوين اي ولا مخالفة لجواز ان تكون
تلك العلقة انفلقت نصفين وفي رواية فاستخرجا منه مغمز الشيطان
اي وهو المعبر عنه في الرواية بقولهما هذا حظ الشيطان ولا ينافي ذلك
قوله في الرواية السابقة ولا ادري ما هو لجواز ان يكون اخباره صلى
الله عليه وسلم بهذا بعد ان علمه والمراد بمغمز الشيطان محل غمزه اي
محل ما يلقيه من الامور التي لا تنبغي لان تلك العلقة خلقها الله تعالى في
قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه فلم يبق
فيه مكان لان يلقي الشيطان فيه شيئا فلم يكن للشيطان فيه حظ وليست
هي محل غمزه عند ولادته صلى الله عليه وسلم كما يوهمه كلام بعضهم وفيه ان
هذا ينبغي ان يكون قبل ان الذي كان للشيطان عليه سبيل واجاب السبكي
بانه لا يلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الالقاء اي بالفعل
فليتامل • وسئل السبكي لم خلق الله هذا القابل في هذه الذات الشريفة
وكان من الممكن ان لا يخلقه الله تعالى فيها فاجاب بانه من جملة الاجزاء
الانسانية فخلقته تكملة للخلق الانساني ثم نزعه تكرمة له صلى الله
عليه وسلم اي ليظهر للخلق تلك التكرمة ليتحققوا كمال باطنه
كما تحققوا كمال ظاهره اي لانه لو خلق صلى الله عليه وسلم خاليا عنها
لم تظهر تلك التكرمة وفيه انه يرد عليه ذلك ولادته صلى الله عليه وسلم
من غير قلفة واجيب بالفرق بينهما بان القلفة لما كانت تزال ولا بد
من اجل حدثها مما يلزم عليه ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة
الانسانية مما يعين الكمال وقد تقدم ذلك • وذكر السهيلي ان هذه
العلقة هي محل غمز الشيطان عند الولادة حيث قال ان عيسى عليه السلام
لما لم يخلق من مني الرجل وانما خلق من نفخة روح القدس اعيذ من
غمز الشيطان قال ولا يدل هذا على فضل عيسى على محمد صلى الله عليهما
وسلم لان محمدا قد نزع منه ذلك المغمز هذا كلامه وقد علمت انه
انما هو محل ما يلقيه الشيطان من الامور التي لا تنبغي وان ذلك
مخلوق في كل احد من الانبياء عيسى وغيره ولم ينزع الا من نبينا صلى الله
عليه وسلم • قال صلى الله عليه وسلم ثم غسلا قلبي بذلك الثلج اي

وفي الاجوبة الحسنة

الذي

الذي في الطست حتى انقياه اي وملاه حكمة وايمانا كما في بعض الروايات
اي وفي رواية ثم قال احدهما لصاحبه ايتني بالسكينة فذراها في قلبي
وهذه السكينة يحتمل ان تكون هي الحكمة والايمان ويحتمل ان تكون
غيرهما وهذه الرواية فيها ان الطست كان من ذهب وكذا في الرواية
الاتية وفي الرواية قبل هذه كان من زمردة خضرا ويحتاج الى الجمع
وسنذكره وفي هذه الرواية وكذا في الرواية الاتية ان الثلج كان في
الطست وفي الرواية الاتية كان بيد احدهم ابريق فضة ويحتاج الى
الجمع لان الواقعة لم تتعدد وهو عند حليمة وفي غسله بالثلج اشعار
بثلج اليقين وبرده على الفؤاد ذكره السهيلي وذكر في حكمة كون الطست
من ذهب كلاما طويلا قال صلى الله عليه وسلم وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الان
وفي الروايات السابقة لم يذكر الخاتم وتتمة الجواب الذي اجاب به صلى
الله عليه وسلم اخا بني عامر التي وعدنا بذكرها هنا هي قوله صلى الله
عليه وسلم وكنت مسترضعا في بني سعد فبينا انا ذات يوم منتبذ اي
منفردا عن اهلي في بطن واد مع اتراب لي اي المقاربين بالموحدة والنون
لي في السن من الصبيان اذا انا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملان
ثلجا فاخذوني من بين اصحابي فخرج اصحابي هرابا حتى انتهوا الى شفير
الوادي ثم اقبلوا على الرهط فقالوا ما اربكم اي حاجتكم الى هذا الغلام
فانه ليس منا هذا ابن سيد قريش وهو مسترضع فينا يتيم ليس له اب
فما يرد عليكم اي يفيدكم قتله وماذا تصيبون من ذلك فان كنتم لا بد
قاتلوه ان كان لا بد لكم من قتل احد فاختاروا اينا شئتم فليأتكم مكانه
فاقتلوه ودعوا هذا الغلام فلما راى الصبيان ان القوم لا يحيرون جوابا
انطلقوا هرابا مسرعين الى الحي يؤذنونهم اي يعلمونهم ويستصرخونهم
على القوم فعمد احدهم فاضجعني الى الارض اضجاعا لطيفا ثم شق بطني
ما بين مفرق صدري الى منتهى عانتي وانا انظر اليه لم اجد لذلك الما
ولا تبا اي ادنى مشقة واستخرج احشا بطني ثم غسلها بذلك الثلج
فانعم غسلها اي بالغ في غسلها ثم اعادها مكانها ابعد فقد طوى ذكر اخراج
الاحشا وغسلها في الروايات السابقة ولا يخفى ان من جملة الاحشا

ظاهر القلب ثم قال الثاني منهم لصاحبه تنح عنه فنحاه عني ثم أدخل يده في جوفي فأخرج
قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء وتقدم التعبير عنها
بالعلقة السوداء ثم رمى بها ثم قال بيده يمنة منه كأنه يتناول شيئا وإذا أنا
بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي أي بعد التئام شقه
فامتلأ نورا أي لأنه نور النبوة والحكمة فقد تقدم وملأه حكمة وإيمانا
وأن السكينة ذرت فيه ثم أعاده مكانه فوجدت برد الخاتم في قلبي دهرا • وفي
رواية فأنا الساعة أجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي • أقول لفظ شيخ
شيخنا الشيخ نجم الدين الغيطي عن مغازي ابن عائذ في حديثه صلى الله
عليه وسلم لأخي بني عامر وأقبل الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه
بين كتفيه وثدييه فهنا لك • وقوله فصدعه يدل ظاهره على أن صدعه
كان بيد الملك فلم يستعن بآلة وحينئذ يكون المراد بالشق الصدع بيده
الذي تقدم طوي من هذه الرواية كونه ملأ قلبه حكمة وإيمانا وأنه ذر فيه
السكينة وذكر في هذه الرواية أن الختم كان لقلبه صلى الله عليه وسلم
وفي الرواية قبلها أنه كان بين كتفيه وفي رواية ابن عائذ وبين ثدييه
ويحتاج للجمع والظاهر أن متعاطي الختم جبريل ويدل له قول صاحب الهمزية
ختمته يمنى الأمين وسياق التصريح بذلك لكن من غير جهة الصفة
والله أعلم • قال صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه
فنحاه عني فأمر يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك
الشق بإذن الله تعالى وختم عليه وفي رواية قال أحدهما لصاحبه خطه
فخاطه وختم عليه أقول وقد يقال بمعنى خطه ألحمه فمعنى خاطه أي ألحمه
أي مسح بيده فالتحم فلا يخالف ما سبق ولا ينافيه ما في الحديث الصحيح
أنهم كانوا يرون أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم لجواز أن يكون
المراد يرون آثارا كآثار المخيط وهو أثر مرور يد جبريل عليه السلام
وهذا طوي ذكره في الروايات السابقة • وقوله وختم عليه يقتضي أن الختم
كان في صدره وهو الموافق لما تقدم عن ابن عائذ بين ثدييه لكنه
زاد وبين كتفيه وتقدم أن الختم كان بقلبه وقد يقال في الجمع لا مانع
من تعدد الختم في المحال المذكورة أي في قلبه وصدره وبين كتفيه

موضع الختم

محل

محل القلب لحفظ ما فيه وختم الصدر وبين الكتفين بالمعنى فحفظ ذلك لأن
الصدر وعاء القلب وجسده وعاء الجميع وخص بين الكتفين لأنه
أقرب إلى القلب من بقية الجسد ولعله أولى من جواب القاضي عياض بأن الذي
بين كتفيه هو أثر ذلك الختم الذي كان في صدره إذ هو خلاف الظاهر هذا
من قوله وجعل الخاتم بين كتفي وفيه السكوت عن ختم قلبه ولا يحسن أن
يراد بالصدر القلب من باب تسمية الحال باسم محله لأنه يصير ساكتا عن ختم
الصدر وأولى من جواب الحافظ ابن حجر بأنه يجوز أن يكون الختم للقلب
ظهر أثره من وراء ظهره عند كتفه الأيسر لأن القلب في ذلك الجانب لما علمت
ونبها أن الذي عند الأيسر خاتم النبوة أي الذي هو علامة على النبوة الذي
ولد صلى الله عليه وسلم به على ما هو الصحيح • ومن الخصائص الصغرى وخص
صلى الله عليه وسلم بجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان
لغيره وسائر الأنبياء كان الخاتم في يمينهم أي فقد أخرج الحاكم في المستدرك
عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا إلا وقد كان عليه شامة النبوة
في يده اليمنى إلا أن يكون نبينا صلى الله عليه وسلم فإن شامة النبوة كانت
بين كتفيه هذه العلامة ولم أقف على بيان تلك الشامات التي كانت للأنبياء
ما هي • وكتب الشهاب القسطلاني على هامش الخصائص قوله وجعل خاتم النبوة
بظهره إلى آخره مشكل إذ مفهومه أن موضع الدخول لقلوب الأنبياء غير نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لم يختم ولا يخفى ما فيه من المحظور فلعله أخذها من عبارة
وما أخطأ من أشار به هذه العلامة وذلك أن يقول المراد بغيره بقوله
حيث يدخل الشيطان لغيره من غير الأنبياء لما علم وتقرر في الدرس من عصمة
الأنبياء من الشيطان واختص نبينا من بين سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه
عليهم بالختم في المحل المذكور مبالغة في حفظه من الشيطان وقطع الطمع فليتأمل
لا يقال دخل من جواب القاضي والحافظ وهو موافق لما تمسك به القائل بأن خاتم
النبوة لم يولد به وإنما حدث بعد الولادة لأنا نقول يمكن تسليم أنه حدث بعد
الولادة لكنه وجد عقبها فقد روى أبو نعيم في الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم
لما ولد ذكرت أمه أن الملك غمسه في الماء الذي أنبعه ثلاث غمسات ثم أخرج
صرة من حرير أبيض فإذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة وبعد ذلك

وخص نبينا بخاتم النبوة

متى وضع خاتم النبوة

يعلم انه خاتم النبوة ليس اثر الهذا الخاتم . وكلام السهيلي يقتضي انه حيث قال
ان في هذا الحديث الذي في شق صدره صلى الله عليه وسلم في الرضاعة .
فائدة من تبيين العلم وذلك ان خاتم النبوة لم يدر انه خلق به او وضع .
فيه بعدما ولد او حين نبئ فتبين في هذا الحديث متى وضع وكيف وضع ومن
وضعه زادنا الله علما واوزعنا شكرا هنا كلامه . ثم رأيت عن الحافظ
ابن حجر ما يوافقه حيث ومقتضاه ان الخاتم الذي فيها شق الصدر ووضع
الخاتم انه لم يكن موجودا حين ولادته وانما كان اولا وضعه لما شق صدره
عند حليمة خلافا لمن قال ولد به او حين وضع هذه الحلمة والا فقلناه
من ان هذا الخاتم غير خاتم النبوة اولى لانه به يجتمع القولان وتندفع
المنافاة والجمع اولى من التضعيف لما صح من انه صلى الله عليه وسلم ولد به
وعليه هو يلزم ان يكون خاتم النبوة تعدد محله فوجد بين كتفيه
وفي صدره وفي قلبه لا يقال قد اشير الى الجواب عن ذلك بان الموجود
بين كتفيه هو اثر ما في صدره وقلبه لانا نقول يبطله ما تقدم عن
الدلائل لابي نعيم وما تقدم عن بعض الروايات فاقبل الملك وفي يده
خاتم فوضعه بين كتفيه وثدييه . وايضا يلزم عليه ان يكون خاتم
النبوة تكرر لاثباته به ثانيا في قصة البعث وثالثا في قصة الاسرا
ففي قصة البعث فاكفاني كما يكفأ الاناء ثم ختم في ظهري وفي قصة الاسرا
ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وكل منهما يبطل كونه ما في ظهره او بين كتفيه
اثر لذلك الختم الذي وجد في صدره او قلبه الا ان يقال في قصة البعث
وقصة المعراج غير خاتم النبوة وان خاتم النبوة انما هو الاثر الحاصل
من ختم صدره وقلبه في قصة الرضاع وان تكرر الختم على ذلك الا اثر في
البعث وفي قصة الاسرا وفيه انه لا معنى لتكرر الختم في محل واحد
ولا يقال الغرض منه المبالغة في الحفظ لان ذلك انما يكون عند تعدد
محل الختم لا عند اتحاده ثانيا وثالثا في محل واحد وايضا هو خلاف
ظاهر كلامهم من انه في المحال الثلاث خاتم النبوة ويؤيده ان المتبادر
من القول في قصة الاسرا ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة انه جعل خاتم
النبوة بين كتفيه والا فامعنى كون الخاتم بمعنى الطابع خاتم النبوة

فان

ولما تم امر شق الصدر

فان قلت على دعوى الغيرية يحتاج الى الجواب عن قوله بخاتم النبوة **قلت**
قد يقال هذا ليس برواية عن الشارع وانما وقعت تلك العبارة من بعضهم ويجوز
ان تكون الباء في كلامه بمعنى مع اي مع خاتم النبوة تامل والله اعلم . قال
صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا ثم قال للاول
الذي شق بطني زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من
امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال دعه
فلو وزنتموه بامته كلهم لرجحهم ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين
عيني ثم قالوا يا حبيب الله انك لن ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير
لقرت عيناك اقول في بعض الروايات زنه بعشرة ثم قال زنه بمائة ففي
هذه الرواية طي ذكر وزنه بعشرين وفي تلك الرواية طي وزنه بعشرة فيؤ والله اعلم
قال صلى الله عليه وسلم وبينا نحن كذلك اذا بالحي قد اقبلوا بحذافيرهم
اي بجمعهم واذا بظئري اي مرضعتي امام الحي تهتف اي تصيح باعلا صوتها
وتقول واضعيفاه فاكبوا علي يعني الملائكة الذين هم اولئك الرهط الثلاثة
وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من ضعيف
ثم قالت ظئري يا وحيداه فاكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما
بين عيني وقالوا حبذا انت من وحيد وما انت بوحيد ان الله معك
وملائكته والمؤمنين من اهل الارض ثم قالت ظئري يا يتيماه استضعفت
من بين اصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا علي وضموني لصدورهم وقبلوا
رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا انت من يتيم ما اكرمك على الله لو تعلم
ما اريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي
فلما ابصرتني امي وهي ظئري قالت لا اراك الا حيا بعد فجاءت حتى اكبت علي
ثم ضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني لفي حجرها قد ضمتني اليها ويدي
في يد بعض الملائكة وجعل القوم لا يعرفونهم اي لا يرونهم فاقبل
بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد اصابه لمم اي طرف من الجنون او
طائف من الجن اي وهي اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه
فقلت يا هذا ما بي مما تذكرون ان ارابي اي اعضائي سليمة وفؤادي صحيح ليس
بي قلبة اي علة يقلب لها الى من ينظر فيها فقال ابي وهو زوج ظئري

ألا ترون كلامه مبيحًا أني لا أرجوا أن لا يكون بابني بأس واتفقوا على أن
يذهبوا بي إلى الكاهن فلما انصرفوا بي إليه وقصوا عليه قصتي قال اسكتوا
حتى أسمع من الغلام فإنه أعلم بأمره منكم فسألني فقصصت عليه أمري
من أوله إلى آخره فوثب إلي وضمني إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته يا للعرب
يا للعرب شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى
لئن تركتموه حتى يدرك مدارك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن أحلامكم
وأحلام آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط وإنه ليسفهن
عقولكم وليكذبن أديانكم وليدعونكم إلى رب لا تعرفونه ودين تنكرونه
فعمدت ظئري فانتزعتني من حجره وقالت لأنت أعته وأجن ولو علمت
أن هذا من قولك ما أتيتك به فاطلب لنفسك من يقتلك فإنا غير قاتلي هذا
الغلام ثم حملوني إلى أهلي وأصبحت مفزعًا مما فعلوا بي يعني الملائكة أي
من حلقي من بين أثر أبي وثنايي إلى الأرض لأن خصوص الشق لما تقدم وأصبح أثر
الشق ما بين صدري إلى منتهى عانتي أي أثر التئام الشق الناشي عن إمرار
يد الملك كأنه الشراك انتهى أقول الشراك أحد سيور النعل الذي هو
المداس الذي يكون على وجهها ولعل حكمة بقائه ليدل على وجود الشق
وعلم أنه حيث كانت قصة شق صدره الشريف في زمن الرضاع عند حليمة فأخذه
تكون هذه الروايات المراد منها واحدًا وأن بعضها وقع فيه الاختصار عما وقع به
الإطالة في بعضها وأن إخباره صلى الله عليه وسلم بأن الملائكة كانوا ثلاثة
لا ينافي إخباره بأنهم كانوا اثنين وتنبيه الإضجاع والشق للبطن
أو الصدر إلى اللبة مرة أو إلى الأنثيين لا ينافي أن تعاطي ذلك واحد منهم
كما أخبر به أخوه وجاء التصريح به في بعض الروايات وأن التعبير في بعضها
بشق البطن هو المراد بشق الصدر إلى منتهى العانة في بعضها وأنه ليس
المراد بشق البطن أو شق الصدر شق القلب لما تقدم في الرواية
واستخراج أحشاء بطني ثم غسلها ثم إعادتها مكانها ثم قال لصاحبه تنح
عنه فنحاه عني ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي ... عند الحديث وأنه
يجوز أن يكون الطست كان مشتملًا على واحد من زمردة خضراء وواحد من ذهب
وأن الأول كان فارغًا بعد الآن يلقى فيه ما يغسل به والثاني ملآن إيمانًا

ومنها

ومنها أي من جملة الأحشاء ظاهر قلبه أي داخل قلبه وحينئذ يكون في بعض الروايات
اقتصر على القلب وفي بعضها جمع بينه وبين الأحشاء في ذلك ويحتاج إلى الجمع بين كون
الشق في ذروة الجبل وكونه في سفح الوادي وكون المخرج علقة وكونه مضغة
وقد يقال جاز أن يكون ذروة الجبل قريبة من سفح الوادي وأنه عبر عن الذي
أخرجه وألقاه تارة بالعلقة وتارة بالمضغة ولعل تلك المضغة كانت
قريبة من العلقة ولا يخفى أن هذه العلقة يحتمل أنها غير حبة القلب التي
أخذت منها الجنة وهي علقة سوداء في صميمه المسماة بسويداء القلب ويحتمل
أنها هي والله أعلم وقد أشار إلى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جده وقد فصلته ... وبها من فصالها البرحاء
إذ أحاطت به ملائكة الله ... فظنت بأنهم قرناء
ورأى وجدها به ومن الوجد ... لهيب تصلى به الأحشاء
فارقته كرهًا وكان لديها ... ثاويًا لا يمل منه الثواء
شق عن قلبه وأخرج منه ... مضغة عند غسله سوداء
ختمته يمنى الأمين وقد ... أودع ما لم تذع له أنباء
صان أسراره الختام فلا ... الفض ملم به ولا الإفضاء

أي وأتت حليمة به جده ولعل الحال أنها فطمته والحال أنه لحق بها من أجل فطامه
ورده التألم الزائد وردها به لأجل أنه أحدق به ملائكة الله فظنتهم
شياطين ورأى شدة محبتها له وتعلقها به وقد حصل لها من الوجد الذي
بها لهب يحرق به الأحشاء وهو كما يحرق به الضلوع فارقته بعد رده كارهة
لفراقه والحال أنه كان مقيمًا عندها لا تمل ذلك منه وقد شق عن قلبه
وأخرج من ذلك القلب عند غسله مضغة سوداء ختمت على ذلك القلب يمين
الأمين جبريل بخاتم النبوة والحال أن ذلك القلب الشريف قد أودع من
الأسرار الإلهية ما لم تنشره أخبار لأن تلك الأسرار لا يعلمها إلا الله تعالى
حفظ ذلك الختام أسراره التي أودعت فيه فلا الكسر واقع بذلك الختم ولا
الإشاعة واقعة لتلك الأسرار أقول قد علمت أنه صدره الشريف شق مرتين
غير هذه المرة مرة عند مجيء الوحي ومرة عند المعراج وزاد بعضهم أنه شق عنه
وهو ابن عشر سنين كما في مسلم ولم يبلغ من العمر عشرين سنة أي وفيها هي المتينة

واختلف في عدد شق الصدر

يقول لما جاء الواهب ورد ذلك خاصة ولم تثبت وسيأتي في تلك الخامسة عن الدر
المنثور وسيأتي ما فيها والله أعلم • قال وفي المرة التي ابن عشر سنين وأشهر
قال صلى الله عليه وسلم جاءني رجلان فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعني
لحلاوة القفا ثم شقا بطني فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب
والآخر يغسل جوفي ثم شق قلبي فقال أخرج الغل والحسد منه فأخرج
منه العلقة والمتبادر أن أل في العلقة للعهد وهي العلقة السوداء التي
تقدم أنها حظ الشيطان وأنها مغمزه أي محل الغل والحسد • وفيه أنه
تقدم أيضا أن تلك العلقة أخرجت والقلب قبل هذه المرة وتكرر
نبذها يستحيل إلا أن تحمل العلقة على جزء بقي من أجزائها بناء على جواز
أنها تجزأت أكثر من جزئين المعبر عنهما فيما تقدم عن بعض الروايات
علقتين سوداوين إلا أن يقال المراد بقوله فأخرج منه العلقة أي
أخرج ما هو كالعلقة أي شيئا يشبه العلقة كما سيأتي التصريح بذلك
في بعض الروايات فأدخل شيئا كهيئة الفضة ثم أخرج ذرورا كان
معه فذره عليه أي على شق القلب فالتحم به ثم نقر إبهامي ثم قال
اغد واسلم • أقول لم يذكر في هذه المرة الختم وظاهر هذه الرواية
أن الصدر التحم بمجرد ذر الذرور وتقدم في قصة الرضاع أن ذلك كان
بإمرار يد الملك واستمر أثر التئام الشق يشاهد كالشراك • وفي
الدر المنثور عن زوائد مسند الإمام أحمد عن أبي بن كعب عن أبي هريرة
قال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت يا أبا هريرة إني لفي صحراء
ابن عشر سنين وأشهر إذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل
أهو هو فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وثياب لم أرها على أحد
قط فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسا
فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر أي من غير
انقلاب فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ففلقاه فيما أرى بلا دم ولا
وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها
فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج أي يشبه فلة

شبه الفضة ثم نقر إبهام رجلي اليمنى وقال اغد واسلم فرجعت أغدو بهما رأفة
على الصغير ورحمة على الكبير ولم يذكر في هذه المرة الغسل فضلا عما يغسل
به ولم يذكر الختم لكن قول الرجل للآخر أهو هو يدل على أن الرجلين ليسا
جبريل وميكائيل لأنهما يعرفانه وقد فعلا به ذلك في قصة الرضاع • وقد
يدعى أن هذه الرواية هي عين الرواية قبلها وذكر عشر سنين غلط من
الراوي وإنما هي عشرين ثم رأيت ما يصرح بذلك وهو وكان سنه عشرين حجة
وقد تحمل هذه المرة أي كونه ابن عشرين سنة على أن ذلك كان في المنام وإن
كان خلاف ظاهر السياق وقال صلى الله عليه وسلم في المرة التي هي عند ابتداء
الوحي جاءني جبريل وميكائيل فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفا ثم شق
عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ولم يبين ذلك
ما هو ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه أي بذلك
الذرور أو بإمرار يده أو بهما جميعا ثم أكفأني كما يكفأ الإناء ثم ختم في ظهري
يحتمل أن يكون في غير المحل الذي ختمه في قصة الرضاع وفيه أنه لا معنى
لوضع الختم على الموضع كما تقدم ويمكن أن تكون الحكمة في الجمع بين جبريل
وميكائيل أن ميكائيل ملك الرزق الذي به حياة الأجساد والأشباح
وجبريل ملك الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح • والمرة التي هي
عند المعراج سيأتي الكلام عليها وفيها أن الختم وقع بين كتفيه وفيه
ما علمت وقد علمت أن شق الصدر والبطن غير شق القلب وأن شق القلب
وإخراج العلقة السوداء التي هي حظ الشيطان ومغمزه مما اختص به صلى الله
عليه وسلم عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم • وما في بعض الآثار
أن التابوت أي تابوت بني إسرائيل كان فيه الطست الذي غسلت
فيه قلوب الأنبياء المراد ظاهر قلوبهم لأن القلب من جملة الأحشاء التي
غسلت بغسل الصدر والبطن كما تقدم على أن ابن دحية ذكر أنه أثر باطل
وقد يطلق الصدر على القلب من باب تسمية الحال باسم محله ومنه ما وقع
في قصة المعراج أتي بطست مملوء حكمة وإيمانا فوضع في صدري ومنه قول الجلال
السيوطي في الخصائص الصغرى إن شق صدره صلى الله عليه وسلم من خصائصه على
الأصح من القولين أي شق قلبه وسيأتي الكلام على ذلك في الكلام على المعراج

بما هو ابسط مما هنا . ومن حليمة رضي الله عنها انها كانت بعد رجوعها به صلى الله
عليه وسلم من مكة لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا اي عنها فغفلت عنه يوما
في الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع اخته اي من الرضاعة وهي الشيما وكانت
تحضنه مع امها اي ولذلك تدعى ام النبي صلى الله عليه وسلم ايضا وكانت ترقصه
بقولها هذا اخ لي لم تلده امي . وليس من نسل ابي وعمي . فانمه اللهم فيما
تنمي فقالت في هذا الحر اي لا ينبغي ان يكون في هذا الحر فقالت اخته
يا امتاه ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا
سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول احقا يا بنية قالت
اي والله فقالت اعوذ بالله من شر ما نحذر على ابني اي وفي كلام
بعضهم وكان يبصر حليمة الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار
سارت وقد يقال الرؤية في حق حليمة علمية وفي حق اخته بصرية فلا مخالفة
اذ لعلها ابصرتها بعد الاخبار كما يدل على ذلك القول بانها فزعت لذلك
من امره صلى الله عليه وسلم اي ومن كونها فزعت من ذلك بعد الاخبار
اخبرتها بذلك فقدمت به مكة لامه . اقول في الوفا ان حليمة
لما قدمت به صلى الله عليه وسلم الى مكة لترده على امه وان غمامة
تظله في الطريق ان سار سارت وان وقف وقفت وسياق
هذا يقتضي ان هذه القدمة عقب مجيئها به من مكة وان ذلك
كان قبل شق صدره صلى الله عليه وسلم عندها وحينئذ تكون
هذه قدمة ثانية لحليمة الى مكة كانت قبل شق صدره ففي
القدمة الاولى كان سنه سنتين وفي هذه القدمة كان سنه
سنتين واشهر وتكون هذه القدمة محل قول حليمة فوالله انه
بعد فصاله باشهر . وقول ابن الاثير بعد سنتين او ثلاثة اي اما في
القدمة الثالثة وهي التي بعد شق صدره وتركها له عند امه
كان سنه اربع سنين وفيها كانت وفاة امه على ما ياتي
وقيل خمس سنين قاله ابن عباس وقيل ست سنين ويكون
بعض الرواة اشتبه عليه الامر وظن ان هذه القدمة هي
الثانية التي قبل شق صدره فلزم الاشكال فتامل ذلك

تاملا

تاملا حقيقيا ولا تكن ممن يعتمد تقليدا والله اعلم . ووفدت عليه حليمة بعد
تزوجه خديجة رضي الله عنها تشكوا اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة
فاعطتها عشرين راسا من غنم وبكرات جمع بكرة وهي الشابة من الابل
اي وفي رواية اربعين شاة وبعيرا . ووفدت عليه يوم حنين فبسط
لها رداءه فجلست عليه اي فقد قال بعضهم ثم لم تره بعد ان ردته الا مرتين
احداهما بعد تزوجه خديجة اي وعليه تكون هذه المرة هي التي
قدمت فيها مع زوجها وولدها فاجلسهم على ثوبه الذي كان جالسا
عليه كما تقدم . والمرة الثانية يوم حنين . وفي كلام القاضي عياض
ثم جاءت ابا بكر ففعل ذلك اي بسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك
وفي كلام ابن كثير ان مجيء امه صلى الله عليه وسلم اليه في حنين حديث
غريب وان كان محفوظا فقد عمرت دهرا طويلا لان من وقت ارضعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقت الجعرانة اي بعد رجوعه
من حنين ازيد من ستين سنة واقل ما كان عمرها حين ارضعته
ثلاثين سنة وكونها وفدت على ابي بكر وعمر تزيد المدة . وعن
ابي الطفيل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة
اي بعد رجوعه من حنين كما تقدم والطائف وانا غلام شاب فاقبلت
امراة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل
من هذه قيل امه التي ارضعته وفي رواية استاذنت امراة على
النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال
امي امي وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه . وتقدم عن شرح
الهمزية لابن حجر ان من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هي
وزوجها وبنوها ومن الافاضل من الناس من ينكر اسلامهما واشار
بذلك الى شيخه الحافظ الدمياطي فانه من جملة المنكرين حيث قال اي
في سيرته حليمة لا يعرف لها صحبة ولا اسلام وقد وهم غير واحد
تذكروها في الصحابة وليس بشيء وكان الانسب ان يقول ذكروا ثبت
اسلامها وليس بشيء ويوافقه قول الحافظ ابن كثير الظاهر ان حليمة
لم تدرك البعثة ورده بعضهم فقال اسلامها لا شك فيه عند جماهير

في سعادة حليمة بتوفيقها للاسلام

الحلاوة لا يقول على قول بعض المتأخرين انه ثبت فقد روى ابن حبان
حديثا صحيحا دالا على اسلامهما وانكر الحافظ الدمياطي وفودهما عليه
في حنين وقال الوافدة عليه في ذلك انما هي اخته من الرضاعة وهي
ابنتها اقول دل على صحة ما قاله الحافظ الدمياطي لا ينافيه قوله
صلى الله عليه وسلم امي امي لانه كان يقال لاخته الشيماء ام النبي
صلى الله عليه وسلم لانها كانت تحضنه مع امها كما تقدم ولا قول
بعض الصحابة امه التي ارضعته لانه يجوز انه لما قيل امه حملها
على المرضعة له صلى الله عليه وسلم ليتميز من امه من النسب
وعلى كون الوافدة عليه في حنين اخته اقتصر في الهدي والله اعلم
قال الحافظ ابن حجر حيان او رد عدة اثار في مجي امه صلى الله
عليه وسلم من الرضاعة اليه يوم حنين وفي مجموع هذه الطرق
ما يقتضي ان لها اصلا اصيلا وفي اتفاق الطرق على انها امه رد على من
زعم ان التي وفدت عليه اخته انتهى اقول لا راد في ذلك لانه يعلم
ان اخته المذكورة كان يقال لها ام النبي صلى الله عليه وسلم ووصف
بعض الصحابة لها بانها امه من الرضاعة تقدم انه يجوز ان يكون
بحسب ما فهم ومما يعين انها اخته ما سيأتي انها لما اخذت في حنين
من جملة سبي هوازن قالت للمسلمين انا اخت صاحبكم فلما قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله انا اختك
قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها في ظهري وانا متوركتك
فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط
لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه الى اخر ما ياتي وكلام
المواهب يقتضي انهما قضيتان واحدة كانت فيها اخته والاخرى
كانت فيها امه من الرضاعة حيث قال فقد روى ان خيلا له صلى
الله عليه وسلم اغارت على هوازن فاخذوها يعني اخته من الرضاعة
التي هي الشيماء فقالت انا اخت صاحبكم الى ان قال فبسط لها رداءه
واجلسها عليه فاسلمت ثم قال وجاءته يعني امه من الرضاعة
التي هي حليمة يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداءه فجلست عليه

وهذا

وهذا كما ترى يوهم ان الخيل التي اغارت على هوازن التي كانت فيها اخته
لم تكن في حنين وان امه لم تكن يوم حنين في سبي هوازن مع ان القصة واحدة
وان سبي هوازن كان يوم حنين فيلزم ان يكون يوم حنين جاء اليه كل من
امه واخته الاولى من غير السبي والثانية في السبي وانه فرش لكل رداءه
وهو تابع في ذلك لابن عبد البر حيث قال في الاستيعاب حليمة السعدية
ام النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة جاءت اليه يوم حنين فقام
لها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله
ابن جعفر قال حذافة اخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة عند
بعد لها الشيماء اغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن
فاخذوها فيما اخذوا من السبي الحديث وكون عبد الله بن جعفر روى
عن حليمة قال الحافظ ابن حجر لا يتهيأ له السماع منها لانه بعد الهجرة
بسبع سنين فاكثر لانه قدم من الحبشة مع ابيه الذي هو جعفر
ابن ابي طالب في خيبر سنة سبع اي وبعد مجيئها وبقاؤها الى ذلك
الزمن وفيه ان حنين بعد خيبر وابعد من ذلك وفودها على ابي بكر
وعمر وما تقدم كما يشعر باستبعاد ذلك عن ابن كثير والذي يتجه
ان الوافدة عليه صلى الله عليه وسلم في حنين اخته لا امه كما يقول
الحافظ الدمياطي والله اعلم • قال قال ابو الفرج ابن الجوزي ثم
وفدت اي حليمة عليه بعد النبوة فاسلمت وبايعت ولا يقال سلمنا
ان القادمة عليه اي بعد النبوة فما الدليل على اسلامها انتهى •
اقول كان من حقه ان يقول بدل هذه العبارة التي ذكرها وانما قال
نبهني ابن الجوزي فاسلمت بعد قوله قدمت عليه صلى الله عليه وسلم
بعد النبوة لانه لا يلزم من قدومها عليه بعد النبوة اسلامها وفي كون
قول ابن الجوزي فاسلمت دليلا على اسلامها نظر لانه مجرد دعوى تحتاج
الى دليل الا ان يجاب بان قول ابن الجوزي فاسلمت دليلنا على اسلامها
والله اعلم • وذكر الذهبي ان التي وفدت عليه في الجعرانة يجوز ان
تكون ثويبة رضي الله عنها ونظر فيه بان ثويبة توفيت سنة سبع
من الهجرة اي مرجعه صلى الله عليه وسلم من خيبر على ما تقدم اقول

ذكره في النور ان الحافظ مغلطاي له مؤلف في اسلام حليمة سماه التحفة
الجسيمة في اسلام حليمة. وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لم ترضعه
مرضعة الا واسلمت لكن هذا البعض قال ومن مرضعاته صلى الله
عليه وسلم اربع امه وحليمة السعدية وثويبة وام ايمن اي انها
وهو بعيد لما تقدم عن ابن منده من اسلام ثويبة واما اسلام
امه صلى الله عليه وسلم فسنذكره وكون ام ايمن ارضعته تقدم ما فيه

باب وفاة امه صلى الله عليه وسلم وحضانة ام ايمن له وكفالة جده عبد المطلب اياه اي

اختصاصه به لكن ذكر ابن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ماتت امه لما كمل له ست سنين وقيل كان سنه اربع سنين
وبه صدر في المواهب اي وهو يرد القول بان حليمة لما ردته
الى امه كان عمره خمس او ست سنين قال وقيل كان سنه سبع
سنين وقيل ثمان سنين وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرا وعشرة
ايام انتهى وكانت وفاتها بالابواء وهو محل بين مكة والمدينة
اي وهو الى المدينة اقرب وسمي بذلك لان السيول تتبوأه اي تحل
فيه ودفنت به وقيل فيه انه صلى الله عليه وسلم لما مر بالابواء
في عمرة الحديبية قال ان الله اذن لمحمد في زيارة قبر امه فاتاه
واصلحه وبكى عنده وبكى المسلمون لبكائه صلى الله عليه وسلم
وقيل له في ذلك فقال ادركتني رحمتها فبكيت وكان موتها وهي
راجعة به صلى الله عليه وسلم من المدينة من زيارة اخوال
جده عبد المطلب لان ام عبد المطلب من بني عدي بن النجار كما تقدم
بعد ان مكثت عندهم شهرا ومرضت في الطريق ومعها ام ايمن
بركة الحبشية التي ورثها من ابيها عبد الله على ما تقدم فحضنته
صلى الله عليه وسلم وجاءت به الى جده عبد المطلب اي بعد خمسة
ايام من موت امه فضمه اليه ورق له رقة لم يرقها على ولده
هذا وفي كلام بعضهم ومعها النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت
امه بالابواء حتى انتهت الحبشية الى مكة وجاءت ام ايمن مولاة ابيه
عبد الله

عبد الله فاحتملته وذلك لخامسة من موت امه فليتامل وكون موت امه
كان في حياة عبد المطلب هو المشهور الذي لا يكاد يعرف غيره وبه يرد
قول من قال ان موت عبد المطلب كان قبل موت امه بسنتين اي وكان
صلى الله عليه وسلم يقول لام ايمن انت امي بعد امي ويقول لام ايمن
اي بعد امي وفي القاموس دار رابغة بالغين المعجمة فيها مدفن امه
صلى الله عليه وسلم ولم اقف على محل تلك الدار من مكة قال وقيل
توفيت اي دفنت بالحجون بشعب ابي دب وغلط قائله وعن
عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة الوداع فمر على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فبكيت
لبكائه ثم انه طفق اي شرع يقول يا حميرا استمسكي فاستندت
الى جنب البعير فمكث عني طويلا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقلت
له بابي انت وامي يا رسول الله نزلت من عندي وانت باك حزين
مغتم فبكيت لبكائك ثم عدت الي وانت فرح متبسم فمم ذلك قال
ذهبت لقبر امي فسالت ربي ان يحييها فاحياها فامنت وردها
الله تعالى وهذا الحديث قد حكم بضعفه جماعة منهم الحافظ ابو الفضل
ابن ناصر الدين والجورقاني وابن الجوزي والذهبي في الميزان
واقره على ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان وحكم ابن
شاهين وغيره بنسخه باحاديث النهي عن الاستغفار اي لهما
منها ما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اي ولعله في عمرة القضاء
لانه لم يقدم مكة زائرا مع اصحابه قبل حجة الوداع الا في ذلك اتى رسم
قبر امه فجلس اليه فناجاه طويلا ثم بكى قال ابن مسعود فبكينا لبكائه ثم
ثم قام ثم دعانا فقال ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي
جلست اليه فناجيته الحديث وفي رواية اتى قبر امه فجلس اليه فجعل
يخاطبه ثم قام مستعبرا فقال بعض الصحابة يا رسول الله فدا ابينا
ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته
في الاستغفار لها فلم ياذن لي وفي رواية ان جبريل ضرب في صدره
صلى الله عليه وسلم وقال له لا تستغفر لمن مات مشركا فما روي باكيا اكثر منه

يومئذ وفي رواية استأذنته فيهما اي بالاستغفار فلم يأذن لي وانزل
علي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى فاخذني ما يأخذ الولد للوالد قال القاضي عياض بكاؤه صلى
الله عليه وسلم على ما فاتهما من ادراك ايامه والايمان به اي النافع
اجماعا وكونه ناسخا لذلك غير جيد لان احاديث النهي عن
الاستغفار بعض طرقها صحيح رواه مسلم وابن حبان في صحيحيهما
وبعض مسلم استأذنت ربي ان استغفر لامي فلم يأذن لي واستأذنته
في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الاخرة وفي
لفظ تذكركم الموت وهذا الحديث اي حديث عايشة على تسليم صحته
اي دلالته وضعفه لا يكون ناسخا للاحاديث الصحيحة اقول ذكر الواحدي
في اسباب النزول ان اية ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين الاية وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاية نزلتا لما
استغفر النبي صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب بعد موته فقال
المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قراباتنا هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لعمه وقد استغفر ابراهيم عليه
السلام لابيه اي فنزلتا وحيث كان غضب سبب ابي طالب لا يقال
جاز ان تكون اية ما كان للنبي تكرر نزولها لما استغفر صلى الله
عليه وسلم لعمه فلما استغفر صلى الله عليه وسلم لامه لا مرة لتعدد كونه
تبوء للاستغفار بعد ان بين عنده فيه ما فيه او المراد بالنسخ المعارضة
يعني قول ابن شاهين انه ناسخ لاحاديث النهي عن الاستغفار اي
معارض لها اذ لا معنى للنسخ هنا على انه لا معارضة لان النهي عن الاستغفار
فيما كان قبل ان تؤمن واذا ثبت ما تقدم عن عايشة وما جعله كان
دليله لمن يقول قبر امه صلى الله عليه وسلم بمكة وعلى كونها دفنت بالابواء
اقتصر الحافظ الدمياطي في سيرته وكذا ابن هشام في سيرته وفي
الوفا عن ابن سعد ان كون قبرها بمكة غلط وانما قبرها بالابواء
وقد يقال على تقدير صحة الحديثين انها دفنت بالابواء انها دفنت
بمكة يجوز ان تكون دفنت اولا بالابواء ثم نقلت منه الى تلك المكة

فعلم ان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان يحييهما الله تعالى له وتؤمنا به قال
الحافظ السيوطي ان هذه الاحاديث اي حديث عايشة قيل انه موضوع
لكن الصواب ضعفه لا وضعه هذا كلامه ويجوز ان يكون قوله صلى الله
عليه وسلم لتحصين ابي واياكما في النار على تقدير صحة التي ادعاها الحاكم في
المستدرك كان قبل احيائهما وايمانهما به كما تقدم نظيره ذلك في ابيه وقوله
على تقدير صحة الحديث اشارة لما تقرر في علوم الحديث انه لا يقبل تفرد الحاكم
بالتصحيح في المستدرك لما عرف من تساهله في التصحيح فيه وقد تعقب الذهبي
ضعف هذا الحديث وحلف على عدم صحته يمينا وتقدم الجواب عما يقال كيف
ينفع الايمان بعد الموت وتقدم تاقيه على ان هذا اي منع الاستغفار لهما
انما ياتي على القول بان من بدل او غير او عبد الاصنام من اهل الفترة
معذب وهو قول ضعيف مبني على وجوب الايمان والتوحيد بالعقل والذي
عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب ذلك الا بارسال الرسل
ومن المقرر ان العرب لم يرسل اليهم صلى الله عليه وسلم بعد اسمعيل
وان اسمعيل انتهت رسالته بموته كبقية الرسل لان ثبوت الرسالة
بعد الموت من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم فعليه اهل الفترة من
العرب لا تعذيب عليهم وان غيروا او بدلوا او عبدوا الاصنام وان
الاحاديث الواردة بتعذيب بعض من ذكر اي من غير او بدل او عبد الاصنام
مؤولة او خرجت مخرج الزجر للحمل على الاسلام • ثم رأيت بعضهم رجح
ان التكليف بوجوب الايمان بالله تعالى وتوحيده اي بعدم عبادة
الاصنام يكفي فيه وجود رسول دعى الى ذلك وان لم يكن ذلك الرسول
مرسلا لذلك الشخص بان لم يدرك زمنه حيث بلغه انه دعى الى ذلك
او امكنه علم ذلك وان التكليف بغير ذلك من الفروع لا بد فيه من
ان يكون ذلك الرسول مرسلا لذلك الشخص وقد بلغته دعوته
وعلى هذا من لم يدرك زمن نبينا صلى الله عليه وسلم والا من قبله
من الرسل معذب على الاشراك بالله تعالى بعبادته الاصنام لانه على
فرض ان لا تبلغه الدعوة من احد من الرسل السابقين الى الايمان بالله
وتوحيده لكنه كان متمكنا من علم ذلك فهو تعذيب بعد الرسل لا قبله

وثبوت الرسالة بعد الموت من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام

وحينئذ لا يشكل ما اخرجه الطبراني في الاوسط بسند صحيح عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما بعث الله
نبيا الى قوم ثم قبضه الا جعل بعده فترة من تلك الفترة جهنم ولعل المراد
انها تملى بالكفرة والا فقد اخرج الشيخان عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة
جل جلاله فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط اي حسبي بعزتك
وكرمك واما بالنسبة لغير الايمان والتوحيد من الفروع فلا تعذيب على
تلك الفروع لعدم بعثة رسول اليهم من اهل الفترة وان كانوا معترفين بالله
الا انهم اشركوا بعبادة الاصنام فقد حكى الله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وقد جا النهي عن ذلك على السنة الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم • ووجه الفرق بين الايمان والتوحيد وغيره ان تلك الشرائع
بالنسبة للايمان بالله وتوحيده كالشريعة الواحدة لاتفاق جميع
الشرائع عليه قيل وهو المراد من قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا فقد قال بعضهم المراد من الآية استوا الشرائع كلها في اصل
التوحيد اي ومن ثم قال في تمام الآية ولا تتفرقوا فيه وقال ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال
والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ومن ثم قيل
بعث الانبيا غير قومه على الشرك بعبادة الاصنام ولوم ترك الايمان
والتوحيد لازمانهم لم يتقلهم بخلاف غيره من الفروع فان الشرائع
فيها مختلفة قال بعضهم وسبب اختلاف الشرائع اختلاف الامم في الاستعداد
والقابلية والدليل على ان الانبيا متفقون على الايمان والتوحيد ما جا
انه صلى الله عليه وسلم قال الانبيا اولاد علات اي اصل دينهم واحد
وهو التوحيد وان اختلفت فروع شرائعهم لان اولاد العلات الذين ابوهم واحد
اخوة من الاب وامهاتهم مختلفة وقد جا هذا التفسير في نفس الحديث
في بعض الروايات الانبيا اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد
ويؤيده ما في كلام العلامة ابن حجر الهيتمي حيث ذكر ان الحق الواضح
الذي لا غبار عليه ان اهل الفترة جميعهم ناجون وهم من لم يرسل لهم رسول

اختلاف الشرائع

القول على اهل الفترة

يكلمهم

يكلمهم الايمان فالعرب حتى في زمن بني اسرائيل وانبيائهم اهل فترة لان تلك
الرسل لم يؤمروا بدعائهم الى الله تعالى وتعليمهم الايمان فان قلت قد ورد فيه
حديث صحيح في اهل الفترة بانه من اهل النار فان امكن تاويله فذاك والا
لزمنا ان نؤمن بهذا الفرد بخصوصه • قال واما قول الفخر الرازي دعوى
الرسل الى التوحيد معلومة فجوابه ان كل رسول انما ارسل لقوم مخصوصين
فمن لم يرسل اليه لا يعذب وجوابه عما صح من تعذيب اهل الفترة انها
اخبار احاد فلا تعارض القطع او بعضهم اي صح لا يقبل التاويل كما تقدم
هذا الكلام هنا وقد جا انهم اي اهل الفترة يمتحنون يوم القيمة فقد
اخرج البزار عن ثوبان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم
القيمة جا اهل الجاهلية يحملون اوثانهم على ظهورهم فيسالهم ربهم فيقولون
ربنا لم ترسل لنا رسولا ولم ياتنا لك امر ولو ارسلت الينا رسولا لكنا
اطوع عبادك فيقول لهم ربهم ارايتم ان امرتكم ان تطيعوني فيأخذ على
ذلك مواثيقهم فيرسل اليهم ان ادخلوا النار فينطلقون حتى اذا راوها
فرقوا فرجعوا فقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع ان ندخلها فيقول
ادخلوها داخرين قال النبي صلى الله عليه وسلم لو دخلوها اول مرة كانت
عليهم بردا وسلاما قال الحافظ ابن حجر فالظن بآله صلى الله عليه وسلم يعني
الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله
عليه وسلم لتقر عينه ويرجو ان يدخل عبد المطلب الجنة في جملة من
يدخلها طائعا الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم يؤمن بل ابى بعد ان طلب
منه الايمان • وكما استدل به الحافظ السيوطي على ان ابويه صلى الله عليه وسلم
ليسا في النار قال لانهما لو كانا في النار لكانا اهون عذابا من ابي طالب
لانهما اقرب منه وابسط عذرا لانهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما
الاسلام فامتنعا بخلاف ابي طالب • وقد اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم
ان اهون اهل النار عذابا ابو طالب فليس ابواه صلى الله عليه وسلم من اهلها
قال وهذا يسمى عند اهل الاصول دلالة الاشارة • وكان يوضع لعبد
المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه احد من بنيه اي ولا احد من
اشراف قريش اجلالا له وكان بنوه وسادات قريش يحدقون به فكان

به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر اي شديد قوي
حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا راى
ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح
ظهره ويسره ما يراه يصنع • قال وعن ابن عباس رضي الله عنهما دعوا
ابني يجلس فانه يحس من نفسه بشيء اي بشرف وارجوا ان يبلغ من الشرف
ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده وفي رواية دعوا ابني انه ليؤنس
ملكا اي يعلم من نفسه ان له ملكا وفي لفظ ردوا ابني الى مجلسي فانه
يحدث نفسه بملك عظيم وسيكون له شأن • وعن ابن عباس قال
سمعت ابي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر له يجلس عليه
عليهم وكان حرب ابن امية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله
دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم
يبلغ الحلم فجلس على المفرش فجبذه رجل فبكى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال عبد المطلب وذلك بعد ما كف بصره ما لابني يبكي
قالوا انه اراد ان يجلس على المفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا
ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف اي بشيء من نفسه شرفا
وارجوا ان يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده اي فكانوا
بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب او غاب اي ولعل هذا كان
في اخر الامر فلا ينافي ما تقدم الا ان الظاهر الحمل تكرر ذلك منه صلى
الله عليه وسلم من اخذهم في قول عبد المطلب والا فيحتمل ان اختلاف
قول عبد المطلب من اختلاف الروايات • وقال لعبد المطلب قوم من
بني مدلج وهم القافة العارفون بالاثار والعلامات احفظ به
فانا لم نر قدما اشبه بالقدم الذي في المقام منه اي وهي قدم ابراهيم
عليه السلام اقول اي فان ابراهيم اثرت قدماه في المقام وهو الحجر
الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت كما سيأتي وهو الذي يزار الان
بالمكان الذي يقال له مقام ابراهيم اي وقد اشار الى ذلك ابو طالب بقوله
• وبالحجر المسود اذ يلثمونه • اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل •
• وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة • على قدميه حافيا غير ناعل •

ومقام ابراهيم

قال

٢٠٦

قال الحافظ ابن كثير يعني ان رجله الكريمة غاصت في الصخرة فصارت على قدر قدميه
حافية لا منتعلة • وعن انس رضي الله عنه رأيت في المقام اثر اصابع ابراهيم
وعقبه واخمص قدميه غير ان مسح الناس بايديهم اذهب ذلك اي وشابه
قدمه صلى الله عليه وسلم لقدم ابراهيم يدل على ان تلك الاقدام بعضها من بعض
كما تقدم في قول مجزز المدلجي في زيد واسامة وقد ناما وغطيا رؤوسهما و
بدت اقدامهما ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم لان في ذلك ردا على من كان يطعن في نسب اسامة بن زيد
كما تقدم • وذكر بعضهم ان نبينا صلى الله عليه وسلم اثر قدمه في الحجر ايضا فقد
اثر في صخرة بيت المقدس ليلة الاسراء وان ذلك الاثر موجود الى الان
وذكر الجلال السيوطي انه لم يقف لذلك اي لتأثيره في صخرة الحجر على اثر
ولا اصل ولا سند قال ولا رأيت من خرجه في شيء من كتب الحديث وقال
كذلك فيما اشتهر على الالسنة ان مرفقه الشريف لما اعتمد بالحائط غاص
في الحجر واثر فيه وهو يسمى ذلك المحل بمكة بزقاق المرفق • ومن العجب ان
الجلال السيوطي مع قوله المذكور قال في الخصائص الصغرى وانه وطئ على صخر الا
واثر فيه هذا كلامه ولعله ظهر له صحة ذلك بعد انكاره ودعوى انه صلى الله
عليه وسلم ما وطئ على صخر الا واثر فيه مشيه تقف فيه ثم رأيت الامام
السبكي ذكر تأثير قدمه الشريف في الاحجار حيث قال حتى تأبيته •
واثر في الاحجار مشيك ثم لم • يؤثر برمل او ببطحاء رطبة •
قال شارحها ولعل تأثير قدمه الشريف في الرمل كان ليلة ذهابه الى الغار
اي فليس كان هذا شأنه صلى الله عليه وسلم في كل رمل مشى عليه وكان صلى الله
عليه وسلم اذا دفع قدمه عن الرمل يقول لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي
فان الرجل لا ينم اراد بر اخفاء اثر سيره ليتحير المشركون في طلبه • وفيه
ان هذا التعليل مقتضى لتأثير قدمه الشريف في الرمل لا لعدم تأثيرها في
ذلك ويؤيد ذلك انه سيأتي انهم قصوا اثره صلى الله عليه وسلم الى ان
انقطع الاثر عند الغار اي وقال لهم القائف هذا اثر قدم ابن ابي قحافة
واما الثاني فلا اعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني
مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شيء اي محل لا يسافر وفيه انه هذا

واثر قدمه النبي صلى الله
عليه وسلم في الصخر ابقا

قال

اي تمييز قدمه الشريف من قدم سيدنا ابو بكر ديما بيناقيه قوله لابي بكر ضع قدمك
موضع قدمي فان الرمل لا ينم وقد بينا دلالة فانه لا يجوز ان يكون قدم
ابي بكر لم يكن مساويا لقدمه صلى الله عليه وسلم ولا يظهر في ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم فان الرمل لا ينم لجواز ان يكون المراد لا يظهر فيه قدمي ظهورا
بينا فصح قول الشارح هذا اثر قدم ابن ابي قحافة واما القدم الآخر الى
احد ولم يعتبر من هذا الشارح على تأثير قدمه في الحجارة بلا بدي
لذلك حكم الاماسي بما قبله اصح وقوله في الاحجار يدل على تكرر تأثير
قدمه الشريف في الاحجار ولم يكن ذلك شانه صلى الله عليه وسلم في كل
حجر مشى عليه كما دلت عليه عبارة الجلال السيوطي والله اعلم . قال
وبينا عبد المطلب يوما في الحجر وعنده اسقف نجران والاسقف رئيس
النصارى في دينهم اشتق من اسقف بالتحريك وهو طول الانحناء لانه
يتخاشع اي يظهر الخشوع وذلك الاسقف يحادثه ويقول انا نجد صفة
نبي بقي من ولد اسمعيل هذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا اذ اتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه الاسقف والى عينيه والى ظهره
والى قدميه فقال هو هو ما هذا منك قال هذا ابني قال ما نجد اباه
حيا قال هو ابن ابني وقد مات ابوه وامه حبلى به فقال صدقت فقال عبد
المطلب لبنيه تحفظوا بابن اخيكم الا تسمعون ما يقال فيه انتهى . وعن ام
ايمن كنت احضن النبي صلى الله عليه وسلم اي اقوم بتربيته وحفظه
فغفلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على راسي يقول يا بركة
قلت لبيك قال اتدرين اين وجدت ابني قلت لا ادري قال وجدته
مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلي عن ابني فان اهل الكتاب ما منهم
سيف ابن ذي يزن كما بيانه يزعمون انه نبي هذه الامة وانا لا آمن
عليه منهم وكان لا ياكل يعني عبد المطلب طعاما الا يقول علي بابني اي
احضروه اي وكان عبد المطلب اذا اتي بطعام اجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى جنبه وربما اقعده على فخذه فيؤثره باطيب طعامه
انتهى وممن بعضهم وهو حيدة بن معاوية العامري وكان من المعمرين وفد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم في بعضهم ثمان وهو عم الف رجل وامه

قال

قال حججت في الجاهلية فبينا انا اطوف بالبيت اذا رجل وفي رواية اذا شيخ طويل يطوف
وهو يقول . رد الي راكبي محمدا . وفي رواية يارب اردد راكبي محمدا . اردده ربي واصطنع
عندي يدا فقلت من هذا قالوا عبد المطلب ابن هاشم بعث ابن ابنه محمدا في طلب
ابل له وما بعثه في شيء الا جاء به قال وفي رواية هذا سيد قريش عبد المطلب
له ابل كثيرة فاذا اضل منها شيء بعث فيه بنيه يطلبونها فاذا اعيوا بعث ابن
ابنه ولم يبعثه في حاجة الا نجح فيها وقد بعثه في حاجة اعيى عنها بنوه وقد
ابطا عليه انتهى فما برحت اي ما زلت عن مكاني حتى جاء بالابل معه فقال
له يا بني حزنت عليك حزنا لا يفارقني بعده ابدا وتقدم عن بعض المشركين
ما لا يخفى على الافادة . وعن رقيقة بنت ابي صيفي ابن هاشم بن عبد
مناف زوجة عبد المطلب ذكرها ابن سعد في المسلمات المهاجرات .
اقول وقال ابو نعيم لا ادري ادركت الاسلام وقال ابن حبان يقال انها
اسلمت ولها صحبة قالت تتابعت على قريش سنون اي ازمنة قحط وجدب
ذهبن بالاموال واشفين اي اشرفن على الانفس قالت فسمعت قائلا
يقول في المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم هذا ابان اي وقت
خروجه وبه ياتيكم الحيا اي بالغيث المطر العام والخصب فانظروا رجلا من
اوسطكم اي اشرفكم نسبا طوالا عظاما اي طويلا عظيما ابيض مقرون
الحاجبين اهدب الاشفار اي طويل شعر الاجفان اسيل الخدين رقيق العرنين
اي الانف وليخرج هو وجميع ولده وليخرج من كل بطن منكم رجل
فليتطهروا وليتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى راس ابي قبيس ثم يتقدم
هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت فقصت رؤياها عليهم
فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه واخرجوا
من كل بطن رجلا وفعلوا ما امرتهم به ثم علوا على ابي قبيس ومعهم النبي
صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب وقال لا هم هؤلاء عبيدك
وبنو عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا
هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر اي الابل والبقر والخيل
والبغال والحمير فاشفت على الانفس اي اشرفت على ذهابها فاذهب
عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية . قال

وفي رواية أخرى عن رقيقة قالت تتابعت على قريش سنون جدبة أقحلت أي أيبست
الجلد وأدقت العظم الى آخر الرواية وفيها قال عبد المطلب اللهم ساد الخلة
وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤول غير مبخل وهذه عبيدك وإماؤك
بعذرات حرمك أي أفنيته يشكون إليك سنتهم التي أقحلت أي أيبست
الظلف والخف أي الإبل والبقر فأمطرن اللهم علينا غيثا مغدقا فما برحوا حتى
انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي أي ضاق بثجيجه أي بسيله فسمعت شيخة قريش
وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا البطحاء عاش أهل البطحاء ۝ أي
والظاهر أن القصة واحدة فيها ما وقع يشير الى أن الاختلاف في ألفاظ الرواة
منهم من عبر بالمعنى وفي سقيا الناس بعبد المطلب وأنه لذلك ببركة النبي
صلى الله عليه وسلم تقول رقيقة المذكورة ۝ ۝ ۝

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا ۝ وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر ۝
اجلوذ أي امتد زمن تأخره ۝ فجاد بالماء جوني له سبل وان اي مطرها الملكين
المعطل قريش فعاشت به الأنعام والشجر ۝ منا من الله بالميمون طائره
أي المبارك حظه ۝ وخير من بشرت يوما به مضر ۝ مبارك الوجه يستسقى الغمام به
ما في الأنام له عدل ولا خطر ۝ أي لا معادل ولا مماثل ۝ ولما سقوا الم
بحل المطر البلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقدموا لذا أصحابي
جدب وهي جهد وقد سقى الله الناس بعبد المطلب فاقصدوه لعله يسأل
الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال
لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أتتنا سنون مجدبات وقد
بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام
لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا
إليها وخرج معه الناس وولده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصب
لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه
في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه ثم قال اللهم رب البرق الخاطف
والرعد القاصف رب الأرباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر
قد شعثت رؤوسها ۝ وحدبت ظهورها ۝ تشكو إليك شدة الهزال ۝ وذهاب النفوس
والأموال اللهم فأتح لهم سحابا خوارة وسماء خرارة ۝ لتضحك أرضهم ويزول ضرهم

فما

سقيا عبد المطلب لقيس ومضر

فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة دكناء لها دوي وقصف نحو بلادهم فقال عبد المطلب
يا معشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا ۝ وذكر بعضهم أنهم كانوا في
الجاهلية يستسقون إذا أجدبوا فإذا أرادوا ذلك أخذوا من ثلاثة ١٣ شجار
سلع وعشر وشبرق من كل شجرة شيئا من عيدانها وجعلوا ذلك حزما وربطوا
بها على ظهر ثور صعب وأضرموا فيها النار ويرسلون ذلك الثور فإذا أحس
بالنار بعدها حتى يحترق ما على ظهره ويبقى ما فيه وقد يبدن الثور فيسقون
زجاه الحيوان كانت العرب إذا أرادوا الاستسقاء جعلوا النيران في
أذناب البقر وأطلقوها فيمطر إنما كان استمطارهم بسبب ذلك ۝ قال
وذكر ابن الجوزي أنه صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من مولده أصابه رمد ۝
شديد فعولج بمكة فلم يغن فقيل لعبد المطلب إن في عكاظ راهبا يعالج الأعين
فركب إليه وناداه وديره مغلق عليه فلم يجبه فتزلزل ديره حتى كاد أن
يسقط عليه فخرج إليه مبادرا وقال يا عبد المطلب هذا الغلام نبي
هذه الأمة ولو لم أخرج إليك لخر على ديري فارجع واحفظه لا يغتاله
بعض أهل الكتاب ثم أعطاه ما يعالج به ۝ هذا ورأيت في كتاب سماه
مولد كريم الشمائل ونجوم الكرماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رمد وهو صغير فمكث أياما يشتكي فقال قائل لعبد المطلب إن
بين مكة والمدينة راهبا يعرف من الرمد وقد شفى على يديه خلق كثير
فأخذه جده وذهب به إلى دير الراهب فلما رآه الراهب دخل إلى صومعته
واغتسل ولبس ثيابا بيضا وأخذ صحيفة وجعل ينظر إلى الصحيفة
وإليه صلى الله عليه وسلم ثم قال والله هو خاتم النبيين ثم قال يا عبد
المطلب هو أرمد قال نعم قال إن دواءه معه يا عبد المطلب خذ من ريقه
وضعه على عينيه فأخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه
على عينيه فبرأ لوقته صلى الله عليه وسلم ثم قال الراهب يا عبد المطلب
هذا الذي أقسم على الله به فأبرئ المرضى واستشفي للأعين من الرمد فليتأمل
فإن تعدد الواقعة لا يخلو عن بعد والله سبحانه وتعالى أعلم ۝

باب وفاة عبد المطلب وكفالة عمه أبو طالب له صلى الله عليه وسلم ثم لما كان سنة

وتوسل للنبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير ثم رمد

صلى الله عليه وسلم ثمان سنين اي بناء على الراجح من الاقوال المشكورة وبر جده :
ثابا في توفي عبد المطلب وله من العمر خمس وتسعون سنة وقيل مائة
وعشرون وقيل واربعون اي ولعل مصحف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن
الجوزي لعبد المطلب في المعمرين قبل وقيل اثنان وثمانون اي وعليه
اقتصر الحافظ الدمياطي قيل وقيل مائة واربع واربعون انتهى . وقد
قيل له يا رسول الله اتذكر موت عبد المطلب قال نعم وانا يومئذ ابن
ثمان سنين . وعن ام ايمن انها كانت تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يبكي خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ودفن بالحجون عند جده قصي
وجاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب
في زي الملوك وابهة الاشراف . ولما حضرته الوفاة اوصى به الى عمه ابي طالب
شقيق ابيه اي وكان ابو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كابيه عبد المطلب
كما تقدم واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد
من قوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين .
قال الحافظ ابن كثير وقد اخطاوا في ذلك خطا كثيرا ولم يتاملوا القران قبل
ان يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى اذ قالت امرات عمران رب
اني نذرت لك ما في بطني محررا . وحين اوصى به جده لابي طالب احبه حبا شديدا
لا يحبه احدا من اولاده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه باحسن الطعام :
اي وقيل اقترع ابو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله صلى الله عليه وسلم
منهما فخرجت القرعة لابي طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار ابا طالب
لما كان يراه من شفقته عليه ومواساته له قبل موت عبد المطلب فيما قيل
انه كان يشاركه في كفالته . وقيل وكفله الزبير حتى مات عبد المطلب
ثم كفله ابو طالب اي بعد موت الزبير وغلطه قائله بان الزبير شهد حلف
الفضول ولرسول الله صلى الله عليه وسلم من العمر نيف وعشرون سنة
كذا في اسد الغابة ابن حدثنا لك لا نزاع على ما قبله وفي كون عمره صلى الله
عليه وسلم في حلف الفضول كان نيفا وعشرين سنة نظر لما سياتي ان
عمره صلى الله عليه وسلم اذ ذاك اربع عشرة سنة وفي كلام بعضهم فلما مات
عبد المطلب كفله عماه شقيقا ابيه الزبير وابو طالب ثم مات عمه الزبير

وكفله

ولم يزل العمر اربع عشرة سنة فانفرد به ابو طالب وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم
بعد موت ابيه وامه مذكورة في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم
ففي خبر سيف بن ذي يزن يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه . اي وفي سيرة ابن
هشام عن ابن اسحاق ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع
بناته وكن ست نسوة صفية وهي ام الزبير بن العوام وبرة وعاتكة وام حكيم
البيضاء وهي جدة عثمان بن عفان لامه واميمة واروى فقال لهن ابكين علي
حتى اسمع ما تقلن قبل ان اموت فقالت كل واحدة منهن شعرا في رثائه
يذكرون تلك السيرة ولما سمع جميع ذلك اشار براسه ان هكذا فابكينني
ويقال انه انما اشار بذلك لما سمع قول اميمة وهي اسعدهن لسانا وقولها .

اعيني جودا بدمع درر . على ماجد الخيم والمعتصر .
على ماجد الجد واري الزناد . جميل المحيا عظيم الخطر .
على شيبة الحمد ذي المكرما . ت وذي المجد والعز والمفتخر .
وذي الحلم والفضل في النائبا . ت كثير المكارم جم الفخر .
له فضل مجد على قومه . منير يلوح كضوء القمر .

خبر سيف بن ذي يزن

قال ابن هشام لم ار احدا من اهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه لما راى ابن
اسحاق لما رواه عن ابن المسيب كتبته قال بعضهم ولم يبك احد بعد موته
ما بكي عبد المطلب بعد موته ولم يقم لموته بمكة سوق اياما كثيرة . وروى
ابو نعيم والبيهقي ان سيف ابن ذي يزن الحميري لما ولي ملك الحبشة وذلك
بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين اتاه وفود العرب واشرافها
وشعراؤها لتهنئته اي بموت ملوك الحبشة وبولايته عليهم اي لانه ملك اليمن
كان لحمير فانتزعته منهم الحبشة واستمر في يد الحبشة سبعين سنة . ثم ان
سيف ابن ذي يزن الحميري استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على
عادة ابائه وجاءت العرب تهنيه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش
وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وغالب وجهاتهم اي كعبد الله بن جدعان
بضم الجيم واسكان الدال المهملة وبالعين المهملة التيمي وهو ابن عم عائشة
رضي الله عنها وكاسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف وقصي بن عبد الدار
فاخبر بمكانهم اي وكان في قصر يقال له غمدان وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج

على رأسه وسيفه بين يديه والملوك حمير بين يديه وعن يمينه وشماله فاذن لهم
فدخلوا عليه ودنى منه عبد المطلب وفي الوفد وجده جالسا على سرير الذهب
وحوله اشراف اليمن على كراسي الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا عليها
الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستأذن في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي
الملوك فقد اذنا لك فقال ان الله عز وجل احلك ايها الملك محلا رفيعا شامخا اي
مرتفعا باذخا عاليا منيعا وانبتك نباتا طابت ارومته وعظمت جرثومته
اي واصله ومنه والجرثومة هي الاصل وثبت اصله وبسق اي طال فرعه
في اطيب موضع واكرم معدن وانت ابيت اللعن اي ابيت ان تأتي من الامور
ما تلعن عليه ملك العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد
وكهفها الذي تلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وانت لنا فيهم خير خلف
فلن يهلك ذكر من انت خلفه ولن يخمل ذكر من انت سلفه نحن اهل حرم الله
وسدنة بيته اشخصنا اي احضرنا اليك الذي ابهجنا من كشف الكرب الذي
فدحنا اي اثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة اي التعزية فقال
ومن انت ايها المتكلم قال عبد المطلب ابن هاشم
قال ابن اختنا قال نعم قال ادنه ثم اقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا
واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا اي كثير
العطاء يعطي عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل
وسيلتكم فانتم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء اذا
ظعنتم ثم انهضوا الى دار الضيافة والوفود واجري عليهم الانزال
فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم
انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادناه ثم قال له يا عبد
المطلب اني مفض اليك من سر علمي امرا لو غيرك يكون لم ابح له به ولكني
رأيتك معدنه فاطلعتك طلعه اي عليه فليكن عندك مخفيا حتى يأذن
الله تعالى فيه اني اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي ادخرناه
لانفسنا واحتجبناه اي كتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما
فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة

ولك

ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك ايها الملك من سر وبر فما هو فداك اهل
الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه علامة كانت له
الامامة ولكم به الزعامة اي الرياسة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب
ايها الملك ابت اي رجعت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك
واجلاله واعظامه لسألته من مساره اي من ساره ايانا ما ازداد به
سرورا فقال له الملك هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه محمد
يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه
جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب
بهم الناس عن عرض اي ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض
اي يزجر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل
وحكمه عدل ويأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال
له عبد المطلب عز جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك ساري
بافصاح فقد وضح لي بعض الايضاح فقال والبيت ذي الحجب والعلامات
على النقب اي الطرق انك لجده يا عبد المطلب غير كذب فخر
عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا كعبك
فهل احسست بشيء مما ذكرت لك قال نعم ايها الملك انه كان لي ابن
وكنت به معجبا وعليه رفيقا واني زوجته كريمة من كرائم قومي
آمنة بنت وهب ابن عبد مناف ابن زهرة فجاءت بغلام فسميته
محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه يعني ابا طالب وهذا يدل
على ان وفود عبد المطلب على سيف ابن ذي يزن كان بعد موت امه
صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا ينافي ذلك ما تقدم ان عمره صلى الله
عليه وسلم كان سنتين لان ذلك كان سنة حين ولي سيف ابن ذي
يزن قتل الحبشة وتأخر وفود عبد المطلب عليه بعد موت امه صلى الله
عليه وسلم ويدل على ان ابا طالب كان مشاركا لابيه في كفالته
صلى الله عليه وسلم في حياة عبد المطلب ثم اختص بذلك بعد موت
عبد المطلب اي وعبارة سيف ابن ذي يزن صادقة بالحالين
فقال له ان الذي قلت لك كما قلت فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود

ناصر له ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا أي تسلطا وهو فيه عليه منهم من
باب الاحتياط والاهتمام بقدره فاذا أوما أكرمتك من هولاء الرهط
الذين معك فاني لست آمن أهل بيتك أصلهم المنافسة من أن يكون له
الرياسة فيبغون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون
ذلك أو أبناؤهم من غير شك ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي أي مهلكي
قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مملكته فاني أجد
في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب استحكام أمره
وأهل نصرته وموضع قبره ولولا أني أقيه الآفات وأحذر عليه
العاهات لأعليت على حداثة سنه أمره ولأوطأت على أسنان
العرب كعبه ولكني صارف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك
ثم أدنى بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد سود وعشرة إماء
سود وحلتين من البرود وعشرة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة ومائة
من الإبل وكرش مملو عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك
وقال اذا حال الحول فائتني بخبره وما يكون من أمره فمات الملك
قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن كان معه
لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطني بما يبقى
لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل ما هو قال سيعلم ما أقول ولو
بعد حين أي وهذا القصر الذي كان فيه سيف بن ذي يزن يقال
له بيت غمدان يقال انه كان هيكلا للزهرة يتعبد فيه للزهرة
وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول لا أفلحت العرب ما دام
فيها غمدان فلما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة أمر
بهدمه وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا
جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم
شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم
كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل
معهم فيفضلون من طعامهم وان كان لبنا شرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم أولهم ثم تناول العيال القعب أي القدح الضخم

فيبرزون

فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم
ليشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك. أقول وفي الإمتاع
وكان أبو طالب يقرب الى الصبيان تصبيحهم أول البكرة فيجلسون و
وينتهبون ويكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده لا ينتهب معهم ف
فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعاما على حدة هذا كلامه ولا ينافيه
ما قبله لأنه يجوز أن يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذي يقال
له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله أعلم
وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا بفتح الراء واسكان الميم ثم صاد
مهملة ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا. قالت أم أيمن
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا لا
في صغره ولا في كبره وكان يغدو اذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما
عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان أي من بعضها لا ومات فلا ينافي
ما سبق. وكان يوضع لأبي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله
عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن أخي ليحس بنعيم أي بشرف عظيم
قال واستسقى أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء عن جلهمة
ابن عرفطة قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعتمدوا ات
اللات والعزى وقائل منهم يقول اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى
فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم
وسلالة اسمعيل أي فكيف تعدلون عنه الهالة بجدي قالوا كأنك
عنيت أبا طالب قال ايها فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا الباب على
أبي طالب فخرج الينا رجل حسن الوجه عليه ازار قد اتشح به فقاموا
وثاروا اليه فقالوا يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم
فاستسق لنا فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن بدال
مهملة فجيم مضمومة فنون أي ظلمة وفي رواية كأنه شمس دجن أي ظلام
تجلت عنه سحابة قتماء أي من القتام بالفتح وهو الغبار وحوله أغيلمة
جمع غلام فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ أي طاف
باصبعه الغلام زاد في بعض الروايات وبصبصت الأغيلمة حوله أي

تنحّى اعينها وماء السما قرعة اي قطعة من سحاب فاملى السحاب من هاهنا ومن
هاهنا وانعدق اي كثر مطره وافعم له الوادي واخصب النادي والبادي
وفي ذلك يقول ابو طالب في قصيدة يمدح بها النبي اكثر من ثمانين بيتا •
وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل •
اي ملجأ وغياثا لليتامى ومانع للارامل من الضياع والارامل المساكين
من النساء والرجال وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا • اقول واخذت
الشيعة من هذه القصيدة القول باسلام ابي طالب اي لانه صنعها بعد
البعثة وسياتي الكلام في اسلامه • واما ما نقله الدميري في
شرح المنهاج عن الطبراني وابن سعد ان هذه القصيدة التي منها هذا
البيت من انشاء عبد المطلب فهو وهم لما دل عليه ابيات السيرات
المنشئ لها ابو طالب واحتمال توارد كل من ابي طالب وعبد المطلب
على هذه القصيدة بعيد جدا او مما يصرح بالوهم ما يأتي عن النبي
صلى الله عليه وسلم من نسبة هذا البيت لابي طالب والله اعلم
قال وعن ابي طالب قال كنت بذي المجاز وهو موضع على فرسخ
من عرفة كان سوقا للجاهلية كما تقدم مع ابن اخي يعني النبي صلى
الله عليه وسلم فادركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي
قد عطشت وما قلت له ذلك وما ادري عنده شيئا الا الجزع اي
لم يحملني على ذلك الا الجزع وعدم الصبر قال فثنى وركه اي نزل عن
دابته ثم قال يا عم عطشت قلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض وفي
رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيئا فاذا انا بالماء فارسله
فقال اشرب فشربت حتى رويت فقال لي ارويت قلت نعم فركضها
ثانية فعادت كما كانت • وسافر وقد اتت عليه بضع عشرة سنة
مع عمه الزبير بن عبد المطلب شقيق ابيه كما تقدم الى اليمن •
فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه البعير برك وحك
الارض بكلكله اي صدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك
الفحل وسار حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا
بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوني فايبس

الله

الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام لشأنا
اي وفي السيرة الهشامية ان رجلا من لهب كان عائفا وكان اذا قدم مكة
اتاه رجال من قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم فيهم فاتى ابو طالب
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من ياتيه فنظر اليه ثم شغل عنه
فلما فرغ قال علي بالغلام وجعل يقول ويحكم ردوا علي الغلام الذي
رأيت انفا والله ليكونن له شأن فلما رأى ابو طالب حرصه غيبه وانطلق

باب سفره صلى الله عليه وسلم
مع عمه ابي طالب الى الشام عن ابن اسحاق لما تهيأ ابو طالب

للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الصاد المهملة وتشديد
الموحدة والصبابة رقة الشوق قال في الاصل قال وعند بعض الرواة
ضبث به اي بفتح الضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة كفرح لزمه
وقبض عليه يقال ضبثت على الشيء اي قبضت عليه • فقد اوحى الله
الى داود عليه السلام قل للملأ من بني اسرائيل لا يدعونني والخطايا بين
اضبانهم اي قبضاتهم اي وهم يحملون الاوزار غير تاركين لها اي وعلى
ما عند بعض الرواة اقتصر الحافظ الدمياطي فلفظه لما تهيأ ابو طالب
للرحيل ضبث برسول الله صلى الله عليه وسلم خوف ان يتركه ابو طالب
وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا افارقه ابدا او قال
بعضهم نقل عن سيرة الدمياطي وضبث به ابو طالب ضباثة ثم يضبث مثلها في
نقط وانه ضبط ضبث بالضاد المعجمة والباء الموحدة والثاء المثلثة ثم
قال وهو القبض على الشيء وهذا لا يناسبه قوله ضباثة ثم يضبث مثلها
نعم قط لان ذلك انما يناسب صب بالصاد المهملة اي الذي هو الرقة
كما لا يخفى على ان قصد رضيت انما هو الضب ومن ثم لم اجد ذلك في السيرة
المذكورة والذي فيها فقد ضبث عمه • وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
سأله بزمام ناقة ابي طالب وقال يا عم الى من تكلني لا اب لي ولا ام
وكان سنه صلى الله عليه وسلم تسع سنين على الراجح وقيل اثنتي عشرة سنة
وشهرين وعشرة ايام اي وهذا القيل صدر به في الامتاع وقال انه اثبت
ومن ثم اقتصر عليه المحب الطبري وذكر انه لما سار به اردفه فنزلوا على

فقال صاحب الدير ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون
له اب حي هذا ابني اي لانه كانت هذه صفته فهو نبي اي النبي المنتظر ومن
علامة ذلك النبي في الكتب القديمة ان يموت ابوه وامه حامل به كما تقدم وسيأتي
او بعده وصفه بتقبيل الرأس اي ومن علامته ايضا في الكتب موت امه وهو
صغير كما تقدم في خبر سيف ابن ذي يزن ولا ينافي ذلك الا اختصار بعض
اهل الكتب القديمة على الاول الذي هو موت ابيه وهو حمل فقال
ابو طالب لصاحب الدير وما النبي فقال الذي يأتيه الخبر من السما فينبي
اهل الارض فقال ابو طالب اجل مما تقول قال فاتق عليه من اليهود ثم خرج
حتى نزل براهب ايضا صاحب دير فقال ما هذا الغلام منك قال ابني
قال ما هو بابنك وما ينبغي ان يكون له اب حي قال ولم قال لان وجهه
وجه نبي وعينه عين نبي اي النبي الذي يبعث لهذه الامة الاخير
لانه كذلك علامته في الكتب القديمة قال ابو طالب سبحان الله الله
اجل مما تقول ثم قال ابو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي الا
تسمع ما يقول قال اي عم لا تنكر لله قدرة والله اعلم . فلما نزل الركب
بصرى وبها راهب يقال له بحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون
المثناة التحتية اخره راء مقصورة واسمه جرجيس وقيل سرجيس
وحينئذ يكون بحيرا لقبه فهو عند له وكان اليه انتهى علم النصرانية
يتوارثونها كابرا عن كابر عن اوصيا عيسى عليه السلام وفي تلك الملة
انتهى علم النصرانية الى بحيرا وقيل كان بحيرا من احبار اليهود يهود
تيما اقول لا منافاة لانه يجوز ان يكون تنصر بعد ان كان يهوديا
كما وقع لورقة بن نوفل كما سيأتي هذا وقال ابن عساكر ان بحيرا
كان يسكن قرية يقال لها الكفر بينها وبين بصرى ستة اميال وقيل
كان يسكن البلقا من ارض الشام بقرية يقال لها ميفعة وراء [illegible]
وقد يقال يجوز ان يكون سكن في كل من الموضعين كل واحدة يسكن
فيها زمنا وكان في بعض الاحاديث يأتي تلك الصومعة قبله ناس وقد
سمع منادي قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول الا ان خير
اهل الارض ثلاثة رباب بن البرا وبحيرا الراهب واخر لم يأت بعد

وفي

خبر بحيرا الراهب

وفي لفظ والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن قتيبة قال ابن قتيبة
وكان قبر رباب وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عندهما طش وهو المطر الخفيف
والله اعلم وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام
صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان راى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الركب وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الى الغمامة
قد اظلت الشجرة وتهصرت اي مالت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي رواية اخضلت اي كثرت اغصانها اي الشجرة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها اي وقد كان وجدهم سبقوه قبل
الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه صلى الله عليه وسلم
ثم ارسل لهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش واحب ان تحضروا كلكم
صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم لم اقف على عهد يا بحيرا
ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم
فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف فاحببت ان اضيفكم
واكرمكم واصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم
اي تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير الصفة اي لم ير في احد
منهم الصفة التي هي علامة النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث اخر الزمان
التي يعرفها عنده ولم ير الغمامة على احد من القوم وراها متخلفة على
راس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش لا يتخلفن منكم احد
عن طعامي فقالوا يا بحيرا ما تخلف عن طعامك احد ينبغي له ان يأتيك
الا غلام وهو احدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام
معكم اي او قال فما اقبح ان تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني اراه من انفسكم
فقال القوم هو والله اوسطنا نسبا وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون ابا
طالب وهو من ولد عبد المطلب فقال رجل من قريش واللات والعزى ان كان
للوما بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه
فاحتضنه اي وجا به واجلسه مع القوم اي قال له الرجل هو عمه الحارث
ابن عبد المطلب وقيل هو ابن اخيه كونه راس من ابي طالب لان ابا طالب

كان شقيقا لابيه عبد الله كما تقدم دون الحارث مع كون ابي طالب هو المقدم في
الركب وقيل الذي جاء به ابو بكر رضي الله عنه وقد مر ان الحديث على ما قيل
فليتأمل ولما سار بحيرا من اختصاصه بنزول الغمامة تنيف على رأسه صلى الله
عليه وسلم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اشياء من
جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم
وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له يا غلام اسألك بحق اللات والعزى الا
ما اخبرتني عما اسألك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه
يحلفون بهما اي وفي الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما ابغضت
شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسألك عنه فقال
له صلى الله عليه وسلم سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن اشياء من حاله
في نومه واموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك
ما عند بحيرا من صفة النبي صلى الله عليه وسلم المبعوث اخر الزمان ثم كشف
عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فلما فرغ اقبل على عمه
ابي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو ابنك
وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخي قال
فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت ثم قال فما فعلت امه
قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن اخيك الى بلادك واحذر
عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه
كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا ورويناه عن ابائنا واعلم
اني قد اديت اليك النصيحة فاسرع به الى بلده وفي لفظ قال له والله
لئن قدمت به الى الشام لتقتلنه اليهود فرجع به الى مكة وقيل انه
قال له هذا الراهب ان كان الامر كما ذكرت فهو في حصن من الله تعالى
وقد يقال لا ينافي التوكل ان ما صدر من بحيرا كان على ما جرت به العادة من
طلب التوقي فخرج به عمه ابو طالب حتى اقدمه مكة حين فرغ من تجارته
بالشام وفي الهدي فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة فليتأمل وذكر
ان نفرا من اهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما رأى بحيرا ارادوا به سوءا فردهم بحيرا عنه وذكرهم الله فعند ذلك تركوه
وانصرفوا عنه وفي رواية اخرى خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه النبي
صلى الله عليه وسلم في اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب بحيرا
وكانوا قبل ذلك يمرون عليه فلا يخرج اليهم ولا يلتفت نحوهم فجعل
وهم يحلون رحالهم يتخللهم حتى جاء فاخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ
من قريش ما علمك قال انكم حين اشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر
الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي اي وان الغمامة ما زالت تظله دونهم
واني لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة
والغضروف تقدم انه رأس لوح الكتف ثم رجع وصنع لهم طعاما فلما اتاهم
به كان النبي صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فارسلوا اليه فاقبل
صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد
سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة اليه فقال الراهب انظروا
الى فيء الشجرة مال عليه فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم الا يذهبوا
به الى الروم اي واهل الشام فانهم ان عرفوه قتلوه فالتفت فاذا سبعة
من الروم قد اقبلوا فاستقبلهم فقال لهم ما جاء بكم قالوا جئنا ان هذا
النبي الذي هو خارج في هذا الشهر اي مسافر فيه فلم يبق طريق الا
بعث اليه باناس وانا قد اخبرنا خبره بطريقك هذا قال افرأيتم
امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا
فبايعوه اي بايعوا بحيرا على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم
اخذه واقاموا عنده على حسبما ارسلوا به واقاموا عند ذلك الراهب خوفا
على انفسهم ممن ارسلهم اذا رجعوا بغير شيء قال بحيرا لقريش انشدكم الله
اي اسألكم بالله ايكم وليه قالوا ابو طالب فلم يزل يناشده حتى رده
ابو طالب وبعث معه بلالا وفي لفظ بعث معه ابو بكر رضي الله عنه بلالا
وزوده بحيرا من الكعك والزيت واذا كانت القصة واحدة فالاختلاف
في ايرادها من الرواة كما تقدم نظيره على ان في الهدي قال وقع في كتاب
الترمذي وغيره ان عمه ابا بكر بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح

فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع ابي بكر
وان بلالا لم ينتقل الى ابي بكر الا بعد هذه السفرة باكثر من ثلاثين سنة وان
ابا بكر لم يبلغ العشر سنين حينئذ لانه صلى الله عليه وسلم اسن منه بازيد من
عامين بقليل او باشهر وتقدم انه صلى الله عليه وسلم حينئذ تسع سنين
على الراجح اي فيكون سن ابي بكر نحو سبع سنين وكان بلال اصغر من ابي بكر
فلا يتجه هذا الجواب وكون النبي صلى الله عليه وسلم اسن من ابي بكر هو ما عليه
الجمهور من اهل العلم بالسير والاخبار والاثار ۰ وما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر فقال له انا اكبر او انت فقال ابو بكر
رضي الله عنه انت اكرم واكبر وانا اسن منك فيه انه وهم وان ذلك
انما يحفظ عن عمه العباس وكون بلال اصغر من ابي بكر بناه على قول ابن
حبان بلال كان تربا لابي بكر اي قرينه في السن وبه يرد قول الذهبي
بلال لم يكن خلق قال وذكر الحافظ ابن حجر ان ارسال ابي بكر معه بلالا
وهم من بعض الرواة وهو مقتطع من حديث ادرجه الراوي في هذا
الحديث انتهى ۰ قال وروى ابن منده بسند ضعيف عن ابي بكر انه صحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر سنة والنبي صلى الله عليه
وسلم ابن عشرين سنة اي فالنبي صلى الله عليه وسلم اسن من ابي بكر
بعامين اي وبهذا تقدم ولعل هذه الزيادة على العامين لم يذكرها
ابن منده وهم يريدون الشام في تجارة حتى اذا نزلوا منزلا وهو سوق
بصرى من ارض الشام وفي ذلك المحل سدرة فقعد صلى الله عليه وسلم
في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال
له من الرجل الذي في ظل السدرة فقال له محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب فقال له والله هذا نبي هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى
ابن مريم الا محمد صلى الله عليه وسلم اي وقد قال عيسى لا يستظل تحتها
بعدي الا النبي الامي الهاشمي كما جاء في بعض الروايات قال
الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون في سفرة ابي بكر معه صلى الله عليه وسلم
في سفرة اخرى بعد سفرة ابي طالب انتهى اقول والراجح اي سفره صلى الله
عليه وسلم مع ميسرة غلام خديجة فالمراد تحتها انه صلى الله عليه وسلم

سافر

سافر الى الشام اكثر من سفرتين وسيأتي ان هذا القول قاله الراهب نسطورا لا بحيرا
قاله لميسرة لا لابي بكر لكن ربما يبعده ما سيأتي ان سنه صلى الله عليه وسلم حين
سافر مع ميسرة كان خمسا وعشرين سنة على الراجح وعلى هذا فالشجرة لم تكن
الا عند صومعة الراهب نسطورا لا عند صومعة الراهب بحيرا فذكرها عند
صومعة الراهب بحيرا وهم من بعض الرواة سرى اليه من اتحاد محلهما وهو
سوق بصرى الا ان يقال يجوز ان يكون الراهب نسطورا خلف بحيرا في تلك
الصومعة لموته مثلا وهو اقرب من تعدد الشجرة وسيأتي ان بحيرا ونسطورا
وكونهما ممن صدق بانه نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من اهل الاسلام لانهما
لم يدركا البعثة اي الرسالة بناء على اقترانها بالنبوة او المراد النبوة
اي لم يدركا النبوة فضلا عن الرسالة بناء على تأخرها عن النبوة ثم رأيت
الحافظ ابن حجر قال في بحيرا ما ادري ادرك البعثة ام لا هذا كلامه في
الاصابة وليس هذا بحيرا الراهب الصحابي الذي هو احد الثمانية الذين
قدموا مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة فعنه رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرب الرجل كاسا من خمر الحديث ومن
قال ان هذا الحديث منكر ظن ان بحيرا هذا هو بحيرا المذكور هنا الذي
لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وليس هو والله تعالى اعلم

باب ما حفظه الله تعالى به في صغره صلى الله عليه وسلم من امر الجاهلية

اي من اقذارهم ومعايبهم اي بحسب ما اراد الله به شرعه لما يريد الله تعالى به
من كرامته حتى صار احسنهم خلقا واصدقهم حديثا واعظمهم امانة وابعدهم من
الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما اي حتى كان افضل
قومه امانة واصدقهم حديثا سموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة
الحميدة والافعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد
والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة ۰ فقد ذكر
ابن اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتني اي رأيت
نفسي في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى
واخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وادبر

ان لكمني لاكم من الملائكة مما اراها لكمة وجيعة وفي لفظ لكمني لكمة شديدة ونزل
بعاد لها فانه لا ينافي شدتها انها لم تكن وجيعة له صلى الله عليه وسلم ثم قال
شد علي ازارك فاخذته فشددته ثم جعلت احمل الحجارة على رقبتي
وازاري علي من بين اصحابي اي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك
اي نقل الحجارة عاريا عند اصلاح ابي طالب لزمزم فقد اخرج ابن اسحاق
وصححه ابو نعيم قال لما كان ابو طالب يصالح زمزم وكان صلى الله عليه
وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي
عليه فلما افاق سأله ابو طالب فقال اتاني ات عليه ثياب بياض فقال
لي استتر فما رئيت عورته صلى الله عليه وسلم من يومئذ وفي الخصائص
الصغرى ونهي عن التعري وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين
وقد وقع له مثل ذلك اي نهيه عن التعري عند بنيان الكعبة كما تقدم
بيانه ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية
اي ان يفعلوه من الامور التي من المعاصي الا مرتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما
اي من فعلهما قلت لفتى كان معي من قريش باعلى مكة في غنم لاهله
يرعاها اي وفي لفظ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية
غنم اهلنا ام انت مبصر لي هذا الغنم ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة
بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم واصل السمر الحديث ليلا فخرجت
فلما جئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوتا من الدفوف ومن
المزامير فقلت ما هذا قالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش
تزوج امراة من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت
فما ايقظني الا مس الشمس اي وفي لفظ فجلست انظر اي اسمع وضرب الله
على اذني فوالله ما ايقظني الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال
ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك اقول المناسب
لقوله عصمني الله فيهما ان الرواية الثانية لا تذكر في الرواية الاولى
الا ان يحمل قوله في الرواية الاولى فلهوت على ارادة اللهو والله اعلم
قال صلى الله عليه وسلم والله ما هممت بعدهما بسوء مما يعمله اهل الجاهلية

وفي لفظ والله ما هممت ولا عدت بعدهما بشيء من ذلك مما يفعله اهل الجاهلية ولا هممت به
حتى اكرمني الله تعالى بنبوته ومن ذلك ما جاء عن ام ايمن انها قالت كان بوانة بضم
الموحدة وفتح الواو مخففة بعدها الف ونون صنما تحضره قريش وتعظمه وتنسك
اي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان ابو طالب
يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك
قالت حتى رأيت ابا طالب غضب عليه صلى الله عليه وسلم ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ اشد
الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وجعلن يقلن ما تريد يا محمد ان تحضر
لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع فزعا
مرعوبا فقلن ما دهاك قال اني اخشى ان يكون بي لمم اي لمة وهو المس من الشيطان
فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما
الذي رأيت قال اني كلما دنوت من صنم منها اي من تلك الاصنام التي عند ذلك
الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثل لي رجل طويل ابيض اي وذلك من الملائكة يصيح بي
وراءك يا محمد لا تمسه قالت فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم • اقول
ظاهر هذا السياق ان اللمم يكون من الشيطان وحينئذ يكون بمعنى اللمة وهي المس
من الشيطان كما قدمناه فيعيد الطيف اللمة والا فاللمم نوع من الجنون كما تقدم في قصة
خبر زيد بن عمرو بن نفيل
الرضاع فهذا اما بدل لم او طايفة من الجن اذ هو يدل على ان اللمم يكون من غير الشيطان
كرهن وعبارة الصحاح اللمم طرف من الجنون واصاب فلانا لمة من الجن وهي المس
فليتأمل الجمع بينهما والله اعلم • قال ومن ذلك ما روي عن عايشة رضي الله عنها قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب
كل ما ذبح لغير الله اي فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وانزل لها من السماء
الماء وانبت لها من الارض الكلا ثم تذبحونها على غير اسم الله فما ذبح
على النصب اي الاصنام وزيد بن عمرو كان قبل النبوة ومن اهل الفترة على دين ابراهيم
فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية وما كان ياكل الا ذبائح التي تذبح
للاوثان ونهى عن الوأد اي وتقدم انه كان يحيي الموءودة اذا اراد احد ذلك اخذها
من ابيها ويكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا حقا تعبدا ورقا عذت بما
عاذ به ابراهيم ويسجد للكعبة قال صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده اي يوم
شام فمات قبل ان ينبأ اي مات ولده سعيد قال يا رسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت

وبلغك فاستغفر له قال نعم استغفر له فانه يبعث يوم القيامة امة وحده وفي البخاري عن عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل قبل
ان ينزل عليه الوحي فقدمت للنبي صلى الله عليه وسلم سفرة فيها شاة ذبحت
لغير الله فابى ان ياكل منها وقال اني لست آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا
ما ذكر اسم الله عليه ولعل هذا كان قبل ما تقدم عنه صلى الله عليه وسلم وان
ذلك كان هو السبب في ذلك قال السهيلي وفيه سؤال كيف وفق الله تعالى
زيدا الى ترك ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت من عصمة الله تعالى له
اي فكان صلى الله عليه وسلم يترك ذلك من عند نفسه لا تبعا لزيد بن عمرو
ويجاب له بجنس الجواب الذي اشرنا اليه بقولنا واجاب السهيلي بانه لم يثبت
انه صلى الله عليه وسلم اكل من تلك السفرة ولا من غيرها شيئا اذا كان فيها
ذلك مما ذبح على النصب فتحريم ذلك لم يكن من شرع ابراهيم وانما كان تحريم
ذلك في الاسلام والاصل في الاشيا قبل ورود الشرع على الاباحة
وهذا يخالف ما ذكره بعضهم من ان زيد بن عمرو هذا رابع اربعة من قريش
فارقوا قومهم وتركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان كانوا يوما
في عيد لهم من اعيادهم يعظمونه ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك
اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم على شي لقد اخطاوا دين
ابيهم ابراهيم ما حجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا
في البلاد يطلبون الحنيفية دين ابراهيم وظاهر ذلك ان تركهم للاوثان
كان بعد عبادتهم لها وسياتي عن ابن الجوزي انهم لم يعبدوها وهولاء
الاربعة ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث
وزاد ابن الجوزي على هولاء الاربعة جماعة اخرين سياتي الكلام عليهم
الكلام فكل من اسلم وزيد بن عمرو بن نفيل هذا كان ابن اخي الخطاب
والد سيدنا عمر واخاه لامه فاما ورقة فلم يدرك البعثة على ما سياتي
وكان تنصر قبل النصرانية اي تعبد قبل ان يولد في اليهودية كما سياتي واما عبيد
الله بن جحش فقد ادرك البعثة واسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين
ثم تنصر هناك كما سياتي وكان يمر على المسلمين ويقول فقحنا وصاصاتم اي

ابصرنا

ابصرنا وانتم تلتمسون البصر ولم تبصروا وثبت على النصرانية واما عثمان بن الحويرث
فلم يدرك البعثة وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده واما زيد بن عمرو بن نفيل
هذا فكان ياتي قريشا ويقول لهم والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما اصبح
احد منكم على دين ابراهيم غيري حتى ان عمه الخطاب اخرجه من مكة فنزل حراء ووكل
به من يمنعه من دخول مكة كراهة ان يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية
دين ابراهيم ويسال الاحبار والرهبان عن ذلك حتى بلغ الموصل ثم اقبل الى
الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم النصرانية فساله عن ذلك فقال
انك لتطلب دينا ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد اظلك
زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم فالحق بها
فانه مبعوث الان هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد
لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن باصل جبل
حرا هذا ومن كلام الحافظ الدمياطي عن زيد بن عمرو انه قال لعامر بن ربيعة وانا
انتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا ارى اني ادركه وانا اومن به واصدقه واشهد
انه نبي فان طالت بك مدة فرايته فاقرئه مني السلام قال عامر فلما اسلمت
اعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبر زيد قال فرد عليه السلام وترحم عليه قال
وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت
الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين اي شجرتين عظيمتين قال الحافظ
ابن كثير اسناده جيد قوي اي وقال انه يبعث امة وحده وفي رواية
رايته في الجنة يسحب ذيولا وعن الزهري نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن اكل ما ذبح للجن وفيما سمعه واما ما قيل عند ذبحه بسم الله واسم محمد فلا
اكل وان كان القول المذكور حراما لايهامه التشريك وهذا من جملة
الجمادات المستثناة من قوله تعالى لا اذكر الا وتذكر معي فقد جا ان جبريل
قال ان ربي وربك يقول لك تدري كيف رفعت لك ذكرك اي على حال
جعلت ذكرك مع ذكري في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قلت
الله ورسوله اعلم قال لا اذكر الا وتذكر معي اي في مطالب الخطب وجوبا
او ندبا ومن ذلك ما روي عن علي رضي الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه
وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قيل هل شربت خمرا قط قال لا وما زلت

امرؤ ان الذي عم عليه كفوه وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان انتهى اقول تحريم شرب
الخمر في الجاهلية ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل حرمها على نفسه في الجاهلية
جماعة كثيرون سيما بعد ذكر بعضهم وكون شربها اعظم من الكفر على ما هو تمام البيان
يعني ينبغي ان يجتنب عنها كما يجتنب الكفر وكلاهما وهذا منه صلى الله عليه وسلم
كان بعد تحريمها الخمر ويكون الا شيئا بدلت المبالغة في الزجر عنها والتباعد
عنها وهذا الحمل ما قاله انا نجيب بل فقد بشر امته انه من مات لا يشرك بالله
شيئا يعني فانما جاء به دخل الجنة اي لابد ان يدخل الجنة وان دخل
النار نكتة بالعمد وان سرق وان زنى قال ثم قلت وان سرق وان
زنى قال ثم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر والمراد بتحريمها
تحريمها على الناس والامر في الخصائص المصري للسيوطي وحرمت عليه الخمر
من قبل ما بعث قبل ان تحرم على الناس بعشرين سنة والله اعلم قالوا انما
ما رواه جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد مع المشركين مشاهدهم
فسمع ملكين خلفه واحد يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال كيف نقوم خلفه وانما عهده باستلام الاصنام قبل فلم يعد بعد ذلك
يشهد مع المشركين مشاهدهم قال الحافظ ابن حجر انكره الناس اي منهم قال
الامام احمد كما في الشفا انه موضوع او يشبه الموضوع وقال الدارقطني ان
ابن ابي شيبة وهم في اسناده الحديث والحديث بالجملة منكر فلا يلتفت اليه
والمنكر منه قول الملك عهده باستلام الاصنام قبل فان ظاهره انه باشر
الاستلام وليس كذلك بل المراد انه شاهد باشر المشركين استلام
اصنامهم اي بهوده بعض مشاهدهم التي تكون عند الاصنام وقال غيره
المراد بالمشاهد التي كان يشهدها مشاهد الحلف ونحوها كالضيافات
الا التي بها استلام الاصنام فانه يرده ما تقدم عنه انه ايمن
وبرده ايضا ما تقدم من قوله لبحيرا لما حلفه باللات والعزى
لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما لان مثل اللات
والعزى غيرهما من الاصنام وما يأتي من قوله لخديجة والله ما ابغضت بغض
هذه الاصنام شيئا قط وما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت
الي هذه الاصنام اي الاوثان وبغض الي الشعر والله تعالى اعلم

باب

باب [illegible] رعيته صلى الله عليه وسلم الغنم

بتاء رعيه بكسر الراء المراد الهيئة انتهى اقول الظاهر في هذا الباب انما هو
بفعله عليه الصلاة والسلام الذي هو رعيه للغنم لا بيان هيئة رعيه
للغنم فرعيه بفتح الراء لا بكسرها والله اعلم • عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى
الغنم فقال له اصحابه وانت يا رسول الله قال وانا رعيتها لاهل مكة
بالقراريط اي وهي اجزاء الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج
الحقيرة قال سويد بن سعيد يعني كل شاة بقيراط وقيل القراريط
موضع بمكة فقال ابراهيم الحربي قراريط موضع ولم يرد بذلك
القراريط من الفضة اي او الذهب قال واستبعد الثاني بان العرب
لم تكن تعرف القراريط التي هي قطع الفضة والذهب بدليل انهما
في الصحيح يستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط ولا انه جاء في بعض الروايات
لا اهل له يدري لا اهله بالاجرة كما جرت بذلك العادة • وايضا جاء في
بعض الروايات انه صلى عبر عنه تارة بالقراريط وتارة باجياد
ورد بانها اهل مكة لا يعرفون بها محل يقال له القراريط وجياد
يكون المراد باهل اهل مكة لا اقاربه التي تقتضي العادة بانه لا يرعى
لهم بالاجرة ولا ضافة الى لام في هذه السنة ويدل لذلك ما جاء في
رواية البخاري كنت ارعاها اي الغنم على قراريط لاهل مكة وذكر
البخاري لذلك في باب الاجارة وذلك يبعد ان المراد بالقراريط المحل
وحمل على بعيد البتة ورد العسقلاني بان العرب لم تكن تعرف القراريط
التي هي قطع الدراهم والدنانير اي وقد صح دلالة قوله صلى الله عليه
وسلم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط على ذلك لجواز ان يكون المراد
يذكرونها القيراط كثيرا لكثرة التعامل به فيها او المراد بالقيراط ما يذكر
في المساحة وجمع الحافظ ابن حجر بانه صلى الله عليه وسلم رعى لاهله
اي اقاربه بغير اجرة ولغيرهم بالاجرة والمراد بقوله اهل مكة اي
الشامل لاقاربه ولغيرهم قال شيخنا الجيزان ويكون في احد الحديثين
الاجرة اي القراريط دون الاخر بين المكان اي الذي هو اجياد
فيه تنافي في ذلك هذا كلامه ملخصا وعبارته تقتضي وقوع الامرين

منه وهو مما يتوقف على النقل في ذلك قال ابن الجوزي موسى وداود ومحمد صلى الله عليهم
وسلم رعاة الغنم وهذا يرد قول بعضهم لم يرد ابن اسحاق برعايته صلى
الله عليه وسلم الغنم الا رعايته لها في بني سعد مع اخيه من الرضاع
اي وقد يتوقف في كون قول ابن الجوزي هذا بمجرده يرد قول هذا البعض
انتهى. وفي الهدي انه صلى الله عليه وسلم آجر نفسه قبل النبوة في رعية
الغنم. ومن حكمة الله تعالى في ذلك ان الرجل اذا استرعى الغنم التي هي
اضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف فاذا انتقل من
ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب اولا من الحدة الطبيعية والظلم
الغريزية فيكون في اعدل الاحوال. ووقع الافتخار بين اصحاب
الابل واصحاب الغنم اي عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال
اصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو
راعي غنم وبعث داود وهو راعي غنم وبعثت انا وانا راعي غنم اهلي
باجياد اي وهو موضع باسفل مكة من شعابها ويقال له جياد بغير
همزة ولعل المراد بقوله راعي غنم اي قد رعى الغنم وكذا قوله وانا
راعي غنم اي وقد رعيت الغنم اذ الاخذ بظاهره لا يناسبه بعيد ولتنظر
حكمة الاقتصار على من ذكر من الانبياء قوله السابق ما بعث الله
نبيا الا رعى الغنم وما يأتي من قوله وما من نبي الا وقد رعاها وقد
قال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها. وقال في الغنم
لها تغاثا وصوفها رياشا وقوتها سنا وفي رواية سمنها معاش
وصوفها رياش اي وفي الحديث الفخر والخيلاء في اصحاب الابل
والسكينة والوقار في اهل الغنم ولعل هذا لا ينافي ما جاء في الامثال
قالوا اشأل وفي لفظ اجهل من راعي ضأن لما قيل لان الضأن تتفرق على
كل شيء فيحتاج راعيها الى جمعها اي وذلك سبب لجهله فيتأمل وفي رواية
الفخر والخيلاء وفي لفظ والرياء في اهل الخيل والابل والوبر قال وفيما تقدم
في الباب قبل هذا من ان ثمود يدل على ذلك اي على رعايته للغنم
وما رواه جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث
بكاف فباء موحدة فمثلثة اي وهو النضيج من ثمر الاراك وفي
الحديث عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه اطيبه فاني كنت اجتنيه اذ

كنت

كنت ارعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يا رسول الله قال نعم وما من نبي الا وقد رعاها انتهى
اقول وحينئذ لا ينبغي لاحد عيره برعاية الغنم لكون النبي صلى الله عليه وسلم يرعى
الغنم فان قال ذلك ادب لان ذلك خاطئة كمال في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام
دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالا في حق النبي صلى
الله عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له انت امي فقال كان النبي صلى الله
عليه وسلم اميا يؤدب هكذا نقل والله سبحانه وتعالى اعلم.

باب حضوره صلى الله عليه وسلم حرب الفجار

بكسر الفاء جمع كالقتال بمعنى المقاتلة وهو فجار البراض بفتح الباء الموحدة وتشديد
الراء وضاد معجمة عن ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حضرته يعني الحرب
المذكور مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما احب اني لم اكن فعلت وكان له من العمر اربع عشرة سنة اي
وهذا الفجار الرابع واما الفجار الاول فكان عمره صلى الله عليه وسلم حينئذ عشر سنين. وسببه
ان هذا اي الفجار الاول ان بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ
ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال انا اعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها
بالسيف فوثب رجل فضربه بالسيف على ركبته فاندرها اي اسقطها وازالها وقيل جرحه
جرحا يسيرا قال بعضهم وهو لا يصح فاقتتلوا. وسبب الفجار الثاني ان امرأة من بني عامر
كانت جالسة بسوق عكاظ فاطاف بها شاب من قريش من بني كنانة فسالها ان تكشف وجهها
فابت فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك
الناس منها فنادت المرأة يا آل عامر فثاروا بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة
فاقتتلوا وقوله فسالها الشاب ان تكشف وجهها فابت يدل على ان النساء في
الجاهلية كن يابين كشف وجوههن. وسبب الفجار الثالث انه كان لرجل من بني
عامر دين على رجل من بني كنانة فلواه به اي مطله فجرت بينهما خصومة فاقتتلوا
وقد ذكر ان عبد الله بن جدعان تحمل ذلك الدين في ماله وكان ذلك سببا في
انقضاء الحرب. وقيل لم يقاتل صلى الله عليه وسلم في فجار البراض وعليه اقتصر
في الوفا اي لم يرم فيه باسهم بدليل قال كنت انبل على اعمامي اي ارد عنهم نبل عدوهم
اذا رموهم وفي ذلك قد يقال لا مخالفة لانه يحتمل ان هذه العبارة المتقدمة يوم نبل فيها
انه كان ينبل ويجوز ان يكون اطلق احوال ذلك اي انه كان ينبل اي يرد النبل
فلا ينافي انه رمى في بعض الاوقات باسهم. اي وفي كلام بعضهم كان ابو طالب يحضر

أيام الفجار أي فجار البراض وكانت أربعة أيام وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو غلام فإذا جاء هزمت قيس ولعل المراد قيس هوازن فلا ينافي ما في
من الانتصار على هوازن وإذا لم يجئ هو أي في يوم من تلك الأيام هزمت كنانة
فقالوا لا أبا لك لا تغب عنا فيفعل ذكره في الامتاع وذكر فيه أنه صلى الله عليه
وسلم طعن أبا براء ملاعب الأسنة في تلك الحروب أي في بعض تلك الأيام
وأبو براء هذا كان رئيس بني قيس وحامل رايتهم في تلك الحروب والطعن
ظاهر في الرمح فيحمل على النبل وظاهر كلامهم أنه لم يقاتل بغير الرمي
للنبل عنهم على تقدير صحة الرواية وإلا فيبعد أن يكون رمى ولم يصب أحدا
أو لو أصاب أحدا لنقل لأنه مما تتوفر الدواعي على نقله إلا أن يقال يجوز
أن يكون أصاب من لم تذكر قتله فليتأمل قال وسميت الفجار لأن العرب
فجرت فيه لأنه وقع في الشهر الحرام انتهى أقول ظاهره حروب الفجار
الأربعة أي التي هي فجار البراض وغيرها وظاهر كلامهم أنه صلى الله
عليه وسلم لم يحضر إلا في الفجار الرابع الذي هو فجار البراض ثم رأيت
التصريح بذلك في الوفا وسأذكره وسيأتي في الباب الذي يلي هذا أن
حرب الفجار لم يكن في شهر حرام وسيأتي في هذا الباب ما يدل على ذلك
أي القتال في ذلك لم يكن في الشهر الحرام وإنما سببه كان في الشهر الحرام وهو
قتل البراض لعروة الرحال فقد قيل سبب القتال أن عروة الرحال
بتشديد الحاء المهملة وكان من هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر
ملك الحيرة واللطيمة العير التي تحمل الطيب والبز للتجارة أي فإن
المنذر كان يرسل اللطيمة لتباع في سوق عكاظ ويشترى له بثمن
ذلك أدم من أدم الطائف ويرسل تلك اللطيمة في جوار رجل من أشراف
العرب فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب وفيهم البراض وهو
من بني كنانة وعروة الرحال وهو من هوازن فقال البراض أنا أجيرها
على بني كنانة يعني قومه فقال له النعمان ما أريد إلا من يجيرها على أهل
نجد وتهامة فقال له عروة الرحال أنا أجيرها لك فقال له البراض
أتجيرها على كنانة فقال نعم وعلى أهل الشيح والقيصوم ونال من البراض
فخرج عروة الرحال بها مسافرا وخرج البراض خلفه يطلب غفلته فلما

استغفله

استغفله وثب عليه وقتله فإنه شرب الخمر وغنته القينات وسكر ونام فجاء البراض
وأيقظه فقال له الرحال ناشدتك الله لا تقتلني فإنها كانت مني زلة وهفوة
فلم يلتفت إليه وقتله وذلك في الشهر الحرام فأتى آت كنانة وهم بعكاظ
هوازن فقال لكنانة إن البراض قد قتل عروة الرحال وهو في الشهر الحرام
فانطلقوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل دخولهم
الحرم فأمسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وكانت قريش وكنانة
ولا يخفى أن في هذا التصريح بأن القتال لم يكن في الشهر الحرام لأنهم إذا كانوا
في الشهر الحرام لا يتأتى كون مطلقا أي وإن لم يكن في الحرم لكفهم عن قتالهم لمقاربتهم
دخول الحرم وقتالهم لهم في اليوم الثاني دليل على أن قتالهم لم يكن في الشهر الحرام
ومكث القتال بينهم أربعة أيام كما تقدم أقول قال السهيلي الصواب ستة
أيام والله أعلم قال وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض تلك الأيام
أخرجه أعمامه معهم أي وقيل له لما تقدم من أنه كان إذا حضر غلبت كنانة
وإذا لم يحضر هزمت وفي بعض تلك الأيام وهو أشدها وهو اليوم الثالث
قيد أمية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كي لا
يفروا وسموا العنابس أي الأسود انتهى أي وحرب والد أبي سفيان وأمية
أخوه كانا على الكعبة وأبو سفيان أسلم كما سيأتي ثم تواعدوا للعام المقبل
بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤوا للموعد أي وكان أمر قريش وكنانة إلى
عبد الله بن جدعان وقيل كان إلى حرب أي ابن أمية والد أبي سفيان لأنه كان
رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن أخيه ربيعة بن عبد شمس يتيما
في حجره فضن أي بخل به حرب وأشفق أي خاف من خروجه معه فخرج عتبة
بغير إذنه فلم يشعر أي يعلم إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادي يا معشر مضر
علام تقاتلون فقالت له هوازن ما تدعونا إليه قال الصلح على أن ندفع
لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا أي فإن قريشا وكنانة كان لهم الظفر على
هوازن فيقتلوهم قتلا ذريعا أي وذلك لا ينافي أنه انهزم في بعض الأيام
قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا إلى أن نوفي لكم ذلك قالوا ومن لنا
بهذا قال أنا قالوا ومن أنت قال أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به
هوازن ودفعوا حكيم بن حزام وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله

عليه وسلم فلما رأت هوازن الوهن في أيديهم عفوا عن الدماء واطلقوهم وانقضت الحرب
أي حرب الفجار وفي رواية وودت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها
وقد يقال لا تغاير بين هذه الرواية لجواز أن التزمت أن تديها فكان
انقضاؤها على يد عتبة بن ربيعة وهو ممن قتله حمزة ببدر وهو أبو هند
زوج أبي سفيان أم معاوية رضي الله عنهما ومن زوجها وولدها المذكور وكان
يقال لم يسد مملق إلا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فإنهما سادا بغير
مال أي وفي كلام بعضهم سادا عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من
أبي المزلق وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه
وجده وأبو جده وجد جده كلهم يعرفون بالإفلاس والذي في الوفاء الاقتصار
على أن حرب الفجار كان في شهر الحرام الأول التي كانت الفجار فيها ثلاث مرات
وسببها قضية بدر بن معشر الغفاري والمرة الثانية كان سببها قضية المرأة
والثالثة قضية الدين ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرة
وأما المرة الرابعة فكانت بين هوازن وكنانة وحضرها صلى الله عليه وسلم

باب شهوده صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو أشرف حلف في العرب والحلف في الأصل

اليمين والعهد وسمي العهد حلفا لأنهم يحلفون عند عقده وكان عند منصرف
قريش من حرب الفجار لأن حرب الفجار كان في شوال وقيل في شعبان لا في
الأشهر الحرم أي وإن كان سببه وهو قتل البراض لعروة الرحال في الشهر الحرام
كما تقدم وكون هذا الحلف كان عند منصرف قريش من حرب الفجار لما هو في
أنه كان بعد انقضاء الحرب وقبل مجيء العزيز يقتضي للموعد من قابل لأن عتبة
جيبهم للموعد من قابل لم يقع حرب إلا أن يقال الحلف عليه حرب باعتبار
أنهم كانوا متأهبين لأجل الحرب وهذا الحلف كان في ذي القعدة وكان أول من
دعا إليه الزبير بن عبد المطلب أي عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
شقيق أبيه كما تقدم فاجتمع إليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد
العزى وذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمي كان بنو تيم في حياته
كأهل بيت واحد يلوذون به وكان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي
مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطعم عنده

الفالوزج

الفالوزج فيطعم قريشا أي وسبب ذلك أنه كان يطعم أولا التمر والسويق ويسقي
اللبن فاتفق أن أمية بن أبي الصلت مر على بني عبد المدان فرأى طعامهم لباب
البر والشهد فقال أمية • ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم • فرأيت أكرمهم بني المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم • لا ما يعللنا بنو جدعان •
فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل إلى بصرى الشام فحمل إليه البر والشهد
والسمن وجعل ينادي مناديه هلموا إلى جفنة عبد الله بن جدعان • ومن
مدح أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان قوله •

أأذكر حاجتي أم قد كفاني • حياؤك إن شيمتك الحياء •
إذا أثنى عليك المرء يوما • كفاه من تعرضك الثناء •
كريم لا يغيره صباح • عن الخلق الجميل ولا مساء •
يباري الريح مكرمة وجودا • إذا ما الضب أجحره الشتاء •

وكان عبد الله ذا شرف وسن وكان ممن حرم الخمر على نفسه في
الجاهلية أي بعد أن كان بها مغرما وسبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمد
يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين
صحا فحلف أن لا يشربها أبدا • وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان
بن مظعون وقال لا أشرب شيئا يذهب عقلي ويضحك مني من هو أدنى مني
ويحملني أن أنكح كريمتي من لا أريد • فصنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا
على أن يكونوا مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة أي إلى الأبد
وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن
ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه
ذلك يوم القيامة فقال لا لأنه لم يقل يوما وفي رواية أنه لم يقل شيئا منه من
الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين رواه مسلم أي لم يكن مسلما لأن
القول المذكور لم يصدر إلا من مسلم ولا ينافي مقتضى الحديث أنه لو قاله لكن
لنفعه ما ذكر يوم القيامة مع كونه كان ممن أدرك البعثة ولم يؤمن
وحينئذ يشكل من جهة عدوله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك من قوله لأنه لم
يؤمن بي أو لم يكن مسلما أي وكان يكنى أبا زهير • وقد قال صلى الله عليه وسلم
في أسرى بدر لو كان أبو زهير أو مطعم بن عدي حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد

ذكر ان جفنة عبد الله بن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير ابو حيان في غزوة بدر
انه صلى الله عليه وسلم ذكر انه ازدحم هو وابو جهل وهما غلامان على مأدبة لابن جدعان
وانه صلى الله عليه وسلم دفع ابا جهل فوقع على ركبته فجحش جحشا اثرها وقد
جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت استظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة
عمي اي في الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمي تصغير اعمى على الترخيم
رجل من العماليق اوقع بالعدو القتل في مثل ذلك الوقت وقيل هو رجل
من عدوان كان فقيه العرب في الجاهلية فقدم في قومه معتمرا فلما كان على
مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في حر الظهيرة من اتى مكة غدا في مثل
هذا الوقت كان له اجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى اتوا مكة
من الغد في وقت الظهيرة ولعل هذا لا يخالف قول ابن عباس يحملنا
الوداع للمسجد بمكة صكة عمي فقيل ما صكة عمي قال انه لا يبالي اي
ساعة خرج . وكان عبد الله بن جدعان في ابتداء امره صعلوكا وكان
مع ذلك شريرا فتاكا لا يزال يجني الجنايات فيعقل عنه ابوه وقومه
حتى ابغضته عشيرته وطرده ابوه وحلف ابوه لا يؤويه ابدا فخرج هائما
في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا في جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم
له عينان يتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تاخر
انساب اي رجع عنه فلما زاد كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب
منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل المحل
الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك ووجد
من ذلك المحل اموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر كثيرة من الياقوت
والياقوت والزبرجد فاخذ منه ما اخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار
ينقل منه شيئا فشيئا ووجد في ذلك الكنز لوحا من الرخام مكتوب فيه
انا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله عشت خمسمائة عام وقطعت
غور الارض باطنها وظاهرها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن
ذلك ينجي من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى ابيه بالمال الذي دفعه
من جناياته ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم
الناس ويفعل المعروف . قال وفي رواية تحالفوا على ان يردوا الفضول

على

على اهلها ولا يغزو ظالم على مظلوم اي وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما وقيل ان
هذا اي رد الفضول مدرج من بعض الرواة زاد بعضهم ما بل بحر صوفة وما رسى
حراء وثبير مكانهما والمراد الابد كما تقدم وكان عمه من ذلك الحلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم ما احب ان لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم
اي الابل واني اغدر به اي بالغين المعجمة والدال المهملة اي لا احب الغدر به
وان اعطيت حمر الابل في ذلك . قال وفي رواية لقد شهدت في دار عبد الله
ابن جدعان حلفا ما احب ان لي به حمر النعم اي بعوائده ولو دعي به في الاسلام لاجبت
لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم وفيه ان الاسلام قد رفع ما كان من
دعوى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند الحرب والغضب واجيب بان هذا استثنى
ما الدعوة برمانية وفي اخرى لما شهدت حلفا لغير بني الاحلاف المطيبين شهدته مع عمومتي وما احب
ان لي به حمر النعم واني كنت نقضته اي لا احب نقضه وان دفع الي حمر الابل في مقابلة نقضه .
والمطيبون هم هاشم وزهرة اي بنو زهرة بن كلاب وامية ومخزوم قال البيهقي كذا روي
هذا التفسير ومدرجا لا ادري قائله ذكره ابن اسحاق الا انه قام عبد الله بن جدعان هو والزبير بن عبد
المطلب في الدعوى للتحالف اجابهما بنو هاشم وبنو المطلب وبنو اسد وبنو زهرة
وبنو تيم هذا كلامه ولا يخفى ان قوله حلف المطيبين الملك على هذا الحلف الذي هو حلف
الفضول حلف المطيبين لانهم المتعاقدون لا قبيلتهم وسمي بالفضول قيل لما تقدم من انهم
تحالفوا على ان يردوا الفضول على اهلها وقيل لانه يشبه حلفا وقع تلك السنة من جرهم
كل واصطلحوا لذا الفضل وعبارة بعضهم لان الداعي اليه كان ثلاثة من اشرافهم اسم كل
واحد منهم فضل وهم الفضل بن فضالة والفضل بن وداعة والفضل بن الحارث وهو لا
لذلك تحالفوا على نصرة المظلوم على ظالمه فالفضول جمع الفضل وقيل لانهم ايهون
الله كانوا اخرجوا فضول اموالهم لله ميثاق وقيل لان قريشا قالوا هؤلاء
الذين تحالفوا لقد دخل هؤلاء في فضول من الامر والسبب في هذا الحلف والحامل
عليه ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل
وكان من اهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي
الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعديا بن كعب فابوا ان يعينوا
على العاص وانتهروا الزبيدي فلما راى الزبيدي الشر رقى على ابي قبيس عند طلوع
الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة وقال باعلى صوته .

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ٭ ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ٭ يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ٭ ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
والحرام بمعنى الاحترام فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب أي عم عبد الله
أبي جده فإن صح ما تقدم واجتمع إليه من تقدم وتحالفوا فيهم العباس وأبو
سفيان فتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم
حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة وفي رواية ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا
منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه انتهى. أقول ذكر السهيلي أن رجلا من
خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها
منه نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة
ونادى يا لحلف الفضول فإذا هم يعنقون إليه من كل جانب وقد انتضوا
أسيافهم أي جردوها يقولون جاءك الغوث فما لك فقال إن نبيها ظلمني
في بنتي فانتزعها مني قسرا فساروا إليه حتى وقفوا على باب داره فخرج
إليهم فقالوا أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال
أفعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا لا والله ولا شخب لقحة أي مقدار
ذلك فأخرجها إليهم. وفي سيرة الحافظ الدمياطي أنه كان بين الحسين
ابن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة
في مال يتعلق بالحسين فقال الحسين للوليد أحلف بالله لتنصفني
من حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم لأدعون لحلف الفضول أي بحلف كحلف الفضول وأقسم مثل ذلك جماعة
منهم عبد الله بن الزبير لأنه كان إذ ذاك في المدينة فلما بلغ ذلك الوليد
ابن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي به والله سبحانه وتعالى أعلم

باب سفره صلى الله عليه وسلم إلى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد

رضي الله عنها لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة
أي على الراجح من أقوال ستة وعليه جمهور العلماء وتلك الأقوال ضعيفة
ثم تمم لها حجة على ساق وليس له اسم بمكة إلا الأمين لما تكامل فيه من خصال الخير

كما تقدم وسبب ذلك أن عمه أبا طالب قال له يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد
الزمان أي القحط وألحت علينا أي أقبلت ودامت سنون منكرة أي شديدة الجدب
وليس لنا مادة أي ما يقوم بنا ولا تجارة وهذه عير قومك وتقدم أنها الإبل
التي تحمل الميرة وفي رواية عيرات جمع عير قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة
بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيراتها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع
فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها
عنك من طهارتك وإن كنت لأكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا نجد
من ذلك بدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعلها ترسل إلي في ذلك
فقال أبو طالب إني أخاف أن تولي غيرك فتطلب أمرا مدبرا فبلغ خديجة ما كان
من محاورة عمه أبي طالب فقالت ما علمت أنه يريد ذلك ثم أرسلت إليه صلى الله
عليه وسلم فقالت إنه دعاني إلى البعث إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم
أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك ففعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولقي عمه أبا طالب فذكر له ذلك فقال إن هذا لرزق ساقه
الله إليك فخرج مع غلامها ميسرة أي يريد الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعص له
أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير أي وفي سيرة صلى الله
عليه وسلم اطلعه أنها فلما قدم صلى الله عليه وسلم الشام نزل في سوق بصرى
في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب يقال له نسطورا أي بالقصر فاطلع الراهب
إلى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي نزل تحت الشجرة فقال له ميسرة
رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي
أي صانها الله من أن ينزل تحتها غير نبي ثم قال له أفي عينيه حمرة قال ميسرة
نعم لا تفارقه فقال الراهب هو هو وهو آخر الأنبياء ويا ليتني أدركه حين
يؤمر بالخروج أي يبعث فوعى ميسرة ذلك أي والحمرة كانت في بياض عينيه وهي
الشكلة فهذه الشكلة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة كما تقدم
قال وفي شرف المصطفى يوري فعلا أي الراهب أنها قد ظللته صلى الله عليه وسلم
نزع وقال ما أنتم عليه أي حتى أتم قاله ميسرة غلام خديجة فدنا إلى النبي صلى الله
عليه وسلم سرا من ميسرة وقبل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وأنا أشهد أنك الذي
ذكره الله في التوراة ثم قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها إلا الذي على

فرق النصارى واليهود

بحيرا المذكورة في الكتب العربية فله صلة واحدة فاذ صح لي كشفك فاذ صح لي فاذا
خاتم النبوة يبكي له فانكب عليه يقبله ويقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمد
الله رسول الله النبي الامي الذي بشر به عيسى بن مريم فانه قال لا ينزل بعدي
تحت هذه الشجرة الا النبي الامي الهاشمي المكي صاحب الحوض والشفاعة وصاحب
لواء الحمد انتهى اقول قال في الخدور ولم اجد احدا عده هذا الراهب الذي هو
نسطورا في الصحابة كما عد بعضهم فيها بحيرا وينبغي ان يكون مثل هذا الكلام
وقد قدمنا انه ينبغي ان بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بانه صلى الله عليه
وسلم نبي هذه الامة من اهل الفترة لا من اهل الاسلام فضلا عن كونه صحابيا لان المسلم
من امن بنبينا صلى الله عليه وسلم بعد وجوده الى اخر ما بابانه ومن ثم ذكر الحافظ
ابن حجر هذا الامام بانه ان بحيرا ممن ذكر في كتب الصحابة غلطا قال لان تعريف
الصحابي لا ينطبق عليه وهو مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات
على ذلك قال فقوله مسلم يخرج من لقيه مؤمنا به قبل ان يبعث هكذا الرجل يعني
بحيرا هذا الكلام وزاده ما ذكرناه ولعل نسطورا هذا هو الذي تنسب اليه
النسطورية من النصارى ۞ فان النصارى افترقت ثلاث فرق نسطورية
قالوا عيسى ابن الله ويعقوبية قالوا عيسى هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السما
والملكانية قالوا عيسى عبد الله ونبيه وزاد بعضهم فرقة رابعة وهم اسرائيلية
قالوا هو اله وامه اله وانما اله هذا وفي القاموس النسطورية بالضم وبفتح
امة من النصارى تخالف بقيتهم وهم اصحاب نسطورا الحكيم الذي ظهر في
ايام المامون وتصرف في الانجيل برايه وقال ان الله واحد ذو اقانيم
ثلاثة وهو ثالث ثلاثة وعند نسطورس كما افترقت اليهود ثلاث فرق فانها
افترقت الى قرائية وربانية وسامرية ولا يخفى ان بقاء تلك الشجرة
هذا الزمن الطويل قبل عيسى وبعده الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم على
خلاف العادة وصرف عنها الانبيا عن النزول تحت تلك الشجرة وكذا من الانبيا
الذين وجدوا بعد عيسى عليه السلام عن النزول تحتها ممكن وان كانت الشجرة لا تبقى
في العادة هذا الزمن الطويل ويبعد في العادة ان تكون شجرة تخلو من ان
ينزل تحتها احد غير الانبيا لان هذا الامر كونه ممكنا خارقا للعادة والانبيا
ثم خرق العادة فيهما لنبينا صلى الله عليه وسلم ولهذا ايده قول الحلبي يريد ما نزل

تحت

تحت هذه الشجرة الساعة الا نبي ولم يرد ما نزل تحتها قط بعد العهد بالانبيا قبل ذلك
وان كان في لفظ الحلبي فقط فقد نتكلم بما على جهة الاستكشاف سيق وان الشجرة لا تعمر
في العادة هذا العمر الطويل حتى يدري انه لم ينزل تحتها الا عيسى او غيره من
الانبيا ويبعد في العادة ايضا ان تكون شجرة تخلو من ان ينزل تحتها احد من بني
بني هذا الكلام وقد يقال يجوز ان تكون تلك الشجرة كانت شجرة زيتون فقد ذكر
ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة الاف سنة على ان في بعض الروايات ونزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يابسة عودها فلما نزل تحتها
اخضر عودها واورقت واعشوشب ما حولها واينع ثمرها وتدلت اغصانها
ترفرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم المختار عند جمهور المحققين
من اهل السنة ان كلما جاز وقوعه للانبيا من المعجزات جاز للاوليا من الكرامات
بشرط عدم التحدي لان المعجزة يشترط فيها التحدي وان يكون بعد النبوة وما قبل
النبوة كما هنا يقال له ارهاص وحينئذ لا يتم ما ذكر عن الشيخ ولكن انه كان اذا استند
الى شجرة يابسة كانت تورق وتخرج ثمرها في الحال على انه سياتي في الكلام على غزوة
الخندق ان كرامات الاوليا معجزات للانبيا ولما راى الراهب ما ذكر منها بكى
ان يتحدر منه ومعه وقال له باللات والعزى ما اسمك فقال له اليك عني ثكلتك
امك ومع ذلك الراهب رق مكتوب فجعل ينظر في ذلك الرق ثم قال هو هو ومنزل
التوراة فظن بعض القوم ان الراهب يريد بالنبي صلى الله عليه وسلم مكرا فانتضى
سيفه وصاح يا لغالب يا لغالب فاقبل الناس يهرعون اليه من كل ناحية
يقولون ما الذي راعك فلما نظر الراهب الى ذلك اقبل يسعى الى صومعته فدخل
واغلقت عليه بابها ثم اشرف عليهم وقال يا قوم ما الذي راعكم منه والذي
رفع السموات بغير عمد اني لاجد في هذه الصحف ان النازل تحت الشجرة هو رسول
رب العالمين يبعثه الله بالسيف المسلول والذبح الاكبر وهو خاتم النبيين
من اطاعه نجا ومن عصاه غوي ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق
بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى قال ولم اقف على نفسه ما باعه
وما اشتراه انتهى وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال رجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم احلف باللات والعزى فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما حلفت بهما قط فطاطا الرجل القول قولك ثم قال لميسرة

وحلا به يا ميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده انه هو الذي تجده احبارنا منعوتا اي
في الكتب فوعى ميسرة ذلك اي وقيل ان يقلوا الى مصري عين بعيران لخديجة
وتخلف عنهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول الركب
فخاف ميسرة على نفسه وعلى البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره بذلك فاقبل صلى الله عليه وسلم فوضع يده على اخفافهما
وعوذهما فانطلقا في اول الركب ولهما رغاء. قالوا في السوق ايضا باعوا
ما جاؤوا به وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة
اربعين سنة ما رأينا ربحا قط اكثر من هذا الربح على وجهك اه. اقول
وقول ميسرة اتجرنا لخديجة اربعين سنة ولعلها مصحفة
عن سفرة او هو على المبالغة والله اعلم. ثم انصرف اهل العير جميعا راجعين
الى مكة وكان ميسرة يرى ملكين يظلان النبي صلى الله عليه وسلم من الشمس.
وهو على بعيره اي اذا كانت الهاجرة واشتد الحر وهذا هو المعنى بقول
... ايضا الصفوي ووصف باظلال الملائكة في سفره ويحتمل ان المراد
في كل سفره ... ثم لم اقف على اظلال الملائكة له صلى الله عليه وسلم في
غير هذه السفرة وقد القى الله محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قلب ميسرة فكان كانه عبد له فلما كانوا بمر الظهران اي وهو واد بين
مكة وعسفان وهو الذي تسميه العامة بطن مرو وهو المعروف الآن
بوادي فاطمة قال ميسرة للنبي صلى الله عليه وسلم هل لك ان تسبقني الى
خديجة فتخبرها بالذي جرى لعلها تزيدك بكرة الى بكرتك وفي رواية
فتخبرها بما صنع الله لها على وجهك فركب النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم
حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية اي في غرفة مع نساء
فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل وهو راكب على بعيره.
وملكان يظلان عليه فارته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبرها بما ربحوا وهو ضعف ما كانت تربح فسرت
بذلك وقالت اين ميسرة فقال خلفته في البادية فقالت له عجل اليه
ليعجل بالاقبال وانما ارادت ان تعلم اهو الذي رأت ام غيره فركب صلى
الله عليه وسلم وصعدت خديجة تنظر فرأته على الحالة الاولى فلما ...

الله

الرجعى فلما دخل عليها ميسرة اخبرته بما رأت فقال لها ميسرة قد رأيت هذا ...
منذ خرجنا من الشام وذكر نحو ذلك ... والامام السبكي في تائيته.
... الملكين ... ثاني سفرة.
واخبرها ميسرة بقول الراهب نسطورا وبقول الرجل الذي خالفه في بيع البعيرين
وخبيثة اعطت خديجة له صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمته له وقول ميسرة له
صلى الله عليه وسلم فيما تقدم لعلها تزيدك بكرة الى بكرتك يدل على انها
سمت له بكرتين وكانت تسمى لغيره بكرة. وفي كلام بعضهم وفي الروض الباسم
استأجرته صلى الله عليه وسلم على اربع بكرات. وفي الجامع الصغير ما نصه
اجرت نفسي من خديجة سفرتين بقلوصين ثم رأيت في الامتاع ما يوافق
ذلك وهو واجر صلى الله عليه وسلم نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين
السفرة الاولى ارسلته ثم بعثها ميسرة الى سوق حباشة اي وهو مكان.
بارض اليمن بينه وبين مكة ست ليال كانوا يبتاعون فيه ثلاثة ايام
من اول رجب في كل سنة فابتاعا منه بزا ورجعا الى مكة فربحا ربحا حسنا
وفي السفرة الثانية ارسلته مع عبدها ميسرة الى الشام. وفيه ان سفره
صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى الشام سفرة ثالثة ففي مستدرك الامام
الحاكم وصححه واقره الذهبي عن جابر ان خديجة استأجرته صلى الله عليه
وسلم سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء موضع باليمن كل سفرة بقلوص
وهي الشابة من الابل وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم سافر لها ثلاث سفرات
كما تقدم ولعل سوق حباشة هو جرش والا لزم ان يكون صلى الله عليه
وسلم سافر لها خمس سفرات اربعة الى اليمن وواحدة الى الشام ومما تقدم
عن الروض الباسم من انها استأجرته صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام
باربع بكرات لا يناسب ما تقدم عن ميسرة وقد جاء في بعض الروايات ان ابا
طالب جاء لخديجة وقال لها هل لك ان تستأجري محمدا فقد بلغنا عنك
انك استأجرت فلانا ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون اربع بكرات فقالت
لو سألت لبعيد بغيض فكيف وقد سألت لحبيب قريب ثم لا يخفى ان كون
سفره صلى الله عليه وسلم مع ميسرة لسوق حباشة قبل سفره معه الى الشام
يخالف ظاهر ما تقدم من قول عمه ابي طالب وهذه عير قريش قد حضر

خروجها الى الشام ملوحة بها فوصف نفسك بلمهما ومولد خديجة ما علمت انه يريدها
وانما قلنا ظاهر لانه يجوز ان يكون بعد مولد ابي طالب وقوله المذكور ارسلته
صلى الله عليه وسلم مع ميسرة الى سوق حباشة لقرب مسافته وقصر زمنه لم نه
ارسلته مع ميسرة الى الشام او كانت خديجة لا تجوز ان ابا طالب يرضى بسفره
الى الشام وانه صلى الله عليه وسلم يوافق على ذلك فليتامل وتقدم
انه صلى الله عليه وسلم من حين سيره من مكة كانت غمامة تظله فان
كانت غير الملكين فالغمامة كانت تظله في الذهاب والملكان يظلانه
في العود ولعل عدم ذكر ميسرة لخديجة تظليل الغمامة له صلى الله عليه
وسلم في ذهابه انه لم يفطن لها تامل ولكن سياتي في كلام صاحب
الهمزية ما يفيد ان الملكين هما الغمامة وفيه وقوع رؤية البشر
غير نبينا صلى الله عليه وسلم للملائكة غير جبريل وسياتي رؤية جمع
من الصحابة لجبريل وفي المتقدم من الصلاة لنقول ان الصوفية
يشاهدون الملائكة في يقظتهم اي لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم
وقطعهم العلائق وحسمهم مواد اسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم
على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا والله اعلم ثم ان خديجة
ذكرت ما رأته من الآيات وما اخبرها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل
وكان نصرانيا اي بعد ان كان يهوديا فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة
ان محمدا لنبي هذه الامة وقد عرفت انه كائن لهذه الامة نبي ينتظر هذا زمانه
وكان صلى الله عليه وسلم يتجر قبل النبوة اي قبل ان يتجر لخديجة وكان له
شريكا السائب ابن ابي السائب صيفي فلما قدم عليه السائب يوم فتح مكة
قال له مرحبا باخي وشريكي كان لا يداري اي لا يرائي ولا يماري اي يخاصم
ماجر وهذا يدل على ان قوله كان لا يداري الى اخره من قوله صلى الله
عليه وسلم وقد قال فيها ونا لا اطلع على الشركة خبر السائب بن يزيد انه
كان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وافتخر بشركته بعد المبعث
اي فقال كان صلى الله عليه وسلم شريكي نعم شريك لا يداري ولا يماري ولا يشاري
والمشاراة المشاحنة اي لا تزول اللجاج فيه وهذا من قول السائب ولا مانع
ان يكون كل من النبي صلى الله عليه وسلم والسائب قال في حق الاخر كان لا يداري

الى اخره وذكر في الامتاع ان حكيم بن حزام اشترى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بزا
من بز تهامة بسوق حباشة وقدم به مكة فكان سببا لارسال خديجة له صلى الله عليه
وسلم مع عبدها ميسرة الى سوق حباشة وفي سفر السعادة انه صلى الله
عليه وسلم انه باع واشترى الا انه بعد الوحي وقبل الهجرة كان شراؤه اكثر من
بيعه وبعد الهجرة لم يبع الا ثلاث مرات واما شراؤه فكثير واجر واستاجر واجر
لا ثنيا دائما ووكل وتوكل وكان توكيله صلى الله عليه وسلم اكثر والله اعلم

باب تزويجه صلى الله عليه وسلم لخديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي رضي الله عنها

فهي تجتمع معه صلى الله عليه وسلم في قصي قال الحافظ ابن حجر وهي من اقرب نسائه
اليه صلى الله عليه وسلم اليه في النسب ولم يتزوج من ذرية قصي غيرها الا
ام حبيبة هذا الكلام عن نفيسة بنت منية رضي الله عنهما اي وهي اخت يعلى
ابن منية وعليه يكون منية امه وهي راجع لمنية لا لنفيسة قالت كانت خديجة
بنت خويلد امراة حازمة اي ضابطة جلدة اي قوية شريفة اي مع ما اراد
الله لها من الكرامة والخير وهي يومئذ اوسط نساء قريش نسبا واعظمهم
شرفا واكثرهم مالا اي واحسنهم جمالا وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وفي
لفظ كان يقال لها سيدة قريش لان الوسط يذكر لنسبة ... المدح والتفضيل
يقال فلان اوسط القبيلة اعرفها في نسبها وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر
على ذلك قد طلبوها وذكروا لها الاموال فلم تقبل فارسلتني دسيسا اي خفية
الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع في عيرها من الشام فقلت له يا محمد
ما يمنعك ان تتزوج فقال ما بيدي ما اتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت
الى المال والجمال والشرف والكفاءة الا تجيب قال فمن هي قلت خديجة
قال وكيف لي بذلك بكسر الكاف لانه خطاب لنفيسة قلت بلى وانا افعل
فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه ان ائت لساعة كذا وكذا فارسلت الى
عمها عمرو بن اسد ليزوجها فحضر ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته
فزوجه احدهم اي وهو ابو طالب على ما ياتي وقال في خطبته وابن اخي لمن
خطب خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو بن اسد هذا الفحل
لا يقدع انفه اي بالقاف وكذلك بالمهملة اي لا يضرب انفه لكونه كريما لان غير

الكريم اذا اراد ركوب الناقة الكريمة يضرب انفه ليرتدع بخلاف الكريم وكون المزوج لها
عمها عمرو بن اسد قال بعضهم هو الصحيح قاله وقيل المزوج لها اخوها عمرو بن خويلد وعن
الزهري ان المزوج لها ابوها خويلد بن اسد وكان سكرانا من الخمر فالقت عليه خديجة
حلة وهي ثوب فوق ثوب لانها لا تطلق الا على ثوب فوق الاسفل وضمخته بخلوق اي لطخته
بطيب مخلوط بزعفران فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له
لانك انكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه وامضاه اعلان
خديجة استشعرت من ابيها انه يرغب عن ان يزوجها له فصنعت طعاما وشرابا
ودعت اباها ونفرا من قريش فطعموا وشربوا فلما سكر ابوها قالت له ان
محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني اياه فزوجها فخلقته والبسته لان ذلك
اي الباس الحلة وجعل الخلوق بركان عادتهم اي يفعلها الاب ذلك اذا
زوج بنته فلما صحى من سكره قال ما هذا قالت لا خير بجده زوجتني من محمد
ابن عبد الله قال انا ازوج يتيم ابي طالب لا لعمري فقالت له خديجة الا تستحي
تريد ان تسفه نفسك عند قريش تخبرهم انك كنت سكرانا فلم تزل به حتى رضي
اي وهذا مما يدل على ان شرب الخمر كان عندهم مما يتنزه عنه ويدل له ان جماعة
حرموها على انفسهم في الجاهلية • وفي رواية انها عرضت نفسها عليه فقالت
يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وامانتك وحسن خلقك وصدق
حديثك فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعمامه فخرج معه عمه حمزة
ابن عبد المطلب رضي الله عنه حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فزوجها
قول قال في النور ولعل الثلاثة اي اباها واخاها وعمها حضروا ذلك فنسب
اسند الى كل واحد منهم هذا الكلام • وفي كون المزوج لها اباها خويلد اوكونه
حضر تزويجها نظر ظاهر لان المحفوظ عن اهل العلم ان خويلد بن اسد مات قبل
حرب الفجار وقال بعضهم وهو الذي نازع تبعا اي حين اراد اخذ الحجر الاسود الى
اليمن فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة من قريش ثم راى تبع في منامه
ما ردعه عن ذلك فترك الحجر الاسود مكانه وعلى كون المزوج لها عمها
اقتصر ابن هشام في سيرته فذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقها
عشرين بكرة وعبارة المحب الطبري فلما ذكر ذلك لاعمامه خرج معه منهم حمزة بن
عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها اليه فخطب حمزة ابو طالب

وردسا

وردسا حضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الخ والله اعلم قال وعن ابن اسحاق
انها قالت له يا محمد الا تتزوج قال ومن قالت انا قال ومن لي بك انت ايم قريش
وانا يتيم قريش قالت اخطبني الحديث اي وفيه اطلاق اليتيم على البالغ وذلك
بحسب ما كان والمراد به المحتاج والا فالمعرفة اي الشرعي واللغوي خصه بغير
البالغ ممن مات ابوه الحنفيين وعن بعضهم قال حدثت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم على اخت خديجة فنادتني فانصرفت اليها ووقف لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت اما لصاحبك هذا من حاجة في تزوج خديجة فاخبرته فقال بلى
لعمري فذكرت ذلك لها فقالت اغدوا علينا اذا اصبحنا فغدونا عليهم فوجدناهم
قد ذبحوا بقرة والبسوا خديجة حلة الحديث • وفي الامتاع بعد ان ذكر ان
السفير بينهما نفيسة بنت منية ذكر انه قيل ان السفير بينهما مولاة لها وقيل مولاة
مولدة وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون كل ممن ذكر كان سفيرا • وفي الشرف
ان خديجة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى عمك فقل له عجل الينا بالغداة
فلما جاءها ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا ابا طالب تدخل على عمي

خطبة ابو طالب

تزوجني من ابن اخيك محمد بن عبد الله فقال ابو طالب يا خديجة لا تهزئي فقالت هذا صنع
الله فقام فذهب وجاء معه نفر من قومه الى عمها الحديث وفي رواية وعمه ابو طالب هاشم
ورؤسا مضر ولا مخالفة لجواز ان يكون المراد بني هاشم او بيت العشيرة لانهم
كانوا هم المراد برؤسا مضر في ذلك الوقت • وذكر ابو الحسين ابن فارس وغيره
ان ابا طالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل
وضئضئ معد اي معدنه وعنصر مضر اي اصله وجعلنا حضنة بيته اي المتكفلين بشانه وسواس
حرمه اي القائمين بخدمته وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا حكام الناس
ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به شرفا ونبلا وعقلا
وفضلا وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مسترجعة
وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم خديجة
وقد بذل لها من الصداق ما عاجله واجله اثنتي عشرة اوقية ونشا اي وهو عشرون
درهما والاوقية اربعون درهما اي وكانت الاواقي والنش من ذهب كما قال المحب
الطبري اي فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي وقيل اصدقها عشرين
بكرة اي كما تقدم اقول لا منافاة لجواز ان تكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور

وقال بعضهم يجوز ان يكون ابو طالب اصدقها ما ذكر وزاد صلى الله عليه وسلم من عنده تلك
البكرات فيه صدق انه كان الكل صداقا قال والله اعلم • وما قيل ان عليا رضي الله عنه ضمن
المهر فهو غلط لان عليا لم يكن ولد على جميع الاقوال في تقدم عمره لانه ولد رضي الله
عنه في الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون فاكثر اي وسنه صلى الله عليه وسلم
حين تزوج خديجة كان خمسا وعشرين سنة على ما تقدم وزيادة شهرين وعشرة ايام
وقيل سنه عشرون وما على ما يأتي قال النووي وعند ذلك قال عمرو عمها ابا اسد
هو الفحل الذي لا يقدع انفه وانكحها منه وقيل قائل ذلك ورقة بن نوفل اي فانه
بعد ان خطب ابو طالب بما تقدم خطب ورقة فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت
وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله ولا
تنكر العرب فضلكم ولا يرد احد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا في الاتصال
بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش اني قد زوجت خديجة بنت خويلد من
محمد بن عبد الله وذكر المهر فقال ابو طالب قد احببت ان يشركك عمها فقال
عمها اشهدوا علي معاشر قريش اني انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد
واولم عليها صلى الله عليه وسلم نحر جزورا او جزورين واطعم الناس وامرت
خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن بالدفوف وفرح ابو طالب فرحا شديدا
وقال الحمد لله الذي اذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم وهي اول وليمة اولمها
صلى الله عليه وسلم اهـ ولا ينافي هذا ما تقدم من قوله فوجدناهم ذبحوا بقرة
والبسوا خديجة حلة لجواز ان يكون ذلك كان عند العقد وهذا عند ارادة
الدخول • والسبب في ذلك اي في عرض خديجة رضي الله عنها نفسها عليه صلى الله
عليه وسلم مع ما اراد الله تعالى بها من الخير ما ذكره ابن اسحاق قال كان لنساء
قريش عيد يجتمعن فيه في المسجد فاجتمعن فيه يوما فجاءهن يهودي وقال
يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي قرب وجوده فايتكن استطاعت
ان تكون له فراشا فلتفعل فحصبنه اي رمينه بالحصباء فقبحنه
واغلظن له واغضت خديجة على قوله ووقر ذلك في نفسها فلما اخبرها
ميسرة بما راه من الايات وما راته هي وقالت له لما وقع لها حصل ما
حدثها به ميسرة قالت ان كان ما قال اليهودي حقا ما ذاك الا هذا
وذكر الفاكهاني عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب

اول وليمة اولمها صلى الله عليه وسلم

فاستا

فاستاذن ابو طالب ان يذهب لخديجة اي ولعله بعد ان طلبت منه الحضور اليها لذلك
لان يتزوجها فاذن له وبعث بعده جارية له يقال لها نبعة فقال انظري ما
تقول له خديجة فخرجت خلفه صلى الله عليه وسلم فلما جاء صلى الله عليه وسلم
الى خديجة اخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها ثم قالت بابي وامي والله ما افعل
هذا لشيء ولكن ارجو ان تكون انت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي
ومنزلتي وادع الاله الذي يبعثك لي فقال لها والله لئن كنت هو لقد اصطنعت
عندي ما لا اضيعه ابدا وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لاجله
لا يضيعك ابدا فرجعت نبعة واخبرت ابا طالب بذلك • وكان تزوجه صلى
الله عليه وسلم لخديجة بعد ان رجع من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما وعمره
خمس وعشرون سنة على الصحيح وقد اشار الى ما تقدم صاحب الهمزية •
وراته خديجة والتقى والزهد • فيه سجية والحياء •
واتاها ان الغمامة والسرح • اظلته منهما افياء •
واحاديث ان وعد رسول الله • بالبعث حان منه الوفاء •
فدعته الى الزواج وما احسن • ان يبلغ المنى الاذكياء •
اي وعلمت خديجة رضي الله عنها ذات الشرف الطاهر والمال الوافر والحسب الفاخر
والجمال ان التقى والزهد والحياء فيه صلى الله عليه وسلم سجية وطبيعة واتاها
الخبر بان الغمامة والسرح المظلة افياء اي ظلالا لكون ذلك الا في الغمامة
والسرح وفيه ان هذا يدل على ان المكنى هما الغمامة قال بعضهم وتظليل الغمامة
له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تاسيسا لها وانقطع ذلك بعدها شرفه واتى
خديجة الاحاديث والاخبار من بعض الاحبار بان وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
بالبعث والارشاد الى الخلق قرب الوفاء منه تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم
بسبب ذلك خطبته الى ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه وما احسن بلوغ الاذكياء
ما يتمنونه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بنت اربعين سنة
وقيل خمس واربعين وقيل ثلاثين وكانت قبله تحت رجلين اثنين وقيل تحت ثلاثة رجال
على ما ياتي • وتزوجت قبله صلى الله عليه وسلم رجلين اولهما عتيق بن عابد
اي بالموحدة والمهملة وقيل بالمثناة تحت والمعجمة فولدت له بنتا اسمها هند وهي
ام محمد بن صيفي المخزومي وثانيهما ابو هالة واسمه هند فولدت له ولدا اسمه هالة

وولدا اسمه هند ايضا فهو هند بن هند اي وكان يقول انا اكرم الناس ابا واما واخا واختا اي
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ربيبه وامه خديجة واخي القاسم واختي فاطمة
قتل هند هذا مع علي رضي الله عنه يوم الجمل وفي كلام السهيلي انه مات بالطاعون في
البصرة وكان قد مات فيه في ذلك اليوم نحو من سبعين الفا فشغل الناس بجنائزهم عن
جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهنداه بن هنداه واربيب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم تبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على اطراف الاصابع اعظاما
لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي المواهب انها كانت تحت ابي هالة
اولا ثم كانت تحت عتيق ثانيا وسيأتي بقية ترجمتها في ازواجه رضي الله عنهن

باب بنيان قريش الكعبة شرفها الله تعالى

لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة على ما هو الصحيح جاء سيل
حتى اتى من فوق الردم الذي صنعوه لمنع السيل فاخربه اي دخلها وصدع جدرانها
بعد توهينها من الحريق الذي اصابها وذلك ان امرأة جمرتها فطارت شرارة
في ثياب الكعبة فاحترقت جدرانها فخافت ان تفسدها السيول اي تذهبها
بالمرة وقيل تبخير المرأة لها كان في زمن عبد الله بن الزبير ولا مانع من التعدد
وكان ارتفاعها تسعة اذرع من عهد ابراهيم عليه السلام ولم يكن لها سقف
اي وكان الناس يلقون الحلي والمتاع كالطيب اي الذي يهدى لها في بير
داخلها عند بابها على يمين الداخل اعدت لذلك يقال لها خزانة الكعبة
كما سيأتي فاراد نفر من جرهم ان يسرقوا من ذلك شيئا فوقع على راسه والذي
البير عليه فهلك وفي كلام بعضهم فسقط عليه حجر فحبسه في تلك البير حتى
اخرج منها وانتزع منه ما اخذ ثم يقال للجمع وقد يقال لعل بعد جاز ان يكون هذا الرجل
تكررت منه السرقة وكان هلاكه في المرة الثانية فعند ذلك بعث الله تعالى
حية بيضاء سوداء الراس والذنب راسها كراس الجدي فاسكنها تلك البير
تحفظ تلك الامتعة وكانت قد تخرج منها الى ظاهر البيت فتشرق بالنار
اي تبرز للشمس على جدار الكعبة فيبرق لونها وربما التفت عليه فيصير راسها
عند ذنبها فلا يدنو منها احد الا كشت اي صوتت وفتحت فاها مصطفون عليها
كشت في حياة الحيوان قال الجوهري كشيش الافعى صوتها من جلدها لا من
فيها وحرست بئر وخزانة البيت فيها خمسمائة سنة لا يقربها احد اي بسوء وخزانة

الا اهلكته

الا اهلكته اي ولعل المراد لو قرب منها احد اهلكته اذ لم اهلكت احدا قرب من تلك
البير لنقل فلم تزل كذلك حتى كان زمن قريش ووجد هذا السيل والحريق ارادوا هدمها
وعمارة بنائها وان يشيدوا بنيانها اي يرفعوه ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من
شاؤوا واجمعت القبائل من قريش تجمع الحجارة من كل قبيلة تجمع على حدة واعدوا
لذلك نفقة اي طيبة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس اي بعد
ان قام ابو وهب عمرو بن عائذ فتناول منها حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه
فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم الا طيبا الحديث
وفي لفظ انه قال لهم لا تدخلوا في نفقة هذا البيت مهر بغي اي زانية ولا بيع
ربا وفي لفظ لا تجعلوا في نفقة هذا البيت شيئا اصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه
رحما ولا انتهكتم فيه ذمة بينكم وبين احد من الناس وابو وهب هذا خال
عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم وكان شريفا في قومه وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينقل معهم الحجارة • روى الشيخان عن جابر بن عبد الله قال لما بنيت الكعبة
ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس رضي الله عنه ينقلان الحجارة فقال
العباس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك
الحجارة اي كبقية القوم فانهم كانوا يضعون ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة
ففعل صلى الله عليه وسلم فخر الى الارض فطمحت عيناه الى السماء اي وهو يقول ازاري
فقال ازاري ازاري اي شدوا علي ازاري فشد عليه وفي رواية سقط مغشيا عليه
فضمه العباس الى نفسه وهذا يفيد ما جاء في رواية قال له العباس اي بعد ان افاق
ستر عورته وسترها يا ابن اخي اجعل ازارك على راسك فقال له ما اصابني الا من
التعري وفي رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من اجياد
وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته من صغرها فنودي
يا محمد خمر عورتك اي غطها فلم ير عريانا اي مكشوف العورة بعد ذلك اي وقد
يقال هذا لا يخالف ما تقدم عن العباس لانه يجوز ان يكون ذلك صدر من العباس
حينئذ وكانت عليه انه حمل النمرة ازارا له فاذا استشكل بعض الحفاظ ذلك اي وقوع
هذا مع ما تقدم من نهيه عن ذلك عند اصلاح عمه ابي طالب لزمزم قبل هذا قال
لانه صلى الله عليه وسلم اذا نهي عن شيء مرة لا يعود اليه ثانيا بوجه من الوجوه انتهى
وقد يقال ولذلك اقول يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لم يفهم ان امره بستر

عورته اوله عزيمة بل جوز التنزل وفي اثنا بنيته علم انه عزيمة لا بعدنا لتقدم من كرامتي
على ربي ان احدا لم ير عورتي ولتقدم ان ذلك من خصايصه صلى الله عليه وسلم ففي الخصايص
الصغرى انه صلى الله عليه وسلم لم تر عورته قط ولو راها احد لطمست عيناه لانه لا يلزم من
كشف عورته صلى الله عليه وسلم رويتها لانه لا يلزم من حفظ نفسه صلى الله عليه وسلم من رؤيته
ومجامعته زوجاته ذلك فعن عايشة رضي الله عنها ما رايت منه صلى الله عليه وسلم ...
والظاهر ان بقية زوجاته كذلك والله اعلم . ثم عمدوا اليها ليهدموها على شفق
وحذر اي خوف ان يمنعهم الله تعالى مما ارادوا اي بان يوقع بهم البلية قبل ذلك سيما وقد
شاهدوا ما وقع لعمرو بن عايذ قال وعند ابن اسحاق ان الناس هابوا هدمها وفرقوا
منه اي خافوا من ان يحل لهم بسببه بلاء فقال الوليد بن المغيرة لهم اتريدون
بهدمها الاصلاح ام الاساءة قالوا انا نريد الاصلاح قال فان الله لا يهلك المصلحين
قالوا من الذي يعلوها فيهدمها قال انا اعلوها وانا ابداكم في هدمها فاخذ
المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم نرع اي بالراء والعين المهملتين والضمير
في نرع للكعبة اي لا تفزع الكعبة لا نريد الا الخير اي وفي رواية لم نزغ بالنون
والزاي والمعجمة اي لم نخل عن دينك ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به
تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب لم نهدم منها شيا ورددناها كما كانت وان لم
يصب فقد رضي الله ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم وهدم
الناس معه حتى انتهى الهدم بهم الى الاساس اساس ابراهيم عليه الصلاة والسلام
افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة اي اسنمة الابل وفي نسخة كالاسنة قال السهيلي
وهو وهم وتبعه بعضهم كالاسنة في الخضرة وكالاسنمة في العظم لا الانقياد الاسنة ...
لا نا نقول ... اخذ بعضها ببعض فادخل رجل ممن كان يهدم
عتلة بين حجرين منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر انتفضت مكة اي تحركت
باسرها وابصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا
عن ذلك الاساس . ووجدت قريش في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى
قراه لهم رجل من يهود فاذا هو انا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض
وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفا لا تزول اخشباها اي جبلاها
وهما ابو قبيس وهو جبل مشرف على الصفا وقعيقعان وهو جبل مشرف على مكة وجهه
الى ابي قبيس مبارك لاهلها في الماء واللبن . ووجدوا في المقام اي محله كتابا آخر فيه

ووجدوا فيه كتابا بالسريانية

مكة

مكة الله الحرام ياتيها رزقها من ثلاث سبل ووجدوا كتابا آخر فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة
اي بسطا اي يجد عاقبته حسنة محمودة ومن يزرع شرا يحصد ندامة اي ما يندم عليه
تعملون السيئات وتجزون الحسنات اجل كما لا يجتنى من الشوك العنب اي الثمر وفي السيرة
الشامية ان ذلك وجدوه مكتوبا في حجر في الكعبة وفي كلام بعضهم وجدوا حجرا فيه ثلاثة
اسطر الاول انا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر الى آخره وفي الثاني انا
الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها بتته
وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل
لمن كان الشر على يديه . قال ابن المحدث ورايت في مجموع انه وجد بها حجر مكتوب عليه
انا الله ذو بكة مفقر الزناة ومعري تارك الصلاة ارخصها والاقوات فارغة .
واغليها والاقوات ملا اي فارغ محلها وملان محلها هذا كلامه . وقد يقال لا مانع
من ان يكون ذلك حجرا آخر او يكون هو ذلك الحجر وما ذكر مكتوب في محل آخر منه
اي ومن الامانة عن الاسود بن عبد يغوث عن ابيه انهم وجدوا كتابا اسفل المقام
فدعت قريش رجلا من حمير فقال ان فيه حرفا لو حدثتكموه لقتلتموني قال فظننا
ان فيه ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فكتمناه . وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل
جدة الان وكان ساحل مكة قبل جدة الذي ترمي به السفن يقال له الشعيبة بضم الشين فتحه
بما لتزول غير واحد فلما كانت السفينة بالشعيبة ساحل مكة انكسرت وفي لفظ حطمتها الريح
وتلك السفينة كانت لرجل من تجار الروم يقال له باقوم وكان بانيا وقيل كانت السفينة
لقيصر ملك الروم يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد سرحها مع باقوم الى الكنيسة التي احرقها
الفرس بالحبشة فلما بلغت مرساها من جدة وقيل ان السفينة بعث الله عليها ريحا فحطمتها اي كسرتها
فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى السفينة فابتاعوا خشبها فاعدوه لسقف الكعبة
وقيل هابوا هدمها من اجل تلك الحية العظيمة فكانوا كلما ارادوا القرب منها اي من البيت ليهدموه
بدت لهم تلك الحية فاتحة فاها فبينما هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تفعل بعث الله
طايرا اعظم من النسر فاختطفها والقاها في الحجون فالتقمتها الارض قيل وهي الدابة التي تكلم
الناس يوم القيامة وقد كان الدابة تخرج من صفا جياد وفي حديث ان موسى عليه السلام سال
ربه ان يريه الدابة التي تكلم الناس فاخرجها له فراى منظرا هاله وافزعه فقال اي رب ردها فردها
فقالت قريش عند ذلك انا لنرجوا ان يكون الله قد رضي ما اردنا اي فعلمنا اجتمعوا عند المقام
وعجوا الى الله تعالى ربنا لم نرع اردنا تشريف بيتك وتزيينه فان كنت ترضى بذلك فاتممه

واشتغل عنها هذا الثعبان يعنون الحية ذات الاجابة لك فافعل فسمعوا في الهوا صوتا ووجدوا اذا •
الطائر المذكور اختطفها وذهب بها الى اجياد فقالوا لما ذكروا قالوا عندنا عامل رفيق وعندنا
الخشب وقد كفانا الله الحية وذلك العامل هو باقوم الرومي الذي كان بالسفينة وكان
بانيا كما تقدم فانهم جاؤا بخشبها الى مكة او هو باقوم مولى سعيد بن العاص وكان نجارا انه
وتلك الاخشاب هي التي اشتروها من تلك السفينة التي كسرت • اقول ذكر اخذ الطائر
لتلك الحية يجوز ان يكون الطائر واحدها حتى قدم عليه الوليد بن المغيرة فلا مخالفة
بين ما تقدم عن ابن اسحاق وبين هذا الظاهر في انهم هدموها عند اخذ الطائر •
لتلك الحية ولم يبنوا واحدها حتى فعل الوليد ما تقدم والله اعلم • ثم لما ارادوا البنا
تجزاها قريش اي بعد ان اشار اليهم بذلك ابو وهب عمرو بن عائذ قال لهم اني ارى
ان تجزوها الا نفر ايام • فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة • وما بين الركنين الاسود
واليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم • وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم
ابني عمرو • وكان شق الحجر اي الجانب الذي فيه الحجر الان لبني عبد الدار ولبني اسد
ولبني عدي • والذي في كلام القزويني كان لبني عبد مناف ما بين الحجر الاسود الى
ركن الحجر اي وهو شق الباب وصار لبني اسد وعبد الدار وزهرة الحجر كله اي الجانب
الذي فيه الحجر وصار لمخزوم دبر البيت وصار لسائر قريش ما بين الركن اليماني
الى الاسود هذا كلامه فليتامل وفي كلام بعضهم وسمي الركن اليماني باليماني لان
رجلا من اليمن بناه وكان الباني لها باقوم النجار اي الذي هو مولى سعيد بن العاص
اقول وكان المناسب ان يكون الذي بناها باقوم الرومي الذي كان بجهة السفينة
التي كسرت لانه كما تقدم كان بانيا وبانيا في الصريح بذلك واما باقوم مولى سعيد
فتقدم انه كان نجارا الا ان يقال باقوم مولى سعيد كان نجارا بانيا واشتهر بالوصف
الاول فكان الباني لها وفيه انه يحتمل ان يكون باقوم الرومي البنا كان نجارا ايضا
واشتهر بالوصف الاول ويحتمل ان يكون احدهما بناها والآخر عمل سقفها او انهما
اشتركا فيهما لما علمت ان كلا منهما كان بانيا نجارا • وفي الامتاع ان اسم الرجل الذي
بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا وكان في سفينة حبستها الريح فخرجت
اليها قريش فاخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بنيان الكنائس وان باقوم الرومي
اسلم فلم يدع وارثا فدفع النبي صلى الله عليه وسلم ميراثه لسهيل بن عمرو • ثم لما بنوها
جعلوا مدماكا من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من اسفلها الى اعلاها

وزادوا

ازواد الراكب من قريش

وزادوا فيها ستة اذرع فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها من الارض فكان لا يصعد اليها
الا في درج وضاقت بهم النفقة عن بنيانها على تلك القواعد فاخرجوا منها الحجر ونقصوا
من عرضها اذرعا من الحجر وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه من الكعبة ولما بلغ
البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى
اعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي اي
تحالفوا على الموت وادخلوا ايديهم في تلك الجفنة في ذلك الدم فسموا لعقة الدم وقد
تقدم في حلف المطيبين ومكث النزاع بينهم اربع او خمس ليال ثم اجتمعوا في المسجد الحرام
وكان ابو امية بن المغيرة اسمه حذيفة اسن قريش كلهم وجد اي وهو والد ام سلمة
ام المؤمنين رضي الله عنها وهو احد اجواد قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد
الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه احد بل يكفي كل من سافر معه الزاد وذكر بعضهم
ان ازواد الراكب من قريش ثلاثة زمعة بن الاسود بن المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر
كافرا ومسافر بن ابي عمرو بن امية • وابو امية بن المغيرة وهو اشهرهم بذلك وفي كلام
بعضهم لا تعرف قريش زاد الراكب الا ابا امية بن المغيرة ويحتمل ان المراد لا تكاد تعرف
قريش بهذا الوصف عند الاطلاق الا هو فلا مخالفة وابو امية هذا مات على دينه ولعله
لم يدرك الاسلام فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من
يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم اي وهو باب بني شيبة كان يقال له في الجاهلية
باب بني عبد شمس الذي يقال له الان باب السلام ففعلوا فكان اول داخل منه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد
اي لانهم كانوا يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم في الجاهلية لانه كان لا يداري
ولا يماري فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الي ثوبا فاتي
اليه به وفي رواية فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ازاره وبسطه في الارض
وقيل كساء ابيض من متاع الشام وقيل ان ذلك الثوب كان للوليد بن المغيرة
فاخذ صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود فوضعه فيه بيده الشريفة ثم قال لتاخذ
كل قبيلة بناحية من الثوب اي بزاوية من زواياه ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فكان
في ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة وكان في الربع الثاني زمعة وكان في الربع الثالث
حذيفة بن المغيرة وكان في الربع الرابع قيس بن عدي حتى بلغوا به موضعه وضعه صلى الله
عليه وسلم اي ولما مات ابو امية رثاه ابو طالب بقصيدة طويلة ورثاه ابو جهمة بقوله •

الا هلك الماجد الرافد ● وكل قريش له حاسد ● ومن هو عمدة ايناسنا ● ونجيب اذا فقد الراعد
فاقد وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن اي
الحجر ذهب رجل من اهل نجد ليناول النبي صلى الله عليه وسلم حجرا ليشد به الركن فقال العباس
لا وناول العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا فشد به الركن فغضب النجدي وقال
وا عجبا لقوم اهل شرف وعقول واموال عمدوا الى اصغرهم سنا واقلهم مالا فرأسوه
عليهم في مكرمتهم وحرزهم كانهم خدم له اما والله ليفرقنهم شيعا وليقسمن بينهم حظوظا فكاد
يثير شرا فيما بينهم ولعل هذا النجدي هو ابليس فقد ذكر السهيلي ان ابليس تصور
في صورة شيخ نجدي حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الركن وقال يا معشر
قريش ارضيتم ان يليه هذا الغلام دون اشرافكم وذوي اسنانكم انتهى ابدى لنا تصوره بصورة
نجدي لان نجد من حيث يطلع منها قرن الشيطان ولذا قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا
في شامنا وفي يمننا قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل والفتن
وفيها يطلع قرن الشيطان انتهى سهيلي انه تصور بهذه الصورة ايضا عند دخول قريش الى دار
الندوة ليتشاوروا في كيفية قتله صلى الله عليه وسلم واخراجهم كما سيأتي ثم في مكة تصوره
بها بكت [illegible] ولا يمتنع ان يكون ناكثة لما هنا ولما يأتي والتماثيل والصور التي كانت في
جدرانها لانه كان في حيطانها صور الانبياء بانواع الاصباغ ومن جملتها صورة ابراهيم وفي
يده الازلام اي واسمعيل وصور الملائكة وصورة مريم كما سيأتي في فتح مكة وكساها
[illegible] بينهم وكانت من الوصايل ولم يكسها احد بعد ذلك حتى كساها رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحبرات في حجة الوداع والله اعلم وهذه المرة الرابعة
اي من بنا الكعبة بناها على ان اول من بناها الملائكة فقد نقل بعض الاثارات ان
الله تعالى قبل ان يخلق السموات والارض كان عرشه على الما اي العذب فلما
اضطرب العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسكن فلما اراد ان يخلق السموات والارض ارسل الريح على ذلك الما فتموج فعلاه
دخان فخلق من ذلك الدخان السموات ثم ازال ذلك عن موضع الكعبة فيبس ويقال
ارسل على الما ريحا هفافة فصفقت الريح الما اي ضرب بعضه بعضا فابرز عنه
حشفة اي زبدة وبسط سبحانه وتعالى من ذلك الموضع جميع الارض طولها والعرض
فهي ام الارض وسرتها وقد يجاب عن [illegible] انس الجليل روى عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه قال وسط الدنيا بيت المقدس وارفع الارض كلها الى الله بيت المقدس وعن ابن

عباس

اول جبل وضع على الارض

وخلقت الارض قبل السما

عباس ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما انه اقرب الى السما باثني عشر ميلا ثم بين ذلك في انس الجليل ولما بسطت
الارض وضع عليها الجبال وكان اول جبل وضع عليها ابو قبيس وحينئذ ينبغي ان يسمى ابا الجبال وان
يكون افضلها مع ان افضلها كما قاله الجلال السيوطي انتهى احد لقوله صلى الله عليه وسلم احد
جبل يحبنا ونحبه ولما ورد انه على باب من ابواب الجنة فاحد ولانه من جملة ارض المدينة التي هي افضل
البقاع اي بقعة تضمنت الجسم ولانه ذكر في القران باسمه في قراءة من قرأ اذ تصعدون ولا تلوون
على احد بضم الهمزة والحاء ففتق الارض فجعلها سبع ارضين ● وقد بدا الله خلق الارض
في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن سبع سموات في يومين ثم دحى الارض
بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين ● وبهذا يظهر التوقف في قول
مغلطاي ان لفظة ثم صدق في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها بمعنى قبل لان خلق
الارض قبل السما على انا علمت ان الارض خلقت قبل السما غير مدحوة ثم بعد خلق السما دحى
الارض ● ثم رأيت بعضهم سأل ابن عباس عن ذلك حيث قال للرجل انه اختلف علي
من القرآن آيات ثم ذكرها انه قال تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في
يومين حتى بلغ طائعين ثم قال في الآية الاخرى ام السما بناها ثم قال بعد ذلك والارض
بعد ذلك دحاها فاجابه ابن عباس اما قوله تعالى خلق الارض في يومين فان الارض
خلقت قبل السما وكانت السما دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الارض
واما قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا
وجعل فيها بحورا وبه يرد قول بعضهم خلقت السما قبل الارض والظلمة قبل النور
والجنة قبل النار فليتأمل ● وقد جاء عن ابن عباس في قوله تعالى ومن الارض مثلهن
قال سبع ارضين في كل ارض نبي كنبيكم وادم كادمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم
وعيسى كعيسكم رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقي اسناده
صحيح لكنه شاذ بالمرة اي لانه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه
مع صحة اسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الحافظ السيوطي ويمكن ان يأول على ان
المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولا يبعد ان يسمى كل منهم
باسم النبي الذي يبلغ عنه هذا كلامه وحينئذ كان لنبينا صلى الله عليه وسلم رسول
من الجن باسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل ولما خاطب الله السموات
والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين كان المجيب من الارض موضع الكعبة ومن
السما ما يحاذيها الذي هو محل البيت المعمور ● ومن ثم لما اراد الله ان يخلق محمدا

اصل طينة النبي عليه السلام

صلى الله عليه وسلم امر جبريل ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها
فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء نيرة
لها شعاع عظيم • وعن ابن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة
الارض بمكة قال بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض الا تلك الطينة ايد وقد ذكر
الشيخ ابو العباس المرسي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق اتعرف
يوم يوم فقال ابو بكر نعم والذي بعثك بالحق نبيا يا رسول الله لقد سألتني عن يوم
المقادير يعني يوم الست بربكم ولقد سمعتك حينئذ تقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله • وقد سئل سيدي علي الخواص لم لم تتكلم الانبياء بلسان
الباطن الذي يتكلم به الصوفية فاجاب بانه انما تتكلم بذلك لاجل عموم
خطابهم للامة ولا يعتبر بالخصائص الا فهم الصادقون فهم الخاصة الا بعض
تلويحات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للصديق اتعرف يوم القيامة يوم قال
نعم يا رسول الله • وتلك الطينة لما تموج الماء رمي بها الى محل تربته صلى الله
عليه وسلم ومدفنه بالمدينة ولهذا يندفع ما كان بينا نعتقد كون طينته
صلى الله عليه وسلم يمكن ان يكون مدفنه لان تربة الشخص تكون
ولادة تكون في محل دفنه ثم عجنها بطينة ادم ولعل هذه الطينة
هي المعبر عنها بقوله النور في قوله صلى الله عليه وسلم وقد قال له
جابر يا رسول الله اخبرنا عن اول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء
فقال يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره ولم يكن
في ذلك الوقت لا سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا لوح ولا قلم وما اول
ما خلق الله نور محمد وروي اول ما خلق الله العقل • قال الشيخ علي
الخواص ومعناهما واحد لان حقيقته صلى الله عليه وسلم يعبر عنها بالعقل
الاول وتارة بالنور فارواح الانبياء والاولياء منه من روح محمد صلى الله
عليه وسلم هذا الكلام وهذا هو المعنى بقول بعضهم لما تعلقت ارادة الله
تعالى بايجاد خلقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة
الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها وفيه ان هذا الاتيان به
في ذلك لو لم يكن في ذلك الوقت لا سماء ولا ارض اذ كيف ياتي ذلك مع قول
كعب الاحبار امر جبريل ان ياتيه بالطينة التي هي قلب الارض الى اخره

اول ما خلق الله

مع

مع قول ابن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض الا
ان يقال انه لما كان النور [illegible] ايجاده ودعا تلك الطينة التي هي قلب الارض
وصورها وخلقها [illegible] فلما اراد الله تعالى ان يخلق ادم من الطين العرق
من نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي لجميع
الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات كما قال بعضهم وقد جاء في حديث بعض
رواه الترمذي الحديث خلق الله ادم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة
وما خلق الله ادم من نور [illegible] الا لاي وجه المحل
فيبين لهم طائفتهم ايد بحثها البيانات وجه كون ادم خلق من نوره
وجعل نوره في ظهر ادم • ولما خلق الله ادم وقبل نفخ الروح فيه استخرج
ذرية النور من ظهره واخذ عليه العهد الست بربكم فقد خص بذلك من بقية
خليقته من بني ادم لان بني ادم لما اخرجوا من ظهر ادم واخذ عليهم الميثاق الا
بعد نفخ الروح في ادم وقال بعضهم ان الله تعالى لما اخرج الذر واعاده في ظهر
ادم امسك روح عيسى الى ان اتى وقت خلقه ولا يخفى ان هذا يفيد انه اخذ
العهد على الصديق كان بعد نفخ الروح في ادم واخذ العهد عليه صلى الله عليه
وسلم كان سابقا على ذلك وحينئذ فيكون المراد بقول الصديق لما قال له
صلى الله عليه وسلم اتذكر يوم يوم وقال نعم الى اخره وقد سمعتك تقول
حينئذ اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اي حين اخذ العهد على بني
ادم لا حين اخذ العهد عليه صلى الله عليه وسلم كان ذلك نفيا وتطفلا • ثم
لما نفخ الروح في ادم صار ذلك النور في ظهر ادم فقال ادم يا رب ما بال
هؤلاء الملائكة ينظرون الى ظهري فقال ينظرون الى نور محمد خاتم الانبياء الذي
ساخرجه من ظهرك فسأل الله تعالى ان يجعله في مقدمه لتستقبله الملائكة
فجعله في جبهته ثم سأل الله ان يجعله في محل يراه فكان في سبابته فلما
اهبط ادم الى الارض انتقل ذلك النور الى ظهره فكان يلمع في جبهته وقد روي انه
لما انتقل النور الى سبابته قال يا رب هل بقي في ظهري من هذا النور شيء قال نعم
نور اخص اصحابه فقال يا رب اجعله في بقية اصابعي فكان نور ابي بكر في
الوسطى ونور عمر في البنصر ونور عثمان في الخنصر ونور علي في الابهام فلما اكل
من الشجرة عاد ذلك النور الى ظهره كذا في بحر العلوم عن ابن عباس رضي الله عنهما

واخذ العهد على نبينا صلى الله عليه وسلم قبل نفخ الروح في ادم

وكان نور محمد صلى الله عليه وسلم في ظهر ادم

اختلف في اول من بنا الكعبة

ثم انتقل ذلك النور من آدم الى ولده شيث ولما قال الله تعالى للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها يعنون الجن الذين افسدوا
فيها وسفكوا الدماء غضب عليهم وفي لفظ ظنت الملائكة اي علمت ان ما قالوه
ردا على ربهم وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش وطافوا به سبعة
اطواف يسترضون ربهم فرضي عنهم وفي لفظ فنظر الله اليهم فنزلت الرحمة
عليهم فعند ذلك قال لهم ابنوا لي بيتا في الارض يعوذ به من سخطت عليه
من بني آدم اي الذي هو الخليفة فيطوفون به كما طفتم بعرشي فارضى عنهم
فبنوا الكعبة وفي هذه الرواية اختصار يدل له ما قبله ووضع الله تحت
العرش البيت المعمور على اربعة اساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة
حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش ثم قال لهم ابنوا
لي بيتا في الارض بمثاله وقدره ففعلوا وقدره عطف تفسير على
مثاله فالمراد بالمثال القدر ■ وفي لفظ لما قال الله تعالى للملائكة اني
جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا
ان يكون الله تعالى عاتبهم لاعتراضهم في علمه فطافوا بالعرش سبعا
يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فامرهم ان يبنوا البيت المعمور في السماء
السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك اهون عليهم من الطواف
بالعرش ثم امرهم ان يبنوا في كل سماء بيتا وفي كل ارض بيتا قال مجاهد
هي اربعة عشر بيتا متقابلة لو سقطت منها بيت لسقط على مقابله والبيت
المعمور في السماء السابعة والحرم في حرمته مكة في الارض كما ان البيت الذي
في سماء الدنيا بيت العزة وفي كلام بعضهم في كل سماء بيت يعمره الملائكة
بالعبادة كما يعمر اهل الارض البيت الحرام بالحج في كل عام والاعتمار في كل
وقت والطواف في كل اوان ولينظر ما معنى بناء الملائكة للبيوت في السموات
واذا لم يصح ان الملائكة بنت الكعبة تكون هذه المرة من بناء قريش هي
المرة الثالثة بناء على ان اول من بناها آدم عليه السلام او ولده شيث
فقد قال بعضهم ما تقدم من الاثر الدال على ان اول من بناها
الملائكة لم يصح واصحهما وكانت قبل ذلك اي وكان محلها قبل بناء
آدم لها خيمة من ياقوتة حمراء انزلت لآدم من الجنة اي وكان لها بابان

باب

قوله خلق ادم على صورته

باب من زمرد اخضر شرقي وباب من ذهب احمر غربي منظومان من در الجنة فكان آدم
يطوف بها ويانس اليها ■ ويحتاج الى الجمع بين هذا وما سبق ارتضى مجمله ويجوز ان
تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور ويعبر عنها بحمراء لان سقف البيت المعمور
كان ياقوتة حمراء ■ قال وذكر ان آدم لما اهبط الى الارض كان رجلاه بها
ورأسه في السماء وفي لفظ كان رأسه يمس السحاب فصلع فاورث ولده
الصلع اي بعض ولده يسمع تسبيح الملائكة ودعاءهم فاستأنس بذلك
فهابته الملائكة اي صارت تتقي منه فشكت الى الله تعالى فنقص الى ستين
ذراعا بالذراع المتعارف وقيل بذراع آدم فلما فقد اصوات الملائكة
حزن وشكا الى الله تعالى فقال يا آدم اني قد اهبطت بيتا يطاف به اي
يطوف به الملائكة كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي
اي كان ذلك اي الطواف بالعرش والصلاة عنده شأن الملائكة اولا فلا
ينافي ما تقدم انهم بعد ذلك صاروا يطوفون بالبيت المعمور كما تقدم فاخرج
اليه اي طف به وصل عنده وهذا البيت هو هذه الخيمة التي انزلت لاجله
وقد علمت انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور وقيل اهبط آدم
وطوله ستون ذراعا اي على الصفة التي خلق عليها وهو المراد بقوله صلى
الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا اي اوجده
الله على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة بل خلقه كاملا
سويا من اول ما نفخ فيه الروح فالضمير في صورته يرجع الى آدم وعلى رجوعه
الى الحق سبحانه وتعالى المراد على صفته اي حيا عالما قادرا مريدا متكلما
سميعا بصيرا متكلما مدبرا حكيما وقد يخالف هذا قول ابن خزيمة قوله صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته مخرج على سبب وهو ان النبي
صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضرب على وجهه
فان الله خلق آدم على صورته اي صورة هذا الرجل فهو ينتقل اطوارا
ولا يخفى ان هذا خلاف الظاهر ومن ثم عبر بقوله وقد دل القيل المتقدم من
انه اهبط آدم وطوله ستون ذراعا يوافقه ما في الحديث المرفوع كان طوله
ستون ذراعا في سبعة اذرع عرضا ومن ثم قال الحافظ ابن حجر ما روي ان
آدم لما اهبط كانت رجلاه في الارض ورأسه في السماء فحطه الله تعالى الى ستين ذراعا

اي الذي تقدم ظاهرا الخبر الصحيح ان الله وهو انه خلق في ابتدا الامر على طول
ستين ذراعا وهو الصحيح • وكان ادم امرد وفي الصحيحين فكل من يدخل الجنة
يكون على صورة ادم • ومن ما في صفة اهل الجنة جرد مرد على صورة ادم وفي

مهبط ادم عليه السلام

بعض الاخبار ان ادم لما كثر بكاه على فراق الجنة نبتت لحيته ولم يصح ولم
تنبت اللحية الا لولده • وكان مهبطه بارض الهند بجبل عال يراه البحريون
من مسافة ايام وفيه اثر قدم ادم مغموسة في الحجر ويرى على هذا الجبل
كل ليلة مثل هيئة البرق من غير سحاب ولا بد له في كل يوم من مطر يغسل
قدمي ادم وذروة هذا الجبل اقرب ذرى جبال الارض الى السما ولعل هذا
وجه السطر الذي ابداه بعض الحفاظ في قول بعضهم ان بيت المقدس اقرب
الارض الى السما بثمانية عشر ميلا قال بعضهم وفيه نظر • قيل ونزل معه
من ورق الجنة فبثه هناك فمنه كان اصل الطيب ببلاد الهند ومن

مقدار خطوة ادم

عطا ابن رباح ان ادم هبط بارض الهند ومعه اربعة اعواد من الجنة
فهي هذه التي يتطيب بها الناس وجاء انه نزل بنخلة العجوة • ثم انه امر
بالخروج الى تلك الخيمة حتى اتاها وما له في خطوه فيل كانت خطوته
مسيرة ثلاثة ايام فقيل لمجاهد هل كان ادم يركب قال واي شي كان يحمله
فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة ايام وفيه ان هذا يقتضي ان ادم لم يكن
يركب البراق ويقول بعضهم ان الانبيا كانت تركبه مراده محمد لا جميعهم
وقبض الله له ما كان في الارض من مخاض او بحر فلم يضع قدمه في شي من
الارض الا صار عمرانا وصار خطوه مفازة حتى انتهى الى مكة فاذا الخيمة
في موضع الكعبة الان وتلك الخيمة ياقوتة حمرا من يواقيت الجنة مجوفة
اي ولها اربعة اركان بيض وفيها ثلاثة قناديل من ذهب فيها نور يلتهب
من نور الجنة طولها ما بين السما والارض كذا في بعض الروايات ولعل وصف

والحجر الاسود من الجنة وما قيل في ذلك

الخيمة بما ذكر لا ينافي ما تقدم انه يجوز ان تكون تلك الخيمة هي البيت المعمور
ووصفه بانه ياقوتة حمرا لان سقفه كان ياقوتة حمرا الا ان البعد يبعد
فليتامل • ونزل مع تلك الخيمة الركن وهو الحجر الاسود ياقوتة بيضا من ارض
الجنة وكان كرسيا لادم يجلس عليه اي ولعل المراد يجلس عليه في الجنة ثم
اقول وهذا السياق يدل على ان ادم اهبط من الجنة الى الارض بالهند ابتدا

وذكر

وذكر في مثير الغرام عن ابن عباس ان الله تعالى اهبط ادم الى موضع الكعبة وهو مثل
الفلك من شدة رعدته ثم قال يا ادم تخطا فتخطى فاذا هو بارض الهند فمكث
هناك ما شا الله ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا ادم فاقبل يتخطى فصار
موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة الحديث فالسياق المذكور
يدل على ان الخيمة والحجر الاسود نزلا بعد حج ادم من الجنة ويدل لكون
الحجر الاسود نزل عليه ما في مثير الغرام وانزل عليه الحجر الاسود وهو
يتلالا كانه لؤلؤة بيضا فاخذه ادم فضمه اليه استيناسا به هذا كلامه وفي
رواية عنه انزل الركن والمقام مع ادم ليلة نزل من الجنة فلما اصبح راى الركن والمقام فعرفهما
فضمهما اليه وانس بهما فليتامل وفي رواية ان ادم نزل بتلك الياقوتة اي فهي كعبة انزل
الله من السما ياقوتة مجوفة مع ادم فقال له يا ادم هذا بيتي انزلته معك يطاف حوله كما
يطاف حول عرشي ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي ونزل معه الملائكة فرفعوا قواعده من الحجارة
ثم وضع البيت اي تلك الياقوتة عليها وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على
تقدير الصحة في الجمع يجوز ان تكون للمعية نسبة حقيقية في الجمع والمراد انه نزل بعده قريبا من
نزوله فلقرب الزمن عبر بالمعية فلا ينافي ما تقدم من قوله يا ادم اني قد اهبطت بيتا
يطاف به فاخرج اليه • وجاء ان ادم نزل من الجنة ومعه الحجر الاسود متابطا اي تحت
ابطه وهو ياقوتة من يواقيت الجنة ولولا ان الله طمس ضوءه ما استطاع احد ان
ينظر اليه وكون ادم نزل بالحجر متابطا له يخالف الرواية المتقدمة انه نزل مع تلك
الخيمة التي هي الياقوتة بعد نزوله ويحتاج للجمع بين هاتين الروايتين وبين
ما روي عن وهب بن منبه ان ادم لما امره الله بالخروج من الجنة اخذ جوهرة من الجنة
اي التي هي الحجر الاسود مسح بها دموعه فلما نزل الى الارض لم يزل يبكي ويستغفر
الله ويمسح بتلك الجوهرة دموعه حتى اسودت من دموعه ثم لما بنى البيت امره الملك
جبريل ان يجعل تلك الجوهرة في الركن ففعل • وفي بهجة الانوار ان الحجر الاسود
كان ملكا صالحا من الابتدا ولما خلق الله تعالى ادم واباح له الجنة كلها الا الشجرة
التي نهاه عنها وجعل ذلك الملك موكلا على ادم ان لا ياكل من تلك الشجرة فلما قدر
الله تعالى ان ادم ياكل من تلك الشجرة غاب عنه ذلك الملك فنظر الله تعالى الى ذلك
الملك بالهيبة فصار جوهرا الا ترى انه جاء في الاحاديث الحجر الاسود ياتي يوم
القيامة وله يد ولسان واذن وعين لانه كان في الابتدا ملكا • اقول ورايت في

ترجمة الشيخ كمال الدين الاخميمي انه لما دخل مكة رأى الحجر الاسود وقد خرج من مكانه
فصار له ببكائه ذراعان أو رطلان ووجه وفيه ساعة ثم رجع الى مكانه. وقد جاء اكثروا من
استلام هذا الحجر فانكم توشكون ان تفقدوه بينما الناس يطوفون به ذات
ليلة اذ اصبحوا وقد فقدوه ان الله عز وجل لا ينزل شيئا من الجنة الى الارض الا
اعاده فيها قبل يوم القيامة. اي فقد جاء ليس في الارض من الجنة الا الحجر الاسود
والمقام فانهما جوهرتان من جواهر الجنة ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله. وجاء
استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع وينهدم مرتين ويرفع في الثالثة
والله اعلم. وجاء ان ادم اتى ذلك اي تلك الخيمة التي هي البيت المعمور على ما تقدم
ان من الهند ماشيا من ذلك ثلاثمائة حجة وسبعمائة عمرة وأول حجة
حجها جاءه جبريل وهو واقف بعرفة فقال له يا ادم بر نسكك اما انا قد طفنا
بهذا البيت قبلك بخمسين الف سنة وفي رواية لما حج ادم استقبلته الملائكة بالردم
اي ردم بني جمح الذي هو محل المدعى فقالوا بر حجك يا ادم قد حججنا هذا البيت
قبلك بالفي عام. اقول وفي تاريخ مكة للازرقي ان ادم عليه السلام حج على
رجليه سبعين حجة ماشيا وان الملائكة لقيته بالمأزمين فقالوا بر حجك يا ادم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام والمأزمان موضع بين عرفة ومزدلفة
قال الطبري ودون منى مأزمان والله اعلم بالمراد منهما هذا كلامه. وجاء انه
وجد الملائكة بذي طوى وقالوا له يا ادم ما زلنا ننتظرك هاهنا منذ الفي سنة
وكان بعد ذلك اذا وصل الى المحل المذكور خلع نعليه ويحتاج للجمع بين كون
الملائكة استقبلته بالردم وكونها لقيته بالمأزمين وكونه وجدهم بذي طوى
وبين كونهم حجوا البيت قبله بالفي عام. وهل الملائكة خلقوا دفعة واحدة أم
خلقوا جيلا بعد جيل وما يدل على انهم جيلا بعد جيل ما جاء من قوله قال الله
سبحان الله وبحمده خلق الله له عينان وجناحان وشفتان ولسان يطير
مع الملائكة ويستغفرون لقائلها الى يوم القيامة. وما جاء ان جبريل يدخل في كل غداة
بحر النور فينغمس فيه الحديث لكن في سفر السعادة الحديث المنسوب الى ابي
هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال يا ابا هريرة ان جبريل في كل غداة ان يدخل
بحر النور فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون الف
قطرة يخلق الله عز وجل من كل قطرة منها ملكا لهذا الحديث طرق كثيرة ولم يقع منها

عدة حجات ادم

هل الملائكة خلقوا دفعة واحدة

وما كان يقول ادم في طوافه

شيء ولم يثبت في هذا المعنى حديث بهذا اللفظ والله اعلم. وعند ذلك قال ادم
للملائكة ما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر قال ادم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله فكان اذا طاف
ادم يقولها وكان طوافه سبعة اسابيع بالليل وخمسة اسابيع بالنهار ولما فرغ من
الطواف صلى ركعتين تجاه باب الكعبة ثم اتى الملتزم اي محله فقال اللهم انك تعلم
سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنبي
وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي الحديث. اقول قول الملائكة قد طفنا بهذا البيت
لا يحسن ان يعنوا به تلك الخيمة المذكورة المعنية بقوله تعالى لادم قد اهبطت
بيتا الى آخر ما تقدم او كونها اهبطت مع ادم بل المراد محل ذلك البيت الذي هو
الخيمة بناء على انها البيت المعمور وان الملائكة طافوا به قبل نزوله الى الارض
فان قيل وعن وهب بن منبه قرأت في بعض الكتب الاول ليس من ملك يبعثه الله
الى الارض الا امره بزيارة البيت فينقض من عند العرش محرما ملبيا حتى
يستلم الحجر ثم يطوف بالبيت سبعا ويصلي في جوفه ركعتين ثم يصعد. اقول يجوز ان
يكون المراد بالحرم الطواف ويجوز ان يكون المراد بالبيت في كلام وهب محل تلك
الخيمة او بعض تلك الخيمة ومن بعث من الملائكة بعد ذلك. وجاء عن عطاء وسعيد
ابن المسيب وغيرهما ان الله عز وجل اوحى الى ادم ان اهبط الى الارض ابن لي بيتا
ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرشي الذي في السماء وفي رواية وطف به
واذكرني عنده كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي اي على ما تقدم. وجاء ان
جبريل بعثه الله الى ادم وحوا فقال لهما ابنيا اي قال لهما ان الله يأمركما ان
تبنيا بيتا فخط لهما جبريل فجعل ادم يحفر وحوا تنقل التراب حتى اصاب الماء
نودي من تحته حسبك يا ادم وفي رواية حتى اذا بلغ الارض السابعة
قذفت فيها الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة منه ثلاثون رجلا انتهى اي فرفعوا
قواعده من الصخر ثم وضع البيت عليها فيكون القى الملائكة للصخر بعد حفر ادم
فلما تم ذلك الاس حمل ذلك البيت فوق تلك الصخور فيكون المراد بقوله
ثم رده الملائكة اي حملوه من ارض الهند الى ارض الحرم. وجاء في بعض
الروايات ان ادم وحوا لما استوحشا نزل البيت من السماء من ذهب احمر وكل به
من الملائكة سبعون الف ملك فوضعوه على اس ادم ونزل الركن فوضع موضعه

سبب البنا للملايكة وادم

اليوم من البيت فطاف به ادم اي كما يطوف به قبل ذلك وبهذا تجتمع الروايات ۞ وحينيذ
لا مانع ان ينسب بناء هذا الاس الذي وضعت عليه تلك الخيمة لادم وان ينسب
للملايكة اما نسبته للملايكة فواضح واما نسبته لادم فلانه المتسبب فيه او لانه
كان اذا القت الملايكة الصخر يضع ادم بعضه على بعض وعلى نسبة بناء ذلك
الاس للملايكة ولادم يحمل القول بان اول من بنى الكعبة الملايكة والقول
بان اول من بنى الكعبة ادم فليتامل ۞ وقد جاء ان ادم بناه من لبنان جبل بالشام

بني البيت من ستة اجبل

ومن طور زيتا جبل من جبال القدس ومن طور سينا جبل بين مصر وايليا وفي كلام
بعضهم انه جبل بالشام وهو الذي نودي منه موسى عليه السلام ومن الجودي
وهو جبل بالجزيرة ومن حراء حتى استوى على وجه الارض ۞ اقول ومن رواية
بناه من ستة اجبل من ابي قبيس ومن رضوى ومن احد فالمتحصل من الروايتين
انه بناه من ثمانية اجبل ولا مانع من ذلك واستمر ذلك البيت الذي هو الخيمة
الى زمن نوح عليه السلام فلما كان الغرق بعث الله سبحانه الف ملك رفعوه الى
السما الرابعة فهو البيت المعمور كما في الكشاف وكان رفعه ليبقى طاهرا لا النجس
وبقيت قواعده التي هي الاس وفي العرايس ثم طافت السفينة باهلها الارض
كلها في ستة اشهر لا تستقر على شي حتى اتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم
اسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان حجه ادم صيانة له من الغرق وهو
البيت المعمور وكون حوا استانست بالبيت مع ادم يخالف ما جاء ان حوا اهبطت
بجدة وصار ادم اليها بعدما دخل الحرم وانتظرا لخيمة ادم والبكا من مكة لاجل
خطيئتها وانما ارادت ان تدخل مع ادم الى مكة فقال لها البيت عني فقد خرجت
من الجنة بخطيئتك فلا تدخلي الى حرمي هذا فكان ادم اذا اراد ان يلقاها
يلم بها خرج من الحرم كله حتى يلقاها بالحل وذكر محمد بن جرير ان الله
اهبط ادم على جبل سرنديب بالهند وحوا بجدة بالحا المهملة وقيل بالجيم
فجا ادم في طلبها فتعارفا بالمحل الذي قيل له عرفة فاجتمعا بالمحل
الذي قيل له جمع وذلك جمع وازدلفت اليه بالمحل الذي قيل له
لذلك مزدلفة وهذا يدل على ان جمع غير مزدلفة وهو خلاف المشهور من
ان جمع هو مزدلفة الا ان يقال كل من المحلين من جملة البقعة والخلف كل من
الا يسمى على جميع تلك البقعة وقيل سمي عرفة لان جبريل علم ابراهيم المنا

وانتهى

وانتهى الى عرفة وقال له اعرفت مناسكك قال نعم فسميت عرفة اي فالمراد مناسكه التي قبل
عرفة والا فمعظم المناسك بعد عرفة فليتامل ۞ وفي الخصايص الصغرى عن رزين انه روى
ان ادم قال ان الله اعطى امة محمد عليه الصلاة والسلام اربع كرامات لم يعطنيها كانت
توبتي بمكة واحدهم يتوب في اي مكان الحديث وهو يدل على ان توبته كانت بتطوافه

بنا المسجد الاقصى

بالبيت وبه كان حوا كانت بعد ادم بسنة ۞ وجا ان ادم لما فرغ من بنا البيت امره
الله بالسير الى ان يبني بيت المقدس فسار وبناه ونسك فيه وحينيذ لا يشكل قوله
صلى الله عليه وسلم وقد قيل له اي مسجد وضع في الارض اولا فقال المسجد الحرام قيل
ثم اي قال بيت المقدس قيل كم كان بينهما قال اربعون سنة وحينيذ لا حاجة لجواب
البلقيني بان المراد ان الخطة المذكورة بين ادمينهما في الدعوى اي وضع ارض المسجد
الحرام لعدم [illegible] ستة ثم وضع ارض بيت المقدس وانما جاب البلقيني
بذلك بنا على ان سيدنا ابراهيم هو الباني للمسجد الحرام والباني لمسجد بيت المقدس
سيدنا سليمان وبينهما كما علمت اكثر من الف عام وكذا الاشكال اذا كان الباني
للمسجد الحرام ادم والباني لبيت المقدس احد اولاده كما قيل بذلك وفي رواية
ان اول من بنى الكعبة اي كلها بعد ان رفعت تلك الخيمة بعد موت شيث ولد ادم بناها
بالطين والحجارة اي جعلها ولبنة اضافية ثم لما جا الطوفان انهدم وبني محله وقيل
انه استمر ثم بنيانه الى زمن ابراهيم ففي رواية ان ابراهيم عليه السلام لما اراد
بنا الكعبة جاء جبريل فضرب بجناحه فابرز عن اس ثابت على الارض السابعة
ثم بناها ابراهيم الخليل على ذلك الاس وبنا ذلك الى هنا اي كما تقدم وهذا
الاس كما علمت لادم وللملايكة وانما قيل له اساس ابراهيم لكون ابراهيم
الذي بنى على ذلك ولم ينقضه ومما يدل لذلك ما جا في بعض الروايات عن عايشة
رضي الله عنها قالت دثر مكان البيت اي بسبب الطوفان بدليل ما جا في رواية فقد درس
مكان البيت بين نوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام وكان موضعه اكمة حمرا
وكان ياتيه المظلوم والمتعوذ من اقطار الارض وما دعى عنده احد الا استجيب
له ۞ وجا عن عايشة ثم حجه هود لتشاغله بقومه عاد ولا صالح لتشاغله بقومه
ثمود وجا ان بين المقام والركن وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وجا ان حول
الكعبة لقبور ثلثماية نبي وان ما بين الركن اليماني الى الركن الاسود لقبور سبعين
نبيا وكل نبي من الانبيا اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم واتى مكة يعبد الله تعالى

عز وجل الى ان يموت وما بين الركن اليماني والركن الاسود روضة من رياض الجنة
وان قبر هود وشعيب وصالح واسماعيل في تلك البقعة اقول ذكروا نحو ذلك
قول بعضهم انه اذا جعل دفن حيال الموضع الذي فيه الحجر الاسود لكن كان قبر اسمعيل
في الحجر وذكر المحب الطبري ان البلاطة الخضراء التي بالحجر قبر اسمعيل عليه السلام
وكان اذ نوح لما قال لاهل السفينة وهي تطوف بالبيت العتيق انكم في حرم الله وحول
بيته الحرام لا يمس احد امراة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا ويذكر ان ولده
حام نقد ذلك ووطئ زوجته فدعى عليه بان يسود الله لونه ولون بنيه فاجاب الله
دعاه فجا ولده كوش اسود وهو ابو السودان وقيل في سبب دعوة نوح وسواده
غير ذلك وقد بينت ذلك في كتابي اعلام الطراز المنقوش في فضائل الحبوش
والله اعلم وقبر ادم وابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف في بيت المقدس
اي بعد ان نقل يوسف من نهر النيل كما سنذكره فائدة قد جاء ان الله تعالى اوحى
الى ابراهيم ان ابن لي بيتا فقال ابراهيم اي رب اين ابنيه فاوحى الله اليه
ان اتبع السكينة اي وهي ريح لها وجه كوجه الانسان اي وقيل كوجه الهر
وجناحان ولها لسان تتكلم به وفي الكشاف في تفسير السكينة التي كانت
في التابوت الذي هو صندوق التوراة قيل هو صورة من زبرجد او ياقوت لها
راس كراس الهر وذنب كذنبه وفي رواية بعث الله ريحا يقال لها الخجوج لها
جناحان وراس في صورة حية فكشفت لابراهيم واسمعيل عليهما السلام
ما حول البيت عن اساس البيت الاول وفي رواية ارسل الله سحابة فيها راس
فقال الراس يا ابراهيم ان ربك يامرك ان تاخذ بقدر هذه السحابة فجعل
ينظر اليها ويخط قدرها فقال الراس لم قد فعلت قال نعم فارتفعت فليتامل
الجمع بين هذه الروايات وكان السكينة جعلت تتبع ودليلها الصرد
وهو الطائر المعروف اي وهو طائر فوق العصفور ويصيد العصافير وغيرها
لانه لم يصفر مختلفا يصفر لكل طير بصفير يخصه فيدعوه الى القرب منه
فاذا قرب منه قبضه من ساعته واكله ويقال له الصوام لانه اول طائر صام
عاشورا كما في بعض الصحابة انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يده صرد
فقال هذا اول طائر صام عاشورا لكن قال الذهبي هو حديث منكر وقال الحاكم
هو باطل ويذكر ان خالد بن الوليد لما قتل طليحة الكذاب الذي ادعى النبوة

في

ومن لغة بعض الطيور

في زمنه صلى الله عليه وسلم وقوي امره بعد موته صلى الله عليه وسلم قال خالد لبعض اصحابه
ممن اسلم ما كان يقول لكم طليحة من الوحي فقالوا انه كان يقول والحمام واليمام والصرد
الصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام ● وقد سمع نبي الله سليمان عليه السلام الصرد
يصوت فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وفي الكشاف ان ذلك صياح الهدهد
ولا مانع ان يكون صياحهما ● وسمع طاوسا يصوت فقال يقول كما تدين تدان ● وسمع
هدهدا يصوت فقال يقول من لا يرحم لا يرحم ● وسمع خطافا يصوت فقال يقول
قدموا خيرا تجدوه ● وسمع ديكا يصوت فقال يقول استغفروا الله يا غافلين ● وسمع
بلبلا يصوت فقال يقول اذا اكلت نصف رغيف فعلى الدنيا العفا ● وصاحت
فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا ● وسمع رخمة تصوت فقال تقول
سبحان ربي الاعلى ملء سماواته وارضه ● وقال الحية تقول كل شي هالك الا الله
والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه ● والنسر يقول
يا ابن ادم عش ما شئت اخرك الموت ● والعقاب يقول البعد من الناس انس وقال
سليمان عليه السلام ليس من الطيور انصح لبني ادم واشفق عليهم من البومة تقول
اذا وقفت عند خربة اين الذين كانوا يتنعمون بالدنيا ويسعون فيها ويل لبني ادم
كيف ينامون وامامهم الشدائد تزودوا يا غافلين وتهيأوا لسفركم ● وعن انس
ابن مالك رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأينا
طيرا اعمى يضرب بمنقاره على شجرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتدري ما يقول
قلت الله ورسوله اعلم قال انه يقول اللهم انت الحكم العدل وقد حجبت عني بصري
وقد جعت فاطعمني فاقبلت جرادة فدخلت في فمه ثم ضرب بمنقاره على الشجرة فقال
عليه السلام اتدري ما يقول قلت الله ورسوله اعلم قال انه يقول من توكل على الله
كفاه ● ويقال لما قال سليمان للهدهد لاعذبنه عذابا شديدا الاية قال له
الهدهد يا نبي الله اذكر يوم وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد
فرقا وعفى عنه اي فان الهدهد كان دليله على الما فانه يرى الما تحت الارض كما
يرى الماء في الزجاجة فلما فقد سليمان الما تفقد الهدهد فلم يجده فارسل خلفه
العقاب فاتاه به من جهة اليمن فلما رآه مستفضيا عليه قال له بحق من اقدرك
على الا ما رحمتني ● قيل لابن عباس رضي الله عنهما الهدهد يرى الما تحت الارض
ولا يرى الفخ فقال اذا نزل القضا [illegible] البصر [illegible] سليمان عليه السلام بالعذاب

الذي يعذب به الهدهد النتف فتبقيه ذليلاً بين الطيور وقيل بالزام خدمة اقرانه وقيل بجمعه
مع الاضداد قيل اضيق السجون عشرة الاضداد • وقيل بتزويجه بعجوز قال نفا في حكاية
عن علمنا منطق الطير قال بعضهم عبّر عن اصواتها بالنطق لما يتحصل منها من المعاني
التي تدرك من النطق فسليمان مهما سمع من صوت طير علمه بقوته القدسية
ففهم ذلك الغرض الذي اراده ذلك الطاير وهذا في طاير لم يفصح بالعبارة والا
فقد سمع من بعض الطيور الافصاح بالعبارة فوقع من الغربان يفصح بقوله امدح
وعن بعضهم قال شاهدت غرابا يقرأ سورة السجدة حتى وصل الى محل السجدة
سجد وقال سجد لك سوادي وامن بك فؤادي • والدرة تنطق بالعبارة الفصحى
وقد وقع لي ان تخلف منزلاً لبعض اصحابنا وفيه درة لم ارها فاذا هي تقول لي
مرحبا بالشيخ البكري وتكرر ذلك فتعجبت من فصاحة عبارتها • وكان يعرف
نطق الحيوان غير الطيور فقد صح ان سليمان سمع النملة وقد احست بصوت
جنوده وهي تقول للنمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون
فقيل ذلك امر سليمان الريح فوقفت حتى دخل النمل مساكنه ثم جاء سليمان الى
تلك النملة وقال لها احذرت النمل ظلمي فقالت اما سمعت قولي وهم لا يشعرون
على اني لم ارد حطم النفوس اي انما اردت حطم القلوب خشية ان يشتغلوا بالنظر
اليك اي عن التسبيح فيمن فقد جاء ما معنا اجال البهائم كلها وحشها الارض
في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله ارواحها • ويروى ما من صيد يصاد
ولا شجرة تقطع الا بغفلتها عن ذكر الله تعالى وفي الحديث الثوب يسبح فاذا
اتسخ انقطع تسبيحه في رواية ان النملة قالت له انما خشيت ان ينظروا الى
ما انعم الله به عليك فتكفروا نعم الله عليهم فقال لها عظيني فقالت له هل تدري
لم جعل الله ملكك في فص خاتمك قال لا قالت اعلمك ان الدنيا لا تساوي
قطعة من حجر • ومن عجيب صنع الله تعالى ان النملة تقتات بشم الطعام لانه
لا جوف لها يكون به الطعام • ويذكر ان هذه النملة التي خاطبت سليمان
اهدت له نقفة وضعها في كفه وحكي عنها لطيفة لا نطيل بذكرها • وقد قال
الجلال السيوطي قال الثعالبي في زهرة الرياض جلس نبي سليمان الملك جاءه
جميع الحيوانات يهنونه الا نملة واحدة فجاءت تجر برغوثها فقال لها النمل في ذلك
فقالت كيف اهنيه وقد علمت ان الله تعالى اذا احب عبداً ازوى عنه الدنيا

وجب

بناء ابراهيم عليه السلام للبيت

وجب اليه الخضوع وقد شغل سليمان بالملك فلا يدري ما عاقبته فهو بالتعزية اولى من التهنية
وجاء في بعض الايام شراب من الجنة فقيل له ان شربته لم تمت فشاور جنده فكل
اشار بشربه الا القنفذ فانه قال له لا تشربه فان الموت في عز خير من الحياة
في سجن الدنيا قال صدقت واراق الشراب في البحر قال ولما اراد ابراهيم واسمعيل
بنيان البيت دخلا حتى وصلا الى محل البيت فدارت السكينة سحابة وقالت يا ابراهيم
خذ قدر ظلي فابن عليه وفي لفظ لما امر ابراهيم ببناء البيت ما في ذرعا فارسل
الله السكينة وهي ريح خجوج ملتوية في هبوبها لها راس كالحديث فحفر ابراهيم
واسمعيل عليهما السلام فابرزا الحجر عن اس ثابت في الارض فبنى ابراهيم
واسمعيل يناول الحجارة اي التي تأتي بها الملائكة كما سيأتي حتى ارتفع البنا
انتهى اقول يحتمل ان ابراهيم لما اوحى الله اليه بذلك كان في مكة عند اسمعيل وانما تأتي
محل بعيد عن البيت ويحتمل انهما كانا بغيرها ثم جاءا وقد قيل في قوله تعالى ان
ابراهيم كان امة قانتا لله اي قائم مقام الامة لانفراده بعبادة الله تعالى
في ارض لانه لم يكن على وجه الارض من يعبد الله سواه والله اعلم • قال ثم لما
ارتفع البنا جاءا بالمقام الذي هو الحجر المعروف فقام عليه وهو يبنيه وهما يقولان ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم وصار كلما ارتفع به المقام في الهواء اثر مقام ابراهيم
في ذلك الحجر وقيل انما اثر في صخرة اعتمد عليها وهو قائم حين غسلت زوجته
اسمعيل للرأس لان سارة كانت اخذت عليه العهد حين استاذنها في الذهاب
الى مكة لينظر كيف حال اسمعيل وهاجر فحلف لها انه لا ينزل عند ابنه اي الذي
هو البراق وانه يرجع على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر
فحين اعتمد على الصخرة اثر قدمه وانمحى الله تعالى ذلك اي وفيه كيف يعتمد
بقدمه على الصخرة وهو راكب ذا ابنه الا ان يقال لما مال لشقه اعتمد عليها باحدى
رجليه مع ركوبه وهذا يدل على ان الموجود في المقام اثر قدم لا قدميه وفوقه
عليه من كان ابينا يدل على ان الموجود في المقام اثر قدميه فليتنظر وحصل
انقلاع البيت نسففدا درع تبلغ عرضه ثلثون ذراعا قال بعضهم وهو
خلاف المعروف ولم يجعل له بابا اي سقفا الا عتبا بالارض غير مرتفع عنها ولم
ينصب عليه بابا الى يتفعل وانما جعله تبع الحميري بعد ذلك وجعل له بيرا داخله
عتبا يلقى عليها ما يهدى الى البيت داخل فيه بقي فيه نايلتها ويقال لها خزانة

والدلالة على مقام ابراهيم

خزانة الكعبة ولما اراد ان يجعل حجرا علما للناس اي يبتدؤن الطواف منه ويختمون
به ذهب اسمعيل عليه السلام الى الوادي يطلب حجرا فنزل جبريل عليه السلام بالحجر الاسود
يتلالا نورا فكان نوره يضيء الى منتهى انصاب الحرم من كل ناحية وفي الكشاف انه
اسود لما لمسته الحيض في الجاهلية وتقدم انه اسود من مسح ادم به دموعه
وجاء ان خطايا بني ادم سودته واما شدة سواده فبسبب اصابة الحريق له اولا
في زمن قريش وثانيا في زمن عبد الله بن الزبير ومنه كان رفع الى السماء حين
غرقت الارض زمن نوح عليه السلام بناء على انه كان موجودا في تلك الجهة
كما تقدم . وفي رواية ان ابراهيم قال لاسمعيل عليهما السلام اطلب لي حجرا
حسنا اضعه هاهنا قال يا ابت اني كسلان لغب اي تعب قال علي بذلك
فانطلق وجاء جبريل بالحجر من الهند وهو الحجر الذي خرج به ادم من الجنة
اي كما تقدم فوضعه ابراهيم موضعه ويقال وضعه جبريل وبنى عليه ابراهيم وجاء
اسمعيل بحجر من الوادي فوجد ابراهيم قد وضع ذلك الحجر فقال من اين هذا الحجر ومن
جاءك به فقال ابراهيم عليه السلام من لم يتكلني اليك ولا الى حجرك اي وفي لفظ
جاءني به من هو انشط منك وفي لفظ ان اسمعيل جاءه بحجر من الجبل فقال غير هذا
ورده مرارا لا يرضى ما يأتيه به . وجاء ان الله استودع الحجر ابا قبيس حين الغرق
للارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي يبني بيتي فاخرجه له اي
فلما انتهى ابراهيم عليه السلام لمحل الحجر نادى ابا قبيس ابراهيم فقال يا ابراهيم
هذا الركن فجاء فحفر عنه فجعله في البيت وقيل تمخض ابا قبيس فانشق عنه
الحجر وفي لفظ قال يا ابراهيم يا خليل الرحمن ان لك عندي وديعة فخذها
فاذا هو بحجر ابيض من يواقيت الجنة ومن ثم كان ابو قبيس يسمى في الجاهلية
الامين لحفظه ما استودع وسمي ابا قبيس باسم رجل من جرهم اسمه قبيس
وقيل لانه اقتبس منه الحجر الاسود فسمي بذلك ويحتاج الى الجمع بين ما ذكر
على تقدير صحته وبين ما ذكره ابن اياس ان احد اجداده صلى الله عليه وسلم
انه اول من وضع الركن اي الحجر الاسود حين غرق البيت وانهدم زمن نوح
فكان اول من سقط عليه اي اول من علم به فوضعه في زاوية البيت فليتأمل
ذلك والله اعلم . وعن عبد الله بن عمر انه قال عند المقام اشهد ان لا اله
الا الله اشهد بالله يكررها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

وسمي ابا قبيس بذلك

الركن

الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ان نورهما طمس لاضاءا
ما بين المشرق والمغرب اي طمس نورهما ولعل طمس نور الحجر كان بسبب ما تقدم وانهما تغير
وجاء انهما يبعثان يوم القيمة وهما في العظم مثل ابي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفا
وعن ابن عباس لولا ما مسهما من اهل الشرك ما مسهما ذو عاهة الا شفاه الله . وعن
جعفر الصادق لما خلق الله الخلق قال لبني ادم الست بربكم قالوا بلى فكتب القلم
اقرارهم ثم القم ذلك الكتاب الحجر فهذا الاستلام لذا انما هو بيعة على اقرارهم
الذي كانوا اقروا به قال علي رضي الله عنه وكان ابي يقول اذا استلم الحجر اللهم امانتي
اديتها وميثاقي وفيت به ليشهد لي عندك بالوفا . وفي كلام السهيلي ان العهد الذي اخذه
الله على ذرية ادم حين مسح ظهره ان لا يشركوا بالله شيا كتبه في صك والقمه الحجر الاسود
ولذلك يقول المستلم اللهم ايمانا بك ووفاء بعهدك . وقد جاء الحجر الاسود يمين الله
في الارض قال ابن فورك وكان ذلك سببا لاشتغالي بعلم الكلام فاني لما سمعت ذلك
كان فقيها كنت اختلفت اليه عن معناه فلم يجب فقيل لي سل عن ذلك فلانا من المتكلمين
فسألته فاجاب بجواب شاف فقلت لا بد لي من معرفة هذا العلم فاشتغلت به وهذا
الذي قاله السهيلي يروى عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه . فعن عمر رضي الله عنه
لما دخل المطاف قام عند الحجر وقال والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا
اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك فقال له علي رضي الله عنه
بلى يا امير المؤمنين هو يضر وينفع قال ولم قلت ذلك قال بكتاب الله قال واين ذلك
من كتاب الله قلت في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الـ
الاية وكتب ذلك في رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان فقال له افتح فاك فالقمه
ذلك الرق وجعل في هذا الموضع فقال تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيمة فقال عمر رضي
الله عنه اعوذ بالله ان اعيش في قوم لست فيهم يا ابا الحسن . وعن قتادة قال ذكر لنا ان
ابراهيم عليه السلام بنى البيت من خمسة اجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي وحرا
وذكر ان قواعده من حرا التي وضعها ادم مع الملائكة اي على ما تقدم ان تلك القواعد كانت من
جبل لبنان ومن طور سينا ومن طور زيتا ومن الجودي ومن حرا الا ان يقال يجوز ان يكون معظم
ذلك من حرا فليتأمل . وذكر بعضهم انه كان له ركنان وهما اليمانيان اي لم يجعل له ابراهيم الـ
الركنين المذكورين فجعلت له قريش حين بنته اربعة اركان . وذكر الحافظ ابن حجر ان ذا ا
القرنين الاول وهو المذكور في القران في قصة موسى عليه السلام وهو اسكندر الرومي قدم مكة

لم تزل عاتق عند السلام

فوجدا ابراهيم واسمعيل عليهما السلام يبنيان البيت فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان
مامور ان فقال من يشهد لكما فقالا خمسة اكبش شهدت اي فقلن نشهد ان ابراهيم واسمعيل
عبدان مامور ان بالبنا فقال قد رضيت وسلمت وقال لهما صدقتما • وعن ابن عباس رضي الله
عنهما لما كان ابراهيم عليه السلام بمكة واقبل ذو القرنين علمهما فلما كان بالابطح
قيل له في هذه البلدة ابراهيم خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى الى ابراهيم
عليه السلام فسلم عليه واعتنقه فكان هو اول من عانق عند السلام قال الكرماني
والظن ان الاكبش المذكورة اي التي شهدت احجار او يحتمل ان تكون غنما ووصف
ذو القرنين بالاكبر احترازا من ذي القرنين الاصغر وهو الاسكندر اليوناني
فانه كان قريبا من زمن عيسى عليه السلام وبين ابراهيم وعيسى اكثر من الفي سنة
وكان كافرا والله اعلم • وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما فرغ ابراهيم من بنا البيت
قال يا رب قد فرغت فقال اذن في الناس بالحج قال اي رب كيف قال قل يا ايها
الناس كتب عليكم الحج حجوا البيت العتيق فاجيبوا ربكم فوقف على المقام وارتفع
حتى كان اطول الجبال فنادى وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه شرقا وغربا
ينادي بذلك ثلاث مرات اي ودونه له الارض يومئذ سهلها وجبلها وبرها
وبحرها وبدا بشق اليمن وحينئذ يكون اول من اجاب اهل اليمن وسياتي التصريح
بذلك في بعض الروايات وعن ابن عباس كان اهل اليمن اكثر اجابة ومن ثم جا
في الحديث الايمان يمان وقال عليه الصلاة والسلام في حق اهل اليمن يريد
اقوام ان يضعوهم ويابى الله الا ان يرفعهم • وروى الطبري باسناده عن علي رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب اهل اليمن فقد احبني
ومن ابغضهم فقد ابغضني • ومما يوثر عن ابراهيم عليه السلام من علم ان كلامه
من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه • وقد ذكر في تفسير قوله تعالى فيه ايات
بينات مقام ابراهيم هو قيام ابراهيم على المقام لما ذكر • وقيل له البيت العتيق

وسمي البيت العتيق

لانه اعتق من الجبابرة لم يتعد اي بحيث ينتسب الى جبار من الجبابرة الذين كانوا
بمكة من العمالقة وجرهم وقال القاضي تبعا للكشاف لانه اعتق من تسلط الجبابرة
فكم من جبار سار اليه ليهدمه منعه الله تعالى قال واما الحجاج فانما كان قصده
اخراج ابن الزبير عنه لا هدمه او التسلط عليه وعن عبد الله بن عمر انه
قال انما سمي بكة اي بالموحدة لانها تبك اعناق الجبابرة والمتطرين قصده بهدم

من الجبابرة غير ابرهة قلت رايت في الشرف ان ثلاثة عزموا فقصدوا هدمه اثنان قاتلهما
خزاعة ومنعتهما والثالث كان في اول زمن قريش اراد هدمه حسدا على شرف الذكر
لقريش وبدوان يبني عنده بيتا يصرف حج العرب اليه فلما قارب مكة اظلمت الارض وابتلي
بالهلاك فاقلع عن تلك النية ونوى ان يكسو البيت وينحر عنده فانجلت الظلمة ففعل
ذلك وفيه ان الذي حصلت له الظلمة انما هو تبع الاول فانه لما عزم الى البيت ارسل
عليه ريح كتفت يديه ورجليه واصابته ظلمة شديدة وفي رواية اصابه دا
تمخض منه راسه قيحا وصديدا انتن حتى لا يستطيع احد ان يدنو منه قدر رمح بالاطبا
فسالهم عن دايه فهالهم ما راوا منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبر لعلك
هممت بشي في حق هذا البيت فقال نعم اردت هدمه فقال له تب الى الله مما نويت فانه بيت
الله وحرمه وامره بتعظيم حرمته ففعل فبرا من دايه وقيل لانه اول بيت وضع في الارض
وقيل لانه اعتق من الغرق في الطوفان في زمن نوح عليه السلام كذا في الكشاف
وغيره وفيه نظر ظاهر لما تقدم من دثوره بالطوفان ولما ذكر في قصة نوح انه لما
بعث الحمامة من السفينة لتاتيه بخبر الارض بوادي الحرم فاذا الما قد نضب
من موضع الكعبة وكانت طينتها حمرا فاخضبت رجلاها الا ان يقال ان معنى اعتق
انه لم يذهب بالمرة بل بقي اثره • وفي الخميس عن ابن هشام ان ما الطوفان لم يصل
للكعبة ولكن قام حولها وبقيت هي في هوا الى السما اي بنا على ان الكعبة هي الخيمة
التي كانت في زمن ادم وتقدم عن الكشاف انها رفعت الى السما الرابعة واعنا
البيت المعمور وهذا كما علمت يدل على ان المراد بالكعبة الخيمة التي كانت لادم
وقوله قام حولها يريد انه لم يعلو محل تلك الخيمة ولعله لاجل ما فيه ما تقدم في
قصة نوح فليتامل • وفي رواية ان ابراهيم عليه السلام نادى يا ايها الناس
ان الله كتب عليكم الحج وفي لفظ ان ربكم قد اتخذ بيتا وطلب منكم ان تحجوه فاجيبوا
ربكم كرر ذلك ثلاث مرات فاسمع من في اصلاب الرجال وارحام النسا فاجابه من
كان سبق في علم الله انه يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك فليس حاج يحج الى ان
تقوم الساعة الا ممن كان اجاب ابراهيم عليه السلام ومن لبى مرة واحدة حج
حجة واحدة ومن لبى مرتين حج حجتين وهكذا وفي لفظ لما نادى ابراهيم عليه السلام
ما خلق الله من جبل ولا شجر ولا شي من المطيعين له الا اجاب لبيك اللهم لبيك اقول
لا يخفى انه يحتاج الى الجمع بين هذه الروايات فيما نادى به ابراهيم وسياتي ومعلوم ان

اجابة غير العقلاء اجله دون تعظيم ولعل المراد بالكتب مطلق الطلب لا خصوص الوجوب
لانه لم يفرض الحج على هذه الامة الا بعدما الهجرة في السنة السادسة وقيل التاسعة
وقيل العاشرة كما سياتي واما بقية الامم من بعد ابراهيم فلم اقف على وجوب الحج
عليها • وقد ذكر بعض المتاخرين من اصحابنا ان الصحيح الذي يجب الله على هذه
الامة واستغرب دون الخصائص الصغرى وافترض عليهم اي على هذه الامة ما
افترض على الانبياء والرسل وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد
وهو بعيد اذ كان واجبا على الانبياء والرسل • وفيه ان الامثل ان ما وجب فرض
نبي وجب في حق امته الا ان يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية والله تعالى اعلم
ايتم امر بالمقام موضع قبلة اي ملصقا بالبيت على يمين الداخل فكان يصلي اليه مستقبل
الباب الى الجهة واول من اخره عن ذلك المحل ووضعه موضعه الان عمر رضي الله
عنه اي وقد تقدم ذلك عن ابن كثير • اقول وقيل ان اول من وضعه الان النبي
صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وسياتي الجمع بين هذين القولين وياتي ما فيه
وذكر الطبري ان محله اولا المخفض اي الذي تسميه العامة المعجنة اي محل عجن
الطين للكعبة وذلك المخفض هو محل صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم الصلاة
الخمس في اليومين كما سياتي ونازع في ذلك العز بن جماعة وقال لو كان ذلك لنهر
عليه بالكتابة في الحفرة وردّ بان ذلك ليس بلازم والناقل ثقة وهو حجة على
من لم ينقل • وذكر ابن حجر الهيتمي ان في رواية اخرى عن ابن عباس ان ابراهيم عليه
السلام صعد ابا قبيس وقيل صعد ثبير واذن وان اول من اجابه اهل اليمن اي
لما تقدم انه بدا بشق اليمن ولا مانع من تعدد ذلك اي وقوفه على تلك الاماكن
التي هي المقام وابو قبيس وثبير ويجوز ان يكون قاله في بعض تلك الاماكن قائما
في غيره مما تقدم فلا مخالفة بين تلك الروايات فيما نادى به ابراهيم عليه السلام
وجاء انه لما فرغ من ندائه ذهب به جبريل فاراه الصفا والمروة وحدود الحرم وامره ان
ينصب عليها الحجارة ففعل وعلمه المناسك اي مع اسمعيل عليهما السلام ففي العرائس ان
جبريل خرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة
ثم بات بهما حتى اصبحا فصلى بهما صلاة الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هناك حتى
زالت الشمس جمع بين الصلاة بين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف
بهما على الموقف الذي يقف عليه الناس الان فلما غربت الشمس دفع بهما الى مزدلفة

فجمع بين الصلاة بين المغرب والعشاء الاخرة ثم بات بهما حتى طلع الفجر صلى بهما صلاة الغداة
ثم وقف بهما على قزح حتى اذا اسفرا افاض بهما الى منى فاراهما كيف رمي الجمار ثم امرهما
بالذبح واراهما المنحر من منى وامرهما بالحلق ثم افاض بهما الى البيت انتهى ويشكل ذلك فان
هذا يقتضي بان ابراهيم واسمعيل صليا مع جبريل جماعة الصلوات الخمس وجمعا تقديما
بين الظهر والعصر وتاخيرا بين المغرب والعشاء للنسك وهو مخالف لقول ائمتنا
ان جمع الصلوات الخمس الا لنبينا صلى الله عليه وسلم في الخصائص الصغرى وخص بمجموع
الصلوات الخمس ولم تجمع لاحد وبالعشاء ولم يصلها احد وبالجماعة في الصلوات الا
ان يدعى ان المراد الجمع على جهة المداومة على ذلك لجواز ان يكون ابراهيم واسمعيل
عليهما السلام لم يداوما على ذلك وفيه ما لا يخفى • وفي الوفا عن وهب قال اوحى الله
الى آدم انا الله ذو بكة اهلها جيراني وزوارها وفدي وفي كنفي اعمره باهل السماء واهل
الارض يأتونه افواجا شعثا غبرا يعجون بالتكبير عجا ويرجون بالتلبية رجيجا
وينجون بالبكاء نجيجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني وضافني ووفد الي ونزل بي
وحق لي ان اتحفه بكرامتي اجعل ذلك البيت وشرفه ومجده وثناءه لنبي من ولدك
يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضي على يديه عمارته وانبط له سقايته واريه
حله وحرمه واعلمه مشاعره ثم تعمره الامم والقرون حتى ينتهي الى نبي من
ولدك يقال له محمد خاتم النبيين واجعله من سكانه وولاته وحجابه وسقاته
من عاد عني بوجهه فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذورهم المقبلين على ربهم
ولما دعى ابراهيم عليه السلام بقوله وارزقهم من الثمرات اي دعى بذلك وهو
على ثنية كداء بالمعلى فعن ابن عباس ان ابراهيم عليه السلام حين قال فاجعل
افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات كان على الثنية العليا ذكره
السهيلي وعند ذلك نقل له الطايف من فلسطين من ارض الشام اي وببركة
دعائه عليه السلام يوجد بمكة الفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية
والخريفية في يوم واحد ذكره في الكشاف • ثم لما فرغ من بناء البيت وطاف
وحج لقيته الملائكة في الطواف فسلموا عليه فقالوا قد طفنا هذا البيت فقال
ما تقولون في طوافكم قالوا كنا نقول قبل ابيك آدم سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر فقال آدم زيدوا فيها ولا حول ولا قوة الا بالله فقال
ابراهيم زيدوا فيها العلي العظيم ففعلت الملائكة ذلك وكان بناء ابراهيم للبيت

البيت بعدما بعض من عمره مائتين سنة ثم بناه العمالقة ثم بنته جرهم وقد يتوقف
في بناء العمالقة له أما في الأول فلأن من نزل مكة مع هاجر وولدها إسمعيل
جرهم وأعمام أولاد إسمعيل وبعض ذلك أنهم كانوا ولاة البيت وأما في الثاني فلأن
ولاية البيت كانت لهم بعد جرهم كما تقدم وكيف يبنون البيت ولا ولاية
لهم عليه إلا أن يقال لا مانع أن يكونوا أهل ثروة بخلاف جرهم وهذا لفظه ثم
رأيت ابن عباس ذكر أن العمالقة كانوا في عز وكانت لهم أموال كثيرة وكان
الله سلطهم ذلك لما تظاهروا بالمعاصي وسلط عليهم الذر حتى خرجوا من الحرم
وتفرقوا وهلكوا والذر في النمل كالدر في النحل والعمالقة من ولد
عملاق أو عمليق بن لاود بن سام بن نوح قيل وهو أول من كتب بالعربية وقيل من ولد
العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام • ثم بناه قصي جده صلى الله عليه وسلم
وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل ثم بنته قريش كما تقدم • ثم بناه بعد قريش
عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ويكنى أبا خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة
وكني بأبي خبيب لأن خبيبا كان رجلا بالمدينة من الشبان طويل الصلاة قليل
الكلام أي وعبد الله بن الزبير كان شبيها به في ذلك فكني به وفي كلام ابن
الجوزي أنه كان لعبد الله بن الزبير ولد يقال له خبيب جب قال خبيب بن
عبد الله بن الزبير ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد مائة سوط لكونه
حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا بلغ بنو أبي العاص
أربعين رجلا وفي رواية إذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله
خولا أي عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي رواية بدلوا دين
الله كتاب الله ولما بلغ الوليد ما ذكره خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد
العزيز وهو والي المدينة أن يضرب خبيبا هذا مائة سوط فضربه ثم برد
له ماء جرة وصب أي في يوم شات عليه وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه
وندم على ما فعل فلما مات وسمع بموته سقط مغشيا عليه واسترجع ثم
واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز إذا قيل له أبشر
قال كيف أبشر وخبيب على الطريق أي عائق لي • وذكر ابن الجوزي
أيضا فيمن ضرب بالسياط من العلماء سعيد بن المسيب ضربه عبد الملك بن مروان
مائة سوط فإنه بعث ببيعة الوليد إلى المدينة فلم يبايع سعيد فكتب أن

ضرب بالسياط

يضربه مائة سوط ويصب عليه جرة ماء في يوم شات ويلبسه جبة صوف ففعل به ذلك
أي كما فعل بخبيب ولكنه جلده وطاف به سوق المدينة ثم أودع السجن فلما بلغ ذلك عبد الملك
أرسل يعنف والي المدينة على فعله وأمره بإخراجه من السجن • وفي طبقات الشيخ
عبد الوهاب الشعراني في ترجمة سعيد بن المسيب وضربه عبد الملك بن مروان حين
امتنع من بيعته [illegible] ونهى الناس عن مجالسته فكان يقول لكل من
جلس إليه قم لا تجالسني فإني قد جلدت ومنعوا الناس عن مجالستي هذا كلامه
وإنما امتنع سعيد بن المسيب من البيعة للوليد لأنه روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد فهو شر لهذه الأمة من
فرعون لقومه وفي رواية أنه هو أضر على أمتي من فرعون على قومه زاد في رواية
[illegible] من [illegible] وفي لفظ [illegible] فكان العلماء يرون
أنه الوليد بن عبد الملك قال ابن كثير وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك
لا الوليد بن عبد الملك الذي هو عمه • وكان سعيد بن المسيب أعبر الناس
للرؤيا قال له رجل رأيت كأني أبول في يدي فقال تحتك محرم فنظر فإذا بينه وبينها
رضاع [illegible] وأخذ سعيد تعبير الرؤيا عن أسماء بنت أبي بكر وهي أخذت ذلك عن والدها
أبي بكر رضي الله تعالى عنهم وعن سعيد [illegible] ابن سيرين وعن ابن سيرين كان أبو بكر أعبر
هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يعبر الرؤيا في حضرته صلى الله عليه
وسلم وعن الزهري رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبي بكر فقال رأيت
كأني استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف فقال يا رسول الله يقبضك
الله إلى مغفرته ورحمته وأعيش بعدك سنتين ونصفا فكان كما عبر فعاش بعده صلى
الله عليه وسلم سنتين وسبعة أشهر • ولما بنا عبد الله بن الزبير الكعبة أن يزيد
[illegible] لما وجه الجيش عشرون ألف فارس وسبعة آلاف راجل وأميرهم مسلم بن
عقبة فقاتل أهل المدينة لما علم أنهم خرجوا عن طاعته وأظهروا شتمه وأعلنوا بأنه
ليس له دين لأنه يبيح نكاح المحارم وأدمن شرب الخمر وترك الصلاة وأنه
يلعب بالكلاب أي فقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان له قرد يجعله مجلس ندمائه
ويطرح له وسادة ويسقيه فضلة كاسه واتخذ له أتانا وحشية قد ربيت له
وصنع لها سرجا من ذهب يركبه عليها ويسابق بها الخيل في بعض الأيام وكان يلبسه
قباء وقلنسوة من الحرير الأحمر وقد استشنع [illegible] من أكابر أئمتنا الشافعية

أعبر هذه الأمة للرؤيا

بنا عبد الله بن الزبير الكعبة

اختلف في لعن يزيد

كان من رؤوس تلامذة امام الحرمين تلميذ الغزالي عن يزيد هل هو من الصحابة
وهل يجوز لعنه فاجاب بانه ليس من الصحابة لانه ولد في ايام عمر بن الخطاب وللامام
احمد قولان اي في لعنه تلويح وتصريح وكذا للامام مالك وكذا لابي حنيفة ولنا
قول واحد وهو التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب
بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم انتهى كلامه وسئل
الغزالي هل من صرح بلعن يزيد يكون فاسقا وهل يجوز الترحم عليه فاجاب
بان من لعنه يكون فاسقا عاصيا لانه لا يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن
البهائم فقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم اعظم من حرمة الكعبة بنص
النبي صلى الله عليه وسلم ويزيد صح اسلامه وما صح امره بقتل الحسين ولا رضاه
بقتله ومن لم يصح منه ذلك لا يجوز ان يظن به ذلك فان اساءة الظن بالمسلم
حرام واذا لم يعرف حقيقة الامر وجب احسان الظن به ومع هذا فلعنه ليس
بكفر بل هو معصية واما الترحم عليه فهو جائز بل هو مستحب لانه داخل في
المؤمنين في قولنا في كل صلاة اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات هذا كلامه وكان
على ما افتى به الكيا الهراسي امامنا الشيخ محمد البكري من جواز التصريح بلعنه
تبعا لوالده الاستاذ الشيخ ابو الحسن ۞ وقد رايت في كلام بعض اتباع
استاذنا المذكور في حق يزيد ما لفظه زاده الله خزيا وضعة وفي
اسفل سجين وضعه وفي كلام ابن الجوزي اجاز العلماء الورعون لعنه وصنف
في اباحة لعنه مصنفا وقال السعد التفتازاني انه لا شك في اسلامه
بل في ايمانه فلعنة الله عليه وعلى انصاره واعوانه وعلى هذا يكون مستثنى
من عدم جواز لعن الكافر المعين بالشخص ۞ ولما خلعوا اي اهل المدينة بيعة
يزيد وولوا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة واخرجوا اي بني امية
من المدينة وهم مروان بن الحكم وبني امية حتى قال بعضهم ما خرجنا عليه حتى
خفنا ان نرمى بحجارة من السما فكانت وقعة الحرة المشهورة التي كادت ان
تبيد اهل المدينة من اخرهم فقتل فيها الجم الكثير من الصحابة والتابعين وبلغ
المقتول فيها من الصحابة ثلاثمئة منهم عبد الله بن حنظلة ونهبت المدينة وافتض
فيها الف عذرا اي ولم تقم الجماعة ولا الاذان في المسجد النبوي مدة القتال
وهي ثلاثة ايام وفي كلام بعضهم ووقع من ذلك الجيش الذي وجهه يزيد للمدينة

من

قصة الحرة

من القتل والفساد العظيم والسبي واباحة المدينة وقتل من الصحابة والتابعين خلق
كثير وكان ممن قتل من قريش والانصار ثلاثمائة وسبعة رجال ومن قرا القرآن
سبعمائة نفس وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت بين
القبر والمنبر وانتهبت اهل المدينة حتى دخلت الكلاب المسجد وبالت على منبره
صلى الله عليه وسلم ولم يرض امير ذلك الجيش من اهل المدينة الا بان يبايعوه
ليزيد على انهم خول اي عبيد ان شاء باع وان شاء اعتق حتى قال له بعض اهل
المدينة البيعة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه
وروى البخاري ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما خلع اهل المدينة يزيد جمع
بنيه ومواليه وقال لهم انا بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله
واني والله لا يبلغني عن احد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كان الفيصل بيني
وبينه ثم لزم بيته ۞ ولزم ابو سعيد الخدري رضي الله عنه بيته ايضا فدخل عليه
جمع من الجيش بيته فقالوا له من انت ايها الشيخ فقال انا ابو سعيد الخدري صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له قد سمعنا خبرك ونعم ما فعلت حين
كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال لهم قد اخذه الذين دخلوا
قبلكم علي وما عندي شي فقالوا له كذبت ونتفوا لحيته ۞ واما جابر بن عبد الله رضي
الله عنه فخرج في يوم من تلك الايام وهو اعمى يمشي في بعض ازقة المدينة فصار يعثر
في القتلى ويقول تعس من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل من
الجيش من اخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من اخاف المدينة فقد اخاف ما بين جنبي فحمل عليه جماعة
من الجيش ليقتلوه فاجاره منهم مروان وادخله بيته ۞ قال السهيلي وقتل في
ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والانصار رضي الله عنهم الف وسبعمائة وقتل
من اخلاط الناس عشرة الاف سوى النساء والصبيان ۞ فقد ذكر ان امراة
من الانصار دخل عليها رجل من الجيش وهي ترضع صبيا وقد اخذ ما وجد
عندها ثم قال لها هاتي الذهب والا قتلتك وقتلت ولدك فقالت له
ويحك ان قتلته فابوه ابو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
من النسوة اللاتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ الصبي من حجرها
وثديها في فيه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه على الارض فاخرج من البيت

حتى اسود نصف وجهه وصار مثلة في الناس. قال السهيلي واجتمعت الرواة على ان حرة
للمصلى لاما لذا يعقد في العادة ان تبايع امراة وتكون يوم الحرة في سن
من توضع ولدا اصغر لها. ووقعة الحرة هذه من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لمخبره لهم
في الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف بحرة الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان
رجال هم خيار امتي بعد اصحابي • وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال
لقد وجدت صفة هذه الوقعة في كتاب يهودا بن يعقوب الذي لم يدخله
تبديل ولا تغيير يقتل فيها رجال صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على
عواتقهم • وهذه الوقعة كانت سنة ثلاث وستين وفيها كان يزيد
اعد لاهل المدينة قبل هذه الوقعة فيما ذكره وبذل لهم من العطا اضعاف
ما يعطي الناس رغبة في استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن
يابى الله الا ما اراد • وفي المشهور ان الله ابتلى بمرض امير الجيش الذي
هو مسلم بن قتيبة بعد ثلاثة ايام من اخذه البيعة بمرض صار ينبح منه
كما الكلب الى ان مات وولي امر الجيش بعده الحصين بن نمير بامر يزيد فانه
وصاحبه مسلم بن قتيبة لما ولاه امر الجيش قال له اذا اشرفت على الموت
اي لانه كان مريضا بالاستسقاء فول امر الجيش الحصين وهذا الذي
وقع من يزيد فيه تصديق لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال امر امتي قائما
بالقسط حتى يثلمه رجل من بني امية يقال له يزيد • وقد جاء عن سعيد بن
المسيب رضي الله عنه لقد رايتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم احد وما ياتي وقت صلاة الا سمعت الاذان والاقامة من القبر
الشريف • ومما يؤثر عن سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل الى الانذال
ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس • ومن جملة من خلع بيعة يزيد
وقتل من الصحابة في تلك الوقعة معقل بن سنان الاشجعي رضي الله
روي من طرقه عن ابن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن رجل تزوج
امراة ولم يسم لها صداقا ولم يدخل بها حتى مات فقال ابن مسعود لها مهر
مثل نسائها لا وكس ولا شطط وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل
ابن سنان فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق
امراة منا مثل ما قضيت ففرح ابن مسعود • وسبب مقاتلة عبد الله بن

الزبير

ومما يؤثر عن سعيد ابن المسيب

الزبير رضي الله عنهما انه امتنع من المبايعة ليزيد ايضا هو والحسين رضي الله عنه
لما ارسل اليهما يطلب منهما المبايعة له فانتقلا من ذلك الوقت من المدينة الى مكة
ثم لما قتل الحسين رضي الله عنه اي لان الحسين ارسل اليه اهل الكوفة انهم ياتيهم
يبايعوه فاراد الذهاب اليهم فنهاه ابن عباس رضي الله عنه وبين له غدرهم
وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه الحسن ونهاه ابن عمر وابن الزبير رضي الله
عنهما فابى الا ان يذهب فبكى ابن عباس رضي الله عنه وقال واحبيباه وقال
له ابن عمر استودعك الله من قتيل وكان اخوه الحسن قال له اياك وسفهاء
الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وقد
تذكر ليلة قتله فتوجع على اخيه الحسن ولم يبق معه الا من خرج على سبيله
وقدم امامه الى الكوفة مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة للحسين
اثنا عشر الفا وقيل اكثر من ذلك ولما شارف الكوفة جهز اليه اميرها من جانب
يزيد وهو عبيد الله بن زياد عشرين الف مقاتل وكان اكثرهم ممن بايع له
لاجل السحت الذي جعل على الخير اله مثلا وصلوا اليه وراى كثرتهم طلب منهم
احدى ثلاث اما ان يرجع من حيث جاء او يذهب الى بعض الثغور او يذهب الى
يزيد فيضع يده في يده فابوا وطلبوا منه النزول على حكم ابن زياد وبيعته
ليزيد فابى فقاتلوه الى ان اثخنته الجراح فسقط الى الارض فحزوا راسه
وذلك يوم عاشوراء عام احد وستين ووضع ذلك الراس بين يدي عبيد
الله بن زياد • ولما جاء خبر قتل الحسين رضي الله عنه قام ابن الزبير في الناس
بعظم قتل الحسين وصار يتظاهر بعيب يزيد ويذكر شربه الخمر ويعيبه بذلك
ويثبط الناس عن بيعته ويذكر مساوي بني امية ويطنب في ذلك ولما بلغ
يزيد ذلك اقسم ان لا يؤتى به الا مغلولا فجاء اليه رجل من اهل الشام في
خيل من خيل الشام وتكلم مع ابن الزبير وعظم على ابن الزبير الفتنة وقال
لا تستحل الحرم بسببك فان يزيد غير تاركك ولا تقوى عليه وقد اقسم ان لا
يؤتى بك الا مغلولا وقد عملت لك غلا من فضة وتلبس فوقه الثياب
وتبر قسم امير المؤمنين فالصلح خير عاقبة واجمل بك وبه فقال له انظر في
امري ثم دخل على امه اسماء رضي الله عنهما واستشارها فقالت يا بني عش كريما
ومت كريما ولا تمكن بني امية من نفسك فتلعب بك فامتنع وصار يبايع الناس

قتل الحسين رضي الله عنه

وسبب قتال ابن الزبير

سرا ثم اظهر المبايعة فاجتمع عليه اهل الحجاز ولحق به بنو امية من وقعة الحرة فلما
جاء الجيش لمكة حاصر عبد الله بن الزبير وضرب بالمنجنيق نصبه على ابي قبيس
قيل وعلى الاحمر وهما اخشبا مكة فاصاب الكعبة من شراره ما احرق ثيابها وسقفها
فان الكعبة كانت في زمن قريش مبنية مدماكا من خشب الساج ومدماكا من
حجارة كما تقدم وذكر في المرقاة ان الله بعث عليهم صاعقة بعد العصر فاحرقت
المنجنيق واحرقت تحته ثمانية عشر رجلا من اهل الشام ثم عملوا منجنيقا اخر
فنصبوه على ابي قبيس ويذكر ان النار لما اصابت الكعبة انت يسمع انينها
كانين المريض اه اه وهذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه صلى الله
عليه وسلم قال لميمونة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا مرج الدين فظهرت الرغبة والرهبة
وحرق البيت العتيق • وفي الفوائد لسليمان اول يوم تكلم الناس في القدر ذلك
اليوم فقيل احراق الكعبة من قدر الله وقيل ليس من قدر الله والتكلم بذلك
حينئذ قيل ابو معبد الجهني وقيل ابو الاسود الدؤلي وقيل غير ذلك وهؤلاء اول
يوم تكلم الناس في القدر ولعل المراد اول يوم اشتهر واستفيض فيه الكلام من الناس
في القدر فلا يخالف ما حكي ان شخصا قال لعلي رضي الله عنه وهو منصرف من صفين يا امير
المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا هذا اكان بقضاء الله وقدره فقال نعم والذي
فلق الحبة وبرا النسمة ما وطئنا موطئا ولا قطعنا واديا ولا علونا شرفا الا
بقضائه وقدره والتكلم في القدر ليس من خصائص هذه الامة فقد تكلمت
فيه الامم قبلها كما في الحديث ما بعث الله نبيا الا في امته قدرية يشوشون
عليه امر امته الا وان الله قد لعن القدرية على لسان سبعين نبيا وقد
جاء في ذم القدرية زيادة على ما تقدم منها القدرية مجوس هذه الامة ان
مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم وجعل القدرية وانما كانت
القدرية مجوس هذه الامة لان طائفة من القدرية يقولون بان الخير من الله
والشر من العبد وهؤلاء الطائفة اشبه باليهود والمجوس القائلين بالاصلين
النور والظلمة وان الخير من النور والشر من الظلمة وهم الثنوية وانما كان
القدرية مستعينة من النصرانية لان اكثر القدرية على انه ليس من افعال العبد
من خير او شر شيئا عن ارادة الله تعالى لم يعلمه بل هو ناشئ من قدرته

العبد

اول من تكلم بالقدر

العبد واختياره فقد اثبتوا لله تعالى شريكا كما ان النصارى اثبتوا لله شريكا فهذه
الطائفة من القدرية اشبه النصارى فكان القدرية مستعينة من النصرانية بهذا الاعتبار
وقد اوضحت ذلك في كتابي المسمى بالمصباح المنير على الجامع الصغير وفيه اخر الكلام
في القدر لسوار الاسنى في احوال الزمان فان الحق اسناد الفعل الى الله تعالى ايجادا
وللعبد اكتسابا • وقيل ان سبب بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه للكعبة
ان امراة تجمرتها فطارت شرارة فعلقت بثيابها فحصل لها ذلك ولا مانع من التعدد
وقد وقع ايضا احراقها بتجمير المراة في زمن قريش ولا مانع من تعدد ذلك كما
تقدم • وعد بعضهم ان من البدع تجمير المسجد وان مالكا كرهه • وقد روي ان
مولى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يجمر المسجد النبوي اذا جلس عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه على المنبر يخطب ووقع حرق الكعبة حرق قرنا الكبش الذي فدي
به اسمعيل فانهما كانا معلقين بالسقف اقول ولعل تعليقهما في السقف
كان بعد تعليقهما في الميزاب فقد ذكر بعضهم انه عليه السلام وراس الكبش
معلق في ميزاب الكعبة ويدل لتعليقهما في السقف ما جاء عن صفية بنت
شيبة قالت لعثمان بن طلحة لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من
البيت قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايت قرني الكبش في البيت
فنسيت ان امرك ان تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل مصليا
وذكر الجلال المحلي في قطعة التفسير ان الكبش المذكور هو الذي قربه هابيل
جاء به جبريل فذبحه السيد ابراهيم عليه السلام مكبرا وحينئذ تكون النار التي
نزلت في زمن هابيل لم تاكله بل رفعته الى السماء وحينئذ يكون قول بعضهم
نزلت النار فاكلته على التسمح ويدل لما ذكره الجلال ما جاء انه صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل عليه السلام ما كان ذبح ابراهيم ابنه بوحي فقال الا كبش قرب
ابن ادم قال بعضهم وهذا الحديث لم يثبت فليتامل ووصف بانه عظيم لانه رعي في
الجنة اربعين سنة وقيل كان الكبش اضخم ما خلق الله هناك في ذلك
الوقت قال بعضهم بعظيم يمنع من الموت بصورة الموت وهذا الكلام يدل على ان
الذي قربه هابيل كان كبشا وقيل كان جملا سمينا وعليه اقتصر القاضي
فليتنظر الجمع على تقدير صحة كل واتصل الحجر من تلك النار من ثلثه اماكن
وعند محاصرة الجيش لعبد الله بن الزبير جاء الخبر بموت يزيد وبقي ابن الزبير

تجمير المسجد من البدع

علم بموت يزيد قبل ان يعلم الجيش وهم اهل الشام فناداهم يا اهل الشام قد اهلك الله طاغيتكم
يعني يزيد فمن احب منكم ان يدخل فيما دخل فيه الناس فعل ومن احب ان يرجع الى بلاده
فليفعل فانتقل الجيش وبايع عبد الله بن الزبير جماعة بالخلافة وقد دخلوا في طاعته
ظاهرا ويقال ان امير الجيش طلب ان يحدث ابن الزبير فخرجا بين الصفين حتى
اختلفت رؤوس فرسيهما وجعل فرس امير الجيش ينفر ويكفها فقال له ابن الزبير
ما لك فقال ان حمام الحرم تحت رجليها فاكره ان اطا حمام الحرم فقال تفعل هذا
وانت تقتل المسلمين فقال له ائذن لنا ان نطوف بالكعبة ثم نرجع الى بلادنا فاذن
لهم فطافوا وقال له انه ان كان الرجل فقد هلك فانت احق الناس بهذا الامر [illegible]
فتعال معي الى الشام فوالله لا يختلف عليك اثنان فلم يثق به ابن الزبير واغلظ عليه
القول فكره اجابته وهو يقول له اعده بالملك وهو يعدني بالقتل ومن ثم قيل كان في
ابن الزبير خلال لا تصلح للخلافة فانه كان بخيلا سيء الخلق وكثير الخلاف وقد دخل في طاعة ابن
الزبير جميع اهل البلدان الا الشام ومصر فان مروان ابن الحكم تغلب عليهما بعد موت
معاوية ابن يزيد بن معاوية فان معاوية بن يزيد هذا ملك في الخلافة اربعين يوما وقيل
عشرين يوما بعد ان كان مروان عزم على ان يبايع لابن الزبير بدمشق وقد كان ابن
الزبير لما ولى اخاه نائبا عنه بالمدينة امره باخراج بني امية ومنهم مروان وابنه
عبد الملك الى الشام فلما اراد مروان ان يبايع ابن الزبير ثنى عزمه عن ذلك
جماعة وقالوا له انت شيخ قريش وسيدها وقد فعل معكم ابن الزبير ما فعل
فانت احق بهذا الامر فوافقهم وملك تسعة اشهر في الخلافة فهو الرابع من
خلفاء بني امية • وقام بالامر بعده ولده عبد الملك وهو اول من سمي عبد
الملك في الاسلام ثم محمد بعبد الملك الاولاد الاربعة من بعده الوليد
ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام • ويقال ان سبب بناء عبد الله بن الزبير للكعبة
انه جاء سيل فطبقها فكان عبد الله رضي الله عنه يطوف سباحة ولا نافع
من وجود الاحريق الحرق والسيل فلما راى عبد الله ما وقع بالكعبة شاور
من حضر ومن جملتهم عبد الله بن عباس في هدمها فهابوا هدمها وقالوا
انه نقطع بالوحي ولا نتقدم فقال لو ان بيت احدكم احترق لم يرض له الا بالتكميل
اصلاحه ولا يكمل اصلاحه الا بهدمها وقد صح عنده ما ثبت عن عائشة رضي الله
عنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لها الم تري قومك يعني قريشا

حين

قريشا حين بنوا الكعبة اقتصروا على قواعد ابراهيم عليه السلام حين عجزت بهم النفقة
لولا حدثان قومك بالجاهلية وفي لفظ لولا قومك حديثوا عهد بالجاهلية اي
قريب عهدهم بها اي وفي لفظ لولا الناس حديثوا عهد بكفر وليس عندي من النفقة
ما يقوى على بنيانها لهدمتها وجعلت لها خلفا اي بابا من خلفها اي وفي لفظ لجعلت
لها بابا يدخل منه وبابا يخرج منه الناس وفي لفظ وجعلت لها بابان شرقيا
وغربيا والصقت بابها بالارض اي كما كان في زمن ابراهيم ولادخلت الحجر فيها اي
وفي رواية وشبرا وفي رواية فيها من ستة اذرع فقد اضطربت الروايات في القدر
الذي اخرجته قريش وفي لفظ لادخلت فيها ما اخرج منها وفي لفظ لجعلتها على اساس
ابراهيم وازيدها بان ازيد في الكعبة من الحجر وذلك مما اخرجته قريش حتى صلى الله
عليه وسلم انه تنكر قلوبهم هدم بنائهم الذي جددوه من اهل شرفهم ثم ربما حصل لهم الارتداد
عن الاسلام وقد ذكر بعضهم ان كل من بنى الكعبة بعد ابراهيم لم يبنها الا على قواعد
ابراهيم غير ان قريشا ضاقت بهم النفقة اي الحلال كما الحديث وهذا بناء على ان من بعد
ابراهيم وقيل قريش بنوها كلها وليس كذلك بل الحاصل منهم انما هو ترميم لما فعلوه لم يبنها
الا على قواعد ابراهيم ليس على ظاهره بل المراد انه ابقاها على ذلك قاله ابن عباس
انه قال لعبد الله ابن الزبير دع بناء واحجارا اسلم عليها المسلمون وبعث عليها النبي
صلى الله عليه وسلم اي فاني اخشى ان ياتي بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبنى
فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها اي رممها فقال عبد الله اني مستخير ربي ثلاثا
ثم عازم على امري فلما مضت الثلاث اجمع امره على ان ينقضها فتحاماها الناس وخشوا ان
ينزل باول الناس يصعدها امر من السماء حتى صعدها رجل فالقى منها حجارة فلم ير الناس
اصابه شيء تتابعوه انتهى • اي وقيل ان اول من هدمها عبد الله بن الزبير نفسه •
رضي الله عنه وخرج ناس كثير من مكة الى منى ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما فاقاموا
بها ثلاثا مخافة ان يصيبهم عذاب شديد بسبب هدمها • وامر ابن الزبير جماعة من الحبشة
بهدمها رجاء ان يكون فيهم الذي اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم انه يهدمها وفيه
ان الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه يهدمها ذكر صفته حيث قال كاني انظر
الى اسود افحج ينقضها حجرا حجرا وجاء في صفته انه كوثر افحج الساقين ازرق العينين
افطس الانف كبير البطن ووصف ايضا بانه اصلع وفي لفظ اصلح وهو من ذهب مقدم
شعره ايضا ووصف بانه اصعل اي صغير الراس وبانه اصمع اي صغير الاذنين [illegible]

صفة الذي يهدم الكعبة

وهذه العبارة اوردها ومن ثم
الى الخلاف اظن ليس لها
اصل قطعا

اول البنا من فوق الارض

يتفقونها حجرا حجرا اي بناء ولونها حتى يرموا بها الى البحر اي وقوله يبنيانها ولونها الى اخره
لعله لم يثبت عند ابن الزبير وكذا تلك الاوصاف وهدم الحبشة لها يكون بعد
موت عيسى عليه السلام ورفع القرآن من الصدور والمصاحف • اي وورد ان اول
ما يرفع الركن ورؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام والقرآن واول النعم ترفع من الارض
العسل وقيل يكون هدمها في زمن عيسى عليه السلام وجمع بانه يهدم بعضها في زمن
عيسى فاذا جاءهم الصريخ هربوا فاذا مات عيسى عادوا وكملوا هدمها • فعند هدم
عبد الله ابن الزبير انتهى الهدم الى القواعد اي التي هي الاساس فادخل وادار تكشف
له عن اساس ابراهيم عليه السلام فوجده داخلا في الحجر نحو ستة اذرع وشبرا
واحجار ذلك الاساس كانها اعناق الابل احجاره حمر اخذ بعضها في بعض مشبكة
كتشبيك الاصابع واصاب فيه قبر ام اسمعيل عليه السلام وهذا ربما يدل على
ان ام هجر فيه قبر اسمعيل وهو يوافق ما قبره في حيال الموضع الذي فيه
الحجر الاسود لا في الحجر كما ذكر الطبري وانه تحت البلاطة الخضراء التي بالحجر
كما تقدم فدعى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه خمسين رجلا من وجوه الناس
واشرافهم واشهدهم على ذلك الاساس وادخل عبد الله بن المطيع العدوي
عتلة كانت بيده في ركن من اركان البيت فتزعزعت الاركان كلها فارتج
جوانب البيت ورجفت مكة باسرها رجفة شديدة وطارت منه برقة فلم يبق
دار من دور مكة الا دخلت فيها فقال لهم اقروا البنا • اقول تقدم في بنا قريش انهم افضوا
الى حجارة خضر كالاسنمة اخذ بعضها ببعض وان رجلا ادخل عتلة بين حجرين
منها فحصل نحو ما ذكر وقد يقال لا مخالفة بين كون تلك الاحجار كانت خضرا
وبين كونها حمرا لانه يجوز ان تكون حمرة تلك الاحجار ليست صافية بل هي
قريبة من السواد ومن ثم وصفت بانها زرق كما تقدم والاسود يقال له اخضر
كما ان الاخضر يقال له اسود والصافي يقال له ازرق والله اعلم
وجعل عبد الله على تلك القواعد ستورا فطاف الناس بتلك الستور حتى
بنا عليها وارتفع البنا وزاد في ارتفاعها تسعة اذرع على ما كانت عليه من بنا قريش ثمانية عشر
ذراعا فكانت سبعا وعشرين ذراعا وانما زاد بعضهم وربع ذراع وبناها على ما حدثته
به خالته عائشة رضي الله عنهما فادخل فيها الحجر اي لانه يجوز ان يكون ادخال
الحجر هو الذي سمعه من عائشة فهل يرد دون غيره من الروايات المتقدمة

الدال على ان الحجر ليس من البيت وانما منه ستة اذرع وشبرا وقريبا من سبعة اذرع وفيه
انه هذا اي قوله فادخل فيه الحجر هو الموافق لما تقدم من ان قريشا اخرجته منها وهو
واضح ان كان وجد الاساس خارجا عن جميع الحجر واما اذا لم يكن خارجا عن جميع
الحجر كيف يتعداه ولا يبني عليه اعتمادا على ما حدثته به خالته عائشة رضي الله
عنها على انه سيأتي عن نص حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال لها فان بدا
لقومك من بعدي ان يبنوا فهلمي لاريك ما تركوا منه فاراها قريبا من ستة اذرع
وجعل لها خلفا اي بابا من خلفها والصقها بالارض كالمقابل له • قال
ولما ارتفع البنا الى مكان الحجر الاسود وكان في وقت الهدم وجد متصدعا بسبب
الحريق كما تقدم فشده بالفضة ثم جعله في ديباجة وادخله في تابوت واقفل
عليه وادخله دار الندوة فلما وصل البنا الى محله امر ابنه حمزة وشخصا اخر
ان يحملاه ويضعاه محله وقال اذا وضعتماه وفرغتما فكبرا اعلى صوتكما فاخفف
صلاتي فان مكان بالناس في المسجد اغتناما لتشاغلهم عنه مفسلا احس منهم التنافس
في ذلك اي ان كل واحد يود ان يضعه وخاف الخلاف فلما كبرا تسامع الناس
بذلك فغضب جماعة من قريش حيث لم يجمعهم وكون الحجر وجد متصدعا بسبب الحريق
وكون ابن الزبير شده بالفضة لا ينافي ما وقع بعد ذلك من ان ابا سعيد كبير

ظهور القرامطة

القرامطة وهم طائفة ملحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومايتين يزعمون
ان لا غسل من الجنابة وحل الخمر وانه لا صوم في السنة الا يومي النيروز والمهرجان
ويزيدون في اذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس
واتفق بهم جماعة من الجهال واهل البوادي وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من
بغداد بسببهم وسبب ولده ابي طاهر فان ولده ابا طاهر بنى دارا بالكوفة
وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتل المسلمين وتمكنت
هيبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله العباسي
عزم على خلفا بني العباس غير مرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج
الى مكة فوافاهم ابو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفي جوف
الكعبة قتلا ذريعا والقى القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوسه فكسره
ثم اقتلعه واخذ معه وقلع باب الكعبة ونزع ثيابها وشققها بين اصحابه
ومكث بمكة [illegible] وارتحل عن مكة بعد ان قام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود

ان الحجر الاسود ذو لونين

وقائع الملاحدة

بناء الكعبة في سنة ١٠٣٩

وبقي عند القرامطة اكثر من عشرين سنة اي والناس يضعون ايديهم في محله للتبرك ودفع
لهم فيه خمسون الف دينار فابوا حتى اعيد في زمن المطيع وهو الرابع والعشرون من خلفا
بني العباس فاعيد الحجر الى محله وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة الاف
وسبعمائة وسبعون درهما ونصف قال بعضهم تاملت الحجر الاسود وهو مقلوع فاذا
السواد في راسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع • وبعد القرامطة في
سنة ثلاث عشرة واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس
فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج
مكسره احمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات
وعجنوه بالمسك واللك وحشوا في تلك الشقوق ولطخوه فبطل من ذلك وجعل له
طول الباب احد عشر ذراعا والباب الآخر بازائه كذلك فلما فرغ من بنائها خلقها من
داخلها وخارجها بالخلوق اي الطيب والزعفران وكساها القباطي اي وهي ثياب بيض
رقاق من كتان تعمل بمصر • ومن كلام بعضهم اول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن
الزبير اقول لعل بناء عبد الله بن الزبير للكعبة من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
لانه من الاخبار بالمغيبات ففي بعض حديث عايشة رضي الله عنها فان بدا لقومك
من بعدي ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوه منه الحديث قال وهذا منه صلى الله عليه
وسلم تفويض بالاذن في ان يفعل ذلك بحضرته عند القدرة عليه وان لم يكن منه قال
الطبري وهذا الحديث يدل تصريحا وتلويحا على جواز التغيير في البيت اذا كان
لمصلحة ضرورية او حاجية او مستحسنة • قال الشهاب ابن حجر الهيتمي ومن الواضح
ان البيت الان وهي وتشقق منه ما في حكم المنهدم اي المشرف على الانهدام فيجوز اصلاحه
بل يجب بل يجب هذا الكلام • وفي شعبان سنة تسع وثلاثين والف جا سيل
عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس العشرون منه الى ان كان هدم معظم الكعبة سقط
من الجدار الشامي بوجهيه وانحدر معه من الجدار الشرقي الى جهة الباب
ومن الجدار الغربي من الوجهين نحو السدس وهدم اكثر بيوت مكة واغرق جماعة
المسجد وهلك من الناس خصوصا الاطفال فان الماء ارتفع الى ان سد الابواب
وصنف في الخبر بذلك الى مصر فجمع مبنى لها محمد باشا وهو الوزير الاعظم الا ان
اي في سنة اثنتين واربعين والف جمع العلما وكنت من جملتهم ووقفت الاشارة
بالمبادرة بالعمارة وقد جمعت للوزير المذكور في ذلك رسالة لطيفة ومنه

سنه

وبنيت الكعبة ثلاث مرات

اول من كسا الكعبة

سنه موقعا كبيرا واعجب به كثيرا حتى انه دفعها لمن عربها باللغة التركية وارسل بها لحضرة
مولانا السلطان مراد ايده الله انظاره وذكرت فيها ان الحق ان الكعبة لم تبن جميعها
الا ثلاث مرات • المرة الاولى بناء ابراهيم عليه السلام • والثانية بناء قريش
وكان بينهما الفا سنة وسبعمائة سنة وخمسة وسبعون سنة • والثالثة بناء عبد الله
ابن الزبير اي وكان بينهما نحو اثنتين وثمانين سنة اي واما بناء الملائكة وبناء ادم
وبناء شيث لم يصح واما بناء جرهم والعمالقة وقصي فانما كان ترميما ولم تبن بعد هذه جميعها
الا مرتين مرة في زمن قريش ومرة زمن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه
وحينئذ يكون ما جاء في الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع
وقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة معناه قد هدم مرتين ويرفع في الهدم
الثالث من الدنيا • وذكر الامام البلقيني ان كون ابن الزبير اول من كسا الكعبة
الديباج اشهر من القول بان اول من كساها الديباج ام العباس بن عبد المطلب
كما سياتي وجاز ان يكون عبد الله بن الزبير كساها اولا القباطي ثم كساها
الديباج والله اعلم وكان كسوتها في زمن قريش اي الجاهلية المسوح والانطاع
قال واول من كساها تبع الحميري كساها الانطاع ثم كساها الثياب الحبرة وفي رواية
كساها الوصايل وهي برود حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن • ومن كلام البلقيني
ويروى ان تبعا اليماني لما كساها الخصف انتقضت فزال عنها فكساها المسوح
والانطاع فانتقضت فزال عنها ذلك فكساها الوصايل فقبلتها والوصايل ثياب
موصولة من ثياب اليمن • وفي الكشاف كان تبع الحميري مؤمنا وكان قومه كافرين
ولذلك ذم الله قومه ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان
قد اسلم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا ام غير نبي هذا وقد نقل الشمس
الحموي في كتابه المناهج الزاهية والمباهج الباهرة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
انه قال كان نبيا • وقيل اول من كساها عدنان بن ادد وكانت قريش تشترك في
كسوة الكعبة حتى نشا ابو ربيعة ابن المغيرة فقال لقريش انا اكسوا الكعبة وحدي
سنة وجميع قريش تكسوها سنة اي وقيل كان يخرج نصف كسوة الكعبة في كل سنة
فلذلك لقبته قريش العدل لانه عدل قريش وحده في كسوة الكعبة
ويقال لبنيه بنو العدل وكانت كسوتها لا تنزع كلما تجدد كسوة تجعل فوق واستمر ذلك
الى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم كساها النبي صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية • وفي

كلام بعضهم اول من كسا الكعبة القباطي النبي صلى الله عليه وسلم وكساها ابو بكر وعمر وعثمان
القباطي وكساها معاوية الديباج والقباطي والحبرات فكانت تكسى الديباج
يوم عاشوراء والقباطي في اخر رمضان. وكساها المأمون الديباج الاحمر والديباج
الابيض والقباطي فكانت تكسى الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب
والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من رمضان قاله بعضهم وهكذا كانت تكسى
في زمن المتوكل العباسي ثم في زمن الناصر العباسي كسيت السواد من الحرير واستمر
ذلك الى الان في كل سنة وكسوتها من غلة قرية يقال لها بيسوس وسندبيس
من قرى القاهرة وقفها على ذلك الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد بن قلاوون
في سنة نيف وخمسين وسبعمائة اي وكانت زادت الغزي على ما تقدم من الزيني
والحاصل ان اول من كساها على الاطلاق تبع الحميري كما تقدم على الراجح
وذلك قبل الاسلام بنحو تسعمائة سنة. قيل وسبب كسوة ام عم العباس صلى الله
عليه وسلم لها الديباج ان العباس ضل وهو صبي فنذرت انه ان وجدته لتكسون
الكعبة فوجدته فكست الكعبة الديباج اي وكانت من بيت مملكة وقيل اول
من كساها الديباج عبد الملك بن مروان اي وهو المراد بقول ابن اسحاق اول
من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من امراء عبد الملك. وقد سئل الامام
البلقيني هل تجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب وتجوز ازارها في دوران المحمل
الشريف فاجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم بكسوتها الفاخرة التي تزجي
بكسوتها الخلع السنية في الدنيا والاخرة ويجوز اظهارها في دوران المحمل الشريف فان
في ذلك المناسبة للحال المنيف هذا الكلام. واول من حلى باب الكعبة بالذهب
جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فانه لما حفر بئر زمزم وجد فيها الاسياف
والغزالين فضرب الاسياف بابا لها وجعل في ذلك الباب الغزالين فكان
اول ذهب حليت به الكعبة على ما تقدم. واول من ذهب في الاسلام عبد الملك
ابن مروان وقيل عبد الله بن الزبير جعل على اساطينها صفائح الذهب وجعل
مفاتيحها من الذهب وجعل الوليد بن عبد الملك الذهب على الميزاب وقال انه
ارسل لعامله بمكة ستة وثلاثين الف دينار يضرب منها على باب الكعبة وعلى الميزاب
وعلى الاساطين التي داخلها وعلى اركانها من داخل. وذكر ان الامين بن هارون
الرشيد ارسل الى عامله بمكة بثمانية عشر الف دينار ليضرب بها صفائح على بابي الكعبة

فقلع

تنبيه للبلقيني

اول من حلى باب الكعبة

فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها ذلك وجعل مسامير ها وحلقتي الباب والعتبة من
الذهب. وان ام المقتدر الخليفة العباسي امرت غلاما لها لؤلؤ ان يلبس جميع اسطوانات
البيت ذهبا ففعل. وقال عبد الله بن الزبير لما فرغ من بنائها من كان لي عليه طاعة فليخرج
وليعتمر من التنعيم ومن قدر ان يذبح بدنة فليفعل فان لم يقدر فشاة ومن لم يقدر
فليتصدق بما تيسر واخرج مائة بدنة فلما طاف استلم الاركان الاربعة اي لانها على
قواعد ابراهيم ويدخل الناس من باب ويخرجون من باب حتى قتل اي قتله شخص من جيش الحجاج
بحجر رماه به فوقع بين عينيه فقتل وهو بالمسجد لان الحجاج كان اميرا على الجيش
الذي ارسله عبد الملك بن مروان لقتاله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج ان اهدم
ما زاده ابن الزبير في الكعبة على اجزاء الزيادة التي ادخلها في الكعبة وكانت قريش
اخرجتها بسبب قلة النفقة وردها الى ما كانت عليه وسد الباب الذي فتح الى ان يرفع الباب
الاصلي الى ما كان عليه ايام قريش واترك سائرها لانه اعتقد ان ابن الزبير فعل
ذلك من تلقاء نفسه فكتب الحجاج الى عبد الملك يخبره بان عبد الله بن الزبير وضع
البناء على اس قد نظر اليه العدول من اهل مكة وهم ينظرون رجلا من وجوه الناس
واستوثقهم كما تقدم فكتب اليه عبد الملك لسنا من تخبيط ابن الزبير في شيء فنقض الحجاج
ما ادخل من الحجر وسد الباب الثاني الذي في ظهر الكعبة عند الركن اليماني ونقض من
الباب الاول خمسة اذرع ورفعها الى ما كان عليه في زمن قريش فبنى تحته اربعة اذرع
وشبرا وبنى داخلها الدرجة الموجودة الان. وقد هفا الحجاج لما ظهر بابن
الزبير كتب الى عبد الملك يخبره ان ابن الزبير زاد في الكعبة ما ليس فيها واحدث
فيها بابا اخر واستأذنه في رد ذلك الى ما كانت عليه في الجاهلية فكتب اليه عبد
الملك ان يسد بابها الغربي ويهدم ما زاد فيها من الحجر ففعل الحجاج ذلك فما برح
قبل وقوع هذا الهدم بل سبل الاقع من سنة تسع وثلاثين بعد الالف
على بنيان ابن الزبير الا الجانب الذي يلي الحجر فانه من بناء الحجاج اي والبناء الذي
تحت العتبة وهو اربعة اذرع وشبر فان باب الكعبة كان على عهد الخليل
وجرهم والعمالقة عليه السلام لاصقا بالارض حتى رفعته قريش كما تقدم
وما سد به الباب الغربي والردم كان بالحجارة التي كانت داخل الكعبة اي
التي وضعها عبد الله بن الزبير اي في بطنها لما وضع في ذلك المكان الحجارة التي
قلع فبنا والله بناء قويا احكم به بعض الثقات ان بعض بيوت مكة كان فيها

وصية اسماء لعبد الله بن الزبير ولدها

بعض الحجارة التي اخرجت من الكعبة زمن عبد الله بن الزبير ويقال ان ذلك البيت
كان بيتا لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه وبنا الحجاج كان في السنة التي
قتل فيها ابن الزبير وهي سنة ثلاث وسبعين ● قيل ولما دخل عبد الله بن
الزبير رضي الله عنه وهو محاصر حاصره الحجاج خمسة اشهر وقيل ستة اشهر وسبع
عشرة ليلة على امه اسما رضي الله عنهما قبل قتله بعشرة ايام وهي شاكية اي
مريضة فقال لها كيف تجدينك يا امه قالت ما اجدني الا شاكية فقال لها
ان في الموت لراحة فقالت لعلك تمنيته لي ما احب ان اموت حتى ياتي على
احد طرفيك اما قتلت فاحتسبك واما ظفرت فتقر بك عيني ولما كان اليوم الذي
قتل فيه دخل عليها في المسجد فقالت له يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها
على نفسك الذي تخاف منه القتل فوالله لضربة بالسيف في عز خير من ضربة
سوط في ذل ● ويقال ان الناس لا زالوا ينتقلون عن ابن الزبير الى
الحجاج يطلب الامان وهو يومنهم حتى خرج اليه قريب من عشرة الاف حتى
كان ممن خرج اليه حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير واخذا
لانفسهما امانا من الحجاج فامنهما ودخل عبد الله على امه فشكى لها خذلان
الناس له وخروجهم الى الحجاج حتى اولاده واهله وانه لم يبق معه الا اليسير
والقوم يعطونني ما شئت من الدنيا فما رايك فقالت يا بني انت اعلم
بنفسك ان كنت تعلم انك على حق وتدعو الى حق فاصبر عليه فانه
قد قتل عليه اصحابك ولا تمكن من رقبتك تلعب بها غلمان بني امية وان
كنت انما اردت الدنيا فلبيس العبد انت اهلكت نفسك واهلكت
من قتل معك كم خلودك في الدنيا فدنا منها وقبل راسها وقال والله يا امه
ما ركنت الى الدنيا ولا احببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب
لله ان تستحل حرمته ● وبعد ان قتل وصلب على الجذع فوق الثنية وعلقت
عليه ثلاثة ايام جاءت امه اسما رضي الله عنهما تقاد لانه كان قد كف بصرها
حتى وقفت عليه فدعت له طويلا ولم يقطر من عينيها دمعة وقالت للحجاج
اما ان لهذا الراكب ان ينزل فقال لها الحجاج المنافق ذاك كيف نصر الله
الحق واظهره ان ابنك الحد في هذا البيت وقد قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم وقد اذاقه الله من العذاب الاليم وفي كلام

سبط

كلام اسماء رضي الله عنها للحجاج

سبط ابن الجوزي ان ابن الزبير لما قال لعثمان رضي الله عنه وهو محاصر ان عندي
نجائب اعددتها لك فهل لك ان تتحول الى مكة فابى وقال لا استحلها اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل في الحرم من قريش
او بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن اكون انا وفي رواية قال له اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد
الله عليه نصف اوزار الناس هذه الكلمة ويحتمل ان المراد بعبد الله الحجاج
لا ابن الزبير ولا مانع ان يكون الحجاج من قريش على ان الذي في الصواعق
ان القايل لعثمان ذلك المغيرة بن شعبة ● ولما سمعت سيدتنا اسما رضي الله عنها
الحجاج يقول في ولدها المنافق قالت له كذبت والله ما كان منافقا ولكنه
كان صواما قواما برا كان اول مولود ولد في الاسلام بالمدينة وسر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنكه بيده وكبر المسلمون يومئذ حتى ارتجت
المدينة فرحا به كان عاملا بكتاب الله حافظا لحرم الله يبغض ان يعصى
الله عز وجل فقال لها انصرفي فانك عجوز قد خرفت قالت والله ما خرفت
ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير
اما الكذاب فقد رايناه تعني المختار ابن ابي عبيد الثقفي والي العراق
ناصرها بعد قتل الحسين اتفق مع طايفة من الشيعة ممن كان خذل الحسين
ولما قتل ندموا على ذلك فوافقوا المختار على مقاتلة من قتل الحسين من اهل
الكوفة فتوجهوا اليه وقتلوا جميع من قتل الحسين وملك الكوفة واستولى
الناس للمختار بعد ذلك ثم قالت واما المبير فانت المبير ولما بلغ عبد الملك
ما قاله الحجاج لها رضي الله عنها كتب اليه يلومه على ذلك ايضا ومن ثم ارسل
الحجاج اليها فابت ان تاتيه فاعاد عليها الرسول اما ان تاتيني واما ابعث اليها
من يسحبك بقرونك فابت وقالت والله لا اتيك حتى تبعث الي من يسحبني
بقروني فقال ارني نعلي فاخذ نعليه ومشى حتى دخل عليها فقال يا امه ان امير
المؤمنين اوصاني بك فهل لك من حاجة فقالت لست لك بام ولكني ام المصلوب
على راس الثنية وما لي من حاجة ولكني انتظر حتى احدثك ما سمعت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج
من ثقيف كذاب ومبير فاما الكذاب فقد رايناه تعني المختار واما المبير

ثابت فقال الحجاج سيوف لهما تفنيق . ومن كذب المختار انه ادعى النبوة وانه يأتيه
الوحي وسيرد ذلك لاصحابه . وقد دلا ابدا النبوة ليتهم عن بعضهم ما كنت اقوم
بالسيف على راس المختار ابن عبيد سمعته يقول يوما قام جبريل عن هذه النمرقة
ورد ابتر من على هذا الكرسي فاردت ان اضرب عنقه فتذكرت حديثا حدثنيه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا امن الرجل الرجل على دمه
ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه . ولعل هذا مستند
ما نقل من كتاب الام ان الامام الشافعي رضي الله عنه يحمل من القول بان
المسلم يقتل بالمستامن . وقد كتب للاحنف بن قيس وجاء عنه قد بلغني
انكم تهزءون بالكتاب وقد كذب الانبياء من قبلي ولست بخيرهم . وقد كان
يقع سجعا هو اشبه بالكهانة منها انه لما جهز جيشا لقتال عبيد بن زياد
قال لاصحابه في عسكر باني البكر خبر البغير وقتل ابن زياد فكان كما اخبر وجي
براس ابن زياد والعتبة بين يدي المختار وكان قتله يوم عاشوراء وهو
اليوم الذي قتل فيه الحسين ثم قتل المختار وكان قتله على يد مصعب بن الزبير
وجي براس المختار بين يدي مصعب لما ولي العراق من جانب اخيه لابيه
عبد الله بن الزبير ومما يوثر عن مصعب ابن الزبير العجب من ابن ادم كيف
يتكبر وقد جرى في مجرى البول مرتين ثم قتل مصعب وقطع راسه ووضعت
بين يدي عبد الملك بن مروان . ومن بعضهم انه حدث عبد الملك فقال
له يا امير المؤمنين دخلت القصر قصر الامارة بالكوفة فاذا راس الحسين
على ترس بين يدي عبيد بن زياد وعبيد الله بن زياد على سرير ثم دخلت
القصر بعد ذلك بحين فرايت راس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار
والمختار على السرير ثم دخلت القصر بعد حين فرايت راس المختار بين
يدي مصعب بن الزبير ومصعب ابن الزبير على السرير ثم دخلت بعد ذلك
بحين فرايت راس مصعب بن الزبير بين يديك وانت على السرير فقال
عبد الملك لا اراك الله الخامسة ثم امر بهدم ذلك القصر . ومن امامنا الشافعي
رضي الله عنه ان ابا الحجاج لما دخل بام الحجاج واقعها فنام فراى قائلا
يقول له في المنام ما اسرع ما تجيب بالمبير . وفي كلام سبط ابن الجوزي
ان ام الحجاج كانت قبل ابيه مع المغيرة بن شعبة فطلقها بسبب انه دخل

ومن الغرائب

عليها

عليها يوما فوجدها تتخلل حين انفتلت من صلاة الصبح فقال لها ان كنت تتخللين
من طعام البارحة انك لقذرة وان كان من طعام اليوم انك لنهمة كنت فبنت
فقالت والله ما فرحنا اذ كنا ولا اسفنا اذ بنا ولا عن شي مما ظننت ولكني استكت
فاردت ان اتخلل من السواك فندم المغيرة على طلاقها فتزوجها فتلق يوسف
ابن ابي عقيل والد الحجاج فقال له هل لك الى شي ادعوك اليه قال وما ذاك
قال اني نزلت من سيدة نسا ثقيف وهي الفارعة فتزوجها تنجب لك
فتزوجها فولدت له الحجاج . وفي حياة الحيوان انها كانت قبل ابي الحجاج
عند ابنه بن ابي الصلت هذا الكلام وقد يقال لا مانع انها تزوجت الثلاثة
وان تزوجها لابيه كان قبل المغيرة وكونها سيدة نسا ثقيف يبعد القول
بانها المتمنية التي مر بها سيدنا عمر رضي الله عنه وهي تنشد وتقول
هل من سبيل الى خمر فاشربها . الابيات وانه كان يعير بها فيقال له
ابن المتمنية . ومن سيرة صلب عبد الله ابن الزبير صارت امه تقول
اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته ودعت اخوه عروة ابن الزبير الى عبد
الملك بن مروان يستاذن في انزاله عن الخشبة فاجابه وانزله . قال ما سلم
كان لا تنشأ ولعضوا من الطايبه الا جامعنا فكنا نغسل العضو ونضعه في
اكفانه وقامت امه فصلت عليه وماتت بعده بجمعة وذكر ذلك في الاسما
وقيل بعده بايام قال الحافظ ابن كثير وهو المشهور وقد بلغت من العمر
مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل وقتل مع ابن الزبير مايتان
واربعون رجلا منهم من سال دمه في جوف الكعبة وكان من جملة من قتل
عبد الله بن صفوان ابن امية الجمحي قتل يوم قتل عبد الله ابن الزبير
وقطع راسه وبعث الحجاج براسه وراس ابن الزبير الى المدينة فنصبوها
وجاروا يقربون راس ابن الزبير الى راس عبد الله بن صفوان كانه
يساره يلعبون بذلك ثم بعثوا بها الى عبد الملك بن مروان ولما وضعت
راس عبد الله بن الزبير بين يدي عبد الملك سجد وقال والله كان
احب الناس الي واشدهم لي الفا ومودة ولكن الملك عقيم اي فان الرجل
يقتل اباه وابنه واخاه على الملك فاذا فعل ذلك انقطعت بينهما الرحم
وشتان ما صنع عبد الملك لعبد الله بن الزبير وتوبيخ ابنه الحسين الذي

ثم صلب ابن الزبير

ارسله يزيد لقتاله • وقد كان ابن الزبير قال لعبد الله بن صفوان اني قد اقلتك
بيعتي فاذهب حيث شئت فقال اني انما قاتلت عن ديني وكان سيدا شريفا مطاعا
حليما كريما قتل وهو متعلق باستار الكعبة وصلبه يشكل كونه حرما آمنا
ومما يدل لما تقدم ان عبد الله بن الزبير كان سيئ الخلق كما حكي انه
جاء اليه شخص فقال له ان الناس على باب عبد الله بن عباس رضي الله عنه
يطلبون العلم وان الناس على باب اخيه عبيد الله يطلبون الطعام فاحدهما
يفقه الناس والآخر يطعم الناس فما ابقيا لك مكرمة فدعا شخصا وقال
له انطلق الى ابني عباس رضي الله عنهما وقل لهما يقول لكما امير المؤمنين اخرجا
عني والا فعلت وفعلت فخرجا الى الطائف اي وقيل انما خرج عبد الله
ابن عباس من مكة الى الطائف لان الله تعالى يقول ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم فقد قال الشيخ محيي الدين بن العربي اعلم ان الله
تعالى قد عفى عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة لان الشرع قد
ورد ان الله يؤاخذ فيه من يرد فيه بالحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله
ابن عباس بالطائف احتياطا لنفسه لانه ليس في قدرة الانسان ان يدفع
عن نفسه الخواطر • وفي تاريخ الازرقي ان الحارث وفد على عبد الملك بن مروان
في خلافته فقال له عبد الملك ما اظن ابا خبيب يعني ابن الزبير سمع من عائشة
رضي الله عنها ما كان يزعم انه سمعه منها في بناء الكعبة فقال الحارث انا سمعته منها
فقال عبد الملك انت سمعتها تقول ذلك الحديث • ومن العجب ما حدث به بعضهم قال
كنت امير اهل الجيش الذي بعث به يزيد لقتال عبد الله بن الزبير فدخلت
مسجد المدينة فجلست بجانب عبد الملك بن مروان فقال لي عبد الملك انت
امير هذا الجيش قلت نعم قال ثكلتك امك اتدري الى من تسير تسير الى
اول مولود ولد في الاسلام اي بالمدينة من اولاد المهاجرين والى ابن حواري
رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابن ذات النطاقين وهي اسماء والى من
حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله ان جئته نهارا وجدته صائما
وان جئته ليلا تجده قائما فلو ان اهل الارض اطبقوا على قتله لاكبهم الله
في النار جميعا فلما صارت الخلافة لعبد الملك وجهنا مع الحجاج حتى قتلناه
وذكر بعضهم ان عبد الملك بن مروان لما رأى جيش يزيد متوجها الى مكة قال

ومن العجب

اعوذ

اعوذ بالله ابعث الجيش لحرم الله فضرب منكبه شخص كان يهوديا واسلم وكان يقرأ الكتب
وقال له جيشك اليه اعظم • ويقال ان هذا اليهودي مر على دار مروان والد عبد
الملك هذا القائل وقال ويل لامة محمد من اهل هذه الدار اي لان مروان كان سببا في
قتل عثمان بن عفان وعبد الملك ابنه كان سببا لقتل عبد الله ابن الزبير
ووقع من الوليد بن يزيد بن عبد الملك الامور الفظيعة • وسبب ولاية
الحجاج على الجيش انه قال لعبد الملك بن مروان رأيت في المنام اني اخذت
عبد الله بن الزبير فسلخته فولني قتاله فولاه فارسله في جيش كثيف
من اهل الشام فحصر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق فلما رمى به ارعدت
السماء وابرقت فخاف اهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وانا ابنها
ثم قام ورمى المنجنيق بنفسه فزاد ذلك ولم تزل الصاعقة تتبعها صاعقة
اخرى حتى قتلت اثني عشر رجلا فخاف اهل الشام زيادة قال بعضهم ولا
زال الحجاج يحثهم على الرمي بالمنجنيق ولم تزل الكعبة ترمى بالمنجنيق حتى
هدمت وحرقت استارها حتى صارت كالفحم اي وفيه انه لو كانت هدمت
لابد من بنائها او اصلحت بالترميم ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعي
على نقله ولعل هذا اشتبه على بعض الرواة لان الذي وقع من جيش يزيد
واقع من الحجاج • فان قيل هلا اهلك الله من نصب المنجنيق على الكعبة كما
اهلك ابرهة • قلنا لان من نصب المنجنيق لم يرد هدم الكعبة بخلاف ابرهة
كما تقدم وفيه انه قد يشكل كونه حرما آمنا وفي البخاري عن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير اي واراد ان يخرج الى
الطائف ويهدد على ما تقدم قلت ابوه الزبير وامه اسماء وخالته عائشة
وجده ابو بكر وجدته صفية وفي رواية عنه قال اما ابوه فحواري رسول
الله صلى الله عليه وسلم يريد الزبير • واما جده فصاحب الغار يريد ابا بكر
رضي الله عنه • واما امه فذات النطاقين يريد اسماء واما خالته فام المؤمنين
يريد عائشة • واما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم يريد خديجة
واما عمة النبي صلى الله عليه وسلم فجدته يريد صفية ثم هو عفيف في الاسلام
قارئ للقرآن • ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فجمع الحجاج
الناس وخطبهم وقال في خطبته الا ان ابن الزبير كان من خيار هذه الامة الا انه

وسبب ولاية الحجاج

خطبة الحجاج

من اعلام النبوة

من الغرائب

والذي قتل الحجاج صبرا

نازع الحق اهله ان الله خلق ادم بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته فلما اخطا اخرجه
من الجنة بخطيئته وادم اكرم على الله تعالى من ابن الزبير والجنة اعظم من حرمة الكعبة
اذكروا الله يذكركم ● اي ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما روي ان عبد الله
ابن الزبير لما ولد نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فلما
سمعت بذلك امه امسكت عن ارضاعه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
ارضعيه ولو بما عينيك كبش بين ذياب وذياب عليها ثياب ليمنعن البيت
او ليقتلن دونه ● وفي حياة الحيوان ان العرب اذا ارادوا مدح الانسان
قالوا كبش واذا ارادوا ذمه قالوا تيس ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
في المحلل التيس المستعار ● ويقال ان الحجاج بعد قتل ابن الزبير ذهب الى
المدينة وعلى وجهه لثام فراى شيخا خارجا من المدينة فساله عن حال اهل
المدينة فقال شر حال قتل ابن الزبير ابن حواري رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من قتله قال الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله ورسله
من قليل المراقبة لله فغضب الحجاج غضبا شديدا ثم قال ايها الشيخ اتعرف
الحجاج اذا رايته فقال نعم ولا عرفه الله خيرا ولا وقاه ضيرا فكشف الحجاج
اللثام عن وجهه وقال ستعلم الان اذا سال دمك الساعة فلما تحقق الشيخ انه
الحجاج قال ان هذا لهو العجب يا حجاج انا فلان اصرع من الجنون في كل يوم
خمس مرات فقال الحجاج اذهب لا شفا الله الابعد من جنونه ولا عافاه
وخلوص هذا من الحجاج من العجب لان اقدامه على القتل ومبادرته اليه
امر لم ينقل مثله عن احد ● وكان يخبر عن نفسه ويقول ان اكبر لذاته سفك
الدما قال بعضهم والاصل في ذلك انه لما ولد لم يقبل ثديا فتصور لهم ابليس
في صورة الحارث ابن كلدة طبيب العرب وقال ان يذبح له تيسا اسود ويلعق
من دمه ويطلي به وجهه ففعلوا به ذلك فقبل ثدي امه وذكروا انه اتي اليه
بامراة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه ولا ترد عليه كلاما فقال لها
بعض اعوانه يكلمك الامير وانت معرضة فقالت اني استحيي ان انظر الى من لا
ينظر الله اليه فامر بها فقتلت ● وقد احصي الذي قتل بين يديه صبرا فبلغ
مائة الف وعشرين الفا ● ولما عزى سيدتنا اسما عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
وامرها بالصبر قالت وما يمنعني من الصبر وقد اهدي راس يحيى ابن زكريا الى

بغي

وصية ابن الزبير لامه

تبشير موت ابن عمر

وما يؤثر عن ابن الزبير

والذي اطلق من سجن الحجاج

بغي من بغايا بني اسرائيل وقد جا ان هذه البغي اول من يدخل النار ويقال ان عبد الله ابن
الزبير قال لامه يوم قتل يا اماه اني مقتول من يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي لامر الله
فان ابنك لم يتعمد اتيان منكر ولا عملا بفاحشة وفي كون عبد الله بن عمر تاخر موته
عن ابن الزبير نظر فقد قيل ان عبد الله بن عمر مات قبل ابن الزبير بثلاثة اشهر
وسبب موته ان الحجاج خطب يوما فقال ان عبد الله بن الزبير بدل كلام الله فقال له عبد الله انك سفيه مسلط فغيره
ذلك عليه فامر الحجاج شخصا ان يسم زج رمحه ويضعه على رجل عبد الله بن عمر
ففعل به ذلك وهو في الطواف فمرض من ذلك اياما ودخل عليه الحجاج
ليعوده فساله عمن فعل به ذلك وقال له قتلني الله ان لم اقتله فقال له
عبد الله لست بفاعل له قال ولم قال لانك الذي امرته ثم رايت في تاريخ
ابن كثير لما قتل ابن الزبير واستقر الامر لعبد الملك بن مروان بايعه
عبد الله بن عمر ولم ينقض في الدولة بل ان ابن عمر وقف على ابن الزبير
وهو مصلوب وقال السلام عليك ابا خبيب اما والله لقد كنت انهاك عن
هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا اما والله لقد كنت انهاك عن هذا
اما والله ان كنت ما علمت صواما قواما وصولا للرحم ● ويذكر انه كان لعبد
الله بن الزبير مائة غلام لكل غلام منهم لغة لا يشاركه فيها غيره وكان يكلم
كل واحد منهم بلغته وهذا اغرب ما استغرب وهو ان ترجمان الواثق بالله من
خلفا بني العباس كان عارفا بالسن كثيرة حتى قيل انه كان يعرف
اربعين لغة ويباري فيها ● وقد قال الحجاج لعروة ابن الزبير يوما في كلام
جرى بينهما لا ام لك فقال له تقول هذا وانا ابن عجائز الجنة يعني
جدته صفية وعمته خديجة وخالته عائشة وامه اسما وقال الحجاج
لشخص ما تقول في عبد الملك بن مروان فقال الرجل ما اقول في شخص
انت سيئة من سيئاته ● وقد اطلق سليمان ابن عبد الملك لما ولي الخلافة
من سجن الحجاج سبعين الفا قد حبسهم ليقتل ليس لواحد منهم ذنب يوجب
به الحبس فضلا عن القتل وذكروا انه كان يحبس الرجال مع النسا ولم يكن
لحبسه بيوت اخلية فكان الرجل يبول بجانب المراة والمراة تبول بجانب
الرجل فتبدو العورات وكان كل عشرة في سلسلة ويطعمهم خبز الدخن
مخلوطا بالملح والرمل ● ومر يوم جمعة فسمع استغاثة فقال ما هذا فقيل له

آخر من قتل الحجاج

ومن الغرائب

أول ضرب الدراهم

من المواعظ

اهل السجن يقولون قتلنا الحر فقال اخسؤوا فيها ولا تكلمون فما عاش بعد
ذلك الا اقل من جمعة . وآخر من قتل الحجاج من التابعين سعيد بن جبير رضي الله
عنه ولم يقتل بعده الا رجلا واحدا . وقال عمر ابن عبد العزيز لو جاءت
كل امة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم . وقال سليمان بن عبد الملك لرجل
من اصحاب الحجاج بعد موت الحجاج ابلغ الحجاج قعر جهنم فقال يا امير المؤمنين .
يجيء الحجاج يوم القيامة بين ابيك عبد الملك وبين اخيك هشام ابن عبد الملك
فضعه من النار حيث شئت . ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال مات
رجل فلما وضع على مغتسله استوى قاعدا وقال نظرت بعيني هاتين واهوى
بيديه الى عينيه الحجاج وعبد الملك في النار يسحبان بامعائهما ثم عاد ميتا
كما كان . والحجاج مثل في الظلم فقد رايت بعضهم حكى انه قيل في المثل
اظلم من ابن الجلندي وهو المشار اليه بقوله تعالى وكان وراءهم ملك
يأخذ كل سفينة غصبا وانه من اجداد الحجاج بينه وبينه سبعون جدا
واستخلف الحجاج رجلا في امره فقال له والذي انت بين يديه غدا اذل
مني بين يديك اليوم فقال والله اني يومئذ لذليل . واول من ضرب
الدراهم في الاسلام الحجاج بامر عبد الملك بن مروان وكتب عليها قل هو
الله احد على وجه والله الصمد على الوجه الاخر ولم توجد الدراهم الاسلامية
الا في زمن عبد الملك بن مروان وكانت قبل ذلك رومية وكسروية . وفي
زمن الخليفة المستنصر بالله وهو السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس
ضربت الدراهم وسماها النقرة وكانت كل عشرة بدينار وذلك في سنة
اربع وعشرين وستمائة . ولما دخل سليمان بن عبد الملك المدينة سأل هل
بالمدينة احد ادرك احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
له ابو حازم فارسل اليه فلما دخل عليه قال له يا ابا حازم ما لنا نكره
الموت قال لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران
الى الخراب قال فكيف القدوم على الله قال اما المحسن فكالغائب يقدم
على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال يا ليت
شعري ما لنا عند الله قال اعرض عملك على كتاب الله فقال في اي مكان
قال في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فقال سليمان فاين

رحمة الله

وما يؤثر عن سليمان بن عبد الملك

رحمة الله قال قريب من المحسنين قال فاي عباد الله اكرم قال اولوا المروءة
وجاء اعرابي الى سليمان بن عبد الملك هذا فقال يا امير المؤمنين اني مكلمك
بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ان قبلته ما تحب فقال سليمان هات يا اعرابي
فقال الاعرابي اني اطلق لساني بما خرست عنه الالسن تادية لحق الله
انه قد اكتنفك رجال قد اساؤوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك
بدينهم ورضاك بسخط ربك وخافوك في الله ولم يخافوا الله فيك
فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه فانهم
لن يألوا الامانة وانت مسؤول عما اجترحوا فلا تصلح دنياهم بفساد
آخرتك فان اعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال
له سليمان اما انت يا اعرابي لقد سللت لسانك وهو سيفك قال اجل يا امير
المؤمنين لك لا عليك . ولما حج قال لولد عمه وولي عهده عمر ابن عبد العزيز
الا ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم الا الله ولا يسع رزقهم غيره
قال هم يا امير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم وهم خصماؤك غدا عند الله فبكى
سليمان بكاء شديدا ثم قال بالله استعين . وقال يوما لعمر ابن عبد العزيز
كيف ترى ما نحن فيه فقال يا امير المؤمنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم لولا انه
عديم . وملك لولا انه هلك . وفرح لولا ان يعقبه ترح ولذات لولا انها تقترن بالآفات
وكرامة لولا انها تعقبها ندامة فبكى سليمان حتى اخضل لحيته . وولي بعده عمر ابن
عبد العزيز بتوصية جده لامه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقد قال ان من
ولدي رجلا بوجهه شين وفي رواية علامة يملا الارض عدلا قال بعضهم فاذا
هو عمر ابن عبد العزيز لان امه ابنة عاصم ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ابن عمه
ومما يؤثر عن سليمان ابن عبد الملك انه لما ولي الخلافة قام خطيبا فقال الحمد
لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع ومن شاء وضع ومن شاء اعطى ومن شاء منع
ان الدنيا دار غرور تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وقال
في بعض خطبه ايها الناس ان الوليد وابا الوليد وجد الوليد اسمعهم
الداعي واستنزلهم العوادي واضمحل ما كان كان لم يكن ذهب بهم نائب الحياة
وفارقوا القصور واستبدلوا ببطن الوطا خشن التراب فهم فيه رهنا الى يوم المآب
فرحم الله عبدا مهد لنفسه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا . ولما ولي الخلافة

ابو جعفر المنصور اراد ان يبني الكعبة على ما بناها ابن الزبير وشاور الناس في ذلك
فقال له الامام مالك انشدك الله يا امير المؤمنين ان تجعل هذا البيت ملعبة
للملوك لا يشاء احدهم ان يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس
فصرفه رايه عن ذلك وذكر الطبري ان الذي اراد ذلك ونهاه مالك هو
الرشيد انتهى اقول وكونه الرشيد هو الذي ذكره المقريزي ولان المنصور
كان محرما ببئر ميمونة لستة ايام خلون من ذي الحجة فلم يدخل مكة فقد
ذكر الشيخ الصفوي ان المنصور لما بلغه ان سفيان الثوري يشنع عليه في عدم
اقامته الحق فلما توجه المنصور الى الحج وبلغه ان سفيان بمكة ارسل امامه
جماعة وقال لهم حيث ما وجدتم سفيان خذوه واصلبوه فنصبوا الخشب
ليصلبوا سفيان عليه وكان سفيان بالمسجد الحرام راسه في حجر الفضيل ابن
عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له خوفا عليه يا ابا عبد الله
لا تشمت بنا الاعداء قم فاختف فقام ومشى حتى وقف بالملتزم وقال
ورب هذه الكعبة لا يدخلها يعني مكة المنصور وكان وصل الحجون فزلقت
به راحلته فوقع عن ظهرها وكان من فوره مخرج سفيان وصلى عليه هذا
كلامه ونقليا له مخالفة لما تقدم انه كان ببئر ميمونة لانه يجوز ان
يكون المراد بوصوله الى الحجون وصول خيله وركبه فليتامل فيه واخر الكلام
بن المنصور الامام بارك في تعالى • وكان يوثر عنده ولي الناس بالعفو اقدامهم
على العفو تيزوا نقص الناس عقله من ظلم من هو دونه والله اعلم • وتقدم
ان قصيا امر قريشا ان يبنوا حول الكعبة بيوتها فبنوا بيوتها من جهاتها
الاربع وتركوا قدر المطاف واستمر الامر على ذلك الى زمنه صلى الله عليه
وسلم وزمن ابي بكر الصديق رضي الله عنه فلما ولي عمر رضي الله عنه راى ان
يوسع حول الكعبة فاشترى دورا وهدمها ووسع حول الكعبة وبنى له
جدارا قصيرا على ذلك وصلى فيه ايام وسعة عثمان ثم عبد الله ابن
الزبير ثم ابن عبد الملك رفع الجدران وسقفه بالساج ثم ان الوليد ابن
عبد الملك نقض ذلك ونقل اليه الاساطين الرخام وسقفه بالساج •
المزخرف وازر المسجد بالرخام ثم زاد فيه المنصور ورخم الحجر ثم زاد فيه
المهدي اولا وثانيا حتى صارت الكعبة في وسط المسجد • وفي ايام المقتدر

ادخلت

وسميا بوتر عن المنصور

ادخلت دار الندوة في المسجد وتسمى مكة فاران وتسمى قرية النمل لكثرة نملها •
او لان الله سلط فيها النمل على العماليق لما اظهروا فيها الظلم حتى اخرجهم من
الحرم ولها اسماء كثيرة قد افردها صاحب القاموس بمؤلف • اقول وسالني
عن الامام النووي انه ليس في البلاد اكثر اسما من مكة والمدينة والله اعلم
قال وعن ابي هريرة خلقت الكعبة اي موضعها قبل الارض بالفي سنة
كانت حشفة على الماء عليها ملكان يسبحان فلما اراد الله ان يخلق الارض
دحاها منها فجعلها في وسط الارض • وسئل الجلال السيوطي عن قوله
تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام هل كانت
ايام موجودة قبل خلق السموات والارض فاجاب بان خلق الايام
كان دفعة واحدة من غير تقدم لاحدهما على الاخر واشد من ذلك لما ورد
التفسير وفي الحديث ان الله حرم مكة قبل ان يخلق السموات والارض
الحديث وجمعه بقوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه السلام
حرم مكة معناه انه اظهر حرمتها والله سبحانه وتعالى اعلم

باب ما جاء في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود والرهبان من النصارى والكهان

من العرب على السنة الجان وعلى غيرها السنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش
ومن بعض الاشجار وطرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط
النجوم وما وجد من ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر صفته في الكتب القديمة وما
وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرها • قال ابن اسحاق وكانت
الاحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم لما تقارب زمانه اما
الاحبار من يهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة
زمانه واما الكهان من العرب فجاءهم به الشياطين فيما يسترق من السمع اذ كانت
لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والمبعث وكان الكاهن والكاهنة
لا يزال يقع منهما ذكر بعض اموره ولا تلقي العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى
ووقعت تلك الامور التي كانوا يذكرونها فعرفوها وهذا ابيه تصريح بان
المراد بكثرة ما كانت تذكره صلى الله عليه وسلم في انها قبل وجوده فاما اخبار

وسمع الكتاب ابن الشيخ احمد الله

الاخبار من اليهود فيما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة وكان
من اصحاب بدر قال كان لنا جار يهودي من بني عبد الاشهل فذكر اي عند قوم
اصحاب اوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا
له ويحك يا فلان او ترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها
جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذي يحلف به ولود ان له
بحظه من تلك النار اعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقونه عليه بان
ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما اية ذلك قال نبي يبعث من نحو
هذه البلاد واشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الي وانا من احدثهم
سنا فقال ان يستنفد هذا اي يبلغ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة
والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو اي ذلك
اليهودي بين اظهرنا فامنا به وكفر هو بغيا وحسدا فقلنا له ويحك
يا فلان الست الذي قلت لنا فيه قلت قال بلى ولكن ليس به يعني الكلام

ومن ذلك ما جاء عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال رغبت عن
الهة قومي في الجاهلية اي تركت عبادتها قال فلقيت رجلا من اهل الكتاب من اهل
تيما اي وهي قرية بين المدينة والشام فقلت اني امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل
الحي ليس معهم اله فيخرج الرجل منهم فياتي باربعة احجار فينصب ثلاثة لقدره
اي يبنيها ويجعل احسنها الها يعبده ثم لعله يجد ما هو احسن منه شكلا قبل
ان يرتحل فيتركه وياخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو احسن منه
تركه واخذ ذلك الاحسن فرأيت انه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلني على خير
من هذا فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن الهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا
رأيت ذلك فاتبعه فانه ياتي بافضل الدين فلم يكن لي همة منذ قال لي ذلك
الا مكة فاتي فاسال هل حدث حادث فيقال لا ثم قدمت مرة فسالت فقيل لي
حدث رجل يرغب عن الهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتي برحلها
ثم قدمت منزلي الذي كنت انزل بمكة فسالت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت
قريشا عليه اشداء فتلطفت حتى دخلت عليه فسالته اي شيء انت قال نبي
قلت من نباك قال الله قلت وبما ارسلك قال بعبادة الله وحده لا شريك له
وبحقن الدماء وبكسر الاوثان وصلة الرحم وامان السبيل فقلت نعم ما ارسلك

خبر عمرو بن عبسة

به قد امنت بك وصدقتك اتامرني ان امكث معك او انصرف فقال الا ترى كراهة
الناس ما جئت به فلا تستطيع ان تمكث كن في اهلك فاذا سمعت بي قد خرجت
مخرجا فاتبعني فكنت في اهلي حتى خرج صلى الله عليه وسلم الى المدينة سرت اليه
فقدمت المدينة فقلت يا رسول الله اتعرفني قال نعم انت السلمي الذي جئتني
بمكة ومن ذلك ما حدث به عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا
ان مما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى لنا وهداه ما كنا نسمع من احبار
يهود كنا اهل شرك اصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت
لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب
زمان نبي يبعث الان نقتلكم قتل عاد وارم اي نستاصلكم بالقتل فكنا كثيرا
ما نسمع ذلك منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اجبناه حين دعانا الى الله
عز وجل وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فامنا به وكفروا به
ففينا وفيهم نزلت هذه الايات ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله
على الكافرين ومن ذلك ما حدث به شيخ من بني قريظة قال ان رجلا من يهود
من اهل الشام يقال له ابن الهيبان اي الجبان قدم الينا قبل الاسلام بسنين
فحل بين اظهرنا فوالله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس افضل منه اي لا اظن احدا
من غير المسلمين لان المسلمين يصلون الخمس فهي اصلية لا زائدة فاقام عندنا
فكنا اذا قحط المطر اي احتبس قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا
فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا
من تمر او مدين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا
فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة اي لا مرة
ولا مرتين ولا ثلاثا بل اكثر ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال
يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من ارض الخمر والخمير اي الخبز والادام المهيأ للتجر
اللين والخمير الى ارض البؤس والجوع فقلنا له انت اعلم قال انما قدمت
هذه الارض اتوكف اي اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه اي قرب قرب
كان الفترة اظلهم اي الفيء يظلهم ظله وهذه البلدة مهاجره وكنت ارجو
ان يبعث فاتبعه فقد اظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه

يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هدل بفتح الهاء
والدال المهملة المفتوحة وقيل بسكونها اخوة بني قريظة وهم ثعلبة
ابن سعية واسد بن سعية وقيل اسيد بالتصغير واسد بن عبيد وكانوا
شبانا احداثا يا بني قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا واسلموا فاحرزوا
دماءهم واموالهم واهليهم كما سياتي **ومن ذلك** خبر العباس رضي الله تعالى عنه
قال خرجت في تجارة الى اليمن في ركب فيه ابو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة
ابن ابي سفيان ان محمدا قائم في ابطح مكة يقول انا رسول الله ادعوكم الى الله
ففشى ذلك في مجالس اهل اليمن فجاءنا حبر من احبار اليهود فقال بلغني ان فيكم
عم هذا الرجل الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله
هل كان لابن اخيك صبوة قلت لا واله ولا كذب ولا خان وما كان اسمه
عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فاردت ان اقول نعم فخشيت من ابي
سفيان ان يكذبني فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت يهود
وقتلت يهود قال العباس فلما رجعنا الى منزلنا قال ابو سفيان يا ابا الفضل
ان يهود تفزع من ابن اخيك فقلت قد رايت لعلك ان تؤمن به قال لا اومن
به حتى ارى الخيل في كداء بالمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فمي الا اني اعلم
ان الله لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة ونظر ابو سفيان الى الخيل قد طلعت من كداء قلت يا ابا
سفيان تذكر تلك الكلمة قال اي والله اني لذاكرها **ومن ذلك** ما جاء
عن امية ابن ابي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة
نبي يبعث من بلادنا فكنت اظن اني هو وكنت اتحدث بذلك ثم ظهر لي انه
من بني عبد مناف فنظرت فلم اجد فيهم من هو متصف باخلاقه الا عتبة بن
ربيعة الا انه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت انه غيره قال ابو
سفيان فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم قلت لامية اما انه حق فاتبعه
فقال لي فانت تابعه قال الحياء من نسيات ثقيف اني كنت اخبرهن اني هو
ثم اصير تبعا لفتى من بني عبد مناف وسياتي ذلك بابسط من هذا **واما اخبار
الرهبان من النصارى** فمنها ما تقدم ذكره قال ومنها خبر طلحة بن عبيد

الله

الله رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا اهل هذا
الموسم هل فيكم احد من اهل الحرم فقلت نعم انا فقال هل ظهر احمد قلت ومن احمد قال
ابن عبد الله ابن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه اي الذي يبعث فيه
وهو اخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة وسباخ فاياك
ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت
ابا بكر بذلك فخرج ابو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك واسلم طلحة فاخذ نوفل بن العدوية ابا بكر وطلحة فشدهما
في حبل واحد فلذلك سميا القرينين انتهى • اقول يحتمل ان هذا الراهب هو بحيرا
ويحتمل ان يكون نسطورا لان كلا منهما كان ببصرى كما تقدم ويحتمل ان يكون غيرهما
لما تقدم ان كلا من بحيرا ونسطورا لم يدرك البعث والله اعلم **ومنها ما حدث**
به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل ابي العاص يوم بدر كنت في حجر عمي
ابان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا
الى الشام فمكث ثم قدم فاول شيء سال عنه ان قال ما فعل محمد قال له عمي
عبد الله ابن سعيد هو والله اعز ما كان واعلاه فسكت ولم يسبه كما كان
يسبه ثم صنع طعاما وارسل الى سراة بني امية اي اشرافهم فقال لهم اني كنت
بقرية فرايت بها راهبا يقال له بكا لم ينزل الى الارض منذ اربعين سنة
اي من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا اليه لينظروه فجئت فقلت ان لي حاجة
فقال ممن الرجل فقلت من قريش وان رجلا هناك خرج يزعم انه نبي ارسله
الله قال ما اسمه قلت محمد قال منذ كم خرج قلت عشرين سنة قال الا اصفه لك قلت
نعم فوصفه فما اخطا من صفته شيئا ثم قال لي هو والله نبي هذه الامة والله
ليظهرن ثم دخل صومعته وقال لي اقرا عليه السلام وكان ذلك في زمن الحديبية
والحديبية سياتي انها كانت سنة ست فالعشرون تقريب **ومنها** ما حدث
به حكيم بن حزام بالزاي رضي الله عنه قال دخلت الشام لتجارة قبل ان اسلم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فارسل الينا ملك الروم فجئناه فقال
من اي العرب انتم من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال حكيم بن حزام فقلت •
يجمعني واياه الاب الخامس فقال هل انتم صادقي فيما اسالكم عنه فقلنا نعم قال
انتم ممن اتبعه او ممن رد عليه قلنا ممن رد عليه وعاداه فسالنا عن اشياء مما جاء به

بدو امر سلمان الفارسي

بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرجناه ثم نهض واستنهضناه فاتى محلا في قصره وامر
بفتحه وجاء الى ستر وامر بكشفه فاذا صورة رجل فقال اتعرفون هذه صورة من
قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع ابوابها فتحها ويكشف عن صور الانبيا ويقول
لنا هذه صورة صاحبكم فنقول له فيقول هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن
صورة فقال اتعرفون هذه قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال
اتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا قال منذ اكثر من الف سنة وان صاحبكم
نبي مرسل فاتبعوه ولوددت اني عبده فاشرب ما يغسل من قدميه ووقع نظير
ذلك لجبير بن مطعم رضي الله عنه وانه راى صورة ابي بكر فقال من ذا الذي
اخذ بعقبه قلنا هو ابن ابي قحافة قال هل تعرف الذي اخذ بعقبه قلت نعم
هو عمر بن الخطاب قال اشهد ان هذا رسول الله وان هذا الخليفة بعده
وان هذا هو الخليفة من بعد هذا ومنها ما حدث به سلمان الفارسي رضي الله عنه
قال كنت رجلا فارسيا من اهل اصبهان من قرية يقال لها جي بفتح الجيم
وتشديد اليا اي وهي لفظ قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز
وفي لفظ ولدت برامهرمز وبها نشات واما ابي فمن اصبهان وكان ابي دهقان
قريته اي كبير اهل قريته وفي لفظ كنت من ابنا اساورة فارس وكنت احب
خلق الله الى ابي لم يزل حبه اياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية واجتهدت
في المجوسية حتى كنت قطن النار بفتح القاف وكسر الطا المهملة ويروى
بفتحها بمعنى قاطن خادمها الذي يوقدها لا يتركها تخبو اي تطفا ساعة
وكانت لابي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني شغلت
في بنياني هذا اليوم فاذهب اليها وامرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا
تحتبس عني فانك ان احتبست عني كنت اهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شي من امري
فخرجت اريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت
اصواتهم وهم يصلون فيها وكنت لا ادري ما امر الناس لحبس ابي اياي في بيته
فلما سمعت اصواتهم دخلت عليهم لانظر ماذا يصنعون فلما رايتهم اعجبتني صلاتهم
ورغبت في امرهم وقلت والله هذا خير من الدين الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم
حتى غربت الشمس وتركت ضيعة ابي فلم آتها ثم قلت لهم اين اصل هذا الدين
قالوا بالشام فرجعت الى ابي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته

قال

وفيما اجتمع عليه اهل الملل

قال اي بني اي شي كنت الم اكن عهدت اليك قلت يا ابت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم
فاعجبني ما رايت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال اي بني ليس في
ذلك الدين خير دينك ودين ابائك خير منه قلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافني
اي خاف مني ان اهرب فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته وبعثت الى النصارى
وقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني بهم فقدم عليهم تجار من النصارى
فاخبروني بهم فالقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت
من افضل اهل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة قال الاسقف بتخفيف الفا
وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته فقلت اني قد رغبت في
هذا الدين واحببت ان اكون معك فاخدمك في كنيستك واتعلم منك واصلي
معك قال ادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها
فاذا جمعوا اليه شيا اكتنزها لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب
وورق فابغضته بغضا شديدا لما رايته يصنع ثم مات فاجتمع النصارى ليدفنوه
فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يامركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها
اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيا فقالوا وما علمك بذلك قلت
انا ادلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال من ذهب وفضة وفي
رواية ووجدوا ثلاث قماقم فيها نصف اردب فضة فلما راوها قالوا والله
لا ندفنه ابدا فصلبوه ورجموه بالحجارة اي ولم يصلوا عليه صلاة ثم مع ان هذا
الراهب كان يصوم الدهر ولا ياتي النسا ولا ياكل شيا من الهوام ومن ثم قال
في الفتوحات المكية اجمع اهل كل ملة على ان الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا
ان الفراغ من الدنيا احب لكل عاقل خوفا على نفسه من الفتنة التي حذرنا
الله منها بقوله تعالى انما اموالكم فتنة هذا كلامه قال الشيخ عبد
الوهاب الشعراني ومن عوايد الرهبان انهم لا يدخرون قوت الغد ولا
يكنزون ذهبا ولا فضة . قال وكان شيخنا قال لو راهب انظر لي هذا
الدينار هو من ضرب اي الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدنيا بهم عند عندنا
قال ورايت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون
لنا انكشف علينا الرهبان فسالنا عن ذلك فقالوا انا اطلعنا على انه نقصا من قوطا
فقلت لهم ربط الدراهم مذموم فقالوا انه عندنا وعند نبيكم عليه الصلاة والسلام هذا كلامه

وعند ذلك للنجاة ابرجل اخر فجعلوه مكانه فما رايت رجلا لا يصلي الخمس ارا افضل منه اي
لا اظن احدا من غير المسلمين افضل منه ولا ازهد في الدنيا ولا ارغب في الاخرة ولا اداب
ليلا ونهارا منه فاحببته حبا شديدا فاقمت عنده زمانا ثم حضرته الوفاة قلت له
يا فلان اني كنت معك واحببتك حبا شديدا لم احبه شيئا قبلك وقد حضرك من امر الله
ما ترى فالى من توصيني قال اي بني والله ما اعلم احدا على ما كنت عليه لقد هلك
الناس وبدلوا وتركوا اكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو
على ما كنت عليه فلما مات وغيب اي ودفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري
وما امرني به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبه فاقمت
مع خير رجل فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا اوصى بي اليك وامرني باللحوق
بك فالى من توصي بي قال يا بني والله ما اعلم رجلا على ما كنا عليه الا رجلا
بنصيبين فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما امرني
به صاحبي فقال اقم عندي فاقمت عنده فوجدته على امر صاحبيه فاقمت مع
خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا كان
اوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تامرني قال يا بني والله ما اعلم بقي احد
على امرنا آمرك ان تاتيه الا رجلا بعمورية من ارض الروم فانه على مثل ما نحن عليه
فان احببت فاته فانه على امرنا فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته
خبري فقال اقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدي اصحابه وامرهم
فاكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ثم نزل به امر الله تعالى فلما احتضر
قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان وفلان اوصى
بي فلان وفلان اوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تامرني قال اي بني
والله ما اعلم احدا من الناس على ما كنا عليه امرك ان تاتيه ولكن قد اظل
زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى ارض بين حرتين
بينهما نخل به علامات ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة
فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات وغيب اقول وهذا
السياق يدل على ان الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى اربعة
ومن كلام السهيلي انهم ثلاثون ومن السور انهم بضعة عشر وان هذا اظهر
والله اعلم قال سلمان ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى ارض العرب

واعطيكم

واعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي قالوا نعم فاعطيتها لهم وحملوني معهم حتى اذا بلغوا بي وادي
القرى وهو محل من اعمال المدينة المنورة ظلموني فباعوني من رجل يهودي فمكثت عنده
فرايت النخل فرجوت ان تكون البلدة التي وصف لي صاحبي ولم يحق عندي اي
لم اتحقق ذلك فبينما انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة
فابتاعني منه وحملني الى المدينة فوالله ما هو الا ان رايتها فعرفتها اي
تحققتها بوصف صاحبي فاقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم واقام
بمكة ما اقام لا اسمع له بذكر مع ما انا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة
فوالله اني لفي عذق اي نخل لسيدي اعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي
اذ اقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة اي ولدي الاوس
والخزرج لان قيلة امهما فقد جاء ان الله امدهن باشد العرب السنا وازرعات
بابني قيلة الاوس والخزرج والله انهم الان لمجتمعون بقبا بالمد والقصر وربما قيل
قباة بالتانيث والقصر على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فلما سمعته
اخذتني العرواء وهي الحمى النافض اي الرعدة والبرحاء الحمى الغالب حتى ظننت
اني ساسقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب
سيدي ولكمني لكمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا اقبل على عملك فقلت لا شيء
انما اردت ان استثبته فيما قال وقد كان عندي شيء جمعته اي وهو محتمل لان يكون تمرا
ولان يكون رطبا فلما امسيت اخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بقبا فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك اصحاب
لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء كان عندي للصدقة فرايتكم احق به من غيركم
فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وامسك يده
فلم ياكل فقلت هذه واحدة اي ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ان هذه الصدقات
انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد والراجح من مذهبنا حرمة الصدقتين
عليه صلى الله عليه وسلم وحرمة صدقة الفرض دون النفل على الال وقال النووي
لا تحل الصدقة لال محمد لا فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لان مولى القوم منهم بذلك
جاء الحديث قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا هو ايضا محتمل لان يكون تمرا ولان
يكون رطبا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم واكل وامر اصحابه فاكلوا معه حين قلت هذه
هدية فقلت في نفسي هاتان ثنتان ومن ثم روى مسلم كان اذا اتي بطعام سال عنه فان قيل

اول من دفن بالبقيع

حديقة أكل منها وإن شئت فيما بعد قبرني بما علمها. قال سلمان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع
الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه أي وهي كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم بقبا لما قدم المدينة قيل وهو أول من دفن به وقيل أول من دفن به أسعد بن زرارة
وقيل أول من دفن به عثمان بن مظعون وجمع بأن أول من دفن به من المهاجرين عثمان وقد
كان في ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة وأول من دفن به من الأنصار كلثوم أو أسعد
وفي الوفيات مات كلثوم ثم من بعده أبو أمامة أسعد بن زرارة في شوال من السنة الأولى
من الهجرة ودفن بالبقيع هذا كلامه ولم يذكرا لو فقت النجمات فيه كلثوم. وفي النور
عن الطبري أن الأمان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بأيام قليلة. وأول من
مات من الأنصار البرا بن معرور ومات قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا
بشهر ولما حضرته الوفاة أوصى أن يدفن ويستقبل به الكعبة ففعلوا به ذلك ولما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبره هو وأصحابه وكبر أربعا
ولم أقف على صحة قوله وقولهم أن أول من دفن بالبقيع كلثوم يدل على أن البراء لم
يدفن بالبقيع إلا أن يراد الأولية بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة والظاهر
أن هذه أول صلاة صليت على القبر. قال سلمان وكان صلى الله عليه وسلم عليه
شملتان وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم
الذي وصف لي فألقى الردا عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فأكببت عليه أقبله وأبكي
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه
حديثي قال ابن عباس فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك
أصحابه. أي وفي شواهد النبوة لما جاء سلمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم
لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فأتي بترجمان تاجر
من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبي صلى الله عليه
وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودي وحرف الترجمة فقال للنبي
صلى الله عليه وسلم أن سلمان يشتمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا
الفارسي جاء ليؤذينا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك أي الذي ترجمه جبريل لليهودي فقال اليهودي يا محمد إن كنت تعرف
الفارسية فما حاجتك إلي فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أعلمها من قبل
والآن علمني جبريل فقال اليهودي يا محمد قد كنت أتهمك قبل هذا والآن قد

كمس

تحقق عندي أنك رسول الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ثم قال النبي
صلى الله عليه وسلم لجبريل علم سلمان العربية فقال له قل له يغمض عينيه ويفتح فاه
ففعل سلمان فتفل جبريل في فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربية الفصيحة هذا السياق
يدل على أن ذلك كان عند مجيئه في هذه المرة الثالثة وحينئذ يشكل مجيئه أولا وثانيا
انتهى. قال وقد اختلفت الروايات في الشيء الذي جاء به سلمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم
أولا وثانيا فالرواية الأولى المتقدمة ظاهرها يقتضي أنه تمر انتهى. وفي بعض الروايات
فسألت سيدي أن يهب لي يوما فعمل فعملت في ذلك اليوم على صاع أو صاعين من تمر
وجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته لا يأكل الصدقة سألت سيدي أن يهب لي
يوما آخر فعملت فيه على ذلك أي على صاع أو صاعين من تمر ثم جئت به النبي صلى الله
عليه وسلم فقبله وأكل منه والذي في كلام السهيلي كنت عبدا لامرأة فسألت سيدتي
أن تهب لي يوما الحديث وقد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن يكون عنى بسيده زوجة
سيده لأنه يقال لها سيدة في العرف بين الناس وقيل إن الذي جاء به أولا وثانيا رطب.
وفي رواية احتطبت حطبا فبعته واشتريت بذلك طعاما والطعام خبز ولحم وفي رواية
جئت بمائدة عليها رطب وفي رواية عليها رطب وجمع بأنه أولا قدم الخبز واللحم الذي هو البط
والثريد ثم قدم الرطب ثم يحتمل المقدم وفي مسند الإمام أحمد أن المرات الثلاث المقدم
فيها تمر انتهى. ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بدر وأحد فكان أول مشاهده الخندق كما سيأتي وكان بعد ذلك يقال له سلمان الخير
وكان معدودا من أصحابه صلى الله عليه وسلم قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أي ودية نخلة وزن
فسيلة وهي النخلة الصغيرة التي يقال لها أجنبيها له بالتفقير بالفاء ثم القاف
أي الحفر أي أحفر لها وأغرسها بتلك الحفيرة ونضع جنبه تلك الحفرة أي أحفر لها
وأغرسها بتلك الحفر أي وأتعهدها إلى أن تثمر وعلى أربعين أوقية من ذهب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل
بعشرين والرجل بخمسة عشر والرجل بعشر يعني الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة
ودية قال وفي رواية أنه كوتب على أن يغرس لهم خمسمائة فسيلة وعلى أربعين أوقية
قال سلمان فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر وفي رواية فنقر
أي بالنون أحفر لها فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي ففقرت وفي رواية

تغزون واما انتم اصحابي حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فاخبرته فخرج معي اليها
فجعلنا نقرب اليه الودي فيضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فما ماتت منها ودية
واحدة فاديت النخل وبقي علي المال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة
الدجاجة وفي رواية بمثل بيضة الحمامة من ذهب من بعض المعادن فقال
صلى الله عليه وسلم ما فعل الفارسي المكاتب فدعيت اليه فقال خذ هذه فادها
مما عليك يا سلمان اي تكون بعضا مما عليك قلت واين تقع هذه يا رسول الله
مما علي قال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فاخذتها فوزنت لهم منها والذي
نفس سلمان بيده اربعين اوقية فاوفيتهم حقهم وبقي عندي مثل ما اعطيتهم ه
والى هذه القصة اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله •
ووفى قدر بيضة من نضار • دين سلمان حين حان الوفاء •
كان يدعى قنا فاعتق لما • اينعت من نخيله الاقناء •
افلا تعذرون سلمان لما • ان عرته من ذكره العرواء •
قال سلمان وشهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وذكر البخاري
ان سلمان غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها
فعاشت كلها الا التي غرسها سلمان قال وهذا الحائط الذي غرس بيده لسلمان
من حوائط بني النضير وكان يقال له الميثب وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم كما يأتي
فان قيل اذا كان حقيقة كيف جاز له صلى الله عليه وسلم ان يأمر اصحابه ان يأكلوا مما جاء به
صدقة ويأكل هو وهم مما جاء به هدية والرقيق لا يملك وان ملكه سيده على الاصح
عند ائمتنا الشافعية بل وعند مالك فالاية قلنا يجوز ان يكون الرقيق كان في
صدر الاسلام يملك ما ملكه سيده ثم نسخ ذلك فلعل بعض اصحابنا يذهب الى صحته
وفي كلام السهيلي ان حديث سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك هذا كلامه
او ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم رقه حينئذ لان الاصل في الناس الحرية وفي
كلام السهيلي ان في خبر سلمان من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدي وكذلك
الصدقة وفي الحديث من قدم اليه الطعام فليأكل ولا يسأل لاجل الاسلام • وقد جاء انه
سئل منه انا اول لها وعيسى ابن مريم اخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها وعن العباس
قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال انظر هل ترى في السماء من شيء قلت نعم قال
ما ترى قلت الثريا قال اما انه يملك هذه الامة بعددها من صلبك اي وقد اختلف في

عدد نجوم الثريا فقيل سبعة انجم وقيل تسعة وجمع بينهما بان الاول يكون هو المرئي الغالب
لمن ليس حديد البصر والثاني يكون لحديد البصر واما المرئي له صلى الله عليه وسلم فقيل كان
يرى احد عشر نجما وقيل اثني عشر نجما وجمع بينهما بحمل الاول على ما اذا لم يمعن النظر والثاني على
ما اذا امعن النظر وحينئذ يقتضي هذا ان يكون الخلفاء من بني العباس اثني عشر وعن
سعيد ابن جبير عن ابن عباس يقول يكون منا ثلاثة اهل البيت السفاح والمنصور
والمهدي ورواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا والمهدي في هذه الرواية يحتمل ان
المراد به ابو الرشيد ويحتمل ان يكون المنتظر • وروى ابو نعيم بسند ضعيف انه صلى الله
عليه وسلم خرج فتلقاه العباس فقال الا ابشرك يا ابا الفضل قال بلى يا رسول الله
قال ان الله فتح بي هذا الامر وبذريتك يختمه وقد تقدمت ترجمة المهدي المنتظر بالتاريخ
في محل قال فيما • ولقد العواصم من الفتن القواصم • وقد ذكرت قصة سلمان على غير هذه
الوجه الذي تقدم عنه قال كان لي اخ اكبر مني وكان يتقنع بثوبه ويصعد الجبل يفعل
ذلك غير ما مرة متنكرا فقلت له اما انك تفعل كذا وكذا فلم لا تذهب بي معك فقال
انت غلام واخاف ان يظهر منك شيء قلت لا تخف قال في هذا الجبل قوم لهم عبادة
وصلاة يذكرون الله ويذكرون الاخرة ويزعمون انا على غير دين قلت فاذهب بي معك
اليهم حتى اتيناهم فاشار لهم قال اخي به مثلك فانتهينا اليهم فاذا هم ستة او سبعة
وكان الروح قد خرجت منهم من العبادة يصومون النهار ويقومون الليل يأكلون الشجر
وما وجدوا فقعدنا اليهم فحمدوا الله تعالى واثنوا عليه وذكروا من مضى من الرسل ومن
الانبياء حتى خلصوا الى عيسى ابن مريم فقالوا ولد بغير ذكر وبعثه الله رسولا وسخر
له ما كان يفعل من احياء الموتى وخلق الطير وابراء الاكمه والابرص فكفر به قوم
وتبعه قوم ثم قالوا يا غلام ان لك ربا وان لك معادا وان بين ذلك جنة ونارا
اليهما تصيرون ان هؤلاء القوم الذين يعبدون النيران اهل كفر وضلالة لا يرضى الله
بما يصنعون وليسوا على دين ثم انصرفنا ثم عدنا اليهم فقالوا مثل ذلك واحسن منه
فلزمتهم ثم اطلع عليهم الملك فامرهم بالخروج من بلاده فقلت ما انا بمفارقكم فخرجت
معهم حتى قدمنا الموصل فلما دخلوا حفوا بهم ثم اتاهم رجل من كهف جبل فسلم وجلس
فحفوا به فقال لهم اين كنتم فاخبروه فقال ما هذا الغلام معكم فاثنوا علي خيرا
واخبروه باتباعي اياهم ولم ار مثل اعظامهم له فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر من ارسله
الله من رسله وانبيائه وما لقوا وما صنع بهم حتى ذكر عيسى ابن مريم ثم وعظهم

عدد نجوم الثريا

ونقضيه سلمان البيضا

وقال اتقوا الله والزموا ما جاء به عيسى ولا تخالفوا فانه لكم ثم اراد ان يقوم فقلت
ما انا بفارقك فقال يا غلام انك لا تستطيع ان تكون معي اني لا اخرج من كهفي
هذا الا كل يوم احد قلت ما انا بفارقك فتبعته حتى دخل الكهف فما رايته
نائما ولا طاعما الا راكعا وساجدا الى الاحد الاخر فلما اصبحنا خرجنا
واجتمعوا اليه فتكلم نحو المرة الاولى ثم رجع الى كهفه ورجعت معه فلبثت
ما شاء الله ان يخرج كل يوم احد ويخرجون اليه ويعظهم ويوصيهم فخرج في احد
فقال مثل ما كان يقول ثم قال يا هؤلاء اني قد كبرت سني ورق عظمي وقرب اجلي
واني لا عهد لي بهذا البيت يعني بيت المقدس منذ كذا وكذا سنة فلا بد لي
من اتيانه فقلت ما انا بفارقك فخرجت معه حتى اتى بيت المقدس
فدخل وجعل يصلي وكان فيما يقول لي يا سلمان ان الله سوف يبعث رسولا
اسمه احمد يخرج من جبال تهامة علامته انه ياكل الهدية ولا ياكل الصدقة
بين كتفيه خاتم النبوة وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب فاما انا
فشيخ كبير لا احسبني ادركه فان ادركته انت فصدقه واتبعه فقلت
وان امرني بترك دينك وما انت عليه قال وان امرك ثم خرج من بيت
المقدس وعلى بابه مقعد فقال له ناولني يدك فناوله يده فقال قم
باسم الله فقام كانما نشط من عقال فقال لي المقعد يا غلام احمل علي
ثيابي حتى انطلق فحملت عليه ثيابه فذهب الراهب وذهبت في اثره
اطلبه كلما [illegible] عنه قالوا امامك حتى لقيني ركب من كلب فسالتهم
فلما سمعوا لغتي اناخ رجل منهم بعيره فحملني عليه وجعلني خلفه حتى اتوا
بلادهم فباعوني فاشترتني امراة من الانصار فجعلتني في حائط لها
اي بستان وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرت به فاخذت
شيئا من تمر حائطي ثم اتيته فوجدته ومعه اناس فوضعته بين يديه
فقال ما هذا قلت صدقة فقال للقوم كلوا ولم ياكل منه ثم لبثت ما شاء
الله ثم اخذت مثل ذلك واتيته فوجدت عنده اناسا فوضعته بين
يديه فقال ما هذا قلت هدية فقال بسم الله واكل واكل القوم فقلت
في نفسي هذه من اياته ونحتاج للجمع بين هذه الرواية وما تقدم على تقدير
صحتهما ونقل بعضهم الاجماع على ان سلمان عاش مائتين وخمسين سنة

وكان

وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان ياخذ من بيت المال في كل سنة خمسة
الاف وكان يتصدق بها ولا ياكل الا من عمل يده وكانت له عباءة يفترش بعضها
ويلبس بعضها • قال بعضهم دخلت عليه وهو امير على المداين وهو يعمل
الخوص فقلت له لم تعمل هذا وانت امير وهو يجري عليك رزق فقال اني
احب ان اكل من عمل يدي وربما اشترى اللحم وطبخه فدعا المجذومين فاكلوا
معه واول مشاهده الخندق كما تقدم وشهد بدرا واحدا قبل ان يعتق اي
وهو مكاتب فيكون اول مشاهده الخندق بعد عتقه والله سبحانه اعلم

واما اخبار الكهان له عن السنة الجان فكثيرة منها ما تقدم
في ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم وفي ايام رضاعه قال ومنها خبر عمرو بن
معدي كرب رضي الله عنه قال والله لقد علمت ان محمدا رسول الله قبل
ان يبعث فقيل له وكيف ذلك قال فزعنا الى كاهن لنا في امر نزل بنا فقال
الكاهن اقسم بالسماء ذات الابراج • والارض ذات الادراج • والريح ذات العجاج
ان هذا لامر اج • لعله من اجيج النار وهو الهابها • ولقاح ذات نتاج قالوا
وما نتاجه قال ظهور نبي صادق بكتاب ناطق • وحسام فالق قالوا واين يظهر
والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح • ويدعو الى الفلاح • ويعطل القداح • وينهى عن الراح
والسفاح • وعن كل امر قباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم • حافر زمزم
وعز سرمد وعصمه مكيد الخصم ومنها خبر قس بن ساعدة الايادي وهو اول
من قال البينة على المدعي واليمين على من انكر • واول من اتكى على عصا او قوس
او سيف عند الخطبة • وقيل ان اول من تكلم بان البينة على المدعي واليمين
على من انكر داود عليه السلام وان ذلك فصل الخطاب عن ابن عباس قال قدم
وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايكم يعرف القس ابن
ساعدة الايادي قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال
ما انساه بعكاظ على جمل احمر وهو يقول ايها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش
مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات • ان في السما لخبرا • وان في الارض لعبرا
مهاد موضوع • وسقف مرفوع • ونجوم تمور • وبحار تغور • اقسم قس قسما حتما
لئن كان في الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذي انتم
عليه ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا فناموا

فقاموا ثم قال صلى الله عليه وسلم ايكم يروي شعره فانشدوه قوله

في الذاهبين الاولين • من القرون لنا بصائر •
ورايت قومي نحوها • تسعى الاصاغر والاكابر •
لما رايت مواردا • للموت ليس لها مصادر •
لا يرجع الماضي الي ولا • من الباقين غابر •
ايقنت اني لا محالة • حيث صار القوم صائر •

ومن رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا في قومه والمقبل لذا الجارود لانه اغار على قوم من بني بكر بن وائل فجردهم اي اخذهم واموالهم جميعا والى ذلك اشار الشاعر بقوله

ودسناهم بالخيل من كل جانب • كما جرد الجارود بكر بن وائل •

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم يا جارود هل في جماعة وفدك عبد القيس من يعرف لنا قسا قالوا كلنا نعرفه يا رسول الله قال الجارود وانا بين يدي القوم كنت اقفو اي اتبع اثره كان من اسباط العرب اي من ولد ولدهم شيخا عمر سبعمائة سنة ادرك من الحواريين سمعان فهو اول من تاله اي تعبد من العرب اي ترك عبادة الاصنام • واول من قال اما بعد • وقيل اول من قالها كعب بن لوي • وقيل سحبان بن وائل • وقيل يعقوب • وقيل يعرب بن قحطان • وقيل داود وهي فصل الخطاب • ورد بانه لم يثبت انه تكلم بغير لغته اي وبعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذي اوتيه هو فصل الخصومة اي وهذا يوجب ما تقدم عنه ابدا ولعل قال البينة على المدعي واليمين على من انكر وتقدم ما فيه قال الجارود وكاني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب اجله وليوفين كل عامل عمله ثم قال

هاج للقلب من هواه ادكار • وليال خلالهن نهار •
وجبال شامخات رواسي • وبحار مياههن غزار •
ونجوم تلوح في ظلم الليل • نراها في كل يوم تدار •
والذي قد ذكرت دل على الله • نفوسا لها هدى واعتبار •

اول من قال اما بعد

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا جارود فلست انساه بسوق عكاظ اي وهو سوق بين نخلة والطائف كان سوقا لثقيف وقيس

عيلان

غيلان كان يقام على جمل اورق اي يضرب لونه الى السواد وهو يتكلم بكلام ما اظن اني احفظه وفي لفظ تكلم بكلام له حلاوة لا احفظه الان فقال ابو بكر يا رسول الله فاني احفظه كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا • واذا وعيتم فانتفعوا • من عاش مات • ومن مات فات • وكل ما هو ات ات • مطر ونبات • وارزاق واقوات • واباء وامهات • واحياء واموات • جمع وشتات • وايات بعد ايات • ان في السماء لخبرا • وان في الارض لعبرا • ليل داج • وسماء ذات ابراج • وارض ذات فجاج • وبحار ذات امواج ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون • ارضوا بالمقام فاقاموا • ام تركوا هناك فناموا • اقسم قس قسما حقا • لا كاذبا فيه ولا اثما • ان لله دينا هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه • ونبيا قد حان حينه وادرككم زمانه فطوبى لمن امن به فهداه • وويل لمن خالفه وعصاه • ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية • والقرون الماضية يا معشر اياد هي قبيلة من اليمن اين الاباء والاجداد • واين المريض والعواد • واين الفراعنة الشداد • اين من بنى وشيد • وزخرف ونجد اي زين وطول • وغره المال والولد • اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى • الم يكونوا اكثر منكم اموالا • واطول منكم اجالا • وابعد منكم امالا • طحنهم الثرى بكلكله اي بصدره • ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية • وبيوتهم خاوية • عمرتها الذئاب العاوية • كلا بل هو الله الواحد المعبود • ليس بوالد ولا مولود ثم انشد الابيات المتقدمة • قال وفي اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ فقال سيأتيكم حق من هذا الوجه واشار بيده الى مكة قالوا وما هذا الحق قال رجل ابلج احور من ولد لوي ابن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفدان فاذا دعاكم فاجيبوه ولو علمت اني اعيش الى مبعثه لكنت اول من يسعى اليه • وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة قال الحافظ ابن كثير هذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات القصة وقال الحافظ ابن حجر طرق هذا الحديث كلها ضعيفة وهو يرد قول ابن الجوزي في موضوعاته حديث قس بن ساعدة من جميع جهاته باطل انتهى • اقول وذكر في النور

خبر سواد بن قارب

ان في نقده فيهما يرشد الى النقد لكونه مرة حفظ عليه الصلاة والسلام
فهما كلامه لكن لا ادري اي المرتين كانت اول هذا الكلام ومن ثم قال
النسيان جايز عليه صلى الله عليه وسلم فيجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم
نسي كلامه حتى بعد الاخبار به او لا ويدل لذلك قوله لا ادري اني احفظه
الان اذ قبل الاخبار به فيكون خبره صلى الله عليه وسلم شاهدا من خبر ابي
بكر فلا دلالة في ذلك على النقد ووصف الجمل بانه احمر ووصفه بانه اورق
لا يدل على النقد لانه يجوز ان يكون شديد الحمرة يميل الى السواد وهو
الاورق فاخبر عنه بانه احمر مرة ومرة بانه اورق وقد جازم الله نسا
كان على بن ابي اسمعيل بن ابرهيم والله اعلم **ومن ذلك** خبر نافع الجرشي
نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة قبيلة من حمير يسمى
بهم بلدهم اي بطن من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب جاؤا الى كاهنهم في اسفل جبل
نزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس ثم رفع راسه
الى السما طويلا ثم قال ايها الناس ان الله اكرم محمدا واصطفاه . وطهر قلبه
وحشاه ومكثه فيكم ايها الناس قليل **واما اخبار الكهان على السنة**
الجان فكثيرة ايضا منها خبر سواد بن قارب رضي الله عنه وكان
يتكهن في الجاهلية وكان شاعرا ثم اسلم فعن محمد بن كعب القرظي قال
بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالسا اذ مر به رجل فقيل له يا امير
المؤمنين اتعرف هذا المار قال ومن هذا قالوا سواد بن قارب الذي اتاه
رئيه اي تابعه من الجن الذي يتراءى له اتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم
اي بعد ان قام عمر رضي الله عنه على المنبر اي منبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ايها الناس افيكم سواد ابن قارب فلم يجبه احد تلك السنة
القابلة ولعل ذلك لكونه في زمن الحج لزيادة من الافاق فقال ايها
الناس افيكم سواد ابن قارب قال بعضهم يا امير المؤمنين ما سواد ابن قارب
قال ان سواد ابن قارب كان بدو اسلامه شيئا عجيبا قال فبينا نحن
كذلك اذ طلع سواد بن قارب فارسل اليه عمر رضي الله عنه فقال له انت
سواد بن قارب قال نعم قال انت الذي اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم قال نعم قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد بن قارب
وقال ما استقبلني بهذا احد منذ اسلمت يا امير المؤمنين فقال يا سبحان الله
ما كنا عليه من الشرك وعبادة الاصنام اعظم مما كنت عليه من كهانتك
وفي رواية ان عمر رضي الله عنه قال اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على
شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى اكرمنا الله برسوله صلى الله
عليه وسلم وبالاسلام ثم قال لسواد اخبرني باتيان رئيك بظهور رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك
كيف كان قال نعم يا امير المؤمنين بينا انا ذات ليلة بين النائم
واليقظان اذ اتاني رئي فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب
فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتطلابها . وشدها العيس باقتابها .
تهوي الى مكة تبغي الهدى . ما صادق الجن ككذابها .
فارحل الى الصفوة من هاشم . ليس قدامها كاذنابها .

فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية اتاني
فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت
تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتخبارها . وشدها العيس باكوارها .
تهوي الى مكة تبغي الهدى . ما مؤمن الجن ككفارها .
فارحل الى الصفوة من هاشم . بين روابيها واحجارها .

فقلت دعني انام فاني امسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة اتاني
فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل
انه قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله
تعالى والى عبادته ثم انشا يقول

عجبت للجن وتحساسها . وشدها العيس باحلاسها .
تهوي الى مكة تبغي الهدى . ما خير الجن كانجاسها .
فارحل الى الصفوة من هاشم . واسم بعينيك الى راسها .

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي ثم اتيت المدينة وفي رواية حتى اتيت
مكة وهي كما قال البيهقي اقرب الى الصحة من الاولى اي لان الجن انما جاءت النبي صلى الله
عليه وسلم للايمان به في مكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله
وفي لفظ والناس حوله وفي لفظ والناس عليه كعرف الفرس فلما راني قال
مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت
شعرا فاسمعه مني فقال هات فانشات اي ابتدات اقول

اتاني نجيي بعد هدء ورقدة • ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة • اتاك رسول من لوي بن غالب
فشمرت عن ذيلي الازار ووسطت • بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد ان الله لا رب غيره • وانك مامون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة • الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك يا خير مرسل • وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة • سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رئي
ذلك الفرح في وجوههم اي وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه وقال افلحت يا سواد فوثب عمر رضي الله عنه فالتزمه وقال
لقد كنت اشتهي ان اسمع هذا الحديث منك فهل ياتيك رئيك اليوم
قال لا منذ قرات القران قال ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن
قال والسياق يدل على ان سيدنا عمر لم يكن حاضرا عند اتيانه النبي صلى الله
عليه وسلم لما اخبره سواد ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم وخشي
سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا فقال يا معشر دوس من سعادة
القوم ان يتعظوا بغيرهم ومن شقاوتهم ان لا يتعظوا الا بانفسهم وان من لم
ينفعه التجارب ضره ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون
اليوم بما سلمتم به امس ولا ينبغي لاهل البلية الا ان يكونوا اذكر من
اهل العافية للعافية ولستم اوري لعله يكون للناس جولة فان
يكن فالسلامة منها الا انا لو ابتليتم بها فاحبوها فاجابه القوم
بالسمع والطاعة ومن ذلك ما سمع من جوف الاصنام منها

اي غير ما تقدم في البلد ولادة النبي صلى الله عليه وسلم خبر عباس بن مرداس
قال كان لمرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها
الف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال لعباس ولده اي بني اعبد ضمارا فانه
ينفعك ويضرك فبينما عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

قل للقبائل من سليم كلها • اودى ضمار وعاش اهل المسجد
ان الذي ورث النبوة والهدى • بعد ابن مريم من قريش مهتد
اودى ضمار وكان يعبد مرة • قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان عباس بن مرداس
كان في لقاح له اذ طلع عليه راكب على نعامة نصف النهار وعليه ثياب بيض فقال
لي يا عباس الم تر ان السما قد كف احراسها وان الحرب قد جرعت انفاسها وان
الخيل وضعت احلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة
القصوى قال عباس فراعني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له ضمار كنا نعبده ونكلم
من جوفه فكنست ما حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه ويقول

قل للقبائل من قريش كلها • هلك الضمار وفاز اهل المسجد
هلك الضمار وكان يعبد مرة • قبل الصلاة على النبي محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى • بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فدخلت المسجد فلما راني رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم وقال
يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت واسلمت انا
وقومي ومن ذلك خبر مازن ابن الغضوبة قال كنت اخدم صنما بقرية بعمان
اي بالتخفيف يدعى سمايل وسما ديقا له باجر وفي لفظ باحر بالحاء المهملة
فعترنا ذات يوم عنده عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة
فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول يا مازن اسمع تسر • ظهر خير وبطن شر • بعث نبي
من مضر • بدين الله الكبر • فدع نحيتا من حجر • تسلم من حر سقر • قال مازن ففزعت
لذلك وقلت ان هذا العجب ثم عترت بعد ايام عتيرة لذلك الصنم فسمعت صوتا
من الصنم يقول اقبل الي اقبل • تسمع ما لا تجهل • هذا نبي مرسل فامن به كي تعدل
عن حر نار تشعل • وقودها بالجندل فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي • اقول

ورايت في بعض السير تقدم هذه الابيات غير هذا فيها وان مازنا قال ثم سمعت صوتا
ابين من الاول وهو يقول يا مازن اسمع الى خير واسمع اعلم قال مازن فبينما نحن كذلك
اذ قدم رجل من اهل الحجاز فقلنا ما وراك قال قد ظهر رجل يقال له احمد يقول لمن
اتاه اجيبوا داعي الله فقلت هذا نبا ما سمعته فثرت الى الصنم فكسرته جذاذا ثم
وركبت راحلتي واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح الله صدري واسلمت وقلت

كسرت باجر اجذاذا وكان لنا • ربا نطيف به ضلا بتضلال •
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا • ولم يكن دينه مني على بال •
يا راكبا بلغا عمرا واخوتها • اني لما قال ربي باجر قالي •

يعني بعمرو واخوتها بني خطامة وهي بطن من طي وهذه الابيات ساقطة
من اسد الغابة قال مازن فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب اي مغرى
به وبشرب الخمر وبالهلوك اي الفاجرة من النسا التي تتمايل وتتثنى عند
جماعها وقيل الساقطة على الرجال اي لشدة شبقها والحت علينا سنون
اي اعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذراري والعيال
وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد وياتيني بالحيا ويهب لي ولدا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراة القران وبالحرام
الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر اي الزنا عفة الفرج واته بالحيا
اي المطر وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني ما كنت اجد وتعلمت
شطر القران وحججت حججا واخصبت عمان يعني في زمنه وما حولها من قرى
عمان وتزوجت اربع حرائر ووهب الله لي حيان يعني ولده وقلت •

اليك رسول الله خبت مطيتي • تجوب الفيافي من عمان الى العرج •
لتشفع لي يا خير من وطي الثرى • فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج •
الى معشر خالفت في الله دينهم • فلا رايهم رايي ولا شرجهم شرجي •
وكنت امرءا بالخمر والعهر مولعا • شبابي حتى آذن الجسم بالنهج •
فبدلني بالخمر خوفا وخشية • وبالعهر احصانا فحصن لي فرجي •
فاصبحت همي في الجهاد ونيتي • فلله ما صومي ولله ما حجي •

قال مازن فلما رجعت الى قومي انبوني اي عنفوني ولاموني وشتموني وامروا
شاعرهم فهجاني فقلت ان هجوتهم فانما اهجو نفسي وتنحيت عنهم واتيت مسجدا

اتعبد

اتعبد فيه فكان لا ياتي هذا المسجد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ثم يدعو على من ظلمه
الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص او غيره الا عوفي ثم ان القوم ندموا
وطلبوا مني الرجوع اليهم فاسلموا كلهم وضعف هذا الحديث. واما ما سمع
من اجواف الذبايح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
كنا يوما في حي من قريش يقال لهم ال ذريح بالحا المهملة فقد نحروا عجلا لهم والجزار يعالجه
اذ سمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيا يا ال ذريح • امر نجيح • صايح يصيح • بلسان فصيح
يشهد ان لا اله الا الله اي والمراد بالذريح العجل الذي ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر
لمن لهم احمر ذريحي اي شديد الحمرة • والذي في البخاري يقول يا جليح امر نجيح •
رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح ايضا لانه جلح اي
كشف عنه جلده. واما ما سمع من الهواتف ولم يجي على السنة الكهان ولا سمع من جوف
الاصنام ولا من جوف الذبايح فكثير فمن ذلك ما حدث به بعضهم وذكره للنبي صلى الله
عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رايت عجبا من قس خرجت الى جبل الى حتى اذا
عسعس الليل اي ادبر وكاد الصبح ان يتنفس هتف بي هاتف يقول •

يا ايها الراقد في الليل الاجم • قد بعث الله نبيا بالحرم •
من هاشم اهل الوفا والكرم • يجلو دجنات الليالي والبهم •

فادرت طرفي فما رايت شخصا فانشات اقول •

يا ايها الهاتف في داجي الظلم • اهلا وسهلا بك من طيف الم •
بين هداك الله في لحن الكلم • من ذا الذي تدعو اليه نغتنم •

فاذا انا بحنحنة وقايل بصوت فصيح يقول •
ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور اي السرور
صاحب النجيب الاحمر اي الكريم من الابل • والتاج والمغفر • والوجه الازهر
اي الابيض المشرب بحمرة • والحاجب اي الجبين الاقمر اي الابيض • والطرف
الاحور اي شديد سواده • صاحب قول شهادة ان لا اله الا الله فذاك محمد
المبعوث الى الاسود والاحمر اهل المدر والوبر اي العجم والعرب ثم انشا يقول

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث • ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث •
صلى عليه الله ما حج له ركب وحث • والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله •
وكفتنا بمدحه الجن حتى • اطرب الانس منه ذاك الغنا •

اي اظهرت الجن او ما فنا الجبلة صلى الله عليه وسلم في صورة المدح والغنا الذي
تالفه النفس ولا تصبر عنه سماعها فتسمع لهتيره حتى اطرب لا نسي منه ان الغنا
الذي سمعوه من الجن قال فلما اصبح وافانا الفنيق يشقشق والفنيق
بفتح الفا وكسر النون وسكون المثناة تحت ثم قاف الفحل الكريم من الابل
ويشقشق بشينين معجمتين وقافين اي يهدر الى الوثن فنكث خطامه
ويلوث سنامه حتى اذا الغب بالعين المعجمة والموحدة اي تعب فنزلت في
روضة خضرا فاذا انا بقس ابن ساعدة في ظل شجرة وبيده قضيب من اراك
ينكت به الارض والنكت بالمثناة فوق وهو يقول •
يا ناعي الموت والملحود في جدث • عليهم من بقايا بزهم خرق •
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم • فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا •
حتى يعودوا بحال غير حالهم • خلقا جديدا كما من قبله خلقوا •
منهم عراة ومنهم في ثيابهم • منها الجديد ومنها المنهج الخلق •
قال فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام فاذا انا بعين خرارة اي لها خرير
اي صوت في الارض خوارة اي مشبعة ومسجد بين قبرين واسدين عظيمين
يلوذان به واذا باحدهما قد سبق الاخر الى الما فتبعه الاخر يطلب الما
فضربه بالقضيب الذي بيده وقال ارجع ثكلتك امك حتى يشرب الذي قبلك
فرجع ثم ورد بعده فقلت له ما هذان القبران قال هذان قبرا اخوين
كانا يعبدان الله عز وجل في هذا المكان لا يشركان بالله شيا اي اسم
احدهما سمعون والاخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها انا بين قبريهما
حتى الحق بهما ثم نظر الى قبريهما وانشا يقول ابياتا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اني ارجو ان يبعثه الله امة وحده
اي واحدا يقوم مقام جماعة كما تقدم وقد اشار الى الاصل بقوله •
وعند اخبر قس فوق مد قبله • حكى شانهم من ذكره نشقا •
ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة في قرية يقال لها دومة
من اعمال حلب وقبلها بنا واليه الناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام
ومن ذلك ما ذكره الواقدي باسناد له قال كان ابو هريرة يحدث ان قوما
من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى اصنامهم فبينما المتحاكمون

عنده لهم اذ سمعوا هاتفا يهتف ويقول هذه الابيات •
يا ايها الناس ذوو الاجسام • ومسندو الحكم الى الاصنام •
اما ترون ما ارى امامي • من ساطع يجلو دجى الظلام •
ذاك نبي سيد الانام • من هاشم من ذروة السنام •
مستعلن بالبلد الحرام • جاء يهد الكفر بالاسلام •
اكرمه الرحمن من امام •
قال ابو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثة حتى فجاهم
خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ظهر بمكة اي جاءهم ذلك بغتة فما اسلم الخثعميون
حتى استاخر اسلامهم وذلك واعتبروا بعدها اصنامهم **واما خبر زميل بن عمرو العدوي**
قال كان لبني عذرة وهي قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام بالخا المعجمة المضمومة
وتخفيف الميم وكانوا يعظمونه وكان في بني هند بن حرام بالحا المهملة المفتوحة
والرا وكان سادنه اي خادمه رجلا يقال له طارق قال في النور لا اعلم له
ترجمة ولا اسلاما وكانوا يعترون اي يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبي صلى الله
عليه وسلم سمعنا صوتا يقول • يا بني هند ابن حرام • ظهر الحق واودى خمام •
ودفع الشرك الاسلام • قال زميل ففزعنا لذلك وهالنا اي افزعنا فمكثنا
اياما ثم سمعنا صوتا يقول • يا طارق يا طارق • بعث النبي الصادق • بوحي ناطق
صدع صادع بارض تهامة • لناصريه السلامة • ولخاذليه الندامة • هذا الوداع
مني ليوم القيامة • ووقع الصنم لوجهه فانه كان ذلك الصوت من جوف الصنم ثم
ويرشد اليه قوله هذا الوداع مني ليوم القيامة قال زميل فابتعت راحلة
ورحلت حتى اتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وانشدته •
اليك رسول الله اعملت نصها • اكلفها حزنا وقوزا من الرمل •
لانصر خير الناس نصرا موزرا • واعقد حبلا من حبالك في حبلي •
واشهد ان الله لا شي غيره • ادين له ما اثقلت قدمي نعلي •
ومن ذلك خبر تميم الداري اي وكنيته ابو رقية اسم ابنة له لم يولد
له غيرها روي عنه صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال على المنبر
فقال حدثني تميم الداري وذكر القصة قال بعضهم وهذا اولى ما يخرجه المحدثون
في رواية الكبار عن الصغار وقد يكون من ذلك ما ذكر ان ابا بكر رضي الله عنه
مر يوما على بنته عائشة رضي الله عنها فقال لها هل سمعت من رسول الله صلى الله

عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر ان عيسى ابن مريم كان يعلمها اصحابه ويقول لو كان
على احدكم جبل ذهب دينا قضاه الله عنه قالت ثم يقول اللهم فارج الهم كاشف
الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما انت ترحمني
فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك وعن ابي بكر رضي الله عنه كان
علي دين وكنت له كارها فقلته فلم البث الا يسيرا حتى قضيته • قال
تميم الداري كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت
الى بعض حاجاتي فادركني الليل فقلت انا في جوار عظيم هذا الوادي •
فلما اخذت مضجعي اذا مناد ينادي لا اراه عذ بالله فان الجن لا تجير احدا
على الله فقلت ايم تقول وايم بتشديد الياء واسكانها وفتح الميم اي
اي شي تقول فقال قد خرج رسول الاميين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصلينا خلفه بالحجون اي وهو مقبرة مكة التي يقال لها المعلاة
كما تقدم واسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن ورميت بالشهب فانطلق
الى محمد صلى الله عليه وسلم فاسلم فلما اصبحت ذهبت الى دير ايوب فسالت
راهبه واخبرته فقال قد صدقوك يخرج من الحرم اي مكة ومهاجره الحرم
اي المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فتكلفت الشخوص اي
الذهاب حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت اقول وهذا ايدل
ظاهرا على ان تميم الداري اسلم بمكة قبل الهجرة فهو مما الكلام فيه كما ياتي
في تتمة الخبر وسرت الى مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا
فامنت به وراية بعضهم قال وهذه الرواية غلط لان تميم الداري انما اسلم
سنة تسع من الهجرة والله اعلم ومن ذلك ما حدث به سعيد بن جبير
رضي الله عنه ان رجلا من بني تميم حدث عن بدء اسلامه قال اني لاسير
برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وانختها ونمت
وتعوذت قبل نومي فقلت اعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرايت في
منامي رجلا بيده حربة يريد ان يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعا
فنظرت يمينا وشمالا فلم ار شيا فقلت هذا حلم ثم عدت فنمت وتعوذت
مثل ذلك واذا انا بناقتي ترعد ثم غفوت فرايت مثل ذلك فانتبهت فرايت
ناقتي تضطرب فالتفت فاذا انا برجل شاب كالذي رايته في منامي بيده حربة

ورجل

ورجل شيخ يمسك بيده يرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينما يتنازعان اذ طلعت ثلاثة اثوار من
الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ ايها شئت فدا لناقة جاري الانسي فقام الفتى فاخذ منها ثورا
وانصرف ثم التفت الي الشيخ وقال يا هذا اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل
اعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ باحد من الجن فقد بطل امرها فقلت
له ومن محمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي فقلت اين مسكنه قال يثرب ذات النخل
فركبت ناقتي وحثثت السير حتى اتيت المدينة فرآني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحدثني قبل ان اذكر له من شاني ودعاني الى الاسلام فاسلمت وهذا السياق يدل
على ان هذه القصة بعد الهجرة لا عند المبعث الذي الكلام فيه ونظير هذا ما حدث به
بعض الصحابة قال خرجت في طلب ابل لي وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز
هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت اعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يقول

ويحك عذ بالله ذي الجلال • منزل الحرام والحلال •
ووحد الله ولا تبالي • ما كيد ذي الجن من الاهوال •
اذ يذكر الله على الاحوال • وفي سهول الارض والجبال •
وصار كيد الجن في سفال • الا التقى وصالح الاعمال •
فقلت له يا ايها الهاتف ما تقول • ارشد عندك ام تضليل فقال •
هذا رسول الله ذو الخيرات • جاء بيس وحاميمات •
وسور بعد مفصلات • يامر بالصلاة والزكاة •
ويزجر الاقوام عن هنات • قد كن في الاسلام منكرات •

فقلت اما لو كان لي من يؤدي ابلي الى اهلي لاتيته حتى اسلم فقال انا اؤديها
فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وراى
فوافيت الناس يوم الجمعة وهم في الصلاة فاني انيخ راحلتي اذ خرج الي ابو ذر فقال
يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآني قال ما فعل الرجل
[illegible] الشيخ الذي ضمن ان يؤدي ابلك اما انه قد اداها سالمة وقد
قص الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ما كان عليه الناس قبل بعثته من
ان الانسان اذا نزل منزلا مخوفا قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر
سفهائه بقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن اي حين
ينزلون في اسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل اعوذ بسيد هذا الوادي من شر

سمعنا به فزادوهم رهقا اي زادوا الجن اي سادة لانهم استعاذوا بهم طغيانا فيقولون
سدنا الانس والجن ومن ذلك ما حكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى بابا هنيدة
كان قيلا من اقيال حضرموت وكان ابوه من ملوكهم قال وفدت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد بشر اصحابه بقدومي فقال يأتيكم وائل بن حجر من ارض
بعيدة من حضرموت راغبا في الله عز وجل وفي رسوله وهو بقية ابناء الملوك
قال وائل فما لقيني احد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم رحب بي وادناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فاجلسني
عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر
واقامني بين يديه ثم قال ايها الناس هذا وائل بن حجر اتاكم من ارض بعيدة
من حضرموت راغبا في الله وفي رسوله والاسلام فقلت يا رسول الله بلغني
ظهورك وانا في ملك عظيم فمن الله علي ان رفضت ذلك كله وآثرت دين الله
قال صدقت اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب
وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لي صنم من العقيق فبينا
انا نائم في الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من الجدع الذي به الصنم فاتيت
الى الصنم وسجدت بين يديه زمنا طويلا واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر • يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا يرجى من نحيت صخر • ليس بذي نفع ولا ذي ضر
لو كان ذا حجر اطاع امري •

قال فقلت اسمعت ايها الهاتف فماذا تأمرني به فقال

ارحل الى يثرب ذات النخل • تدين دين الصائم المصلي
محمد النبي خير الرسل •

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته
رفاتا ثم سرت مسرعا حتى اتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث • وفيه
ان كان الصوت من جوف الصنم فهو من غير هذا النوع ولولا لهذا احببت
مع معاوية تركناه للطول واما ما سمع من بعض الوحوش فمنه ما حدث
به ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا راع يرعى في الجزيرة اذ عدا من
الذئب لشاة من شياهه فجاء الراعي بين الذئب وبين الشاة فاقعى الذئب
على ذنبه فقال للراعي الا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله الي فقال الراعي

العجب من ذئب يكلمني بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب مني رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفي رواية بيثرب يحدث الناس بانباء ما قد
سبق وفي رواية يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم فساق الراعي شياهه
فاتى المدينة فقصه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي الا ان من اشراط الساعة
كلام السباع للانس والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل
شراك نعله اي وهو احد سيورها الذي يكون على وجهها وعذبة سوطه
اي طرفه ويخبره بما فعل اهله اي في غيبته فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال لله در الاعرابي اخبرهم فاخبرهم وفي رواية
ان راعي الغنم كان يهوديا وفي رواية ان الذئب قال له اعجب منك واقفا
على غنمك وتركك نبيا لم يبعث الله اعظم منه قدرا وقد فتحت له ابواب
الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا
الشعب فتصير في جنود الله فقال له الراعي من لي بغنمي فقال الذئب انا
ارعاها حتى ترجع فاسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم واسلم
وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها
وذبح للذئب شاة منها وفيما نصه وما تقدم من خبر سعيد بن جبير
كما علمت بعد الهجرة لا عند المبعث الذي الكلام فيه قال في النور هذا
الراعي لا اعرف اسمه قال وكلم الذئب غير واحد فانظرهم في تعليقي على البخاري
اقول ذكر في حياة الحيوان عن ابن عبد البر كلم الذئب من الصحابة رضي الله عنهم
منهم ثلاثة رافع ابن عميرة وسلمة بن الاكوع • واهبان بن اوس واما
ما سمع من بعض الاشجار فقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل
له ارايت قبل الاسلام شيئا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم
بينا انا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية اذ تدلى علي غصن من اغصانها حتى
صار على راسي فجعلت انظر اليه واقول ما هذا فسمعت صوتا من الشجرة
هذا النبي يخرج في وقت كذا وكذا فكن انت من اسعد الناس به والله اعلم
واما تساقط النجوم وطرد الجن بها عن استراق السمع فقد قال
ابن اسحاق لما تقارب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت

الشياطين من السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم
فعرف الجن ان ذلك لامر حدث من الله في العباد ويقول الله تعالى لنبيه حين
بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وانا لمسنا السماء اي طلبنا استراق السمع
فيها فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا اي ملائكة اقويا يمنعون
عنها وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع صالحة للسمع لخلوها عن
الحرس والشهب فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به
اي ومن يخطف الخطفة منهم يخفي حركته فيتبعه شهاب ثاقب فيقتله
او يحرق وجهه او يخبله قبل ان يلقيها الى الكاهن وذلك لئلا يلتبس
امر الوحي بشي من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضايه وموته
صلى الله عليه وسلم قيل ولذلك تدل الشهب على ضعف العقول فربما توهموا
عود الكهانة التي بينها استراق السمع وان امر رسالته صلى الله
عليه وسلم تم فانقطعت الكهانة جملة ثبت السماء حيا بنبيه صلى الله عليه وسلم
وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم • وقد حدث بعضهم قال
ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها ثقيف وانهم جاءوا الى
رجل منهم يقال له عمرو بن امية وكان ادهى العرب وانكرها رايا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا له يا عمرو الا ترى
ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم فقال بلى فانظروا فان كانت معالم
النجوم اي النجوم المشهورة التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانوا
من الصيف والشتاء هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك
هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها
فهو لامر اراده الله بهذا الخلق اي والنو بالهمز والنون هنا ما يحصل
عند سقوط نجم في المغرب وطلوع رقيبه من المشرق بينهما بعد من ساعة في كل
ثلثة عشر يوما وحقيقته النو سقوط النجم وطلوع رقيبه في المدة
المذكورة وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط
منها او الى الطالع منها فتقول مطرنا بنو كذا او سيأتي الكلام على ذلك
في غزوة الحديبية وفي رواية فامر اراده الله وبني يبعث في العرب فقد
تحدث بذلك لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك وذلك لما

مولده

اول العرب فزع للرمي

مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول لم يكن رجمت الا باكثرها كان قبل ذلك او ما دون
نبيه ولا تخفى دس ثم حدث بعضهم فقال لما حدث التسمية صلى الله عليه وسلم اي قريب من
زمن بعثته رجمت الشياطين بالنجوم ثم تكون ترمى به قبل فاتوا عبد ياليل بن
عمرو وهو يومئذ شيخ كبير وكشفوا لهم الامر في الصقع وكان اعمى فقالوا ان
الناس قد فزعوا وقد اعتقوا ارقاءهم وسيبوا انعامهم فقال لهم لا تعجلوا
وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف اي وهي التي يهتدى بها في البر والبحر
ويعرف بها الانوا فهي عند فنا الناس وان كانت لا تعرف فهو من حدث
فنظروا فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث • اي وقد روى مسلم انه صلى الله
عليه وسلم قال النجوم امنة السماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعدون
وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت انا اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة
لامتي فاذا ذهب اصحابي اتى امتي ما يوعدون فلم يلبثوا حتى سمعوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فما مكثوا الا يسيرا حتى قدم الطائف
ابو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي انه نبي مرسل وهذا
قد يخالف ما يأتي عن ابن عمرو لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب وكلام عمرو لعله تكرر سؤال ثقيف
مرة لعمرو بن امية ومرة لعبد ياليل وان كلا منهما كان اعمى ويحتمل اتحاد
الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سألوه فبعضهم سماه عمرو بن امية
وبعضهم سماه عبد ياليل بن عمرو وهذا كما ترى انما كان عند بعثته وبه يعلم
ما في قول الماوردي الذي نقله عن شيخ بعض شيوخنا النجم المسقط في معراجه
وافزه • وسببه اي رمي النجوم ان الله تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله
عليه وسلم رسولا كثر انقضاض من الكواكب قبل مولده ففزع اكثر العرب منها
وفزعوا الى الكاهن لهم ضرير وكان يخبرهم بالحوادث فسالوه عنها فقال لهم
انظروا البروج الاثني عشر فان انقض منها شي فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض
منها شي فسيحدث في الدنيا امر عظيم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
هو الامر العظيم يقتضي ان التي ادرك بعثته وولادته فكان ينبغي اسقاط قوله
قبل مولده لما علمت ان هذا اي كثرة تساقط النجوم انما كان عند بعثته وبعد
لا عند ولادته • وقد ضرب ابي لهب او لهيب ابن مالك اي من بني لهب فان بني

والنجوم امنة السما

وسبب رمي النجوم

ومن ضرب ابو لهب

فزع من الفزع ثقيف قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بابي
وامي نحن اول من عرف حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى
كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة والراء اخرها لكن تعلل في الوزن لا اعرف
له ترجمة ولا اسلاما وكان شيخا كبيرا قد اتت عليه مائتان وثمانون سنة وكان
من اعلم كهاننا فقلنا له يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فانا قد
فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ايتوني بسحر اي قبيل الفجر اخبركم الخبر ام
لامن او خوف فانصرفنا عنه يومنا فلما كان في وجه السحر اتيناه
فاذا هو قائم على قدميه شاخص في السماء بعينيه فناديناه يا خطر فاومى الينا
ان امسكوا فامسكنا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته
اصابه اصابه خامره عقابه عاجله عذابه احرقه شهابه زايله جوابه
يا ويله ما حاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت احواله
ثم امسك طويلا ثم قال يا معشر بني قحطان اخبركم بالحق والبيان اقسمت بالكعبة
والاركان والبلد المؤتمن السدان اي الخدام فقد منع السماء عتاة الجان
بثاقب بكف ذي سلطان من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل
والفرقان وبالهدى والقرآن تبطل به عبادة الاوثان قال فقلنا له
ويحك يا خطر انك لتذكر امرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال ارى لقومي ما ارى
لنفسي ان تتبعوا خير نبي الانس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث
من مكة دار الحمس بمحكم التنزيل غير اللبس والحمس بضم الحاء المهملة واسكان
الميم هم قريش وما ولدت من غيرها فانهم كانوا لا يزوجون بناتهم لاحد
من اشراف العرب الا على شرط ان يتحمس اولادهم فان قريشا من بين قبائل
العرب دانوا بالتحمس ولذلك تركوا الغزو لما في ذلك من استحلال الاموال
والفروج وكانوا التجارة ومن ثم يقال قريش الحمس سموا بذلك لتشددهم
في دينهم لان الحماسة هي الشدة فقلنا يا خطر وممن هو فقال والحياة والعيش
انه لمن قريش ما في حلمه طيش اي عدول عن الحق من قولهم طاش السهم عن الهدف
اذا عدل عنه ولا في خلقه هيش اي لبس في طبيعته وسجيته قول قبيح يكون
في جيش واي جيش من آل قحطان وآل ايش وآل قحطان هم الانصار قال
صلى الله عليه وسلم رجال الايمان دائرة في ولد قحطان وآل ايش قبيلة من

والحمس قريش

الجن

من الجن المؤمنين ينسبون الى ابيهم ايش شخص من كبراء الجن وقيل اراد بهم المهاجرين
اذ من المهاجرين الذين يقال لهم ايش لانه يقال في مقام المدح فلان ايش على معنى
اي شيء هو اي شيء عظيم لا يمكن من يعبر عن تعظيمه وصفا له ويروى بدل ايش
قريش فقلنا له بين لنا من اي قريش فقال والبيت ذي الدعائم بين الكعبة
والركن يعني الحجر الاسود والاحائم يعني بئر زمزم لان الاحائم جمع احوام وهو الماء
في البئر واراد بئر زمزم والحوام هي الطير التي تحوم على الماء والمراد حمام مكة انه لمن نسل
هاشم من معشر اكارم يبعث بالملاحم يعني الحروب وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان
اخبرني به الجان ثم قال الله اكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت
واغمي عليه فما افاق الا بعد ثلاث فقال لا اله الا الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة اي وحي وانه ليبعث يوم
القيامة امة وحده اي بمقام جماعة كما تقدم في نظيره ومن ذلك ما رواه مسلم عن ابن
عباس رضي الله عنهما عن نفر من الانصار قالوا بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم رمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون
في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية اي قبل المبعث قالوا يا رسول الله كنا
نقول حين نراها يرمى بها مات ملك وولد مولود مات مولود فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس كذلك ولكن الله تعالى كان اذا قضى في خلقه امرا سمعه
حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم بتسبيحهم فسبح من تحت ذلك فلا يزال
التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض مم سبحتم
فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذي كان اي يكون في الارض
فيهبط به من سماء الى سماء اي تقوله اهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا
فتسترقه الشياطين بالسمع واختلاس ثم ياتون به الى الكهان فيخطئون بعضا
ويصيبون بعضا اي وفي البخاري اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة
باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا
ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع فربما ادرك
الشهاب المستمع قبل ان يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقولهم قال الحق
اي لم يذكروه لما تقدم من قولهم قضى الله في خلقه كذا وكذا ولما ياتي وقوله
صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم للحراسة

في زمن الفترة بينه وبين عيسى عليهما السلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح
عن أبي بن كعب وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال إنهم ليسوا بشيء
قالوا يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحيانا بالشيء يكون حقا قال تلك الكلمة من
الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة ثم إن
الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم
فلا كهانة. وفي البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الملائكة تتحدث في العنان أي
الغمام بالأمر يكون في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن فيزيدون
مائة كذبة. وعن أبي بن كعب لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا
لعبد يا ليل الحديث. أقول وهذا يفيد أنه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه
وسلم أي قبل قرب الشامل لزمن الولادة فلا ينافي ما تقدم وأن النجوم كان
يرمى بها قبل أن يرفع عيسى وذلك صادق بزمن آدم فمن بعده من الرسل وهو
الموافق لقول الزهري الجني وتساقط النجوم كان موجودا قبل البعث في سائر
الأزمان أي في زمان الرسل لا في زمن الفترات بين الرسل لقول الكشاف
وقال بعضهم ظاهر الأحاديث يدل على أن الرجم للشياطين بالشهب كان في زمن غير
نبينا صلى الله عليه وسلم من الرسل وهو كذلك وعليه أكثر المفسرين حراسة
لما ينزل من الوحي على الرسل وأما في الزمن الذي ليس فيه رسول وهو زمن الفترة
بين الرسل فكانوا يسترقون السمع في مقاعد لهم ويلقون ما يسمعون للكهان
أي لأن الله ذكر فائدتين في خلق النجوم فقال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى إنا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وكونها جعلت رجوما وحفظا ليس
إلا عند قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم خاصة دون بقية الرسل من أبعد
البعيد وحيث كان الغرض من الرمي بالنجوم منع الشياطين من استراق السمع
انتفى ذلك أنه لم يرم بها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وسنذكر الأدلة
ويؤيد ذلك قول ابن إسحاق لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحضر مبعثه حجبت الشياطين وقول ابن عمر رضي الله عنهما لما كان اليوم الذي تنبأ
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكروا

لابليس

لإبليس ذلك فقال حدث أي لعله بعث نبي عليكم بالأرض المقدسة أي لأنها محل
الأنبياء وهذا يدل على أن عند إبليس أن الرمي بالنجوم علامة على بعثة نبي ثم
ذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج إبليس يطلبه بمكة أي لأنها مظنة
ذلك بعد محل الأنبياء فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا معه جبريل
فرجع إلى أصحابه فقال بعث أحمد ومعه جبريل. وفي رواية أن إبليس قال لما أخبروه
بأنهم منعوا من خبر السماء إن هذا الحدث حدث في الأرض فأتوني بتربة كل أرض فأتوه
بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فنظروا فإذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد بعث. أقول لا منافاة بين الروايتين لاحتمال أنهم لم
يخبروا ببعثته صلى الله عليه وسلم لما وجدوه فذهب اختبارهم بذلك للاستغناء
وهذا يفيد أن الرمي بالنجوم إنما كان عند مبعثه أي عند تقارب زمنه لا قبل ذلك
الزمن الذي بعد زمن ولادته. وقد أشار صاحب الهمزية إلى حجب الشياطين بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب • حراسا وضاق عنها الفضاء •
تطرد الجن عن مقاعد للسمع • كما تطرد الذئاب الرعاء •
فمحت آية الكهانة آيات • من الوحي ما لهن امحاء •

أي أرسل الله زمن إرساله صلى الله عليه وسلم الشعل من النار على الجن لأجل حراسة
السماء منهم ولكثرة تلك الشعل ضاق عنها المنافذ الواسعة حال كون تلك الشهب
تطرد الجن عن الأمكنة التي كانوا يقعدون فيها لأجل أن يسمعوا شيئا من الملائكة
المتكلمين بما سيقع في الأرض من المغيبات وطرد تلك الشهب لأولئك الشياطين
في الشدة كطرد الرعاة للذئاب عن الغنم إذا أرادت أن تعدو عليها فبسبب ذلك
الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت آيات من الوحي آية الكهانة التي هي الإخبار
بالأمور المغيبة ما لتلك الآيات من الوحي امحاء أي ذهاب بل هي باقية إلى يوم
القيامة فلزم على كون الغرض من الرمي بالنجوم حفظ الوحي أن ذلك لا يكون إلا
عند مبعثه صلى الله عليه وسلم ولا يكون قبل ذلك الوقت ولا بعده وأيضا لو كان
ذلك موجودا قبل مبعثه واستمر إلى مبعثه لم تفزع العرب منه عند مبعثه ويجوز
أن يكون الرمي بالنجوم عند البعث مخالفا للرمي بها قبله إما لفرط كثرتها وإما
لأن الرمي بها بعد البعث كان من كل جانب وقبله كان من جانب واحد وإما لأن
الرمي بها صار لا يخطئ أبدا وقبل ذلك كان يخطئ تارة ويصيب تارة أخرى

منهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله اي يصيبه بجنون فيمثل الناس حال البوادي
وكان ذلك سببا لفزع العرب لانه كان قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولا بكثير
ويخطي فتغدو الشياطين الى مكانه فيسترق ويلحق ما يسمعه فلذلك كان هذا الى ان لم
تنقطع الكهانة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بالمرة بل كانت موجودة الى حين
مبعثه وعند مبعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال لا كهانة اليوم وهذا الكلام
على تسليم رواية ابن عباس ان النجوم رمي بها عند ولادته صلى الله عليه وسلم
وحفظ الوحي بالرمي بالشهب لا يخالف ما حكاه في الاتقان عن سعيد بن جبير
ما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الا ومعه اربعة من الملائكة
حفظة وسيأتي من الينبوع ان جبريل لما نزل بالوحي ... الا وينزل معه من
الملائكة حفظة يحيطون به وبالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يوحى اليه يطردون
الشياطين عنهما لئلا يسمعوا ما يلقيه جبريل الى ذلك النبي من الغيب الذي
يوحيه اليه فيلقوه الى اوليائهم • وعن بعضهم قال كنت اسامر عن زوجتي
فلقيها شيطان في صورتي وكلمها وسايرها لا في التي تعرفها
حتى فلما قدمت من السفر لم تفرح بي ولم تتهيأ لي وكانت اذا قدمت من سفر
تتهيأ لي كما تتهيأ العروس فقلت لها في ذلك فقالت انك لن تغيب فينا
انا كذلك وقد ظهر ذلك الشيطان وقال لي انا رجل من الجن وقد عشقت
امرأتك وكنت اتيتها فلا تنكر ذلك واختر اما يكون لك الليل ولي النهار
او لك الليل ولي النهار فرضيت على ذلك ثم اخترت النهار فلما كان في بعض
الليالي جاءني وقال بت الليلة عند اهلك فقد حضرت نوبتي في استراق
السمع من السماء فقلت انت تسترق السمع قال نعم هل لك ان تكون معي قلت
نعم فلما جاء الليل اتاني وقال حول وجهك فحولت وجهي فاذا هو بي
صورة خنزير له جناحان فحملني على ظهره فاذا له معرفة كمعرفة الخنزير
فقال لي استمسك فانك ترى امورا واهوالا فلا تفارقني فتهلك
ثم صعد حتى لصق بالسماء فسمعت قائلا يقول لا حول ولا قوة الا بالله
ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فهوى بي فوقعت من وراء العمران مخطفا
الكلمات فلما اصبحت اتيت اهلي فلما كان الليل جاءني فاضطرب فلم ازل
اقولهن حتى صار رمادا وانه لم يختلط وقوع ذلك في زمن الجاهلية ولا كان

غريبة

كذبا

وفضل لا حول ولا قوة الا بالله

كذبا لانهم اجابوا ان القول عن ابراد ان القول بقدرة الجن على التطور بالامر رفع
الثقة بنبي فان من رأى نحو ذلك وجد احتمال انه جني فيشك ان اسد
تعالى تكفل بهذه الامة بعصمتها على ان يقع فيها ما يؤدي الى ما يترتب عليه ريبة
في الدين فليتأمل • وقد جاء في فضل لا حول ولا قوة الا بالله من كثرت
همومه وغمومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله والذي نفسي بيده ان
لا حول ولا قوة الا بالله شفاء من تسعة وتسعين داء ادناها الهم والغم والحزن
وفرق بين الهم والغم ان الغم يعرض منه السهر والهم يعرض منه النوم
وحكمة آل داود العافية ملك خفي والهم ساعة هرم سنة وقال الاطبا
الهم يوهن القلب وفيه ذهاب الحياة كما ان في الحزن ذهاب البصر
وفي الحديث من كثر همه سقم بدنه • فعلم ان النجوم كان يرمى بها قبل الولادة
وبعدها الى البعثة كانت قبل قرب زمن البعث تصيب تارة وتخطي اخرى
مع قلتها وعند البعثة تصيب ولا تخطي مع كثرتها وان الكثرة هي سبب الفزع
لا دوام الاصابة ولا مجرد دوام الاصابة لا يكون حاملا على الفزع لانه
لا يظهر لكل احد بخلاف الكثرة ومجرد الكثرة لا يكون سببا لقطع الكهانة
ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من في السماء فجعل صاحب
الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر كل يوم بقرة وصاحب الغنم ينحر كل يوم
شاة حتى اسرعوا في اموالهم اي في اتلافها فقالت ثقيف وكانت اعقل
العرب ايها الناس امسكوا عن اموالكم فانه لم يمت من في السماء الم ترون معالمكم
من النجوم كما هي والشمس والقمر كذا في كلام بعضهم ولعله لا يخالف ما تقدم
من ان اول العرب فزع للرمي بالنجوم ثقيف لجواز ان يكون ما ذكر صدر من
بعضهم لبعض ثم اجتمعوا على عمرو وعبد يا ليل والله اعلم • وظاهر القرآن
والاخبار ان الذي يرمي به الشياطين المسترقين نفس النجم وانه المعبر عنه
بالكوكب وبالمصباح وبالشهاب وقيل الشهاب عبارة عن شعلة نار تنفصل من النجم
اي كما قدمنا فاطلق عليها لفظ النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى
وجعلناها رجوما للشياطين اي جعلنا منها رجوما وهي تلك الشهب ومعنى كونها
حفظا باعتبار ما ينبث عنها من تلك الشهب وقالت الفلاسفة ان الشهب انما
هي اجزاء نارية تحصل من الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار

دون الفلك وقيل السحاب اذا اصطكت اجرامه تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشي الا اتت
عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود فقد حكي انها سقطت على نخلة فاحترقت نحو
النصف ثم طفيت قاله في الكشاف • ومما يويد ان الشعلة منفصلة من النجوم ما
من سلمان الفارسي رضي الله عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة في السماء الدنيا
كتعليق القناديل بالمساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدي
الملائكة ويشهد لهذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت
ان انتثارها يكون بموت من يحملها من الملائكة وقيل انها ثقب في السماء
وقد وقع في سنة ثلاث وستين من القرن السادس ان النجوم ماجت
وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وفزع الخلق فلجئوا الى الله
تعالى بالدعاء ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقول وقد وقع ذلك في سنة احدى واربعين من القرن الثالث ماجت النجوم
في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد اكثر الليل وكان امرا عجيبا لم ير مثله ووقع
في سنة ثلاث ومايتين تناثرت النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله تعالى اعلم

ومن الوقايع الغريبة

واما ما جا من ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر اسمه وصفة امته

في الكتب القديمة اي كالتوراة المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام لست
ليال خلون من رمضان اتفاقا والانجيل المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام
لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان والزبور المنزل على داود عليه الصلاة
والسلام لثنتي عشرة او لثمان عشرة او ثماني عشرة او لست خلت من رمضان وصحف
شعيا ويقال لها شعيا اي ومزامير داود وصحف شيث فقد انزلت عليه خمسون
صحيفة وقيل ستون وصحف ابراهيم فقد انزلت عليه عشرون صحيفة وقيل
ثلاثون اول ليلة من رمضان اتفاقا وفي كتاب شيث ولم يذكر صحف
ادريس وقد انزلت عليه ثلاثون صحيفة وذكر بعضهم ان موسى انزل عليه قبل
التوراة عشرون صحيفة وقيل عشر صحايف وهذا الا لا يخفى يزيد على ما اشتهر
ان الكتب المنزلة مائة واربع كتب وفي كلام بعضهم انهم نقصوا الحلال
القرآن انزل لاربع وعشرين ليلة خلت من رمضان وعلى اي فلابد انزلت
الكتب كاملة ليلة اربع وعشرين من رمضان وحينئذ يكون من قال الاتفاق في
التوراة وصحف ابراهيم لم يطلع على هذا او لم يعتد به وقد اشار الى ذكره صلى

الله

الله عليه وسلم في جميع الكتب المنزلة الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله •
وفي كل كتب الله نعتك قد اتى • يفيض علينا مثل ذا تجد مثلة •
وهذا كما لا يخفى ابلغ واتم من قول بعضهم ايضا في قوله •
ومن قبل بعثته جاءت مبشرة • به زبور وتوراة وانجيل •
وقد اعترض على هذا القائل بعض الاغبياء بان التوراة والانجيل قد صحت
بشارتهما به صلى الله عليه وسلم واما الزبور فلا ندري ولا نقول الا ما نعلم ورده
ما ذكره السبكي وسنذكره قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين اي كتبهم فقد قال
بعض المفسرين ان الضمير عائد الى النبي صلى الله عليه وسلم لان الاما قد حبب
لا يمد تحمل على العموم وسياتي التصريح بوجود اسمه في الزبور • وقد جاء ان
اسمه في التوراة احمد يحمده اهل السماء والارض كما تقدم • وفيها ايضا محمد واسمه فيها
ايضا حميطا وقيل حمطايا اي يحمي الحرم من الحرام واسمه في التوراة ايضا قدمايا
اي الاول السابق • واسمه فيها ايضا بيذ بيذ • واسمه فيها احيذ وقيل احيد
اي يحيد امته من النار • واسمه فيها طاب طاب اي طيب • واسمه فيها كما في الشفا
محمد حبيب الرحمن ووصف فيها بالضحوك اي طيب النفس وفيها محمد بن عبد الله
مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة اي على زعم ان تكون
اسما عربيا ماخوذة من التوراة وهي كتمان السر بالتعريض لان اكثرها معاريض
من غير تصريح • واسمه في الانجيل الحمنا والحمنا بالسريانية محمد وفي الانجيل
ايضا اسمه حنطا اي يفرق بين الحق والباطل ووصف بانه صاحب المدرعة
وهي الدرع وفيه ايضا وصفه بانه يركب الحمار والبعير وسياتي ان راكب
الحمار عيسى وراكب الجمل محمد صلى الله عليه وسلم واسمه في الانجيل ان احببتموني
فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ربي فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيكم
ما لم اذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطية ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه
ما يسمع يكلمهم ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب والبارقليط اذ
النار قليط الحكيم او الرسول قيل والانجيل على هذا ان يكون اسما عربيا
ماخوذ من النجل وهو الخروج ومنه سمي الولد نجلا لخروجه او مشتقا من النجل
وهو الاصل يقال لعن الله ناجليه اي اصوله فسمي هذا الكتاب باسمه لانه الاصل
المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من النجلة وهي سعة العين لانه انزل وسعة لهم

خبر النعمان السبائي

اي لا تنفيذ عليهم بعض ما حرم عليهم • ومن ذلك ما جاء عن عطاء بن يسار قال لقيت
عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في التوراة فقال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ اي سيء الخلق ولا غليظ اي شديد القول
ولا صخاب بالصاد والسين في الاسواق اي لا تصيح فيها ولا يدفع السيئة
بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اي
ملة ابراهيم التي غيرتها العرب واخرجتها عن استقامتها بان يقولوا لا اله
الا الله ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا اي لا تفهم كانها في
غلاف قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما اختلفا في حرف
منها وصفته صلى الله عليه وسلم يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل
عليه الا حلما • وفي التوراة لا يزال الملك في يهودا الى ان يجيء الذي اياه
تنتظر الامم اي محمد اي لا يزال امرهم ظاهرا الى ان يجيء الذي تنتظره الامم
اي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه المرسل لجميع الامم وما
زعمه اليهود بانه يوشع رد بنص التوراة في محل اخر ان الله ربكم يقيم نبيا
من اخوتكم مثلي من اخوتكم واجعل كلامي فيه واما انسان لم يطع كلامه
انتقم منه لان قوله مثلي اي رسولا بكتاب مشتمل على الاحكام والشرائع
وذكر المبدا والمعاد لان يوشع لم يكن له كتاب بل كان متابعا لشريعة موسى
في بني اسرائيل وايضا يوشع منهم لا من اخوتهم وما زعمه النصارى
انه المسيح رد عليهم بنصوص الانجيل التي فيها ان الله يقيم لكم نبيا من اخوتكم
لان المسيح ليس من اخوتهم لانه من نسل داود • ومن ذلك ما جاء عن النعمان
السبائي رضي الله عنه وكان من احبار يهود باليمن لما سمعت بذكر النبي صلى الله
عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن اشياء قلت له ان ابي كان يختم
على سفر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت
به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك
كما اراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه انت خير الانبياء
وامتك خير الامم واسمك احمد صلى الله عليه وسلم وامتك الحمادون اي

يحمدون

ما كان في العمائم

يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم اي يتقربون الى الله تعالى باراقة دمائهم
في الجهاد واناجيلهم في صدورهم اي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم
يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على افراخه ثم قال لي اذا جاءك فاخرج اليه
وامن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من اوله فرئي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ثم قال اشهد اني رسول الله وقتل النعمان
هذا قتله الاسود العنسي الذي ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول
ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر ثم احرقه بالنار ولم يحترق كما
وقع للخليل عليه السلام وقيل الذي احرقه الاسود العنسي بالنار ولم يحترق
هو ذويب بن كليب او ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال
لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل وهذا
السفر يحتمل ان يكون ملحقا من التوراة وقوله الا وجبريل معهم يدل على ان
جبريل يحضر كل قتال صدر من الصحابة للكفار بل ظاهره كل قتال صدر من جميع
الامة **وفي التوراة في صفة امته** صلى الله عليه وسلم زيادة على
ما سبق يوضئون اطرافهم ويأتزرون في اوساطهم يصفون في صلاتهم كما
يصفون في قتالهم وقد جاء يأتزرون كما رأيت الملائكة اي ليلة الاسراء
تأتزر اي مؤتزرة عند رؤيتها الى انصاف سوقها • وقد جاءكم بالعمائم
وارخوها خلف ظهوركم فانها سيما الملائكة وكلامها اي لا يبرزون ارخاها
العذبة من خصائص هذه الامة • وقد جاء ان العمائم تيجان المسلمين وحلوا ابنة
من سيما المسلمين اي علامة ما عمتم المميزة لهم عن غيرهم ويوضئون وصفهم انهم
يوضئون اطرافهم ان الامم السابقة كانوا لا يتوضئون ويوافقه قول
الحافظ ابن حجر ان الوضوء من خصائص الانبياء دون اممهم الا هذه الامة
ويوافقه ما رواه ابن مسعود مرفوعا يقول الله تعالى افترضت عليهم ان
يتطهروا في كل صلاة كما افترضت على الانبياء اي يكونوا طاهرين او ان هذ
وجوب التطهير لكل صلاة كان في صدر الاسلام ولم ينسخ الا في فتح مكة
كما سياتي ويخالف كون الوضوء خاصا بهذه الامة ما رواه الطبراني
في الاوسط بسند فيه ابن لهيعة عن بريدة قال دعا رسول الله صلى الله

والوضوء من خصائص [illegible]

عليه وسلم توضأ مرة واحدة فقال هذا الوضوء الذي لا يقبل الله
الصلاة إلا به ثم توضأ مثنى مثنى فقال هذا وضوء الأمم قبلكم ثم توضأ
ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي فإن هذا يفيد أن
الوضوء كان للأمم السابقة لكن مرتين وللأنبياء كان ثلاثا ثلاثا وعليه
فالخاص بهذه الأمة التثليث كوضوء الأنبياء أي كما خصت هذه الأمة
عمن عداها بالغرة والتحجيل وعلى هذا يحمل قول ابن حجر الهيتمي إن الوضوء
من خصائص هذه الأمة بالنسبة لبقية الأمم لا للأنبياء • وفي كلام ابن
عبد البر فقال إن سائر الأنبياء والأمم كانوا يتوضؤون ولا أعرفه
من وجه صحيح وفي كلام ابن حجر والذي من خصائصنا إما الكيفية
المخصوصة أو الغرة والتحجيل هذا كلامه وهو يفيد أن كون الكيفية
المخصوصة ومنها الترتيب من خصائصنا غير مقطوع به بل الأمر فيه على
الاحتمال ولا يخفى أن الإشارة في قوله صلى الله عليه وسلم هذا وضوء
الأمم يدل على الترتيب فهذا استند إليه أئمتنا على وجوب الترتيب
بأنه صلى الله عليه وسلم لم يتوضأ إلا مرتبا باتفاق أصحابه ولو كان
جائزا لتركه في بعض الأحايين • ومما عورض به علمائنا دعوى الاتفاق
بأنه جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه وصف وضوءه صلى الله عليه وسلم
فتوضأ فغسل وجهه ثم يديه ثم رجليه ثم مسح رأسه أجيب عنه
بضعف هذه الرواية وعلى تقدير صحتها يجوز أن يكون ابن عباس نسي
مسح الرأس فذكره بعد غسل رجليه فمسحه ثم أعاد غسل رجليه والأولى
عن ابن عباس لم يقف على إعادة ابن عباس غسل رجليه • وفي التوراة
في وصف أمته صلى الله عليه وسلم دوي بهم في مساجدهم كدوي النحل وفي
رواية أصواتهم في الليل في جوها كأصوات النحل رهبان بالليل ليوث
بالنهار إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة واحدة وإن عملها كتبت
عليه سيئة واحدة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب
الأول أي وهو التوراة أو جنس الكتب السابقة والآخر أي وهو القرآن
وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح قال الله تعالى لعيسى عليه السلام يا عيسى إني
باعث من بعدك نبيا أمته إذا أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وإن أصابهم
ما يكرهون

قصة شعيا عليه السلام

ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون ذلك ولا علم ولا
حلم قال أعطيهم من حلمي وعلمي قال وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم
لهم كاملا وأن الله تعالى يكمل حلمهم وعلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك
ما ذكره بعضهم أن هذه الأمة أجل الأمم فكان الحلم والعلم الذي قسم بين
الأمم كما يشهد به حديث إن الله قسم بينكم أخلاقكم فقد دق جدا فلم يدرك
هذه الأمة منها إلا اليسير من ذلك مع قصر أعمارهم فأعطاهم الله من حلمه وعلمه
وجاء أنهم يسمون في التوراة صفوة الرحمن وفي الإنجيل حلماء علماء أبرارا أتقياء
كأنهم من الفقه أنبياء • وفي الطبراني أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار
كيف تجدني في التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف
في الله لومة لائم ثم زاد عن جواب السؤال فقال ثم الخليفة من بعدك
تقتله أمة ظالمة ثم يقع البلاء بعد • وفي صحف شعيا أحمد صلى الله
عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها أني باعث نبيا أميا أفتح به آذانا
صما وأعينا عميا وقلوبا غلفا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام
رحيما بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة ويبكي لليتيم في حجر الأرملة لو يمر
إلى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشي على القصب الرعراع
يعني اليابس لم يسمع من تحت قدميه إلى آخر الرواية فإن فيها طولا •
وشعيا فيما ذكره الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى ونبيا هذا كان بعد
داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام ولما نهى بني
إسرائيل عن ظلمهم وعتوهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت
له ودخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدب ثوبه فأبرزها فلما
رأوا ذلك جاءوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها
وكان من جملة الرسل الذي عناهم الله بقوله تعالى وقفينا من بعده
أي موسى بالرسل وهم سبعة وهو ثالثهم أي وهو المبشر بعيسى ومحمد
عليهما الصلاة والسلام فقال يخاطب بيت المقدس لما شكى له الخراب
وإنما الحبيب فيه البشر يأتيك راكب الحمار يعني عيسى وبعده راكب
الجمل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وتقدم في وصفه صلى الله عليه وسلم
أنه يركب الحمار والبعير وقد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن يكون عيسى

اخفى بركوب الحمار عليه في محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان يركبهما هذا تارة و
وهذا الحرى فيلينا تكد ومن جلهنم ادبا وهو الحفر والله اعلم • واسمه
صلى الله عليه في الزبور حاطاطا والعلاج الذي يمحق الله به الباطل
وفارق وفاروق اي يفرق بين الحق والباطل وهو كالمتقدم معنى فارقليط
اي بارقليط بالتاء في الاول والموحدة في الثاني وقيل معناه الذي
يعلم الاشياء الخفية • وفي الينبوع من الاسماء الذي ذكروها لانهم
يعني النصارى وترجموها على اختيارهم ان المسيح عليه السلام قال
اني سالت الله ان يبعث اليكم بارقليط اخر يكون معكم الى الابد
وهو يعلمكم كل شي ويبين لكم الاسرار وهو يشهد لي كما شهدت له
ويكون خاتم النبيين ولم يشهد له بالنبوة والصدق في النبوة بعده
الا محمد صلى الله عليه وسلم • ونذكر صاحب الدر المنظم باسناد
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر يا عمر اتدري من انا انا الذي
بعثني الله في التوراة لموسى وفي الانجيل لعيسى وفي الزبور لداود
ولا فخر اي لا اقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث
بالنعمة يا عمر اتدري من انا اسمي في التوراة احيد وفي الانجيل
بارقليط وفي الزبور حاطاطا وفي صحف ابراهيم طاب طاب
ولا فخر • وفي صحف شيث احوناخ ومعناه صحيح الاسلام وهذا ايضا لعله
مواميد وادود سنحه مختلفة بالزيادة والنقص • وفي صحف ابراهيم
اسمه يوذموذ وقيل انه ذكر في التوراة ولا مانع من وجوده فيها • وفي
كتاب شعيب عبدي الذي يثبت شانه انزل عليه وحيي فيظهر في الامم
عدلي لا يضحك اي يصخب رفع الصوت ومن ثم قال ولا يسمع صوته في الاسواق
لا ان ضحكه كان التبسم يفتح العيون العمى ويسمع الاذان الصم ويحيي القلوب
الغلف وما يعطيه لا اعطيه احدا • وذكر ابن ظفر ان في بعض كتب الله
المنزلة اني باعث رسولا من الاميين اسدده بكل جميل واهب له كل خلق
كريم واجعل الحكمة منطقه والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف
خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته ارفع به من الوضيعة
واهدي به من الضلالة واولف به بين قلوب متفرقة واجعل امته خير

الامم

نقش خاتم سليمان عليه السلام

الامم **واما ما جا مما يدل على وجود اسمه الشريف** اعني لفظ محمد
مكتوبا في الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بتعظيم القدرة فكثير من
ذلك ما جا عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله
قال المراد فص خاتمه وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعا ان
فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا اي من السما القي اليه فوضعه في
خاتمه اي وكان به انتظام ملكه وكان نقشه انا الله لا اله الا انا ومحمد
عبدي ورسولي وحينئذ يكون ما تقدم عن جابر وما ياتي يجوز ان يكون
روي بالمعنى وكان ينزعه اذا دخل الخلا واذا جامع وكان عند نزعه
ينكر عليه امر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه • وقايس
الجليلة كان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد
عبده ورسوله **ووجد** على بعض الحجارة القديمة محمد تقي مصلح وسيد امين
وفي جامع مدينة قرطبة بالمغرب عمود احمر مكتوب عليه بقلم القدرة
محمد • وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة قال يا رب اسالك بحق محمد الا غفرت
لي قال وكيف عرفت محمدا وفي لفظ كما في الوفا وما محمد ومن محمد قال
لانك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت
على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم
تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك قال صدقت يا ادم ولولا محمد
ما خلقتك ابدا وفي لفظ كما في الشفا قال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى
عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس
احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي
وجلالي انه لاخر الانبيا من ذريتك ولولاه ما خلقتك • وفي الوفا عن
ميسرة قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال لما خلق الله الارض واستوى
الى السما فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول
الله خاتم الانبيا وخلق الجنة التي اسكنها ادم وحوى وكتب اسمي على ابوابها
بالنبوة ادبها هو احسن ... وهو الرسالة علما هو المعهود على الابواب

والادران والقتاب والخيام وادم بين الروح والجسد اي قبل ان تدخل الروح
جسده فلما احياه الله نظر الى العرش فراى اسمي فاخبره الله انه سيد ولدك فلما
غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي اليه اي فقد وصفه صلى الله عليه وسلم
بالنبوة قبل وجود • وفيه ايضا عن سعيد بن جبير رضي الله عنه اختصم ولد ادم في
اي الخلق اكرم على الله تعالى فقال بعضهم ادم خلقه الله بيده واسجد له ملايكته
وقال اخرون بل الملايكة لانهم لم يعصوا الله عز وجل فذكروا ذلك لادم
فقال لما نفخ في الروح لم تبلغ قدمي حتى استويت جالسا فبرق لي العرش
فنظرت فيه محمد رسول الله فقال اكرم على الله عز وجل قيل فكان يكنى ادم بابي
محمد وبابي البشر وظاهره انه كان يكنى بذلك في الدنيا ونقدم انه يكنى بابي
محمد في الجنة ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب
الاحبار اخبرنا عن فضايل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم •
يا امير المومنين عن ان ابراهيم الخليل وجد حجرا مكتوبا عليه اربعة اسطر
الاول انا الله لا اله الا انا فاعبدون والثاني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي
طوبا لمن امن به واتبعه والثالث انا الله لا اله الا انا الحرم لي والكعبة بيتي
من دخل بيتي امن من عذابي ولم يذكر الرابع • اي وذكر بعضهم انه في سنة اربع وخمسين
واربعمائة عصفت الريح بخراسان كريح عاد انقلعت منها الجبال وفزع منها •
الوحوش فظن الناس ان القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى بالدعا
نظروا فاذا نور عظيم قد نزل من السما على جبل من تلك الجبال ثم تاملوا الوحوش
فاذا هي حشر فذهبوا الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فصاروا اليها
فوجدوا به صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة اذرع وفيه ثلاثة اسطر
فيه لا اله الا انا فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر فيه
احذروا وقعة المغرب فانها تكون في سبعة او تسعة والقيامة قد ازفت اي
قربت وجا ان ادم عليه السلام قال طفت السموات فلم ار في السموات موضعا
الا رايت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه • ولقد رايت اسمه صلى الله
عليه وسلم على نحور الحور العين وورق اجام اي وعلى ورق قصب اجام الجنة •
وشجرة طوبا وسدرة المنتهى والحجب وبين اعين الملايكة وهذا الحديث قد
حكم بعض الحفاظ بوضعه • اي وقد قيل ان اول ما كتب القلم في اللوح

المحفوظ

وأول ما كتب القلم

المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضايي وصبر على بلايي
وشكر على نعمايي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين • وقد روي انه مكتوب
في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن امن به ادخله
الله الجنة • وفي رواية لما امر القلم ان يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش
لا اله الا الله محمد رسول الله فليتامل هذا فانه ان كان المراد كما هنا المتبادر انه لم
لما امر ان يكتب ما ذكر كان اول ما كتبه على سرادق العرش ما ذكر ثم كتب بعد ما ذكره ابو هريرة
على ذلك مما كتب اول ما ذكر البسملة في اللوح المحفوظ يلزم ان يكون القلم كتب ما كان وما
يكون في اللوح المحفوظ وعلى سرادق العرش • ومن ذلك ما جا عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ادم عليه السلام قال وجدت اسم محمد صلى الله عليه وسلم
على ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى اي وعلى ورق قصب اجام الجنة ومن ثم
قال السيوطي في الخصايص الكبرى من خصايصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع
اسم الله تعالى على العرش • وفيها ولما خلقت العرش على الما فاضطرب فكتبت عليه
لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر ما في
الملكوت اي من السموات والجنان وما فيهن • وفي الخصايص الصغرى له ايضا ومن خصايصه
صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف على العرش وعلى كل سما والجنان وما فيها وسائر
ما في الملكوت • اقول ولا ينافي هذا ما تقدم عن ادم ما جا على تقدير صحته ان ادم لما
نزل الى الارض استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله اكبر
مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين قال ادم
من محمد قال جبريل هو اخر ولدك من الانبيا لجواز ان يكون ادم اراد ان يتثبت
هل هو محمد الذي راى اسمه مكتوبا واخبر بانه اخر الانبيا من ذريته وانه لولاه
ما خلقه واستشفع به او غير ذلك وانما قلنا على صحته لانه يأتي في باب الاذان
ان في سند هذا الحديث مجاهيل • وذكر صاحب كتاب شفا الصدور عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال يا محمد وعزتي
وجلالي لولاك لما خلقت ارضي ولا سمايي ولا رفعت هذه الخضرا ولا بسطت هذه الغبرا
وفي رواية عنه ولا خلقت سما ولا ارضا ولا طولا ولا عرضا وبهذا يرد على من رد
على القايل في مدحه صلى الله عليه وسلم لولاه ما كان لا فلك ولا فلك • كله ولا كان
بحكم وتخيل بان مؤلف لولاه ما كان لا فلك ولا فلك مثل هذا يحتاج الى دليل ولم يرد

في الكتاب ولا في السنة ما يدل لعكس ذلك فينا دله بل جاء في السنة ما يدل على ذلك والله أعلم
ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقعت في غيضة فاذا فيها شجر عليه ورق
أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله • وعن بعضهم رأيت في جزيرة
شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة
واضحة بينة خلقة ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة أسطر الأول
لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام • وعن
بعض أهل [illegible] دخلت بلاد الهند فمررت في بعض قراها شجرة ورد أسود ينفتح عن وردة
كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله
أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة
لم تفتح فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورد وفي البلد منها شيء كثير وأهل تلك البلد
يعبدون الحجارة • ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت الريح ونحن
في لجج بحر الهند فأرسينا في جزيرة فاذا فيها ورد أحمر ذكي الرائحة مكتوب عليه
بالاصفر براءة من الرحمن الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله • أي ومن ذلك
ما حكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران
فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد
رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستشفون بها اذا اصابوا
الغيث • هذا ومن تزيل أخبارا له فتقصار على لا اله الا الله أي وصنيعه لا يكون
شاهدا لما ذكرنا • أي ومن ذلك ما حكاه الحافظ السلفي عن بعضهم ان شجرة
ببعض بلادها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورق
لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلاد أهل وثن وكانوا يقطعونها
ويدفنون آثارها فترجع الى ما كانت عليه من الخروج وقت فاذا أبوا الرصاص
وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع على كل فرع لا اله الا الله محمد رسول الله
فصاروا يتبركون ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأجل
الطيب • ومن ذلك انه وجد في سنة سبع او تسع وثمانماية حبة عنب فيها خط جلي
بارع بلون أسود محمد • ومن ذلك ما ذكره بعضهم انه اصطاد سمكة مكتوب على جنبها الايمن
لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيناها القيناها في البحر احتراما
لها • وعن بعض أهل [illegible] قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه شبارة فادلاها في البحر

فاصطاد

والكنز في قوله وكان تحته كنز لهما

فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فنظرنا فاذا مكتوب بالسواد على أذنها الواحدة لا اله الا الله
وعلى قفاها وخلف أذنها الأخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر • ومن بعضهم انه ظهرت
سمكة بيضاء واذا على قفاها مكتوب بالسواد لا اله الا الله محمد رسول الله • وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لوزة
خضراء فالقاها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوب عليها
بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله • ومن ذلك ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان
قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لمحمد صلى الله عليه وسلم
بالرسالة وحصل بينهم اختلاف ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض
ثم نزلت شيئا حتى أحدقت بالجانبين وأظلت بين السماء والبلد فلما كان وقت
الزوال ظهر في السحابة بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك
الى وقت العصر فتاب كل من كان انتقش وأسلم أكثر من كان بالبلد من اليهود والنصارى
ومن ذلك ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بلغني في قوله تعالى وكان
تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت أي بأنه
يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أي انه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن
بالقضاء أي ان الامور بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها
بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله لصلاح أبيهما وكان تاسع
أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده ودويرته
التي هو فيها والدويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره • ومن ذلك
ما جاء عن جابر قال مكتوب بين كتفي آدم محمد رسول الله خاتم النبيين • وذكر بعضهم
انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله
وعلى الجنب الآخر محمد رسول الله • ومن ذلك ما حكاه بعضهم قال ولد عندي
في عام أربع وسبعين وستماية جدي أسود عليه بياض على شكل الدائرة
وفيها مكتوب محمد بخط في غاية الحسن ذا بيان • وذكر الشيخ عبد الوهاب
الشعراني رضي الله عنه في كتابه لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة
الصوفية وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علامة من أعلام النبوة وذلك ان
شخصا أتاني برأس خروف شواها وأكلها وإذا فيها مكتوب بخط إلهي على
الجبين لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليهدي من يشاء

قال الشيخ عبد الوهاب وتكرر ذلك لحكمة فان الله لا يهملوا اهل الكلام وقد بينا العلل
الحكمية التاكيد لعلو مقام الهداية كيف وهو الجانب لمقام الضلالة لسر
والغواية. وعن الزهري قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت
بالبلقاء رايت حجرا مكتوبا عليه بالعبرانية فارشدت الى شيخ يقرؤه فلما
قراه ضحك وقال امر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جا الحق من ربك بلسان
عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران والله اعلم

باب سلام الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه

عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه
الان قال جابر في بعض الروايات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود اي وقيل
غيره وانه الذي في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر اي ولعله غير زقاقه
الحجر الذي به اثر المرفق ذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه
وهو الذي يقال له زقاق المرفق وغير الحجر الذي به اثر الاصابع وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله تعالى كرامته بالنبوة
كان اذا خرج لحاجة اي لحاجة الانسان ابعد حتى لا يرى ويفضي الى
الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام
عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى احدا انتهى
والى ذلك يشير صاحب الامد رحمه الله تعالى بقوله .
لم يبق من حجر صلب ولا شجر . الا وسلم بل هناه ما وهبا .
والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله .
والجمادات افصحت بالذي . اخرس عنه لاحمد الفصحا .
اي والجمادات التي لا روح فيها نطقت بكلام فصيح لا تلعثم فيه اي
بالشهادة له صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولم تنطق به اهل الفصاحة
والبلاغة وهم الكفار من قريش وغيرهم . وعن علي رضي الله عنه قال
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله
جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اقول والى تسليم
الحجر قبل البعثة يشير الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله .

وما

واختلف في كلام الحجر والشجر

وما جزت بالاحجار الا وسلمت . عليك بنطق شاهد قبل بعثة .
واما حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله . وما
ذكره بعضهم ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم بمكة من يشهد انك رسول الله
قال تلك الشجرة ثم قال لها من انا فقالت رسول الله فليس من الترجمة لانه
ومن الخصائص الصغرى وخص بتسليم الحجر وبكلام الشجر وشهادتها له بالنبوة
واجابتها دعوته ومن كلام البيهقي يحتمل ان يكون نطق الحجر والشجر كلاما مقرونا
بحياة وعلم ويحتمل ان يكون صوتا مجردا غير مقترن بحياة وعلى كل هو علم من اعلام النبوة
ومن كلام الشيخ محيي الدين بن العربي اكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات
لا تعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبي او ولي ان
حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه الحياة والعلم في ذلك الوقت والامر عندنا
ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم . وقد ورد ان كل من سمع صوت المؤذن
من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم واطال في ذلك . وقال فقد اخذ الله
بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن واضرابنا فانا
لا نحتاج الى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها واسمعنا
تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته
بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة لما تدكدك والله سبحانه على كل شي قدير

باب بيان حين المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق لما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس
اجمعين وكان الله تعالى قد اخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان
به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من امن بهم وصدقهم
اي منهم وامتهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم كما سياتي عن السبكي وعن انس بن
مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على راس الاربعين
قال وهذا هو المشهور بين الجمهور من اهل السير والعلم بالاثر وقيل بزيادة
يوم وقيل بزيادة عشرة ايام وقيل بزيادة شهرين وقيل بزيادة سنتين وهو شاذ
واكثر منه شذوذا ما قيل انه بزيادة ثلاث سنين وما قيل انه بزيادة خمس سنين

قال بعضهم والاربعون هي سن الكمال ولها يبعث الرسل اي لا يرسلون دونها ومن ثم
قال في الكشاف ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة هذا كلام

واختلف في مدة نبوة المسيح

الكشاف واما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السما وهو ابن ثلث وثلاثين
وثلاثين سنة اي وسلوم ان دعى الى الله قبل ذلك فهو قول شاذ حكاه
وهب بن منبه عن النصارى وعليه جرى غيره احد من المفسرين بل قال في
ينبوع الحياة لم يبلغني ان احدا من المفسرين ذكر فيه انه اذ رفع اكثر من ثلاث
وثلاثين سنة هذا الكلام • وفي الهدي واما ما يذكر عن المسيح انه رفع الى السما
وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف به اثر متصل يجب المصير اليه هذا الكلام
ويوافق ما نقلته عن بعض المفسرين في العرايس ولما تمت لعيسى عليه
السلام ثلاثون سنة اوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم ويضرب الامثال
لهم ويداوي المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويمنع الشياطين ويذيبهم ويدعوهم
ففعل ما امر به واظهر المعجزات فاجابه بعضا ولم يقدر بعد ثلاث ايام من مولده
وعبارة الجلال المحلي في قطعة التفسير احيا عيسى عليه السلام عاذر صديقا
له وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح هذا الكلام وذكر قصة كل واحد
منها حين • وكان عيسى عليه السلام نبيا على الحال ومكث في الرسالة ثلاث سنوات
ثم رفع ويوافقه ايضا قول ابن الجوزي واما حديث ما من نبي الا نبي بعد الاربعين
موضوع لان عيسى عليه السلام نبي ورفع الى السما وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة اي
نبي وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بل قبل نبي وهو

تنبأ للأمر وهو غير بالغ

طفل فاشتراط الاربعين في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس بشي هذا
كلامه • اي وفيه ان هذا بمجرده لا يدل على وضع الحديث ويوافقه ايضا قول
القاضي البيضاوي ونبي نوح وهو ابن خمسين سنة وقيل اربعين ويوافقه ايضا
قول بعضهم ومما يدل على ان بلوغ الاربعين ليس شرطا للنبوة قصة يحيى عليه
السلام بناء على ان الحكم في قوله وآتيناه الحكم صبيا النبوة لا الحكمة وفهم التوراة
كما قيل بذلك بل احكم الله عقله في صباه واستنبأه قيل كان ابن سنتين او ثلاث
وما في الخلاف في المفتاح وهو غير بالغ صنف الامام الصوفي لم كتابا في نبي ولي
الا من وهو غير بالغ واستدل على جواز ذلك بان الله بعث يحيى ابن زكريا وهو ابن
غير بالغ وذكر فيه كل من استنبأه النبي صلى الله عليه وسلم من الصبيان قال بعضهم

وهو

وهو كتاب حسن فيه فوايد كثيرة وكان ذبح يحيى قبل رفع عيسى عليهما السلام بسنة ونصف
سنة ومما يدل على ما تقدم عن الهدي ان من انكار ان عيسى رفع وله ثلاث وثلاثون
سنة قول بعضهم الا ان الاحاديث الصحيحة تدل على انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة
من ذلك الاحاديث قوله صلى الله عليه وسلم في مرض موته لابنته فاطمة اخبرني
جبريل انه لم يكن نبي الا عاش نصف عمر الذي كان قبله واخبرني ان عيسى ابن مريم
عاش مائة وعشرين سنة ولا اراني الا ذاهبا على راس الستين • وفي الجامع الصغير
ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش الذي قبله ومقتضى كون كل نبي عاش نصف ما عاش
النبي الذي قبله يشكل ان نوح عليه السلام كان اطول الانبيا عمرا وقيل لم قيل له كبير
الانبيا وشيخ المرسلين وهو اول من تنشق عنه الارض بعد نبينا صلى الله عليه وسلم

فضله عليه السلام أعطيت خمسا

ثم رايت الحافظ الهيثمي ضعف حديث ما بعث الله نبيا الا عاش نصف ما عاش النبي
الذي قبله وقال العماد بن كثير انه غريب جدا • وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع اليه رجال من
اصحابه يحرسونه اي ينتظرون فراغه من الصلاة لان نزول والله يعصمك من الناس
كان قبل هذا حتى صلى وانصرف اليهم قال لهم لقد اعطيت الليلة خمسا ما اعطيهن احد
قبلي وذكر في رواية لا اقولهن فخرا • اما اولهن فارسلت الى الناس كلهم عامة اي من
في زمنه وغيرهم ممن تقدم او تاخر اي وللشجر والحجر الى اخر ما ياتي وكان من قبلي

عدد أهل سفينة نوح

وفي لفظ وكان كل نبي انما يرسل الى قومه اي جميع اهل زمنه او جماعة منهم خاصة وقيل
الا اول نوح عليه السلام فانه كان مرسلا لجميع من في زمنه من اهل الارض ولما اخبر
بانه لم يؤمن منهم الا من قد امن وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين اربعين رجلا واربعين
امراة وقيل عشرة وفي المشارق اصحاب السفينة كانوا اربعة بنيه وقيل ثمانين الادميين
وغيرهم فلا يخالفه ما تقدم لان من عذب من ذكر بما شمل العذاب لهم فكان الطوفان
الذي كان به هلاك جميع اهل الارض الا من امن ولو لم يكن مرسلا اليهم لما عمهم
بسبب مخالفتهم له في عبادة الاصنام لقوله تعالى وما كنا معذبين اي حتى في الدنيا
حتى نبعث رسولا وقد ثبت ان نوحا اول الرسل اي لمن يعبد الاصنام لان عبادة
الاصنام اول ما حدثت في قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لا يخالف
كون اول الرسل ادم ارسله الله الى اولاده بالايمان بالله تعالى وتعليم شرايعه
وذكر بعضهم انه كان مرسلا لزوجته حوى في الجنة لان الله تعالى امره ان ينبئها بما امرها

فحمل اخباره بامره ونهيه بقوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها
رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وذلك عين الارسال كما ادعاه بعضهم
فلم ان عموم رسالة نوح عليه السلام لجميع اهل الارض في زمنه لا يساوي
عموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت ان رسالته عامة حتى لمن يوجد
بعد زمنه وحينئذ يسقط السؤال وهو لم يبق بعد الطوفان الا من
صادفت رسالة نوح عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم
الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرا بعد الطوفان بخلاف رسالة
نبينا صلى الله عليه وسلم فقد كان بين الدعوة والطوفان مائة سنة وقد
حققنا فيما سبق ان ادم ومن بعده دعى الى الايمان بالله وعدم الاشراك
به الا ان الاشراك به وعبادة الاصنام اتفق انه لم يقع الا زمن نوح ومن بعده
واما قول اليهود ومن بعدهم وهم العيسوية طائفة من اليهود اتباع عيسى الاصفهاني
انه صلى الله عليه وسلم انما بعث للعرب خاصة دون بني اسرائيل وانه
صادق فمتناقض لانهم اذا سلموا انه رسول الله وانه صادق لا يكذب لزمهم
التناقض لانه ثبت بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم انه رسول الله
لكل الناس اقول قال بعضهم ولا ينافيه قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه لانه يدل على اختصاص رسالته بهم بل على كونه متكلما بلغتهم
ليفهموا عنه اولا ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل الافهام لغير اهل تلك
اللغة من الاعاجم بالتراجم الذين ارسل اليهم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث
الى الكافة وان كان هو وكتابه عربيين كما كان موسى وعيسى عليهما السلام
مبعوثين لبني اسرائيل بكتابيهما العبراني اي وهو التوراة والسرياني
اي وهو الانجيل مع ان من جملتهم جماعة لا يفهمون العبرانية ولا السريانية
كالاروام فانه فهمهم اليونانية والله اعلم واشار الى الثانية من الخمس
بقوله ونصرت بالرعب على العدو ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر اي امامه
وخلفه جعلا مني رعبا يقذف الرعب في قلوب اعداء ه صلى الله عليه وسلم
وجعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده وبين احد من اعدائه المحاربين له
اكثر من شهر اي وكان سيدنا سليمان عليه السلام ذهب هو وجنده من الانس
والجن وغيرهما الى الحرم وكان يذبح في كل يوم خمسة الاف ناقة وخمسة

الاف

وكان ماخرجته سليمان عليه السلام

الاف ثور وعشرين الف شاة لانه ساخر جنده كانت ما بين فرسخ قال لمن حضر من اشراف
جنده هذا المكان يخرج منه نبي عربي يعطى النصر على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة
شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تاخذه في الله لومة لائم قالوا فباي
دين يا نبي الله يدين قال بدين الحنيفية فطوبى لمن ادركه قالوا كم بين خروجه
وزماننا قال مقدار الف عام واشار الى الثالثة بقوله واحلت لي الغنائم كلها
وكان من قبلي من امر بالجهاد منهم يعطونها ويحرمونها اي لانهم كانوا يجمعونها والمراد
بالغنائم الحيوانات من الامتعة والاطعمة والاموال فان الحيوانات تكون ملكا له
لعلها بني دون الانبياء ولا يجوز لنبي اخذ شيء من ذلك بسبب الغنيمة كذا في
الوفا وصاحب بعض الروايات واطعمت امتي الفيء ولم احله لامة قبلها اي
والمراد بالفيء ما يعم الغنيمة كما انه يراد بالغنيمة ما يعم الفيء هذا وفي بعض
الروايات وكانت الانبياء يعزلون الخمس فتجيء النار اي نار بيضاء من السماء فتاكله
اي حيث لا غلول وامرت ان اقسمها في فقراء امتي وفي كلام الجلال السيوطي في تفسير
الجلال المحلي ان ذلك لم يحصل في زمن عيسى عليه السلام ولعله لم يكن ممن امر بالجهاد
فلا يخالف ما سبق واشار الى الرابعة بقوله وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
اين ما ادركتني الصلاة تمسحت اي تيممت حيث لا ماء وصليت فلا يختص السجود
فيها بموضع دون غيره وكان من قبلي لا يعطون ذلك اي الصلاة في اي محل ادركتهم
فيه انما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم اي ولم يكن احد منهم يتيمم لان التيمم من
خصائصنا ومن رواية جابر لم يكن احد من الانبياء يصلي حتى يبلغ محرابه وجاء
في تفسير قوله تعالى واذ قال موسى لقومه الاية من الماثور ان الله تعالى قال
لموسى اجعل لكم الارض مسجدا فقال لهم موسى ان الله قد جعل لكم الارض مسجدا قالوا
لا نريد ان نصلي الا في كنائسنا فقال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون
ويؤتون الزكاة الى قوله المفلحون وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيه انه قد نقل
ان عيسى كان يسيح في الارض يصلي حيث ادركته الصلاة ويحتاج الى الجمع بين هذا
وبين ما تقدم من قوله لم يكن احد من الانبياء يصلي حتى يبلغ محرابه الا ان يقال
لا يصلي مع امته الا في محرابه واما عيسى فخص بانه يصلي حيث ادركته الصلاة وسياتي
في الخصائص الكلام على هذا واشار الى الخامسة بقوله وقيل لي سل تعطه فان كل
نبي قد سال فاخرت مسالتي الى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد ان لا اله الا الله وهي

وقيل الماثور تاكيده

اول الشافع ومن يشفع يوم القيمة

لا خراج من في قلبه ذرة من الايمان ليس له عمل صالح الا التوحيد اي اخراج من ذكر من النار
لان شفاعته عليه تنفع فيمن في قلبه اكثر من ذلك قاله القاضي عياض اي وقدما
في بيان من يشفع باذن الله له في الشفاعة فلا يشفع نبي ولا شهيد الا يشفع
وفي رواية تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم
الله تعالى . وقد جاء ان اول شافع جبريل ثم ابراهيم ثم موسى ثم يقوم نبيكم رابعا
لا يقوم بعده احد فيما يشفع فيه . وفي الحديث اتي تحت العرش فاخر ساجدا
فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعط واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي
يا رب امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان
وفي لفظ حبة من خردل او في لفظ ادنى من مثقال حبة من خردل فاخرجه من النار
فانطلق فافعل اي فاخرجه من النار وادخله الجنة وله شفاعة قبل هذه في ادخال
اهل الجنة الجنة بعد مجاوزة الصراط ففي الحديث فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربي
خررت ساجدا فياذن الله لي في حمده وتمجيده ثم يقول ارفع راسك يا محمد واشفع
تشفع واسال تعط فاقول يا رب شفعني في اهل الجنة ان يدخلوا الجنة فياذن الله
لي في الشفاعة الى اخر ما تقدم . ومن هذا يعلم ان الشفاعة في الاخراج من النار انما تكون
منه صلى الله عليه وسلم وهو في الجنة فما تقدم من قوله اتي تحت العرش فاخر ساجدا
الى اخره انما ذلك في الشفاعة في فصل القضاء فهذا اختلاط من بعض الرواة اي خلط
الشفاعة في الموقف التي هي الشفاعة في فصل القضاء بالشفاعة بعد مجاوزة
الصراط في دخول اهل الجنة الجنة وبالشفاعة بعد مجاوزة الصراط في دخول الجنة
وفي اخراج اهل التوحيد من النار والشفاعة في فصل القضاء هي المشار اليها بقوله
صلى الله عليه وسلم واعطيت الشفاعة فقد قال ابن دقيق العيد الاقرب ان اللام
فيها للعهد والمراد الشفاعة العظمى في اراحة الناس من هول الموقف اي وهذا هو
المقام المحمود الذي يحمده ويغبطه فيه الاولون والاخرون المعني بقوله تعالى عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا . وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فيقول الله يا
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت . وقد جاء تفسيره بغيره بسبب هذه الاية اعني عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا فقالت الحنابلة معناه يجلسه الله تعالى على عرشه وقال

الاختلاف في المقام المحمود

غيرهم

عدد شفاعاته صلى الله عليه وسلم

غيرهم بل هي الشفاعة العظمى في فصل القضاء فدام الخصام الى ان قبلوا فضل كبيرون ودعوة
الشفاعة احدى الشفاعات الثلاث المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم لي عند ربي ثلاث
شفاعات وعد بهن . وفي كلام بعضهم له صلى الله عليه وسلم تسع شفاعات اخر غير
فصل القضاء جرى في اختصاصه ببعضها خلاف وهي الشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير
حساب ولا عقاب قال النووي وجماعة هي مختصة به صلى الله عليه وسلم . والشفاعة في اناس
استحقوا دخول النار فلا يدخلونها قال القاضي عياض وغيره وتردد النووي في هذه بينها انه
والشفاعة في اخراج من ادخل النار من الموحدين ومن في قلبه مثقال ذرة من ايمان وهي
مختصة به صلى الله عليه وسلم . والشفاعة في اخراج من دخل النار ومن في قلبه ازيد من
ذرة من ايمان ويشاركه فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وظاهر هذا السياق ان المراد
من في قلبه مثقال ذرة من ايمان الى اخره ثم من امته صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الامم
وهو ما يفيده قول بعضهم جاء في الصحيح فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله اي ومات
على ذلك قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار من قال
لا اله الا الله ولا يشكل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اتاني ات من عند ربي فخيرني بين
ان يدخل نصف امتي وفي رواية ثلثي امتي الجنة اي بلا حساب ولا عذاب وبين الشفاعة
فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا وعلمت انها اوسع لهم لانا نقول المراد
بالذين تنالهم الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم ممن مات لا يشرك بالله شيئا خصوص امته
واما من قبلهم فيشفع في ذلك فيهم الموحدون من الامم السابقة فيلتئم ما سبق من شفاعة
الانبياء والملائكة والمؤمنين . والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوز
النووي اختصاصها به صلى الله عليه وسلم . والشفاعة في تخفيف العذاب عن بعض الكفار
كابي طالب وابي لهب في كل يوم اثنين بالنسبة لابي لهب . والشفاعة لمن مات بالمدينة
الشريفة ولعل المراد انه لا يحاسب . وقد اوصل ابن القيم شفاعاته صلى الله عليه وسلم
الى اكثر من عشرين شفاعة . وفي رواية اعطيت ما لم يعطه احد من الانبياء نصرت بالرعب
واعطيت مفاتيح الارض اي وفي لفظ بينا انا نائم رايتني اوتيت مفاتيح خزائن الارض
فوضعت بين يدي ولا منافاة لانه يجوز انه اعطي ذلك يقظة بعد ان اعطيه مناما وسميت
احمد اي ومحمدا اي ولم يعط احد من الانبياء تسميته بذلك فهو من خصائصه صلى الله عليه وسلم بالنسبة
للانبياء كذا في الخصائص الصغرى وتقدم ان التسمية باحمد من خصائصه صلى الله عليه وسلم على
جميع الناس وقد سمى صلى الله عليه وسلم نفسه بما ذكر وقول عيسى عليه السلام اني عبد الله الا انه

التحدث بالنعمة شكر

وقول سليمان عليه السلام علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء هو الاصل في ذكر العلما انعم
في كتبهم وهذا انما هو ماخوذ من قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ومن قوله صلى الله عليه وسلم
التحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر وقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان
عذابي لشديد. وعن سيدنا عمر رضي الله عنه المتوفى لا احد مثله الذي جعلني ليس
نوبي ادم ثم نزل فقيل له في ذلك فقال انما فعلت ذلك اظهارا للشكر. وعن سفيان
الثوري من لم يتحدث بنعمة الله فقد عرضها للزوال والحق في ذلك التفصيل وهو ان من
خاف من التحدث بالنعمة واظهارها الريا فعدم التحدث بها وعدم اظهارها اولى ومن لم
يخف ذلك فالتحدث بها واظهارها اولى. اي وفي الشفا انه احمد المحمودين واحمد الحامدين
ويوم القيمة يحمد الاولون والاخرون بشفاعته لهم فحقيق ان يسمى احمد ومحمدا ونقدم
ان هذا يوافق ما تقدم عن الهدي ان احمد ماخوذ من الفعل الواقع على المفعول وقد
جا انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وجعلت امتي خير الامم. قال البيضاوي
وفي التسمية بالاسما العربية تنويه الى تعظيم النبي هذا كله ثم في رواية لما اسري
بي الى السما قربني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين او ادنى فقال لي قد جعلت
امتك لا اخر الامم لا تفضح الامم عندهم اي يوقفونهم على اخبارهم ولا تفضحهم عند الامم
اي لتاخرها عنهم وعليه فالضمير في ذلك يعود الى صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم انه في
نقد في الاية عبارة عن تعزيته تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم فالضمير في ذلك الى اخره يعود
على الله تعالى. وفي رواية نحن الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيمة
المقضي لهم قبل الخلائق وفي رواية نحن اخر الامم واول من يحاسب تتفرج لنا الامم
عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من اثر الطهور وفي رواية من اثار الوضو فتقول الامم كادت
هذه الامة ان تكون انبياها كلها هذا وفي رواية غرا من اثر السجود محجلين من اثر
الوضو. وفي رواية فضلت على الانبيا بست اي ولا يخالفه ما ياتي ذكر الخمس اولا
وبين ذكر الست هنا لانه يجوز ان يكون اطلع اولا على بعض ما خص به ثم اطلع على
الباقي هذا على اعتبار مفهوم العدد ثم اشار الى بيان الست بقوله اعطيت جوامع الكلم
ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق
كافة والخلق يشمل الانس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر قال السيوطي
وهذا القول اي ارساله للملائكة رجحته في كتاب الخصايص وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين

رسالته نبينا الى الخلق كافة

السبكي

السبكي وزاد انه مرسل لجميع الانبيا والامم السابقة من لدن ادم الى قيام الساعة ورجحه
ايضا البارزي وزاد انه مرسل الى جميع الحيوانات والجمادات وازيد على ذلك انه ارسل
الى نفسه وذهب جمع الى انه لم يرسل للملائكة منهم الحافظ العراقي في نكته على ابن الصلاح
والجلال المحلي في شرح جمع الجوامع ومشيت عليه في شرح التقريب وحكى الفخر الرازي
في تفسيره والبرهان النسفي في تفسيره نقلا الاجماع هذه العلامة ويعد الثاني افتى
والد شيخنا الرملي وعليه فيكون قوله صلى الله عليه وسلم ارسلت للخلق كافة وقوله
تعالى ليكون للعالمين نذيرا من العام المخصوص او الذي اريد به الخصوص ولا يشكل
عليه حديث سلمان اذا كان الرجل في ارض واقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة ما لا
ترى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده لانه يجوز ان لا يكون تقدمه صادرا عن
بعثته صلى الله عليه وسلم اليهم ولا يشكل بعثته الى الاحمر والاسود لما تقدم ان المراد
به العرب والعجم وفي الشفا وقيل الاحمر الانس والاسود الجان واستدل للقول الاول
القايل بانه ارسل للملائكة بقوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم فهي انذار للملائكة على لسانه صلى الله عليه وسلم في القران الذي انزل
عليه فثبت بذلك رسالته صلى الله عليه وسلم اليهم ودعوى منازع فيها فهي غير
مسموعة ثم رايت الجلال السيوطي ذكر هذا الاستدلال وهو واضح وذكر استدلالا
ايضا وهي لا تثبت المدعى الذي هو ان الملائكة يكلفون بشرعه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى
على من رزق نوع فهم بالوقوف عليها فعلم انه صلى الله عليه وسلم مرسل لجميع الانبيا وامهم
على تقدير وجوده في زمنهم لان الله تعالى اخذ عليهم وعلى اممهم الميثاق على الايمان به
صلى الله عليه وسلم ونصرته ونص شرعه تقابلهم على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم نبوته صلى الله عليه وسلم
ورسالته اليهم وتكون شريعته في تلك الاوقات بالنسبة اليهم وليات الامم ما جات
به انبياوهم لان للاحكام والشرايع تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات قال السبكي
اي فجميع الانبيا وامهم من جملة امته صلى الله عليه وسلم فقوله صلى الله عليه وسلم
لعمر ابن الخطاب والذي نفسي بيده لو ان موسى عليه السلام كان حيا ما وسعه الا ان
يتبعني واخرج احمد وغيره عن عبد الله بن ثابت قال جا عمر رضي الله عنه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني مررت باخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة
الا اعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضينا بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد رسولا فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والذي نفس محمد بيده لو

اصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم انكم حظي من الامم وانا حظكم من النبيين • وفي الحلية لابي حيان
ان عبد الله ابن سلام استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا في التوراة
في ملة فنهاه النبي عليه السلام باذن له وكون جميع الانبياء وامهم من امته المراد امة الدعوة لا امة
الاجابة لانها مخصوصة بمن امن به بعد البعثة على ما تقدم ويأتي وبعثته صلى الله عليه وسلم
رحمة حتى للكفار بتأخير العذاب ولم يعاجلوا بالعقوبة كسائر الامم المكذبة وحتى للملائكة
قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • وقد ذكر في الشفا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى
علي في القران بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين ثم امين قال الجلال السيوطي
ان هذا الحديث لم نقف له على اسناد فهو صلى الله عليه وسلم افضل من سائر المرسلين •
وجميع الملائكة المقربين وفي لفظ اخر فضلت على الانبياء بست لم يعطهن احد كان قبلي
غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر واحلت لي الغنائم وجعلت امتي خير الامم وجعلت لي
الارض مسجدا وطهورا واعطيت الكوثر ونصرت بالرعب والذي نفسي بيده ان صاحبكم
لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته ادم فمن دونه وتسند في رواية فما احد الا وهو تحت لوائي يوم
القيامة ينتظر الفرج وان معي لواء الحمد انا امشي ويمشي الناس معي حتى اتي باب الجنة • اقول
قد سبقت عما حكاه السيوطي انه ورد الى مصر نصراني من الفرنج وقال في شبهة ان ازلتموها
اسلمت فعقد له مجلس بدار الحديث بالكاملية ورأس العلماء اذ ذاك الشيخ عز الدين
ابن عبد السلام فقال له النصراني ان الناس يسمعون ايما افضل عندكم المتفق عليه
ام المختلف فيه فقال له الشيخ عز الدين المتفق عليه فقال له النصراني فقد
اتفقنا نحن وانتم على نبوة عيسى واختلفنا في نبوة محمد فيلزم ان يكون عيسى
افضل من محمد فاطرق الشيخ عز الدين مليا اول الامر ولي النظر حتى ارتج واضطرب
المجلس باهله ثم رفع الشيخ راسه وقال عيسى قال لبني اسرائيل ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد فيلزمك ان تتبعه فيما قال وتؤمن باحمد الذي بشر به فاقام الحجة
على النصراني واسلم لانه اقام الحجة على ان محمدا افضل من عيسى ولكن غايته ما ذكر ان محمدا
رسول الله واجيب بانه يجب تبعية ان محمدا رسول الله وجب الايمان بجميع ما جاء به واخبر
انه افضل من جميع الانبياء • وقد سئل ابو الحسن الحال بالحا المهملة من فقهائنا متاخري
الشافعية عن محمد وموسى عليهما السلام ايهما افضل فقال محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له
ما الدليل على ذلك فقال انه قال لن ادخل بيته وينبيه موسى لانهم الملك فقال

حكاية لطيفة

واصطفاك

اول من يحرك حلقة باب الجنة

واصطفاك لنفسي وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ففرق بين من اقام بوصفه وبين من اقامه مقام نفسه والله اعلم • وفي رواية اذا كان يوم
القيامة كان لي لواء الحمد وكنت امام المرسلين وصاحب شفاعتهم وفي لفظ الا وانا حبيب الله
ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين على الله
ولا فخر وانا اول شافع وانا اول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
اي حلق بابها فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر • وفي رواية اتي باب
الجنة يوم القيامة فاستفتح اي احرك حلقة الباب او اقرعها لا بصوت فيقول
الخازن اي رضوان من انت فاقول محمد وفي رواية انا محمد فيقول بك امرت لا افتح
وفي رواية ان لا افتح لاحد قبلك زاد في رواية ولا اقوم لاحد بعدك لا فتح له
فخص صلى الله عليه وسلم انه امر ان لا يفتح الا له ولا يقوم لغيره من الانبياء •
ونبيهم وانما يقول ذلك غيره من الخزنة وهي خصوصية عظيمة نبه عليها الحضرمي
وكون الفاتح له صلى الله عليه وسلم الخازن لا ينافي ما قبله من كون الفاتح له الحق
سبحانه وتعالى لما علم ان الخازن انما فتح بامر الله فهو الفاتح الحقيقي • وفي رواية انا
اول من يفتح له باب الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد
فيفتح لي فيستقبلني الجبار فاخر له ساجدا اي فالكلام في يوم القيامة فلا يرد ادريس
عليه السلام فانا على ان دخول الجنة مترتب على فتح الباب فما لنا على ان دخول قبل
يوم القيامة ومن القيامة يخرج الى الموقف فيكون مع امته للحساب ولا ينافيه اول
من يقرع باب الجنة بلال دون خادمه لانه يجوز على تقدير صحته ان يكون يقرع
الباب الحاصل لا حلقة الباب فالاول من الامة والله اعلم وفي الاوسط للطبراني
باسناد حسن حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي
وسياتي ان هذا من جملة ما اوحي اليه ليلة الاسرا الذي اشار اليه بقوله فاوحى
الى عبده ما اوحى وظاهر الرواية انه لا يدخلها احد من الانبياء الا بعد دخول
هذه الامة ونبيهم هذا مراد وفي الرواية سبقية مطلقة لهذه الامة وهو انه لا بد
احد من الامم السابقة ولو من صلحائها وعبادها وزهادها حتى يدخل من كان يعذب
في النار من عصاة هذه الامة بناء على انه لا بد من تعذيب طائفة من هذه الامة •
في النار ولا بعد في ذلك لانه تقدم ان اول من يحاسب من الامم هذه الامة فيجوز
ان الامم لا يفرغ حسابهم ولا ياتي اليها بالجنة الا وقد خرج من كان يعذب من هذه

في النار ودخل الجنة وجا انه يدخلها من امته سبعون الفا مع كل واحد سبعون الفا
لا حساب عليهم وذلك معارض لقوله صلى الله عليه وسلم انا اول من يدخل الجنة الا ان يقال
اول من يدخل الجنة من الباب وهولا السبعون الف يدخلون من اعلا حايط في الجنة
فلا معارضة ولا يعارض ذلك ما جا اول من يدخل الجنة ابو بكر لان المراد اول من
يدخلها من رجال هذه الامة غيري المراد انه لا يعارض ذلك ايضا ما تقدم من بلال
انه اول من يقرع باب الجنة لانه لا يلزم من القرع الدخول وعلى تسليم ان القرع كناية
عن الدخول فالمراد من الموالي ولا يعارض ذلك ايضا ما جا اول من يدخل الجنة
بنتي فاطمة لان المراد اول من يدخلها من نسا هذه الامة فالاولية اضافية قال
ابن عبد السلام ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اخبره بالمغفرة اي
لما تقدم وتاخر ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا بمثل ذلك اي ولانه لو وقع لنقل
لانه مما تتوفر الدواعي على نقله بل ومما اختص به صلى الله عليه وسلم وقوع غفران
نفس الذنب المتقدم والمتاخر كما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في بيان ما اختص
به من الانبيا ويغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر اي ولا ينافي ذلك قوله تعالى في
حق داود عليه السلام فغفرنا له ذلك لانه غفران لذنب واحد قال ابن عبد السلام
بل الظاهر انه لم يخبرهم اي بغفر ذنوبهم بدليل قولهم في الموقف نفسي نفسي الى اخره
وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
سمع بي من يهودي او نصراني ثم لم يسلم دخل النار اي لانه يجب عليه ان يومن بي
اقول والذي في مسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي
او نصراني ثم يموت ولم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار اي من
سمع بنبينا صلى الله عليه وسلم ممن هو موجود في زمنه وبعده الى يوم القيامة ثم مات
غير مومن به وبما ارسل به صلى الله عليه وسلم كان من اصحاب النار اي ومن جملة ما ارسل
به انه ارسل الى الخلق كافة لا لخصوص العرب ليتامل وانما خص اليهود والنصارى
بالذكر تنبيها على غيرهما لانه اذا كان حالهما ذلك مع ان لهم كتابا فغيرهم ممن
لا كتاب له كالمجوس اولى وشريعة موسى يقال لاهلها اليهودية اخذا من قول موسى انا
هدنا اليك اي رجعنا اليك فمن كان على شريعة موسى سمي يهوديا وشريعة
الانجيل يقال لاهلها النصرانية اخذا من قول عيسى من انصاري الى الله فمن كان
على شريعة عيسى يقال له نصراني وقيل نسبة الى الناصرة قرية من قرى الشام

نزل

نزل بها عيسى عليه السلام كما تقدم ولا مانع من رعاية الامرين في ذلك ۔ وجا في رواية
جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة اي والامم السابقة كانوا يصلون متفرقين كل
واحد في محله ۔ ورفع عنا اثم الخطا والنسيان وما لا نطيقه كما اشار الى ذلك
في خواتيم سورة البقرة واسلم قرينه ومجموع تلك الخصال سبع عشرة خصلة
قال الحافظ ابن حجر ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع ۔ وذكر ابو سعيد
النيسابوري في كتاب شرف المصطفى ان عدد الذي اختص به نبينا صلى الله
عليه وسلم عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام فاذا هي ستون خصلة ۔ اي ومن
ذلك ما اختص به في امته ان وصف الاسلام خاص بها ولم يوصف به احد من
الامم السابقة سوى الانبيا فقط فقد شرفت هذه الامة بان وصفت بالوصف
الذي كان يوصف به الانبيا وهو الاسلام على القول الراجح نقله ودليلا لما قام على ذلك

باب بدو الوحي له صلى الله

عليه وسلم عن عايشة رضي الله عنها اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من
النبوة حين اراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به الرويا الصالحة لا يرى رويا
الا جات كفلق الصبح وفي لفظ كفرق الصبح اي كضيا يبرز وانارته فلا يشك فيها احد كما
لا يشك احد في وضوح ضيا الصبح ونوره وفي لفظ فكان لا يرى شيا في المنام الا كان اي وجد
في اليقظة كما راى فالمراد بالصالحة الصادقة وقد جات في رواية البخاري في التفسير
اي ولا يخفى ان رويا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وان كانت شاقة كما في روياه صلى
الله عليه وسلم يوم احد قال القاضي وغيره وانما ابتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرويا
لئلا يفجاه جبريل عليه السلام بالنبوة اي الرسالة فلا تحتملها القوى البشرية اي لان
القوى البشرية لا تتحمل روية الملك وان لم يكن على صورته التي خلقه الله تعالى عليها ولا تحمل
سماع صوته ولا علمها بمجيه بها الرسالة فكانت الرويا تانيسا له والمراد بالملك
جبريل عليه السلام لكن ذكر بعضهم ان من لطف الله تعالى بنا عدم رويتنا الملايكة اي
على الصورة التي خلقوا عليها لانهم خلقوا على احسن صورة فلو كنا نراهم لطارت اعيننا
وارواحنا لحسن صورهم ۔ وعن علقمة بن قيس اول ما يوتى به الانبيا في المنام اي ما يكون
في المنام حتى تهدا قلوبهم ثم ينزل الوحي انتهى اي في اليقظة لان رويا الانبيا وحي
وصدق وحق لا اضغاث احلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم
نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع في مرايا قلوبهم لا يكون الا حقا

وانواع الوحي ثلاثة

ومن ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا انتهى وحينئذ يكون في القول
بان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم اجتماع انواع الوحي الثلثة له وعد منها الرؤيا
في المنام وعد منها الكلام من غير واسطة وبواسطة جبريل نظر لما علمت ان الانبيا
جميعهم مشتركون في الرؤيا وموسى عليه السلام حصل له تكليم من الكلام بلا واسطة
وبواسطة جبريل . وذكر بعضهم ان مدة الرؤيا ستة اشهر قال فيكون ابتدا الرؤية
حصل في شهر ربيع الاول وهو مولده صلى الله عليه وسلم ثم اوحي اليه في اليقظة
اي في رمضان ذكره البيهقي وغيره . وجاء في الحديث الرؤيا الصادقة وفي
البخاري الرؤيا الحسنة اي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة قال بعضهم معناه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث اقام بمكة
ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحي اليه صلى الله
عليه وسلم في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي اليه في المنام اي
التي هي الرؤيا ستة اشهر فالمراد خصوص رؤيته وخصوص نبوته صلى الله
عليه وسلم وهذا القيل نقله في الهدي واقره حيث قال قيل كانت الرؤيا
ستة اشهر ومدة النبوة ثلاث وعشرون سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة
واربعين جزءا من نبوته ولا يخفى ان هذا لا يناسب الرؤيا الصالحة من الرجل
الصالح اذ هو يقتضي ان مطلق الرؤيا الصالحة جزء من مطلق النبوة الشامل
لنبوته صلى الله عليه وسلم ونبوة غيره فليتامل [illegible] في كلام [illegible] مشارك
الانبيا عليهم الصلاة والسلام له صلى الله عليه وسلم في هاتين المرتبتين وحينئذ
تحمل الخصوصية التي ادعاها بعضهم على هذا او مما يدل على ان المراد مطلق الرؤيا
ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم ما جاء في ذلك
من الالفاظ التي بلغت خمسة عشر لفظا ففي رواية انها جزء من سبعين جزءا وفي
رواية من اربعة واربعين جزءا من النبوة وفي لفظ من تسعة واربعين وفي
اخرى انها جزء من ستة وسبعين وفي اخرى من خمسة وعشرين وفي اخرى
من ستة وعشرين وفي اخرى من اربعة وعشرين فان ذلك باعتبار الاشخاص
تتفاوت مراتبهم في الرؤيا . وذكر الحافظ ابن حجر ان اصح الروايات مطلقا
رواية ستة واربعين ويليها رواية انها جزء من سبعين جزءا وظاهر ان الرؤية
المذكورة جزء من مطلق النبوة اي بجزء ومنها من جهة الاطلاع على بعض الغيب

فلا

[illegible]

فلا ينافي انقطاع النبوة بموته صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء ذهبت النبوة اي فلا توجد
بعدي وبقيت المبشرات اي المراد اي التي كانت مبشرات للانبيا بالنبوة بدليل
ما في رواية لم يبق بعدي من المبشرات اي مبشرات النبوة الا الرؤيا او مجرد الرؤيا
الخالية عن شيء من مبشرات النبوة بدليل لم يبق الا الرؤيا الصالحة يراها
المسلم او ترى له لا يقال الرؤيا الصادقة قد تكون من الكافر او ترى له
وهو خارج بالرجل الصالح وبالمسلم لانا نقول الوقوع من وقوع ذلك كان من
الاستدراج وفيما هنا والمصنف وظاهر بيان ان الحديث الحصر وكما تكون
الرؤيا مبشرة تجيء عاجلا اذا اصل تكون منذرة بشر كذلك . قال بعضهم وقد
تطلق البشارة التي هي الخبر السار على ما يشمل النذارة التي هي الخبر الضار
بعموم المجاز بان يراد بالبشارة ما يعود الى الخبر لان النذارة ربما قادت
الى الخير وفي الاتقان ومن المجاز تسمية الشيء باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب اليم
اي انذرهم وهي في الاية للتهكم . جاء رجل اي وهو ابو قتادة الانصاري الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ارى في المنام الرؤيا تحزنني فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا الحسنة من الله والسيئة من الشيطان فاذا رايت
الرؤيا تكرهها فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم واتفل عن يسارك ثلاث
مرات فانها لا تضرك اي وحكمة التفل احتقار الشيطان واستقذاره وفي
رواية اذا راى احدكم ما يكره فليستعذ بالله من شرها ومن شر الشيطان كان
يقول اعوذ بالله من شر ما رايت ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث
بها احدا فانها لا تضره زاد في رواية وان يتحول عن جنبه الذي كان عليه
وزاد في اخرى وليقم فليصل اي ليكون فعل ذلك سببا لسلامته من المكروه
والذي راه . وفي البخاري اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد
الله عليها وليتحدث بها اي ولا يخبر بها الا من يحب واذا راى غير ذلك مما
يكره فانما هي من الشيطان اي لا حقيقة لها وانما هي تخييل يقصد به تخويف
الانسان والتهويل عليه فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها
لا تضره وفي الاذكار فليقل اللهم اني اعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الاحلام
وفي الحديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان قيل في معناه لان صاحب الرؤيا
يرى الشيء على ما هو عليه بخلاف صاحب الحلم فانه يراه على خلاف ما هو عليه

فان الحلم ماخوذ من حلم الجلد اذا فسد والرؤيا قيل انها امثلة يدركها الرائي بجزء
من القلب لم يحل عليه افة النوم واذا ذهب النوم عن اكثر القلب كانت الرؤيا
اصدق • وذكر الفخر الرازي ان الرؤيا الردية يظهر تعبيرها اي اثرها عن قريب
والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين والسبب فيه ان حكمة الله تعالى
تقتضي ان لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عن قرب وصوله حتى يكون
الحزن والغم اقل واما الاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمان
طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع ذلك الخير اكثر وهذا جرى على
ما هو الغالب والا فقد قيل لجعفر الصادق كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النبي
صلى الله عليه وسلم في منامه كأن كلبا ابقع يلغ في دمه فكان ابقع يدل ذلك الكلب
الابقع شمر قاتل الحسين وكان ابرص فكان تأخر الرؤيا خمسين سنة
وجاء عن عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اذا خلوت
سمعت نداء ان يا محمد يا محمد وفي رواية ارى نورا اي يقظة لا مناما واسمع
صوتا وقد خشيت ان يكون والله لهذا امرا وفي رواية والله ما ابغضت بغض
هذه الاصنام شيئا قط ولا الكهان واني لاخشى ان اكون كاهنا اي فيكون
الذي يناديني تابعا من الجن لان الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب
سدنتها والكاهن يأتيه الجني بخبر السماء وفي رواية واخشى ان يكون بي
جنون اي لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله
انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية انك خلقك
كريم اي فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله عنها بما فيه من
الصفات العلية والاخلاق السنية على انه لا يفعل الا خيرا وان من كان
كذلك لا يرى الا خيرا • ونقل لما ورد عن الشعبي ان الله قرن اسرافيل
بنبيه عليه السلام ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشيء بعد
الشيء ولا يذكر له القرآن فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة واهملت هذه المدة
لمناسبة الوحي وفيه انه لو كان في تلك المدة مبشرا بالنبوة ما قال لخديجة ما تقدم
الا ان يقال لعل ما تقدم انما قاله لخديجة في اول الامر قبل ذلك انه قيل
انه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت احيانا ولا يرى شخصا وسبع سنين يرى
نورا ولم ير شيئا غير ذلك وان المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة اشهر

ثلث

الاشارة صلى الله عليه وسلم
خديجة رضي الله عنها

وقد حبب الله اليه الخلوة

ثلث المدة التي هي ثلاثة وعشرون سنة وهذا السر الذي كان يعلمه له اسرافيل لم اقف
على ما هو والله اعلم • وبعد ذلك حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة التي بها يكون
فراغ القلب والانقطاع عن الخلق ليجيء فيفرغ القلب عن اشغال الدنيا لدوام ذكر
الله تعالى فيصفو وتشرق عليه انوار المعرفة فلم يكن شيء احب اليه من ان
يخلو وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر وهذا الجبل هو الذي نادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الي يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على
ظهره اهبط عني فاني اخاف ان تقتل على ظهري فاعذب فكان صلى الله عليه وسلم
يتحنث اي يتعبد بغار حراء الليالي ذوات العدد ويروى اولات العدد
مع ايامها واقتصر على الليالي لانها انسب بالخلوة قال بعضهم وابهم العدد لاختلافه
بالنسبة الى المدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهر رمضان
او غيره • وفي كلام بعضهم ما قد يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يخل اقل من شهر
وحينئذ يكون قوله في الحديث الليالي ذوات العدد محمول على العدد الذي
كان يتزود له فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزود الى غيرها الى ان يتم الشهر
وقد اقول بعضهم فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة شهرا ولم يصح
انه خلا اكثر من شهر قال السراج البلقيني في شرح البخاري لم يجيء في الاحاديث التي
وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام هذه الخلوة ويمكن ان بيان ذلك
ثم اذا انقضت مدته صلى الله عليه وسلم تلك الليالي وقد فرغ زاده رجع الى خديجة
رضي الله عنها فيتزود لمثلها اي قبلها وكانت زوادته صلى الله عليه وسلم الكعك
والزيت وفيه ان الكعك والزيت يبقى للمدة الطويلة فيمكن حمل الشهر الذي
يخلو فيه ثم رأيت عن الحافظ ابن حجر ان مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود
لبعض ليالي الشهر فاذا فقد ذلك الزاد رجع الى اهله يتزود قدر ذلك ولم يكونوا
في سعة بالعيش وكان غالب ادمهم اللبن واللحم وذلك لا يدخر منه كفاية
شهر لئلا يسرع الفساد اليه ولا سيما وقد وصف صلى الله عليه وسلم بانه كان يطعم من يرد
عليه هذه الخلوة وهو يستبعد لثلاث احتمالات الاول انه لم يكن في سعة يحصل بها
ما يكفيه شهرا من الكعك والزيت الثاني ان غالب ادمهم كان اللحم واللبن وهو لا يدخر
شهرا الثالث انه على فرض انه يتحصل ما يكفيه شهرا اي من الكعك والزيت الا انه كان
يطعم من يأتيه فقد ما ادخره والثاني ان الزيت للادام لا انه شو ... لا تنعرا الطبع بخلاف

وتعبد من التحنث

بخلاف اللبن واللحم ومن ثم جاء ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وقوله
ائتدموا أي من هذه الشجرة المباركة أي من عصارة هذه الشجرة المباركة التي هي الزيتون
وهو الزيت وقيل لها مباركة لانه ينبت فيها حتى تكاد تنبت الا في شريف البقاع التي بورك فيها
كالارض المقدسة حتى جاءه الحق وهو في غار حراء أي في اليوم والشهر المتقدم ذكره
وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء في كل
سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث فيه قريش في الجاهلية أي المتألهين منهم أي
وكان اول من تحنث فيه من قريش جده صلى الله عليه وسلم عبد المطلب فقد قال
ابن الاثير اول من تحنث بحراء عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء واطعم
المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتأله كورقة بن نوفل وابي امية بن
المغيرة وقد اشار الى نعته صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله •
الف النسك والعبادة طفلا • والخلوة وهكذا النجباء •
واذا حلت الهداية قلبا • نشطت في العبادة الاعضاء •
أي الف العبادة والخلوة في حال كونه طفلا وشأن هذا الشأن العلي شأن
الكرام وانما كان هذا شأن الكرام لانه اذا حلت الهداية قلبا نشطت
الاعضاء في العبادة لان القلب رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفي
فساده ولعل الخلوة في كلام صاحب الهمزية المراد بها مطلق اعتزال الناس
واراد بطفلا زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم عند حليمة فقد تقدم عنها
رضي الله عنها انها قالت لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الي
الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم لا مخصوصا باعتزال الناس في غار حراء
فلا ينافي قوله طفلا وظاهر ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم بادر
كان من زمن تزوجه بخديجة فكان صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر يطعم من
جاءه من المساكين أي لانه كان من نسك قريش في الجاهلية أي في ذلك
المحل ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين وقد قيل ان هذا الحال تعبده في
غار حراء أي مع الانقطاع عن الناس والا فمجرد اطعام المساكين لا يختص
بذلك المحل الا ان كان ذلك المحل في ذلك الشهر مقصودا للمساكين دون
غيره • وقيل كان تعبده التفكر مع الانقطاع عن الناس أي لا سيما ان كانوا على
باطل لان في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف عن مخالطة ابنا الجنس المؤثرة

اول تحنثه بغار حرا

في

في البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة وقول بعضهم كان يتعبد بالتفكر
أي مع الانقطاع عمن ذكرنا والا فمجرد التفكر لا يختص بذلك المحل الا ان يدعى
ان التفكر فيه اتم من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل به • وقيل تعبده صلى الله
عليه وسلم كان بالذكر ومحمد في سفر السعادة وقيل بغير ذلك من ذلك الغير
انه قيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم وقيل بشريعة موسى وعيسى ما نسخ منها
من شرعنا وقيل بكل ما صح انه شريعة لمن قبله غير ما نسخ من ذلك من شرعنا
وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي تعبده صلى الله عليه وسلم قبل نبوته بشريعة
ابراهيم حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه ان يتعبد العمل بالشريعة
المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين
بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا انقضى جواره من
شهره ذلك كان اول ما يبدأ به اذا انصرف قبل ان يدخل بيته الكعبة فيطوف
بها سبعا او ما شاء الله تعالى ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي اراد الله
تعالى به ما اراد من كرامته صلى الله عليه وسلم خرج الى حراء كما كان يخرج لجواره وذلك
في شهر رمضان وقيل شهر ربيع الاول وقيل شهر رجب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى غار حراء كما كان يخرج ومعه اهله أي عياله التي هي خديجة رضي الله عنها اما مع
اولادها او بدونهم حتى اذا كانت الليلة التي اكرمه الله تعالى فيها برسالته
ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر وقيل رابع عشريه
وقيل كان ذلك ليلة ثمان من ربيع الاول أي وقيل لليلة ثالثة قال بعضهم والقول
الاول بانه في ربيع الاول يوافق القول بانه بعث على رأس الاربعين لان مولده
صلى الله عليه وسلم كان في ربيع الاول على الصحيح أي وهو قول الاكثرين وقيل
كان ذلك ليلة اذ يوم السابع والعشرين من رجب فقد اورد الحافظ الدمياطي
في سيرته عن ابي هريرة رضي الله عنه قال من صام يوم سابع وعشرين من رجب
كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل على النبي صلى الله
عليه وسلم بالرسالة واول يوم هبط فيه جبريل هذا كلامه أي اول يوم هبط فيه
جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهبط عليه قبل ذلك وبيان في بعض الروايات
ان جبريل نزل في سحر تلك الليلة التي هي ليلة الاثنين ويجوز ان يكون كل من تلك
الليالي كانت ليلة الاثنين فقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

صوم يوم الاثنين لانی ولدت فيه وبعثت فيه فلا مخالفة بين كونه نبئ في الليل وبين كونه نبئ
في اليوم لان وقت السحر قد يلحق بالليل وفي كلام بعضهم اتاه جبريل اتاه جبريل ليلة السبت
وليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان في حراء
فجاءه بامر اقرأ ثانيا وهذا القول اي البعث كان في رمضان قال به جماعة منهم الامام
الصرصري حيث قال واتت عليه اربعون فاشرقت شمس النبوة منه في رمضان
واحتجوا بانه اول ما اكرمه الله بنبوته انزل عليه القرآن واجيب بان المراد
بنزول القرآن في رمضان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة
في سماء الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني وانا نائم بنمط من ديباج
فيه كتاب اي كتابة فقال اقرأ فقلت ما اقرأ اي انا امي لا احسن القراءة
اي قراءة المكتوب او مطلقا فغطني به اي غمني بذلك النمط بان جعله على
فيه وانفه قال حتى ظننت انه الموت ثم ارسلني فقال اقرأ اي من غير
هذا المكتوب فقلت ماذا اقرأ ما اقول ذلك الا افتداء منه اي تخلصا
منه ان يعود الى مثل ما صنع اي انما استفهمت عما اقرأ ولم انف خوفا ان يعود
لي بمثل ما صنع عند النفي اي في المرة الثانية فقلت والله ما قرأت شيئا قط وما
ادري شيئا اقرأه اي لاني ما قرأت شيئا فهو من عطف السبب على المسبب
قال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك
الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقرأتها فانصرف عني وهببت
اي استيقظت من نومي فكانما كتبت في قلبي كتابا اقول اي استقر ذلك في قلبي
وحفظته ثم لا يخفى ان كلام هذا البعض وهو انه جاءه يوم السبت وليلة
الاحد ثم ظهر له يوم الاثنين يحتمل لان يكون اتاه بذلك النمط في ليلة
السبت وليلة الاحد وسحر يوم الاثنين وهو نائم لا في اليقظة لقوله هببت
من نومي ولا ينافي ذلك قوله ثم ظهر لي بالرسالة اي اعلمني بما يكون سببا
للرسالة الذي هو اقرأ الحاصل في اليقظة وحينئذ يكون تكرر مجيئه بهذا
السبب من استقرار ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ لا يبعد قوله في
الليلة الثانية ما قرأت شيئا لان المراد لم يتقدم لي قراءة قبل مجيئك الي
ولا يبعد ايضا قوله ما ادري ما اقرأ لانه لم يستقر ذلك في قلبه لما علمت
ان سبب الاستقرار التكرر فلم يستقر ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم في الليلة

الاولى

الاولى وفي سيرة الشامي ان مجيء جبريل له بالنمط لم يتكرر وانما كان قبل ذلك مرة له
صلى الله عليه وسلم غار حراء وهذا السياق يدل على تعدده وفي سفر السعادة
ما يقتضي انه جاءه بالنمط يقظة في حراء ونصه بينما هو في بعض الايام قائم على جبل
حراء اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد انا جبريل وانت رسول الله الى هذه الامة
ثم اخرج له قطعة نمط من حرير مرصعة بالجواهر ووضعها في يده وقال اقرأ فقال
والله ما انا بقارئ ولا ادري ما هذه الرسالة بالكتابة اي لا اعلم ولا اعرف المكتوب
فيها قال فضمني اليه وغطني حتى بلغ مني الجهد فعل بي ذلك ثلاثا وهو يأمرني
بالقراءة ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق هذا الكلام
فليتامل والله اعلم قال فخرجت اي من الغار اي وذلك قبل مجيء جبريل اليه باقرأ
خلافا لما يقتضيه السياق ف حتى اذا كنت في وسط من الجبل اي في جانب منه سمعت
صوتا من السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فاذا جبريل
على صورة رجل صاف قدميه وفي رواية واضعا احدى رجليه على الاخرى في افق
السماء اي نواحيها يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فما
اتقدم ولا اتاخر وجعلت اصرف وجهي عنه في افق السماء فلا انظر في ناحية منها الا
رايته كذلك فما زلت واقفا ما اتقدم امامي وما ارجع ورائي حتى بعثت خديجة
رسلها في طلبي فبلغوا اعلى مكة ورجعوا اليها وانا واقف مكاني ذلك ثم انصرف
عني وانصرفت راجعا الى اهلي حتى اتيت خديجة اي من الغار وجلست الى فخذها
مضيفا اليها اي مستندا اليها فقالت يا ابا القاسم اين كنت فوالله لقد بعثت
رسلي في طلبك فبلغوا اعلى مكة ورجعوا الي اقول وهذا يدل على ان خديجة كانت
معه بغار حراء وهو الموافق لما تقدم من قوله ومعه اهله اي خديجة رضي
الله عنها على ما تقدم وقد يخالف ذلك ما روي ان خديجة رضي الله عنها
صنعت طعاما ثم ارسلته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تجده بحراء فارسلت
في طلبه الى بيت اعمامه واخواله فلم تجده فشق ذلك عليها فبينما هي كذلك
اذ اقبل صلى الله عليه وسلم فحدثها بما راى وما سمع فان هذا يدل على
انها لم تكن معه بحراء وقد يقال يجوز ان تكون خرجت معه اولا وارسلت
رسلها اليه وهي بحراء فلم تجده لان الرسل اخطأوا محله فوقه صلى الله عليه
وسلم بالجبل الذي هو حراء ثم رجعت الى مكة وارسلت رسلها اليه بحراء الاحتمال

عودها اليه ثم ارسلت الى بيت اقامة واخوالدها لم يجده بحيرا فارسلها لتكون بين
مع اهله فارسلها ويكون قوله وانصرفنا راجعا الى اهله بمكة له بحيرا الا انه يجوز
ان يكون بجمعه رجوع خديجة الى مكة هذا مقتضى الجمع واما على ظاهر الرواية
الاولى يكون رجوعه الى اهله بحيرا كما ذكرنا وهو يدل على خروجه صلى الله عليه
وسلم الى شط الوادي كان من غار حرا كما ذكرنا لا من مكة الذي يدل عليه قول المحشي الشامي
فخرج من اخر على الحرا فاد فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا الى اخره فليتامل
والله اعلم قال ثم حدثتها بالذي رايت اي من سماع الصوت ورؤية جبريل وقوله له يا محمد
انت رسول الله فقالت ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسي بيده اني لارجوا ان تكون نبي
هذه الامة ثم قامت وجمعت عليها ثيابها اي التي تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى
ورقة بن نوفل فاخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى وسمع اي
جبريل وسمع منه انت رسول الله وانا جبريل فقال ورقة قدوس قدوس بالضم والفتح
والذي نفسي بيده لئن كنت صدقتني يا محمد لقد جاءه الناموس الاكبر الذي ياتي موسى الذي
هو جبريل وانه لنبي هذه الامة فقوله لئن بسبب والقدوس الطاهر المنزه من العيوب وهذا
ينادي للنفي اي وجاء بعد قدوس سبوح سبوح وما لجبريل يذكر في هذه الارض التي يعبد
فيها الاوثان جبريل امين الله بين الله وبين رسله اي لان هذا الاسم لم يكن معروفا
بمكة ولا غيرها من بلاد العرب ثم رجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف اي فرغ ما تزود
وليس المراد انقضاء جواره بانقضاء الشهر لان ذلك كان قبل ان يجيء له جبريل باقرأ باسم
ربك كما تقدم اي وذلك كان في الشهر الذي اكرمه الله فيه برسالته فصنع ذلك صنع
كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال
له يا ابن اخي اخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ورقة والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي
جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه السكتة ولا تكون الا ساكنة
ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم ادنى ورقة راسه صلى الله
عليه وسلم وقبل يافوخه اي وسط راسه لان اليافوخ بالهمز وسط الراس اذا
اشتد برد قيل اشتداده كما في راس الطفل يقال له اليافوخ بالغاء ثم انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى منزله اي ولا مانع من تكرار مراجعته ورقة فتارة قال قدوس

وتارة

وتارة قال سبوح سبوح فيجمع بين ذلك في وقت واحد وبعض الروايات اقتصر على احد اللفظين وقد جاء
ان ابا بكر رضي الله عنه دخل على خديجة اي وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
له يا عتيق اذهب بمحمد الى ورقة اي بعد ان اخبرته بما اخبرها به رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما سيذكر فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ ابو بكر بيده فقال
انطلق بنا الى ورقة وذهب به الى ورقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هاربا الى الارض فقال له لا تفعل
اذا اتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني اي وهذا قبل ان يراه ويجتمع به ويجيء
اليه بالقران وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة ثلاث مرات الاولى على يد ابي بكر
وذلك قبل ان يرى جبريل والثانية التي راى فيها جبريل وسمع منه ولم يجتمع به
وذلك عند اضطجاعه صلى الله عليه وسلم برؤية الطائف والثالثة التي بعد مجيء جبريل له
يقظة بالقران اي باقرأ باسم ربك على المعهود منا ولما نزل وذلك عقب مجيء
خديجة ولا ينافي ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر كما سياتي ان القصة واحدة ثم تتعدد
ومخرجها واحد له مراده قصة مجيء جبريل له يقظة باقرأ باسم ربك وسياتي ما فيه
وانما قال ورقة [illegible] ابن اخي قيل لانه يجتمع مع عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم
في قصي فكان عبد الله بمنزلة الاخ له وانه قال ذلك توقيرا لما ذكره ورقة موسى
دون عيسى عليهما السلام مع ان عيسى اقرب منه وهو على دينه لانه كان على دين حكيم عاد
على دين عيسى عليهما السلام لان نبوة موسى عليه السلام مجمع عليها اي على انها ناسخة
لما قبلها وان شريعة عيسى قيل انها متممة ومقررة لشريعة موسى عليه السلام لا ناسخة
لها قيل ولان ورقة كان ممن تنصر اي كما علمت والنصارى لا يقولون بنزول جبريل على
عيسى اي بل كان يعلم الغيب لانهم يقولون فيه انه احد الاقانيم الثلاثة الا هو ثلاثة
وذلك الاقنوم هو اقنوم الكلمة التي هي العلم حل بناسوت المسيح واتحد به فلذلك
كان يعلم علم الغيب ويخبر بما في الغد اقول وجاء في رواية انه قال مثل ناموس
موسى وعيسى عليهما السلام اي ففي بعض الروايات جمع وفي بعضها اقتصر على موسى وفي
الاقتصار على موسى دون عيسى كما علمت ثم رايت انه جاء في بعض روايات الصحيح الاقتصار
على عيسى فقال هذا الناموس الذي نزل على عيسى فهو كما جاء الجمع بينهما جاء الاقتصار
على كل منهما ثم رايت في فتح الباري ان الحديث اخبار خديجة لورقة بالقصة قال لها هذا
ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند اخبار النبي صلى الله عليه وسلم له بالقصة

قال هذا انا موسى وموسى لحنا بستين بينهما لان موسى ارسلها النقمة على فرعون وقد وقعت
النقمة على يد نبينا عليه الصلاة والسلام على فرعون هذه الامة ابو جهل هذا
كلامه قلبنا نكل • وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال في حق ابي جهل يوم بدر
هذا فرعون هذه الامة والله اعلم • وعن عائشة رضي الله عنها جاءه الملك سحرا
اي سحر يوم الاثنين بغتة لانه كان ما اي بغير تخطيط فقال له اقرأ فقال ما انا
بقارئ اي ولا احسن القراءة قال فاخذني فغطني اي ضمني وعصرني وهي بغط
ثم اخذ بحلقي حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ اي
لا احسن القراءة اي لا احفظ شيئا اقرؤه فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ اي كيف اقرأ وهو وجد انه لو
كان كذلك لقال ما اقرأ او ماذا اقرأ الا ان يقال الا ان يطلق ذلك ولا دليل فيه
الذي هو الاستفهام خصوصا وقد قدمنا قال فاخذني فغطني الثالثة حتى
بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اهـ ول
وقوله بغير لفظ هو ظاهر الروايات ويجوز ان يكون لفظ الغط سقط في هذه
الرواية كغيرها من الروايات ويؤيده اقتصار الشيخ الهيتمي على تعبيره بالغط
ولا يخفى انه علم ان قول جبريل اقرأ امر بالقراءة وفيه انه من التكليف بما لا يطاق
اي في الحال وحمله بعضهم انه لمجرد التنبيه واليقظة لما يلقى اليه وفيه انه
لو كان كذلك لم يحسن ان يقال في جوابه ما انا بقارئ الذي معناه لا احسن القراءة
الا ان يقال جبريل اراد التنبيه بالامر وجوابه صلى الله عليه وسلم بناه على ظاهر
اللفظ واعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ما انا بقارئ في المواضع الثلاث معناه مختلف
ففي الاولى معناه الاخبار بعدم ايجاد القراءة والثانية معناه الاخبار بانه لا يحسن
شيئا يقرأه وان كان ذلك هو مستند الاول والثالثة معناه الاستفهام عن
اي شيء يقرأه وهو مما علمت وبعضهم جعل قوله الاول لا احسن القراءة
وحينئذ يكون معنى الثانية يكون تاكيدا لها اي الغرض منهما شيء واحد • قال
بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم وتعليم العلم انه ادنى مراتب
الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله تعالى امتن على الانسان من
ادنى المراتب وهي العلقة الى اعلاها وهي تعليم العلم • وقد اشتملت هذه الآيات

وجه مناسبة هذه الآية

على

وحكمة تكرير الغط ثلاثا

على براعة الاستهلال لكونها تشتمل على اول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ما سيق الكلام
لاجله فانها اشتملت على الامر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله تعالى وفي ذلك تمام ذكر وفي الاتقان
قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة ان تسمى عنوان القرآن لان عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة
موجزة في اوله وكرر جبريل الغط ثلاثا لنكته واقتصر بعض الشراح على ذلك وهو الغامي شرح
ان المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن اكثر من ثلاث مرات واورد الحافظ السيوطي عن
الكامل لابن عدي بسند ضعيف عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يضرب المؤدب فوق
ثلاث مرات • وذكر السهيلي ان في ذلك اي الغط ثلاثا اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم
يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الاولى ادخال قريش له
الشعب والتضييق عليه صلى الله عليه وسلم • والثانية لما اتفقوا على الاجتماع على قتله
والثالثة خروجه من احب البلاد اليه • وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل
اي قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى اخر ما تقدم في الكلام على امر الرضاع
ثم قال له جبريل اقرأ الحديث فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح
بذلك البخاري وما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله
عليه وسلم قال يا محمد استعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن
الرحيم ثم قال اقرأ باسم ربك قال الحافظ ابن كثير هذا الاثر في اسناده ضعف وانقطاع
ايضا لا يرد للقول بان اول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره
ورده على الجلال السيوطي حيث قال وعندي ان هذا لا يعد قولا برأسه فان من ضرورة
نزول السورة نزول البسملة معها فهي اول آية نزلت على الاطلاق هذا
كلامه والله اعلم • قال الحافظ ابن حجر هذا الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتداء الوحي
من خصائصه صلى الله عليه وسلم اذ لم ينقل عن احد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه
انه جرى له عند ابتداء الوحي مثل ذلك ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الآيات
رجع بها ترجف بوادره والبادرة اللحمة التي بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع
ويقال لها الفريصة والفرائص اي وفي رواية يرجف فؤاده اي قلبه ولا مانع من اجتماع
الامرين لان تحرك البادرة ينشأ من فزع القلب حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة
فقال زملوني زملوني اي غطوني بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء اي
الفزع ثم اخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسي وفي رواية على عقلي كما في الامتاع ثم
قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا اي لا يفضحك انك لتصل الرحم

الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل اي الثقل الذي يحمل منه التعب والاعيا لغيرك
وتكسب المعدوم بفتح التا والمعدوم الذي لا مال له لان من لا مال له كالمعدوم
اي توصل اليه الخير الذي لا يجده عند غيرك ويجتابه سقوطه قول الخطابي
الصواب المعدم بلا واو ولان المعدوم اي المتحض المعدوم لا يكسب اي لا يعطي
الكسب وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق اي حوادث ثم فانطلقت
به خديجة حتى اتت ورقة بن نوفل فقالت له خديجة اي عم اسمع من ابن
اخيك اي وقولها اي عم صوابه ابن عم لانه ابن عمها لا عمها كما وقع في مسلم
قال ابن حجر وهو وهم لانه وان كان صحيحا لارادة التوقير لكن القصة
لم تتعدد ومخرجها متحد اي فلا يقال يجوز انها جات اليه بعد نزول الاية
مرتين قالت في مرة اي عم وفي مرة اي ابن عم قال ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فاخبره
صلى الله عليه وسلم خبر ما راى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل على
موسى اي صاحب سر الوحي وهو جبريل يا ليتني فيها جذعا اي يا ليتني حين
اكون في زمن الدعوة الى الله اي اظهار الدعوة الى الله الذي جاء بها وانه [illegible]
وجودها بنا على انها ضد الدعوة التي هي الرسالة على النبوة [illegible] شابا
[illegible] يا ليتني اكون حيا حين يخرجك قومك فقال صلى الله عليه وسلم او مخرجي
هم بتشديد الياء المفتوحة لانه جمع مخرج اذ مخرجوني حذفت النون للاضافة
فصار مخرجوي قلبت الواو يا وادغمت قال ورقة نعم لم يات رجل بما جيت به الا
عودي اي تكون له العداوة بسبب اخراجه وهذا يفيد بظاهره ان من تقدم من
الانبيا اخرجوا من اماكنهم لمعاداة قومهم لهم والا فمجرد المعاداة لا تقتضي
الاخراج فلا يحسن ان يكون علة له وهو يويد ما تقدم عن [illegible]
ان كل نبي اذا كذبه قومه خرج من بين اظهرهم الى مكة يعبد الله تعالى بها حتى يموت
وتقدم ما فيه وفي كونه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيا في جواب قول ورقة
انه يكذب ويوذي ويقاتل وقال في جواب قوله انه يخرجك او مخرجي هم استفهام
انكاري دليل على شدة حب الوطن وعسر مفارقته خصوصا وذلك الوطن
حرم الله تعالى وجوار بيته ومسقط راسه قال وان يدركني يومك
انصرك نصرا موزرا اي شديدا قويا من الازر وهو القوة والذي في الحديث
الصحيح وان يدركني يومك وسياتي ما في بعض الروايات وان يدركني ذلك

قال

قال السهيلي وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذي يدركه
ما ياتي بعده كما جا اشقى الناس من ادركته الساعة وهو حي هذا كلامه اي
وفي بعض الروايات ان قال لها ان ابن عمك لصادق وان هذا لبدء نبوة وفي لفظ
انه نبي هذه الامة اي وفي السيرة ان قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت
على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله تعالى من النبوة ولكن لعله خشي ان لا
يحمل قوة مقاومة الملك واعبا الوحي بنا على انه قال ذلك بعد لقا الملك
وارساله اليه بالنبوة فان النبوة اثقال لا يستطيع حملها الا اولوا العزم
من الرسل وفي كلام الحافظ ابن حجر اختلف العلما في هذه الخشية على اثني
عشر قولا واولاها بالصواب واسلمها من الارتياب ان المراد بها الموت
او دوام المرض هذا كلامه [illegible] ابن خشية على عقلي قال وفي بعض
الروايات ان خديجة قبل ان تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس
وكان نصرانيا من اهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام فقالت له يا عداس
اذكرك الله الا ما اخبرتني هل عندكم علم من جبريل فقال ان هذا الاسم لم يكن
معروفا بمكة ولا بغيرها من ارض العرب كما تقدم فقال عداس قدوس قدوس
ما شان جبريل يذكر في هذه الارض التي اهلها اهل الاوثان اي والقدوس المنزه
عن العيوب وانه هذا ابتدا للتعجب كما تقدم فقالت اخبرني بعلمك فيه قال هو
امين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام انتهى وفيه
انه سياتي عند الكلام على ذهابه صلى الله عليه وسلم للطائف بعد موت ابي
طالب [illegible] اجتماعه بعداس الموصوف بما ذكر لكن في تلك
القصة ما قد يخالف [illegible] المذكور هنا فليتامل ثم رايت ان عداس
المذكور هنا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه
من الكبر وان خديجة قالت له انعم صباحا يا عداس فقال لها كان هذا الكلام
كلام خديجة سيدة نسا قريش قالت اجل قال ادني مني فلقد ثقل سمعي
فدنت منه ثم قالت له ما تقدم وهذا صريح في انه غير عداس الذي ذكر
وانما اشتركا في الاسم والبلد والدين اي [illegible] لعتبة بن
ربيعة ففي كلام ابن دحية عداس كان غلاما لعتبة بن ربيعة من اهل
نينوى عنده علم من الكتاب فارسلت اليه خديجة تساله عن جبريل فقال

قدوس قدوس الحديث ولا يخفى ان هذا اشتباه وقع من بعض الرواة بلا شك وفي رواية
ان محمدا اشار هذا فقال لها يا خديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فأراه امورا
فخذي كتابي هذا وانطلقي الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه
وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا
هي برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه ن والقلم وما يسطرون
ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم
فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا
ثم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم فداك ابي وامي امض معي الى عداس فلما
رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر
اليه عداس خر ساجدا يقول قدوس قدوس انت والله النبي الذي بشر
به موسى وعيسى الحديث وفيه ايضا انه كان هذا قبل ان تذهب به الى ورقة
واتفق ان نزول ن والقلم قبل اقرأ ولا يحسن ذلك مع قوله لجبريل ما انا
بقارئ اذ هو صريح في انه لم يقرأ قبل ذلك شيئا ومن ثم كان المشهور ان اول
ما نزل اقرأ وكون نون نزلت لهذا السبب مخالف لما ذكر في اسباب النزول
انها نزلت لما وصفه المشركون بانه مجنون الا ان يقال لا مانع من تعدد النزول
وذكر ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم لما اخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط
كتبت الى بحيرا الراهب فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس
يا سيدة نساء قريش انى لك بهذا الاسم فقالت بعلي وابن عمي اخبرني
بانه يأتيه فقال انه السفير بين الله وبين انبيائه وان الشيطان
لا يجترئ ان يتمثل به ولا يتسمى باسمه وهذه العبارة اي كون جبريل
هو السفير بين الله وبين انبيائه صدرت عن الحافظ السيوطي وقال
ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة وقد اعترض عليه بعضهم بان اسرافيل كان
كان سفيرا بين الله وبينه صلى الله عليه وسلم فعن الشعبي انزلت
صلى الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة وقرن بنبوته اسرافيل
ثلاث سنين فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل وفي لفظ عنه لما
مضت ثلاث سنين تولى عنه اسرافيل وقرن به جبريل اي وفي لفظ
ان اسرافيل قرن به قبل النبوة ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه

يعلمه

وعند نزول عيسى عليه السلام يوحى اليه

يعلمه الشيء بعد الشيء الى اخره وحينئذ يلزم ان يكون قرن به بعد النبوة ثلاث سنين ايضا
وسيأتي عن بعض الحفاظ المتأخرة فترة الوحي فليتأمل واجاب الحافظ السيوطي
عن ذلك بان السفير هو المرصد لذلك وذلك لا يعرف لغير جبريل ولا ينافي
ذلك مجيء غيره من الملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان لكن
ان تقول ان كان المراد المجيء الذي يوحى من الله كما هو المتبادر فليس في هذه
الرواية انه اسرافيل كان يأتيه بوحي في تلك المدة وجواب الحافظ ينتفي
ان اسرافيل وغيره من الملائكة كان يأتيه بوحي من الله قبل مجيء جبريل له
بوحي غير النبوة ولا يخرجه ذلك عن الاختصاص باسم السفير وبان
اسرافيل لم ينزل لغير النبي صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
كما سيأتي في الحديث فلم يكن السفير بين الله وبين جميع انبيائه • فيكون المختص
جبريل بذلك لانه اول من سجد من الملائكة لآدم • وكاتبه سيأل هل عيسى بعد
نزوله يوحى اليه فاجاب بنعم واورد حديث النواس بن سمعان الذي اخرجه
مسلم واحمد وابو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وفيه التصريح بانه يوحى
اليه قال والظاهر ان الجائي له بالوحي جبريل قال بل هو الذي يقطع به ولا
يتردد فيه لان ذلك وظيفته وهو السفير بين الله وانبيائه لا يعرف ذلك
لغيره من الملائكة ثم استدل على ذلك بما يطول قال وما اشتهر على السنة الناس
ان جبريل لا ينزل الى الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فهو شيء لا اصل له
وزعم زاعم ان عيسى عليه السلام انما يوحى اليه وحي الهام ساقط قال وحديث
لا وحي بعدي باطل اي ويدل لما ذكر ما رأيته في كلام بعضهم جبريل ملك عظيم
ورسول كريم مقرب عند الله امين على وحيه وهو سفيره الى انبيائه كلهم وسماه
روح القدس والروح الامين واختصه بوحيه من بين الملائكة المقربين
قال ورأيت في بعض التواريخ ان جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم
ستة وعشرين الف مرة ولم يبلغ احد من الانبياء هذا العدد والله اعلم • وفي
اسباب النزول للواحدي عن علي رضي الله عنه لما سمع النداء يا محمد قال لبيك قال
قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم قال قل الحمد لله رب
العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة اي فلما بلغ ولا الضالين
قال قل آمين فقال آمين كما في رواية عن وكيع وابن ابي شيبة وجاء في حديث قال

بعضهم اسناده ليس بالقائم اذا دعى احدكم فليختم بآمين فان آمين في الدعاء مثل الطابع
على الصحيفة • وفي الجامع الصغير آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده
المؤمنين اي خاتم دعاء رب العالمين اي يمنع من ان يتطرقا اليه رد وعدم
قبول ومن ثم لما سمع صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو قال قد اوجب ان ختم بآمين
فاتى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة ابشر ثم
ابشر فاني اشهد انك الذي بشر به ابن مريم فانك على مثل ناموس موسى وانك
نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن ادركني ذلك لاجاهدن
معك اقول هذا لا يدل للقول بان الفاتحة اول ما نزل وعليه كما قال في
الكشاف اكثر المفسرين اذ يبعد كل البعد ان تكون هي اول الوحي قبل نزول
اقرأ باسم ربك ثم رأيت عن البيهقي انه قال فيما تقدم عن اسباب النزول هذا
مرسل رجاله ثقات فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت
عليه اقرأ باسم ربك والمدثر اي والمدثر نزلت بعد يا ايها المزمل • ثم رأيت
ابن حجر اعترض على ما تقدم عن الكشاف بقوله الذي ذهب اليه اكثر الائمة
هو اولا وكذا اي القول بانها اقرأ واما الذي نسبه الى الاكثر فلم يقل به الا عدد
اقل من القليل بالنسبة الى من قال بالاول هذا الكلام • ثم رأيت النووي قال
القول بان الفاتحة اول ما نزل بطلانه اظهر من ان يذكر اي ومما يدل على ذلك
ما جاء من طرق عن مجاهد ان الفاتحة نزلت بالمدينة ففي تفسير وكيع عن مجاهد
فاتحة الكتاب مدنية وفيه ايضا عن قتادة انها نزلت بمكة وعن علي كما في
اسباب النزول للواحدي انها نزلت بمكة من كنز تحت العرش وفيها عنه لما قام صلى
الله عليه وسلم بمكة فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين فقالت قريش
رض الله فاك وفي الكشاف ان الفاتحة نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة فهي
مكية مدنية هذا الكلام وسبقه على ترجيح انها مكية القاضي البيضاوي حيث قال
وقد صح انها مكية • وفي الاتقان وذكر قوم منهم ان مما تكرر نزوله الفاتحة
فانه يقال [illegible] الا بنا على انها نزلت بهما اي بمكة ثم بالمدينة مبالغة في شرفها
وقد اشار القاضي البيضاوي الى ان تكرر نزولها ليس بمجزوم به وقيل نزل نصفها
بمكة ونصفها بالمدينة قال في الاتقان والظاهر ان النصف الثاني نزل بالمدينة
وقال ولا دليل لهذا القول هذا الكلام واستدل بعضهم على انها مكية بانه لا خلاف ان سورة

الحجر

فضل الفاتحة واسمائها

الحجر مكية وفيها ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهي الفاتحة • عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرئ عليه الفاتحة والذي نفسي بيده ما انزل الله في التوراة
ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها انها لهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي
اوتيته • وقد حكى بعضهم الاتفاق على ان المراد بالسبع المثاني في اية الحجر هي الفاتحة ويرد
دعوى الاتفاق قول الجلال السيوطي وقد صح عن ابن عباس تفسير السبع المثاني في اية الحجر بالسبع
الطوال ومما يدل على ان المراد بها الفاتحة ما ذكر في سبب نزولها وهو ان عيرا لابي جهل
قدمت من الشام بمال عظيم وهو سبع قوافل ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ينظرون
اليها واكثر اصحابه بهم عري وجوع فخطر ببال النبي صلى الله عليه وسلم شيء لحاجة اصحابه
فنزلت اي آتيناك سبعا من المثاني مكان سبع قوافل ولا تنظر الى ما اعطيناه لابي جهل
وهو متاع الدنيا الدنية ولا تحزن عليهم على اصحابك واخفض جناحك لهم فان تواضعك
لهم اطيب لقلوبهم من ظفرهم بما يحبون من اسباب الدنيا • ومما رأيته في الجامع الصغير لو ان فاتحة
الكتاب جعلت في كفة الميزان والقرآن في الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب
على القرآن سبع مرات • ومن الفاظ فاتحة الكتاب شفاء من كل داء • ومن لفظ فاتحة الكتاب
تعدل ثلثي القرآن • ولها مثل ولها اثنان وعشرون اسما • وذكر بعضهم ان لها [illegible] اسما
وذكرها الاستاذ الشيخ ابو الحسن البكري في تفسيره الوسيط • قال السهيلي ويكره ان يقال
لها ام القرآن لما ورد لا يقولن احدكم ام الكتاب وليقل فاتحة الكتاب قال الحافظ السيوطي
ولا اصل لهذا في شيء من كتب الحديث وانما اخرجه ابن الضريس بهذا اللفظ عن ابن سيرين
وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة تسميتها بذلك هذا الكلام ولا يخفى ان جاء في تسمية
الفاتحة ذكر المضاف تارة وهو سورة كذا واسقاطه اخرى وتارة جوز الامرين معا
وهو يحمل على ان تسمية السور توقيفي • ثم رأيته في الاتقان قال قال الزركشي في البرهان
ينبغي البحث عن تعداد الاسامي هل هو توقيفي او بما يظهر من المناسبات فان كان الثاني فلن يعدم الفطن ان
يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق اسمائها وهو بعيد هذا الكلام ويلزم
القائل بانها انما نزلت في المدينة ان مدة اقامته صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير الفاتحة
كذا في اسباب النزول وهذا مما لا تقبله العقول اي لانه لم يحفظ انه كان في الاسلام صلاة
بغير الفاتحة اي ويدل لذلك ما رواه الشيخان لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
وفي رواية لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها الرجل بفاتحة الكتاب والمراد في كل ركعة لقوله صلى
الله عليه وسلم للمسيء صلاته اذا استقبلت القبلة فكبر ثم اقرأ بام القرآن ثم اقرأ بما شئت

الى ان قال ثم استمر ذلك في صلاته كلها اي القراءة بام القران في كل ركعة وجاء على شرط الشيخين
ام القران عوض من غيرها وليس غيرها عوضا منها ويدل لذلك ايضا ومقابل القول بانها
انما نزلت بالمدينة بانه هفوة من قائله لانه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه فقد رأى
لان نزولها كان بعد فترة الوحي بعد نزول يا ايها المدثر ويجزم على كونها نزلت بعد المدثر
انه صلى الله عليه وسلم صلى بغير الفاتحة في مدة فترة الوحي على ما سيأتي وفي الاتقان انزل
الملك يبشره بالفاتحة وبالآيتين من سورة البقرة يدل على انها نزلت بالمدينة فقد
اخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم
سمع نقيضا اي صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط
الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال
ابشر يا محمد بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
هذا الكلام منه فليتأمل وجه الدلالة الذي من هذا على انه ثبت انه من الكامل الحمد لله وما بعدها
بانها اي خواتيم البقرة نزلت عليه ليلة الاسراء بقاب قوسين • ومما يدل على ان
البسملة آية منها نزولها معها اي كما في بعض الروايات والآثار وآية المعوذتين تدل
على انها لم تنزل معها ويدل لكون البسملة آية من الفاتحة ما اخرجه الدارقطني وصححه
البيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأتم
الحمد لله فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني
وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها • وقد اخرج الدارقطني عن علي رضي الله عنه انه سئل
عن السبع المثاني فقال الحمد لله رب العالمين فقيل له انما هي ست آيات فقال بسم الله
الرحمن الرحيم آية • وقيل لها السبع المثاني لانها سبع آيات وتثنى في الصلاة وقيل
لانها ثنى كل القران لانه يثنى فيه صفات المؤمنين والكفار والمنافقين وقصص الانبياء
والوعد والوعيد قال بعضهم والاوجه ان يقال المراد بالسبع المثاني السبع الطوال
اي كما انها المرادة من قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني على ما تقدم وهي البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والسابعة يونس وقيل براءة
وقيل الكهف • وعن ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عد البسملة آية من
الفاتحة ويدل لذلك ما جاء في تفسير البيضاوي عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عد بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين آية لكن روى جماعة من الحفاظ عن ام سلمة
بالفاظ تدل على ان بسم الله الرحمن الرحيم وحدها آية وفي الاستدلال على ان البسملة آية

والبسملة آية من الفاتحة

من الفاتحة بكونها تركت اولها يقتضي ان البسملة ليست آية من اقرأ باسم ربك ومن ثم قال الحافظ الدمياطي
نزول اقرأ بدون بسملة يدل على ان البسملة ليست آية من كل سورة واستدل بعدم نزولها في اول
سورة اقرأ ايضا كما قال الامام النووي من يقول ان البسملة ليست بقرآن في اوائل السور اي وانما
انزلت وكتبت للفصل والتبرك بها وهذا القول نسب لقول امامنا في القديم وهو مردود فقد
المعنية قال وجوابا لمن شك في ثبوتها في ذلك انها نزلت في وقت آخر كما نزل باقي السورة
اي سورة اقرأ وجوابهم ايضا بان الاجماع من الصحابة والسلف على اثباتها في مصاحفهم مع مبالغتهم
في تجريدها مما ليس من القرآن فيها حتى انهم لم يكتبوا آمين فيها واستدل ايضا بعدم قرآنيتها
في اوائل السور بعدم تواترها في محلها لا ينتفي سلب القرآنية عنها ورد هذا الرد بان الامام
الكافيجي قال المختار عند المحققين من علماء السنة وجوب التواتر اي في القرآن في محله ووضعه
وترتيبه ايضا كما يجب تواتره في اصله • اي ومن المشكلات ان البسملة من القرآن بلا شك عند العلماء
بانه وتكرارها في السور ككلمات تكررت من القرآن من سائر كل سورة وهو ظاهر بحيث
ما ذهب اليه امامنا من انها آية من كل سورة ويحتمل لما قاله التهليلي جب قال نقول انها آية من
كتاب الله مقترنة من السور • وفي كلام ابي بكر بن العربي وزعم الشافعي انها آية من كل سورة
وما سبقه الى هذا القول احد فانه لم يقلها احد انها آية من سائر السور ونقل عن امامنا الشافعي
انها آية من اول الفاتحة دون بقية السور • وعن الربيع قال سمعت الشافعي يقول اول الحمد بسم
الله الرحمن الرحيم واول البقرة الم قال بعضهم وهو يدل على ان البسملة آية من اول الفاتحة
دون بقية السور فانها ليست آية من اولها بل هي آية من اولها اعادة لها وتكريرا لها • وربما
يؤيد ذلك قول الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بالبسملة
والفاتحة هذا الكلام وكونه صلى الله عليه وسلم خص بالبسملة يخالف ما ذكر في الاتقان
عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض الصحابة الا اعلمك آية لم تنزل على نبي
بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم كما سيأتي • قيل وانما تركت البسملة من اول براءة لعدم
المناسبة بين الرحمة التي تدل عليها البسملة والتبري الذي يدل عليه اول براءة وورد في
[illegible] بانها جاءت في اوائل السور المبدوءة بويل قال واين الرحمن من الويل وذكر بعضهم
ان الانفال وبراءة سورة واحدة اي ففي ابن عباس رضي الله عنهما لم يكتبوا بين براءة
والانفال سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كانت الانفال من اوائل ما نزل بالمدينة
وكانت براءة من آخر ما نزل بالمدينة وكانت قصتها شبيهة بالاخرى فظننت انها منها
وفي كلام بعض المفسرين عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان ان الضحى والم نشرح

وانما تركت البسملة من اول براءة

سورة واحدة فكانا يقرآنهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم لانهما
رايا ان اولهما شبيه بقوله الم يجدك يتيما وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه صلى الله عليه
وسلم بايذاء الكفار وهذه حال محنته وضيقه وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف
يجتمعان هذا كلامه • وذكروا ايضا انه يكفي في وجوب الاثبات بالبسملة في الفاتحة
في الصلاة الظن المفيد لخبر الاحاد وعدم التواتر بذلك لا يكفي في نفي كونها
اية من الفاتحة باجماع المسلمين • وقد جهر بها صلى الله عليه وسلم كما رواه جمع من الصحابة
قال ابن عبد البر منهم احد وعشرون صحابيا • واما ما رواه مسلم عن انس قال صليت
مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم اجيب عنه بانه لم ينف الا السماع ويجوز انهم تركوا الجهر بها في بعض الاوقات
بيانا للجواز • ويؤيده قول بعضهم كانوا يخفون البسملة • واما ما رواه البخاري
وابو داود والترمذي وغيرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر
كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين فمعناه بسورة الحمد لا بغيرها
من القرآن ولا يبعد هذا الحمل ما رواه عبد الله بن مغفل انه قال سمعني ابي
وانا اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال اي بني اياك والحدث فاني صليت مع النبي
صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يقوله فاذا قرأت فقل الحمد لله رب
العالمين فانه لما لم يسمع منهم ظن انهم لم يأتوا بها ارشد فقال ذلك وكذا ما روي
كانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم فعلى تقدير ثبوت هذه الروايات وصحتها يجوز
ان يكون الراوي فهم مما تقدم ترك البسملة فروى بالمعنى فاخطأ • ومما استدل به
على ان البسملة ليست من الفاتحة ما جاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى قسمت الصلاة اي الفاتحة في الصلاة بيني وبين عبدي
نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال الحمد لله رب العالمين
قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال مجدني عبدي واذا قال
مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذه بيني
وبين عبدي ولعبدي ما سأل فيقول عبدي اهدنا الصراط المستقيم الى اخرها قال
ابو بكر بن العربي المالكي فانتفى بذلك ان تكون بسم الله الرحمن الرحيم اية منها من
وجهين الاول انه لم يذكرها في القسمة والثاني انها لو كانت في القسمة لما كانت
نصفين بل يكون لله فيها اكثر مما للعبد لان بسم الله الرحمن الرحيم ثناء على الله تعالى لا شيء

للعبد

وترتيبها ايضا

للعبد فيه ثم ذكروا ان التعبير بالصلاة عن الفاتحة يدل على ان الفاتحة من فروضها واطال في
ذلك • وبيان ما في الحديبية انه صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم وبجدك
موافقة للجاهلية فلما كتب وذلك في اربعة كتب واولهن كتبها امية بن ابي الصلت فلما
نزلت بسم الله مجريها ومرساها كتب بسم الله ثم لما نزلت ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب •
بسم الله الرحمن ثم لما نزل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتب بسم الله الرحمن الرحيم
كذا نقل عن الشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت
سورة النمل وهذا يفيد ان البسملة لم تنزل قبل ذلك في شيء من اوائل السور ويؤيده قول
السهيلي ثم كان بعد ذلك اي بعد نزول وانه بسم الله الرحمن الرحيم ينزل جبريل عليه السلام
ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة اي تمييزا لها من غيرها وقد ثبت في سواد المصحف بالاجماع
من الصحابة على ذلك هذا كلامه وليتأمل ما فيه فانه يدل للقول بان البسملة ليست من اوائل
السور وانما هي للفصل فقد علمت ان البسملة نزلت اول الفاتحة عليها في بعض الروايات ونقل
ابو بكر التونسي اجماع علماء كل امة على ان الله تعالى افتتح جميع كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم
وفي الاتقان عن الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض الصحابة الا اعلمك اية
لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى
ان البسملة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ومن قوله عليه الصلاة والسلام على نبي بعد
سليمان غيري يشكل عليه ان عيسى بين سليمان وبينه صلى الله عليه وسلم وكتابه الانجيل
وهو مبدأ بكتب الله المنزلة • ومن الخصائص ان البسملة لما نزلت سبحت الجبال فقالت قريش
سحر محمد الجبال قال السهيلي ان صح ما ذكر فانما سبحت الجبال خاصة لان البسملة انما نزلت
على داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود والله اعلم • ثم لم يلبث ورقة ان توفي
قال سبط ابن الجوزي وهو اخر من مات في الفترة ودفن بالحجون فلم يكن مسلما
ويؤيده ما جاء في رواية في سندها ضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما انه مات على
نصرانيته وهذا يدل على ان من ادرك النبوة وصدق بنبوته صلى الله عليه وسلم
ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها لا يكون مسلما بل يكون من اهل الفترة فلما توفي
ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رايت القس يعني ورقة في الجنة وعليه
ثياب الحرير اي والقس بكسر القاف رئيس النصارى وبفتحها تتبع الشيء هذا وفي
القاموس القس مثلث القاف تتبع الشيء وطلبه كالتقسس وبالفتح صاحب الابل
الذي لا يفارقها ورئيس النصارى في العلم ومن رواية انه في بطنان الجنة

ولما نزلت البسملة

القول على ورقة بن نوفل

وعليه السندس وفي رواية فقد رايته في المنام وعليه ثياب بيض واحسبه اي اظنه لو كان من اهل
النار لم تكن عليه ثياب بيض. اقول جمع الروايات الثلاثة انه لم يره في الجنة فقد تعددت
الرواية واما الرواية الثالثة فلا تخالف الروايتين الاوليين لان السندس من افراد
الحرير فلا دلالة فيه على التعدد والله اعلم. وفي رواية لا تسبوا ورقة فاني
رايت له جنة او جنتين لانه امن بي وصدقني اي قبل الدعوة التي هي الرسالة ولا
مانع ان يكون بعض اهل الفترة من اهل الجنة اذ لو كان مسلما حقيقة بان ادرك الدعوة
وصدق به ثم نبيل فيه صلى الله عليه وسلم واحسبه لو كان من اهل النار لم يكن عليه ثياب
بيض. وجزم ابن كثير باسلامه فقال بعضهم وهو الراجح عندها بغية الائمة ايضا
على انه ادرك الدعوة الى الله تعالى التي هي الرسالة فمن الانباع ان ورقة مات
في الفترة الواقعة في البعث ويوافقه ما ياتي عن سيرة ابن اسحاق ومن كتاب
الخميس وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم لانه امن بي وصدقني واضحا وبياني من
الذهبي ما يجاريه ثقتهم من سبط ابن الجوزي انه من اهل الفترة ومن
يحيى بن ابي كثير قال سالت جابر بن عبد الله يعني عن ابتداء الوحي فقال لا احدثك الا
ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت
فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا فنظرت عن يساري فلم ار شيئا فنظرت من خلفي
فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا بين السماء والارض وفي رواية فاذا الملك الذي
جاءني بحراء جالس على كرسي زاد في رواية متربعا عليه وفي لفظ على عرش بين السماء
والارض فرعبت منه فاتيت خديجة فقلت دثروني وفي رواية زملوني زملوني
وصبوا علي ماء باردا فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت هذه الاية يا ايها المدثر
اي الملتف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعد فانذر وبشر لانه كان
بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن امن ولم يكن احد
امن قبل وهذا يدل على ان هذه الاية اول ما نزل له اي قبل اقرأ وان النبوة
والرسالة مقترنتان قال الامام النووي والقول بان اول ما نزل يا ايها
المدثر ضعيف باطل وانما نزلت بعد فترة الوحي لما يدل عليه قوله
فاذا الملك الذي جاءني بحراء الان بيانه جابر طا عمر وابنان واضح في ابتداء
الوحي واخرى في فترة الوحي فبعض الرواة خلط وسياتي الجمع بين الروايات
في اول ما نزل. وعن اسمعيل بن ابي حكيم مولى الزبير انه حدث عن خديجة رضي الله

عنها

عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتستطيع ان تخبرني بصاحبك هذا الذي
ياتيك اذا جاءك قال نعم اي وذلك قبل ان ياتيه بالقران اي بعد سنة وهو اقرأ
باسم ربك بناء على ان اول ما نزل فجاءه جبريل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا خديجة هذا جبريل قد جاءني اي قد رايته قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن
عم اثبت وابشر فوالله انه لملك ما هذا الشيطان والى ذلك اشار صاحب الهمزية بقوله
واتاها ان تبينها جبريل. ولذي اللب في الامور ارتياء. فامطت عنها الخمار لتدري
اهو الوحي ام هو الاغماء. فاختفى عند كشفها الراس. جبريل فما عاد او اعيد الغطاء
فاستبانت خديجة انه الكنز. الذي حاولته والكيمياء.
اي واتاها قال ابن حجر اي بعد البعثة اي النبوة واجتماعه به في بيتها حامل
الوحي جبريل يلوح لصاحب العقل الكامل في الامور التي قد تشتبه استبصار ...
كان استبصارها ازالت عن راسها الخمار اي ما يغطى به الراس لتعلم عين اليقين ان
هذا الذي يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحي الذي كان ياتي به
الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله ام هو الاغماء الذي هو بعض الاعراض الجائزة
عليهم عليهم الصلاة والسلام وفيما انه ينبغي ان يكون المراد الاغماء الناشئ عن لمة الجن
يكون من الكهان لهن الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذي قد نسبه لخديجة
لقد خشيت على نفسي وسياتي انه كان يعتريه وهو بمكة قبل ان ينزل عليه القران
ما كان يعتريه عند نزول الوحي من الاغماء فنسب الى الاغماء ما تغطى به راسها عنه
اختفى الى ان اعادت الغطاء عليها فاستبانت اي علمت علم اليقين ان ما يعرض
له صلى الله عليه وسلم هو الوحي اي لا الجني لان الملك لا يرى الراس المكشوف
من المراة بخلاف الجني وشبهنا الناظم ذلك بالشيء النفيس والامر العظيم لان كلا
من الكنز والكيمياء لا يظفر بها الا القليل من الناس لعزتهما اقول قول بعضهم انه ذلك
من خديجة كان بارشاد من ورقة فانه قال لها اذهبي الى المكان الذي راى فيه ما راى
فاذا راه فتحسري فان يكن من عند الله لا يراه اي فتراي له وهو في بيت خديجة
فعلت قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فاخبرت ورقة فقال انه
ليأتيه الناموس الاكبر. ونقل بعضهم عن الحافظ ابن حجر انه في الاصابة تردد في

الرقية من العين

شيطان الانبيا

ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل قال لكن المفهوم من كلامه في شرح النخبة ثبوتها وان
يفرق بينه وبين بحيرا بان ورقة ادرك البعثة وان لم يدرك الدعوة بخلاف
بحيرا وهو ظاهر والتعريف السابق يحتمله هذا الامر وتعريفنا السابق
للصحابي هو من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا وعبارة النخبة هل يجري
اي من تعريف الصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به من تعقبه مؤمنا
بانه سيبعث ولم يدرك البعثة محل نظر ولا يخفى عليك ان ما في شرح النخبة
لا يدل لهذا البعض على انه تقدم عن ابن حجر في الاصابة قال في بحيرا ما ادري
ادرك البعثة ام لا ولا يخفى عليك ما تقدم عن ابن حجر ان ورقة ادرك البعثة
وان لم يدرك الدعوة فانه يقتضي ان البعثة عبارة عن النبوة لا عن الرسالة
وان الرسالة هي الدعوة لا البعثة ● وروى ابن اسحاق عن شيوخه انه
صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل ان ينزل عليه الوحي
فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه قبل ذلك مما يشبه الاغماء
بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كما يغط البكر فقالت
له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا ولم اقف على من كان
يرقيه ولا بما كان يرقى به ● واشتهر على بعض الالسنة ان امنة يعني امه صلى الله
عليه وسلم رقت النبي صلى الله عليه وسلم من العين ولعل مستند ذلك ما نقل
عن امنة انها لما كانت حاملا به جاءها الملك وقال لها اذا ولدتيه فقولي
اعيذه بالواحد من شر كل حاسد والظاهر انها قالت ذلك ● وعن اسما
بنت عميس رضي الله عنها انها قالت يا رسول الله ان ابني جعفر يعني ولدها
من جعفر بن ابي طالب تصيبهما العين افنسترقي لهما قال نعم لو كان شيء
سابق القدر لسبقته العين فان قيل بعد الامر لعلمه صلى الله عليه وسلم
ان جبريل ملك لا جني ممن ابن علم انه يتكلم عن الله تعالى واجيب بانه علم
تسليم انه قول ورقة المذكور لما تقدم عنه لا يفيده العلم فقد يقال خلق الله
تعالى فيه صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بعد ذلك علم به انه جبريل وانه يتكلم
عن الله تعالى كما خلق في جبريل علما ضروريا بان الموحي اليه هو الله تعالى وقد
ذكر بعض المفسرين انه صلى الله عليه وسلم كان له عدو من شياطين الجن
يقال له الابيض كان ياتيه في صورة جبريل واعترض بانه يلزم عليه عدم

الوثوق

والوحي اقسام ثلاثة

تشكل الملائكة

الوثوق بالوحي واجيب عنه بمثل ما هنا وهو ان الله تعالى جعل في النبي صلى الله عليه وسلم علما
ضروريا يميز به بين جبريل عليه السلام وبين هذا الشيطان ولعل هذا الشيطان غير
قرينه الذي اسلم وفي كلام ابن العماد وشيطان الانبيا يسمى الابيض والانبيا
معصومون منه وهذا الشيطان هو الذي اغوى برصيصا الراهب العابد بعد عبادته
حكاية سنة وهو المعني بقوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما
كفر قال اني بريء منك هذا الامر والله اعلم ● وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الانبيا من يسمع الصوت ولا يرى مصوتا
فيكون بذلك نبيا قال بعضهم يحتمل ان يكون هو ما خلقه الله في الجو ليس من جنس
الكلام وخلق في ذلك النبي فهم المراد منه عقب سماعه ويحتمل ان يكون من جنس الكلام
المعهود فيقتضي كون ذلك الشخص صار نبيا قال صلى الله عليه وسلم وان جبريل يأتيني
فيكلمني كما ياتي احدكم صاحبه فيكلمه ويبصره من غير حجاب ● وفي رواية كنت اراه احيانا
كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال ولا يخفى ان هاتين الحالتين كلاهما حالة من
حالات الوحي وخفيته انما انه يكون جبريل على صورة دحية الكلبي وهو بكسر الدال
المهملة على المشهور وحكي فتحها وسيذكر ما وقع في حديث عمر رضي الله عنه بينا نحن جلوس
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم طلع علينا رجل شديد بياض الثياب
شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد الحديث ● وفي رواية
البخاري تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه الا في اخر الامر وورد ما جاءني
جبريل في صورة لم اعرفه الا في هذه المرة ● وفي صحيح ابن حبان والذي نفسي
بيده ما اشتبه علي منذ اتاني قبل مرتي هذه وما عرفته حتى ولى وبهذا يعلم ما في
كلام الامام السبكي حيث قسم الوحي الى ثلاثة اقسام فقال في تائيته ●
ولا زمك الناموس اما بشكله ● واما بنعت او بحلية دحية ● يلينا ما قيل وكان
اذ يراه على صورة الادمي ياتيه بالوعد والبشارة ● فان قيل اذا جاء جبريل
على صورة الادمي دحية او غيره هل حقيقة الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه
هل يصير جسده الاصلي حيا من غير روح اذ يصير ميتا واجيب بان الجائز يجوز
ان لا يكون هو الروح بل الجسد لا نجوز ان الله تعالى جعل في الملائكة قدرة
على التطور والتشكل باي شكل ارادوه كالجن فيكون الجسد واحدا ومن ثم قال
الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه

الائمة الاثنا عشر

اول المذهب سب الشيخين من الشيعة

انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان العقد الزايد لا يزول ولا يفنى
بل يختفي عن الرائي فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لا مانع ولا بعد
ان الحق سبحانه وتعالى يظهر في صورة علي رضي الله عنه واولاده حتى
اله بهذا الاثني عشر وهم الحسن والحسين وابن الحسين زين العابدين وابنه
محمد الباقر وابن الباقر جعفر الصادق وابن جعفر الصادق موسى الكاظم
وابن موسى الكاظم علي الرضى وابن علي الرضى محمد الجواد وابن محمد الجواد
علي النقي والهادي وابنه حسن العسكري والثاني عشر ولد حسن العسكري
وهو المهدي صاحب الزمان وهو حي باق الى الان يجتمع بسيدنا عيسى عليه
السلام على ما قيل فقد قال عبد الله بن سبا يوما لعلي رضي الله عنه
انت انت يعني انت الاله فنفاه علي رضي الله عنه الى المداين وقال
لا تساكني في بلدة ابدا وكان عبد الله بن سبا هذا يهوديا كان من اهل
صنعا وامه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء فكان اول
من اظهر سب الشيخين ونسبهما الا قليلا ان علي سيدنا علي رضي الله عنه
ولما قيل لعلي لولا انك تضمر ما اعلن به هذا ما رضيت على ذلك فقال
علي رضي الله عنه معاذ الله ان اضمر لهما ذلك لعن الله من اضمر لهما الا
الحسن الجميل فاظهر ابن سبا الاسلام في اول خلافة عثمان وقيل في خلافة
عمر وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام وهذا لان اهله وكان
يقول قبل اظهاره الاسلام في يوشع بن نون مثل ما قال في علي رضي الله عنه
وكان يقول في علي انه حي لم يقتل وان فيه الجزء الالهي وانه يجيء في السحاب
والرعد صوته والبرق سوطه وانه ينزل بعد ذلك الى الارض فيملاها
عدلا كما ملئت جورا وظلما وعبد الله بن سبا هذا اول من اظهر القول بالرجعة
اي انه صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وكان يقول العجب
ممن يزعم ان عيسى بن مريم يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد وقد قال
الله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجوع
من عيسى واظهر امر الوصية ان عليا رضي الله عنه اوصى له صلى الله عليه وسلم
بالخلافة وكان هو السبب في اثارة الفتنة التي قتل فيها عثمان رضي الله
عنه كما سيأتي ومن غلاة الشيعة من قال بالوهية اصحاب الكسا

الخمسة

قول الصوفية بالاتحاد

الخمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ومنهم
من قال بالوهية جعفر الصادق والوهية ابائه وهم الحسن وابنه زين
العابدين محمد الباقر وهولاء الشيعة موافقون في ذلك لمن يقول بالحلول
وهم الحلاجية اصحاب حسين بن منصور الحلاج كانوا اذا راوا صورة جميلة
زعموا ان معبودهم حل فيها ومن زعم الحلول حتى ادعى الالوهية المقنع
عطا الخراساني وذلك في سنة ثلاث وستين ومائة وزاد ادعى ان الله تعالى
جل وعز حل في صورة ادم ثم في صورة نوح ثم انه انحل في صورته فافتتن
به خلق كثير بسبب التمويهات التي اظهرها لهم فانه كان يعرف شيئا من السحر
والنيرنجيات فقد اظهر قمرا يراه الناس من مسافة شهرين من موضعه
ثم يغيب ولما اشتهر امره ثار عليه الناس وقصدوه ليقتلوه وجاءوا الى
القلعة التي كان بها متحصنا فلما علم ذلك اسقى اهله سما فماتوا ومات ودخل
الناس تلك القلعة فقتلوا من بقي بها من اتباعه والقول بالاتحاد
كفر فقد قال العز ابن عبد السلام من زعم ان الاله يحل في شيء من اجسام الناس
او غيرهم فهو كافر واشار الى انه كافر اجماعا من غير خلاف وانه لا يجري فيه
الخلاف الذي يجري في تكفير المجسمة ومن ثم ذكر الشاطبي عن المشايخ ان
من ادعى حلول الباري جل وعلا في احد الاشخاص كان كافرا باجماع المسلمين
وقول بعض العارفين كابي يزيد البسطامي سبحاني ما اعظم شاني وقوله اني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني وانا ربي الاعلى وقوله انا الحق وهو انا وانا
هو ليس من دعوى الحلول في شيء وانما قوله سبحاني انا الله محمول على الحكاية
اي قال ذلك على لسان الحق من باب حديث ان الله قال على لسان عبده
سمع الله لمن حمده وقوله انا ربي الاعلى وانا الحق انما قال ذلك لانه انتهى
سلوكه الى الله تعالى بحيث استغرق في بحر التوحيد بحيث غاب عما سواه
سبحانه وتعالى وصار لا يرى في الوجود غيره تعالى الذي هو مقام الفنا ومحو
البشرية بتسليم الامر كله له تعالى وترك الارادة معه والاختيار فالعارف
اذا وصل الى هذا المقام ربما تعرف عبارته عن بيان ذلك الحال الذي نازله
فصدرت عنه تلك العبارة الموهمة للحلول وقد اصطلحوا على تسمية هذا
المقام الذي هو مقام الفنا بالاتحاد ولا مشاحة في الاصطلاح اذ اتحد

ذكر كرامات الاولياء انواع

مراده بمراد محبوبه بل فنى عن المراد وان اخذ الفنا ارادة المحب في مراد المحبوب فقد فني عن هوى
نفسه وحظوظها فصار لا يحب الا لله ولا يبغض الا لله ولا يرجو الا الله ولا يبتغي
الا بالله فيكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما • ففي كلام سيدي علي وفا حجة لمطلق
القول بالاتحاد في كلام القوم من الصوفية فمرادهم فنا مرادهم في مراد الحق جل وعلا
لا الاتحاد بمعنى فلان ذو فلان لان الاتحاد اذا عمل كل منهما على مراد الآخر وسبب المثل الا عند
هذا الكلام رضي الله عنه وهذا المقام غير مقام الوحدة المطلقة المحال حجة عن
دائرة العقل التي ذكرها السعد والسيد ان القول بها باطل وضلال اي لانه
يلزم عليها القول بالجمع بين الضدين قال بعضهم لعل حضرة الجمع عبارة عن شهود
اجتماع الرب والعبد في حال فنا العبد فيكون العبد معدوما موجودا في آن
واحد ولا يدرك ذلك الا من اشهده الله الجمع بين الضدين ومن لم يشهد ذلك
انكره • ويجوز ان يكون الجسد للملك سندا او غلبه من الممكن ان يجعل الله
لروح الملك قوة يقتدر بها على التصرف في جسد آخر غير جسدها المعهود مع
تصرفها في ذلك الجسد المعهود كما هو شان الابدال لانهم يرحلون من مكان
الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه • وقد
ذكر ابن السبكي في الطبقات ان من كرامات الاولياء انواعا وعد منها ان يكون
له اجساد متعددة قال وهذا الذي تسميه الصوفية بعالم المثال ومنه
قصة قضيب البان وغيره اي كما في قصة عبد القادر الطحطوحي فقد ذكر
الجلال السيوطي انه رفع اليه سؤال في رجل حلف بالطلاق الثلاث ان ولي
الله الشيخ عبد القادر الطحطوحي بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق الثلاث
انه بات عنده في تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما قال فارسلت
قاصدا الى الشيخ عبد القادر فسألته عن ذلك فقال ولو قال اربعة اني بت
عندهم لصدقوا فافتيت بانه لا حنث على واحد منهما لان تعدد الصورة
بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان • وقد قيل في الابدال انهم انما
سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم الاول شبحا آخر
شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه ويقال له عالم المثال كما تقدم فهو عالم متوسط
بين عالم الاجساد وعالم الارواح فهو الطف من عالم الاجساد واكثف من
عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر في صور مختلفة من عالم المثال قال

وهذا

وكيفية انزال القرآن

وهذا الجواب اولى مما تكلفه بعضهم في الجواب عن جبريل بانه كان يندمج بعضه في بعض اي الذي
اجاب به الحافظ ابن حجر • ومما يدل على وجود المثال رؤيته صلى الله عليه وسلم الجنة
والنار في عرض الحائط وقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لولا ان رأى برهان
ربه بانه مثل له يعقوب عليه السلام بمصر وهو بالشام • ومن ذلك ما اشتهر ان الكعبة
شوهدت تطوف ببعض الاولياء في غير مكانها وممن وقع له ذلك ابو يزيد
البسطامي والشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ ابراهيم المتبولي نفعنا الله تعالى بهم
ولعل مجي جبريل على صورة دحية كان في المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد
بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه
قال الشيخ الاكبر رضي الله عنه دحية الكلبي كان اجمل اهل زمانه واحسنهم صورة ف
فكان الغرض من نزول جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في صورته اعلاما من الله تعالى
انه ما بيني وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهي التي لك عندي فيكون ذلك
بشرى له ولا سيما اذا اتى بامر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن
ما يجد من ذلك الوعيد والزجر من الكلام وهو واضح لو كان لا يأتيه الا على تلك
الصورة الا انه يبعد ان من حين اتاه على صورة دحية لم يأته على صورة ادمي غيره وتكون
وافقه سيدنا عمر شاهدة على ذلك لكن تقدم انه كان اذا اتاه على صورة الادمي يأتيه
بالوعد والبشارة اي لا بالوعيد والزجر فليتأمل • وفي البرهان للزركشي في
التنزيل ان تلقي القرآن طريقان احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انخلع
من صورة البشرية الى صورة الملكية واخذه من جبريل لان الانبيا يحصل لهم الانسلاخ
من البشرية الى الملكية بالفطرة الالهية من غير اكتساب فيما هو اقرب من لمح البصر والثاني
ان الملك انخلع من الملكية الى البشرية حتى اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه هذا
كلامه • والراجح ان المنزل اللفظ والمعنى تلقفه جبريل من الله تعالى تلقفا روحانيا
او ان الله تعالى خلق تلك الالفاظ اي الاصوات الدالة عليها في الجو واسمعها جبريل
وخلق فيه علما ضروريا بانها دالة على ذلك المعنى القديم القائم بذاته تعالى ابلغه
واوحاه اليه صلى الله عليه وسلم كذلك او حفظه جبريل من اللوح المحفوظ ونزل به
وعلم انه من خلال الوحي النفث اي انه كان ينفث في روعه الكلام نفثا قال
صلى الله عليه وسلم ان روح القدس اي المخلوق من الطهارة يعني جبريل نفث في
اي القى والنفث من الاصل النفخ • اللطيف الذي لا ريق معه في روعي اي جهة الرأي اي قلبي
ان نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب اي عاملوا

واجملوا في طلبكم ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله فان ما عند الله لن
ينال الا بطاعته وفي كلام ابن عطاء الله الاجمال في الطلب يحمله وجوها كثيرة منها ان لا
يطلبه متكلا عليه مشتغلا عن الله به ومنها ان لا يطلبه الا من الله ولا يعين قدرا
ولا وقتا الا من طلبه ويعين قدرا او وقتا فقد تحكم على ربه واحاطت الغفلة بقلبه
ومنها ان يطلب وهو شاكر ان اعطي وشاكر احسن اختياره اذا منع ومنها ان يطلب
من الله ما فيه رضاه ولا يطلب ما فيه حظوظ دنياه ومنها ان يطلب ولا يستعجل الاجابة
وفي حديث ضعيف اطلبوا الحوائج بعزة الانفس فان الامور تجري بالمقادير ومنها ان
الوحي انه كان ياتيه في مثل صلصلة الجرس وهي اشد الاحوال عليه صلى الله عليه
وسلم اي لما قيل انه كان ياتيه في هذه الحالة بالوعيد والنذارة اقول روى
الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان الحارث بن هشام رضي الله عنه وهو اخو ابي جهل
لابويه وكان يضرب به المثل في السؤدد حتى قال الشاعر •

احسبت ان اباك حين تسبني • في المجد كان الحارث بن هشام •

اولى قريش بالمكارم والندى • في الجاهلية كان والاسلام •

اسلم يوم الفتح وسبب انه استجار في ذلك اليوم بام هانئ فاخذ علي بن ابي طالب
واراد قتله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد اجرنا من اجرت
يا ام هانئ وحسن اسلامه وشهد حنينا وكان من المؤلفة كما سياتي سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي اي حامله الذي هو جبريل قال احيانا
ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم اي يقلع عني وقد وعيت ما قال
وفي رواية ياتيني احيانا له صلصلة كصلصلة الجرس واحيانا يتمثل لي الملك الذي
هو حامل الوحي رجلا اي يتصور بصورة الرجل وفي رواية في صورة الفتى فيكلمني فاعي
ما يقول • وروي انه في الحالة الثانية يتفلت منه ما يعيه بخلافه في الحالة الاولى
وفي بعض الروايات كان الوحي ياتيني على نحوين ياتيني جبريل فيلقيه كما يلقي
الرجل على الرجل فذلك يتفلت مني وياتيني في شيء مثل صوت الجرس حتى
يخالط قلبي فذاك الذي لا يتفلت مني قيل وانما كان يتفلت منه في الحالة
الاولى لشدة انسه بحامله لانه ياتي في صورة يعهدها
ويخاطبه بلسان يعهده فلم يتثبت فيما القي اليه بخلافه في الحالة الثانية
لان سماع مثل هذا الصوت الذي يتنوع منه القلب مع عدم رؤية احد يخاطبه
اذا علم انه وحي اضطر الى التثبت في ذلك وقولنا اي حامله يخالف قول الحافظ

ابن حجر

ومن ثقل الوحي

ابن حجر حيث ذكر ان قوله مثل صلصلة الجرس بيان لصفة الوحي لا صفة حامله وفيه انه لذلك لا يناسب
قوله وقد وعيت ما قال وقول بعضهم الصلصلة المذكورة هي صوت الملك بالوحي • وكان صلى الله عليه
وسلم يجد ثقلا عند نزول الوحي ويتحدر جبينه عرقا في البرد كانه الجمان وربما غط كغطيط البكر محمرة
عيناه • وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه وقد وقع فخذه على فخذي فوالله ما وجدت شيئا اثقل
من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اوحي اليه وهو على راحلته فترعد حتى نظن ان ذراعها
ينفصم وربما بركت اي وجاء انه لما نزلت سورة المائدة عليه صلى الله عليه وسلم كان على ناقته
فلم تستطع ان تحمله فنزل عنها وفي رواية فانه في كتف راحلته العضباء من ثقل السورة ولا يخالف
ما قبله لانه جاز ان يكون حصل لها ذلك فكان سببا لنزوله وما من مرة يوحى الي الا ظننت ان
نفسي تفيض منه • وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يكاد
يغشى عليه وفي رواية ايضا كهيئة السكران اقول اي تعتريه حالة تشبه حال المغشي عليه لتغيره من
حاله المعهود تغيرا شديدا حتى تصير صورته صورة السكران ايمن بها عقله وتمييزه ولا

ومن خصوصياته صلى الله عليه وسلم

يخالف ذلك قول بعض العلماء انه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن الدنيا لانه يجوز ان يكون
مع ذلك تم عقله وتمييزه على خلاف العادة وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم
وحينئذ لا ينتقض وضوؤه • ثم رايت صاحب الوفا قال فان قال قائل لما كان يجري عليه صلى
الله عليه من البرحاء حين نزول الوحي هل ينتقض وضوؤه والجواب لا لانه صلى الله عليه وسلم
كان محفوظا في منامه تنام عيناه ولا ينام قلبه فاذا كان النوم الذي يسقط فيه الوكا
لا ينتقض وضوؤه به فالحالة التي اكرم فيها بالمسارة والقاء الهدي الى قلبه اولى ان تكون
طاهرة فيها معصومة من الاذى بهذا الحكم وما ذكرناه اولى لما تقرر ان الاغماء ابلغ من النوم
فليتامل • وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم وجميع من ياتيه
الوحي من الانبيا كان اذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبيا على
ظهورهم عند نزول الوحي اليهم ان الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل
الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى اصله وهو
لصوقه بالارض • وعن ابي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا

ما جاء في الخضاب بالحنا

نزل عليه الوحي صدع فيغلف راسه بالحنا قيل وهو محمل قول بعض الصحابة انه صلى الله عليه
وسلم كان يخضب بالحنا والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يخضب لانه لم يبلغ شيبا يخضب فيه
وخبر انه امر بالخضاب للشباب فقد جاء اخضبوا بالحنا فانه يزيد في شبابكم وجمالكم ونكاحكم
وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي لم يستطع احد

ورؤيته صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الاصلية

ثا يرفع طرفه اليه حتى يقضي الوحي • ومن حالاته اي حالات الوحي اي حامله انه كان يأتيه
على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح اي فيوحي اليه من تلك الحالة كما هو
المتبادر وفيه انه جاء عن عائشة وابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل على
صورته التي خلقه الله عليها الا مرتين حين سأله ان يريه نفسه فقال وددت اني
رايتك في صورتك اي وذلك بحرا واوايل البعثة بعد فترة الوحي بالافق الاعلى
وهذه المرة هي المعنية بقوله تعالى ولقد رآه بالافق المبين وبقوله تعالى فاستوى
وهو بالافق الاعلى فلما طلع جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر النبي صلى الله عليه
وسلم مغشيا عليه فنزل اليه في صورة الادميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار
عن وجهه الحديث والاخرى ليلة الاسرى المعنية بقوله تعالى ولقد رآه نزلة
اخرى عند سدرة المنتهى وسيأتي الكلام على ذلك • وفي الخصائص الصغرى
خص صلى الله عليه وسلم برؤية جبريل في صورته التي خلقه الله عليها اي لم
يره احد من الانبياء على تلك الصورة الا نبينا صلى الله عليه وسلم • وذكر السهيلي
ان المراد بالاجنحة في حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كاجنحة
الطير ولا ينافي ذلك وصف كل جناح منها بانه يسد ما بين المشرق والمغرب هذا
كلامه فليتأمل • ومن حالات الوحي اي خصوصه اي الموحى به لا حامله الذي هو جبريل
ان الله تعالى اوحى اليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك بل من وراء حجاب يقظة
او من غير حجاب بل كفاحا وذلك ليلة المعراج واسم الاشارة يحتمل ان يكون للنوعين
وقع لهما ليلة الاسرا ويحتمل ان يكون نوعا واحدا وان الاول بناء على القول بعدم
الرؤية والثاني بناء على القول بالرؤية وحينئذ لا يناسب عد ذلك نوعين كما فعل
الشامي ومن ثم نسب ابن القيم هذا النوع الثاني لبعضهم كالمقريزي [illegible] حيث قال
وزاد بعضهم مرتبة ثانية وهي تكليم الله تعالى له صلى الله عليه وسلم كفاحا من
غير حجاب هذا كلامه لان ابن القيم لا يقول بوجود الرؤية فاراده بعضهم بناء على
القول بوجود الرؤية كما علمت وحينئذ يكون هذا ليلة المعراج وعلى هذا [illegible] قوله
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا وقول ابن
القيم السادسة اي من حالات الوحي ما اوحاه الله تعالى اليه وهو فوق
السموات من فرض الصلوات وغيرها لان ذلك انما هو ليلة المعراج بغير واسطة
ملك وهذا يحتمل ان يكون من غير حجاب وان يكون من وراء الحجاب فهو لم يخرج عما

تقدم

اعظم آية في القرآن

تقدم وكذا قوله السابعة اي من حالات الوحي كلام الله تعالى له بلا واسطة ملك
كما كلم موسى اي من وراء حجاب فهي لم تخرج عما تقدم وحينئذ يكون المعراج بواسطة
الملك وكله بغير واسطة الملك من وراء حجاب وشافهه من غير حجاب ثم قال
السيوطي وليس في القرآن من هذا النوع اي مما شافهه به الحق تعالى من غير حجاب
شيء فيما اعلم نعم يمكن ان يعد منه اخر سورة البقرة اي من الرسول الى اخر الايات
لانها نزلت كما في الكامل للهذلي في بقاب قوسين • وروى الديلمي قيل يا رسول الله
اي اية في كتاب الله تحب ان تصيبك وامتك قال اخر سورة البقرة فانها من
كنز الرحمة من تحت عرش الله ولم يترك خيرا من خيرات الدنيا والاخرة الا
اشتملت عليه ولعل هذا لا يعارض ما جاء في فضل اية الكرسي من قوله صلى الله عليه وسلم
وقد قيل له يا رسول الله اي اية في كتاب الله تعالى اعظم قال اية الكرسي اعظم • وقد
جاء عن الحسن مرسلا افضل القران البقرة وافضل اية فيها اية الكرسي وفي رواية
واعظم اية فيها اية الكرسي وفي الجامع الصغير اية الكرسي ربع القران ونزل في ذلك
الموضع اي الذي هو قاب قوسين بعض سورة الضحى وبعض الم نشرح قال صلى الله
عليه وسلم سألت ربي مسئلة وددت اني لم اكن سألته قلت اتخذت ابراهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما قال يا محمد الم اجدك يتيما فاويت وضالا فهديت وعائلا فاغنيت
وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا وتذكر
معي • ومن حالات الوحي انه اوحي اليه من غير واسطة ملك مناما كما في حديث
معاذ اتاني ربي وفي لفظ رايت ربي في احسن صورة اي خلقه فقال فيم يختصم الملأ
الاعلى يا محمد قلت انت اعلم اي رب فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي
فعلمت ما في السماوات والارض • وفي كلام الشيخ محيي الدين فهذا علم حاصل لا عن قوة
من القوى الحسية او المعنوية وهذا لا يبعد ان يقع مثله للاولياء بطريق الارث
اي تجلي له الحق بالتجلي الخاص الذي ذكر عبارة عنه وفي رواية فعلمت علم الاولين
والاخرين اي من حالات الوحي رؤيا النوم قال صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء
وحي كما تقدم • ومن حالاته العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه ولسانه عند اجتهاد في
الاحكام بناء على ثبوته له بلا واسطة ملك وبذلك فارق النفث في الروع وبذكر
هذه الانواع للوحي يعلم ان ما تقدم من حصره في الحالتين المذكورتين عند سؤال
الحارث له صلى الله عليه وسلم اغلبي اذ ان ما عداهما وقع بعد سؤال الحارث

وفي ينبوع الحياة عن ابن جرير ما نزل جبريل بوحي قط الا ومعه من الملائكة حفظة
يحيطون به وبالنبي صلى الله عليه وسلم الذي يوحى اليه يطردون الشياطين عنهما لئلا
يسمعوا ما يبلغه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب الذي يوحيه اليه فيلقوه
الى اوليائهم ثم رايت في الاتقان ذكر ان من القرآن ما نزل مع ملائكة مع جبريل
تشيعه من ذلك سورة الانعام شيعها سبعون الف ملك وفاتحة الكتاب شيعها ثمانون
الف ملك واية الكرسي شيعها سبعون الف ملك وسورة يس شيعها ثلاثون
الف ملك • واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا شيعها عشرون الف ملك
ويعد هذا الابيات ما تقدم من ان المؤمنين تساقط النجوم عند البعث حراسة
السماء من استراق سمع الشياطين لما يوحى لجواز ان يكون هذا الحفظ لما يوحى
من استراقه في الارض وبين السماء والارض • وعن النخعي ان اول سورة انزلت
عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك قال الامام النووي وهو الصواب
الذي عليه الجماهير من السلف والخلف هذا كلامه ولا يخفى ان مراد النخعي بالسورة
هنا القطعة من القرآن اي اول ايات انزلت فلا ينافي ما تقدم عن رواية
عمرو بن شرحبيل مما يدل على ان اول سورة نزلت فاتحة الكتاب لان المراد
اول سورة كاملة نزلت لا في شأن الانذار فلا ينافي ما تقدم عن رواية جابر
مما يقتضي ان اول ما نزل يا ايها المدثر لان المراد بذلك اول سورة كاملة انزلت
في شأن الانذار بعد فترة الوحي اي فانها نزلت قبل تمام نزول سورة اقرأ
وهذا الجمع قد تقدم الوعد به لكن يشكل عليه ما في الكشاف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف ملك صفوف الملائكة
وهذا السياق يدل على انه لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة كاملة
الا براءة وقل هو الله احد ويخالفه ما في الاتقان ان مما نزل جملة سورة
الفاتحة وسورة الكوثر وسورة تبت وسورة لم يكن وسورة النصر والمرسلات
والانعام لكن ذكر ابن الصلاح ان هذا اروي باسناد فيه ضعف قال ولم ار له
اسنادا صحيحا وقد روي ما يخالفه ولم يذكر في الاتقان ما نزل جملة سوى
سورة براءة وذكر ان المعوذتين نزلتا دفعة واحدة وحينئذ يكون المراد
بقوله صلى الله عليه وسلم الا اية اية وحرفا حرفا اي كلمة والمراد ما قابل السورة

اول سورة نزلت

واله

١٨٥

فترة الوحي ومدته

والا فقد انزل عليه ثلاث ايات واربع ايات وعشر ايات كما انزل عليه اية وبعض اية فقدم نزول
غير اولي الضرر مفردة وهي بعض اية • وفي الاتقان عن جابر بن زيد قال اول ما انزل الله من القرآن
بمكة اقرأ باسم ربك ثم ن والقلم ثم يا ايها المزمل ثم يا ايها المدثر ثم الفاتحة الى ان ذكر
ثم قال قلت هذا السياق غريب وفي هذا الترتيب نظر وجابر بن زيد من علماء التابعين
هذا كلامه • وذكر بعض المفسرين ان سورة والتين اول ما نزل من القرآن وما تقدم من ان
نزول يا ايها المدثر كان في شأن الانذار بعد فترة الوحي لانه بعد نزول جبريل عليه باقرأ مكث
مدة لا يرى جبريل اي وانما كان ذلك ليذهب ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوف الى
العود وفي ثم حزن لذلك حزنا شديدا اي حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال
فكلما اوفى بذروة كي يلقي نفسه منها تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله
حقا فيسكن لذلك جأشه اي قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة
الوحي عاد لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل تبدى له مثل ذلك قال وفي رواية انه
لما فتر الوحي حزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء مرة يريد ان يلقي
نفسه فكلما اوفى ذروة جبل منهما كي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد انت رسول
الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي
عاد لمثل ذلك وكانت تلك المدة اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل اثني عشر
يوما وقيل ثلاثة ايام قال بعضهم وهو الاشبه بحاله عند الله تعالى انتهى اقول ويبعد
هذا الاشبه قوله فاذا طالت عليه فترة الوحي والله اعلم • اقول في فتح الباري ان ابن
اسحاق جزم بان هذه المدة ثلاث سنين والله اعلم قال السهيلي وقد جاء في بعض الروايات
المسندة ان مدة هذه الفترة كانت سنتين ونصفا وعن ابن عباس ان هذه المدة كانت اياما اي
واقلها ثلاثة ايام وتقدم ما فيه قال بعض الحفاظ والظاهر والله اعلم انها اي
مدة الفترة كانت بين اقرأ ويا ايها المدثر وهي المدة التي اقترن معه فيها اسرافيل
كما قال الشعبي انتهى • اقول ويوافق ذلك ما في الاستيعاب لابن عبد البر ان
الشعبي قال انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين وقرن بنبوته اسرافيل ثلاث
سنين وهو ظاهر بان القرآن ان اسرافيل قيل بركانه بعد النبوة ومن ثم منع السيوطي من
ذهب الى انه صلى الله عليه وسلم هبوط اسرافيل عليه وفي كلام الحافظ السيوطي ان مجيء
اسرافيل كان قبل ابتداء الوحي بسنتين اي كما يعرف ذلك من سائر طرق الاحاديث
وعن يحيى بن كثير قال ما خلق الله ولا تما احسن صوتا من اسرافيل فاذا قرأ في
السماء ينقطع على اهل السماء ذكرهم وتسبيحهم ثم رأيت في فتح الباري ليس المراد بفترة
الوحي المقدرة بثلاث سنين اي على ما تقدم ما بين نزول اقرأ ويا ايها المدثر عدم

يجيء جبريل اليه بل كان ينتظر نزول القرآن عليه فقطع هذا الكلام اي فكان جبريل يأتي اليه
بغير قرآن بعد مجيئه اليه باقرأ ولم يجئ اليه بالقرآن الذي هو يا أيها المدثر
الا بعد ثلاث سنين على ما تقدم ثم في تلك المدة مكث أياما لا يأتيه أصلا
ثم جاءه بيا أيها المدثر فكان قبل تلك الأيام يختلف اليه هو وإسرافيل وهذا
السياق لا يخفى يؤخذ منه عدم المنافاة بين كون مدة فترة الوحي ثلاث سنين
كما يقول ابن إسحاق وسنتين ونصفا على ما يقول السهيلي وسنتين كما يقول الحافظ
مغلطاي وبين كونها اياما أقلها ثلاثة وأكثرها اربعون كما تقدم عن ابن عباس
لأن تلك الأيام التي كانت لا يرى فيها جبريل اصلا على ما تقدم اي ولا يرى
فيها إسرافيل ايضا وفي غير تلك الأيام كان يأتيه بغير القرآن وينبغي أن
تكون تلك الأيام التي لا يرى فيها جبريل ولا إسرافيل هي التي يريد فيها أن
يلقي نفسه من رؤوس الجبال وهذا السياق ايضا يدل على أن النبوة سابقة
على الرسالة بناء على أن الرسالة كانت بيا أيها المدثر ويصرح بذلك ما تقدم
من قول بعضهم نبأه بقوله اقرأ باسم ربك وارسله بقوله يا أيها المدثر قم فأنذر
وربك فكبر الا ان يقال بينهما فترة الوحي وعليه اكثر الروايات • وقيل
النبوة والرسالة مقترنتان ولعل هذا القائل يقول بذلك بقوله يا أيها المدثر ولك
على طلب الجهر بالدعوى الى الله تعالى وهذا اعتبار اظهار الدعوى والمناجاة
بها الذي دل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فليتأمل • وذكر السهيلي ان من
عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة
التي هو عليها فله طلب الحق سبحانه وتعالى بقوله يا أيها المدثر فيه لك علم
رضاه الذي هو غاية مطلوبه وبركان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه
الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب وقد نام وترب
جنبه قم يا أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة في غزاة احد وقد نام
الى ان سفاد قم يا نومان • وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله تعالى
يا أيها المدثر قم فأنذر اعلم ان التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقب
الوحي وذلك ان الملك اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم او بحكم
تلقى ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير
الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون
من ذلك العرق فاذا سري عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة
وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج

قشاعر

١٨٦

مقنعه وثيابك فطهر

وجاء في وصف اسرافيل

فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب فينبغي هذا المحل كل مرة • وذكر بعضهم في
وثيابك فطهر ان الشيخ ابا الحسن الشاذلي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في النوم فقال يا ابا الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله تعالى في كل نفس فقلت
يا رسول الله وما ثيابي فقال ان الله كساك حلة التوحيد وحلة المحبة وحلة المعرفة
فان عظمتها حينئذ قوله وثيابك فطهر • وجاء في وصف اسرافيل في بعض الأحاديث
لا تفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة
يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى
وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع
وهو طير ولا يكون حاملا لزاوية العرش او يخلفه غيره من الملائكة والله اعلم

باب ذكر وضوئه وصلاته صلى الله عليه وسلم اول البعثة اي اول الارسال اليه باقرأ اول

في المواهب انه روي ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة
واطيب رائحة فقال له يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول
الله الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله
الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم امره جبريل ان يتوضأ وقام جبريل
يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة الحديث وقوله وعلمه الوضوء يحتمل ان
يكون بفعله المذكور ويحتمل ان يكون علمه بقوله افعل كذا في وضوئك وصلاتك
ويدل له ولما سيأتي وفيه ان قول جبريل المذكور انما كان عند امره باظهار الدعوة
والمناجاة بها الى الله تعالى بعد فترة الوحي كما سيأتي فالجمع بينه وبين قوله
ثم ضرب برجله الارض الى اخره لا يخفى لأنه سيأتي ان ذلك كان في يوم نزوله
له باقرأ ولعله من تصرف بعض الرواة والله اعلم وفي ابن اسحاق حدثني بعض
اهل العلم ان الصلاة حين افترضت على النبي صلى الله عليه وسلم اي قبل الاسراء
اتاه جبريل وهو باعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه
عين فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيف الطهور
اي الوضوء للصلاة اي فغسل وجهه ويديه الى المرفقين ومسح برأسه وغسل
رجليه الى الكعبين كما في بعض الروايات وفي رواية فغسل كفيه ثلاثا ثم تمضمض
واستنشق ثم غسل وجهه ثم غسل يديه الى المرفقين ثم مسح رأسه ثم غسل

وحليته ثلاثا ثلاثا ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم فتوضأ مثل وضوئه افرد وبهذه الرواية
يرد قول بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم زاد في الوضوء التسمية وغسل الكفين والمضمضة
والاستنشاق ومسح جميع الرأس والتخليل ومسح الاذنين والتثليث الا ان
يقال مراد هذا البعض انه كان كذلك زاده على ما في الآية وفي كلام بعضهم كانت العرب في
الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق والسواك
والله اعلم . ثم قام جبريل فصلى به صلى الله عليه وسلم ركعتين يحتمل ان تلك الصلاة
كانت بالغداة قبل طلوع الشمس ويحتمل انها كانت بالعشي اي قبل غروب الشمس
وفي الامتاع وانما كانت الصلاة قبل الاسراء صلاة بالعشي اي قبل غروب الشمس
ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين اي ركعتين بالغداة وركعتين
بالعشي والعشي هو العصر ففي كلام بعض اهل اللغة العصر العشاء والعصران الغداة
والعشي وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم نحو الكعبة واستقبل الحجر الاسود اي
جعل الحجر الاسود قبالته وهذا يدل على انه لم يستقبل في تلك الصلاة بيت
المقدس لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا اذا صلى بين الركنين الاسود واليماني
كما كان يفعل بعد فرض الصلاة وهو بمكة كما سيأتي انه كان يصلي بين الركنين
الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام اي بينه وبين بيت
المقدس اي صخرته الا ان يقال يجوز ان يكون عند صلاته الى الكعبة كان بينهما
الا انه كان الى الحجر الاسود اقرب منه الى اليماني فقيل استقبل الحجر الاسود ح
فليتامل لكن سيأتي ما يفيد انه لم يستقبل بيت المقدس الا في الصلوات
الخمس اي بعد الاسراء وقبل ذلك كان يستقبل الكعبة الى اي جهة منها شاء ولما
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة جبريل قال جبريل هكذا الصلاة
يا محمد ثم انصرف جبريل فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة واخبرها فغشي
عليها من الفرح فتوضأ لها يريها كيف الطهور للصلاة كما اراه جبريل فتوضأت
كما توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما صلى به جبريل عليه السلام . وفي سيرة الحافظ الدمياطي ما يفيد ان ذلك كان
في يوم نزول جبريل عليه باقرأ باسم ربك حيث قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين وصلى فيه وصلت خديجة آخر يوم الاثنين وهو ظاهر ما جاء
اتاني جبريل في اول ما اوحي الي فعلمني الوضوء والصلاة فلما فرغ الوضوء اخذ غرفة

من الما

من الماء فنضح بها فرجه اي رش بها فرجه اي محل الفرج من الانسان بناء على انه لا فرج له
وكون الملك لا فرج له لو تصور بصورة الانسان استدل عليه بانه ليس بذكر ولا
انثى وفيه نظر لانه يجوز ان يكون له الة ليست كالة الذكور ولا كالة الاناث
كما قيل بذلك في الخنثى ويقال له لا فرج وبعض شراح الحديث حمل الفرج على
ما يلي الفرج من الازار وبذلك استدل ايضا على انه يستحب لمن استنجى
بالماء ان ياخذ بعد الاستنجاء كفا من ماء ويرش في ثيابه التي تحاذي فرجه
حتى اذا احس ان شيئا خرج او وجد بللا قدر انه من ذلك الماء ولعله
هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل الوضوء وامرني ان انضح
تحت ثوبي لما يخرج من البول بعد الوضوء اي دفعا للوهم خروج شيء من البول
بعد الوضوء لو وجد بللا بالمحل . وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان ينضح سراويله
حتى يبلها وتاجا لما اقرأه اقرأ باسم ربك قال له جبريل انزل عن الجبل
فنزل معه الى قرار الارض قال فاجلسني على درنوك بالدال المهملة والراء والنون
اي وهو نوع من البسط ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ
منها جبريل الحديث فمشروعية الوضوء كانت من مشروعية الصلاة التي هي
غير الخمس وان ذلك كان في يوم نزول جبريل باقرأ وهو مخالف لقول
ابن حزم لم يشرع الوضوء الا بالمدينة ومما يرد ما قاله ابن حزم نقل ابن عبد البر
اتفاق اهل السير على انه لم يصل صلى الله عليه وسلم الا بوضوء قال وهذا مما
لا يجهله عالم هذا كلامه الا ان يقال مراد ابن حزم انه لم يشرع وجوبا الا في
المدينة وهو الموافق لقول بعض المالكية انه كان قبل الهجرة مندوبا اي والذي
وجب بالمدينة باية المائدة يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم وايديكم الآية . وذكر في الاتقان ان هذه الآية مما تأخر نزوله
عن حكمه يعني فقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الى قوله لعلكم
تشكرون فالآية مدنية اجماعا وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة
اي فالوضوء على هذا مكي بالفرض مدني بالتلاوة قال والحكمة في ذلك ان في
نزول الآية بعد تقدم العمل ما يدل عليه ان تكون فرضيته متلوة هذا كلامه
وقوله مع فرض الصلاة يحتمل ان المراد صلاة الركعتين بناء على انهما كانتا
واجبتين عليه صلى الله عليه وسلم وهو الموافق لما تقدم عن ابن اسحاق

ويحتمل ان المراد الصلوات الخمس اي ليلة الاسراء وهو الموافق لما تقدم عليه شيخنا
الشمس الرملي حيث قال وكان فرضه مع فرض الصلاة قبل الهجرة بسنة هذا كلامه
وحينئذ يكون قوله لك سنة وباحثي في الليل وقول صاحب المواهب ما ذكر
من ان جبريل علمه الوضوء وامره به يدل على ان فرضية الوضوء كانت قبل الاسراء
فيه نظر ظاهر اذ لا دلالة في ذلك على الفرضية اذ يحتمل ان يكون الامر الصادر
من جبريل له امر ندب ان تفعل كفعلي وحينئذ فهو مشترك بين الوجوب والندب
وذكر بعضهم ان الغرض من نزول اية المائدة بيان ان من لم يقدر على الوضوء
والغسل لمرض او لعدم الماء له التيمم اي فتكون فرضية الغسل والوضوء
سابقة على نزولها ويؤيد ذلك قول عائشة رضي الله عنها في الاية
التي نزلت فيه اية التيمم ولم تقل اية الوضوء وهي هي لان الوضوء كان مفروضا
قبل ان توجد تلك الاية ويوافقه ما ذكره ابن عبد البر من اتفاق اهل السير
على ان الغسل من الجنابة فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وعن ابن عمر
ما يقتضي ان فرض الغسل كان مع فرض الصلوات ليلة الاسراء فعنه قال كانت
الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسال حتى جعل الصلوات خمسا والغسل من الجنابة مرة قال بعض فقهائنا
رواه ابو داود ولم يضعفه وهو اما صحيح او حسن قال ذلك البعض ويجوز ان يكون
المراد بها اي الغرض من نزولها فرض غسل الرجلين في قراءة من قرأ وارجلكم
بالنصب فان حديث جبريل ليس فيه الا مسحهما وهو ان جبريل اتى
النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي فتوضأ فغسل وجهه ويديه الى المرفقين
ومسح راسه ورجليه الى الكعبين وسجد سجدتين اي ركعتين مواجهة البيت
ففعل النبي صلى الله عليه وسلم كما يرى جبريل يفعل هذا كلامه وفيه نظر لان اكثر
الروايات وغسل رجليه كما تقدم فرجليه في هذه الاخيرة لرواية معطوفة على
وجهه كما ان ارجلكم في الاية على قراءة الجر معطوفة على الوجوه وانما جر للمجاورة
وان كان الجر على المجاورة في غير اللغة قليلا او عبر عن الغسل الخفيف بالمسح
وفي كلام الشيخ محيي الدين مسح الرجلين في الوضوء بظاهر الكتاب وغسلهما
بالسنة المبينة للكتاب قال ويحتمل العدول عن الظاهر بما علمنا ان المسح فيه
بيان للغسل فيكون من الالفاظ المشتركة وفتح ارجلكم لا يخرجها عن الممسوح

فان هذه الاية قد تكون دالة والمعنية وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة
اي عملا بظاهر قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة الاية فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات
الخمس بوضوء واحد فقال له سيدنا عمر رضي الله عنه فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال
عمدا فعلته يا عمر اي للاشارة الى جواز الاقتصار على وضوء واحد للصلوات
الخمس وجواز ذلك ظاهر في نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة ويوافقه قول بعضهم
قيل كان ذلك الوضوء لكل صلاة واجبا عليه ثم نسخ هذا الكلام اي ويؤيد
ذلك ظاهر ما جاء انه امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان او غير طاهر فلما شق
ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وضع عنه الوضوء الا من حدث اي ويكون وقت
المشقة يوم فتح مكة لما علمت انه لم يترك الوضوء لكل صلاة الا حينئذ وهذا
ليس فيه ما يدل على ان وجوب الوضوء لكل صلاة كان من خصوصياته صلى الله
عليه وسلم ويدل لذلك ما روي عن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل لهم كيف تصنعون اي هل كنتم تفعلون كفعله صلى الله
عليه وسلم قال يجزئ احدنا الوضوء ما لم يحدث اي فوجوب الوضوء لكل صلاة
كان من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ثم نسخ وذكر بعضهم ان الغسل كان
واجبا عليه صلى الله عليه وسلم لكل صلاة فنسخ بالسنة للحدث الاصغر تخفيفا
فصار الوضوء بدلا عنه ثم نسخ الوضوء لكل صلاة وظاهر سياقه ثم يقتضي ان وجوب
الغسل ثم الوضوء لكل صلاة كان مما في حقه صلى الله عليه وسلم وحق امته
ويحتاج الى ثبت وجوب الغسل في حقه صلى الله عليه وسلم وحق الامة ووقت
نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة يكون بالنسبة للامة ثم بالنسبة اليه صلى الله عليه
وسلم وحينئذ لا يشكل قول فقهائنا ان الاية تقتضي وجوب الطهر بالماء والتراب
لكل صلاة خرج الوضوء بالسنة اي بما تقدم من فعله صلى الله عليه وسلم يوم
الفتح وبتجويزه صلى الله عليه وسلم للامة ان يصلي الواحد منهم الصلوات
بوضوء واحد وبقي التيمم على مقتضى الاية فقد وقع النسخ اولا بالنسبة للامة
ثم ثانيا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم وحمل وجوب الغسل لكل صلاة كان
بوحي غير قرآن او باجتهاد ولا يخفى ان كون ظاهر الاية يقتضي وجوب
الوضوء والتيمم لكل صلاة انما هو بقطع النظر عما نقله امامنا رضي الله عنه
عن زيد بن اسلم ان الاية فيها تقديم وحذف وان التقدير اذا قمتم الى الصلاة

ما فرض في اول الاسلام

من النوم او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فاغسلوا وجوهكم الا بنزوا والله اعلم • ومن
مقاتل بن سليمان فرض الله في اول الاسلام الصلاة ركعتين بالغداة اي قبل
طلوع الشمس وركعتين بالعشي اي قبل غروب الشمس اقول ان كان المراد باول
الاسلام نزول جبريل عليه باقرا بدليل ما تقدم عن الامتاع ان اول ما وجب
ركعتان بالعشي ثم صارت صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ركعتين الا ان يراد ذ
الا وبيذا الامانية وفي بعض الاحاديث ما يدل على ان وجوب الركعتين كان
خاصا به صلى الله عليه وسلم دون امته فيها قوله صلى الله عليه وسلم اول ما افترض
الله على امتي الصلوات الخمس وفيه انه افترض عليها قبل ذلك صلاة الليل ثم
نسخ بالصلوات الخمس وفي الامتاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
الى الكعبة اول النهار فيصلي صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش وكان
صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى
ومثنى فيصلون صلاة العشي وكانوا يصلون الضحى والعصر ثم نزلت الصلوات
الخمس هذا كلامه وهو يفيد ان الركعتين الاوليين كان يصليهما وقت الضحى
اي قبل الشمس فليتامل والله اعلم ثم فرضت الخمس ليلة المعراج • وذهب جمع
الى انه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة اي له عليه ولا على امته الا ما وقع الامر
به من صلاة الليل من غير تحديد اي بقوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر اي فصلوا اقول
وهو الناسخ لما وجب قبل ذلك من التحديد في اول السورة الحاصل بقوله
الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه وقد نسخ قيام الليل بالصلوات
الخمس ليلة الاسراء وهو يخالف ما تقدم من وجوب صلاة الركعتين عليه صلى الله
عليه وسلم قبل ذلك اولا ما فرض عليه الا الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض
عليه قيام الليل المذكور في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ
بالصلوات الخمس وهو مخالف لما تقدم عن ابن اسحاق من وجوب صلاة
الركعتين عليه ويوافقه قول ابن كثير في قولهم ماتت خديجة قبل ان
تفرض الصلوات الخمس ليلة الاسراء قال بعضهم وانما قال ذلك لان اصل
الصلاة قد فرض في حياة خديجة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي
وفي كلام ابن حجر الهيتمي لم يكلف الناس الا بالتوحيد فقط ثم استمر على
ذلك مدة مديدة ثم فرض عليهم من الصلوات ما ذكر في سورة المزمل ثم نسخ

ذلك

ذلك كله بالصلوات الخمس ثم تكثرت الفرائض وتتابعت الاحكام لما ظهر الاسلام وتمكن
من القلوب وكان كلما ازداد ظهورا وتمكنا ازدادت الفرائض وتتابعت هذا كلامه ولم
اقف على ما كان يقرأ في صلاة الركعتين قبل فترة الوحي وبعدها وقبل نزول
الفاتحة بناء على تأخر نزولها عن ذلك كما هو الراجح ثم رأيته في الاتقان ذكر ان
جبريل حين حولت القبلة اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الفاتحة ركن
في الصلاة كما كانت بمكة هذا كلامه وينبغي حمله على الصلوات الخمس وحينئذ
يكون ما تقدم من قول بعضهم لم يحفظ انه كانت صلاة في الاسلام بغير الفاتحة
محمول على ذلك ايضا وقد تقدم ذلك بما فيه من الخلاف والله سبحانه وتعالى اعلم

باب ذكر اول الناس ايمانا به صلى الله عليه وسلم اي بعد البعثة اي الرسالة وهي الحولة عند

اول الناس ايمانا خديجة

الاطلاق بناء على انها متأخرة عن النبوة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث اخفى امره
وجعل يدعو الى الله سرا واتبعه ناس غالبهم ضعفاء الرجال دون النساء والعبيد
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين بدأ غريبا وسيعود كما بدأ
فطوبى للغرباء ولا يخفى ان اهل الاثر وعلماء السير على ان اول الناس ايمانا به صلى الله
عليه وسلم على الاطلاق خديجة رضي الله عنها • اقول نقل الثعلبي المفسر اتفاق العلماء
عليه وقال النووي انه الصواب عند جماعة من المحققين • وقال ابن الاثير خديجة
اول خلق الله تعالى اسلم باجماع المسلمين لم يتقدمها رجل ولا امرأة وفيه
بان الاجماع لم يكن موجودا الا عند البعثة [illegible]
خديجة لتقدم ايمانها اشتراك بجلالة من اخذ ايمانها • وعن ابن اسحاق ان خديجة
كانت اول من آمن بالله ورسوله وصدقت ما جاء به من الله تعالى وكان لا يسمع
شيئا يكرهه من قومه الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها واخبرها به • ثم علي بن

ثم علي بن ابي طالب

ابي طالب رضي الله عنه ففي المرفوع عن سلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اولكم ورودا على الحوض اولكم اسلاما علي بن ابي طالب • وجاء انه قال
لزوجته فاطمة رضي الله عنها فالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة وانه لاول
اصحابي ايمانا بي واكثرهم علما واعظمهم حلما وكان لم يبلغ الحلم كما سيأتي حكاية الاجماع
عليه كان سنه ثمان سنين وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه
يطعمه ويقوم به وبامره لان قريشا كان اصابتهم قحط شديد وكان ابو طالب كثير العيال

ومن مناقب علي رضي الله عنه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال والناس في
ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تأخذ واحدا وانا واحدا فجاء
اليه وقالا انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه
فقال لهما ابو طالب اذا تركتما عقيلا قبل وطالبا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فضمه اليه واخذ العباس جعفرا فضمه
اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي خصائص العشرة للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم تولى تسميته بعلي ثم
وتغذيته اياما من ريقه المبارك بمصه لسانه فعن فاطمة بنت اسد ام علي رضي الله
عنه قالت لما ولدته سماه عليا وبصق في فيه ثم انه القمه لسانه فما زال يمصه حتى نام
قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدي احد فدعونا له محمدا صلى الله
عليه وسلم فالقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله عز وجل هذا الكلام قبلنا قال
وعنها رضي الله عنها ان امي في الجاهلية اذا ارادت ان تسجد لهبل وهي حامل بعلي فتتقوس
في بطنها فمنعها من ذلك • وكان علي رضي الله عنه اصغر اخوته فكان بينه وبين
اخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر واخيه عقيل عشر سنين وبين عقيل واخيه طالب
عشر سنين فكل اكبر من الذي يليه بعشر سنين فاكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم علي
وكلهم اسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى
الله عليه وسلم قال لعقيل يا ابا يزيد اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا
لما كنت اعلم من حب عمي اياك وكان عقيل اسرع الناس جوابا وابلغهم في ذلك ثم
قال له معاوية يوما اين ترى عمك ابا لهب من النار فقال اذا دخلتها يا معاوية
فهو على يسارك مفترشا عمتك حمالة الحطب والراكب خير من المركوب • ولما وفد
على معاوية وقد غضب من اخيه علي لانه طلب منه عطاء وقال له اصبر حتى يخرج
عطاؤك مع المسلمين فاعطيك فقال له لاذهبن الى رجل هو اوصل لي منك
فذهب الى معاوية فاعطاه معاوية مائة الف درهم ثم قال له معاوية اصعد
المنبر فاذكر ما اولاك علي وما اوليتك فصعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال
ايها الناس اني اخبركم اني اردت عليا على دينه فاختار دينه واني اردت معاوية
على دينه فاختارني على دينه • ومن رواية ان معاوية قال يوما لجلسائه هذا
عقيل هذا ابو يزيد يعني عقيلا لولا علمه باني خير له من اخيه لما اقام عندنا

وتذكر

وسبب اسلام علي رضي الله عنه

وتذكر فقال عقيل اخي خير لي في ديني وانت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي واسأل
الله خاتمة الخير توفي عقيل في خلافة معاوية • قال وسبب اسلام علي رضي الله عنه انه
دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال ما هذا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فادعوك
الى الله وحده لا شريك له والى عبادته وتكفر باللات والعزى فقال علي هذا
امر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض امرا حتى احدث ابا طالب وكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له يا علي اذا لم تسلم
فاكتم هذا فمكث ليلته ثم ان الله هداه للاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاسلم انتهى اقول وذلك في اليوم الثاني من صلاته صلى الله عليه وسلم
هو وخديجة وهو يوم الثلاثاء كما في سيرة الدمياطي اي لانه تقدم ان صلاته
مع خديجة كانت آخر يوم الاثنين وهذا انما ياتي على القول بان النبوة والرسالة
تقارنتا لا على ان الرسالة متاخرة عن النبوة وان بينهما فترة الوحي على
ما تقدم • ومن اسد الغابة ان ابا طالب راى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان
وعلي على يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصلى على يساره وكان اسلام جعفر
بعد اسلام اخيه علي بقليل والله اعلم • قال بعضهم وانما صح اسلام علي مع انهم
اجمعوا على انه لم يكن بلغ الحلم اي كان عمره ثمان سنين على ما سيأتي لان الصبيان
كانوا اذ ذاك مكلفين لان القلم انما رفع عن الصبي عام خيبر ومن البيهقي ان الاحكام
انما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق ودون ذلك في عام الحديبية وكانت قبل ذلك
منوطة بالتمييز وهو المتجه هذا وقد ذكر انه لم يحفظ عن علي رضي الله عنه انه قال
شعرا وقيل لم يقل الا بيتين وهما قوله كما قال صاحب القاموس •
تلكموا قريش تمناني لتقتلني • فلا وربك ما بروا ولا ظفروا •
فان هلكت فرهن ذمتي لهم • بذات ودقين لا تبقي ولا تذرا •
وذات ودقين هي الداهية • وتقدم ان الزبير ابن العوام اسلم وهو ابن ثمان سنين
وقيل ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن اثنتي عشرة سنة وقيل ابن ست عشرة سنة
ونهايته للاولية ذكر عن بعضهم قال كان علي والزبير وطلحة وسعد ابن ابي وقاص
ولدوا في عام واحد واجماعهم على ان عليا لم يكن بلغ سن الحلم يرد القول بان عمره اذ ذاك
عشر سنين اي بناء على ان سن الاحتلام تسع سنين كما تقول به ائمتنا ويرد القول بان الراشد

وانما صحت عبادة الصبي

ابنه وهو الهادي والثاني من خلفا بني العباس لما كان عمره تسع سنين وطي جارية حبشية
فحملت منه وولدت وله احدى عشرة سنة • اقول قال بعض متاخري اصحابنا وانما صحت عبادة
الصبي المميز ولم يصح اسلامه لان عبادته نفل والاسلام لا يتنفل به ثم رايت في الحديث ما يرد
ان عليا رضي الله عنه لم يكن مشركا قط ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن ال يس وعلي
ابن ابي طالب واسية امراة فرعون وفي العرايس روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن
ال فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن ابي طالب وهو افضلهم الا ان يراد
بعدم كفرهم انهم لم يسجدوا لصنم • وقد عد ابن الجوزي من رفض عبادة الاصنام

من رفض عبادة الاصنام

في الجاهلية اي ثم امن بها ابا بكر الصديق وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش
وعثمان بن ابي الحويرث وورقة ابن نوفل ورياب بن البرا واسعد بن كريب الحميري
وقس بن ساعدة الايادي وابا قيس بن صرمة • ومن كلام السبكي الصواب ان يقال
الصديق لم يثبت عنه حال الكفر بالله فلعل حاله قبل البعثة كان كحال زيد بن
عمرو بن نفيل واضرابه فلذلك خص الصديق بالذكر من غيره من الصحابة هذا كلامه
ومن كلام الحافظ ابن كثير الظاهر ان اهل بيته صلى الله عليه وسلم امنوا قبل كل احد
خديجة وزيد وزوجة زيد ام ايمن وعلي رضي الله عنهم • وعن ابن اسحاق ذكر بعض
اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب
مكة وخرج معه علي بن ابي طالب مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا امسيا رجعا
كذلك ثم ان ابا طالب عثر اي اطلع عليهما يوما وهما يصليان بنخلة اي المحل المعروف
فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي ما هذا الذي اراك تدين به
قال هذا دين الله وملائكته ورسله ودين ابينا ابراهيم بعثني الله به
رسولا الى العباد وانت احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى
واحق من اجابني اليه واعانني عليه فقال ابو طالب اني لا استطيع
افارق دين ابائي وما كانوا عليه وفي رواية انه قال له ما بالذي تقول له
من باس ولكن والله لا تعلوني استي ابدا وهذا كما لا يخفى ينبغي ان يكون
صدر منه قبل ان يقول لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما راى
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه وذكر ان ابا طالب قال لعلي
اي بني ما هذا الذي انت عليه قال يا ابت امنت بالله وبرسوله وصدقته بما

واتفق عفيف الكندي

جا به ودخلت معه واتبعته فقال له اما انه لم يدعك الا الى الخير فالزمه اي وذكر
عنه انه كان يقول اني لاعلم ان ما يقول ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني
نساء قريش لاتبعته • وعن عفيف الكندي رضي الله عنه قال كنت امرا تاجرا
فقدمت للحج واتيت العباس ابن عبد المطلب لابتاع منه بعض التجارة وكان
العباس لي صديقا وكان يختلف الى اليمن يشتري العطر ويبيعه ايام الموسم
فبينا انا عند العباس بمنى وفي لفظ بمكة في المسجد اذ دخل رجل مجتمع اي بلغ اشده
خرج من خباء قريب منه فنظر الى الشمس فلما راها مالت اي زالت فاسبغ الوضوء اي
اكمله ثم قام يصلي اي الى الكعبة كما في بعض الروايات ثم خرج غلام مراهق اي قارب
البلوغ فتوضا ثم قام الى جنبه يصلي ثم جاءت امراة من ذلك الخبا فقامت خلفهما
ثم ركع الرجل وركع الغلام وركعت المراة ثم خر الرجل ساجدا وخر الغلام
ساجدا وخرت المراة فقلت ويحك يا عباس ما هذا الدين قال هذا دين محمد
ابن عبد الله اخي يزعم ان الله بعثه رسولا وهذا ابن اخي علي بن ابي طالب
وهذه امراته خديجة قال عفيف بعد ان اسلم بالفتح كنت رابعا ولعل زيد
ابن حارثة لم يكن موجودا عندهم في ذلك الوقت فلا ينافي انه كان يصلي معهم
اذ ان ذلك كان قبل اسلامه لانه سياتي ان اسلامه كان بعد اسلام علي •
وكذا ابو بكر لم يكن موجودا ذلك الوقت بناء على ان اسلامه كان قبل اسلام
علي ويؤيده ما قيل اول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر لكن في الاستيعاب
لابن عبد البر ان العباس قال لعفيف الكندي لما قال له ما هذا الذي يصنع
قال يصلي وهو يزعم انه نبي ولم يتبعه على امره الا امراته وابن عمه هذا الغلام
وفيه ان عليا قال لقد عبدت الله قبل ان يعبده احد من هذه الامة خمس سنين
اي ولعل المراد انه عبده بغير الصلاة وقوله في الحديث فنظر الى الشمس فلما راها
مالت توضا وصلى فيه يخالف ما تقدم من ان فرض الصلاة كانت ركعتين بالغداة
وركعتين بالعشي قبل غروب الشمس فقط • اقول فقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون
صلاته في الوقت لشي مما فرض عليه والجماعة في ذلك جائزة وقد فعلها صلى الله عليه وسلم
في النفل المطلق وهذا ايدل على ان الجماعة كانت مشروعة بمكة حتى في صدر الاسلام قبل
فرض الصلاة الخمس وفي كلام بعض فقهائنا ان الجماعة لم تشرع الا في المدينة دون مكة لقهر الصحابة
الا ان يقال المراد مشروعيتها طلبها فكانت في المدينة مطلوبة استحبابا او وجوبا كفاية او

مشروعية الجماعة

زيد بن حارثة واسلامه

عينا على الخلاف عندنا في ذلك وفي مكة كانت بأخذ وفيه انه يبعد تركها وهم مستخفون
في دار الارقم فليتأمل والله اعلم. ثم بعد اسلام علي اسلم [illegible] رضي الله عنهم
زيد بن حارثة بن شرحبيل وقال هشام شراحيل مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهبته له خديجة اي لما تزوجها صلى الله عليه وسلم اي وكان اشتراه لها ابن
اخيها حكيم بن حزام ممن سباه من الجاهلية اي فان عمته خديجة امرته ان
يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجد زيدا يباع اي وعمره
ثمان سنين فانه سبي من عند اخواله طي وعليه اقتصر السهيلي فان امه لما خرجت
به لتزور اهلها فاصابته خيل فباعوه فاشتراه اي وقيل اشتراه من سوق حباشة
بأربعمائة درهم وقيل بستمائة درهم فلما رأته خديجة اعجبها فاخذته اي ولعل هذا
مراد من قال فباعوه من عمته خديجة اي اشتراه لها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم
وهو عندها اعجبه فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتبناه قبل الوحي اي وقيل اشتراه صلى الله عليه وسلم لها فانه جاء الى خديجة فقال
رأيت غلاما بالبطحاء قد اوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمنه لاشتريته قالت وكم ثمنه
قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاذهب فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال
انه لو كان لي لاعتقته قالت هو لك فاعتقه وقيل بل اشتراه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الشام لخديجة حين توجه مع ميسرة فوهبته له فليتأمل وزعم ابو
عبيدة ان زيد بن حارثة لم يكن اسمه زيد ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك
باسم جده قصي حين تبناه ثم انه خرج في ابل لابي طالب الى الشام فمر بارض قومه
فعرفه عمه فقام اليه فقال من انت يا غلام قال غلام من اهل مكة قال من انفسهم
قال لا قال فحر انت ام مملوك قال مملوك قال اعربي انت ام اعجمي قال بل عربي قال
من اهلك قال من كلب قال من اي كلب قال من بني عبد ود قال ويحك ابن من انت
قال ابن حارثة بن شراحيل قال واين اصبت قال في اخوالي قال ومن اخوالك
قال طي قال ما اسم امك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا اباه فقال
يا حارثة هذا ابنك فاتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه قال كيف صنع مولاك اليك
قال يؤثرني على اهله وولده ورزقت منه حبا فلا اصنع الا ما شئت فركب معه
ابوه وعمه واخوه وفي رواية ان ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم
فانطلقوا فاعلموا اباه ووصفوا له المكان فجاء ابوه وعمه وقد يقال لا مخالفة

لجواز

لجواز ان يكون اجتماعه بابيه وعمه كان بعد اخبار هؤلاء الناس فلما جاء اهله في طلبه
ليفدوه خيره صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى اهله فاختار المكث
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر انهم لما جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه اي وفي لفظ لما قدم ابوه وعمه في فداء ابنه سألا
عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب
يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه انتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون العاني
وتطعمون الجائع جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا واحسن في فدائه فانا سندفع
لك قال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة فقال او غير ذلك قالوا وما هو قال
ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارني فوالله ما انا بالذي
اختار على الذي اختارني فداء قالوا زدت على النصف واحسنت فدعاه فقال له
تعرف هؤلاء قال نعم ابي وعمي ولعل سكوته عن اخيه استظهارا بالتنصيص لابيه وعمه
على ان اكثر الروايات على اقتصار مجيء ابيه وعمه وفي كلام السهيلي ان زيدا لما جاء قال له
صلى الله عليه وسلم من هذا قال هذا ابي حارثة بن شراحيل وهذا عمي كعب بن شراحيل
فقد ذكرت قال صلى الله عليه وسلم انا من علمت ورأيت صحبتي لك فاخترني او
اخترهما فقال زيد ما انا بالذي اختار عليك احدا انت مني مكان الاب والعم فقالا
ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل بيتك قال نعم ما انا
بالذي اختار عليه احدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ذلك اخرجه الى الحجر
الذي هو محل جلوس قريش فقال اشهدوا ان زيدا ابني ارثه ويرثني فطابت انفسهما وانصرفا
وفي كلام ابي عبيد البكري انه حين تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سنه
ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا
ويشهدهم على ذلك وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي
هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك
وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف اي من مال عمه
فنسخ ذلك وهذا الذي ذكره ابن عبد البر من انه صلى الله عليه وسلم حين تبناه
كان عمره ثمان سنين يدل على ان ذلك كان عقب شرائه له صلى الله عليه وسلم قبل الوحي
وان ذلك كان قبل مجيء ابيه وعمه فحينئذ يكون عتقه وتبنيه بعد مجيء ابيه وعمه
اظهارا لما تقدم وفي تفسير الماوردي ان حارثة اسلم ولما تبناه صلى الله عليه وسلم كان يقال

وتبناه صلى الله عليه وسلم

له زيد بن محمد ولم يذكر أحد في القرآن من الصحابة باسمه إلا هو كما بيّنا وقد أبدى السهيلي
حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي أنه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وما دعينا له لا
زيد بن حارثة ولا ينادى له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرّفه الله بذكر اسمه
في القرآن دون غيره من الصحابة فصار اسمه يتلى في المحاريب ولم يذكر في القرآن
امرأة باسمها إلا مريم ولزيد أخ اسمه جبلة أسنّ منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال
زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله وأعلمك أن زيداً أفضل منه لسبقه للإسلام • ثم أسلم من الصحابة
أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال بعضهم في سبب إسلامه أنه كان صديقاً لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وكان يسمع قوله ورقته
فذهب معه إليه فكان سوقهما لذلك فنوع حكيم بن حزام في بعض الأيام إذ
جاءت مولاة لحكيم فقالت له إن عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم أن زوجها
نبي مرسل مثل موسى فانسلّ أبو بكر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسأله عن خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي إليه بالرسالة
فقال صدقت بأبي أنت وأمي وأهل الصدق أنت أشهد أن لا إله إلا الله
وأنك رسول الله فبذلك سماه يومئذ الصديق وهذا السياق ربما يدل
على أن إسلام أبي بكر كان قبل نزول يا أيها المدثر بعد فتور الوحي بناء
على ما تقدم وكونه سماه يومئذ الصديق لا ينافي ما سيأتي أنه سمي بذلك
صبيحة المعراج لما صدقه وكذبته قريش لجواز أنه تم تسميته بذلك الا جديد
وذلك في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أن الذي جاء
بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه
قال ولما سمعت خديجة خبر إسلام أبي بكر خرجت وعليها خمار أحمر فقالت
الحمد لله يا ابن أبي قحافة وأما عبد الله أي سماه به لكنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان اسمه قبل ذلك عبد الكعبة فأبو بكر رضي الله عنه
أول من غيّر النبي صلى الله عليه وسلم اسمه وقيل عتيق لحسن وجهه أو لأنه عتيق من
الذم والعيب أي أو نظر صلى الله عليه وسلم إليه فقال هذا عتيق من النار وهو أول
لقب وجد في الإسلام وقيل سمته بذلك أمه لأنه كان لا يعيش لها ولد
فلما ولدته استقبلت به الكعبة ثم قالت اللهم هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش
قيل ويدل لذلك قول بعضهم إن أمه كانت تقول وتقول عتيق وما عتيق ذا

حكمة ذكر زيد باسمه في القرآن

إسلام أبي بكر رضي الله عنه

أول لقب وجد في الإسلام

المنظر

المنظر الأنيق • وفي كلام ابن حجر الهيتمي وصح أن اللقب له بالنبي صلى الله عليه وسلم لما دخل
عليه في منزل عائشة رضي الله عنها وأنه غلب عليه من يومئذ وبه يندفع أن اللقب
لأبيه وزعم أن أمه هذا الكلام فاسد وسمي عتيقاً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له حين أسلم أنت عتيق من النار وكان أبو بكر رضي الله عنه صدراً معظماً في قريش
على سعة من المال وكرم وكان أخلاق من رؤساء قريش ومحل مشورتهم وكان من أعف الناس
سخياً يبذل المال محبباً في قومه حسن المجالسة وكان من أعلم الناس بتعبير الرؤيا
ومن ثم قال ابن سيرين وهو المقدم في هذا العلم اتفاقاً كان أبو بكر أعلم الناس
بتعبير الرؤيا في هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان أعلم الناس
بأنساب العرب فقد جاء عن جبير بن مطعم البالغ الغاية في ذلك أنه قال إنما
أخذت النسب من أبي بكر لا سيما أنساب قريش فإنه كان أعلم قريش بأنسابها
وبما كان فيها من خير وشر وكان لا يعد مساويهم فمن ثم كان محبباً فيهم بخلاف
عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه كان بعد أبي بكر أعلم قريش بأنسابها
وبآبائها وما فيها من خير أو شر لكن كان مبغضاً إليهم لأنه كان يعدّ مساويهم
وكان عقيل يجلس ليؤخذ في المسجد النبوي لأخذ علم الأنساب ووقائع
العرب وأيامهم • وقال بعضهم كان أبو بكر عند أهل مكة من خيارهم وكانوا
يستعينون به فيما نابهم وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد قال الزمخشري
ويكنى بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة • وكان نقش خاتمه نعم القادر
الله • وكان نقش خاتم عمر كفى بالموت واعظاً يا عمر وكان نقش خاتم عثمان
آمنت بالله مخلصاً • وكان نقش خاتم علي الملك لله • وكان نقش خاتم
أبي عبيدة بن الجراح الحمد لله • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة أي وقفة وتأخر وتردد
إلا ما كان من أبي بكر رضي الله عنه وفي رواية ما كلمت أحداً في الإسلام إلا
أبى علي وراجعني في الكلام إلا ابن أبي قحافة فإني لم أكلمه في شيء إلا قبله
واستقام عليه أي ومن ثم كان أشد الصحابة رأياً وأكملهم عقلاً لخبر تمام
أتاني جبريل فقال إن الله أمرك أن تستشير أبا بكر ونزل فيه وفي عمر
وشاورهم في الأمر • وكان أبو بكر بمكان الوزير من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكان يشاوره في أموره كلها وقد جاء أن الله تعالى أيدني بأربعة وزراء

وكان نقش خاتم أبي بكر

وسبب اسلام ابي بكر رضي الله عنه

وزيري من اهل الارض ابي بكر وعمر ووزيري من اهل السماء جبريل وميكائيل قال وسبب
مبادرته الى التصديق ما علمه من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وبراهين
صدقه وعلامته ولرؤيا رآها قبل ذلك رأى القمر نزل الى مكة فدخل في كل
بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض اهل الكتاب فعبرها
له بانه يتبع النبي المنتظر الذي قد اظل زمانه وانه يكون اسعد الناس به
وبحيرا الذي هو من اهل الكتاب بحيرا واخرج ابو نعيم عن بعض الصحابة
ان ابا بكر امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة اي علم انه النبي المنتظر
لما مر على بحيرا الراهب ولما سمعه من شيخ عالم من الازد قد قرا الكتب
نزل به في اليمن فقال له احسبك حرميا فقال ابو بكر نعم قال احسبك
قرشيا قال نعم فقال له احسبك تيميا قال نعم فقال له بقيت لي فيك واحدة
قال وما هي قال تكشف لي عن بطنك فقال له لا افعل او تخبرني لم ذلك
فقال اجد في العلم الصحيح الصادق ان نبيا يبعث في الحرم يعاون على امره
فتى وكهل فاما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات واما الكهل فابيض
نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه الايسر علامة اي مع كونه حرميا قرشيا
تيميا وما عليك ان تريني ما سالتك وقد تكاملت فيك الصفة اي
كونه حرميا قرشيا تيميا ابيض نحيف الا ما خفي علي قال ابو بكر فكشفت
له عن بطني فراى شامة سوداء فوق سرتي اي وراى العلامة على
الفخذ الايسر فقال انت هو ورب الكعبة قال ابو بكر فلما قضيت
ما جئت من اليمن اتيته لاودعه فقلت له [illegible]
قال احفظ عني ابياتا من الشعر قلتها في ذلك النبي قلت نعم فذكر ابياتا
قال ابو بكر فقدمت مكة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فجاءني
صناديد قريش كعقبة بن ابي معيط وشيبة وربيعة وابو جهل وابو
البختري فقالوا يا ابا بكر يتيم ابي طالب يزعم انه نبي ولولا انتظارك
ما انتظرنا فاذا قد جئت فانت الغاية والكفاية اي لان ابا بكر كما
تقدم كان صديقا له صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر فصرفتهم على احسن
كلام ثم جئته صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الي فقال
يا ابا بكر اني رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت له

وما

وما يدلك على ذلك قال الشيخ الذي افادك الابيات قلت ومن اخبرك بهذا
يا حبيبي قال الملك المعظم الذي يأتي الانبياء قبلي قلت مد يدك فانا
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله قال ابو بكر رضي الله عنه
فانصرفت وما بين لابتيها اشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
باسلامي اي وقد رايته اشد سرورا مني باسلامي ولا مانع من تعدد الامرين
منه رضي الله عنه وسياتي عند الكلام على الهجرة ما يزيد ذلك وضوحا انه
وقول بعض الحفاظ ان ابا بكر اول الناس اسلاما هو المشهور عند الجمهور
من اهل السنة لا ينافي ما تقدم من ان عليا اول الناس اسلاما بعد خديجة
ثم مولاه زيد بن حارثة لان المراد اول رجل بالغ ليس من الموالي اسلم
ابو بكر والاورع ان يقال اول من اسلم من الرجال الاحرار اي غير
الموالي ابو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد
ابن حارثة وهذا وما قبله يدل على ان اسلام زيد بن حارثة
كان بعد البلوغ ولا ينافيه ما جاء في حديث ان اول من جهر بالاسلام
عمر ابن الخطاب لان ذلك عند اختفائه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه
في دار الارقم كما سياتي فالاولية اظهار الاسلام اضافية قال ابن كثير
وورد عن علي انه قال انا اول من اسلم ولا يصح اسناد ذلك اليه وعلى تقدير
صحته يراد اول من اسلم من الصبيان فالاولية اضافية . ومما يؤثر عن
علي رضي الله عنه لا تكون ممن يرجو الاخرة بغير عمل ويرجو التوبة بطول
الامل يحب الصالحين ولا يعمل باعمالهم البشاشة فخ المودة والصبر قبر
العيوب والعتاب بالظلم مغلوب العجب ممن يدعوا ويستبطئ الاجابة
وقد سد طرقها بالمعاصي . واول من اسلم من النساء خديجة رضي الله عنها
ثم ام الفضل زوج العباس واسماء بنت ابي بكر وام جميل فاطمة بنت الخطاب
اخت عمر بن الخطاب وينبغي ان تكون ام ايمن سابقة في الاسلام على ام
الفضل عليها تقدم . وقول السراج البلقيني موافقة للزين العراقي ان اول
رجل اسلم ورقة بن نوفل لقوله له صلى الله عليه وسلم انا اشهد انك الذي بشر
به عيسى ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل فقد علمنا ما فيه
وانه انما كان من اهل الفترة كما صرح به الحافظ الذهبي وهو يرد القول الاول

ومما يؤثر عن علي رضي الله عنه

واول من اسلم من النساء

بان وفاة ورقة تاخرت عن البعثة فورقة ونحوه كثيرا ونسطورا من اهل
الفترة لا من اهل الاسلام ويؤيده ما تقدم من ان باجماع المسلمين لم يتقدم
خديجة في الاسلام رجل ولا امراة • وحين اسلم ابو بكر رضي الله عنه دعى

وممن اسلم بدعاية ابي بكر

الى الله ورسوله من وثق به من قومه فاسلم بدعايته عثمان بن ابي العاص
ابن امية بن عبد شمس ولما اسلم عثمان بن عفان اخذه عمه الحكم بن ابي العاص
ابن امية والد مروان فاوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة ابائك الى دين
محمد والله لا احلك ابدا حتى تدع ما انت عليه فقال عثمان والله
لا ادعه ابدا ولا افارقه فلما راى الحكم صلابته في الحق تركه وقيل
عذبه بالدخان ليرجع فما رجع • واسلم بدعاء ابي بكر ايضا الزبير ابن
العوام رضي الله عنه وكان عمره ثمان سنين على ما تقدم • وعبد الرحمن بن

وسبب اسلام عبد الرحمن ابن عوف

عوف وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة وقيل عبد
الحارث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان امية بن خلف
لي صديقا فقال لي يوما ارغبت عن اسم سماك به ابوك فقلت نعم فقال لي
اني لا اعرف الرحمن ولكن اسميك بعبد الاله فكان يناديني به ذلك
قال وسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير
مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلان بن عواكن الحميري فكان يسالني هل
ظهر فيكم رجل له نبا له ذكر هل خالف منكم احد عليكم في دينكم فاقول لا حتى كانت
السنة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت اليمن فنزلت عليه الى

اسلام سعد بن ابي وقاص

اخر القصة • واسلم بدعاية ابي بكر رضي الله عنه سعد بن ابي وقاص لان
ابا بكر لما دعاه الى الاسلام ثم بعثه الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن امره
فاخبره به فاسلم وكان عمره سبع عشرة سنة وهو من بني زهرة رهط امه صلى
الله عليه وسلم وقد قيل عنه سعد فابى فبلغني امه خالد وكرهت اسلامه
وكان بارا بها فقالت الست تزعم ان الله يامرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال
نعم قالت والله لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد اي
وتمس اسافا ونائلة فكانوا يفتحون فاها ثم يلقون فيها الطعام والشراب
فانزل الله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس
لك به علم فلا تطعهما الاية وفي رواية انها مكثت يوما وليلة لا تاكل ولا

تشرب

تشرب قال سعد فقلت لها تعلمين والله يا اماه لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا
ما تركت ديني هذا النبي صلى الله عليه وسلم فكلي ان شئت او لا تاكلي فلما رات ذلك اكلت وكانت
تعيرني باخي عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما اسلم عامر لقي منها
ما لم يلق احد من الصياح والاذى حتى هاجر الى الحبشة • وجاء انه صلى الله عليه
وسلم امر سعد بن ابي وقاص ان ياتي الحارث بن كلدة طبيب العرب يستوصفه لمرض
نزل بسعد وكان ذلك في حجة الوداع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود عبد
الرحمن بن عوف لمرض نزل به فوجد عنده الحارث فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد
الرحمن اني لارجو ان يشفيك الله حتى يضر بك قوم وينتفع بك اخرون ثم قال
للحارث بن كلدة عالج سعدا مما به وكان سعد بالمجلس فقال والله اني لارجو شفاءه

وسبب اسلام طلحة

فيما ينفعه في رحله هل معكم من هذه التمرة العجوة شيء قالوا نعم فخلط له التمر
بحلبة ثم اوسعها سمنا ثم احساه اياه فكانما نشط من عقال وهذا مما استدل به
على اسلام الحارث بن كلدة لان حجة الوداع لم يحج فيها مشرك فهو معدود من الصحابة
ومن اسلم بدعاية ابي بكر رضي الله عنه طلحة بن عبيد الله التيمي وسبب اسلام
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ما تقدم انه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب
في صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم هل فيهم من اهل الحرم احد قال طلحة نعم انا
فقال هل ظهر احمد بعد قلت ومن احمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره
الذي يخرج فيه وهو اخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى ارض ذات نخل وسباخ
فاياك ان تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي قال فخرجت سريعا فقدمت مكة
فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين تبعه ابن
ابي قحافة فخرجت حتى دخلت على ابي بكر فاخبرته بما قال الراهب فخرج

والذي اسلم بدعاية ابي بكر

ابو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فسر واسلم
طلحة وطلحة هذا احد العشرة المبشرين بالجنة وقد شاركه رجل اخر في اسمه
واسم ابيه ونسبته وهو طلحة بن عبيد الله التيمي وهو الذي نزل فيه قوله تعالى
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية لانه قال لئن مات محمد لاتزوجن عائشة
من بعده فنزلت الاية • والحاصل ان ابا بكر اسلم على يديه خمسة من العشرة المبشرين
بالجنة عثمان وطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وزاد بعضهم سادسا
وهو ابو عبيدة ابن الجراح وكان كل من ابي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة

السابقين الى الاسلام عبد الله بن مسعود

بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن ابي وقاص يصنع النبل والله اعلم • ثم دخل الناس
في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء وذكر في الاصل جماعة من السابقين الى الاسلام •
منهم عبد الله بن مسعود وسبب اسلامه ما حدث به قال كنت في غنم لآل عقبة ابن
ابي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر فقال صلى الله عليه وسلم هل
عندك من لبن فقلت نعم ولكني موتمن قال فهل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل
قلت نعم فاتيته بشاة شصوص لا ضرع لها فمسح صلى الله عليه وسلم مكان الضرع
فاذا ضرع حافل مملو لبنا فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب صلى الله
عليه وسلم فسقى ابا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان
اي لا وجود له على ظاهر ما في الاصل اذ لا لبن فيه على ما في النهاية قال السبكي •
ودرت عناق ما نزا الفحل فوقها • سقت عليها باليمين فدرت •
قال ابن مسعود فلما رايت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول
الله علمني فمسح راسي وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم اقول فما نقل
قول ابن مسعود ولكني موتمن وعدوله صلى الله عليه وسلم عن ذات اللبن الى غيرها
يخالف ما ياتي في حديث الهجرة والهجرة ان العادة كانت جارية باباحة مثل ذلك
اللبن لابن السبيل اذا احتاج اليه فكان كل راع ماذونا له في ذلك واذا كان
ذلك امرا متعارفا فالمرجو الا بعد حفاوه • قلنا قد يقال لا يحل لقفد لان ابن السبيل
المسافر وجاز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر لم يكونا مسافرين •
وجاز ان تكون تلك الغنم التي كان فيها ابن مسعود ببعض نواحي مكة القريبة
منها التي لا يعد قاصدها مسافرا ولعل الاولى ما ياتي ان من خصايصه صلى الله
عليه وسلم انه يباح له اخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج
صلى الله عليه وسلم اليهما وانه يجب على مالكهما بذل ذلك له • وكان ابن مسعود يعرف
بامه وهي ام عبد وكان قصيرا جدا طوله نحو ذراع خفيف اللحم ولما ضحكت الصحابة
رضي الله عنهم من دقة رجليه قال صلى الله عليه وسلم لرجل عبد الله في الميزان اثقل
من احد وقال صلى الله عليه وسلم في حقه رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد وسخط
لها ما سخط لها ابن ام عبد وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا يحجبه فلذلك
كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشي امامه صلى الله عليه وسلم ومعه
ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما

في

ومن السابقين ابو ذر الغفاري

في ذراعيه ولذلك كان مشهورا بين الصحابة بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشره صلى الله عليه وسلم بالجنة ومما يوثر عنه الدنيا كلها هموم فما كان منها في سرور
فهو ربح والله اعلم • وذكر في الاصل ان من السابقين ابا ذر الغفاري واسمه جندب بن
جنادة بضم الجيم فيهما قال وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل ان القى النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله اتوجه حيث وجهني ربي فبلغنا ان رجلا
خرج بمكة يزعم انه نبي فقلت لاخي انيس انطلق الى هذا الرجل وكلمه وايتني
بخبره فلما جاء انيس قلت له ما عندك فقال والله رايت رجلا يامر بالخير وينهى عن الشر
وفي رواية رايتك على دينك يزعم ان الله ارسله ورايته يامر بمكارم الاخلاق
قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون
فقلت اكفني حتى اذهب فانظر قال نعم وكن على حذر من اهل مكة فحملت جرابا وعصا
ثم اقبلت حتى اتيت مكة فجعلت لا اعرفه واكره ان اسال عنه فمكثت في
المسجد ثلاثين بين ليلة ويوم وما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن
بطني سخفة جوع والسخفة بالتحريك رقة حرارة يجدها الانسان من الجوع فلما ليلة
ثم طفت بالبيت احد واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه قد طافا بالبيت
ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته اتيته فقلت السلام عليك
يا رسول الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فرايت الاستبشار
في وجهه ثم قال من الرجل قلت من غفار بكسر المعجمة قال مذ متى كنت قلت من ثلاثين
بين ليلة ويوم ها هنا قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم قال انها مباركة
انها طعام طعم وشفاء سقم اي وجاء ماء زمزم لما شرب له ان شربته تستشفي شفاك الله
وان شربته لتشبع اشبعك الله وان شربته ليقطع ظماك قطعه الله وهي هزمة جبريل
وسقيا اسمعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق • وجاء اية ما بيننا وبين المنافقين
انهم لا يتضلعون من ماء زمزم • وذكر ان ابا ذر اول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليك التي هي تحية الاسلام وبايعه صلى الله عليه وسلم على ان لا ياخذه في الله
لومة لايم وعلى ان يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ما اظلت
الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق من ابي ذر وقال صلى الله عليه وسلم ابو ذر يمشي في الارض
على زهد عيسى ابن مريم وفي الحديث ابو ذر ازهد امتي واصدقها وقد هاجر ابو ذر الى الشام
بعد وفاة ابي بكر واستمر بها الى ان ولي عثمان فاستقدمه من الشام لشكوى معاوية منه

ومن فضايل ماء زمزم

ومن فضايل ابي ذر رضي الله عنه

واسكنه الرهبة فكان يناجي ما فيه فقال ابا ذر ما يبدء القول لمعاديته ويكلمه بالكلام
الخشن وعن ابن عباس ان نعيا اباذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بدلالة
علي رضي الله عنه وانه قال له ما اقدمك هذا البلد فقال له ابوذر ان كتمت
علي اخبرتك وفي رواية ان اعطيتني عهدا وميثاقا ان ترشدني اخبرتك ففعل
ثم قال قال ابوذر فاخبرته فارشدني واوصلني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسلمت • وفي الامتاع ان عليا استضاف اباذر ثلاثة ايام لا يسأله عن شي وهو
لا يخبره ثم قال له في الثالثة ما امرك وما اقدمك هذا البلد قال له ان كتمت
علي اخبرتك قال فاني افعل قال بلغنا انه خرج ههنا رجل يزعم انه نبي فارسلت
اخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر فاردت ان القاه فقال اما انك قد رشدت
هذا وجهي اليه فاتبعني ادخل حيث ادخل فان رايت احدا اخافه
عليك قمت الى الحائط كاني اصلح نعلي وفي لفظ كاني اريق الماء فامض انت قال ابو
ذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له
اعرض علي الاسلام فعرضه علي فاسلمت مكاني الحديث ثم قال صلى الله عليه وسلم
لي يا اباذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك واخبرهم بالخبر فاذا بلغك ظهورنا
فاقبل فقلت والذي بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت في الاسلام
خامسا وفي رواية رابعا ولعل المراد من الاعراب فلا ينافي ما ياتي في وصف خالد
ابن سعيد فلما اجتمعت قريش بالمسجد ناديت باعلا صوتي اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابي فضربت لاموت وفي
لفظ فمال علي اهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا علي فاكب العباس علي
ثم قال ويلكم الستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجاركم عليهم فخلوا عني قال
فجئت زمزم فغسلت عني الدما فلما اصبحت الغداة رجعت لمثل ذلك فصنع بي مثل
ما صنع وادركني العباس وكان منذ كالاسير فخرجت واتيت انيسا فقال ما صنعت
فقلت قد اسلمت وصدقت فقال ما بي رغبة عن دينك فاني قد اسلمت وصدقت
فاتينا امنا فقالت ما بي رغبة عن دينكما فاني قد اسلمت وصدقت ثم اتينا قومنا
غفارا فاسلم بعضهم وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
اسلمنا فلما جاء المدينة اسلم بعضهم الباقي اي لانه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اني قد
وجهت لي ارض ذات نخل لا اراها الا يثرب فهل انت مبلغ قومك عسى الله ان ينفعهم

بك

بك ويأجرك فيهم • وجاءت اسلم القبيلة المعروفة فقالوا يا رسول الله نسلم على الذي
اسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم
سالمها الله • وممن اسلم خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه قيل كان حين اسلم
رابعا وقيل ثالثا وقيل خامسا وهذا ولعله اسلم من اخوته ويمكن ان يكون ذلك محمل
قول ابنته ام خالد ابي اول من اسلم ابي اي من اخوته وسبب اسلامه انه راى في النوم
النار وراى من اهوالها وفظاعتها امرا مهولا وراى انه على شفيرها وان اباه
يريد ان يلقيه فيها وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بحجزته يمنعه من الوقوع
فيها فقام من نومه فزعا وعلم انها تنجيه من النار تكون على يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتى ابا بكر فذكر له ذلك فقال له اريد بك خير هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتبعه فاتاه فقال يا محمد ما تدعوا قال ادعو الى الله •
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وتخلع ما انت عليه من عبادة حجر
لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد وعلم ابوه وهو احيحة وكان من
عظماء قريش كان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له ومن ثم قال فيه القايل •
ابا احيحة من يعتم عمته • يضرب وان كان ذا مال وذا عدد • •
وعلم باسلام ولده خالد ارسل في طلبه فاتي به فضربه بمقرعة كانت في يده حتى
كسرها على راسه ثم قال اتبعت محمدا وانت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب
الهتهم وعيب من مضى من ابائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب ابوه وقال
اذهب يا لكع حيث شئت والله لامنعك القوت قال ان منعتني فان الله يرزقني
ما اعيش به فاخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا اسلموا لا يكلمه احد منكم الا صنعت
به فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه
حتى خرج اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة فكان خالد اول من
خرج اليها • وذكر عن والده سعيد انه مرض فقال ان رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد
اله ابن ابي كبشة بمكة ابدا فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفي في مرضه
ذلك وخالد هذا اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم • واسلم اخوه عمرو بن سعيد بن العاص
قيل وسبب اسلامه انه راى نورا خرج من زمزم اضاء له منه نخل المدينة حتى راى البسر
فيها فقص رؤياه فقيل له هي بير بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا
لاسلامه • واسلم من بني سعد ايضا ابان ابن الحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وممن اسلم خالد بن سعيد

واسلم عمرو بن سعيد

ومن السابقين صهيب

عبد الله • ومن السابقين الى الاسلام صهيب كان ابوه عاملا لكسرى اغارت الروم عليهم
فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشا في الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب
وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم بعض اهل مكة اي وهو عبد الله بن جدعان
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب بدار رسول الله صلى الله عليه
وسلم فراى عمار بن ياسر فقال له عمار اين تريد يا صهيب قال اريد
ان ادخل الى محمد فاسمع كلامه وانت ما تريد فقال عمار وانا اريد ذلك
فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما
الاسلام وتلا عليهما القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما ذلك حتى امسيا ثم
خرجا مستخفيين فدخل عمار على امه وابيه فسالاه اين كان فاخبرهما باسلامه
وعرض عليهما الاسلام وتلا عليهما القرآن الذي حفظه في يومه ذلك فاعجبهما
فاسلما على يده فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب وكان
اسلام صهيب وعمار رضي الله عنهما بعد بضع وثلاثين رجلا • واسلم ايضا

ومن السابقين حصين

حصين والد عمران بن حصين رضي الله عنهما بعد اسلام ولده عمران وسبب
اسلامه ان قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل
فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي صلى الله عليه
وسلم ودخل حصين فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال اوسعوا للشيخ وولده
عمران في الصحابة فقال حصين ما هذا الذي بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا
وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من الاله قال سبعة في الارض وواحدا في السماء
فقال اذا اصابك الضر لمن تدعو قال الذي في السماء قال فيستجيب لك وحده
وتشركهم معه ارضيته في الشكر يا حصين اسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده
عمران فقبل راسه ويديه ورجليه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وقال
بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته
فلما اسلم وفى حقه فدخلني من ذلك الرقة فلما اراد حصين الخروج قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب
اي عتبته رأته قريش فقالوا قد صبا وتفرقوا عنه رضي الله عنه

باب استخفائه صلى الله عليه وسلم في دار الارقم ودعائه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام جهرة

وكلام

وكلام قريش لابي طالب وما لقيه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه من الاذى واسلام عمه حمزة رضي الله تعالى عنه وغيره عن ابن اسحاق ان مدة استخفائه

صلى الله عليه وسلم اي المدة التي دعا الناس فيها خفية بعد نزول يا ايها المدثر ثلث
ثلاث سنين اي فكان من اسلم اذا اراد الصلاة يذهب الى بعض الشعاب يستخفي
بصلاته من المشركين اي كما تقدم فبينما سعد بن ابي وقاص في نفر من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم
يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن ابي وقاص
رجلا منهم بلحي بعير فشجه فهو اول دم اهريق في الاسلام ثم دخل صلى الله عليه وسلم
هو واصحابه مستخفين في دار الارقم اي المخزومي الذي تقدم فكانت جماعة اسلموا فيها وهو صلى
الله عليه وسلم دار الارقم ودار الارقم هي المعروفة الان بدار الخيزران عند الصفا
شراها الخيزران المنصور واعطاها لولده المهدي ثم اعطاها المهدي للخيزران ام
ولديه موسى الهادي وهارون الرشيد ولا يعرف امراة ولدت خليفتين الا هي وولادة
جارية عبد الملك بن مروان فانها ام الوليد وسليمان وتعرف الخيزران تعني الدار بها
المهدي عن ابيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اتقى الله وقاه كل شيء • فكان صلى الله عليه وسلم واصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم
ويعبدون الله فيها الى ان امره الله باظهار الدين اي وهذا السياق يدل على انه صلى
الله عليه وسلم استمر مستخفيا هو واصحابه في دار الارقم الى ان اظهر الدعوة واعلن صلى الله
عليه وسلم في السنة الرابعة • اي وقيل مدة استخفائه صلى الله عليه وسلم اربع سنين واعلن

ومدة استخفائه صلى الله عليه وسلم

في الخامسة وقيل قاموا في تلك الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون وتقدم ان اقامتهم
مخصوصة بالعدد المذكور فلا منافاة • واعلانه صلى الله عليه وسلم كان في الرابعة او الخامسة
بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين وبقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
واخفض جناحك للمؤمنين اي اظهر ما تؤمر به من الشرائع وادع الى الله تعالى ولا تبال
بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب اي وبنو
عبد شمس وبنو نوفل اولاد عبد المطلب بدليل ما ياتي • قال بعضهم آية فاصدع بما تؤمر
اشتملت على شرائط الرسالة واحكامها وصلاتها وصيامها قال بعضهم انما امر بالصدع
لتبليغ الرسالة عليه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم انه لما نزل عليه قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا اي عجز

عن احتمال ان يكتب شهرا او نحوه جاءت في بينته ظن عما انذرتك اني بري فدخل عليه عائذا ان
لا تغنا رصل الله عليه وسلم ما تسكت شيا لكن امري يقولوا انذر عشيرتك الاقربين
فاريناك اجمع بني عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى تلك فادعهم ولا يحفل عبد العزي
ثم يعني عمه ابا لهب فانه غير مجيبك اليها لتدعوا اليه وخرجت من عنده صلى الله عليه
وسلم . اي وكني عبد العزي بابي لهب لجماله وجهه ونضارته لونه كان وجهه ورجتناه
كلهب النار اي ضلمه فما اراد به بعضهم ان ولده عتيبة الاسد وولد احر عنيه كاللذا ثم
لهب قال في الاتقان ليس في القرآن من الكنى غير ابي لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد
العزى اي الصنم لانه حرام شرعا هذا كلامه وتبعه ان الحرام وضع ذلك لا استعمال لم
ومن كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام ايضا الا ان يشتهر به كما في الاوصاف
المنقصة كالاعمش وفي كلام الشافعي والمالكية والكنية تكرمة اي بالهو ولهذا الا م
ابها لا يشتهر وه بكنيته ولان اسمه عبد العزى الذي هو الصنم فاتكره ذكره ولانه
لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله في الاخرة فهي كنية تقتضيه
الذم فاتقع ما يفيد انه على اتحاد فوقهم ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا
لخوف فتنة او تعريف لانه ذكر طامن بالكنية التي تقتضيه المدح لا الذم وكم
يشتهر ممن صاحبها . قال فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بني عبد
المطلب فحضروا وكان فيهم ابو لهب فلما اخبرهم بما انزل الله عليه اسمعه ما يكره
فقال تبا لك الهذا جمعتنا اي واخذ حجرا ليرميه به وقال له ما رايت احدا
جا بني ابيه وقومه باشر ما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يتكلم في ذلك المجلس انتهى وعند ذلك انزل الله تعالى تبت اي خسرت وهلكت
يدا ابي لهب وتب اي خسر وهلك بجملته عبر عنها باليدين مجازا او بالمراد به الدعا
وبالثاني الخبر على حد قولهم اهلكه الله وقد هلك اي ولما قال ابو لهب عند
نزول تبت يدا ابي لهب وتب ان كان ما يقول محمد حقا افتديت منه بمالي وولدي
نزل قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب اي وولده لان الولد من كسب ابيه اي وفي
رواية انه جمع قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يا بني كعب بن لوي انقذوا انفسكم
من النار يا بني مرة ابن كعب انقذوا انفسكم من النار ثم قال يا بني هاشم انقذوا
انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا
انفسكم من النار يا بني زهرة انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا

انفسكم

سبب نزول سورة تبت يدا

انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار يا صفية عمة محمد انقذي نفسك من النار فاني
لا املك لكم من الله شيا وفي لفظ فاني لا املك لكم من الدنيا ولا من الاخرة نصيبا الا ان تقولوا
لا اله الا الله اي لا تتكلوا على كونكم اتكالا على قرابتكم مني فهو حث لهم على العمل الا ان لكم
رحما سابلها ببلالها اي اصلها بالدعاء اي والبلال بالفتح كقطام
ما يبل الحلق من الماء واللبن وبلالها اي وصلها وبلوا ارحامكم ندوها بالصلة وفي
الحديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها وقد ذكرنا فيما ما يضبط الصلة وفي تخصيصه
صلى الله عليه وسلم فاطمة من بين بناته مع انها اصغرهن وقيل اصغرهن رقية
وتخصيص صفية من بين عماته حكمة لا تخفى . ومن الغريب ما في الكشاف من زيادة
يا عايشة بنت ابي بكر يا حفصة بنت عمر وعندي ان ذكر عايشة وحفصة بل وفاطمة
من خلط بعض الرواة فان المراد بالانقاذ من النار الاتيان بالاسلام بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم الا ان تقولوا لا اله الا الله ولا مسيح انه تقدم ان بناته صلى الله عليه وسلم لم يكن كفارا
... ثم مكث صلى الله عليه وسلم اياما ونزل عليه جبريل وامره بامضا امر الله تعالى في
جمعهم صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب اهله والله
لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله
الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن
كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها
لجنة ابدا او لنار ابدا والله يا بني عبد المطلب ما اعلم شابا جاء قومه بافضل مما جئتكم به
اني قد جئتكم بامر الدنيا والاخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير ابي لهب فانه قال يا بني
عبد المطلب هذه والله السوءة خذوا على يديه قبل ان ياخذ على يديكم غيركم فان اسلمتموه
حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم رضي الله عنها اي اخي ايحسن بك خذلان ابن اخيك فوالله ما زال العلماء يخبرون
انه يخرج من ضئضئ اي اصل عبد المطلب نبي فهو هو قال هذا والله الباطل والاماني
وكلام النسا في الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم فوالله ما نحن
عندهم الا اكلة راس فقال ابو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم
جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح بالنون د
والى المهملة اي اصل هذا الجبل تريد ان تغير عليكم اكنتم تكذبوني قالوا ما
جربنا عليك كذبا فقال يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا اغني

ثم دعا عايشة وحفصة

من الله شيئا اني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد اي وفي لفظ فمثلي ومثلكم كمثل
رجل راى العدو فانطلق يربا اهله فخشي ان يسبقوه الى اهله فجعل يهتف يا صباحاه
اتيتم اتيتم ومن امثاله صلى الله عليه وسلم انا النذير العريان اي الذي ظهر
صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقولهم الحق عار اي ظاهر وقيل الذي جرده
العدو فاقبل عريانا ينذر بالعدو وعن عبد الله بن عمرو انه حفظ عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الف مثال واختلفت الروايات في محل وقوفه ففي رواية وقف
على الصفا كما تقدم وفي رواية وقف على الهضبة من جبل فعلا على اعلاها حجرا
يهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه
فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا الحديث وفي رواية صاح على
ابي قبيس يا آل عبد مناف اني نذير وفي رواية انه لما نزل قوله تعالى وانذر
عشيرتك الاقربين جمع بني عبد المطلب في دار ابي طالب وهم اربعون وفي ان شاء
جملته اربعون رجلا وامرأتان فصنع لهم طعاما اي رجل شاة مع مد من البر
وصاع من لبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فاكلوا حتى شبعوا
وشربوا حتى نهلوا وفي رواية قال ادخلوا عشرة عشرة فدخل القوم عشرة
عشرة ثم تناول القعب الذي فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل
منهم ياكل الجذعة وفي رواية يشرب العس من الشراب في مقعد واحد
فبهرهم ذلك فلما اراد صلى الله عليه وسلم ان يتكلم بدره ابو لهب بالكلام
فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية سحركم محمد وفي رواية ما راينا
كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال
يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال ففعلت ثم
جمعتهم له صلى الله عليه وسلم فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى رووا ثم قال
لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة
فقال وانذر عشيرتك الاقربين وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان
ثقيلتين في الميزان شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فمن يجيبني
الى هذا الامر ويوازرني اي يكون عونا لي على القيام به فقال علي انا يا رسول الله
وانا احدثهم سنا وسكت القوم قال اجلس ثم اعاد القول على القوم ثانيا
فصمتوا فقام علي وقال انا يا رسول الله فقال اجلس ثم اعاد القول ثالثا

على القوم فلم يجبه احد منهم فقام علي فقال انا يا رسول الله فقال اجلس فانت اخي ووزيري
ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي قال ابو العباس بن تيمية في الزيادة المذكورة
انها كذب وحديثه موضوع ومن له ادنى معرفة في الحديث يعلم ذلك وانما فعل ذلك حرصا
على اسلام اهل بيته فلما دعا قومه ولم يردوا عليه ولم يجيبوه اي وما زال كفار قريش
غير منكرين لما يقول فكان صلى الله عليه وسلم اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه
ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السما وكان ذلك دابهم حتى عاب آلهتهم اي وسفه
عقولهم وضلل اباءهم حتى مر عليهم يوما وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام
فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم فقالوا انما نعبد
الاصنام حبا لله لتقربنا الى الله زلفى فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله فنكروه واجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله
منهم وجاءوا الى بيت ابي طالب وقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب
آلهتنا وسفه احلامنا اي عقولنا ونسبنا الى قلة العقل وضلل اباءنا فاما
ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه
فقال لهم ابو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عنه شيء والى ذلك اشار الناظم بقوله
ثم قام النبي يدعو الى الله • وفي الكفر نجدة واباء • امما اشربت قلوبهم الكفر •
فداء الضلال فيهم عياء • اي ثم قام صلى الله عليه وسلم يدعو جماعتهم الى الله
بان يقولوا لا اله الا الله حين امر فقد جاء ان جبريل تبدى له في احسن صورة واطيب
رائحة وقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسول الله الى الانس
والجن فادعهم الى الله والى قول لا اله الا الله ندعوهم والحال ان في اهل الكفر
قوة ثابتة وامتناعا من اتباعه اختلط الكفر بدمائهم وتمكن منها حتى صارت
لا تقبل غيره وبسبب ذلك صار الضلال والهوى الضلال فيهم عضالا يعيي الاطباء
من اوائله وخصوصا شفائه ثم شرع الامر اي بالسيف المجهز وكسرا لمرا ونيح
السفاه تحت كمرو نوايده وانتشر بينهم وبينه ثم تباعد الرجال وتقطعوا
اي اظهروا العداوة والحقد وكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بينها وتذامروا عليه بالذال المعجمة وحض اي حث بعضهم بعضا عليه
اي على حربه وعداوته وقطعه ثم انهم مشوا الى ابي طالب مرة اخرى

فقالوا يا ابا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك ان تنهى ابن
اخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وتسفيه
احلامنا اي عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك في ذلك
حتى يهلك احد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابي طالب فراق قومه
وعداوتهم ولم يطب نفسا بان يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
يا ابن اخي ان قومك قد جاؤني فقالوا لي كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك
ولا تحملني من الامر ما لا اطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمه خاذله
وانه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له يا عم لو وضعوا الشمس في يميني
والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى او اهلك
فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حصلت له العبرة
التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه ابو طالب فقال اقبل يا ابن
اخي فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن اخي فقل ما احببت فوالله لا اسلمك وانشد •
والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا •
وحكمة تخصيص الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار
لا يخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين اليق به والقمر النير المحو •
واليسار اليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به
نور وقال تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله •
الا ان يتم نوره • ومن غريب التعبير ان رجلا كان عاملا لعمر رضي الله
عنه فقال له يا امير المؤمنين رايت في المنام كان الشمس والقمر يقتتلان
ومع كل واحد منهما نجوم فقال له عمر مع ايهما كنت قال مع القمر قال كنت مع •
الاية الممحوة اذهب فلا تعمل لي عملا فاتفق ان هذا الرجل كان مع
معاوية يوم صفين وقتل في ذلك اليوم ثم لما عرفت قريش ان ابا طالب
قد ابى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة ابن الوليد
ابن المغيرة فقالوا له يا ابا طالب هذا عمارة ابن الوليد بن المغيرة اي
اشد وافتى فتى في قريش واجمله فخذه لك ولدا اي بان تتبناه واسلم
الينا ابن اخيك هذا الذي خالف دينك ودين ابائك وفرق جماعة قومك
وسفه احلامهم فنقتله فانما رجل كرجل فقال لهم ابو طالب والله لبئس

ومن غريب التعبير

ثم سوموني

ثم سوموني اتعطونني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون ابدا
اي وقال ارايتم ناقة تحن الى غير فصيلها فقال المطعم بن عدي والله يا ابا طالب
لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما اراك تريد ان تقبل منهم شيئا
فقال له ابو طالب والله ما انصفوني ولكنك قد اجمعت اي قصدت خذلاني ومظاهرة
القوم اي معاونتهم علي فاصنع ما بدا لك اي وقد مات عمارة ابن الوليد هذا
على كفره بارض الحبشة اي بان سحر وتوحش وسار في البراري كالبهائم ومات
المطعم بن عدي على كفره ايضا فقد علم قبول ابي طالب ما ارادوه اشتد الامر ولما
راى ابو طالب من قريش ما راى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجابوه الى ذلك غير ابي لهب
فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به ونظيره في
الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من اسلم • فمما وقع
لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضي الله عنه
قال كنت يوما في المسجد فاقبل ابو جهل فقال لله علي ان رايت محمدا ساجدا ان
اطا عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ابي جهل فخرج
غضبان حتى دخل المسجد فعجل ان يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرا اقرا باسم
ربك الذي خلق حتى بلغ شان ابي جهل كلا ان الانسان ليطغى الى ان بلغ اخر
السورة فسجد فقال رجل لابي جهل يا ابا الحكم هذا محمد قد سجد فاقبل اليه ثم نكص
راجعا فقيل له في ذلك فقال الا ترون ما ارى لقد سد الافق علي وفي رواية
رايت بيني وبينه خندقا من نار وسيأتي ان قوله ارايت الذي ينهى عبدا
اذا صلى الى اخر السورة نزل في ابي جهل • ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال
ان ابا جهل قال يوما لقريش يا معشر قريش ان محمدا قد ابى الا ما ترون
من عيب آلهتكم وشتم دينكم وتسفيه احلامكم وسب آبائكم اني اعاهد الله لاجلسن
لارتقبن النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر ما اطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت
به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني فليصنع بي بنو عبد مناف ما بدا
لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء ابدا فامض لما تريد فلما اصبح ابو جهل اخذ حجرا
كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة اي وكانت قبلته الى بيت المقدس

فمما اوذي به رسول الله
صلى الله عليه وسلم

وقد نزلت ايضا

فكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود ويجعل الكعبة بينه وبين الشام فلما تقدم
وقريش جلوس في انديتهم وهم ينظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما
ممتقعا لونه اي متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على
حجره حتى قذفه من يده اي بعد ان ما لحوا فكه من يده كما سيأتي وقامت اليه
رجال من قريش وقالوا ما لك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت
لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل ما ان رأيت مثله قط هم ان
يأكلني فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا
لاخذه والى ذلك اشار صاحب الهمزية رحمه الله بقوله •
وابو جهل اذ رأى عنق الفحل • اليه كأنه العنقاء اي •
وابو جهل الذي هو اشد الاعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت اذ
هم ان يلقي الحجر عليه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ابصر عنق الفحل وقد
برزت اليه كانه الداهية العظيمة اي فرجع عن ذلك الرمي بذلك الحجر اي

وسبب نزول هذه الآية

وفي رواية ان ابا جهل قال لقد رأيت بيني وبينه لخندقا من نار ولا مانع ان يكون
وجد الامرين معا • وذكر في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
فهي الى الاذقان اي انا جعلنا ايديهم مغللة باعناقهم واصلة الى اذقانهم
ملصقة بها فاقمحوا رؤوسهم لا يستطيعون خفضها من رفع البعير رأسه
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ان
الآية الاولى نزلت في ابي جهل لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورفعه اثبتت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما
عاد الى اصحابه اخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بجهد جهيد والآية
الثانية نزلت في آخر لما رأى ما وقع لابي جهل قال انا اقتل هذا الحجر
عليه فذهب اليه صلى الله عليه وسلم فلما قرب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته
ولا يراه فرجع اليهم فاخبرهم بذلك • ومن الحكم بن ابي العاص ابي مروان
ابن الحكم ان ابنه قال له ما رأيت قوما كانوا اسوأ رأيا واعجز في
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني امية فقال لا تلومنا يا بني
اني لا احدثك الا ما رأيت لقد اجمعنا ليلة على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما

فلما رأيناه يصلي ليلا جئنا خلفه فسمعنا صوتا ظننا انه ما بقي بتهامة جبل الا
تفتت علينا اي ظننا انه تفتت واسرع عقلنا فما عقلنا حتى قضى صلاته صلى
الله عليه وسلم ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فلما جاء مضينا اليه فرأينا
الصفا والمروة التصقت احداهما بالاخرى فحالتا بيننا وبينه فلم ت
هذا الان صلى الله عليه وسلم انما تكون عند الكعبة ولبيت بين الصفا
والمروة • ومن رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو جهل فقال
الم انهك عن هذا فانزل الله ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته تهدده ابو جهل وقال لتعلم
ما بها ناد اكثر مني فانزل الله فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس
لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله • وقال يوما وقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له لقد علمت اني امنع اهل البطحاء وانا العزيز الكريم فانزل الله ذق
انك انت العزيز الكريم كذا افاده الواحدي اي تقول له الزبانية عند القائه

وسبب نزول الآيات التي بعد الذي ينهى عبدا اذا صلى

في النار ما ذكر توبيخا له • ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال لما انزل الله سورة
تبت يدا ابي لهب وتب جاءت امرأة ابي لهب وهي ام جميل واسمها العوراء وقيل
اسمها اروى بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب ولها ولولة في يدها فهر
اي يكسر الولولة وسكون الهاء حجر بملء الكف فيه طول يدق به وهي تأتي الى النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها ابو بكر قال يا رسول
الله هذه امرأة بذية اي تأتي بالفحش من القول فلو قمت لئلا تؤذيك فقال
صلى الله عليه وسلم انها لن تراني فجاءت فقالت يا ابا بكر ما صاحبك يهجوني
وفي لفظ ان صاحبك ينشد في الشعر فقال لا والله ما يقول الشعر اي ينشئه
وفي لفظه ورب هذا البيت ما هجاك وانه ما هو بشاعر وما يدري
ما الشعر اي لا يحسن انشاءه قالت انك لمصدق وكانت قالت اي وهي
تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها اي بنت عبد مناف جدها وكان
عبد مناف ابوها لا ينبغي لاحد ان يتجاسر علي بذمة قلت يا رسول الله لم تراك
قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه اي فلذا جاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال لها قالت لابي بكر قل لي صاحبك ترى بين يدي احدا فقال لها ابو بكر فقالت انهزا
بي والله ما ارى عندك احدا • اقول في الامتاع انها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم

ولما نزلت سورة تبت

في المسجد ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ الله على بصرها فلم تره ورات ابا بكر وعمر فاقبلت على ابي بكر فقالت
اين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني انه هجاني والله لو وجدته
لضربته بهذا الفهر فقال عمر رضي الله عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني
لا اكلمك يا ابن الخطاب اي لما تعلم من شدتك ثم اقبلت على ابي بكر رضي الله عنه
لما تعلم من لينه وتواضعه فقالت والثواقب اي النجوم انه لشاعر واني
لشاعرة اي وكما هجاني لاهجونه وانصرفت فقال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انها لم تراك فقال جعل الله بيني وبينها حجاب اي لانه قرا قرانا
اعتصم به كما قال تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا وفي رواية اقبلت ومعها فهر وهي تقول مذمما ابينا
ودينه قلينا وامره عصينا فقالت اين الذي هجاني وهجا زوجي والله
لئن رايته لاضربن انثييه بهذا الفهر قال ابو بكر فقلت لها يا ام جميل
والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما انت بكذاب وان الناس
يقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت لم يا رسول الله انها لم تراك فقال
صلى الله عليه وسلم كان بيني وبينها ساتر يسترني وجعل يجمعها فتذكر فلما قال بين
قال كو وكذا ابا بالحي ولذا يقال في المحمد يقال في الذم مذمم لا يزال يقال ذلك
الا لمن ذم مرة بعد اخرى كما ان محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد اخرى كما تقدم
وقد جا انه صلى الله عليه وسلم قال الا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش
ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد • وفي الدرر المنثورات ان النبي صلى
الله عليه وسلم وهو جالس في الملا فقالت يا محمد علام تهجوني قال اني والله
ما هجوتك ما هجاك الا الله فقالت ارايتني احمل حطبا او رايت في جيدي
حبلا من مسد وهذا انما يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطب عبارة عن
النميمة يقال فلان يحطب اي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري
زوجها على محمد او نه صلى الله عليه وسلم وتلقيهم عنده احاديث لتحملهم على •
عداوته صلى الله عليه وسلم وان الحبل عبارة عن نار محكم وعن عروة ابن
الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا واني لخذن قال فالمهديه
والمذمة حمالة الحطب الهزء • وجاءت كانها الورقاء • ثم جاءت غضبى تقول اني

مثل

اني شكي من احد بنات البطحاء • وتولت وما رات شيا • اين ترى الشمس مقلة عميا •
اي وحيات حمالة الحطب الهزء ولقبت به لانها كانت تحطب اي تجمع الحطب
وتحمله لبخلها ودناءة نفسها او كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه
صلى الله عليه وسلم وكان مانع من اجتماع الاوصاف الثلاث لكن استبعاد ما يبعد مع
الوصفين الاخيرين والهزء الحجر الذي يملا الكف كما تقدم لتضرب به النبي صلى الله
عليه وسلم والحال انها جات في غاية الستر والعجلة كانها في شدة الستر عنه
الهامة الشديدة للاسراع حالة كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها في سورة
تبت يدا تقول اني شكي وانا بنت سيد بني مخزوم بنات البطحا والبيت حالة كونه
من احد وتولت والحال انها ما رات وكيف ترى الشمس عين عميا او ود في ينبوع
الحياة انما لما بلغها سورة تبت جات الى اخيها ابي سفيان في بيته وهي
غضبى فقالت له ويحك يا احمس اي يا شجاع اما تغضب اذ هجاني محمد فقال لها
ساكفيكه اياه ثم اخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال
لها يا اخية ايسرك ان راسك اخذ في فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كان
ذلك يكون الساعة اي فانه راى ثعبانا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم
لالتقم راسه • ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت قال ابو لهب لابنه
عتبة اي بالتكبير رضي الله عنه فانه اسلم يوم الفتح كما سياتي راسي وراسك
حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية رضي الله عنها فانه كان تزوجها ولم
يدخل بها ففارقها ووقع في كلام بعضهم طلقها لما اسلم فليتامل وكان اخوه
عتيبة بالتصغير متزوجا ابنته صلى الله عليه وسلم ام كلثوم ولم يدخل بها
فقال ابي وقد اراد الذهاب الى الشام لاتين محمدا فلا وذينه في ربه فاتاه
فقال يا محمد هو كافر بالنجم وفي لفظ برب النجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى
ثم تفل في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها ابو طالب وقال ما كان اغناك يا ابن اخي عن
هذه الدعوة فرجع عتيبة الى ابيه ابي لهب فاخبره بذلك ثم خرج هو وابوه الى
الشام في جماعة فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض
مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم سني وحقي فقالوا اجل يا ابا لهب قال

واقعة عتيبة ابن ابي لهب

اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد فاجمعوا امتاعكم الى هذه
الصومعة ثم افرشوا له بني عليه ثم افرشوا حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم واناخوها حولهم
واحدقوا بعتبة في الاسد يشم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وفي رواية فرضخ
راسه وفي رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بيده ضربة واحدة فخدشه فمات
وفي رواية فضغطه ضغطة كانت اياها فقال وهو باخر رمق الم اقل لكم ان محمدا اصدق
الناس لهجة ومات فقال ابوه قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد انزل
وكلته بالنجم لا اضع يدل على ان ذلك كان بعد الاسراء والمعراج • ووقع مثل
ذلك لجعفر الصادق قيل لرجل انه لا ينشد الناس هجا كم يعني اهل البيت
بالكوفة فقال لذلك القايل هل علقت من قولك بيتا قال نعم فانشد
صلبنا لكم زيدا على راس نخلة • ولم ار مهديا على الجذع يصلب •
وقستم بعثمان عليا سفاهة • وعثمان خير من علي واطيب •
فعند ذلك رفع جعفر يديه وقال اللهم ان كان كاذبا فسلط عليه كلبا من
كلابك فخرج ذلك الرجل فافترسه الاسد وانما سمي الاسد كلبا لانه يشبه
الكلب في انه اذا بال رفع رجله ومن ثم قيل ان كلب اهل الكهف كان اسدا انه
وقيل كان كلبا ثم جلس عند الباب طليعة لهم فسمي باسم الكلب لملازمته
للحراسة وضعف بسط الذراعين لانه لم يكن من صفة الكلب وقد جاء
انه ليس في الجنة من الحيوان الا كلب اهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح
والله اعلم • ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسجد وهو يصلي وقد نحرت جزور وبقي فرثه اي روثه في كرشه فقال
ابو جهل الا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد وفي رواية قال قايل
الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور ال فلان فيعمد الى فرثها
ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفي رواية
ايكم ياخذ سلا جزور بني فلان لجزور ذبحت من يوم او ليلة فيضعها
بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من المشركين وفي لفظ اشقى القوم وهو عقبة
ابن ابي معيط وجا بذلك الفرث فالقاه على النبي صلى الله عليه وسلم
اي وهو ساجد فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض اي من شدة الضحك قال

ابن

ابن مسعود فهبنا اي خفنا ان نلقيه عنه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ وانا قايم انظر لو كان
لي منعة لطرحت عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها
اي بعد ان ذهب اليها انسان واخبرها بذلك واستمر النبي صلى الله عليه وسلم
ساجدا حتى القته عنه واستمراره في الصلاة عند فعلها بنا لعدم علمه بنجاسة
ما القي عليه ولما القته اقبلت عليهم تشتمهم فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته
يقول وهو قايم يصلي اللهم اشدد وطاتك اي عقابك الشديد على مضر سنين
كسني يوسف اللهم عليك بابي الحكم بن هشام يعني ابا جهل وعتبة بن ربيعة وعقبة
ابن ابي معيط وامية ابن خلف زاد بعضهم وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
بالمثناة فوق لا بالقاف كما وقع في رواية في مسلم وعمارة بن الوليد وكان
اذا دعا دعا ثلاثا ثم قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك
بقريش فلما سمعوا صوته صلى الله عليه وسلم ذهب منهم الضحك وخافوا دعوته
قال ابن مسعود والله لقد رايتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر
والمراد بسني يوسف تخفيف الباء وروي سنين باثبات النون مع الاضافة القحط
والجدب اي فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة اكلوا فيها الجيف والجلود
والعظام والعلهز وهو الوبر والدم اي يخلط الطعام بادبار الابل ويشوى بالنار
وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السما كالدخان من الجوع وجاه صلى
الله عليه وسلم جمع من المشركين فيهم ابو سفيان وقال يا محمد انك تزعم انك
بعثت رحمة وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فقال اللهم
حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاءهم فقالوا ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون اي لا نعود لما كنا عليه فلما كشف عنهم ذلك عادوا اي وفيه ان
هذا انما كان بعد الهجرة فلما اقام منهم الرفاهية عادوا والهتهم فانزل الله تعالى
يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر ومن ذلك ما حدث
به عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف
بالبيت ويده في يد ابي بكر وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس عقبة بن ابي معيط وابو
جهل بن هشام وامية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذاهم
اسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه

ومن الوقايع الغريبة

ومن الاذاية ايضا

ومن انواع الاذاية

حتى وسطه أي جعله وسطا فكان صلى الله عليه وسلم بيني وبين أبي بكر وإن هذا لما بعد
في ثيابي وطفقنا جميعا فلما حاذاهم قال أبو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر
صوفة وأنت تنهى أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا فقال صلى الله عليه وسلم
أنا ذلك ثم مضى عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتى إذا كان
الشوط الرابع ناهضوه أي قاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب أبو جهل يريد
أن يأخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه وسلم فدفعته في صدره فوقع على استه ودفع
أبو بكر أمية بن خلف ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط
ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله
لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه أي ينزل بكم عاجلا قال عثمان فوالله ما منهم
رجل إلا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس
القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف إلى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته ثم أقبل
علينا بوجهه فقال أبشروا فإن الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر
نبيه إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا إلى
بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر أقول ولا يخالف ذلك
كون عقبة بن أبي معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا وهم
وهم راجعون من بدر ولا كون عثمان بن عفان لم يحضر بدرا والله أعلم وفي رواية
أن عقبة بن أبي معيط وطئ رقبته صلى الله عليه وسلم الشريفة وهو ساجد حتى
كادت عيناه تبرزان أي وفي رواية طرح عقبة بن أبي معيط الحجر فوجده صلى
الله عليه وسلم يصلي فيه فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا
شديدا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم ● وفي البخاري عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله تعالى عنهم أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل
عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه
في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبيه
ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ولعل الله يجزي ذلك بحسب

تابع

تابع عبد الله بن عمرو أو ما رآه ● وعنه رضي الله عنه قال ما رأيت قريشا أصابت من عداوته
أحدا ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع
ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا على أمر
ما صبرنا لأمر هذا الرجل فقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا
وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر لمزوه ببعض الكلام فعرفت ذلك
في وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فلمزوه
ثم وقف عليهم وقال أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح فانقمعوا
لكلمته صلى الله عليه وسلم تلك وما رجل منهم إلا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون له
يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال
بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك
إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به وهم
يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم فيقول نعم أنا الذي أقول ذلك
فأخذ رجل منهم بمجمع ثوبه عليه الصلاة والسلام فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي
ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله فأطلقوه ووقعت الهيبة في قلوبهم فانصرفوا
عنه فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أنهم أقبلوا على
أبي بكر رضي الله عنه يضربونه قالت بنته أسماء فرجع إلينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره
إلا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والإكرام ● وجاء أنهم جذبوا رأسه صلى الله
عليه وسلم ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يقول أتقتلون رجلا
أن يقول ربي الله وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذي
نفسي بيده إني بعثت إليهم بالذبح ففرجوا عنه صلى الله عليه وسلم ● وعن فاطمة رضي
الله عنها قالت اجتمع مشركو قريش في الحجر فقالوا إذا مر محمد عليهم ضربه كل واحد منا ضربة
فسمعت ذلك فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك قالت له وهي تبكي
قد تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا في الحجر وحلفوا باللات والعزى ومناة
وإساف ونائلة إذا هم رأوك يقومون إليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك فقال
صلى الله عليه وسلم يا بنية اسكتي ثم خرج صلى الله عليه وسلم أي بعد أن توضأ ودخل
عليهم فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت

وما أوذي به صلى الله عليه وسلم

الوجوه فما أصاب رجلا منهم إلا قتل ببدر أي وكان يجاوره صلى الله عليه وسلم جماعة منهم أبو
لهب والحكم بن أبي العاص بن أمية والمروان وعقبة بن أبي معيط فكانوا يطرحون
عليه صلى الله عليه وسلم الأذى فإذا طرحوا الأذى أخذه وخرج به ووقف على بابه
ويقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه ولم يسلم ممن ذكر إلا الحكم بن
أبي العاص وكان في إسلامه شيء وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم نفاه إلى وج
والذي يساق ببيت نفيسة وأشار صاحب الهمزية إلى أن أذيته صلى الله عليه
وسلم فلا يظن ظان أنها تنقصه صلى الله عليه وسلم بل هي رفعة له ودليل
على فخامة قدره وعلو منزلته وعظيم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره
واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله وقد قال صلى الله
عليه وسلم أشد الناس بلاء الأنبياء وذلك سنة من سنن النبيين عليهم
الصلاة والسلام بقوله • لا تحل جانب النبي مضاما • حين مسته منهم الأسواء
كل أمر ناب النبيين • فالشدة فيه محمودة والرخاء • لو يمس النضار هون من النار
لما اختير للنضار الصلاء • أي لا تظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حصل له الضيم
وقت مسته الأذيات حال كونها صادرة منهم لأن كل أمر من الأمور العظيمة
أصاب النبيين فالشدة التي تحصل لهم منه محمودة لأنها ترفع الدرجات
والضيعة التي تحصل لهم محمودة لأنه لو كان يعتري الذهب هوان من إدخاله
النار لما اختير له العرض على النار فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب
والشدائد التي تصيبهم كالنار التي يعرض عليها الذهب فإن ذلك لا يزيد الذهب
إلا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الأنبياء إلا رفعة • ومما وقع له صلى الله عليه
وسلم من الأذية أنه كان إذا قرأ القرآن يقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن
يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار لئلا يسمعوا وقالوا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان منهم من إذا سمع القرآن في خفية واسترق
السمع خوفا منهم • ومما وقع له صلى الله عليه من الأذية ما كان سببا لإسلام عمه حمزة رضي
الله عنه وهو ما حدث به ابن إسحاق قال حدثني رجل من أسلم أن أبا جهل مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه
ما يكره وقيل إنه صب التراب على رأسه أي وقيل ألقى عليه فرثا ووطئ برجله على
عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها

تسمع

ومما أوذي به صلى الله عليه وسلم وإسلام حمزة رضي الله عنه

تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل إلى نادي قريش في المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة أن
أقبل متوشحا بسيفه من قنصه أي من صيده وكان إذا عاد ورجع من قنصه لا يدخل
إلى أهله إلا بعد أن يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فأخبرته أي قالت له يا أبا
عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم يعني أبا جهل وجده هاهنا جالسا
فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد أي وقيل الذي
أخبرته مولاة أخته صفية بنت عبد المطلب قالت له إنه صب التراب على رأسه
وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فقال لها حمزة أنت رأيت الذي تقولين قالت نعم
وفي رواية فلما رجع حمزة من صيده فإذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت إحداهما لو
علم ذا ما صنع أبو جهل بابن أخيه أقصر عن مشيته فالتفت إليهما فقال ما ذاك قالت
أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الإخبار في المرتين والمرأتين فاحتمل
حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى قام على
رأسه رفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه فأنا على دينه أقول
ما يقول فرد علي ذلك إن استطعت أي وفي لفظ أن حمزة لما قام على رأس أبي جهل بالقوس
صار أبو جهل يتضرع إليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال ومن
أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
فقامت رجال من بني مخزوم أي من عشيرة أبي جهل إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقالوا ما نراك
إلا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعني وقد استبان لي منه أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن
الذي يقول حق والله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين فقال لهم أبو جهل دعوا أبا
عمارة أي ويكنى أيضا بأبي يعلى اسم ولد له أيضا فإني والله قد سببت ابن أخيه سبا
قبيحا وتم حمزة على إسلامه أي استمر بعد أن وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع
إلى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك الموت خير لك
مما صنعت ثم قال اللهم إن كان هذا رشدا فاجعل تصديقه في قلبي وإلا فاجعل لي
مما وقعت فيه مخرجا قال فبت بليلة لم أبت بمثلها من وسوسة الشيطان
حتى أصبحت فغدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا ابن أخي إني قد
وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلي على ما لا أدري أرشد هو أم غي
فأقبل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرني ووعظني وبشرني فألقى الله في قلبي
الإيمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أشهد أنك الصادق أظهر يا ابن

احد بيده ومن ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الآية فقد سبب لنزول قوله تعالى
أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها يعني أبا جهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلام حمزة سرورا
كبيرا لأنه كان أعز فتى في قريش وأشدهم شكيمة أي أعظمهم في عزة النفس وشهامة منها
ومن ثم لما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا
ينالون منه صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على بعض أصحابه بالأذية سيما
المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم أي لا ناصر لهم فإن كل قبيلة عدت على من أسلم
منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش أي حتى أن
أحدهم ما يقدر أن يستوي جالسا من شدة الضرب وكان أبو جهل يحرضهم على
ذلك وكان إذا سمع بأن رجلا أسلم له شرف ومنعة جاءه ووبخه وقال له
لنغلبن رأيك ولنضعفن شرفك وإن كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك
ونهلكن مالك وإن كان ضعيفا أغرى به حتى أن منهم من فتن عن دينه ورجع إلى
الشرك كالحارث بن ربيعة ابن الأسود وأبي قيس بن الوليد ابن المغيرة
وعلي ابن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم
يوم بدر. ومن فتن عن دينه وثبت عليه ولم يرجع إلى الكفر بلال رضي الله
عنه وكان مملوكا لأمية بن خلف ففي بعضهم أن بلالا كان يجعل في عنقه الحبل ويدفع
إلى الصبيان يلعبون به ويطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد بالرفع
والتنوين أو بغير تنوين أي الله أحد أو يا أحد فهو إشارة لعدم الإشراك
وقد أثر الحبل في عنقه وعن ابن إسحاق أن أمية بن خلف كان يخرج بلالا
إذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على وجهه
في الرمضاء أي الرمل إذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت.
ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال كذلك حتى تموت
أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد أي أنا لا أشرك بالله شيئا أنا كافر
باللات والعزى أي وقيل كان بلال مولدا من مولدي مكة وكان لعبد الله ابن
جدعان وكان من جملة مائة مملوك مولدة له فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم
أمر بهم فأخرجوا من مكة أي خوفا من إسلامهم فأخرجوا إلا بلالا فإنه كان يرعى
غنمه فأسلم بلال وكتم إسلامه فسلح بلال يوما على الأصنام التي حول الكعبة

ومن فتن عن دينه

ويقال

ويقال إنه صار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه
إلى عبد الله وقالوا أصبوت قال ومثلي يقال له هذا فقالوا له إن أسودك
صنع كذا وكذا فأعطاهم مائة من الإبل ينحرونها للأصنام وملكهم من تعذيب
بلال فكانوا يعذبونه بما تقدم أي ويجوز أن يكون ابن جدعان بعد ذلك
ملكه لأمية بن خلف فلا يخالف ما تقدم من أن أمية بن خلف كان يتولى
تعذيبه وما يأتي من أن أبا بكر اشتراه منه ويقال إنه صلى الله عليه وسلم
مر عليه وهو يعذب فقال سينجيك أحد أي وقيل مر عليه ورقة بن نوفل
وهو يقول أحد أحد فقال نعم أحد أحد والله يا بلال ثم أتى إلى أمية وقال له
والله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا أي لأتخذن قبره منسكا ومسترحما
لأنه من أهل الجنة وتقدم أن هذا يدل على أن ورقة أدرك البعثة التي
هي الرسالة وتقدم ما فيه فكان بلال يقول أحد أحد يمزج مرارة العذاب
بحلاوة الإيمان وقد وقع له أنه لما احتضر وسمع امرأته تقول واحزناه صار يقول
واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وحزبه فكان بلال يمزج مرارة الموت بحلاوة
اللقاء. ومر به أبو بكر رضي الله عنه يوما وهو يعذب ملقى على ظهره في حر الرمضاء
وعلى صدره تلك الصخرة فقال لأمية بن خلف ألا تتقي الله تعالى في هذا المسكين
حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فقال أبو بكر عندي غلام
أسود أجلد منه وأقوى أي على دينك أعطيكه به قال قبلت هو لك فأعطاه
أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فأعتقه. وفي تفسير البغوي قال سعيد بن المسيب
بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر الصديق في بلال حين قال له أتبيعنيه قال نعم
أبيعه بنسطاس يعني عبدا لأبي بكر كان صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجواري
ومواشي وكان مشركا يأبى الإسلام فاشتراه أبو بكر به. وفي الامتاع لما ساوم
أبو بكر أمية بن خلف في بلال قال أمية لأصحابه لألعبن بأبي بكر لعبة ما لعبها
أحد بأحد ثم تضاحك وقال أعطني عبدك نسطاس فقال أبو بكر إن فعلت
تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطيني معه
امرأته قال إن فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال
لا والله حتى تعطيني ابنته قال إن فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك
وقال والله حتى تزيدني معه مائتي دينار فقال أبو بكر أنت رجل لا تستحي

وشراء أبي بكر بلالا

ونزول قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى

من الكذب قال لا واللات والعزى لئن اعطيتني لافعلن فقال هي لك فاخذه هذا
كلامه. وقيل اشتراه بتسع وقيل بخمس اواق اي ذهبا وقيل ببردة
وعشر اواق من فضة وفي رواية برطل من ذهب ويروى ان سيده قال
لابي بكر لو ابيت الا اوقية اي لو قلت لا اشتريه الا باوقية لبعناكه
فقال لو طلبتم مائة اوقية لاخذته بها. ولما قال المشركون انما اعتق
ابو بكر بلالا ليد كانت له عنده فيجازيه بها فانزل الله تعالى في السيد
اذا يمشي الى اخذ السؤدة قال الاتقى ابو بكر والاشقى امية بن خلف قال
الامام فخر الدين اجمع المفسرون على ان المراد بالاتقى ابو بكر وذهبت
الشيعة الى ان المراد به علي وبرده وصف الاتقى بقوله وما لاحد عنده
من نعمة تجزى لان هذا الوصف لا يصدق على علي لانه كان في تربية
النبي صلى الله عليه وسلم فكان صلى الله عليه وسلم منعما عليه نعمة يجب
عليه جزاؤها اي نعمة دنيوية لانها التي يجازى عليها بخلاف ابي بكر
فانه لم يكن له صلى الله عليه وسلم نعمة دنيوية وانما كان له نعمة الهداية
وهي نعمة لا يجازى عليها قال الله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى فحمل الاتقى على ابي بكر فيلزم ذلك ان يكون ابو بكر بعد رسول الله
وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام افضل الخلق لان الله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل وبين ذلك الفخر
الرازي بان الامة مجمعة على ان افضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم
اما ابو بكر واما علي ولا يمكن حمل الاتقى على علي لما تقدم فتعين حملها على
ابي بكر وذكر بعض اهل المعاني المحققين لمعاني القرآن كالزجاج والفراء
ولا خلاف ان المراد بالاشقى والاتقى الشقي والتقي فما وقع افعل
التفضيل موضع فعيل فهو عام في امية بن خلف وابي بكر وغيرهما وان
كان السبب خاصا والذي يجلد الاشقى المراد به ابو سفيان لانه كان
يعاتب ابا بكر في اعتاقه وعتاقه وقال له اضعت مالك والله لا يصيبه
ابدا وقيل المراد به امية بن خلف. ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ان ابا بكر اشترى بلالا قال له الشركة يا ابا بكر فقال اعتقته يا رسول
الله اي لان بلالا قال لابي بكر حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك

فامسكني

جملة من اشتراه ابو بكر رضي الله عنه

ومن فتن عن دينه

فامسكني وان كنت انما اشتريتني لله فدعني وعمل الله فاعتقه. هذا وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم لقي ابا بكر فقال لو كان عندنا مال اشترينا بلالا
فانطلق العباس فاشتراه فبعث به الى ابي بكر بمكة له فاعتقه
فليتامل. وممن اشترى ابو بكر رضي الله عنه جماعة اخرى ممن كان يعذب
في الله منهم حمامة ام بلال. ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله
حتى لا يدري ما يقول وكان لرجل من بني تيم من ذوي قرابة ابي بكر رضي
الله عنه. ومنهم ابو فكيهة كان عبدا لصفوان بن امية اسلم حين اسلم
بلال فعذبه فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه وقد اخذه ابو صفوان واخرجه
نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج
لسانه واخوا امية يقول له زده عذابا حتى ياتي محمد فيخلصه بسحره
فاشتراه ابو بكر. ومنهم زنيرة بزاي فنون مشددة مكسورة ثم مثناة
تحتية ساكنة وهي في اللغة الحصاة الصغيرة عذبت في الله حتى
عميت فقال لها يوما ابو جهل ان اللات والعزى فعلا بك ما ترين
فقالت له كلا والله ما تملك اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا
امر السماء وربي قادر على ان يرد علي بصري فاصبحت من تلك الليلة وقد
رد الله عليها بصرها فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها ابو بكر رضي
الله عنه واعتقها اي وكذا ابنتها. وفي السيرة الشامية ان عيسى بالنون
والباء الموحدة فمثناة تحتية امة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث
يعذبها ولم يعينها بالكتابة زنيرة فاشتراها ابو بكر رضي الله عنه واعتقها
وكذا النهدية وابنتها وكانتا للوليد بن المغيرة وكذا امراة يقال لها
لطيفة وكذا اخت عامر بن فهيرة او امة كانت لعمر بن الخطاب رضي الله
عنه قبل ان يسلم فقد جاء ان ابا بكر مر على عمر بن الخطاب وهو يعذب
جارية اسلمت اي يضربها حتى مل ثم قال لها اني اعتذر اليك فاني لم
اتركك حتى مللت فقالت له كذلك يعذبك ربك ان لم تسلم فاشتراها
منه واعتقها فجملة هؤلاء ستة. وممن فتن عن دينه فثبت عليه خباب
بن الارت بالمثلثة فوقية فانه سبي في الجاهلية فاشترته ام انمار اي بنت
وكان قينا اي حدادا وكان صلى الله عليه وسلم يالفه وياتيه فلما اسلم

وأخبره مولاته كانت تأخذ الحديدة وقد أحمتها فتضعها على رأسه فشكى ذلك لـ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته أم أنمار رأسها
فكانت تعوي مع الكلاب فقيل لها اكتوي فكان خباب يأخذ الحديدة قد أحماها
فيكوي بها رأسها. وفي البخاري عن خباب قال أتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة ولقد لقينا يعني معاشر المسلمين من
من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد صلى
الله عليه وسلم محمرا وجهه فقال لقد كان من قبلكم يمشط أحدهم بأمشاط
الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار
على مفرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله هذا
الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب
على غنمه. قال وعن خباب أنه حكى عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد
أوقدوا لي نارا ووضعوها على ظهري فما أطفأها إلا ودك ظهري أي دهنه
وممن فتن عن دينه فثبت عليه عمار بن ياسر رضي الله عنه كان يعذب بالنار
وفي كلام ابن الجوزي كان صلى الله عليه وسلم يمر عليه وهو يعذب بالنار
فيمر يده على رأسه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على
إبراهيم هذا كلامه ثم إن عمارا كشف عن ظهره فإذا هو قد برص أي صار أثر
النار أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه صلى الله عليه وسلم
لزبانية النار تكون بردا وسلاما عليه. وعن أم هانئ رضي الله عنها أن عمار
ابن ياسر وأباه ياسرا وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضي الله عنهم كانوا يعذبون
في الله فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر
فإن موعدكم الجنة أي وفي رواية صبرا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد
فعلت فمات ياسر في العذاب وأعطيت سمية لأبي جهل أي أعطاها له عمه
أبو حذيفة بن المغيرة فإنها كانت مولاة له فطعنها في قبلها فماتت أي بعد
أن قال لها ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله ثم طعنها بالحربة في قبلها
حتى قتلها فهي أول شهيد في الإسلام انتهى أي وعن بعضهم كان أبو جهل
يعذب عمار بن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف
وفيه نزل أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. وجاء أن

وممن فتن عن دينه

ومما أوذي به أبو بكر رضي الله عنه

عمارا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تعذبن أحدا
من آل عمار بالنار قال بعضهم وحضر عمار بدرا ولم يحضرها من أبواه مؤمنان إلا هو أي من المهاجرين
فلا ينافي أن بشر بن البراء بن معرور الأنصاري حضر بدرا وأبواه مؤمنان. وممن أوذي
أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت لما ابتلي المسلمين
بأذى المشركين أي وحصر بني هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب وأذن صلى الله عليه
وسلم لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة وهي الهجرة الثانية خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض
الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد بالغين المعجمة موضع بأقاصي هجر وقيل موضع وراء مكة
بخمس ليال أي وفي رواية حتى إذا سار يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة بفتح
الدال وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وهو سيد القارة أي ولد الحارث بن
والقارة قبيلة مشهورة يضرب بهم المثل في قوة الرمي ومن ثم قيل لهم رماة الحدق
لا سيما ابن الدغنة والقارة أكمة سوداء نزلوا عندها فسموا بها فقال له ابن الدغنة أين تريد يا أبا
بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي قال له ابن الدغنة
فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري
الضيف وتعين على نوائب الحق وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك فرجع
مع ابن الدغنة فطاف في أشراف قريش فقال لهم إن أبا بكر لا يخرج مثله أتخرجون
رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق
وهو في جواري فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة أي لم ترد جواره وقالوا لابن
الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل بها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك
ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة ذلك لأبي بكر
فمكث يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم ابتنى مسجدا
بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ
القرآن فكانت نساء قريش يزدحمن عليه فأفزع ذلك كبراء من أشراف قريش
أي من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا أجرنا أبا بكر بجوارك
على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة
والقراءة وإنا خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد
ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فاسأله أن يرد إليك ذمتك فإنا قد

قد كرهنا ان نخفرك اي نزيل خفارتك اي ننقض جوارك ولسنا مقرين لك فان احببت ان يكون ذلك في داره فقال ابن الدغنة
الى ابي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع
الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت اي ازيلت خفارتي في رجل عقدت
له فقال ابو بكر فاني ارد عليك جوارك وارضى بجوار الله تعالى قال ولما رد جوار
ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثى على رأسه ترابا
اي على راسه فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له ابو بكر الا ترى
ما صنع هذا السفيه فقال له انت فعلت بنفسك فصار ابو بكر يقول رب
ما احلمك قال ولا يخفى ما اشتمل عليه كلام بعضهم ولا ينبغي لك ان تتأمل فيما وصف
به ابن الدغنة ابا بكر يحاكي اوصاف قريش بتلك الاوصاف الجليلة السنية لما وصف
به خديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يطعنوا فيما سمعوا منه فلبسوا
بها من عظيم فضله وكماله ايدته بسبب اسلامه فان هذا منهم اعتراف اي بان ابا
بكر كان مشهورا بينهم بتلك الاوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن احدا ان يرتاب
فيها ولا يجحد شيئا منها ولا يكاد وانما لم يجحدها بجل طريق لكنهم لا يخلوا
من نوع العداوة له بسبب ما كانوا يرونه منه من صدق مودة الا تر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وعظيم محبته له • ومما يؤثر عنه رضي الله عنه صنائع
المعروف تقي مصارع السوء ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر والله

باب عرض قريش عليه صلى الله عليه وسلم اشياء من خوارق العادات معينات وغير معينات وبعثهم الى احبار يهود بالمدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم وعن ما جاء به وحديث الزبيدي وحديث المستهزئين وحديث الاراشي ومن قصة اذيته صلى الله عليه وسلم فرد خائبا

حدث محمد بن كعب القرظي قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا
مطاعا في قريش قال يوما وهو جالس في نادي قريش اي مجلسهم
والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش الا اقوم
لمحمد صلى الله عليه وسلم واكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه
اياها ويكف عنا قالوا يا ابا الوليد فقم اليه فكلمه قال وفي رواية
ان نفرا من قريش اجتمعوا وقالوا ابعثوا الى محمد حتى نفند ذا بيه

فقالوا

انظروا الى اعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت امرنا
وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا لا نعلم احدا غير عتبة بن ربيعة فتهيئ
فقام عتبة حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي انك منا حيث قد علمت •
من البسطة في العشيرة والمكان في النسب اي من الخيار حسبا ونسبا وانك قد اتيت قومك
بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت من مضى من
ابائهم زاد بعضهم انه قال له انت خير ام عبد الله انت خير ام عبد المطلب اي فسكت •
ان كنت تزعم ان هولاء خير منك فقد عبدوا الالهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير
منهم فقل يسمع لقولك لقد افضحتنا في العرب حين طار فيهم ان في قريش ساحرا وان في
قريش كاهنا ما تريد الا ان يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى انتهى فاسمع مني اعرض
عليك امورا انظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم •
قل يا ابا الوليد اسمع فقال يا ابن اخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر •
مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك •
علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا اي فنصير
لك الامر والنهي فهو احص مما قبله وان كان الذي ياتيك هذا رئيا من الجن تراه
لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا لك فيه اموالنا حتى نبرئك
منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى
الله عليه وسلم يستمع منه قال لقد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني فقال افعل
قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا
لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون ثم مضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها فقراها عليه وقد انصت عتبة لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما
يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم
وناشده الرحم ان يكف عن ذلك ثم انتهى الى السجدة فيها فسجد ثم قال قد سمعت
يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف
جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد
قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة فاتركوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبا فان تصبه العرب

كلام عتبة بن ربيعة

ومما يؤثر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه

فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به
قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا
لكم قال وفي رواية ان عتبة لما قام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابعد عنهم ولم يعد اليهم فقال ابو جهل والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد
صبا الى محمد واعجبه طعامه فانطلقوا بنا اليه فاتوه فقال ابو جهل والله يا عتبة
ما جئناك الا انك قد صبأت الى محمد واعجبك امره فغضب عليهم الغضب وقال
والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيئا مما قال غير انه انذركم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت بفيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان
محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل عليكم فقالوا ويلك يكلمك الرجل
بالعربية لا تدري ما قال فقال والله ما سمعت مثله والله ما هو بالشعر ولا
بالكهانة فذا ابي اخر ما نعلم فقالوا والله سحرك يا ابا الوليد فقال هذا رأيي
فيه فاصنعوا ما بدا لكم انتهى • وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا اي
اشرافهم وشيوخهم منهم الاسود بن عبد المطلب والاسود بن زمعة والوليد بن
المغيرة وامية بن خلف والعاص بن وائل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
وابو سفيان والنضر بن الحارث وابو جهل وفي الينبوع ان الوليد بن المغيرة في
اربعين رجلا من الملأ اي من السادات مشوا الى ابي طالب وسألوه ان يجمع لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويخبره باشكائهم ما يشكون منه اي ان يزيل شكواهم
ويجيبهم الى امر فيه الالفة والاصلاح فاحضره وقال يا ابن اخي هؤلاء الملأ من قومك
فاشكهم وقالوا لهم فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم على تسفيه احلامهم وعيب الهتهم
الحديث اي قالوا له يا محمد انا بعثنا اليك لنكلمك فانا والله لا نعلم رجلا من العرب
ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسببت
الالهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة ولم يبق امر قبيح الا اتيته فيما بيننا وبينك
فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثر
مالا وان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا وان كان هذا
الذي يأتيك تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلبه • وفي رواية انهم لما
اجتمعوا ودعوه صلى الله عليه وسلم جاء سريعا طمعا في هداهم حتى جلس اليهم وعرضوا
عليه الاموال والشرف والملك فقال صلى الله عليه وسلم ما جئت بما جئتكم به اطلب
اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني رسولا اليكم وانزل علي كتابا

واني

شبهة قريش

وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم وان تقبلوا مني ما جئتكم به
فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني
وبينكم وفي رواية ان قريشا دعت النبي صلى الله عليه وسلم الى ان يعطوه مالا فيكون اغنى رجل
بمكة ويزوجوه ما اراد من النساء ويكف عن شتم الهتهم ولا يذكرها بسوء فقد ذكر ان عتبة
ابن ربيعة قال له ان كان تطلب الباءة فاختر اي نساء قريش فنزوجك عشرا وقالوا
ارجع الى ديننا واعبد الهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه في
دنياك واخرتك وقالوا له ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح
قال وما هي قالوا تعبد الهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن
وانت في الامر فان كان الذي نعبده خيرا مما تعبد كنت اخذت منه بحظك وان كان الذي
تعبده خيرا مما نعبد كنا قد اخذنا بحظنا فقال لهم حتى انظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون الى اخر السورة • وعن جعفر الصادق ان المشركين قالوا
له صلى الله عليه وسلم اعبد معنا الهتنا يوما نعبد معك الهك عشرة واعبد معنا الهتنا شهرا
نعبد معك الهك سنة فنزلت اي لا اعبد ما تعبدون يوما ولا انتم عابدون ما اعبد
عشرة ولا انا عابد ما عبدتم شهرا ولا انتم عابدون ما اعبد سنة وروى ذلك
الشيخ بن جعفر الصادق في رد على بعض الزنادقة قد جاء قالوا لم طعنا في القرآن لو في
قول امرء القيس قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل وكرر ذلك اربع مرات في نسق
او كان عيبا تكلمه وقع في القرآن قل يا ايها الكافرون السورة وهي مثل ذلك
ونزل لكم دينكم ولي دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى افغير الله تأمروني اعبد ايها
الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين • ولما قال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله انزل لما كرهتموه القرآن قالوا ائت بقرآن غير هذا فانزل الله
ولو تقول علينا الآيات وقد بيناه فيما سبق لترددهم قلما يكون لي ان ابدله من
تلقاء نفسي الآية • قال وجلس النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فيه ناس من وجوه قريش
فقال لهم اليس حسنا ما جئت به فيقولون بلى والله فجاء عبد الله بن ام مكتوم وهو ابن
خال خديجة ام المؤمنين وهو ممن اسلم بمكة قديما والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل
باولئك القوم وقد طمع في اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمني
مما علمك الله واكثر عليه فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عن ابن ام مكتوم
ولم يكلمه وفي رواية انه اشار الى قائده اي ابن ام مكتوم بان يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه

سبب نزول قل يا ايها الكافرون

سبب نزول عبس وتولى

وسالوه انشقاق القمر

القايد فقد فقد ابن ام مكتوم فحبس صلى الله عليه وسلم والمرض عنه منتقلا على من كان يحمله فمات
استسلف من ذلك بنزول عبس وتولى ان جاءه الاعمى في سورة اي والحق مع العمى يعني عن مزيد الركن
وتحمل الكلفة والمشقة في الحق ومن كان تعلمات تشفعه الا فيما دعيه له الا عذرا من
فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويبسط له رداءه • وسالوه [illegible]
الله عليه وسلم الايات عنهم المعينات على ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس
اجتمع المشركون بمنى منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وايل والعاص
بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والنضر
بن الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر
فرقتين نصفه على ابي قبيس ونصفا على قعيقعان وقيل يكون نصفه
بالمشرق ونصفه بالمغرب وكانت ليلة اربعة عشر اي ليلة البدر فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ربه ان يعطيه ما سالوا فانشق القمر نصفا على ابي قبيس ونصف على قعيقعان وفي
لفظ فانشق القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ولعل الفرقة التي
كانت فوق الجبل كانت جهة المشرق والتي كانت دون الجبل كانت جهة المغرب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا ولا منافاة بين الروايتين
ولا بينهما وبين رواية ان نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى
الليل ينظر اليه ثم غاب اي ثم ان كان الانشقاق قبيل الفجر فهو مرة اخرى لان الليلة
ليلة اربعة عشر يستمر جميع الليل وسياتي عن رواية ابن مسعود انه عاد بعد عوده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا والفرقتان هما المرادة بالمرتين
في بعض الروايات التي اخذ بظاهرها بعضهم كالزين العراقي فانه قال انه انشق
مرتين لان المرة قد تستعمل في الاعيان وان كان الاصل وضعها للافعال وعند
ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة وتقدم ما فيه فقال رجل منهم ان محمدا ان
كان سحر القمر اي بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها اي جميع اهل
الارض فاسالوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا اي فسالوهم فاخبروهم انهم راوا
مثل ذلك وفي رواية ان ابا جهل قال هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا
اياتيكم بها السفار حتى تنظروا اهل راوا ذلك ام لا فاخبروا اهل الافاق وفي لفظ
فجاء السفار وقد قدموا من كل وجه فاخبروا انهم راوه منشقا فعند ذلك قالوا هذا سحر

مستمر

وشق الصدر

مستمر اي مطرد فهو [illegible] ذلك [illegible] فانزل الله تعالى اقتربت الساعة
وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اي مطرد كما تقدم او محكم او قوي
شديد اذ ما راد ذهب لا يبقى وهذا يدل على انه لم يختص برؤيته اهل مكة
بل جميع اهل الافاق وقد ذكر بعض العلماء [illegible] في تواريخهم لو وقع انشقاق القمر لاشتهر
لاهل الارض كلهم [illegible] ولم يختص بها اهل مكة ولا [illegible] الجواب [illegible] بانه طلب
جماعة [illegible] فاختصت رؤيته [illegible] ولا يقول بعضهم ان انشقاق القمر
[illegible] مع [illegible] في جنح ليلة ومعظم الناس نيام • وفي فتح الباري حديث
الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق
الحديث انتهى والى انشقاق القمر اشار صاحب الهمزية رحمه الله بقوله •
شق عن صدره وشق له البدر • ومن شرط كل شرط جزاء •
اي شق عن صدره صلى الله عليه وسلم وفي نسخة قلبه وكل منهما صحيح لانه شق صدره
اولا ثم شق قلبه ثانيا وشق لاجله القمر ليلة اربعة عشر وانما شق له صلى الله عليه وسلم
لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره صلى الله عليه وسلم جوزي على ذلك بانشقاق
له في الصورة وهو شق القمر الذي هو من اظهر المعجزات بل اعظمها بعد القران وقال السبكي
[illegible] • [illegible] قريش منك اعظم اية •
اي فانهم اتهموا فيما بينهم ما تفعلوا على ان يقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يريهم انشقاق القمر الذي هو بعيد من الاطماع وفي غاية الامتناع اي فقد سالوه اولا
اية غير معينة ثم عينوها • وفي الامالي عن بعضهم قال [illegible]
مع ابي وعمي من خراسان الى الهند في تجارة فلما بلغنا اول مدينة الهند وصلنا الى
ضيعة من الضياع [illegible] نحوها فسالنا الناس عن ذلك فقالوا هذه
الشيخ [illegible] المعمرين [illegible] خارج الضيعة [illegible] كثيرا [illegible] جمع كبير
من اهل تلك الضيعة [illegible] زنبيلة معلقا في بعض اغصان شجرة
الشجرة فسالنا الناس فقالوا ان هذا الزنبيل [illegible] راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم [illegible] لما انشق القمر [illegible] سنة [illegible] كل دعوة [illegible]
سنة فسالنا الناس ان ينزلوا الشيخ [illegible] فانزل الزنبيل
فاذا هو مملوء بالقطن والشيخ في وسط القطن وهو كالفرخ [illegible] على [illegible]
يا جداه هولاء قوم قد قدموا من خراسان وقد سالوا ان تحدثهم كيف رايت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وماذا قال لك فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل
بالفارسية ونحن نسمع فقال سافرت مع ابي وانا شاب من هذه البلاد الى الحجاز في تجارة
فلما بلغنا بعض اودية مكة وكان المطر قد ملأ الاودية فرايت غلاما حسن الشمائل
يرعى ابلا في تلك الاودية وقد حالت السيول بينه وبين ابله وهو يخشى من خوض الماء
لقوة السيل فعلمت حاله فاتيت اليه وحملته وخضت به السيل الى عند ابله من غير
معرفة سابقة فلما وضعته عند ابله نظر الي فدعا لي ثم عدنا الى بلادنا ودهرا ولت
المدة فبينما نحن جلوس في صحن هذه في ليلة مقمرة ليلة البدر والبدر
في كبد السما اذ نظرنا اليه قد انشق نصفين فغرب نصف في المشرق ونصف في المغرب
واظلم الليل ساعة ثم طلع النصف من المشرق والثاني من المغرب الى ان التقيا في وسط
السما كما كان اول مرة فتعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا فسالنا الركبان
عن سببه فاخبرونا ان رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى انه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى كافة الناس وان اهل مكة سالوه معجزة واقترحوا عليه ان يامر القمر فينشق
في السما ويغرب نصفه في المشرق ونصفه في المغرب ثم يعود الى ما كان عليه ففعل لهم ذلك
فاشتقت الى رؤياه فذهبت الى مكة وسالت عليه فدلوني عليه ودخلت عليه فلما نظرت
اليه نظر الي وتبسم وقال ادن مني ودنيت اليه وبين يديه طبق فيه تمر فتقدمت وجلست
واكلت من الرطب وصار يناولني الى ان ناولني ستة رطبات ثم نظر الي وتبسم وقال لي
الم تعرفني فقلت لا قال الم تحملني في مقام كذا في السيل ثم قال امدد يدك فصافحني
وقال قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقلت ذلك فسر
وقال لي عند خروجي من عنده بارك الله في عمرك قالها ست مرات فبارك الله
في عمري بكل دعوة مائة سنة فعمري اليوم ستمائة سنة اي الى الآن المائة السادسة
شرف على تمامها فتامل. وسئل الحافظ السيوطي عن مثل ذلك الحديث وهو الحديث
الذي رواه معمر الذي يزعم انه صحابي وانه صار يوم الخندق ينقل التراب بعلقتين
وبقية الصحابة بعلقة واصطدم ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفه الشريفة بين كتفيه
اربع مرات وقال له عمرك الله يا معمر فعاش بعد ذلك اربعمائة سنة ببركة الضربات
التي ضربها بين كتفيه كل ضربة مائة سنة وقال له بعد ان ما فحمل من ما قبل الى ست
او سبع لم نسمه الناس فهل هو صحيح ام هو كذب وافتوا لا تجوز روايته فاجاب بانه
باطل وان معمرا هذا الكذاب دجال لانه ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال

واجاب السيوطي عن ذلك وامثاله

قبل

وسالوه صلى الله عليه وسلم

قبل موته بشهر ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد.
وقد قال اهل الحديث وغيرهم ان من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه
وسلم فهو كذاب ومعلوم ان اخر الصحابة موتا ابو الطفيل مات سنة عشر ومائة
من الهجرة ثبت ذلك في صحيح مسلم واتفق عليه العلما فمن ادعى الصحبة بعد ابي الطفيل
فهو كذاب. ومما سالوه صلى الله عليه وسلم من الايات المعينات ما حدث به بعضهم
قال ان قريشا قالت له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي
قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها انهارا كانهار الشام والعراق
ويبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ
صدق فنسالهم عما تقول احق هو ام باطل قال وزاد في رواية فان صنعت
ما سالناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثني به
انتهى ثم قالوا واسال لنا ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا
عنك اي وفي لفظ قالوا لم لا تنزل علينا الملائكة فتخبرنا بان الله ارسلك او نرى
ربنا فيخبرنا بانه ارسلك فنؤمن ونصدق بك وقال اخر يا محمد لن نؤمن لك حتى
تاتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من
ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش
كما نلتمسه اي فلا بد ان تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت
رسولا اي وفي لفظ قالوا ان محمدا ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق ويلتمس المعاش
كما نلتمس نحن فلا يجوز ان يمتاز عنا بالنبوة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما انا بالذي يسال ربه هذا وانزل الله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق الاية. ولما قالوا الله اعظم ان يكون رسوله بشرا انزل الله تعالى
اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم. ثم قالوا واسقط السما علينا كسفا اي قطعا
كما زعمت ان ربك ان شا فعل وقد بلغنا انه انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن
والله لن نؤمن بالرحمن ابدا اي وقد عنوا بالرحمن مسيلمة الكذاب وقيل عنوا كاهنا كان
لليهود باليمامة وقد رد الله عليهم بان الرحمن المعلم له هو الله تعالى بقوله قل هو
الرحمن ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب اي توبتي ورجوعي. اي وعند ذلك
قام صلى الله عليه وسلم حزينا اسفا على ما فاته من هداية قومه التي طمع فيها وقال له عبد الله

ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقالوا يا محمد قد عرض عليك قومك
ما عرضوا فلم تقبله ثم سألوك امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك
ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لا
نؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تأتيها ثم تأتي
معك بصك اي كتاب معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وايم الله ان لو فعلت
ذلك ما ظننت اني اصدقك فانزل الله تعالى عليه الايات التي فيها شرح هذه المقالة
في سورة الاسراء وفيها الاشارة الى ان الله تعالى حجبه عن ان يعطيهم جميع ما سألوا لانهم
ان كفروا بعد ذلك استأصلهم بالعذاب كالامم السابقة ويحب ان يفتح لهم باب الرحمة
والتوبة لعلهم يتوبون والنبي يرجعون فاختار النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه
من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل لهم ما سألوه • وعن محمد بن كعب ما حاصله ان الملا من
قريش اتوا النبي صلى الله عليه وسلم واقسموا بالله عز وجل انهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو
الله عز وجل ان يعطيهم الذي سألوا فاتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكن لم ان
قوما بايته فنزلوها فلم يؤمنوا الا امرت بتعذيبهم وانهم لم يأتوا ما سألوا من تلك الايات
الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك والا لسوا لهم تلك الايات وارتيابهم في
القران وقولهم فيه انه سحر وافتراء اي سحر يأثره اي يأخذه عن غيره وعن اهل بابل ويترك
بربهم المراد لحد ويعني المراد وجه وبين المراد ومسيلمة ان هو الا قول البشر من قول
البشر وهو عبد لبني الحضرمي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه وانى قول ابي جهل
ايضا تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى
اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزل قوله تعالى واذا
جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله وقد اشار لذلك كما جاء الهمزية

عجب للكفار زادوا ضلالا • بالذي فيه للعقول اهتداء •

والذي يسألون منه كتاب • منزل قد اتاهم وارتقاء •

اي اعجب عجبا من حال الكفار لكونهم زادوا ضلالا بالقران الذي فيه اهتداء
واعجب عجبا من الامر الذي يطلبونه منه صلى الله عليه وسلم وهو كثير من جملته كتاب منزل
منزل عليهم من السماء وهو القران اولم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء • اعجز
الانس اية منه والجن • فهلا يأتي به البلغاء • كل يوم يهدي الى سامعيه
معجزات من لفظه القراء • تتحلى به المسامع والافو • اه فهو الحلي والحلواء •

رق

رق لفظا وراق معنى فجاءت • في حلاها وحليها الخنساء • وارتنا فيه غوامض فضل •
رقة من زلاله وصفاء • انما تجتلى الوجوه اذا ما • جليت عن مرآتها الاصداء •
سور منه اشبهت صورا منا • ومثل النظائر النظراء • والاقاويل عندهم كالتماثيل •
فلا يوهمنك الخطباء • كم ابانت اياته من علوم • من حروف ابان عنها الهجاء •
فهي كالحب والنوى اعجب • الزراع منها سنابل وزكاء • فاطالوا فيه التردد والريب •
فقالوا سحر وقالوا افتراء • فالتماس الهدى بهن عناء • واذا ضلت العقول على علم •
فماذا تقوله النصحاء • اي اولم يكفهم عما سألوه عنادا ذكر واصل اليهم حالة كونه
من الله رحمة وشفاء للناس والجن فالقران قد اعجز الانس والجن اية منه فهلا يأتي
بمثله الا ان اهل البلاغة قد علا وفاق بين يدي قراءه الى سامعيه معجزات من لفظه به
ولذلك تتحلى بسماعه المسامع من التحلية التي هي لبس الحلي وتتحلى بالتلاوة الافواه
من الحلو فهو الحلي والحلواء احسن من جهة اللفظ وتصفى من شوائب النقص من جهة
المعنى فارتنا فيه من زلاله رقة وصفاء من ذلك الزلال الخالي باعلى فيه وهي العلوم
المستنبطة منه وانما تظهر الوجوه ظهورا واضحا لا التماعة بوجه اذا قد جليت بمرآة
رفعت الاصداء عن تلك المرآة سورا اشبهت صورا منا من حيث اشتمال كل صورة منا
على معنى وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره والاقاويل الصادرة من الكفار في القران
كالصور التي يصورها المصورون لا وجود لها في الحقيقة فما قالوه في القران باطل
فطعن الطاعنين فاعذر الخطباء ان توقعك في وهم ان ما يأتي به يقارب القران
كم اوضحت اياته علوما حال كونها متولدة من حروف قليلة كشف عنها التهجي
كالحب الذي يلقيه الزراع والنوى الذي يلقيه الغارس اعجبا للزراع والغراس
منها اي من تلك الحبوب والنوى سنابل وثمار ونمو فاق الحصر فاطالوا في تلك السور
الشك فقالوا سحر وهو بهتان لا حقيقة له وقالوا امر اخرى اساطير الاولين والاية واذا
كان الحجج والبراهين لم تفدهم شيئا من الهدى فطلب الهدى منهم بتلك الحجج تعب لا يفيد
واذا ضلت العقول عن طرق الحق مع علم منها بسلوك الطرق فاي قول يقوله الفصحاء
اي وقال الوليد بن المغيرة يوما اينزل القران على محمد واترك انا وانا كبير قريش
وسيدها ويترك ابو مسعود الثقفي سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين اي مكة والطائف
فانزل الله تعالى وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم اي
اعظم واشرف من محمد فرد الله تعالى عليهم بقوله اهم يقسمون رحمة ربك الاية وفي لفظ

وسيد ثقيف [illegible]

وسألوه صلى الله عليه وسلم

قال بعضهم كان الاحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من اهل مكة او عروة بن مسعود
الثقفي من اهل الطايف • ثم انه بعث كفار قريش النضر بن الحارث وعقبة
ابن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته
واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول اي التوراة لانه قبل الانجيل وعندهم
علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسالا احبار يهود اي قالوا لهم انيناكم
لامر حدث فينا منا غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم انه رسول الله وفي
لفظ رسول الرحمن قالوا اصفوا لنا صفته فوصفوه قالوا فمن تبعه منكم قالوا
سفلتنا فضحك حبر منهم وقال هذا النبي الذي نجد نعته ونجد قومه اشد الناس
عداوة له ثم قالت لهم احبار يهود سلوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبي
مرسل وان لم يخبر فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول
اي وهم اهل الكهف ما كان من امرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن
رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها اي وهو ذو القرنين ما كان
نبأه وسلوه عن الروح ما هي فان اخبركم بهن اي بحقيقة الاوليين وبما (من)
من عوارض الثالثة وهو كونها من امر الله فانه نبي فرجع النضر وعقبة الى قريش
وقالا لهم قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد واخبراهم الخبر فجاءوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم اخبركم غدا ولم يستثن
اي لم يقل ان شاء الله وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل
ثلاثة ايام وقيل اربعين يوما لا يأتيه الوحي وتكلمت قريش في ذلك بما اخبر
به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه اي ومن جملة من قال
له ذلك صلى الله عليه وسلم ام جميل امرأة عمه ابي لهب قالت له ما ادري ما جعل
الا وقد ودعك وقلاك اي تركك وبغضك وفي رواية قالت امرأة من قريش
ابطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل
بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم اهل الكهف ويروى انهم
يكونون مع ابن مريم عليه السلام اذا نزل ويحجون البيت • وخبر الرجل
الطواف وهو ذو القرنين اي وهو اسكندر ذو القرنين كان له قرنان
صغيران من لحم تواريهما العمامة وفي لفظ كان له شعر القرنين في راسه وقيل
غديرتان من شعر وقيل لانه قرن بين طلوع الشمس وغروبها اي بلغ قطري

خبر ذو القرنين

الارض

حقيقة الروح والاقوال فيها

المشرق والمغرب وقيل ضرب على قرن راسه فمات ثم احيي ثم ضرب على قرنه الاخر فمات
ثم احيي وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه انقرض في زمنه قرنان من الناس
والقرن زمانا ماية سنة وكان ذو القرنين رجلا صالحا من اهل مصر من ولد يونن
وفي لفظ يونان بن يافث بن نوح وكان من الملوك العادلة وكان الخضر صاحب لوائه
الاعظم وقيل كان نبيا قاله الضحاك وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل بالجواب عن
الروح المذكور ذلك في سورة الاسراء اي قل لهم الروح من امر ربي اي مما استأثر الله
تعالى بعلمه لا يعلمها الا هو اي وكان في كتبهم ان الروح من امر الله مما استأثر الله بعلمه
ولم يطلع عليه احدا من خلقه ومن ثم جاء في بعض الروايات ما تقدم ان اجابكم عن حقيقة
الروح فليس بنبي وان اجابكم عنها بانها من امر الله فهو نبي ولعل هذا هو المراد بما جاء
في بعض الروايات سلوه عن الروح فان اخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي
اي لانه اذا كان المراد في كتبهم ان حقيقة الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه كيف يسألونه
ليخبرهم بذلك الا ان يقال المراد ان اجابكم بغير قوله من امر ربي فاعلموا انه غير نبي
فانه يجاب ولا ان يخبركم عن حقيقتها لا يعلمها الا الله تعالى ويوافقه ما في ماثور التفسير
من امر ربي من علم ربي لا علم لي به • وفي بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما سلوه عن
الروح التي نفخ الله تعالى في ادم فان قال لكم من الله فقولوا له كيف يعذب الله في النار
شيئا هو منه وحاصل الجواب الذي اشارت اليه الاية ان الروح امر عظيم ما هو الا اي
مامور من ما امره الله وخلق من خلقه لا انها جزء منه كما سيعلم اي وهذا مما يدل على
ان المسؤل عنه روح الانسان التي هي سبب الحياة في افادة الجسد وفي كلام الامام
الغزالي ان الروح روحان حيواني وهو الذي تسميه الاطباء المزاج وهو جسم لطيف بخاري
معتدل سار في البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة والقوى الجسمانية وهي
الروح التي تفنى بفناء الجسد وتنعدم بالموت وروح روحاني وهي التي يقال لها النفس
الناطقة ويقال لها اللطيفة الربانية ويقال لها العقل ويقال لها الروح ويقال
لها القلب من الالفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى الحيواني وهذه
الروح لا تفنى بفناء البدن وتبقى بعد الموت هذا الكلام • ومن كلام بعضهم الروح
عند اهل السنة جسم لطيف مخالف للاجسام ماهية وهيئة تسري في البدن حال فيه
حلول الدهن في الزيتون يبقى عند بقائه واذا فارق البدن مات وذهب
جمع منهم الغزالي والرازي وفاقا للحكماء والصوفية الى انه مجرد غير حال بالبدن

يتعلق بمن تعلق العاشق بالمعشوق يدبر امره على وجه لا يعلمه الا الله انتهى • ورايت في
كلام الشيخ الاكبر ان الامام ركن الدين السمرقندي لما فتح المسلمون بلاد الهند خرج
بعض علمائها ليناظر المسلمين فسال عن العلماء فاشاروا الى الامام ركن الدين السمرقندي
فقال له الهندي ما تعبدون قال نعبد الله تعالى بالغيب قال من انباكم قال محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فما الذي قال في الروح قال هو من امر الله فقال صدقتم واسلم
وليس المراد بالروح خلق من الملائكة على صورة بني ادم او ملك عظيم عرض بتحرير الذي
لهما به تمام الى غير ذلك مما قيل قال بعضهم قلت في هذه الرواية النصر كيف سالوا
عن الروح • وحكاية ابن مسعود تدل على ان السؤال عن الروح ونزول الاية كان بالمدينة
لاي من اليهود هذا الكلام وفيه انه يشكل على انهم كرروا السؤال وتكرر نزول الاية اي
اخرها بانه قال صاحب الابتهاج انما سال اليهود تعجيزا وتغليطا اذ كان الروح
يقال بالاشتراك على روح الانسان والقران وعيسى وجبريل وملك اخر وصنف
من الملائكة فقصد اليهود ان يسالوه صلى الله عليه وسلم فباي مسمى اجابهم قالوا
ليس هو فجاءهم الجواب مجملا وكان هذا الاجمال كيدا يرد به كيدهم • وفي سورة
الكهف ايضا اية ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا
نسيت اي اذا اردت ان تقول سافعل شيئا فيما يستقبل من الزمان تقول ان شاء الله
فان نسيت التعليق بها ثم تذكرت تاتي بها فذكرها بعد النسيان كذكرها بعد التذكر
قال جمع منهم الحسن ما دام في المجلس وظاهره وان طال الفصل • وفي الخبر بعض الكبراء
ان هذا اي الاتيان بالمشيئة بعد التذكر من خصائصه صلى الله عليه وسلم وليس
لاحد منا ان يستثني اي ياتي بالمشيئة الا في صلة يمينه اقول كان ينبغي ان يقول
في صلة اخباره لا نعساف الاية في الاخبار لا في الحلف • فان قيل هي عامة في الخبر
والحلف قلنا كان ينبغي حينئذ ان يقول في صلة كلامه وحينئذ يقتضي كلامه ان
يتدارك في الخبر دون الحلف والله اعلم • ثم لا يخفى انه قيل في سبب احتباس الوحي
ما ذكر وهو انه لم يقل ان شاء الله وهو المشهور وقيل لانه كان في بيته كلب وفي لفظ
كان تحت سريره جرو ميت فتبطا انه صلى الله عليه وسلم لما عاتب جبريل في احتباسه
قال اما علمت ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب اي فانه صلى الله عليه وسلم قال
لخادمته خولة يا خولة ما حدث في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل لا ياتيني
قالت فقلت في نفسي لو كنست البيت فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاخرجت

الجرو

فضل المشيئة

احتباس الوحي

الجرو ميتا • اقول فقد ذكر ابن كثير قد ثبت في الحديث المروي في الصحاح والسنن
والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب • وقد ورد بعض
روايته قيد سواله وهو ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب او صورة
الا ما قيل انه يغتفر فيها الا الزرع يلزم ان لا يكون من عنده كلب او صورة ولا
يكتب عمله • واجيب عنه بان المراد لا تدخل تلك البيت دخول اكرام
لصاحبه وتفضيل بركة له فلا ينافي دخولهم لكتابة الاعمال وقبض
الارواح والله اعلم • وقيل لانه صلى الله عليه وسلم زجر سائلا ملحا وقد
كان قبل ذلك يعد السائل بقوله يرزقكم الله من فضله اي ربما سكت • فقد
روي انه ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا • قال
الحافظ ابن حجر المراد بذلك انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده اعطاه
وان لم يكن سكت وهذا هو المراد بما جاء انه صلى الله عليه وسلم ما رد سائلا اي
شيئا منه بالرد • وقد حكى بعضهم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في
النوم فقلت يا رسول الله استغفر لي فسكت فقلت يا رسول الله ان ابن
عيينة حدثنا عن جابر انك ما سئلت شيئا قط فقلت لا فتبسم صلى الله عليه
وسلم واستغفر لي اي فكان ياتي بلا وحيث لا يكون المقام يقتضي
لا فيقتضي ترك السكوت ولعل هذا في غير رمضان فلا يخالف ما رواه
البزار عن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
شهر رمضان اطلق كل اسير واعطى كل سائل وبين ابن الجزري في النشر
المراد هذا السائل ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدي اليه قطف عنب قبل
اوانه فهم ان ياكل منه فجاءه سائل فقال اطعموني مما رزقكم الله فسلم اليه
ذلك القطف فلقيه بعض الصحابة فاشتراه منه واهداه للنبي صلى الله
عليه وسلم فعاد السائل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسال فاعطاه اياه
فلقيه رجل اخر من الصحابة فاشتراه منه واهداه للنبي صلى الله عليه
وسلم فعاد السائل فسال فانتهره وقال انك ملح قال وهذا سياق
غريب وهو معضل وقيل سبب ذلك غير ذلك من ذلك ان جبريل لما
جاءه صلى الله عليه وسلم قال له ما حبسك عني قال كيف ناتيكم وانتم لا تقصون

وقد ورد

فصل قص الاظافر

سبب التكبير ومحله

الفجار كم ولا تسقون براجمكم ولا تأخذون شعوركم ولا تستاكون اقول واختلاف
هذه الاسباب ظاهرة في ان الوحي فتر مدة ولا ينافيه قوله ونزلت
اي سورة الضحى ردا عليهم فانهم قالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه وهم ما ودعك
ربك وما قلى اي ما قطعك قطع المودع وما ابغضك لانه يجوز ان يكون
ما تكرر نزولها لاختلاف سببه ويمكن ان يقال يجوز ان تكون الواقعة واحدة
وتعددت اسبابها ولا ينافيه اخبار جبريل تارة بان سبب احتباسه عدم
قص الاظفار وما ذكر معه وتارة بان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب
وتارة بقوله وما نتنزل الا بامر ربك كما سيأتي في قصته الا قيل لكن قال
الحافظ ابن حجر في قصة ابطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب
نزول الآية مردود عند ذلك وما قيل غريب فالمعتمد ما في الصحيح هذا كلامه
اقول ومما يدل على بطلان ان قصة الجرو كانت بالمدينة ما في بعض التفاسير
ان هذا الجرو كان للحسن والحسين • ولما نزلت السورة المذكورة كبر
صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي واستمر صلى الله عليه وسلم يجاهد قومه
بالدعوة حتى توفي واما بنعمة ربك فحدث فقد ذكر ان كبر صلى الله عليه وسلم
رضا وكان سببا للتكبير في افتتاح السورة التي بعدها وفي ختمها الى اخر
القرآن • وعن ابي بن كعب انه قرأ كذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
بعد امره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر
هذا او قيل ابتداء التكبير انما هو لاخر السورة وابتداؤه من اخر سورة
الضحى الى اخر سورة قل اعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير في الاول
والاخر جمع بين الروايتين الرواية التي جاءت بانه كبر اول السورة
المذكورة والرواية الاخرى انه كبر في اخرها • ومما يدل على ان التكبير
اول سورة الضحى ما جاء عن عكرمة ابن سليمان قال قرأت على اسمعيل
ابن عبد الله فلما بلغت الضحى قال كبر فاني قرأت على عبد الله بن كثير
احد القراء السبعة فلما بلغت والضحى قال لي كبر حتى تختم واخبرني
ابن كثير انه قرأ على مجاهد فامره بذلك واخبره ان ابن عباس رضي
الله عنهما امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي بن كعب امره بذلك
واخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك قال بعضهم حديث

غريب

حديث الزبيدي

غريب ونقل عن امامنا الشافعي رضي الله عنه انه قال لرجل ان تركت التكبير
من الضحى الى الحمد في الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك
صلى الله عليه وسلم لكن في كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك ان التكبير
عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف • وقد ذكر الشيخ
ابو المواهب الشاذلي عن شيخه ابي عثمان انه قال انما نزلت سورة
الم نشرح عقب قوله واما بنعمة ربك فحدث اشارة الى ان من حدث بنعمة
الله فقد شرح الله صدره قال وكان رضي الله عنه يقول اذا حدثت بنعمتي ونشرتها
بين يدي فقد شرحت صدري • وعن ابن اسحاق ذكر لي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت
ظنا وفي لفظ ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فقال له جبريل وما نتنزل
الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك
نسيا اي لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره
ومشيئته على مقتضى حكمته وما كان ربك تاركا لك كما زعم الكفار بل كان
لحكمة رآها •• واما حديث الزبيدي فقد حدث بعضهم قال بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه نفر من اصحابه اذ دخل زبيدي
يطوف على حلق قريش حلقة بعد اخرى وهو يقول يا معشر قريش كيف
تدخل عليكم المارة او تجلب اليكم جلب اذ يحل بكم الى ان يترك بساحتكم
تاجر وانتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم حتى انتهى الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك
فذكر انه قدم بثلاثة اجمال خيرة ابله واحسنها فسامه بها ابو جهل ثلث
اثمانها ثم لم يسمه بها لاجله سائم قال فاكسد علي سلعتي فظلمني فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم واين اجمالك قال هي هذه بالحزورة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام اصحابه فنظروا الى الاجمال
فرأى جمالا حسانا فساوم ذلك الرجل حتى الحقه برضاه واخذها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وافضل بعيرا باعه
واعطى ارامل بني المطلب ثمنه وكل ذلك وابو جهل جالس في ناحية من
السوق ولا يتكلم ثم اقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اياك

اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره فجعل يقول لا اعود يا محمد
لا اعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل على ابو جهل امية
ابن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذلك في يد محمد فاما ان نرى ان
تنتقد واما رعب دخلك منه فقال لهم لا اتبعه ابدا ان الذي رايتم
مني لما رايت معه رجالا على يمينه وشماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفت
لكانت اياها اي لاتوا على نفسي • وتقدم لك ان ابا جهل كان وصيا
على يتيم فاكل ماله وطرده فاستغاث اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على ابي
جهل فمشى اليه ورد عليه ماله فقيل له في ذلك فقال خفت من حربة
عن يمينه وحربة عن يساره لو امتنعت لما امنت ان يطعنني • واما حديث
المستهزئين فمنهم المستهزئ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث به
بعضهم ان ابا جهل ابن هشام ابتاع من شخص يقال له الاراشي بكسر الهمزة
نسبة الى اراشة بطن من خثعم اجمالا فمطله باثمانها فدلته قريش على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستنصفه من ابي جهل استهزاء برسول الله
صلى الله عليه وسلم لعلمهم بانه لا قدرة له على ابي جهل اي بعدان وقف
على ناديهم فقال يا معشر قريش هل من رجل يعينني على ابي الحكم بن هشام
فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له اترى ذلك الرجل
يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع ابي جهل اي قال له
يا ابا عبد الله ان ابا الحكم ابن هشام قد غلبني على حق لي قبله وانا غريب
وابن سبيل وقد سالت هؤلاء القوم عن رجل ياخذ لي بحقي منه فاشاروا
اليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الرجل الى ابي جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا فقال محمد فخرج اليه
وقد انتقع لونه اي تغير وصار كلون النقع الذي هو التراب وهو الغبرة
مع كدرة كما تقدم فقال له اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى اعطيه الذي
له فدفعه اليه قال ثم ان الرجل اقبل حتى وقف على ذلك المجلس فقال
جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد والله اخذ لي بحقي منه
وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا

حديث المستهزئين وحديث الاراشي

له

له انظر ماذا يصنع فقالوا لذلك الرجل ماذا رايت قال رايت عجبا من العجب والله ما هو الا
ان ضرب عليه الباب فخرج اليه وما معه روحه فقال له اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى
اخرج اليه حقه فدخل وخرج اليه بحقه فاعطاه اياه فعند ذلك قالوا لابي جهل
ماذا بك ما صنعت قال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب على الباب وسمعت صوته ملئت
رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسي فحلا من الابل ما رايت مثله قط لو ابيت او تاخرت
لاكلني وقال في هذه القصة صاحب الهمزية رحمه الله تعالى يقول •

واقتضاه النبي دين الاراشي • وقد ساء بيعه والشراء •
ورأى المصطفى اتاه بما لم • ينج منه دون الوفا النجاء •
هو ما قد راه من قبل لكن • ما على مثله يعد الخطاء •

اي وطلب صلى الله عليه وسلم من ابي جهل ان يؤدي دين الاراشي وقد ساء بيعه وشراؤه
مع ذلك الرجل ورأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد اتاه بفحل من الابل لم ينج منه دون
الوفا له بذلك الدين كثير النجا وذلك الذي اتاه به هو الفحل الذي راه من قبل اي
لما اراد ان يلقي عليه صلى الله عليه وسلم الحجر وهو ساجد كما تقدم لكن ما على مثله
قبله عنه يعد الخطا لان خطاه لا يحصر • اي ومن استهزاء ابي جهل بالنبي صلى الله
عليه وسلم انه في بعض الاوقات سار خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بانفه
وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال كن كذلك فكان كذلك الى
ان مات • قال ابن عبد البر كان المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم انا كفيناك
المستهزئين ابو جهل • وابو لهب • وعقبة بن ابي معيط • والحكم بن العاص بن امية
والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان • والعاص بن وائل • فمن استهزاء ابي جهل
ما تقدم • ومن استهزاء ابي لهب به صلى الله عليه وسلم انه كان يطرح القذر على باب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي يوم من الايام راه اخوه حمزة رضي الله عنه
فحمل ذلك فاخذه وطرحه على راسه فجعل ابو لهب ينفض عن راسه ويقول صابي
احمق • ومن استهزاء عقبة بن ابي معيط انه كان يلقي القذر ايضا على بابه صلى الله
عليه وسلم كما تقدم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين ابي لهب وعقبة
ابن ابي معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي • ومن استهزائه انه بصق
في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا اي فانه صلى الله
عليه وسلم كان يكثر مجالسة عقبة بن ابي معيط فقدم عقبة يوما من سفره
فصنع طعاما ودعا الناس من اشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما

واما المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما قرب اليهم الطعام ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأكل وقال ما انا بآكل طعامك حتى
تشهد ان لا اله الا الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله
فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف
فاخبر الناس ابيا بمقالة عقبة فاتى اليه وقال يا عقبة صبوت قال والله
ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فأبى ان يأكل طعامي الا ان اشهد له
فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست في نفسي فقال
له ابي ابن خلف وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه
وتلطم وجهه فقال عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي صلى الله عليه وسلم ثم
فعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة ثم تفل البزقة الى وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم تصل الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان
اثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بقوله فيما تقدم فعاد بزاقه فبرص
في وجهه اي صار كالبرص وانزل الله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه اي في النار
يأكل احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى فيأكلها وهكذا
ومن استهزأ الحكم بن العاص انه كان صلى الله عليه وسلم يمشي يوما وهو خلفه
يخلج بأنفه وفمه يسخر به صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه صلى الله عليه وسلم
فقال له كن كذلك اي كما تقدم نظيره لابي جهل واستمر الحكم بن العاص يخلج بأنفه
وفمه بعد ان مكث شهرا مغشيا عليه حتى مات اسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه
شيء اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه
بالمدينة فخرج اليه صلى الله عليه وسلم بالعنزة اي وقيل بمدرى في يده
والمدرى كالمسلة يحك بها شعر الرأس وقال من عذيري من هذه الوزغة
لو ادركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغربه عن المدينة الى وج الطائف
فلم يزل حتى ولي ابن اخيه عثمان رضي الله عنه الخلافة فادخله المدينة بعد ان
سأل عثمان ابا بكر في ذلك فقال لا احل عقدة عقدها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم سأل عمر لما ولي الخلافة فقال له مثل ذلك ولما ادخله عثمان
انكر عليه الصحابة بسبب ذلك فقال اني كنت شفعت فيه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوعدني برده اي بان ارده ولا ابالي وانما سؤال عثمان لابي بكر
وعمر رضي الله تعالى عنهم في ذلك كان لا يخفى لانه يحتمل ان يرده عثمان انا بنفسه
او يبعثوا الى ... في جملة امور انتقموها على عثمان رضي الله تعالى عنهم

ممن استهزئ به

وعن

ومما قاله صلى الله عليه وسلم في الحكم بن ابي العاص

وعن الواقدي استأذن الحكم بن ابي العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا
له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ما هم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا وما لهم في
الآخرة من خلاق • وكان لا يولد لاحد بالمدينة ولد الا اتي به للنبي صلى الله عليه وسلم فاتي اليه
بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابي ان ثبت ان
النبي صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه اتي به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه
وربما يدل لذلك قوله الوزغ الى آخره • وفي كلام بعضهم ان مروان ولد بمكة وفي كلام بعض آخر
انه ولد بالطائف بعد ان نفي ابوه الى الطائف اي ولم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو ليس
بصحابي ومن ثم قال البخاري مروان بن الحكم لم ير النبي صلى الله عليه وسلم • وعن عائشة
رضي الله عنها انها قالت لمروان نزل في ابيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية
وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لابيك وجدك اي الذي هو العاص
بن امية انتم الشجرة الملعونة في القرآن • ولي مروان الخلافة تسعة اشهر • وعن عائشة
رضي الله عنها انها قالت لمروان حين قال لاخيها عبد الرحمن بن ابي بكر لما بايع معاوية
لولده فقال مروان بن الحكم سنة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بل سنة
هرقل وقيصر وامتنع من البيعة ليزيد بن معاوية فقال له مروان انت الذي انزل الله
فيك والذي قال لوالديه اف لكما فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب والله
ما هو به ثم قالت له يا مروان فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اباك وانت
في صلبه • وعن جبير بن مطعم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن ابي العاص
فقال صلى الله عليه وسلم ويل لامتي مما في صلب هذا • قال بعضهم وكون النبي صلى الله
عليه وسلم مع ما هو عليه من الحلم والاغضاء عما يكره فعل بالحكم ذلك يدل لذلك
على امر عظيم ظهر له من الحكم واولاده • وعن حمران بن جابر الحنفي قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبني امية ثلاث مرات اي وقد ولي منهم الخلافة
اربعة عشر رجلا اولهم معاوية بن ابي سفيان وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدتهم
ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهي الف شهر قال بعضهم لا يزيد ذلك يوما ولا ينقص يوما
قال ابن كثير وهذا غريب جدا وفيه نظر لان معاوية حين تسلم الخلافة من الحسن كان
ذلك سنة اربعين او احدى واربعين واستمر الامر في بني امية الى ان انتقل الى بني العباس
سنة اثنتين وثلاثين ومائة فمجموع ذلك اثنتان وتسعون سنة والف شهر تعدل

من ولي الخلافة من بني امية

ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر هذا كلامه. ومن المستهزئين العاص بن وائل إنه كان يقول
عن محمد وأصحابه إن وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور
الأيام والأحداث. أي ومن استهزائه أن خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه
كان قينا بمكة أي حدادا يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضاه
ثمنها فقال له يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة
ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم أو ولد فقال خباب نعم قال فأنظرني
إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك والله
لا تكون أنت وصاحبك آثر عند الله مني ولا أعظم حظا في ذلك. وفي لفظ أن
العاص قال له لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم
يبعثك قال فذرني أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك فأنزل الله
تعالى فيه أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا إلى قوله ويأتينا
فردا. وفي كلام ابن حجر الهيتمي وفي البخاري من عدة طرق أن خبابا رضي الله عنه
طلب من العاص بن وائل السهمي دينا له عليه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال
لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك وفيه أن هذا تعليق للكفر بممكن وتعليقه
الكفر ولو بمحال عادي وكذا شرعا وعقلا على احتمال كفر لأنه ينافي عقد التصميم
الذي هو شرط في الإسلام وأجيب بأنه لم يقصد التعليق قطعا وإنما أراد تكذيب
ذلك اللعين في إنكار البعث ولا ينافيه قوله حتى لأنها تأتي بمعنى إلا المنقطعة
فتكون بمعنى لكن التي مرمزها أن ما بعدها كلام مستأنف وعليه خرج ابن هشام
الخضراوي حديث كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أي لكن أبواه
وعد بعضهم من المستهزئين الحارث بن عيطلة ويقال ابن عيطل ينسب إلى أمه
وكان من استهزائه نحو ما تقدم عن العاص بن وائل وأبي جهل من الأخذ في خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم. وعد منهم الأسود بن عبد يغوث وهو ابن خال النبي
صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى المسلمين قال لأصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم
ملوك الأرض الذين يرثون كسرى وقيصر أي لأن الصحابة كانوا متقشفين ثيابهم
رثة وعيشهم خشن ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم أما كلمت اليوم من السماء يا محمد
وما أشبه هذا القول. وعد منهم الأسود بن عبد المطلب ومن استهزائه أنه

كان

كان وأصحابه يتغامزون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ويصفرون إذا رأوهم. وعد
منهم النضر بن الحارث فتلك جملتهم قبل الهجرة بغير هذا البلاء. أقول والذي ينبغي أن يكون
المراد بالمستهزئين في الآية وهي إنا كفيناك المستهزئين الوليد بن المغيرة والد خالد وعم
أبي جهل فإنه كان من عظماء قريش وكان في سعة من العيش ومكنة من السيادة كان
يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لأجل طعام غير ناره وينفق على الحاج
نفقة واسعة وكانت الأعراب تثني عليه كانت له البساتين من مكة إلى الطائف
وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا وببركته صلى الله عليه وسلم ثم
أصابته الجوائح والآفات في أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له في أيام الحج ذكر وكان
المقدم في قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد أي في الشرف
والسؤدد والجاه والرياسة بل بعضهم بل هو وحيد في الكفر والخبث والعناد. والعاص
بن وائل والد عمرو بن العاص. والأسود بن المطلب. والأسود بن عبد يغوث والحارث
ابن عيطلة وفي لفظ ابن الطلاطلة والطلاطلة في اللغة الداهية قال
بعضهم وهو الأشبه لأن ابن الطلاطلة اسمه مالك لا حارث والحارث بن العيطلة
كان أحد أشراف قريش في الجاهلية وإليه كانت الحكومة والأموال التي تجعل
للآلهة وذكره ابن عبد البر في الصحابة. قال في أسد الغابة لم أر أحدا ذكره في الصحابة
إلا أبا عمر يعني ابن عبد البر والصحيح أنه كان من المستهزئين وهؤلاء الخمسة هم الذين
اقتصر عليهم القاضي البيضاوي لما روي أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد
أي يطوف بالبيت وقال له أمرت أن أكفيكهم. فلما مر الوليد بن المغيرة قال له يا محمد كيف
تجد هذا فقال بئس عبد الله فأومأ إلى ساق الوليد. ومر العاص بن وائل فقال له
يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فأشار إلى أخمصه وقال كفيته. ثم مر الأسود بن المطلب
فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ إلى عينيه وقال كفيته. ثم مر الأسود بن عبد
يغوث قال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ إلى رأسه وقال كفيته ثم مر الحارث
ابن عيطلة فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ إلى بطنه وقال كفيته وحينئذ
يكون معنى كفايته هذا له صلى الله عليه وسلم أنه لم يتبع ولم يتكلف في ذلك. وقد
أشار الإمام السبكي رحمه الله تعالى إلى ذلك في تائيته بقوله

وجبريل لما استهزأوا فرقتهم الردى • أشار لكل بالفتح ميتة •

والله أعلم فالذي ذكره الزهري أن الأسود بن عبد يغوث خرج من عند أهله فأصابه السموم

وكفاه الله المستهزئين

فاسود وجهه فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب وسلط عليه العطش فلا زال
يشرب الماء حتى انشق بطنه وهذا انما يتاتى من العزيز ولا يناسب ان جبريل
اشار الى راسه ● واما الحارث ابن عيطلة فقد اكل حوتا مملحا فلم يزل يشرب عليه
الماء حتى انقد بطنه وهذا المناسب لما ذكروا هنا ان جبريل اشار الى بطنه لكن لا يناسب
ما قاله الناظم انهما في اشارة الى انفه فامتخض قيحا ● واما الاسود بن عبد
يغوث فقد عمي بصره فقد ذكروا انه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان
ببعض الطريق جلس في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من
اوراقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه ما اراه احدا يصنع بك
شيا وقيل ضرب بعض فيه بشوك فسالت حدقتاه وصار يقول هاهو ذا ان
يطعن بالشوك في عيني فيقال له ما نرى شيا وقيل اتى شجرة فجعل ينطح راسه
بها حتى خرجت عيناه اي وقيل لا يناسب ان جبريل اشار الى وجهه فعمي
بصره في الحال ويجوز ان يراد بالحال الزمن القريب وفي رواية انه كان يقول
دعى علي محمد بالعمى فاستجيب له ودعوت عليه بان يكون طريدا شريدا فقد
استجيب لي وسياتي عن بعضهم في غزوة بدر انه صلى الله عليه وسلم دعى ●
على الاسود بن عبد المطلب بالعمى وفقد ولده فعجل له العمى وفقد اولاده
ببدر ● واما الوليد بن المغيرة فمر بشخص يعمل النبل فتعلق بثوبه سهم فلم
ينقض ليتجنبه فقد افاصاب السهم عرقا في ساقه فقطعه فمات ● واما العاصي
ابن وائل فدخلت شوكة في اخمصه فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات ●
والى المستهزئين الذين ذكرناهم المرادون بقوله انا كفيناك المستهزئين اشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم ● ساء نبيا من قومه استهزاء ● خمسة كلهم اصيبوا بداء ●
والردى من جنوده الادواء ● فدهى الاسود بن مطلب ● اي عمى ميت به الاحياء ●
ودهى الاسود بن عبد يغوث ● ان سقاه كاس الردى استسقاء ● واصاب الوليد خدشة سهم ●
قصرت عنها الحية الرقطاء ● وقضت شوكة على مهجة العاص ● فلله النقعة الشوكاء ●
وعلى الحارث القيوح وقد ● سال بها راسه وساء الوعاء ● خمسة طهرت بقطعهم الارض ●
فكف الاذى بهم شلاء ●

اي وكفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم المستهزئين به مرات كثيرة
احزن نبيا كثيرة من الانبياء استهزا قومه به وحصل المستهزئين به صلى الله عليه وسلم خمسة
كلهم اصيبوا ابدا ببلاهم والادا من جملة جنوده الامراض فاهلك الاسود بن مطلب

عمى عظيم الاحيا بدا موات بسببه وهو المناسب لكون جبريل اشار الى عينيه ● ودهى ايضا الاسود
ابن عبد يغوث استسقا سقاه كاس الموت وهذا لا يناسب كون جبريل اشار الى راسه
واصاب الوليد اثر سهم في ساقه قصرت عنه الحية الرقطا اي سمها وقضت شوكة على مهجة
العاص دخلت في رجله فلله هذه النقعة الخشنة اللمس ● وقضت على الحارث القيوح
والحال انه قد سال راسه وفسد ذلك الوعا لتلك القيوح وهذا هو المناسب
لكون جبريل اشار الى انفه لا لقول بعضهم انه اشار الى بطنه خمسة طهرت بهلاكهم
الارض فكف الاذى بهم شلاه فاقفه وقد جا عن ابن عباس ان هولاء الخمسة هلكوا في
ليلة واحدة فعلم ان هولاء الخمسة هم المرادون بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما
ذكرنا وان كان المستهزئون غير محصورين فيه فان منهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج منهم
فقد قيل كانا يوذيان النبي صلى الله عليه وسلم وكانا يلقيانه ويقولان له اما وجد
الله من يبعثه غيرك ان هاهنا من هو اسن منك وايسر فان كنت صادقا
فاتنا بملك يحدثك ويكون معك واذا ذكر لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالا معلم مجنون يعلمه اهل الكتاب ما ياتي به ● ولا ينافي عد ابو جهل وغيره
منهم كما تقدم ● وفي سيرة ابن المحدث قال عليه الصلاة والسلام من قرا
سورة الهمزة اعطاه الله تعالى من الاجر عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد صلى
الله عليه وسلم واصحابه ● وممن استهزا ابو جهل بالنبي صلى الله عليه وسلم انه
قال يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يعذبونكم في النار
ويحبسونكم فيها تسعة عشر وانتم اكثر الناس عددا افيعجز كل مائة منكم عن واحد
منهم اي وفي رواية ان بعض قريش وكان شديدا اقوى الباس يبلغ من شدته انه
كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق
الجلد ولا يتزحزح قال لهم انا اكفيكم سبعة عشر واكفوني انتم اثنين منهم
ويقال ان هذا اذ جا النبي صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال له ان صرعتني
امنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يومن وفي رواية انه قال
انا اكفيكم عشرة واكفوني تسعة فانزل الله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اي بان يقولوا ما ذكر او يقولوا
لم كانوا تسعة عشر وما اراد الله بهذا العدد وذلك العدد حكمة استاثر الله تعالى

صفة ملائكة العذاب وعددهم

بلهما وقد ابدى بعض المفسرين لذلك حكما تراجع • وقد جاء في وصف تلك الملائكة
ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي اي القرون ما بين منكبي احدهم مسيرة
سنة وورد ايضا ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم مثل قوة اهل
الثقلين نزعت الرحمة منهم • واخرج البيهقي في عيون الاخبار عن طاوس ان الله
تعالى خلق مالكا وخلق له اصابع على عدد اهل النار فما من اهل النار معذب
الا ومالك يعذبه باصبع من اصابعه فوالله لو وضع مالك اصبعا من اصابعه على
السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر رؤساء الملائكة لاحدهم اتباع لا يعلم عدتهم
الا الله تعالى في قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وهؤلاء الاتباع منهم
واخرج هناد عن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة الف ملك
اي والاتباع دون هؤلاء من خزنتها • وفي كلام بعضهم لم يثبت لملائكة النار عدد
معين سوى ما في قوله تعالى عليها تسعة عشر واما ذلك التسعة التي هي احد
دركات النار المعبر عنها في قوله تعالى ساصليه سقر وقد يكون على كل واحد
منها مثل هذا العدد او اكثر • فتلك عدد بسم الله الرحمن الرحيم على عدد
الزبانية التسعة عشر فالنار وعقوبتها وضع الله عدد بكل حرف منها
واحدا منهم اقول ومن ثم قال ابو جهل ايضا للكفار يوما لقريش وقد
هددنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من الحق يا معشر قريش يخوفنا
محمد بشجرة الزقوم يزعم انها شجرة في النار ينبت لها شجرة الزقوم والنار
تاكل الشجر انما الزقوم التمر والزبد وفي لفظ العجوة تشرب بالزبد هاتوا تمرا
وزبدا وتزقموا فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي منبتها في اصل
الجحيم جهنم ولا تسلط لجهنم عليها انا علموا ان من قدر على خلق من يعيش في
النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق بها
وقد قال ابن سلام انما تحيى باللهب كما تحيى شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة
مر له زفرة • واخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار
الدنيا لافسدت على اهل الارض معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اي وقال يا محمد لتتركن
سب الهتنا او لنسبن الهك الذي تعبده فانزل الله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله

الاية

٢٢٣

ونزل المستهزئين

وسبب نزول هذه الاية

وسبب نزول هذه الاية

الاية فكف عن سب الهتهم وجعل يدعوهم الى الله عز وجل يعني ابن في الدر المنثور في تفسير
الاكتفاء ان المستهزئين نزلت في جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في
قفاه ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي ومعه جبريل فغمز جبريل باصبعه في اجسادهم
جروحا وانتنت فلم يستطع احد يدنوا منهم حتى ماتوا فليتنظر الجمع على تعدد ابراء القصة
وقد يدعي انهم طائفة اخرون غير من ذكر لانهم المستهزءون ذلك الوقت اي فقد
تكرر نزول الاية والله اعلم • قال ومن استهزاء النضر بن الحارث انه كان اذا جلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما اصاب من قبلهم من
الامم من نقمة الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فاني والله يا معشر
قريش احسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه
يعلم احاديثهم ويقول ما حديث محمد الا اساطير الاولين ويقال انه الذي قال سانزل
مثل ما انزل الله اي لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها احاديث الاعاجم ثم قدم
بها الى مكة فكان يحدث بها ويقول هذه احاديث كاحاديث محمد عن عاد وثمود
وغيرهم ويقال ان ذلك كان سبب النزول ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية
قال في الينبوع والمشهور انها نزلت في شراء المغنيات قال ولا بعد في ان تكون الاية
نزلت فيهما معا ويتحقق العطف في قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اي فان هذا
الوصف الثاني انما يناسب النضر فليتامل ولما تلي عليهم صلى الله عليه وسلم نبا الاولين قال
النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين فانزل الله تكذيبا
له قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا له • وجاء ان جماعة من بني مخزوم منهم ابو جهل والوليد بن المغيرة
تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي سمعوا قراءته
فارسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى اتى المكان الذي يصلي فيه فجعل يسمع قراءته
ولا يراه فانصرف اليهم واعلمهم بذلك فاتوه فلما سمعوا قراءته سمعوا الصوت فاذا
الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فاذا هو من امامهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا
خائبين فانزل الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون وتقدم في سبب نزولها غير ذلك ويمكن ان يدعى انها نزلت لوجود
الامرين فليتامل • وجاء ان النضر بن الحارث راى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا في
اسفل ثنية الحجون فقال لا اجد ابدا اخلى منه الساعة فاغتاله فدنا منه صلى الله

عليه وسلم من رأى أسادة تقرب بأذنابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبيه مرعوبا
فلقي أبا جهل فقال من أين فأخبره الخبر فقال أبو جهل هذا من بعض سحره
ومما نقلته أيضا أنه لما نزل قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم وقد قرأتها عائشة رضي الله عنها حطب بالطاء إلى آخر الآيات شق
ذلك على كفار قريش وقالوا لعبد الله بن الزبعري قد زعم محمد أنا وما نعبد
من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعري أنا أخصم لكم محمدا ادعوه لي فدعوه
له فقال له يا محمد هذه الآلهة خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال
لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعري خصمته ورب هذه البنية
يعني الكعبة ألست تزعم يا محمد أن عيسى عبد من دون الله وكذلك عزير
والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة ففرح
الكفار وفرحوا فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك
عنها مبعدون يعني عيسى وعزيرا والملائكة هذا كلامه والله تعالى أعلم

باب الهجرة الأولى إلى الحبشة. وسبب رجوع من هاجر من المسلمين إلى مكة وإسلام عمر بن الخطاب

رضي الله عنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالي
الأذى عليهم من كفار قريش مع عدم قدرته على إنقاذهم مما هم فيه قال لهم تفرقوا
في الأرض فإن الله سيجمعكم قالوا إلى أين نذهب قال ههنا وأشار بيده إلى جهة الحبشة فإن
وفي رواية قال لهم اذهبوا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل
الله لكم فرجا مما أنتم فيه أقول يجوز أن يكون قال ذلك عند استشارته صلى الله عليه وسلم
عن محل إشارته وقد جاء في الحديث من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب
له الجنة وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهاجر إليها ناس ذووا
عدد مخافة الفتنة وفرارا إلى الله تعالى بدينهم فمنهم من هاجر بنفسه ومنهم من هاجر بأهله فممن
هاجر بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان أول خارج وقيل أول من هاجر إلى الحبشة حاطب بن عمرو وقيل سليط بن عمرو
ولا ينافيهما قوله صلى الله عليه وسلم إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط أي بعد قال إني مهاجر
إلى ربي تهاجر إلى عمه إبراهيم الخليل ثم هاجر عليهما الصلاة والسلام حتى أتيا حران ثم هاجرا
إلى أن نزل إبراهيم عليه السلام فلسطين ونزل لوط المؤتفكة ووجه عدم المنافاة أن الكلام

أول من هاجر بعد لوط عليه السلام

من حاطب أو سليط يجوز أن يكون هاجر بغير أهله وكان مع رقية أم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وكانت
رقية رضي الله عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي الله عنه ومن ثم كان النساء يغنين بقولهن
أحسن شي ما يرى إنسان رقية وبعلها عثمان ومن ثم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث رجلا إلى عثمان
ورقية رضي الله عنهما فاحتبس عليه الرسول فلما جاء أنبه فقال له صلى الله عليه وسلم إن شئت أخبرتك
ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما أي ومعلوم أن ذلك كان قبل
آية الحجاب ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون إليها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا
جميعا فتدبر ووصف حسن عثمان رضي الله عنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل إن
أردت أن تنظر من أهل الأرض شبيه يوسف الصديق فانظر إلى عثمان بن عفان وبينا في ذلك مع زيادة
وأبو سلمة هاجر ومعه زوجته أم سلمة أي وقيل هو أول من هاجر بأهله وهو مخالف للرواية
السابقة أن عثمان أول من هاجر بأهله ويمكن أن تكون الأولية فيه إضافية فلا ينافي
ما سبق في عثمان وعامر بن ربيعة هاجر ومعه امرأته ليلى أي وعنها رضي الله عنهما كان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه من أشد الناس علينا في إسلامنا فلما ركبت بعيري أريد أرض الحبشة
إذا أنا بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال لي أين يا أم عبد الله فقلت قد آذيتمونا في ديننا
نذهب إلى أرض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله ثم ذهب فجاء زوجي عامر فأخبرته بما رأيت
من رقة عمر فقال ترجين أن يسلم عمر والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب أي استبعادا لما
كان يرى من شدة عمر وقسوته وشدته على أهل الإسلام وهذا دليل على أن إسلام عمر
كان بعد الهجرة الأولى للحبشة وهو كذلك أي فكلام من قال إنه كان تمام الأربعين
من المسلمين أي ممن أسلم وقيل إن المهاجرين إلى أرض الحبشة كانوا فوق ثمانين كما قال
بعضهم اللهم إلا أن يقال إنه كان بعد تمام الأربعين قبل المهاجرين إلى أرض الحبشة وربما كان
كذلك لقولها ليلى رضي الله عنها في قصة الصحابة وفي حرب فدنى له صلى الله عليه
وسلم تكون في الروايات ثم أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم وهم
تسعة وثلاثون رجلا وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبي بكر رضي
الله عنه ملتنا كل. وفي لفظ عن أم عبد الله زوج عامر قالت إنا لنرحل إلى أرض
الحبشة وقد ذهب عامر لبعض حاجته إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى
وقف علي وكنا نلقى منه الأذى والبلاء والشدة علينا فقال إنه للانطلاق
يا أم عبد الله فقلت نعم لنخرجن إلى أرض فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله

لنا مخرجا ومخرجا وفرجا فقال صحبكم الله ورأيت لهم رقة لم اكن اراها قبل ثم انصرف وتعرفت
فيه حزنا لخروجنا وقلت لعامر يا ابا عبد الله لو رأيت انفا عمر ورقته ... ما نقدم
وممن هاجر ابو سبرة وهو اخو ابي سلمة رضي الله عنهما لامه امهما برة بنت عبد
المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه امرأته ام كلثوم ومن
هاجر بنفسه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون رضي الله عنهما اي
وكان امير عليهم كما قيل وجزم به ابن المحدث في سيرته وقال الزهري لم يكن
لهم امير وسهيل بن البيضاء والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وقيل
انما كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في الهجرة الثانية فخرجوا سرا اي
متسللين منهم الراكب ومنهم الماشي حتى انتهوا الى البحر فوفق الله تعالى لهم
سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار اي وفي المواهب وخرجوا مشاة الى
البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار وهذه الملاءمة ... وكان مخرجهم
في رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا الى
البحر فلم يجدوا احدا منهم ولعل خروجهم سرا لا ينافي ما تقدم عن ليلى امرأة
عامر بن ربيعة من سؤال عمر لها واخبارها له بانا نريد ارض الحبشة
فلما وصلوا الى ارض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار فمكثوا بارض الحبشة
بقية رجب وشعبان الى رمضان فلما كان شهر رمضان قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم على المشركين سورة والنجم اذا هوى اي وقد انزلت عليه
في ذلك الوقت وفي كلام بعضهم جلس صلى الله عليه وسلم يوما مع المشركين
وانزل الله تعالى سورة والنجم اذا هوى فقرأها عليهم حتى اذا بلغ افرأيتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان
بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما من جملة ما اوحي اليه وهما تلك الغرانيق العلى
اي الاصنام وان شفاعتهن لترتجى وفي لفظ لهي التي ترتجى شبهت الاصنام
بالغرانيق التي هي طير الماء غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء
نون مفتوحة اي غرنوق بضم الغين والنون ايضا او غرنيق بضم الغين
وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركي اذ شبهه ووجه الشبه بين
الاصنام وتلك الطيور ان تلك الطيور تعلو وترتفع في السماء فالاصنام

شبهت

شبهت بها في علو القدر وارتفاعه ثم مضى يقرأ السورة حتى بلغ السجدة فسجد وسجد
القوم جميعا اي المسلمون والكفار او قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا
الذي القى الشيطان وانما سمع ذلك المشركون فسجدوا لتعظيم الهتهم ومن ثم
عجب المسلمون من سجود المشركين معهم من غير ايمان قال بعضهم والنجم هي اول سورة
نزل فيها سجدة اي اول سورة نزلت كاملة فيها سجدة فلا ينافي ان اقرأ باسم
ربك سورة نزلت فيها سجدة لان النازل منها اوائلها لا كلها وقد جاء انه صلى
الله عليه وسلم قرأ ايضا اقرأ باسم ربك فسجد في آخرها وسجد معه المؤمنون
فقام المشركون على رؤوسهم يصفقون وقد روى ابو هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في النجم اي غير سجدته المتقدمة التي سجد
فيها معه المشركون ومجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل قبل ان يتحول الى المدينة لان
سورة النجم من المفصل لان عند ائمتنا ان اول المفصل الحجرات على الراجح
من اقوال عشرة الا ان يقال لعل ابن عباس رضي الله عنهما ممن يرى ان سورة النجم
ليست من المفصل لانا نقول اقرأ باسم ربك من المفصل اتفاقا وعلى ما قال
ائمتنا يكون في المفصل ثلاث سجدات في النجم والانشقاق واقرأ باسم
ربك وهي اي النجم اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
وذكر الحافظ الدمياطي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأى من قومه
كفا عنه اي تركا وعدم تعرض فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لم ينزل علي
شيء ينفرهم عني وفي رواية تمنى ان ينزل عليه ما يقارب بينه
وبينهم حرصا على اسلامهم وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه
ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوما مجلسا في نادٍ من تلك الاندية حول
الكعبة فقرأ عليهم والنجم اذا هوى الى آخر ما تقدم والله اعلم ومن جملة
من كان مع المشركين حينئذ الوليد بن المغيرة لكنه رفع ترابا الى جبهته
فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود وقيل الذي فعل
ذلك سعيد بن العاص ويقال كلاهما فعل ذلك وقيل الفاعل لذلك
امية بن خلف وصحح وقيل عتبة بن ربيعة وقيل ابو لهب وقيل المطلب
وقد يقال لا مانع ان يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعله تكبرا وبعضهم فعله

اول سورة نزلت فيها سجدة

اول المفصل على اقوال

عجزا ومن فعل ذلك تكبرا ابو لهب فقد جاء وفيها سجدة سجد معه المؤمنون والمشركون
والجن والانس غير ابي لهب فانه رفع حفنة تراب الى جبهته وقال يكفي هذا .:.
ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود ولقد رأيت الرجل الفاعل لذلك قتل كافرا
لانه يجوز ان يكون المراد بقتل كان فقتله من قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن الهتنا هذه تشفع
لنا عنده فاما اذ جعلت لنا نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله
وسلم وجلس في البيت فلما امسى صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل فعرض عليه
السورة وذكر الكلمتين فيها فقال جبريل ما جئتك بهاتين الكلمتين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على الله ما لم يقل اي فكبر عليه ذلك فاوحى الله
اليه آية من سورة الاسرا وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري
علينا غيره اي بموافقتك لهم على مدح آلهتهم بما لم يوح به اليك واذا لو فعلت
اي ما طلبوه لاتخذوك خليلا الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا مانعا
يمنع العذاب عنك وهذا يدل لما تقدم انه تكلم بذلك فانه من جملة
ما اوحي اليه. وقيل نزل ذلك لما قال له اليهود حسدا له صلى الله عليه
وسلم على اقامته بالمدينة على انك لو كنت نبيا فالحق بالشام لانها ارض الانبيا
حتى نؤمن بك فوقع ذلك بقلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع اي بدليل ما بعدها وقيل ان التي
بعدها نزلت في اهل مكة وقيل ان الاية وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك نزلت
في ثقيف قالوا لا ندخل في دينك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا
نحشر ولا ننحني في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا
باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل
الله امرني. وقيل نزلت في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا
وتمسها بيدك وقد يقال ان هذا مما تعدد فيه اسباب نزوله والقاضي البيضاوي اقتصر
على ما عدا الاول والله اعلم. قال وقيل ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما ارتصد الشيطان سكتة عند قوله الاخرى فقالهما
محاكيا لنغمته صلى الله عليه وسلم اي حين قال فظنهما النبي صلى الله عليه وسلم
كما في شرح المواقف ومن سمعهما انهما من قوله صلى الله عليه وسلم اي حين قال
قلت على الله ما لم يقل وفشا بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع الى

دينا

دينا اي دين قومه حتى ذكر ان الهتنا لتشفع لنا وعند ذلك انزل الله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي قرا ما ليس من
القرآن اي مما يرضاه المرسل اليهم. وفي البخاري اذا حدث القى الشيطان في حديثه
فينسخ الله ما يلقي الشيطان يبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والله عليم بالقاء
الشيطان ما ذكر حكيم في تمكينه من ذلك يفعل ما يشاء ليميز به الثابت على الايمان من
المتزلزل فيه ولم اقف على احد من الانبيا والمرسلين وقع له مثل ذلك. وفيه كيف
يجترئ الشيطان على التكلم بشيء من الوحي ومن ثم قيل هذه القصة طعن في صحتها جمع وقالوا
انها باطلة وضعها الزنادقة اي ومن ثم اسقطها القاضي البيضاوي ومن المنكرين لها
القاضي عياض فقد قال هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند
سليم متصل وانما اولع به المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب اي وقال البيهقي
رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم وقال الامام النووي نقلا عنه واما ما يرويه
الاخباريون والمفسرون ان سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جرى على لسانه من الثنا على آلهتهم فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ولا
من جهة العقل لان مدح اله غير الله كفر ولا يصح نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا ان يقوله الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح
تسليط الشيطان على ذلك اي والا يلزم عدم الوثوق بالوحي. وقال الفخر الرازي
هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى اي والشيطان لا يجترئ ان ينطق بشيء من الوحي. وقال بصحتها
جمع منهم خاتمة الحفاظ ابن حجر وقال رد القاضي عياض لا فائدة فيه ولا يعول
عليه هذا كلامه ونشر ان هذه السجدة في الناس حتى بلغ ارض الحبشة ان اهل مكة
اي معظمهم قد سجدوا واسلموا حتى الوليد بن المغيرة وسعيد بن العاص وفي كلام بعضهم
والقائل لا سلمة انه لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد
انهم اسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع بينهم فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجري
الحبشة فظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون بها من بقي بمكة اذا اسلم هؤلاء عشائرنا احب
الينا فخرجوا اي خرج جماعة منهم من ارض الحبشة راجعين الى مكة اي وكانوا ثلاثة وثلاثين
رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وذلك في شوال حتى
اذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا فسالوهم عن قريش فقال الركب ذكر محمد آلهتهم

فتابعه الملأ ثم عاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر وتركهم على ذلك فابتدأ القوم في الرجوع
الى ارض الحبشة ثم قالوا اذ بلغنا مكة ندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهد من اراد باهله
ثم نرجع فدخلوا مكة اي بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا قال في الامتاع وسبب رجوع من كان
هاجر الى الحبشة الى مكة كان بعد الخروج من الشعب هذا كلامه وفيه نظر ظاهر ويرشد
اليه البيري لانهم مكثوا في الشعب ثلاث سنين او سنتين ومكث هولاء عند النجاشي حينئذ
كان دون ثلاثة اشهر كما علمت وايضا الهجرة الثانية للحبشة انما كانت بعد دخول الشعب
كما ياتي قال في الاصل ولم يدخل احد منهم الا بجوار الا ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم رجع الى ارض
الحبشة اي وهذا من صاحب الاصل تصريح بان ابن مسعود كان في الهجرة الاولى وهو موافق في ذلك
لشيخه الحافظ الدمياطي لكن الحافظ الدمياطي جزم بان ابن مسعود كان في الهجرة الاولى ولم يحك
خلافا وما جاء في الاصل حكى عنه انه لم يختلف اهل السير جزم ابن اسحاق حيث قال ابن مسعود انما
كان في الهجرة الثانية فكان ينبغي لمثله ان يقول على ما تقدم هذا وفي كلام بعضهم فلم يدخل
احد منهم مكة الا مستخفيا وكلهم دخلوا مكة الا عبد الله بن مسعود فانه رجع الى ارض الحبشة
وقد يقال لما لم يطل مكث ابن مسعود بمكة ظن بانه لم يدخلها فلا يخالف ما سبق ويجوز ان يكون
اكثرهم دخل مكة بلا جوار فاطلقوا على الكل انهم دخلوا مستخفين فلا يخالف ما سبق ايضا
ولما رجعوا لقوا من المشركين اشد ما عهدوا • قال وممن دخل بجوار عثمان بن مظعون دخل في
جوار الوليد بن المغيرة ولما راى ما يفعل باصحابه من الاذى قال والله ان غدوي ورواحي
آمنا بجوار رجل من المشركين واصحابي واهل ديني يلقون من الاذى في الله ما لا يصيبني لنقص
كبير مني فمشى الى الوليد فقال له يا ابا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك فقال له
يا ابن اخي لعله آذاك احد من قومي وانت في ذمتي فاكفيك ذلك فقال والله ما عرض لي احد
ولا آذاني ولكني ارضى بجوار الله عز وجل واريد ان لا استجير بغيره قال انطلق الى المسجد
فاردد الي جواري علانية كما اجرتك علانية فانطلقا حتى اتيا المسجد فقال الوليد هذا
عثمان قد جاء يرد علي جواري فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريما ولكني لا استجير
بغير الله عز وجل فقد رددت عليه جواره فقال الوليد اشهدكم اني بريء من جواره الا ان يشاء
ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم قبل اسلامه فجلس
عثمان معهم فقال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل • فقال عثمان صدقت • فقال لبيد
وكل نعيم لا محالة زائل • فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش
ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه في سفهاء فارقوا

وممّا ورد في السة

دينا

دينا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب
يرى ما بلغ من عثمان فقال اما والله يا ابن اخي كانت عينك لغنية عما اصابها ولقد كنت في ذمة منيعة
فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت غنيا فقال عثمان بل كنت الى الذي لقيت فقيرا والله ان عيني
الصحيحة التي لم تلطم لفقيرة الى مثل ما اصاب اختها في الله عز وجل ولي فيمن هو احب الي منكم اسوة واني
لفي جوار من هو اعز منك انتهى فعثمان فهم ان لبيد اراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة ومن
ثم قال له نعيم الجنة لا يزول لا يقال لولا ان لبيد اراد مطلق النعيم الشامل لنعيم الآخرة
لما تسوغ من الرد عليه لانا نقول يجوز ان يكون التسوغ من حيث فهم عثمان ان لبيد اراد ذلك فعلى
ان هذا البيت قاله لبيد قبل ان يسلم قال هذا الشعر قبل اسلامه ويؤيده ما قيل اكثر اهل الاخبار
على ان لبيد لم يقل شعرا منذ اسلم ويرده ما في الاستيعاب انه قال الا كل شيء ما خلا
الله باطل اي في شعر حسن فيه ما يدل على انه قاله في الاسلام وكذا قوله وكل امرئ يوما
سيعلم سعيه • اذا كشفت عند الاله المحاصل • وقد يقال لا يلزم من قوله المذكور الذي لا يصدر
لما ياتي الا من مسلم ان يكون قاله في حال اسلامه كما وقع لامية بن ابي الصلت حيث قال في شعره
ما لا يقوله الا المسلم مع كفره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيه آمن شعره وكفر قلبه وفي
رواية كاد يسلم • وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله صلى الله عليه وسلم اصدق بيت قالته
العرب كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل اعلم ان الموجودات كلها وان وصفت بالباطل
فهي حق من حيث الوجود ولكن سلطان المقام اذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلا
من حيث انه لا وجود له من ذاته فحكمه حكم العدم وهذا اعني قول بعضهم قوله باطل اي كالباطل
لان العالم قائم بالله تعالى لا بنفسه فهو من هذا الوجه باطل والعارف اذا وصل الى مقام
القرب من بعد ان عرف انه ربما تلاشت هذه الكائنات وغيب عن شهودها بشهود الحق لانها
زائلة من الوجود بالكلية ثم اذا كمل عرفانه يشهد الحق تعالى والخلق معا في آن واحد وما كل احد
يصل الى هذا المقام فان غالب الناس ان شهد الحق لم يشهد الخلق وان شهد الخلق لم يشهد الحق لما تقدم
عند القوم على الوحدة انه لا يدركها الا من ادرك اجتماع الضدين وعلم من لم يشهد الا قول
الاستاذ الشيخ ابي الحسن البكري رضي الله عنه استغفر الله مما سوى الله لان الباطل يستغفر
من اثبات وجوده لذا ثبت بوا في قول اكثر اهل الاخبار قول السهيلي وانه لبيد وحسن اسلامه
وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فسأله عمر رضي الله عنه عن ذلك فقال
عن تركه الشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد ان علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم البقرة وآل
عمران فزاده عمر في عطائه خمسمائة من اجل هذا القول فكان عطاؤه الفين وخمسمائة وقيل

مبحث الا كل شيء ما خلا الله باطل

وقيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام وهو • الحمد لله الذي لم ياتني اجلي حتى اكتسيت من الاسلام سربالا
قال وممن دخل بجوار ابو سلمة بن عبد الاسد بن عمته صلى الله عليه وسلم فانه دخل في جوار خاله
ابي طالب ولما اجاره مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا له يا ابا طالب منعت منا ابن اخيك فما لك
ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بي وهو ابن اختي وانا ان لم امنع ابن اختي لم امنع ابن اخي
فقام ابو لهب على اولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ
في جواره من قومه والله لتنتهن او لاقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما اراد فقالوا بل
ننصرف عما تكره يا ابا عتبة اي لانه كان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى
اي وطمع ابو طالب في ابي لهب حيث سمعه يقول ما ذكر ورجا ان يقوم معه في شانه صلى الله عليه
وسلم وانشد ابياتا يحرضه فيها على نصرته صلى الله عليه وسلم • وممن اوذي في الله بعد اسلامه
ووقع له نظير ما وقع لعثمان بن مظعون عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسبب اسلامه على ما حدث
به بعضهم قال قال لنا عمر بن الخطاب اتحبون ان اعلمكم كيف كان بدو اسلامي اي ابتداؤه
والسبب فيه فقلنا نعم قال كنت من اشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا في
يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش اي وهو نعيم بن
عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل له ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال فيه لقد سمعت •
نحمة في الجنة اي صوته وحسه كان يخفي اسلامه خوفا من قومه واخبرني ان اختي بغي ام
جميل واسمها فاطمة كما تقدم وقيل زينب وقيل امنة قد صبت اي اسلمت وكذا زوجها
وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل احد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن عم عمر وكانت
اخت سعيد عاتكة تحت عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع
الرجل والرجلين اذا اسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه يصيبان من طعامه وقد ضم •
الى زوج اختي رجلين ممن اسلم اي احدهما خباب بن الارت بالمثناة فوق والاخر
لم اقف على اسمه • وفي السيرة الشامية الاقتصار على خباب وانه كان يختلف اليهما
ليعلمهما القران فجئت حتى قرعت الباب فقيل من بالباب قلت ابن الخطاب وكان
القوم جلوسا يقرؤون صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا اي فاستخفوا ونسوا الصحيفة
فقامت المراة اي اختي ففتحت الباب فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغني انك قد
صبوت وضربتها بشيء كان في يدي فسال الدم فلما رات الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب
ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت فدخلت وجلست على السرير فنظرت فاذا بالصحيفة
في ناحية من البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطينيه اي فان عمر كان كاتبا فقالت

سبب اسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لا اعطيكه

لا اعطيكه لست من اهله انت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذا لا يمسه الا المطهرون فلم ازل
بها حتى اعطتنيه اي بعد ان اغتسل كما في بعض الروايات وفي بعض الروايات قالت له
يا اخي انك نجس على شركك فانه لا يمسه الا المطهرون وقولها لا تغتسل من الجنابة ربما
يخالفه قول بعضهم ان اهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة وكون عمر كان يخالفهم في ذلك
من البعد البعيد وكون هذا مما يحمل عليها انه لم يغتسل غسلا يعتد به يخالفه ما تقدم عن
بعض الروايات انه لما اغتسل دفعت له تلك الرقعة وفي لفظ قالت له انا نخاف عليها
فقال لا تخافي وحلف لها بالهته ليردنها اذا قراها فدفعتها له اي وطمعت في اسلامه
فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم ذعرت اي فزعت
ورميت الصحيفة من يدي ثم رجعت الى نفسي فاخذتها فاذا فيها سبح لله ما في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من اسمائه عز وجل ذعرت اي فانها ثم ترجع
الي نفسي فاخذها حتى بلغت امنوا بالله ورسوله الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما
سمعوا مني وحمدوا الله تعالى ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا فقال اللهم اعز الاسلام وفي لفظ ايد الاسلام باحد الرجلين اما بابي جهل بن هشام
واما بعمر بن الخطاب اي وفي لفظ احب هذين الرجلين اليك ابي الحكم عمرو بن هشام يعني
ابا جهل وعمر بن الخطاب اي وفي غيرها رواية بعمر بن الخطاب من غير ذكر ابي جهل وعن
عائشة رضي الله عنها انها قالت انما قال صلى الله عليه وسلم اللهم اعز عمر بالاسلام لان
الاسلام يعز ولا يعز اي ولعل قول عائشة ما ذكر نشا عن اجتهاد منها بعد لم تبلغها
واستبعادها اي يعز الاسلام بعمر فليتامل وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعاء
فاسلم عمر يوم الخميس قال عمر رضي الله عنه فلما عرفوا مني الصدق قلت لهم اخبروني بمكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو في بيت باسفل الصفا ووصفوه اي وهي دار الارقم فخرجت
وفي رواية ان عمر قال يا خباب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خباب وابن
عمه سعيد قال عمر فلما قرعت الباب قيل من هذا قلت عمر بن الخطاب فما اجترا احد ان يفتح الباب
لما عرفوا من شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وفي لفظ يتهدده بابيات الينا وهي لغة ففتحوا لي
اي والذي اذن في دخوله حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فان اسلام عمر كان بعد اسلام
حمزة بثلاثة ايام وقيل بثلاثة اشهر وكان اسلام عمر وهو ابن ست وعشرين سنة قال

واسلم وهو ابن ست وعشرين سنة

واخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست
بين يديه صلى الله عليه وسلم فاخذ بمجامع قميصي فجذبني اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب
اللهم اهده فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون بتكبيرة
سمعت بطرق مكة اي وفي الاوسط للطبراني ورواه الحاكم باسناد حسن عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ضرب صدر عمر بيده حين اسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم اخرج ما في
صدر عمر من غل وابدله ايمانا اي ولعل خبابا او سعيدا لم يدخله صدره والا لبشر باسلام عمر
وفي رواية لما ضرب الباب وسمعوا صوته قام رجل فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا سيفه
اي ولم ير معه خبابا ولا سعيدا فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول
الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه نعوذ بالله من شره فقال حمزة بن عبد المطلب
فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه وفي لفظ
انه صلى الله عليه وسلم قال ان جاء بخير قبلناه وان جاء بشر قتلناه وفي لفظ ان يرد الله بعمر خيرا يسلم
وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فاذن
له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في صحن الدار فاخذ بحجزته
وجذبه جذبة شديدة وقال اما انت يا ابن الخطاب فوالله ما ادرى ان تنتهي حتى ينزل
الله بك قارعة وفي لفظ اخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وقال اما انت منتهيا يا عمر حتى
ينزل الله بك من الخزي والنكال ما انزل بالوليد بن المغيرة اي احد المستهزئين به صلى الله
عليه وسلم كما تقدم فقال عمر يا رسول الله جئت لاومن بالله وبرسوله اشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكبيرة عرفت وفي رواية سمعها اهل المسجد وفي رواية لما جاء وقرع الباب فوجد
بلالا وراء الباب فقال بلال من هذا فقال عمر بن الخطاب فقال حتى استاذن لك على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلال يا رسول الله عمر بالباب فقال صلى الله عليه
وسلم ان يرد الله به خيرا ادخله في الدين فقال لبلال افتح له الباب واخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بضبعيه فهزه وفي رواية اخذ بساعديه وانتهره فارتعد
عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس وفي لفظ اخذ بمجامع ثيابه ثم نتره
نترة فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم هذا عمر
ابن الخطاب اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب ما الذي تريد وما الذي جاء بك
فقال عمر اعرض علي الذي تدعو اليه فقال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

وان

ولما اسلم عمر رضي الله عنه

وان محمدا عبده ورسوله فاسلم عمر مكانه فقولوا ولا ينافي هذا ما تقدم من اسلامه وانه أتى
بالشهادتين في بيت اخته قبل خروجه اليه صلى الله عليه وسلم وقوله ولم يعلموا اسلامي
لانه يجوز ان يكون مراده بقوله جئت لاومن جئت لاظهر ايماني عندك وعند اصحابك
اي وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم يا ابن الخطاب الى اخره
وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم اعرض علي الذي تدعو اليه يجوز ان يكون عمر رضي الله
عنه جوز ان الذي يدعو اليه ويصير به المسلم مسلما اخص مما نطق به من الشهادتين
والله اعلم • قال عمر واحببت ان يظهر اسلامي وان يصيبني ما اصاب من اسلم من العذر
والاهانة فذهبت الى خالي وكان شريفا في قريش واعلمته اني صبوت اي وهو
ابو جهل فنجاء في بعض الروايات قال عمر لما اسلمت تذكرت اي اهل مكة اشد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى اتيه فاخبره اني قد اسلمت فذكرت
ابا جهل فجئت اليه ودققت عليه الباب فخرج الي وقال مرحبا واهلا بك يا ابن
اختي ما جاء بك فقلت جئت له لاخبرك وفي لفظ لابشرك ببشارة قال ابو جهل
وما هي يا ابن اختي فقلت اني قد امنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم
وصدقت ما جاء به فضرب الباب في وجهي اي اغلقه وهو بمعنى اجاف الباب كما في بعض
الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به اي وانما كان ابو جهل خال عمر رضي الله عنه
لان ام عمر اخت ابي جهل وقيل لان ام عمر بنت بنت هشام بن المغيرة والد ابي جهل
فابو جهل خال ام عمر وقيل ان ام عمر بنت عم ابي جهل وصححه ابن عبد البر وعصبة
الام اخوال الابن قال عمر وجئت رجلا اخر من عظماء قريش واعلمته اني صبوت فلم يصبني
بما يصيبهم فقال لي رجل تحب ان يعلم اسلامك قلت نعم قال اذا جلس الناس يعني قريشا
في الحجر واجتمعوا فات فلانا لشخص كان لا يكتم السر اي وهو جميل بن معمر رضي الله عنه
فانه اسلم يوم الفتح وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حنينا وكان يسمى ذا القلبين
وفيه نزلت ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومات في خلافة عمر رضي الله عنه
وحزن عليه عمر حزنا شديدا فقل له فيما بينك وبينه اني قد صبوت قال فلما اجتمع
الناس في الحجر جئت الرجل فدنوت منه واخبرته فهو نادى باعلاه فقال الا ان
عمر ابن الخطاب قد صبا فما زال الناس يضربوني واضربهم فقام خالي يعني ابا جهل على
الحجر فاشار بكمه فقال الا اني قد اجرت ابن اختي فانكشف الناس عني فصرت بعد ذلك
ارى الواحد من المسلمين يضرب وانا لا اضرب فقلت ما هذا بشيء حتى يصيبني ما يصيب المسلمين

فانهضت حتى طلع الناس في الحجر ومكثت الى خالي وقلت له جوارك عليك رد فقال لا تفعل يا ابن اختي
فقلت بل هو ذلك فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام • وفي السيرة الهشامية بينما
القوم بينما كذلك تروونهم اذ اقبل شيخ من مرتبش عليه حلة حبرة وقميص موشي حتى وقف عليهم
اي وهو العاص بن وائل فقال ما شأنكم قالوا صبا عمر قال فمه رجل اختار لنفسه امرا فما
ذا تريدون اترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا
عنه كانما هم ثوب كشط عنه • اي وفي البخاري لما اسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا
صبا عمر فبينما عمر في داره خائفا اذ جاءه العاص بن وائل فقال له ما بالك قال زعم قومك انهم
سيقتلونني ان اسلمت اي لاجل اني اسلمت قال امنت لا سبيل اليك فخرج العاص فلقي الناس
فتسايل بهم الوادي فقال اين تريدون قالوا نريد هذا عمر بن الخطاب الذي صبا
قال لا سبيل اليه فما للرجال فكر الناس وتصدعوا عنه اي وتذكروا ان عتبة بن
ربيعة وثب عليه فالقاه عمر الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وادخل اصبعيه
في عينيه فجعل عتبة يصيح وصار لا يدنو منه احد الا اخذ بشر اسيفه اي اطراف
اصابعه • وعن عمر رضي الله عنه في سبب اسلامه قال خرجت اتعرض لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح
سورة الحاقة فجعلت اتعجب من تاليف القران فقلت هذا والله شاعر كما قالت
قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال فقلت
كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى اخر السورة فوقع
الاسلام في قلبي كل موقع • اي ومن ذلك ما في السيرة الهشامية عن عمر رضي الله عنه
قال جئت المسجد اريد ان اطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم
يصلي وكان اذا صلى استقبل الشام فكان مصلاه صلى الله عليه وسلم بين الركن اليماني
والحجر الاسود لانه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا حينئذ كما تقدم فقلت
لو اني استمعت لمحمد الليلة حتى اسمع ما يقول ثم قلت لئن دنوت منه لاسمع منه
لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها يعني الكعبة وجعلت امشي رويدا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فقرأ صلى الله عليه وسلم الرحمن حتى
قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة فلما سمعت القران رق له
قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فلم ازل قائما في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف فتبعته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل سبب اسلام عمر

حتى عرفني فظن اني انما تبعته لاوذيه فنهمني اي زجرني ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة
قلت جئت لاؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله • وفي رواية ان عمر ضرب اخته المخاض ليلة فخرج من
البيت فدخلت في استار الكعبة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى فيه ما شاء الله
ثم انصرف فسمعت شيئا لم اسمع مثله فخرج فتبعته فقال من هذا فقلت عمر قال يا عمر ما تتركني ليلا
ولا نهارا فخشيت ان يدعو علي فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال يا عمر استره
قلت لا والذي بعثك بالحق لاعلننه كما اعلنت الشرك فحمد الله تعالى ثم قال هداك الله يا عمر
ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته ويحتاج
للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم رايت العلامة ابن حجر الهيتمي قال ويمكن الجمع
بتعدد الواقعة قبل اسلامه هذا كلامه فليتامل ما فيه • قال ومن ذلك ما كان سببا لاسلام
عمر ان ابا جهل ابن هشام قال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم الهتكم وسفه احلامكم وزعم ان من
مضى من اسلافكم يتهافتون في النار الا ومن قتل محمدا فله علي مائة ناقة حمراء وسوداء والف
اوقية من فضة اي وفي لفظ جعلوا لمن يقتله كذا وكذا اوقية من الذهب وكذا وكذا اوقية
من الفضة وكذا وكذا نافجة من المسك وكذا وكذا ثوب وغير ذلك فقال عمر انا لها فقالوا له
انت لها يا عمر وتعاهد معهم على ذلك قال عمر فخرجت متقلدا سيفي متنكبا كنانتي اي جعبتي
في منكبي اريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل يذبح فسمعت من جوفه صوتا
يقول يا آل ذريح امر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله فقلت في نفسي ان هذا الامر لا يراد به الا انا وذريح اسم للعجل المذبوح
وقيل له ذلك من اجل الدم لان الذريح شديد الحمرة يقال احمر ذريحي اي شديد الحمرة
ثم مررت برجل اسلم وكان يكتم اسلامه خوفا من قومه يقال له نعيم اي ابن عبد الله النحام
اي كما تقدم فقال لي اين تريد يا ابن الخطاب قال اريد هذا الصابي الذي فرق امر
قريش وسفه احلامها وسب الهتها فاقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك
نفسك اترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض وقد قتلت محمدا افلا
ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم قال واي اهل بيتي قال ختنك اي زوج اختك
وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل واختك فقد اسلما فعليك واياهما لكن
نعيم يقصد منعه من اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذي لقيه سعد بن ابي
وقاص فقال له اين تريد يا عمر فقال اريد ان اقتل محمدا قال له انت اصغر واحقر
من ذلك تريد ان تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف ان تمشي على الارض فقال له عمر

ما اراك الا قد صبأت فابدأ بك فاقتلك فقال سعد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا ان يختلطا ثم قال سعد
لعمر ما لك يا عمر لا تنقم هذا بختنك واختك فقال صبأتا قال نعم فتركه عمر وسار الى منزل
اخته اي ولا مانع ان يكون لقي كلا من نعيم وسعد بن ابي وقاص وقال له كل منهما ما ذكر وفي هذه
الرواية وجد عندهم خباب بن الارت معه صحيفة فيها سورة طه يقرؤها عليهم وانه رد
عليهم الباب فلما سمعوا احس عمر تغيب خباب اي وترك الصحيفة ولما دخل عمر قال لاخته ما هذه
الهينمة التي سمعت قالت له ما سمعت شيئا غير حديث تحدثنا به بيننا قال بلى والله لقد اخبرت
انكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بزوج اخته فالقاه الى الارض وجلس
على صدره واخذ بلحيته فقامت اليه اخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها اي فلما رأت الدم
قالت له يا عدو الله اتضربني على ان اوحد الله تعالى لقد اسلمنا على رغم انفك فاصنع
ما انت صانع فلما رأى ما باخته وما صنع بزوجها ندم وقال لاخته اعطيني هذه الصحيفة
انظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا قالت اخته انا نخشى عليها فحلف ليردنها اذا
قرأها فقالت له يا اخي انك نجس ولا يمسها الا المطهرون فقام واغتسل اي وفي لفظ
فذهب يغتسل فخرج اليها خباب وقال اتدفعين كتاب الله تعالى الى عمر وهو كافر
قالت نعم اني ارجو ان يهدي الله اخي ورجع خباب الى محله ودخل عمر فاعطته تلك
الصحيفة فلما قرأها عمر وبلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى
قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله انتهى • اي وفي رواية انه لما
قرأ الصحيفة قال ما احسن هذا الكلام واكرمه اي وقيل انه لما انتهى الى قوله تعالى
انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري قال ينبغي لمن يقول
هذا الا يعبد معه غيره فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال يا عمر اني لارجو
ان يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فاني سمعته امس يقول
اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال
له عند ذلك دلني يا خباب على محمد حتى اتيه فاسلم عنده وعند اصحابه فلا ينافي
ما في الرواية الاولى انه اسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه نفر من اصحابه
فهذا له رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث اقول ويمكن الجمع بين
الروايتين حيث كانت القصة واحدة ولم تتعدد بانه يجوز ان يكون زوج اخته
استخفى ولازم خباب ورد تبعهم ظهره ناوقع بره باخته ما ذكر وانه في الرواية الاولى

اقتصر

اقتصر على ذكر اخته وان الصحيفة تعددت واحدة فيها سبح لله ما في السموات والارض
والثانية فيها طه واقتصر في الرواية الاولى على احداهما وهي التي فيها سبح وفي الثانية على التي
فيها طه وانه في الرواية الاولى اسلم وفي الثانية سكت عن ذلك والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله
عنهما لما اسلم عمر رضي الله عنه قال المشركون لقد انتصف القوم منا • وعن ابن عباس ايضا لما اسلم
عمر نزل جبريل فقال يا محمد قد استبشر اهل السماء باسلام عمر • قال وروى البخاري عن ابن مسعود
ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر انتهى زاد بعضهم عن ابن مسعود والله لقد رأيتنا وما نستطيع
ان نصلي بالكعبة اي عندها ظاهرين آمنين حتى اسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا فصلينا اي
وجهرنا بالقراءة وكانوا قبل ذلك لا يقرؤون الا سرا كما تقدم • وعن صهيب لما اسلم عمر
جلسنا حوله حلقا وفي كلام ابن الاثير مكث صلى الله عليه وسلم مستخفيا في دار الارقم
ومن معه من المسلمين الى ان كملوا اربعين بعمر بن الخطاب وعند ذلك خرجوا وتقدم ما في ذلك
ومما يؤثر عن عمر رضي الله عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه • البيد هو الجواد
من بنان الحليم حين يستجهل • اشقى الولاة من شقيت به رعيته • اعقل الناس اعذرهم للناس
وفي مختصر تاريخ الخلفاء لابن حجر الهيتمي ان عمر اول من قال اطال الله تعالى بقاءك وايدك الله
قال ذلك لعلي رضي الله عنه • وهو اول من استقضى القضاة في الامصار • ويروى ان
الارقم هذا لما كان بالمدينة بعد الهجرة تجهز ليصلي في بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم يودعه فقال ما يخرجك اي من المدينة احاجة ام تجارة قال
لا يا رسول الله بابي انت وامي ولكن اريد الصلاة في بيت المقدس فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد
الحرام فجلس الارقم ولم يذهب لبيت المقدس ولما حضرته الوفاة اوصى ان يصلي عليه سعد
ابن ابي وقاص فلما مات كان سعد بالعقيق فقال مروان يحبس صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لرجل غائب واراد الصلاة عليه فابى ولده ذلك على مروان
ووقع بينهما كلام ثم جاء سعد وصلى عليه وقيل لعمر رضي الله عنه ما سبب تسمية
النبي صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال لما اسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه مختفون قلت يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي
نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق
لا يبقى مجلس كنت اجلس فيه بالكفر الا اظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف
والذي بعثك بالحق لتخرجن وخرجنا في صفين حمزة في احدهما وانا في الاخر

ومما يؤثر عن عمر رضي الله عنه

وعمر اول من استقضى القضاة

ويروى عن الارقم

وسبب تسميته فاروقا

اي لذلك الجمع كديد ككديد الطحين اي لك لذلك الجمع غبار ثاير من الارض لشدة وطئ الاقدام لان
الكديد التراب الناعم اذا وطئ ثار غباره قال حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والى حمزة فاصابتهم
كآبة لم يصبهم مثلها اي فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم رجع ومن معه الى دار
الارقم فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل
اي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم خرج في صفين حمزة في احدهما وعمر في الاخر لهم كديد ككديد
الطحين وفي رواية ان عمر رضي الله عنه قال له يا رسول الله لا ينبغي ان تكتم هذا الدين
اظهر دينك وفي رواية اترى الله لا يعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه المسلمون وعمر امامهم معه سيف ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد
ثم صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفي منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرءوا القران جهرا وكانوا قبل
ذلك لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقران • وفي المنتقى على ما نقله
بعضهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر امامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت
وصلى الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الارقم ومعه اي وفيه ان صلاة
الظهر لم تكن فرضت حينئذ الا ان يقال المراد بصلاة الظهر الصلاة التي كانت وقعت
في ذلك الوقت ولعل المراد بها صلاة الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة صلاها
في وقت الظهر • وعن عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو
اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله
ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب
واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت اي وقد قال له بعض نسائه صلى الله
عليه وسلم يا عمر اما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت
ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلي على عبد الله بن ابي بن سلول وفي
البخاري لما توفي عبد الله بن ابي جاء ولده عبد الله رضي الله عنه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فاعطاه وهذا الاعطاء
كما في تفسير البيضاوي وهي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
ويصلي عليه فلما مات ارسل له صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه لانه يحتمل

موافقات عمر للقرآن

ان

ان يكون ارسالها له القميص بسؤال ولده له صلى الله عليه وسلم بعد موت ابيه قال •
في الكشاف فان قلت كيف جازت له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه •
في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم النبي صلى الله
عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله
قميصه اي ولان الضنة بعدم ارسال القميص بها وقد سئل فيه مخل بالكرم وقال له
المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكن ناذن لك فقال لا ان لي في رسول
الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واكراما لابنه وفيه
تصريح بان ابن ابي كان مع المسلمين في بدر وفي الحديبية ثم ان ابنه سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يصلي عليه اي فقال له ان شئت ان تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء
اي وذلك بعد سؤال والده له صلى الله عليه وسلم في ذلك كما تقدم عن القاضي البيضاوي
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر رضي الله عنه فاخذ بثوب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله وقد نهاك ربك ان تصلي عليه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرت فقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم
ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسازيد على السبعين وفي رواية اتصلي
على ابن ابي وقد قال يوم كذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اني خيرت لو اعلم اني ان
زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون
والبيضاوي يعني التخيير في الاية وما الجمع بين قوله سازيد على السبعين وقوله لو
اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها ثم رأيت القاضي البيضاوي
قال في وجه التخيير وقوله سازيد على السبعين انه صلى الله عليه وسلم فهم من
السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم
ما وراءه فبين له الحق سبحانه وتعالى ان المراد به التكثير بقوله في
الاية الاخرى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه
وحينئذ يشكل قوله لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فانه
مقتض لعدم العلم بالعلة لا للصلاة عليه فليتامل وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه
ان في القران لقرانا من رأي عمر وما قال الناس في شيء وقال فيه عمر الا جاء القران

ومن موافقات عمر أيضا

بنحو ما يقول عمر وذلك إذ صلّ بعضهم موافقاته أي الذي نزل القرآن على وفق ما قال
وما أراد إلى أكثر من عشرين أي وذلك أفردها بعضهم بالتأليف وممن سئل عنها الجلال
السيوطي فأجاب عنها نظما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما نزل بالناس أمر فقال
الناس وقال عمر إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر • وعن مجاهد كان عمر يرى الرأي
فينزل به القرآن • ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه
ومن موافقاته ما سيأتي في أسارى بدر • ومنها أنه لما سمع قوله تعالى ولقد خلقنا
الإنسان من سلالة من طين الآية قال فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت كذلك
ومنها أن بعض اليهود قال له إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا فقال من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين فنزلت كذلك
واستأذن رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن له وقال له
يا أخي لا تنسنا من دعائك وفي رواية يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا
قال عمر ما أحب أن لي بقوله يا أخي ما طلعت عليه الشمس • وقال لو كان بعدي نبي لكان عمر
ابن الخطاب • وقال أول من يصافحه الحق عمر ابن الخطاب وأول من يسلم عليه • وقال
إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به • وممن نزل القرآن على وفق ما قال مصعب
ابن عمير أيضا كان اللواء بيده يوم أحد فلما سمع الصوت أن محمدا قد قتل صار يقول وما محمد
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فنزلت الآية على وفق ما قاله والله أعلم

باب اجتماع المشركين على منابذة بني هاشم وبني المطلب ابن عبد مناف وكتابة الصحيفة

لما اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد أبناءنا
ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة وليقتله رجل من غير قريش وتريحونا
وتريحون أنفسكم فأبى قومه فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم وبني
المطلب وإخراجهم من مكة إلى شعب أبي طالب فيه تصريح بأن شعب أبي طالب كان
خارجا من مكة والتضييق عليهم بمنع حضور الأسواق وأن لا يناكحوهم وأن لا يقبلوا
لهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
للقتل أي وفي لفظ لا تنكحوهم ولا تنكحوا إليهم ولا تبيعوهم شيئا ولا تبتاعوا منهم
شيئا ولا تقبلوا منهم صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة
أي توكيدا على أنفسهم وقيل كانت عند خالة أبي جهل وقد يجمع بأنه يجوز أن

تكون كانت عندها قبل أن تعلق في الكعبة على أنه سيأتي أنه يجوز أن الصحيفة تعددت
وكان ابتداء ذلك أي اجتماعهم وتحالفهم في خيف بني كنانة بالأبطح ويسمى المحصب وهو بأعلى مكة عند المقابر
فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الشعب إلا أبا لهب فإنه ظاهر عليهم
قريشا وكان سنه صلى الله عليه وسلم حين دخل الشعب ستة وأربعين سنة • وفي
الصحيح أنهم في الشعب جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر • وفي كلام السهيلي
كانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام يقتاته لعياله
فيقوم أبو لهب فيقول يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم
فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع
الرجل إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يطعمهم به فيغدو التجار
على أبي لهب فيربحهم هذه الكلمة ولا منافاة بين خروج أحدهم للسوق إذا جاءت العير
بالميرة إلى مكة وكونهم منعوا من الأسواق والمبايعة لهم كما لا يخفى وكان دخولهم
الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة أقول وفي رواية أن خروج
بني هاشم وبني المطلب إلى الشعب لم يكن بإخراج قريش لهم وإنما خرجوا إليه
لأن قريشا لما قدم عليهم عمرو بن العاص من عند النجاشي خائبا وردت عليه هديتهم
وفقد صاحبه الذي هو عمارة بن الوليد وبلغهم إكرام النجاشي لجعفر ومن معه
من المسلمين أي كما سيأتي وظهور الإسلام في القبائل كبر ذلك عليهم واشتد
أذاهم على المسلمين وأجمع رأيهم على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم علانية فلما
رأى أبو طالب ذلك جمع بني هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم الشعب ويمنعوه فدخلوا فبنو هاشم وبنو المطلب كانوا يد
واحدة لم يفترقوا حتى دخلوا معهم في الشعب وانخزل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل
ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته • جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا •
عقوبة شر عاجلا غير آجل • وقال في قصيدة أخرى لاميته •
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا • وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما •
فلما علمت قريش ذلك أجمع رأيهم على أن يكتبوا عهودا ومواثيق على أن لا يجالسوهم
الحديث وفيه أنه سيأتي أن خروج عمرو بن العاص إلى الحبشة إنما كان بعد الهجرة سنة
ثمانية وهي بعد دخول بني هاشم والمطلب إلى الشعب والله سبحانه وتعالى أعلم

باب الهجرة الثانية الى ارض الحبشة

لا يخفى انه لما دفع ما ذكروا انطلق الى الحبشة ثمانية من امن بالله ورسوله اي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وهذا انما على ان عمار بن ياسر كان منهم وقد اختلف في ذلك وكلام الاصل يشير الى ذلك وكان من الرجال جعفر بن ابي طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه امرأته ام حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر هناك ثم مات على النصرانية اي دينها وثبتت ام حبيبة رضي الله عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي وعن ام حبيبة رضي الله عنها قالت رأيت في المنام كان عبيد الله بن جحش زوجي باسوأ حال واقبح صورة ففزعت فاذا هو يقول حين اصبح يا ام حبيبة اني نظرت في هذا الدين فلم ار دينا خيرا من النصرانية وقد كنت دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم رجعت الى دين النصرانية قالت فقلت له والله ما خير لك واخبرته بما رأيت له فلم يحفل بذلك واكب على الخمر يشربها حتى مات فرأيت في المنام كأن آتيا اتاني يقول لي يا ام حبيبة يا ام المؤمنين ففزعت فأولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك اي وذكر ابن اسحاق ان ابا موسى الاشعري هاجر الى الحبشة ومراده انه هاجر اليها من اليمن لا من مكة كما فهم اولا فنبه فاعترض عليه في ذلك فان ابا موسى انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا في سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشي بالحبشة فوجدوا جعفرا واصحابه فامرهم جعفر بالاقامة فاستمروا اكثر من خمس سنين ثم قدموا عليه صلى الله عليه وسلم وجعفر عند فتح خيبر كما سيأتي وبهذا يندفع قول بعضهم ما ذكره ابن اسحاق من ان ابا موسى الاشعري هاجر من مكة الى الحبشة من الغريب جدا ولعله مدرج من بعض الرواة فاقاموا بخير دار عند خير جار فبعث قريش منهم عمرو بن العاص ومعه عمارة ابن الوليد بن المغيرة الذي ارادت قريش دفعه لابي طالب ليكون بدلا عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قتلوه بهدية الى النجاشي والهدية فرس وجبة ديباج اي واهدوا لعظماء الحبشة هدايا البرد وامثالها اليهم من المسلمين فلما دخلا عليه سجدا له وقعدوا احدهما عن يمينه والآخر عن شماله وفي كلام بعضهم فاجلس عمرو بن العاص

على

على سريره وقبل هذا بينهما فقالا ان نفرا من بني عمنا نزلوا ارضك فرغبوا عنا وعن الهتنا اي ولم يدخلوا في دينكم بل جاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قريش لتردهم اليهم قالوا اين هم قالا بارضك فارسل في طلبهم اي وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهما فهما اعرف بحالهم فقال لا والله حتى اسمع كلامهم اي على اي شيء هم فقال عمرو انهم لا يسجدون للملك اي وفي لفظ لا يسجدون لك ولا يحيونك كما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤوا قال لهم جعفر رضي الله عنه انا خطيبكم اليوم اي فانه لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه فقال جعفر ما ذكر وقال انما نقول ما علمنا وما امرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع يكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا اساقفته وامرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر واصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستاذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بامان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال له الملك ما لك لا تسجد وفي لفظ ان عمرا قال لعمارة الا ترى كيف يكنون بحزب الله وما اجابهم به وان عمرا قال للنجاشي الا ترى ايها الملك انهم مستكبرون لم يحيوك بتحيتك فقال النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي احيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذاك قال لان الله تعالى ارسل فينا رسوله وامرنا ان لا نسجد الا لله عز وجل واخبرنا ان تحية اهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا اي وعرف النجاشي ان ذلك لانه كذلك في الانجيل كما قيل اي وامرنا بالصلاة اي غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التي هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي والزكاة اي مطلق الصدقة لان الزكاة انما هي لم تكن فرضت قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم ولا يقولون انه ابن الله عز وجل قال فما تقولون في ابن مريم وامه قال نقول كما قال الله عز وجل روح الله وكلمته القاها الى مريم العذراء اي البكر البتول اي المنقطعة عن الازواج التي لم يمسها بشر ولم يفترضها اي لم يؤثر فيها ولد الا بعد عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيدون على ما تقولون اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى في الانجيل ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخ روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله انه قال له كن فيكون اي حصل من كاف التكوين وفي لفظ ان النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا

رسولا الى حضرته ما ذكر هؤلاء فقالا اللهم نعم فقد بشر به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر
بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما انا فيه من الملك لاتيته حتى اكون انا الذي احمل نعله واوضيه اي
اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم سيوم بارضي اي آمنون بها وامر لهم بما يصلحهم من الرزق
وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي لفظ فقال اذهبوا فانتم آمنون
من سبكم غرم قالها ثلاثا اي اربع دراهم ومنعها كما جاء في بعض الروايات وامر بهدية عمرو
ورفيقه فردت عليهما. وفي لفظ قال النجاشي ما احب ان يكون لي دبر من ذهب اي جبل وان
اوذي رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي
ملكي فآخذ الرشوة وما اطاع الناس في فاطيعهم فيه وكان النجاشي اعلم النصارى بما انزل الله
على عيسى وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى لياخذوا عنه العلم اي وقد بينت عائشة رضي الله عنها
السبب في قول النجاشي ما اخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي وهو ان والد النجاشي كان ملك
الحبشة فقتلوه وولوا اخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيبا حازما
وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا ان
يتولى عليهم فيقتلهم لقتلهم اباه فمشوا الى عمه في قتله فابى واخرجه وباعه ثم لما كان
تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فقتلته فلما رأت الحبشة ان لا يصلح امرها الا النجاشي
ذهبوا وجاءوا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة
حسنة. وفي رواية ان بعض التجار الذي اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده
ومكث عنده مدة ثم لما مرج امر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه واتوا به
من عند سيده ويدل لذلك ما سياتي عند ابن عقبة وفيه بعد ارسل خلف من عنده من
المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له
ما هذا ايها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله تعالى اذا احدث لعبده نعمة وجب
على العبد ان يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد احدث الينا واليكم نعمة عظيمة
وهي ان محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو واعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك
كنت ارعى فيه الغنم لسيدي وهو من بني ضمرة وان الله تعالى قد هزم اعداءه
ونصر دينه. وذكر السهيلي ان بكاءه عندما تليت عليه سورة مريم اي كما سياتي حتى
اخضلت لحيته اي ابتلت مع طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما فهم به تلك
السورة. قال عن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا
خير جار وامنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك

ولاية النجاشي الملك

قريشا

قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة
وكان اعجب ما ياتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا
له هدية اي هيئوا الذهب هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه
يجوز ان يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على بعض
ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على اتباعه تبعا ويؤيده على ما جاء وابعده
وان الاقتصار على الفرس والجبة في الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا
عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص ليطلبا من النجاشي ان يسلمنا لهما اي قبل ان يكلمنا
وحيث لم يظفرا منه بذلك لهما اولا هداياهم اليهم قالوا لهم اذا كلمنا الملك
فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا قبل ان يكلمهم فوافقوا وقدم عليه قريش فقدما
ذكرا لهم فقالا لهما اذ قدمنا الكل بطريق هديته قبل ان يكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي
هداياه ثم سالاه ان يسلمهم اليهما قبل ان يكلمهم فلما جاءا الى الملك قالا له ايها الملك انه
قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين
مبتدع لا نعرفه نحن ولا انت اي جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم
يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من ابائهم واعمامهم وعشائرهم
لتردهم اليهم فهم اعلم بما عابوا عليهم فقالت البطارقة صدقوا ايها الملك قومهم
اعلم بهم فسلمهم اليهما ليردوهما الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي فقال لاها الله اي
لا والله لا اسلمهم ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من
سواي حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان في امرهم فان كان كما يقولان سلمتهم
اليهما وان كان غير ذلك منعتهما منهم واحسنت جوارهم ما جاوروني ثم ارسل لنا ودعانا فلما
دخلنا سلمنا فقال له من حضره ما لكم لا تسجدون للملك فقلنا لا نسجد الا لله عز وجل
قال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين
احد من الملل فقلنا ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة
وناتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار وياكل القوي الضعيف فكنا على
ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا
نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفته فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده
ونخلع اي نترك ما كان يعبد اباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا ان نعبد
الله وحده وامرنا بالصلاة اي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والزكاة

اي مطلق الصدقة والصيام اي ثلاثة ايام من كل شهر اي وهما البيض واي ثلاثة على الخلاف في ذلك وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء اي ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وامنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك مما جاء به شيء قلنا نعم قال فاقرأه علي فقرأت عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضل لحيته وبكت اساقفته وفي لفظ هل عندك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر نعم قال فاقرأه قال قال البغوي فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه واعين اصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذي جاء به موسى اي وفي رواية ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة اي وهذا مما يدل على ان عيسى كان متعبدا بما جاء به موسى وفي رواية بدل موسى عيسى وفي رواية ما في لفظ اشنعه فيما زاد هذا على ما في الانجيل الا هذا العود واشار الى عود كان في يده اخذه من الارض • وفي لفظ ان جعفرا قال للنجاشي سلهما اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل احرار فقال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكم ابدا اي وفي رواية ولو اعطيتموني دبرا من ذهب اي جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي اي اتى اليه في غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون في عيسى قولا عظيما اي يقولون انه عبد الله اي وانه ليس ابن الله اي وفي لفظ ان عمرا قال للنجاشي ايها الملك انهم يشتمون عيسى وامه في كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ما تقدم في الرواية الاولى وهذا الكلام وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو خلاف ما عليه الناس فليتأمل • وروى الطبراني عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه بسند فيه رجال الصحيح ان عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد اي للعداوة التي وقعت بينه وبينه في سفرهما اي من ان عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا فهويته امراة عمرو وهويها فنزل هو واياها في السفينة فقال له عمارة مر امراتك فلتقبلني فقال له عمرو الا

ومكر عمرو بعمارة

تستحي

تستحي فاخذ عمارة عمرا ورمى به في البحر فجعل عمرو يصيح ويناديا اصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى ادخله السفينة فاضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامراته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما اتيا ارض الحبشة مكر به عمرو فقال انك رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها ان تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وتكرر ترداده عليها حتى اهدت اليه من عطرها اي وكان يدخل عندها يوما فلما تأتى لعمرو ذلك اتى الى النجاشي واخبره بذلك فقال له ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد اهلك وهو عندها الان فاعلم علم ذلك فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امراته فقال لولا انه جاري لقتلته ولكن سافعل به ما هو شر من القتل فدعى بساحر فنفخ في احليله نفخة طار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش في الجبال الى ان مات علم من ذلك انه انتهى اي ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد •

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه • ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما •
قضى وطرا منه وغادر سبة • اذا ذكرت امثالها تملأ الفما •

ولا زال عمارة مع الوحوش الى ان كان في زمن خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وان ابن عمه عبد الله بن ابي ربيعة رضي الله عنه في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد استأذن في السير اليه لعله يجده فاذن له عمر رضي الله عنه فسار عبد الله الى ارض الحبشة واكثر النشدة عنه والفحص عن امره حتى اخبر انه في جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وامسكه فجعل يقول له ارسلني والا اموت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتي في غزوة بدر انهم ارسلوا للنجاشي عمرو بن العاص ايضا وعبد الله ابن ابي ربيعة هذا وكان اسمه قبل ان يسلم بحيرا فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وابو ربيعة الذي هو ابو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وام عبد الله هي ام ابي جهل ابن هشام فهو اخو ابي جهل لامه ارسلوهما اليه ليدفع لهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم بمن قتل في بدر • ومكث بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين في اشد ما يكون من البلاء وضيق العيش وولد عبد الله بن عباس في الشعب ومن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه ذلك وقالوا انظروا ما اصاب كاتب الصحيفة اي من شلل يده وصار لا يقدر احد ان يوصل اليهم طعاما ولا ادما حتى ان ابا جهل لقي حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة زوج النبي

ومكث بني هاشم بالشعب

صلى الله عليه وسلم وهو معه في الشعب فتعلق به وقال اتذهب بالطعام الى بني هاشم
والله لا تذهب انت وطعامك حتى افضحك بمكة فقال له ابو البختري ابن هشام
مالك وماله فقال ابو جهل انما يحمل الطعام لبني هاشم فقال ابو البختري طعام
كان لعمته عنده افتمنعه ان يأتيها به خل سبيل الرجل فابى ابو جهل حتى نال
احدهما من صاحبه فاخذ ابو البختري لحي بعير اي العظم الذي تنبت عليه الاسنان
فضربه به وشجه ووطئه وطأ شديدا وابو البختري بالخاء المهملة وفي مختصر
السيرة الشامية بالخاء المعجمة ممن قتل ببدر كافرا ۰ وحكي ان هاشم بن عمرو بن
الحارث العامري رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك ادخل عليهم في ليلة
ثلثة احمال طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا اليه حين اصبح وكلموه
في ذلك فقال اني غير عائد لشيء خالفكم ثم ادخل عليهم ثانيا حملا وقيل حملين
فغلظت به قريش فقالت له اي اغلظت له القول وهمت به فقال ابو سفيان
ابن حرب دعوه رجل وصل رحمه اما اني احلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان
احسن بنا ۰ وكان ابو طالب في كل ليلة يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتي
فراشه ويضطجع به فاذا نام الناس امر احد بنيه او غيرهم اي من
اخوته او بني عمه ان يضطجع مكانه خوفا عليه ان يغتاله احد ممن يريد به
السوء ۰ ثم اطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ان الارضة اي
وهي سوسة تأكل الخشب اذا مضى عليها سنة تنبت لها جناحان تطير بهما
وهي التي دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام
اكلت ما في الصحيفة من جور وظلم وعدوان اي الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة
الرحم ولم تدع فيها اسما لله تعالى الا اثبتته وفي رواية ولم تترك الارضة
في الصحيفة اسما لله عز وجل الا لحسته وبقي ما فيها من شرك او ظلم وقطيعة
رحم وهي اي الرواية الاولى اثبت من الثانية قال وجمع بين الروايتين فانهم
كتبوا نسختين فاكلت الارضة من بعض النسخ اسم الله تعالى ومن بعضها ما عدا
اسم الله تعالى لئلا يجتمع اسم الله تعالى مع ظلمهم انتهى كالتي علقت في الكعبة
هي التي لحست تلك الارضة فيها من اسم الله تعالى كما يدل عليه ما يأتي في
تذكره له لعمه ابي طالب فقال له عمه والثواقب اي النجوم لانها تثقب
الشياطين وقيل التي تضيء لانها تثقب الظلام بضوئها وقيل الثريا

صفة الارضة

فاصدقه

فاصدقه لانها اشد النجوم ضوءا ما كذبني قط اي ما حدثني كذبا وفي رواية انه قال
له اربك اخبرك قال نعم فانطلق في عصابة اي جماعة من قومه اي من بني هاشم
وبني المطلب ۰ اي وفي رواية ان ابا طالب لما ذكر ذلك لاهله قالوا له فما
ترى قال ارى ان تلبسوا احسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش فتذكروا ذلك
لهم قبل ان يبلغهم الخبر فخرجوا حتى اتوا المسجد على خوف من قريش فلما رأتهم
قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
للقتل فتكلم بعضهم ابو طالب وقال قد جرت امور بيننا وبينكم فاتوا بصحيفتكم
التي فيها مواثيقكم فلعله ان يكون بيننا وبينكم صلح اي مخرجا يكون سببا
للصلح وانما قال ابو طالب ذلك خوفا ان ينظروا في الصحيفة قبل ان ياتوا بها
اي فلا ياتون بها فاتوا بصحيفتهم لا يشكون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدفع اليهم اي لانه الذي وقعت عليه العهود والمواثيق فوضعوها بينهم و
وقالوا لابي طالب اي قد آن لكم ان ترجعوا عما احدثتم علينا
وعلى انفسكم فقال ابو طالب انما اتيتكم في امر نصف بيننا وبينكم اي امر وسط لا حيف
فيه علينا ولا عليكم ان ابن اخي اخبرني ان هذه الصحيفة التي في ايديكم قد
بعث الله عليها دابة لم تترك فيها اسما لله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم
وتظاهركم علينا بالظلم وفي رواية ان ابن اخي اخبرني ولم يكذبني قط ان الله
قد سلط على صحيفتكم التي كتبتم الارضة فلحست كل ما كان فيها من جور او ظلم او
قطيعة رحم وبقي فيها كل ما ذكر به الله تعالى وفي الينبوع ان ابا طالب قال لهم
حين الصحيفة ان صحيفتكم هذه صحيفة اثم وقطيعة رحم وان ابن اخي
اخبرني ان الله تعالى قد سلط عليها الارضة فلم تدع فيما كتبتم الا باسمك اللهم
والله اعلم قال ابو طالب فان كان الحديث كما يقول فافيقوا وفي رواية
فانزعوا اي ارجعوا عن سوء رأيكم اي وان لم تنزعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت
من عند آخرنا وان كان الذي يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم او
استحييتم فقالوا قد رضينا بالذي تقول وفي رواية انصفتنا ففتحوا
الصحيفة فوجدوا الامر كما اخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم
فلما رأت قريش صدق ما جاء به ابو طالب قالوا اي قال اكثرهم هذا سحر ابن
اخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغي منا على

اخواننا وظلمهم وتقدم ان ابا طالب قال لهم اي بعد ان وجدوا الامر كما اخبر به
صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم
اولى بالظلم والقطيعة والاساءة ودخلوا بين استار الكعبة وقالوا اللهم
انصرنا على من ظلمنا وقطع ارحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا الى الشعب
وعند ذلك مشى طائفة منهم وهم خمسة في نقض الصحيفة اي ما تضمنته وهم
هشام بن عمرو بن الحارث • وزهير بن ابي امية ابن عمته صلى الله عليه وسلم
عاتكة بنت عبد المطلب وقد اسلم بعد ذلك كالذي قبله والمطعم بن عدي
كان كافرا كما تقدم • وزمعة بن الاسود قتل يوم بدر كافرا • واختلف في كاتب
الصحيفة فعند ابن سعد انه بغيض بن عامر فشلت يده ولا يعرف له اسلام
وعند ابن اسحاق ان الكاتب لها هشام بن عمرو المتقدم ذكره قال وقيل
الكاتب لها منصور بن عكرمة اي فشلت يده فيما يزعمون كذا في النور نقلا
عن سيرة ابن هشام وقيل النضر بن الحارث فدعى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشلت بعض اصابعه اي وهو ممن قتل على كفره عند منصرفه صلى الله عليه وسلم
من بدر وقيل الكاتب لها طلحة بن ابي طلحة العبدري قال ابن كثير والمشهور
انه منصور ويجمع بين هذه الاقوال باحتمال ان يكون كتب بها نسخ فكل كتب
نسخة انتهى اي وينبغي ان يكون الذي شلت يده هو كاتب الصحيفة التي علقت
بالكعبة ولعلها هي التي كتبت اولا والى اكل الارضة الصحيفة والى عد الخمسة •
الذين سعوا في نقضها اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

فديت خمسة الصحيفة • بالخمسة اذ كان للكرام فداء • فتية بيتوا على فعل خير
حمد الصبح امرهم والمساء • يا لامر اتاه بعد هشام • زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدي • وابو البختري من حيث شاء • نقضوا مبرم الصحيفة اذ
شدت عليهم من العدا الانداء • اذكرتنا باكلها اكل منساة • سليمان الارضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم • اخرج الخبء له الغيوب خباء • اي فديت خمسة الصحيفة
اي الناقضين لها بالخمسة المشهورين المتقدم ذكرهم فتية بيتوا اي ارادوا
كما سنذكره بالحجون ليلا على فعل خير وهو نقض الصحيفة حمد الصباح والمساء
منهم ذلك الفعل يا للامر عظيم وهو نقض الصحيفة اتاه بعد هشام زمعة بن
الاسود وانه يكفي من توقف الاتاء اي المبالغ في اباء الخير واتاه زهير واتاه

المطعم بن عدي واتاه ابو البختري من المكان الذي قصدوه فنقضوا مبرم الصحيفة
اي الامر الذي ابرمته اذكرتنا الارضة الخرساء باكلها تلك الصحيفة منساة اي
عصاة سليمان وباكلها للصحيفة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وكم مرة كثيرة اخرج
صلى الله عليه وسلم شيئا مخبأ الغيوب له ساترة والمراد ان كلا واحد من هؤلاء الخمسة
الذين نقضوا الصحيفة مفدي باولئك الخمسة المهتزين من الاذى الذي اصابهم
المتقدم ذكرهم فلا ينافي ان بعض هؤلاء الخمسة كان كافرا قال ثم ان هشام ابن
عمرو بن الحارث رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك كما تقدم مشى الى زهير ابن ابي امية
ابن عاتكة بنت ابي طالب رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا كما تقدم فقال
له يا زهير ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس الثياب واخوالك حيث قد علمت
لا يبايعون ولا يبتاعون فقال ويحك يا هشام فماذا اصنع انما انا رجل واحد والله
لو كان معي رجل اخر لقمت لا نقضها يعني الصحيفة قال وجدت رجلا قال من هو قال انا
فقال زهير ابغنا رجلا اخر ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي فقال له يا مطعم ارضيت
ان يهلك بطنان من بني عبد مناف يعني بني هاشم وبني المطلب وانت شاهد على
ذلك فقال له ويحك ماذا اصنع انما انا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو
قلت انا قال ابغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قلت زهير بن ابي امية قال ابغنا رابعا
فذهبت الى ابي البختري بن هشام فقلت له نحو ما قلت للمطعم بن عدي فقال وهل من معين
على هذا الامر قلت نعم قال من هو قلت زهير بن ابي امية والمطعم بن عدي وانا معك
قال ابغنا خامسا فذهبت الى زمعة بن الاسود فكلمته فقال وهل من احد يعين على
ذلك فسميت له القوم ثم ان هؤلاء اجتمعوا ليلا عند الحجون واجمعوا امرهم وتعاهدوا
على القيام في نقض الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير انا ابدؤكم فاكون اول من
يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم
اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم اي
والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاعون والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة
القاطعة الظالمة فقال ابو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن الاسود
انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال ابو البختري صدق زمعة
فقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها وقال
هشام ابن عمرو نحوا من ذلك فقال ابو جهل هذا امر قضي بالليل فقام المطعم بن عدي

الى الصحيفة فشلها انتهى اي وهذا يبدل للرواية الدالة على ان الارضة لحست اسم
الله تعالى وابقت ما فيها من العهود والمواثيق فيبعد اتحاد ذلك منها لا معنى لتشبثها
وفي كلام بعضهم يحتمل ان ابا طالب انما اخبرهم بعد سبقهم في نقضها قال ابن حجر الهيتمي
ويبعده ان الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى وقام هؤلاء الخمسة ومعهم
جماعة ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا

باب ذكر خبر وفد نجران

ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وفد نجران وهم قوم من النصارى ونجران بلدة بين مكة واليمن
على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى وكانوا نحو عشرين رجلا حين بلغهم خبره من هاجر
من المسلمين الى الحبشة فوجدوه صلى الله عليه وسلم في المسجد فجلسوا اليه وسالوه وكلموه ورجال
من قريش في انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت
اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وامنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به في كتابهم فلما قاموا
عنه اعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل
دينكم ترتادون اي تنظرون الاخبار لهم لتاتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم
دينكم وصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا احمق اي اقل عقلا منكم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم
لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب الى
قوله لا نبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق • وذكر في الوفاء قدوم ضماد الازدي عليه صلى الله عليه وسلم ورود ضماد الازدي
فقال عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ضمادا قدم مكة وكان من ازد شنوءة وكان يرقي من الريح
ولعل المراد بها اللمم من الجن فسمع سفهاء من اهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني
رايت هذا الرجل لعل الله ان يشفيه على يدي قال فلقيته فقلت يا محمد اني ارقي من الريح
فان الله يشفي على يدي من يشاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده
ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد اعد علي كلماتك هؤلاء فاعاد
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة
وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء هات يدك ابايعك على الاسلام فبايعه
وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي والله اعلم

باب

٢٣٩

باب ذكر وفاة ابي طالب عمه صلى الله عليه وسلم وزوجته صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله تعالى عنها لتعلم انهما ماتا في عام واحد اي بعد خروج بني هاشم

والمطلب من الشعب بثمانية اشهر وعشرين يوما والى موتهما في عام واحد اشار في الهمزية

ونعى عمه ابو طالب والدهر • فيه السراء والضراء •
ثم ماتت خديجة ذلك العام • ونالت من اهله الاعدا •

وذلك قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين وبعد مضي عشر سنين من بعثته صلى
الله عليه وسلم اي من مجيء جبريل له عليه الصلاة والسلام بالوحي وهو يرد قول
ابن اسحاق ومن تبعه ان خديجة رضي الله عنها ماتت بعد الاسراء وافاد كلام
صاحب الهمزية ان موت خديجة كان بعد موت ابي طالب وقيل كانت وفاة
خديجة رضي الله عنها قبل ابي طالب بخمس وثلاثين ليلة وقيل بعده بثلاثة
ايام ويؤيده ما في الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور انه مات
قبل خديجة رضي الله عنها اي بثلاثة ايام ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه
وسلم في حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلاة على الجنازة
فرضت • وذكر الفاكهاني المالكي في شرح الرسالة ان صلاة الجنازة من خصائص
هذه الامة لكنه ذكر ما يخالفه في الشرح المذكور حيث قال وروي ان ادم عليه
الصلاة والسلام لما توفي اتي بحنوط من الجنة وكفن ونزلت الملائكة فغسلته
وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك من الملائكة فصلى عليه وصلت
الملائكة خلفه ثم اقبروه والحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث عليه
السلام الذي هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك
واخوتك فانها سنتكم هذه الكلمة اي ويبعد انه لم يفعل ذلك بعد الغسل
المذكور له ويحتمل ان المراد بالصلاة مجرد الدعاء لا هذه الصلاة المعروفة
المشتملة على التكبير لكن يبعده ما في العرائس عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان ادم لما مات قال ولده شيث لجبريل صل عليه فقال له جبريل بل انت
تقدم وصل على ابيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة • وقد اخرج الحاكم
نحوه مرفوعا وقال صحيح الاسناد وبه يعلم ان الغسل والتكفين والصلاة
والدفن واللحد من الشرائع القديمة بناء على ان المراد بالصلاة الصلاة

والغسل والتكفين والصلاة والدفن من الشرائع القديمة

المشتملة على الدعا لا بمجرد الدعا وحينئذ لا يحسن القول بان صلاة الجنازة من خصايص هذه الامة
الان يقال لا يلزم من كونها من الشرايع القديمة ان تكون معروفة لقريش اذ لو كانت كذلك
لفعلوا ذلك وسياتي عنهم انهم لم يفعلوا ذلك وايضا لو كانت معروفة لهم لصلى صلى الله
عليه وسلم على خديجة ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران ابن عم سودة ام المؤمنين
رضي الله عنها الذي هو زوجها وسياتي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد
البرا بن معرور قد مات فذهب هو واصحابه وصلى على قبره وانما اول صلاة صليت على
الميت في الاسلام ومعرور معناه في الاصل مقصود لا يقال يجوز ان يكون المراد بتلك
الصلاة مجرد الدعا لانا نقول فيحتاج الى ذكر في صلاة نداربها وقد روي هذه الصلاة عن
التعاهد ذكرهم السهيلي وسياتي عن الامتاع لم اجد في شي من السير متى فرضت صلاة الجنازة
ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على اسعد بن زرارة وقد مات في السنة الاولى ولا
على عثمان بن مظعون وقد مات في السنة الثانية • وفي كلام بعضهم صلاة الجنازة فرضت
في السنة الاولى من الهجرة واول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم اسعد بن زرارة فليتامل
وفي كلام بعضهم كانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم
وهو ان يقوم ولي الميت بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثني عليه
ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن اي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي
ذلك العام عام الحزن ولزم بيته واقل الخروج وكانت مدة اقامتها معه صلى الله
عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح • ويذكر انه صلى الله عليه وسلم دخل على
خديجة رضي الله عنها وهي مريضة فقال لها يا خديجة اتكرهين ما ارى منك وقد
يجعل الله تعالى في الكره خيرا اشعرت ان الله قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة
عمران وكلثم اخت موسى وهي التي علمت ابن عمها قارون الكيميا واسية امراة
فرعون فقالت الله اعلمك بهذا يا رسول الله وفي رواية الله فعل ذلك يا رسول
الله قال نعم قالت بالرفا والبنين زاد في رواية انه صلى الله عليه وسلم اطعم
خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفا والبنين هو مما كان يدعى به في الجاهلية
عند التزويج والمراد به الموافقة والملايمة ماخوذ من قولهم رفات الثوب
ضممت بعضه الى بعض ولعل هذا كان قبل ورود النهي عن ذلك هذا وفي الامتاع
ان سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما تزوج ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب
رضي الله عنه جا الى مجلس المهاجرين الاولين في الروضة فقال رفئوني فقالوا

ماذا

واول صلاة صليت على الميت في الاسلام

ماذا يا امير المؤمنين قال تزوجت ام كلثوم بنت علي هذا كلامه ولعل النهي لم يبلغ هولا الصحابة
حيث لم ينكروا قوله كما لم يبلغ سيدنا عمر رضي الله عنهم • وفي السنة التي ماتت فيها خديجة رضي
الله عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بايام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران
ابن عمها وهاجرت الى ارض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت
عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها اربعماية درهم وقد كانت رات في نومها ان
النبي صلى الله عليه وسلم وطي عنقها فاخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك اموت ويتزوجك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رات في ليلة اخرى ان قمرا انقض عليها من السما وهي مضطجعة
فاخبرت زوجها فقال لا البث حتى اموت فمات من يومه ذلك • وعقد صلى الله عليه وسلم
على عايشة رضي الله عنها وهي بنت ست او سبع سنين في شوال بعد خولة بنت حكيم امراة عثمان
ابن مظعون قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله الا تتزوج قال ومن قلت ان شئت بكرا وان
شئت ثيبا قال فمن البكر قلت احب خلق الله اليك بنت ابي بكر قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة
قد امنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبي فاذكريها علي قالت فدخلت على سودة بنت
زمعة فقلت لها ماذا ادخل الله عليك من الخير والبركة قالت وما ذاك قالت ارسلني رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخطبك عليه قالت وددت ادخل على ابي فاذكري ذلك له وكان
شيخا كبيرا فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه فقلت خولة بنت حكيم
قال فما شانك قالت ارسلني محمد بن عبد الله اخطب عليه سودة قال كفو كريم قال ما تقول
صاحبتك قالت تحب ذلك قال ادعيها الي فدعوتها قال اي بنية ان هذه تزعم ان محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب قد ارسل يخطبك وهو كفو كريم اتحبين ان ازوجك منه قالت نعم قال ادعيه
لي فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها ولما قدم اخوها عبد بن زمعة وقد بلغه
ذلك صار يحثو التراب على راسه ولما اسلم قال لعمرك اني لسفيه يوم احثي التراب على
راسي ان تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة وذهبت خولة
الى ام رومان ام عايشة رضي الله عنهما فقالت لها ماذا ادخل الله عليكم من البركة والخير
قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عايشة قالت انتظري ابا بكر حتى
ياتي فجا ابو بكر رضي الله عنه فقلت له يا ابا بكر ماذا ادخل الله عليكم من البركة والخير
قال وما ذاك قلت قد ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عايشة
قال وهل تصلح له انما هي بنت اخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت له ذلك فقال ارجعي اليه فقولي له انت اخي وانا اخوك في الاسلام وابنتك

وتزوج صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة

وعقد على عايشة رضي الله عنها

تصلح له اي تحل فرجعت فذكرت ذلك لها فقالت ام رومان ان المطعم بن عدي قد
كان ذكرها على ابنه جبير ووالله ما وعد وعدا قط فاخلفه تعني ابا بكر فدخل ابو
بكر على مطعم وعنده امراته ام ابنه المذكور فكلمت ابا بكر بما اوجب ذهاب ما كان في نفسه
من عدة المطعم اي فان المطعم لما قال له ابو بكر ما تقول في امر هذه الجارية اقبل المطعم
على امراته وقال لها ما تقولين يا هذه فاقبلت على ابي بكر وقالت له لعلنا ان انكحنا
هذا الفتى اليكم تصبيه وتدخله في دينك الذي انت عليه فاقبل ابو بكر على المطعم وقال
له ما تقول انت فقال انها لتقول ما تسمع فقام ابو بكر وليس في نفسه من الموعد
شيء فرجع فقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها وعائشة
حينئذ بنت ست سنين وقيل سبع سنين وهو الاقرب فعلم ان العقد على سودة تقدم على
العقد على عائشة لان العقد على سودة كان في رمضان الذي ماتت فيه خديجة وعلى عائشة
كان في شوال ومعلوم ان الدخول بسودة كان بمكة وعلى عائشة كان بالمدينة ثم رايت
بعضهم ذكر ان خولة ذهبت اولا الى طلب عائشة وان النبي صلى الله عليه وسلم عقد عليها قبل
ذهابها لسودة وعقده عليها ولا يخفى انه لا ينافي الا ان يراد بالعقد على سودة الدخول بها
ويدل له يحتمل ذلك مع قوله قبل ذهابها لسودة • ولما اشتكى ابو طالب اي مرض وبلغ
قريشا ثقله اي اشتداد المرض به قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر قد اسلما وقد فشا
امر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا الى ابي طالب فليأخذ لنا على ابن اخيه وليعطه
منا فانا والله ما نامن ان يبتزونا امرنا اي يسلبونه ويسبقوا لهم من عزنا اي من غلبنا
اخذ السلب اي وهو الثياب التي على البدن وفي لفظ انا نخاف ان يموت هذا الشيخ فيكون
منا شيء اي قتل لمحمد كما في بعض الروايات فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عمه
تناولوه فمشى اليه اشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية بن خلف
وابو سفيان فارسلوا رجلا يدعى المطلب فاستاذن لهم على ابي طالب فقال هؤلاء
مشيخة قومك وسرواتهم يستاذنون عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا ابا
طالب انك منا حيث قد علمت وفي لفظ قالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك
ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن اخيك فادعه وخذ لنا منه وخذه
لنا منا ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه ابو طالب
فجاءه قال ولما دخل صلى الله عليه وسلم على ابي طالب وكان بين ابي طالب وبين القوم
فرجة تسع الجالس فخشي ابو جهل ان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الفرجة

فيكون

ولما مرض ابو طالب مرض الموت

فيكون ارق له عليه فوثب ابو جهل فجلس فيها فلم يجد صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب ابي طالب
فجلس عند الباب انتهى وفي الوفاء انه صلى الله عليه وسلم قال لهم خلوا بيني وبين عمي فقالوا
ما نحن بفاعلين وما انت باحق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك
فقال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن اخي هؤلاء اشراف قومك وفي لفظ هؤلاء مشيخة
قومك وسرواتهم وقد اجتمعوا لك ليأخذوا منك وليعطوك وفي لفظ سالوك النصف وفي لفظ اعط
سادات قومك ما سالوك فقد انصفوك ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم العجم اي تطيع وتخضع فقال ابو جهل نعم وابيك وعشر كلمات وفي لفظ لنعطيكها وعشرا
معها ما هي قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا بايديهم ثم
قالوا يا محمد اتريد ان تجعل الالهة الها واحدا ان امرك لعجب فانزل الله تعالى ص والقرآن
ذي الذكر الى اخر الآيات وفي لفظ قالوا ايسع لحاجاتنا جميعا اله واحد وفي لفظ قالوا
سلنا غير هذه الكلمة وفي لفظ ان ابا طالب قال يا ابن اخي سل من كلمة غيرها ثم قال لو
جئتني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سالتكم غيرها ثم قال بعضهم لبعض والله ما هذا الرجل
بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين ابائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا
وفي لفظ قالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنشتمنك ولنشتمن الهك الذي يامرك بهذا وفي لفظ لتكفن عن
سب آلهتنا او لنسبن الهك الذي امرك بهذا وذكر ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا الاية وفي القرآن حكم هذه الاية باق
في هذه الامة فاذا كان الكافر في منعة وخيف ان يسب الاسلام او الرسول فلا يحل للمسلم
ذم دين الكافر ولا يتعرض لما يؤدي الى ذلك لان الطاعة اذا كانت تؤدي الى معصية خرجت
عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها كما يجب النهي عن المعصية هذا كلامه وعند ذلك قال
ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن اخي ما رايتك سالتهم شططا
اي بالجاء والطاء المهملتين امرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه فجعل يقول اي عم فانت فقلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة اي لو ارتكبت
ذنبا بعد قولها والا فالاسلام يجب ما قبله فلما راى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له والله يا ابن اخي لولا مخافة السبة اي العار عليك وعلى بني ابيك من بعدي
وان تظن قريش اني انما قلتها جزعا اي بالجيم والزاي خوفا من الموت وهذا هو
المشهور وقيل بالخاء المعجمة والراء اي ضعفا لقلتها ولا اقولها الا لاسرك بها فلما

سبب نزول سورة ص

عنك لما احد من شرف وجدك لكني اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف
فانزل الله تعالى انك لا تهدي من احببت الاية • وعن مقاتل ان ابا طالب قال عند موته
يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد ان تقول
لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله فقال يا ابن اخي قد علمت انك صادق لكني اكره
ان يقال الحديث • قال في الهدي وكان من حكمة احكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما
في ذلك من المصالح التي تبدو لمن تأملها اي وكذا اقرباؤه وبنو اعمامه تأخر اسلام
من اسلم منهم ولو اسلم ابو طالب لبادر اقرباؤه وبنو اعمامه الى الايمان ثم لعل قوم
ارادوا الفخر بظلمهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان
منهم حتى ان الشخص ليقتل اباه واخاه علم ان ذلك انما هو عن بصيرة صادقة
ويقين ثابت • وذكروا انه لما تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس الى شفتيه يحرك
شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي لقد قال اخي الكلمة التي امرته ان يقولها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اسمع وفيه لم يثبت ان العباس ذكر ذلك
بعد الاسلام وايضا نزول الاية حيث ثبت انه نزلها في حق ابي طالب يرد
ذلك ويرده ايضا ما في الصحيحين عن العباس رضي الله عنه انه قال قلت
يا رسول الله ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته
اي كشف لي عن حاله وما يصير اليه يوم القيامة فوجدته في غمرات من نار
فاخرجته الى ضحضاح ابدا وفي لفظ اخر قال نعم هو اي يوم القيامة في ضحضاح
من النار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة
عند العباس لما سأل هذا السؤال ولاداها بعد الاسلام اذ لو اداها لنقلت
وقد يقال انما سأل هذا السؤال ولم يبد الشهادة بعد الاسلام لانه لما قال
له صلى الله عليه وسلم اولا لم اسمع فهم انه حيث لم يسمعها صلى الله عليه وسلم
لا يعتد بها سأل هذا السؤال وفهم ان اعادة الشهادة بعد الاسلام لا تفيد
شيئا ويرده ايضا ما في رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر على ابي طالب ان يقول
كلمة الشهادة وهو يأبى كان اخر ما قال هو على دين عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم
اما والله لاستغفرن لك ما لم انه عن ذلك اي عن الاستغفار لك فانزل الله تعالى
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وتقدم سبب نزول

عدم اسلام ابي طالب والحكمة

هذه الاية استغفاره لامه عند زيارة قبرها الا ان يقال لا مانع من تكرر سبب النزول
ويجوز انه صلى الله عليه وسلم جوز التفرقة بين امه وعمه لان امه لم تدرك الاسلام بخلاف
عمه وفي منع استغفاره لعمه ما تقدم ولا ينافي ذلك قوله يوم احد اللهم اغفر لقومي لان ذلك
اي غفران الذنوب مشروط بالتوبة اي الاسلام فكانه دعا لهم بالتوبة التي هي الاسلام ويؤيده
رواية اللهم اهد قومي اي للاسلام • قال وايضا جاء في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال لما مات ابو
طالب اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عمك الضال قد مات قال اذهب
فواره قال علي رضي الله عنه فلما واريته جئت اليه فقال لي اغتسل اقول لانه غسله ويرد قوله
صلى الله عليه وسلم من غسل ميتا فليغتسل استدل ائمتنا على ان من غسل ميتا مسلما او كافرا استحب
له ان يغتسل وجاء انه ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي وفي رواية لعله
تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار اي مقدار ما يغطي بطون قدميه وفي لفظ
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت لابي
وامي وعمي ابي طالب واخ لي كان في الجاهلية يعني اخاه من الرضاعة كان من حليمة كما في رواية ثانية اقول
يجوز ان يكون ذكر شفاعته لابويه كان قبل احيائهما وايمانهما به كما قدمنا جوابا عن منعه
من الاستغفار لهما والله اعلم • وجاء ايضا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان اهون اهل النار عذابا اي من الكفار ابو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي
منهما دماغه اي وفي رواية كما يغلي المرجل اي القدر من النحاس حتى يسيل دماغه على قدميه
وذكر السهيلي الحكمة في اختصاص قدميه بالعذاب وزعم بعض غلاة الرافضة ان ابا طالب
اسلم واستدل لذلك باخبار واهية ردها الحافظ ابن حجر في الاصابة اي وقد قال
وقفت على جزء جمعه بعض اهل الرفض اكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام
ابي طالب ولم يثبت من ذلك شيء • وروى ابو طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حدثني
محمد ان الله امره بصلة الارحام وان يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره وقال
سمعت ابن اخي الامين يقول اشكر ترزق ولا تكفر فتعذب انتهى • وفي المواهب نقلا عن
شرح التنقيح للقرافي ان ابا طالب ممن امن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع
لانه كان يقول اني لاعلم ان ما يقوله ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نساء قريش
لاتبعته فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن لهذا الكلام
وقيل ان الايمان باللسان الاتيان بلا اله الا الله ولم يوجد منه كما علمت
وتقدم ان الايمان النافع عند الله الذي يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا

واما الايمان النافع عند الله

من الخلود فقيل ان الناس المصدقين بالقلب بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم
وان لم يقر باللسان لا يمنع التمكن من ذلك حيث لم يطلب منه ذلك ويمتنع وابو طالب
طلب منه ذلك وامتنع. وذكر ان ابا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجوه قريش
فاوصاهم وكان من وصيته ان قال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب
العرب. فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع. لم تتركوا للعرب
في المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه. فلكم بذلك على الناس
الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة. اوصيكم بتعظيم هذه البنية اي الكعبة فان
فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش. صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان في صلة
الرحم منساة اي فسحة في الاجل وزيادة في العدد. واتركوا البغي والعقوق
واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات. وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة
فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام. واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش
اي وهو الصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان
وانكره اللسان مخافة الشنآن اي البغض وهو لغة في الشنآن. وايم الله
كاني انظر الى صعاليك العرب واهل البر والاطراف والمستضعفين من الناس
قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت
رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا
اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده. قد محضته العرب ودادها
واعطته قيادها دونكم يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة. والله
لا يسلك احد منكم سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه الا سعد. وفي لفظ اخر
لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد
وما اتبعتم امره فاطيعوه ترشدوا. ولما مات ابو طالب نالت قريش من النبي
صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة ابي طالب حتى ان بعض
سفهاء قريش نثر على راس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم
بيته والتراب على راسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن راسه
وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع اباك
وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيئا اكرهه اي اشد الكراهة
حتى مات ابو طالب وتقدم ذكر شيء من بعض ما اوذي به. قال ولما راى قريشا

تهجموا

وصية ابو طالب عند وفاته

وفاة ابو طالب

تهجموا عليه قال يا عم ما اسرع ما وجدت فقدك. ولما بلغ ابا لهب ذلك قام ابو لهب بنصرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما وقال له يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان ابو
طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى اموت. واتفق ان ابن الغيطلة
اي وهو احد المستهزئين المتقدم ذكره سب النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه ابو لهب
ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا ابو عتبة يعني ابا لهب فاقبلت قريش على
ابي لهب وقالوا له فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقت وفي لفظ قالوا له اصبوت
قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن امنع ابن اخي ان يضام حتى يمضي لما يريد قالوا قد
احسنت واجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك اياما
لا يتعرض له احد من قريش وهابوا ابا لهب الى ان جاء ابو جهل وعقبة بن ابي معيط الى ابي
لهب فقالا له اخبرك ابن اخيك اين مدخل ابيك اي المحل الذي يكون فيه يزعم انه
في النار فقال له ابو لهب يا محمد اين مدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نعم ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار فقال ابو لهب لا برحت
لك عدوا وانت تزعم ان عبد المطلب في النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى اي
وفي لفظ فقال له يا محمد اين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج ابو لهب الى ابي جهل
وعقبة بن ابي معيط فقال قد سالته فقال مع قومه فقالا له يزعم انه في النار فقال
يا محمد ايدخل عبد المطلب النار فقال صلى الله عليه وسلم نعم الحديث ولا يخفى ان
عبد المطلب من اهل الفترة وتقدم الكلام على اهل الفترة والله سبحانه اعلم

باب خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف سميت بذلك لان رجلا من حضرموت نزلها

فقال لاهلها الا ابني لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمي الطائف وقيل غير
ذلك لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تكن
نالت منه في حياته كما تقدم خرج الى الطائف اي وهو مكروب مشوش الخاطر
مما لقي من قريش من قرابته وعمومته خصوصا من ابي لهب وزوجته ام جميل حمالة
الحطب من الجهر والهجر والسب وعن علي رضي الله عنه انه قال بعد موت ابي طالب
لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له
صلى الله عليه وسلم انت الذي تقول ان الالهة الها واحدا فوالله ما دنا منا احد
الا ابا بكر رضي الله عنه يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله

وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان في شوال سنة عشر من النبوة وحده وقيل
معه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء ان يسلموا او ينصروه على الاسلام
والقيام معه على من خالفه من قومه قاله في الاكتفاء لانهم كانوا اخواله قال بعضهم وفي
اي من انه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره حكمة
الله الطائف سنا نشأ لكل من ضاق صدره من اهل مكة كذا قاله ولم افهم غيره
ولا جرم جعل الله الطائف سنا نشأ لاهل الاسلام ومتنفسا لكل ذي ضيق وغمة
سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليتأمل فلما انتهى
صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى سادات ثقيف واشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة
احدهم عبد ياليل اي واسمه كنانة لم يعرف له اسلام واخوه مسعود اي وهو عبد كلال
بضم الكاف وتخفيف اللام لم يعرف له اسلام ايضا وحبيب قال الذهبي في صحبته نظر
اي وهم اولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وجلس اليهم وكلمهم فيما جاءهم به اي من
نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة
اي ينتفها ويقطعها اي وقيل يسرقها ان كان الله ارسلك وقال له اخر اما وجد
الله احدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا اكلمك ابدا لئن كنت نبيا ورسولا
من الله كما تقول لانت اعظم خطرا اي قدرا من ان ارد عليك الكلام وان كنت تكذب على
الله ما ينبغي لي ان اكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف
وقال لهم اكتموا علي وكره ان يبلغ قومه ذلك فيشتد امرهم عليه وقالوا له اخرج
من بلدنا والحق بمجانك من الارض واغروا به اي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم
يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله
عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا على الارض الا رضخوها اي
دقوها بالحجارة حتى ادموا رجليه صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا
اذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم
يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة اي رضي الله عنه لما كان معه يقيه بنفسه حتى لقد شج
رأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم اي
بستان من بساتينهم فاستظل في ظل حبلة بفتح الباء الموحدة وتسكينها غير معروف
شجرة كرم وقيل لها حبلة لانها تحمل بالعنب وقد فسر نهيه صلى الله عليه وسلم
عن بيع حبل الحبلة ببيع العنب قبل ان يطيب قال السهيلي وهو غريب لم يذكره

اليه

اليه احد في تأويل الحديث فجاء الى ذلك المحل وهو مكروب موجع اي وقد جاء النهي عن تسمية شجر
العنب الكرم في قوله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم الكرم فان الكرم قلب المؤمن
ولكن قولوا حدائق العنب قيل وسبب النهي عن تسميتها كرما لان الخمر يتخذ من ثمرتها
وهو يحمل على الكرم فاشتقوا لها اسما من الكرم وفي لفظ انه ولى الثلاثة اي عبد ياليل
واخويه اغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس
والجأوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه قال وذكر انه
صلى الله عليه وسلم دعا بدعاء سيأتي اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي
وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني ان لم
يكن بك غضب علي فلا ابالي ورآه في الحائط اي البستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة
اي وقد رأيا ما لقي من سفهاء اهل الطائف فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله
ولرسوله فلما رآياه وما لقي تحركت رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس
معدود في الصحابة زمان قبل الخروج الى بدر فقالا له خذ قطفا من هذا العنب فضعه
في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه اي وهذا لا ينافي كون زيد
ابن حارثة كان معه كما لا يخفى ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يديه صلى الله
عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع يده صلى الله عليه وسلم فيه قال بسم الله ثم اكل اي
لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع يده في الطعام قال بسم الله ويأمر الاكل بالتسمية
ويأمر من نسي التسمية اوله ان يقول بسم الله اوله واخره فنظر عداس في وجهه وقال والله
ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي
البلاد انت وما دينك يا عداس قال نصراني وانا من اهل نينوى بكسر النون الاولى
وفتح الثانية وقيل بضمها قرية على شاطئ دجلة في ارض الموصل فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اهل قرية وفي رواية مدينة الرجل الصالح يونس بن متى
اسم ابيه اي كما في حديث ابن عباس وفي تاريخ حماة انه اسم امه قال ولم يشتهر باسم
نبي غير عيسى ويونس عليهما الصلاة والسلام وعند ذلك قال عداس وما يدريك ما يونس
ابن متى فاني والله لقد خرجت منها بضع عشر وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن اين عرفت
ابن متى وانت امي وفي امة امية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي
كان نبيا وانا نبي امي وفي رواية انا رسول الله والله اخبرني خبره وما وقع له
مع قومه اي حيث وعدهم العذاب بعد اربعين ليلة فلما دعاهم فابوا ان يجيبوه

وخرج عنهم وكانت عادة الانبيا اذا واعدت قومها العذاب خرجت عنهم فلما فقدوه قذف
الله في قلوبهم التوبة اي الايمان بما دعاهم اليه يونس وقيل كما في الكشاف انه
قال لهم يونس انا اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك
فلما مضت خمس وثلاثون ليلة اطبقت السما غيما اسود ذا دخان وغشا شديدا
ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم فلما راوا ذلك لبسوا المسوح واخرجوا المواشي وفرقوا
بين النسا واولادها وبين كل بهيمة وولدها فلما اقبل عليهم العذاب جاروا
الى الله تعالى يبكي الناس والولدان ورغت الابل وفصلانها وخارت البقر
وعجاجيلها وثغت الغنم وسخالها وقالوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى
ويا حي لا اله الا انت ومن الفضيل انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت
وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن
اهله وفي الكشاف انهم عجوا اربعين ليلة وعلم الله تعالى منهم الصدق فتاب
عليهم وصرف عنهم العذاب بعد ان صار بينه وبينهم قدر ميل ثم رحل على يونس
فقال له ما فعل قوم يونس فحدثه بما صنعوا فقال لا ارجع لقوم قد كذبتهم
قيل وكان من شرعهم ان من كذب قتل فانطلق مغاضبا لقومه وظن ان لن
نقضي عليه بما قضي به عليه اي من الغم وضيق الصدر قال تعالى وذا النون اذ ذهب
مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه وكانت التوبة عليهم يوم عاشورا
وكان يوم الجمعة اي وفي كلام بعضهم كشف العذاب عن قوم يونس يوم عاشورا
واخرج فيه يونس من بطن الحوت وهو يوافق العدد بالنسبة من يومه وهو
قول السدي التقمه الحوت ضحوة النهار ونبذه عشية اي بعيد العصر وقاربت
الشمس الغروب وذكر ان الحوت لم ياكل ولم يشرب مدة بقا يونس في بطنه لئلا
يضيق عليه وقال السدي مكث اربعين يوما وقال جعفر الصادق سبعة ايام
وقال قتادة ثلاثة ايام وذلك بعد ان نزل السفينة فلم تسر فقال لهم ان
معكم عبدا ابقا من ربه وانها لا تسير حتى تلقوه في البحر واشار الى نفسه
فقالوا لا نلقيك يا نبي الله ابدا قال فاقترعوا فاقترعوا فخرجت
القرعة عليه ثلاث مرات فالقوه فالتقمه الحوت وقيل ابتلعه حوت ثم ابتلع
ذلك الحوت حوت حين خرجت القرعة عليه ثلاثا القى نفسه في البحر وهذا البيان
يدل على ان رسالته كانت قبل ان يلتقمه الحوت وقيل انما ارسل بعد نبذ الحوت

له

والوا العزم من الرسل

له ذنبه كيف يدعوهم ويعدهم العذاب وهم غير مرسل اليهم • وعن وهب بن منبه وقد سئل عن
يونس فقال كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها
فالقاها عنه وخرج هاربا اي فقد تقدم ان للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا اولوا العزم
من الرسل وهم نوح • وهود • وابراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام اما نوح فلقوله يا قوم
ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله الاية • واما هود فلقوله اني اشهد الله واشهدوا
اني بري مما تشركون من دونه الاية • واما ابراهيم فلقوله هو والذين امنوا معه انا برآء
منكم ومما تعبدون من دون الله الاية • واما محمد صلى الله عليه وسلم فلقوله فاصبر كما
صبر اولوا العزم من الرسل فصبر صلى الله عليه وسلم • فعند ذلك اتى عداس الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل راسه ويديه وقدميه اي فقال احدهما اي
عتبة وشيبة للاخر اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاءهما عداس قال له
احدهما ويلك ما لك تقبل راس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض
شي خير من هذا لقد اعلمني بامر لا يعلمه الا نبي فقالا ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك
اي وفي رواية قالا له ما شانك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت هذا
باحد منا فقال هذا رجل صالح اخبرني بشي عرفته من شان رسول بعثه الله الينا يدعى يونس
بن متى فضحكا به وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فانه رجل خداع وان دينك خير من دينه
وقد تقدم في بعض الروايات ان خديجة رضي الله عنها قبل ان تذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم
لورقة بن نوفل ذهبت به الى عداس وكان رجلا نصرانيا من اهل نينوى من ذرية سيدنا يونس
عليه السلام وتقدم انه غير هذا اخلا فالمشتبه عليه به • وفي كلام الشيخ محيي الدين
بن العربي قد اجتمعت بجماعة من قوم سيدنا يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس
حيث كنت فيه وقست اثر رجل منهم في الارض فرايت طول قدمه ثلاثة اشبار وثلثي شبر
والله اعلم • وفي الصحيح ان عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل
اتى عليك يوم اشد من احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت يوم العقبة
اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل ابن كلال اي وانما لم يسق النسق لفظ ابن
الاولى والاتيان بها والعطف موضع ابن الثانية اي فيقال عبد ياليل وكلال
اي وعبد كلال ويكون تخصيصهما بالذكر دون اخيهما حبيب لانهما كانا اشرف واعظم
منه او لانهما كانا المجيبين له صلى الله عليه وسلم بالقبيح دون حبيب فلم يجيباني الى ما اردت
فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب اي ويقال له قرن المنازل

وابتلا النبي صلى الله عليه وسلم في قومه

وهو ميقات اهل نجد الحجاز اد اليمن بينه وبين مكة يوم وليلة وفي لفظ وهو موضع على ليلة
من مكة وذا قرن بسكون الراء وزعم الجوهري في تحريكها وفي قوله ان اويسا القرني منسوب
اليه وانما هو منسوب الى قرن قبيلة من مراد كما ثبت في مسلم فرفعت راسي فاذا انا بسحابة
قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال قد سمع قول قومك لك اي اهل
ثقيف كما هو المتبادر وما ردوا عليك به وقد بعث اليك ملك الجبال فتامره بما شئت
فيهم فناداني ملك الجبال وسلم علي وقال لي ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين
فعلت اي وهما جبلان بمكة تارة الى مكة وتارة الى منى فالاول منهما ابو قبيس
وقعيقعان وقيل الجبل الاحمر الذي يقابل ابا قبيس المشرف على قعيقعان ومن
اثنينية الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد وتنبيه ان ثقيفا لم يكونوا
بينهما بل الجبلان خارجان عنهم فكيف يطبقهما عليهم وفي لفظ ان شئت خسفت
بهم الارض او دمدمت عليهم الجبال اي التي بتلك الناحية ثم رايت ابن حجر قال المراد
بقوم عايشة في قولها لقد لقيت من قومك قريشا لا اهل الطايف الذين هم ثقيف
لانهم كانوا هم السبب الحامل على ذهابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ولان ثقيفا لم يكونوا
قومها وعليه فلا اشكال ولا يخفى ان هذا خلاف السياق اذ قوله وكان
اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي الى اخره وقول جبريل قد سمع قول
قومك لك وما ردوا عليك به ظاهر في ان المراد بهم ثقيف لا قريش ويوافقه
قول ابن الشحنة في شرح منظومته بعد ان ساق دعاه … ثم فارسل الله عز
وجل جبريل ومعه ملك الجبال وعند قول ملك الجبال المذكور قال النبي صلى الله عليه
وسلم بل ارجو ان يخرج الله تعالى وفي رواية استاني بهم لعل الله ان يخرج من
اصلابهم من يعبد الله تعالى لا يشرك به شيئا وعند ذلك قال له ملك الجبال
انت كما سماك ربك رؤوف رحيم قال الحافظ ابن حجر لم اقف على اسم ملك الجبال والى
حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم اشار صاحب الهمزية

جهلت قومه عليه فاغضى • واخو الحلم دابه الاغضا •
وسع العالمين علما وحلما • فهو بحر لم تعيه الاعبا •

اي جهلت قومه صلى الله عليه وسلم فاذوه اذية لا تطاق فاغضى عنهم حلما
واخو الحلم اي وصاحب عدم الانتقام شانه التغافل فان علمه وسع علوم
العالمين ووسع حلمه حلمهم فهو واسع العلم والحلم لم تعيه الاعبا اي لم تتعبه

الانثال

اجتماع الجن لقراءته صلى الله عليه وسلم

الانثال • وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطايف نزل نخلة وهي محلة بين مكة
والطايف قرية بقرب سبعة وقيل ستة من جن نصيبين اي وهي مدينة بالشام وقيل
باليمن اثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله رفعت الى نصيبين حتى رايتها فدعوت
الله تعالى ان يعذب نهرها وينضر شجرها ويكثر مطرها وقد قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم من جوف الليل اي وسطه يصلي وفي رواية يصلي صلاة الفجر وفي رواية هبطوا على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا القران ببطن نخلة فلعله كان يقرا في الصلاة والمراد
بصلاة الفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس ولعله صلاهما قبل او عقب
الفجر وذلك ملحق بالليل وفي قوله جوف تجوز من الراوي او صلى صلاة نفل صلاة في جوف
الليل وصلاة بعد الفجر وقرا فيهما او جمع بين القراءة والصلاة واذ الجن استمعوا
لقراءته وكان صلى الله عليه وسلم يقرا سورة الجن وفيه اي في الصحيحين ان سورة
الجن انما نزلت بعد استماعهم فاسلموا به وكانوا يهود لقولهم انا سمعنا قرانا كتابا انزل من
بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى الا ان يكون ذلك بناء على ان شريعة عيسى مقررة لشريعة
موسى لا ناسخة لها ولا يخفى انهم علموا ما نزل من الكتاب على ما لم ينزل لانهم لم يسمعوا جميع
الكتاب ولا كان كله قد نزل قال وانكر ابن عباس رضي الله عنهما اجتماع النبي صلى الله عليه
وسلم بالجن اي باحدهم • ففي الصحيحين عنه قال ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الجن ولا راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين
الى سوق عكاظ اي وكان بين الطايف ونخلة كان لثقيف وقيس عيلان
كالنعام وقد حيل بين الجن وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين
الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا قد حيل بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب
قالوا وما ذاك الا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر
جماعة اخذوا نحو تهامة فاذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا
الى سوق عكاظ يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا
الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي
الى الرشد فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم سورة قل اوحي اي قل
اوحيت بالوحي من الله انه استمع لقراءتي نفر من الجن اي جن نصيبين ولا يخفى
ان هذه القصة التي نفيتها رواية ابن عباس غير القصة التي اثبتها فانه صلى الله عليه
وسلم من الطايف بعد ذلك فلم انطلق في طايفة من اصحابه عامدين الى

سوق عكاظ لانه في تلك القصة التي هي تتمة الطائف كان وحده اذ معه مولاه زيد
ابن حارثة على ما تقدم وكان مجيئه من الطائف قاصدا مكة وفي هذه كان ذاهبا
من مكة قاصدا سوق عكاظ وانه قرأ في تلك اي مجيئه من الطائف سورة الجن
وفي هذه قرأ غيرها ثم نزلت تلك السورة وان هذه القصة التي تقدمتها رواية
ابن عباس سابقة على تلك لان قصة ابن عباس كانت في ابتداء الوحي لان الحيلولة
بين الجن وبين خبر السماء بالشهب كانت في ذلك الوقت وتلك كانت بعد ذلك
بسنين عديدة وسيأتي في كل من القصتين يدل على انه لم يجتمع الجن به صلى الله عليه
وسلم ولا قرأ عليهم وانما سمعوا قراءته من غير ان يشعر بهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
هذا كلامه فقص الله تعالى خبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم وعينا بقلم
نا في سفر السعادة ولما وصل صلى الله عليه وسلم في رجوعه الى نخلة جاء الجن
وعرضوا اسلامهم عليه ٥ وفي الصحيح ان الذي اذن صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة
الجن شجرة وانهم سألوه الزاد فقال كل عظم الى اخره لان سؤالهم له صلى الله عليه وسلم
الزاد فرع اجتماعهم ثم رأيت عن ابن جرير انه يتبين من الاحاديث ان الجن سمعوا قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة واسلموا فارسلهم الى قومهم منذرين اذ لا جائز ان يكون
ذلك في اول البعث لما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما وغاية ما رأيت
ان ابن جرير والطبراني رويا عن ابن عباس ان الجن الذين اجتمعوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم ببطن نخلة كانوا تسعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم رسلا الى قومهم وهذا ليس صريحا في انه صلى الله عليه وسلم كان عند
رجوعه من الطائف ٥ قال وذكروا انه صلى الله عليه وسلم اقام بنخلة اياما بعد ان
اقام بالطائف عشرة ايام وشهرا لا يدع احدا من اشرافهم اي زيادة على عبد ياليل
واخويه الا جاء اليه وكلمه فلم يجبه احد فلما اراد الدخول الى مكة قال له زيد
ابن حارثة كيف تدخل عليهم يعني قريشا وهم قد اخرجوك اي كانوا سببا لخروجك
وخرجت تستنصر فلم تنصر فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا
وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه فسار صلى الله عليه وسلم الى حراء ثم بعث الى
الاخنس بن شريق رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك ليجيره اي ليدخل
مكة في جواره فقال انا حليف والحليف لا يجير اي في قاعدة العرب وطريقتهم

ولما رجع من الطائف

ودخل صلى الله عليه وسلم مكة في جوار المطعم بن عدي

واصطلاحهم فبعث الى سهيل بن عمرو رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك ايضا فقال ان
بني عامر لا تجير على بني كعب فبعث الى المطعم بن عدي اي وقد مات كافرا قبل بدر
بنحو سبعة اشهر يقول له اني داخل مكة في جوارك فاجابه الى ذلك وقال له قد
له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فاخبره فاخبره فدخل صلى الله عليه وسلم
مكة ثم تسلح المطعم بن عدي واهل بيته وخرجوا حتى اتوا المسجد فقام المطعم بن
عدي على راحلته فنادى يا معشر قريش اني قد اجرت محمدا فلا يؤذه منكم احد ثم بعث
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله اي والمطعم ابن عدي وولده
يطيفون به صلى الله عليه وسلم قال وذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بات عنده تلك الليلة فلما اصبح خرج المطعم وقد لبس سلاحه هو وبنوه
وكانوا ستة او سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا
بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم واقبل ابو سفيان على
المطعم فقال امجير ام تابع فقال بل مجير فقال اذن لا نخفر اي لا نزال خفارتك
اي جوارك قد اجرنا من اجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
طوافه قد انتهى اي ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في امان كافر لان حكمة
الحكيم القادر قد تخفى وهذا السياق يدل على ان قريشا كانوا ازمعوا
على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله
اي ولهذا المعروف الذي فعله المطعم قال صلى الله عليه وسلم في اسارى
بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له ورأيت
في اسد الغابة ان جبير بن مطعم رضي الله عنه فانه اسلم بين الحديبية والفتح جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم وهو كافر يسأله في اسارى بدر فقال لو كان الشيخ ابوك حيا
فأتانا فيهم لشفعناه كما سيأتي اي لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان
من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدم ٥ قال وعن كعب الاحبار رضي الله عنه
لما انصرف النفر السبعة من اهل نصيبين من بطن نخلة جاءوا قومهم منذرين ثم جاءوا
مع قومهم وافدين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وهم ثلاثمائة فانتهوا
الى الحجون فجاء احد من اولئك النفر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك فوعده صلى الله عليه وسلم ساعة من الليل بالحجون

خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الجن

بالحجون انتهى • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
إني أمرت أن أقرأ على إخوانكم من الجن فليقم معي رجل منكم ولا يقم من في قلبه مثقال حبة
خردل من كبر فقمت معه أي بعد أن كرر ذلك ثلاثا ولم يجبه أحد منهم ولعلهم فهموا من الكبر
ما يعم منه وهو محبة الترفع في نحو المجلس الذي لا يكاد يخلو منه أحد وقد بين الكبر في
الحديث ببطر الحق وغمط الناس أي استصغارهم وعدم رؤيتهم شيئا بعد أن قالوا له
يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال إن الله جميل يحب
الجمال الكبر من بطر الحق وغمط الناس بالطاء المهملة كما في رواية أبي داود وجاء
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ولا يدخل النار أحد في قلبه
مثقال حبة خردل من إيمان قال الخطابي المراد بالكبر هنا أي في هذه الرواية كبر الكفر
لأنه قابله بالإيمان قال ابن مسعود وذهب صلى الله عليه وسلم في بعض نواحي مكة
أي بالمعلاة بالحجون فلما برز خط لي خطا أي برجله وقال لي لا تخرج فإنك إن
خرجت لم ترني ولم أرك إلى يوم القيامة وفي رواية لا تحدثن شيئا حتى آتيك
لا يروعنك أي لا يخوفنك ويفزعنك ولا يهولنك أي يعظم عليك شيء تراه
ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجال سود كأنهم رجال الزط وهم
طائفة من السودان الواحد منهم زطي كانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه
لبدا أي كاللبد في ركوب بعضهم بعضا حرصا على سماع القرآن منه صلى الله عليه وسلم
فأردت أن أقوم فأدنيه حتى يذكرون محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكث
ثم إنهم تفرقوا عنه صلى الله عليه وسلم فسمعتهم يقولون يا رسول الله إن شقتنا
أي أرضنا التي نذهب إليها بعيدة ونحن منطلقون فزودنا أي لأنفسنا ودوابنا
ولعله كان نفد زادهم وزاد دوابهم فقال صلى الله عليه وسلم كل عظم ذكر اسم
الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما كان لحما رواه مسلم وفي رواية إلا وجد عليه
لحمه الذي كان عليه يوم أكل وكل بعر علف دوابكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
أنهم سألوه صلى الله عليه وسلم الزاد فقال لكم كل عظم عراق وكل روثة خضرة
والعراق بضم العين وفتح الراء جمع عرق بفتح العين وسكون الراء العظم
الذي أخذ عنه اللحم وقيل الذي أخذ عنه معظم اللحم قلت يا رسول الله وما
يغني ذلك عنهم أي عن أنفسهم ودوابهم بدليل قوله فقال إنهم لا يجدون عظما
إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت وفي رواية

وجدوه

وسألوه صلى الله عليه وسلم الزاد فزودهم

وجدوه أي الروث والبعر شعيرا فهذه الروايات تدل على أن الروث مطعوم دوابهم وأيضا فقد
يأكلان الروث يعود خضرا لدوابهم وجمع ابن حجر الهيتمي بأن الروث يكون تارة علفا
لدوابهم وتارة يكون طعاما لهم أنفسهم • وفي لفظ سألوني المتاع فمتعتهم بكل عظم حائل
وكل روثة وبعرة والحائل المتغير بمرور الزمن لأنه لم يخرج بذلك عن كونه مطعوما
لهم كما لو صرف وصار فحما ولعل العزي من ذكر الحائل الإشارة إلى أن زادهم العظم ولو كان
حائلا لأنه لم يمنعهم إلا الحائل وقوله إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل يدل على أن المراد
عظم المذكاة وبدليل ذكروا اسم الله عليه فلا يأكلوا ما لم يذكر اسم الله عليه من عظم
وكذا من طعام الإنس سرقة كما جاء في بعض الأخبار هذا ولكن في رواية أبي
داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه قال السهيلي وأكثر الأحاديث تدل على معنى
رواية أبي داود وقال بعض العلماء رواية ذكر اسم الله عليه في الجن المؤمنين
ورواية لم يذكر اسم الله عليه في حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح يعضده
الأحاديث هذه الكلمة أي الخمس تلك الأحاديث أن إبليس قال يا رب ليس
أحد من خلقك إلا وجعلت له رزقا ومعيشة فما رزقي قال كل ما لم يذكر عليه اسمي
ومعلوم أن إبليس أبو الجن وأن ما لم يذكر اسم الله عليه يعم عظم الميتة وغيرها هذا
الشياطين بالمؤمنين يدل على أن المراد بهم فسقتهم لا الكفار منهم لأن في كون
الكفار من الجن اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين وأن كلا من الفريقين
سأله الزاد وأنه خاطب كلا بما يليق به فيه بعد لا سيما مع ما تقدم عن ابن
مسعود وما يأتي من قوله إخوانكم من الجن ومن ثم قال بعضهم إن السائلين له
صلى الله عليه وسلم الزاد كانوا مؤمنين فليتأمل • ولما ذكر صلى الله عليه وسلم
لهم الروث والعظم قالوا يا رسول الله إن الناس يقذرونها علينا فنهى النبي
صلى الله عليه وسلم أن يستنجي بالعظم أو بروثة بقوله فلا يستنجين أحدكم إذا
خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة لأنه زاد إخوانكم من الجن وفي رواية
قالوا يا رسول الله انه أمتك عن الاستنجاء بها فإن الله تعالى قد جعل لنا فيها
رزقا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم والبعر وحرمت
نحو البول والتغوط عليهما تعلم من ذلك بالأولى ومنه يعلم أن مرادهم بالتقذير
التنجيس لا ما يشمل التقذير بالطاهر كالبزاق والمخاط • وعن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشي إذ جاءت حية

فقعقعت الى جنبه صلى الله عليه وسلم وادنت فاها من اذنه وكانما تناجيه فقال صلى الله
عليه وسلم نعم فانشمرت قال جابر فسألته صلى الله عليه وسلم فاخبرني انه رجل من
الجن وانه قال له مر امتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة اي العظم لان الله تعالى
جعل لنا في ذلك رزقا ولعل هذا الرجل من الجن لم تبلغه انه صلى الله عليه وسلم نهى عن
ذلك ولا يخفى ان سؤال الزاد يقتضي ان ذلك لم يكن زادهم وزاد دوابهم قبل ذلك
وحينئذ فسبيله كان زادهم قبل ذلك ونفيناه هو كل ما لم يذكر اسم الله عليه
من طعام الادميين وحينئذ يكون ما تقدم من خبر ابليس المراد به ما لم يذكر اسم الله
عليه غير العظم فليتأمل والنهي عن الاستنجا يدل على ان ذلك لا يختص بحالة
السفر بل هو زادهم بعد ذلك دائما وابدا وقضية جابر هذه كانت في غزاة تبوك
فليحررها ● قال في المواهب وفي هذا رد على من زعم ان الجن لا تأكل ولا تشرب
اي وانما يتغذون بالشم انتهى وذكر في كتاب عقد المرجان فيما يتعلق بالجان ان في
اكل الجن ثلاثة اقوال قيل يأكلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد ●
والثاني لا يأكلون ولا يشربون بل يتغذون بالشم والثالث انهم صنفان صنف يأكل
ويشرب وصنف لا يأكل ولا يشرب وانما يتغذون بالشم وهو خلاصتهم والله اعلم
قال ابن مسعود فنهاني او قال لو قلت من هولاء قال هولاء جن نصيبين وفي رواية فتوارى
عني حتى لم اره فلما سطع الفجر اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اراك
قائما فقلت ما قعدت فقال ما عليك لو قعدت اي قعدت قلت خشيت ان اخرج
منه فقال اما انك لو خرجت لم تزني ولم اركب الى يوم القيامة اي وفي رواية لم
امن عليك ان يختطفك بعضهم وفي رواية فقال لي امنت فقلت لا والله يا رسول الله
ولقد هممت مرارا ان استغيث بالناس اي لما تراكموا عليك وسمعت منهم لغطا
شديدا اي خفت عليك حتى سمعتك تقرعهم بعصاك وتقول اجلسوا وسالته
عن سبب اللغط الذي كان منهم فقال ان الجن تداعت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا
اليّ فحكمت بينهم بالحق وفي رواية قال لي اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا
والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك زاد في رواية ابن مسعود ثم شبك اصابعه
في اصابعي وقال اني وعدت ان تؤمن بي الجن والانس اما الانس فقد امنت واما
الجن فقد رايت ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود هل معك وضوء اي ما يتوضأ
به قلت لا قال ما هذه الاداوة اي وهي اناء من جلد قلت فيها نبيذ قال تمرة

طيبة

والجن اصناف ثلاثة

ومن شرف الادمي

طيبة وماء طهور فصب على فصببت عليه فتوضأ واقام الصلاة وصلى اقول وهو محمول عند
ايمتنا معاشر الشافعية على ان الماء يتغير بالتمر تغيرا يسيرا لم يسلب اسم الما عنه
ومن ثم قال انه طهور وقول ابن مسعود فيها نبيذ اي منبوذ الذي هو التمر وسماه
نبيذا باعتبار الاول على حد قوله تعالى اني اراني اعصر خمرا وهذا بنا على
صحة الحديث والا فقد قال بعضهم حديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين وفي
كلام الشيخ محيي الدين ابن عربي رضي الله عنه الذي اقول به منع التطهير بالنبيذ
لعدم صحة الخبر المروي فيه ولو ان الحديث صح لم يكن نصا في الوضوء به فانه صلى
الله عليه وسلم قال تمرة طيبة وماء طهور اي قليلا لا ممتزج والتغير عن وصف الما
وذلك لان الله تعالى ما شرع الطهارة عند فقد الما الا بالتيمم بالتراب خاصة
قال ومن شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهير ايضا به تشريفا له وعند احمد
ومسلم والترمذي عن علقمة قلت لابن مسعود هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الجن منكم احد فقال ما صحبه منا احد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا استطير
او اغتيل وطلبناه فلم نجده فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء وفي
لفظ من قبل حرا فقلنا يا رسول الله انا فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة فقال
انه اتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرات عليهم القرآن فانطلق فارانا اثارهم واثار نيرانهم
وهذه القضية يجوز ان تكون هي المنقولة عن كعب الاحبار المتقدم ذكرها وهي سابقة
على القضية التي كان فيها ابن مسعود ويجوز ان تكون غيرها وهي المرادة بقول عكرمة
انهم كانوا اثني عشر الفا جاوا من جزيرة الموصل لان المتقدم في تلك عن كعب الاحبار
انهم كانوا ثمانية من جن نصيبين وحينئذ يحتمل ان تكون هذه القضية سابقة على
القضية التي كان فيها ابن مسعود ويحتمل ان تكون متاخرة عنها وعلى ذلك يكون
اجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث مرات مرة كان معه فيها ابن مسعود
ومرتين لم يكن معه فيها ابن مسعود قال في الاصل ويكفي في امر الجن ما في سورة
الرحمن وسورة قل اوحي الي وسورة الاحقاف اقول فعلم ان الجن سمعوا
قراءته صلى الله عليه وسلم ولم يجتمعوا به ولا شعر بهم في المرة الاولى
وهو ذاهب من مكة الى سوق عكاظ وفي ابتداء البعث المتقدمة عن ابن عباس
على ما تقدم ولا في المرة الثانية عند منصرفه من الطائف بنخلة على ما تقدم
فيه وعلم ان الروايات متفقة على انهم لم يلقوه صلى الله عليه وسلم في المرتين

وقد اخرج البيهقي في شعب الايمان عن قتادة انه قال لما اهبط ابليس قال اي رب قد لعنته
فما عمله قال السحر قال فما قراءته قال الشعر قال فما كتابته قال الوشم قال فما طعامه قال
كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه اي من طعام الانسي ياخذه سرقة قال فما شرابه
قال كل مسكر قال فاين مسكنه قال الحمام قال فاين مجلسه قال في الاسواق قال فما
صوته قال المزمار قال فما مصايده قال النساء فالحمام اكثر محل اقامته والاسواق
محل تردده في بعض الاوقات والظاهر ان نسل ابليس فيما ذكر كابليس لم يؤمن من الجن

باب ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسي واسلامه رضي الله تعالى عنه

كان الطفيل بن عمرو
الدوسي شريفا في قومه شاعرا نبيلا فقدم مكة فمشى اليه رجال من قريش
فقالوا يا ابا الطفيل كنوه بذلك تعظيما له فلم يقولوا يا طفيل انك قد قدمت
بلدنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد اعضل امره بنا اي اشتد وفرق جماعتنا
وشتت امرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابيه وبين الرجل واخيه
اي وبين الرجل وزوجه وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه
ولا تسمع منه اي قال الطفيل فوالله ما زالوا بي حتى اجمعت وقصدت ولزمت
ان لا اسمع منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا
وهو بضم الكاف وسكون الراء ثم سين مهملة مضمومة ثم فا اي قطنا فرقا اي
خوفا من ان يبلغني شيء من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فابى الله الا ان اسمع بعض قوله
اي فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسي انا ما يخفى علي القبيح من الحسن فما يمنعني
من ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي ياتي به حسنا قبلته وان
كان قبيحا تركته فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لي
كذا وكذا حتى سددت اذني بكرسف حتى لا اسمع قولك فاعرض علي امرك
فعرض علينا الاسلام وتلى علينا القرآن اي قرا عليه قل هو الله احد الى اخرها
وقل اعوذ برب الفلق الى اخرها وقل اعوذ برب الناس الى اخرها وفيه انه
سياتي ان نزول قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس كان بالمدينة
عندما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يقال يجوز ان يكون ذلك مما
تكرر نزوله فقال والله ما سمعت قط قولا احسن منه ولا امرا اعدل منه

فقلت

فقلت يا نبي الله اني امرؤ مطاع في قومي وانا راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع
الله ان يكون لي عونا عليهم قال اللهم اجعل له اية فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعني
على الحاضر اي القوم النازلون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك في ليلة
مظلمة وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي فاني اخشى ان
يظنوا انه مثلة فتحول في راس سوطي فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور كالقنديل
المعلق اي وهي ثم تحول بعد ذلك النور والى ذلك اشار السبكي في تائيته بقوله
وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه • جعلت ضياء مثل شمس مضيئة •
قال فاتاني ابي فقلت اليك عني يا ابت فلست منك ولست مني قال لم اي بني •
قلت لقد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال اي بني ديني •
دينك فاسلم اي بعد ان قال له اغتسل وطهر ثيابك فغسل ثم جا فعرض عليه •
الاسلام ثم اتتني صاحبتي فذكرت لها مثل ذلك اي فقلت لها اليك عني فلست
منك ولست مني قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فديني دينك
فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا علي فجئت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبتني دوس اي وفي رواية قد غلبني
على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا زاد في رواية وائت بهم
قال الطفيل فرجعت فلم ازل بدار قومي ادعوهم حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق ثم اتيت فاسلموا قال فقدمت بمن اسلم
من قومي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بسبعين او ثمانين بيتا من دوس
اي ومنهم ابو هريرة رضي الله عنه فاسهم لنا مع المسلمين اي مع عدم حضورهم القتال انتهى
اقول قال في النور وفي الصحيح ما ينفي هذا وانه لم يعط احدا لم يشهد القتال الا
اهل السفينة الجائين من ارض الحبشة جعفر ومن معه اي ومنهم الاشعريون ابو
موسى الاشعري وقومه وفيه انه سياتي انه صلى الله عليه وسلم سال اصحابه ان يشركوهم
في الغنيمة ففعلوا وسياتي انه انما اعطى اهل السفينة اي والدوسيين على ما علمت من
الحصون التي فتحت صلحا فما اعطاهم انما هو من الفيء لا من الغنيمة وسوال اصحابه
في اعطائهم من المشورة العامة المامور بها في قوله تعالى وشاورهم في الامر لا
لا لاستنزالهم عن شيء من حقهم من الغنيمة هذا كلامه والله سبحانه اعلم

باب ذكر الاسراء والمعراج وفرض

٢٥١

الصلوات الخمس **اعلم انه اختلف في الاسراء به صلى الله عليه وسلم**
اذ هو نص القران على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه احاديث
كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين اي ومن ثم ذهب
الحافظ الصوفي الى ان الاسراء وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فجعل كل حديث اسرا
واتفق العلماء على ان الاسراء كان بعد البعثة انتهى اي الاسراء الذي كان في اليقظة
بجسده صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما في حديث البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان الاسراء كان قبل ان يوحى اليه صلى الله عليه وسلم لان ذلك كان في نوم بروحه
وكان هذا الاسراء توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته صلى الله عليه وسلم الرؤيا
الصادقة • وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه ان اسراءه صلى الله
عليه وسلم كانت اربعا وثلاثين واحد بجسمه والباقي بروحه وتلك الليلة اي
التي كانت بجسمه صلى الله عليه وسلم كانت ليلة سبع عشرة وقيل سبع وعشرين خلت
من شهر ربيع الاول وقيل ليلة تسع وعشرين خلت من رمضان اي وقيل ليلة سبع وعشرين
خلت من ربيع الاول وقيل من ربيع الثاني وقيل من رجب واختار هذا الاخير الحافظ
عبد الغني المقدسي وعليه عمل الناس وقيل في شوال وقيل في ذي الحجة وفي كلام الشيخ
عبد الوهاب الشعراني ما يفيد ان اسراءه صلى الله عليه وسلم كلها كانت في تلك الليلة
التي وقع فيها هذا الخلاف فيما تقدم وذلك قبل الهجرة بسنة وبه جزم ابن حزم
وادعى فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث سنين وكل من الاسراء والمعراج كان بعد
خروجه صلى الله عليه وسلم للطائف كما دل عليه السياق • وعن ابن اسحاق ان ذلك
كان قبل خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف وبه نطق ظاهره • واختلف في اليوم الذي
يسفر عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت وقال ابن دحية يكون يوم الاثنين ان شاء الله
تعالى ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة اي لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين
وبعث يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين
فليتأمل • عن ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها اي واسمها على الاشهر فاختة وسيأتي
في فتح مكة انها اسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة الى نجران ومات بها على كفره قالت
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس اي في الظلام بعد الفجر وانا على فراشي
فقال اشعرت اي علمت اني نمت الليلة في المسجد الحرام اي عند البيت او في الحجر وهو المراد
بالحطيم الذي وقع في بعض الروايات وفي رواية انه فرج سقف بيتي قال الحافظ ابن حجر يمكن

ان يكون

ان يكون السر في ذلك اي في انفراج السقف التمهيد لما يقع من شق صدره صلى الله عليه وسلم فكان الملك
اراه بانفراج السقف والتيامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفا به وتثبيتا له صلى الله عليه وسلم
اي زيادة تمهيد وتثبيت له صلى الله عليه وسلم والا فشق صدره صلى الله عليه وسلم تقدم له غير
مرة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم نام في بيت ام هانئ قالت ففقدته من الليل فامتنع مني النوم
مخافة ان يكون عرض له بعض قريش اي وحكى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم فقد تلك الليلة
فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه وخرج العباس الى ذي طوى وجعل يصرخ يا محمد فاجابه
لبيك لبيك فقال يا ابن اخي عنيت قومك فاين كنت قال ذهبت الى بيت المقدس قال من ليلتك
قال نعم قال هل اصابك الا خير قال ما اصابني الا خير ولعله صلى الله عليه وسلم نزل عن البراق
في ذلك المحل • وعن ام هانئ رضي الله عنها انها قالت ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الاخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبل الفجر
اهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ايقظنا من نومنا ومن ثم جاء في رواية انبهنا فلما صلى
الصبح وصلينا معه قال يا ام هانئ لقد صليت معكن العشاء الاخرة كما رايت في هذا الوادي
ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترين الحديث والمراد انه صلى
الله عليه وسلم صلى صلاته التي كان يصليها وهي الركعتان في الوقتين المذكورين لا انه صلاة
العشاء وصلاة الصبح التي هي صلاة الغداة لم يكونا فرضتا وفي قولها وصلينا معه نظر لما تقدم
وياتي انها لم تسلم الا يوم الفتح • ثم رايت في مزيل الخفا واما قولها يعني ام هانئ وصلينا معه
اراد به ذهبنا لما نحتاج اليه في الصلاة كذا اجاب واقرب منه انها تكلمت على لسان
غيرها او انها لم تظهر اسلامها الا يوم الفتح فليتأمل • فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني
وما رواية اسري به من شعب ابي طالب قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الروايات انه
صلى الله عليه وسلم نام في بيت ام هانئ وبيتها عند شعب ابي طالب ففرج عن سقف بيته
الذي هو بيت ام هانئ لانه صلى الله عليه وسلم كان نائما به فنزل الملك واخرجه الى المسجد
وكان به اثر النعاس ثم اضطجع فيه عند الحجر فصح قوله صلى الله عليه وسلم نمت الليلة في المسجد الحرام
الى اخره وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك اخر اي وهو مضطجع
في المسجد في الحجر اي بين عميه حمزة وابن عمه جعفر رضي الله عنهما قال احدهم هذا سيد القوم
الاوسط بين الرجلين فاحتملوه حتى جاءوا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل
فشق من ثغرة نحره وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى اسفل بطنه اي وفي رواية الى
مراق بطنه وفي رواية الى شعرته اي اشار الى ذلك فانشق فلم يكن الشق في المرات كلها بالة

واختلف في ليلة الاسراء

ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك الما كما تقدم التصريح بذلك في بعض الروايات لانه من خوارق العادات
وظهور المعجزات ثم قال لجبريل لميكائيل ايتني بطست من ماء زمزم كيما اطهر قلبه واشرح صدره قال
فاستخرج قلبه فشقه وغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من اذى وهذا الاذى يحتمل
ان يكون من بقايا تلك العلقة السوداء التي نزعت منه صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع في
بني سعد بناء على تجزيها كما تقدم في المرة الثانية وهو ابن عشر سنين والثالثة عند البعث
فلا ينافي ان العلقة السوداء نزعت منه صلى الله عليه وسلم في المرة الاولى وهو مسترضع
في بني سعد ويستحيل تكرار اخراجها والقائها والذي ينبغي ان يكون نزع تلك العلقة
انما هو في المرة الاولى والواقع في غيرها انما هو اخراج الاذى وانه غير تلك العلقة
والمراد به ما يكون في الجبلات البشرية وتكرر اخراج ذلك الاذى استيفاء لرتبة التنقية
فيه وذكر العلقة في المرة الاولى وقول الملك هذا حظ الشيطان وهم من بعض الرواة
واخلفا ايضا ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم ثم اتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا
اي بشيء تحصل الحكمة والايمان لان المعاني لا تتمثل بالاجسام او فيه ما هو سبب لحصول ذلك والمراد
كمالهما فلا ينافي ما تقدم في قصة الرضاع انه ملئ حكمة وايمانا ووضعت فيه السكينة ثم اطبقه
ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وتقدم في قصة الرضاع ايضا ورد ان الختم كان في قلبه
وفي اخرى انه كان في صدره وفي اخرى انه كان بين كتفيه وتقدم الكلام على ذلك * وانكر
القاضي عياض شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وقال انما كان وهو صلى الله عليه
وسلم صبي في بني سعد وهو يقتضي انكاره شقه عند البعث ايضا اي والتي قبلها وعمره صلى
الله عليه وسلم عشر سنين ورده الحافظ ابن حجر بان الروايات تواردت بشق صدره
صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة وعند البعث اي زيادة على الواقع له صلى الله عليه
وسلم في بني سعد وابدى لكل من الثلاث حكمة وتقدم انه شق صدره صلى الله عليه وسلم
وهو ابن عشر سنين وتقدم ما فيه اقول ويمكن ان يكون انكار القاضي عياض لشق صدره
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على الوجه الذي جاء في بعض الروايات انه اخرج من
قلبه علقة سوداء وقال الملك هذا حظ الشيطان منك لان هذا انما كان وهو مسترضع
في بني سعد ويستحيل تكرر القاء تلك العلقة وحينئذ لا يشكل بعض بقايا تلك العلقة كما
قدمنا ينافي قول الملك هذا حظ الشيطان منك الا ان يقال المراد انه من حظ الشيطان
اي بعض حظ الشيطان فليتأمل ذلك والاولى ما قدمناه في ذلك * ثم لا يخفى انه ورد
غسل صدري وفي رواية قلبي وقد يقال الغسل وقع لهما معا كما وقع الشق لهما معا فاجعل

صفة تابوت بني اسرائيل

صلى الله عليه وسلم باصابعه مرة وبالاخرى مرة اخرى اي وتقدم في مبحث الرضاع في رواية شق
بطنه صلى الله عليه وسلم ثم قلبه وفي اخرى شق صدره ثم قلبه وفي اخرى الاقتصار على شق
بطنه وفي اخرى الاقتصار على شق صدره وفي اخرى الاقتصار على شق قلبه وتقدم ان المراد
بالبطن الصدر وليس المراد باحدهما القلب وفي كلام غيره واصحابنا ينبغي ان المراد بالصدر القلب
ومن ثم قيل هل شق صدره وغسله مخصوص به صلى الله عليه وسلم او وقع لغيره من الانبياء واجيب
بانه جاء في قصة تابوت بني اسرائيل الذي انزله الله على آدم حين اهبطه الى الارض فيه صور
الانبياء من اولاده وفيه بيوت بعدد الرسل واخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم وهو
من ياقوتة حمراء ثلاثة اذرع في ذراعين وقيل كان من نوع من الخشب يتخذ منه الامشاط مموها
بالذهب فكان عند آدم الى ان مات ثم عند شيث ثم توارثه بنو آدم الى ان وصل الى ابراهيم عليه
السلام ثم كان عند اسماعيل ثم عند ابنه قيذار فنازعه ولد اسحاق ثم امره الله ان يدفعه الى بني
عمه بني يعقوب اسرائيل الله فحملته الى ان اوصلته لهم ثم وصل الى موسى عليه السلام فوضع فيه التوراة
ومتاعه وعصاه وعمامة هارون ورضاض الالواح التي تكسرت لما القاها وانه كان فيه الطست
من ذهب من الجنة الذي غسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك مقتضي
لعدم الخصوصية وكان هذا التابوت اذا اختلفوا في شيء تكلم منه ما يفصل بينهم وكانوا يقدمونه امامهم
في حرب الاعداء وكان كل من تقدم عليه من الجيش لا بد ان يقتل او ينهزم الجيش وفي الخصائص
للسيوطي ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن جميع الانبياء ولم يؤت نبي قبله شق صدره في احد
القولين وهو الاصح وجمع بعضهم بحمل الخصوصية على تكرر الشق لان تكرر شق صدره صلى الله
عليه وسلم ثبت في الاحاديث وشق صدر غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما اخذ
من قصة التابوت وليس فيها تعرض للتكرار ولو جمع بان شق الصدر مشترك وشق القلب
واخراج العلقة السوداء مختص به صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بالقلب في قصة التابوت
الصدر وبالصدر في كلام الحافظ بعض القلب لم يبعد اذ ليس في قصة التابوت ما يدل
على ان تلك العلقة السوداء اخرجت من غير قلب نبينا صلى الله عليه وسلم ولم اقف
على ما يدل على ذلك وغسل قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس بلازمه الشق
بل يجوز ان يكون الغسل من خارج وقد احلنا على هذا الجمع في مبحث الرضاع وهذا يرد ما قدمناه
من قول الشمس الشامي الراجح المشاركة ولم ار لعدم المشاركة ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد
فليتأمل ورأيته انه جمع جزءا سماه البدر فيما جاء في شق الصدر ولم اقف عليه والله تعالى اعلم
قال فاتاني جبريل فذهب بي الى باب المسجد اي وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

صفة البراق

بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل عليه السلام فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي فجاءني
فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا
فاخذ بعضدي فقمت معه فخرج الى باب المسجد فاذا دابة ابيض اي ذكر ثم قيل لها البراق
بضم الموحدة لشدة بريقه وقيل قيل له ذلك لسرعته اي فهو كالبرق وقيل لانه كان ذا لونين
ابيض واسود اي يقال شاة برقاء اذا كان خلال صوفها الابيض طاقات سود اي وهي العفراء
لكن في الصحاح العفر الابيض وليس بالشديد البياض وشاة عفراء يعلو بياضها حمرة ولعل
بياض شعره على سواده او حمرته قيل ابيض ولغلبة سواد شعره لم يحكها كما بل كان في بياضه الحمرة
ووصف بانه احمر وهذا لا يتم الا اذا كان البراق كذلك اي شعره ابيض واخلله طاقات سود
او حمر ولعله كان كذلك ويدل لذلك قول بعضهم انه ذو اللونين اي بياض وسواد والسواد كالعلم
اذا مس شبه بالاحمر وهذه الرواية طوى فيها ذكر انه كان بين حمزة وجعفر وان الذي جاءه جبريل
وميكائيل وملك اخر وانهم احتملوه الى زمزم وشق جبريل صدره الى اخر ما تقدم وذلك
البراق فوق الحمار ودون البغل مضطرب الاذنين اي طويلهما اي وكان مسرجا ملجما كما في
بعض الروايات فركبته فكان يضع حافره مد بصره الى حيث ينتهي بصره اي وفي رواية يضع
حافره الى حيث ينتهي طرفها اذا اخذ في هبوط طالت يداه وقصرت رجلاه واذا
اخذ في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه اي وتقدم هذا الوصف في فرس فرعون يوم
فقد قيل كان لفرعون موسى اربع عجائب فذكر منها ان لحيته كانت خضرا ثمانية اشبار
وقامته سبعة اشبار فكانت لحيته اطول منه بشبر وكان له فرس وقيل برذون اذا صعد
الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه واذا انحدر يكون بعكس ذلك وفي رواية ان البراق
خطوه مد البصر قال ابن المنير فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة
لان بصر الذي في الارض يقع على السماء فبلغ اعلى السماوات في سبع خطوات انتهى اي لان
من يكون في سماء الدنيا يقع على السماء فوقها وكذلك وهذا بناء على ان عروجه صلى الله عليه وسلم
عند المعراج راكب البراق وسياتي ما فيه قال صلى الله عليه وسلم فلما دنوت لاركبه اي
نفر وفي رواية فاستصعب ومنع ظهره ان يركب فقال جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم
على الله من محمد وفي رواية فجذبها اي الدابة التي هي البراق تحفز بها اي تدفع بها
رجليها وهي الحفز الحث والاعجال فلما دنوت لاركبها شمست اي نفرت ومنعت
ظهرها وفي رواية شمس وفي رواية صرت اذنيها اي جمعتهما وذلك شان الدابة
اذا نفرت فوضع جبريل يده على معرفتها ثم قال الا تستحي يا براق مما تصنعين فوالله ما ركب

فائدة
في بعض شروح الشفا ان البراق خلقه الله تعالى لحمل الانبيا كديك العرش كذا ابتلم

عليك

عليك احد وفي رواية عبد الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم اكرم على الله منه فاستحيت حتى
ارفضت عرقا اي كثر عرقها وسال ثم قربت حتى ركبها وفي رواية فقال لها جبريل مه يا براق
فوالله ما ركبك مثله قبل الانبياء اي لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت تركبها قبله
صلى الله عليه وسلم كما في البيهقي وكانت الانبياء تركبها قبلي وعند النسائي وكانت تسخر
للانبياء قبلي وبعد عهدها العهد من ركوبهم لانها لم تكن ركبت في الفترة بين عيسى ومحمد صلى
الله عليه وسلم كما ذكره ابن بطال وهو يقتضي انه لم يركبه احد ممن كان بين عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وما التفريع يدل على بعض الروايات ان يكون عيسى من ركبها دون
من بعده من الانبياء على تقدير ثبوت نبي بعد عيسى وتقدم عن ابن اسحاق انه كان بينهما الف نبي
وقوله لان الانبياء ظاهره يدل على ان جميع الانبياء اي عيسى ومن قبله ركبوه قال النووي
القول بانه شمل جميع الانبياء في ركوبها يحتاج الى نقل صحيح هذا كلامه ومما يدل على
ان الانبياء كانت تركبه قبله صلى الله عليه وسلم ما تقدم وما هو ما ياتي في بعض الروايات
فربطه بالحلقة التي تربط بها الانبياء وان قلنا ظاهره لا يلزم ذكر الموثق بفتح
المثلثة اذ يحتمل ان الانبياء كانت تربط غير البراق فيه ودوابهم بها ثم رايت في
رواية البيهقي فاوثقت دابتي يعني البراق ومن ثم قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني
رضي الله عنه ما من رسول الا وقد اسري به راكبا على ذلك البراق هذا كلامه
وقد تقدم ان ابراهيم عليه السلام حمل هو وهاجر وولدها يعني اسماعيل على البراق
الى مكة وفي تاريخ الازرقي وكان ابراهيم يحج كل سنة على البراق وعن سعيد ابن
المسيب وغيره ان البراق هو دابة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التي كان يزور
عليها البيت الحرام وعلى تسليم انه لم يركب البراق احد قبله صلى الله عليه وسلم كما يقوله
ابن دحية وتوقف الامام النووي فقول جبريل عليه السلام ما ركبك ونحو الانبيا فيه
لان السالبة صادق بنفي الموضوع ومن ثم قال في الخصائص الصغرى وخص صلى الله
عليه وسلم بركوب البراق في احد الوجهين اي وقيل ان الذي خص بركوبه
سرجا ملجما وفي المنتقى ان البراق وان كان يركبه الانبياء الا انه لم يكن
يضع حافره عند منتهى طرفه الا عند ركوب النبي صلى الله عليه وسلم وما في عرائس التفسير
ان البراق لما شمس قال له جبريل لعلك يا محه مسست الصفرا اليوم وهو صنم كان
من ذهب وبعضه من نحاس كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال له صلى الله
عليه وسلم ما مسسته الا اني مررت به وقلت تبا لمن يعبدك من دون الله فقال جبريل

ومن صفة البراق ايضا

وما سحتنى لالين لك اي لمجرد مرورك عليه وهذا حديث موضوع كما نقل عن الامام احمد
وقال الحافظ ابن حجر انه من الاخبار الواهية وقال مغلطاي لا ينبغي ان يذكر ولا يعزى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ● ويقال فرس شموس اي صعبة ولا يقال شموسة ● وذكر
الاستصعاب البراق عند ذلك من الحكم لا ينبغي ان يذكره ● قال وعن الثعلبي بسند
ضعيف في صفة البراق عن ابن عباس رضي الله عنهما له خد كخد الانسان وعرف
كعرف الفرس وقوائم كالابل واظلاف وذنب كالبقر وصدره يكون اطلاق
الخف عليه ذلك في الرواية السابقة بين صفتها حب ينتهي طرفها مجاز لانه مع
كون لها قوائم كقوائم الابل لا ظلف لها بل ظلف وهو الحافر ● وفي كلام بعضهم في
صفة البراق وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم
الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى اي ذكرنا ووصف بوصف المذكر تارة
وبوصف المؤنث اخرى فهي حقيقة ثالثة ويكون خارجا عن قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا
زوجين كما خرج من ذلك الملائكة فانهم ليسوا ذكورا ولا اناثا ● وذكر بعضهم ان اذنيها
كاذن الفيل وعنقها كعنق البعير وصدرها كصدر البغل كانه من ياقوت احمر لها جناحان
كجناح النسر فيهما من كل لون وقوائمها كقوائم الفرس وذنبها كذنب البعير ويجناح للجمع
بين الروايتين على تقدير الصحة ● قال صلى الله عليه وسلم ثم سرت وجبريل عليه السلام لا يفارقني
وفي رواية انه ركب معه البراق وفي الشفا ما زايلا ظهر البراق حتى رجعا وفي رواية ركبت
البراق خلف جبريل اي وفي صحيح ابن حبان وحمله جبريل على البراق رديفا له قال وفي الهدى
كان الاخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره
انتهى قال ولا منافاة لجواز ان يكون جبريل تارة ركب معه صلى الله عليه وسلم وتارة
اخذ بركابه من جهة اليمين وميكائيل تارة اخذ بالزمام وتارة لم ياخذه وكان جهة يساره او
كان اخذا بالزمام من جهة اليسار ولا يحتاج هذا الجمع فقول الشفا ما زايلا ظهر البراق
لا يمكن حمله على غالب المسافة هذا وفي حياة الحيوان الظاهر عندي ان جبريل لم يركب
مع النبي صلى الله عليه وسلم البراق ليلة الاسرا لان المخصوص بشرف الاسرا هذه الكلامة
نبينا محمد والله اعلم ● قال صلى الله عليه وسلم ثم انتهيت الى بيت المقدس فاوثقته بالحلقة
اي التي بالباب اي باب المسجد التي كانت الانبيا عليهم الصلاة والسلام توثقها اي تربط
بها على ما تقدم من رواية البيهقي وفي رواية ان جبريل خرق باصبعه الحجر اي الذي هو الصخرة
وفي كلام بعضهم فادخل جبريل يده في الصخرة فخرقها وشد بها البراق اقول لا منافاة لجواز

ان يكون

٢٥٤

ومن حديث ابي سفيان

ان يكون وضع الخرق باصبعه فحصل لقومنا انسداده وهذا الخرق هو المراد بالحلقة التي في الباب
لان الصخرة بالباب وقيل لهذا الخرق حلقة لاستدارته وفي الامتاع وقادة صخرة بيت المقدس
كهيئة الحجين مربوط ابتدا الناس يلمسون ذلك الموضع الى الان هذه العلامة ● وجمع بعضهم بانه
صلى الله عليه وسلم ربطه بالحلقة خارج باب المسجد الذي هو مكان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
تارة فاخذه جبريل فربطه في زاوية المسجد في الحجر الذي هو الصخرة التي خرقها باصبعه
وهل دخلاه من باب المسجد فكان ربطه له اولا لاجل ان يكون مركوبه على الباب بل يكون
داخلا ● وفي حديث ابي سفيان قبل اسلامه لقيصر انه قال لقيصر الا اخبرك عنه صلى الله عليه
وسلم الا اخبرك ايها الملك عنه خبرا تعلم انه يكذب قال وما هو قال انه يزعم انه خرج
من ارضنا ارض الحرم فجا مسجدكم هذا ورجع الينا في ليلة واحدة فقال بطريق انا اعرف
تلك الليلة فقال له قيصر ما علمك بها قال اني كنت لا ابيت ليلة حتى اغلق ابواب المسجد
فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد اي وهو الباب الذي غلبني
فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطعه فقلنا لو ان البناء نزل عليه فاتركوه الغد حتى
ياتي بعض النجارين فيصلحه فتركته مفتوحا فلما اصبحت غدوت فاذا الحجر الذي من
زاوية الباب مثقوب اي زيادة على ما كان عليه على ما تقدم واذا فيه اثر مربط الدابة اي
التي هي البراق اي ولم اجد بالباب ما يمنعه من الانغلاق فعلمت انه انما امتنع لاجل ما كنت
اجده في العلم القديم ان نبيا يصعد من بيت المقدس الى السما فقلت لاصحابي
ما حبس هذا الباب الليلة الا هذا الامر ويأتي ذلك عند الكلام على كتابه صلى الله
عليه وسلم لقيصر ● ولا يخفى ان المراد بالصخرة الحجر الذي بالباب لا الصخرة المعروفة كما هو
المتبادر من بعض الروايات وهي ان جبريل اتى الصخرة التي في بيت المقدس فوضع اصبعه فيها
فخرقها فشد بها البراق لان الذي في الباب لا يقال انها فيه ولا يخفى ان عدم انغلاق الباب
انما كان لاجل ذلك ولا يخفى ان جبريل عليه السلام لا يمنعه باب مغلق ولا غيره وفي رواية عن
شداد بن اوس انه قال ثم انطلق بي جبريل حتى دخلنا المدينة اي مدينة بيت المقدس
من بابها اليماني فاتى قبلة المسجد فربط فيها دابته فيتبادر لاهل العقل لا من يجوز ان
يكون ذلك الباب كان بجانب قبلة المسجد ولعل هذا الباب هو الباب اليماني الذي
يدخل منه الشمس والقمر اي تشرقان فيه والله اعلم ● وانكر حذيفة رضي الله عنه ربط البراق
وقال لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ورد عليه بان الحزم لا ينافي صحة
التوكل فقد ذهب حذيفة رضي الله عنه الى الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك

صفة صخرة بيت المقدس

قال وهب وجدته في سبعين كتب الله عز وجل القديمة اي ذلك قال صلى الله عليه وسلم ؛
افضلها ولعل وقد كان صلى الله عليه وسلم يتزود في اسفاره وبعد الاسلام فيحزوه به
حتى لعله ظاهر بيّن ورعيت في غزوة احد ⊙ قال وفي رواية فلما استوى النبي صلى الله
عليه وسلم في صخرة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك ان يريك الحور العين
قال نعم قال جبريل فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن فسلم عليهن فرددن عليه
السلام فقال من انتن قلن خيرات حسان نسا قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا فلم
يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا ⊙ اقول في كلام بعضهم انه لم يختلف احد انه صلى الله عليه وسلم
عرج به من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج من عند يمين الصخرة ⊙ وقد جا صخرة
بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من انهار الجنة وتحت النخلة آسية امراة فرعون
ومريم ابنة عمران تنظمان سموط اهل الجنة الى يوم القيامة قال الذهبي اسناده مظلم وهو
كذب ظاهر ⊙ قال الامام ابو بكر بن العربي في شرحه لموطأ مالك صخرة بيت المقدس من
عجائب الله تعالى فانها صخرة شعثا في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة
لا يمسكها الا الذي يمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه في اعلاها من جهة الجنوب
قدم النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبته صلى
الله عليه وسلم وفي الجهة الاخرى اصابع الملائكة التي امسكتها لما مالت ومن تحتها
المغارة التي انفصلت من كل جهة اي فهي معلقة بين السما والارض وامتنعت لهيبتها
من ان ادخل تحتها لاني كنت اخاف ان تسقط علي بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرايت
العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من
الارض شي ولا بعض شي وبعض الجهات اشد انفصالا من بعض وهذا الذي ذكره ابن
العربي انه قدمه صلى الله عليه وسلم اثر في صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وان
الملائكة امسكتها لما مالت قال به الحافظ شمس الدين الدمشقي حيث قال في
معراجه المبتهج ثم نوجها نحو صخرة بيت المقدس وعلاها ⊙ فصعد من جهة الشرق
اعلاها ⊙ فاضطربت تحت قدم نبينا صلى الله عليه وسلم ولانت فامسكتها الملائكة
لما تحركت ومالت ⊙ وقول ابن العربي حين ركب البراق يقتضي انه عرج به على
البراق وسياتي الكلام فيه ⊙ وتقدم ان الجلال السيوطي سئل عن قوم قدمه
صلى الله عليه وسلم في الحجر هل له اصل في كتب الحديث فاجاب بانه لم يقف له على
اصل ولا راي من خرجه في شي من كتب الحديث وتقدم ما فيه ⊙ وفي العرايس قال

اثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم

ابي

ابي بن كعب فانها عذب الاودية تنبع من تحت الصخرة ببيت المقدس ثم تتفرق في الارض والله اعلم فلما صلى الله
عليه وسلم نشر اي بعث الموتى وكذا السبق المتجه اي احيي لي بعد الموت رهط من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لانه شرابيت اجازه والرهط ما دون العشرة من الرجال منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام
وكله تخصيص هولا بالذكر لا تحقق صحبته بهم اي فالمراد نشروا عنده دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد وصلى
بهم ركعتين ومنهم بالنشور واضح في غير عيسى عليه السلام لانه لم يمت ووصف الانبيا عليهم الصلاة والسلام
بالاحيا بعد الموت يأتي في قصة بدر في الكلام على اصحاب القليب ما يعلم منه ان المراد بالاحيا بعد الموت
شدة تعلق ارواحهم باجسادهم حتى انهم في البرزخ بسبب ذلك احيا كحياتهم في الدنيا وقد ذكرنا ما يدل على الكلام
على صلاتهم في البرزخ وحجهم وغير ذلك ⊙ وفي رواية ثم صلى صلى الله عليه وسلم هو وجبريل كل واحد ركعتين
فلم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير اي من اولئك الرهط فلا ينافي الفئة بين الرهط والنبي فعرفنا النبيين
من بين قائم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن واقيمت الصلاة اقول ذكر ابن حجر ان اية واسال من
ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية نزلت ببيت المقدس ليلة الاسرا ويجوز ان يكون قوله واقيمت
الصلاة من عطف التفسير فالمراد بالاذان الاقامة وليس المراد بالاقامة الالفاظ المعروفة الان
لما يذكر في الكلام على مشروعية الاذان والاقامة بالمدينة وحكى ابن عطية الغابر ويدل لذلك ما في
بعض الروايات فلما استوينا في المسجد اذن مؤذن ثم اقام الصلاة فيلتمس من لازم ذلك ان يكون
كل من الاذان والاقامة باللفظين المعروفين لان الا انهما كلمتان لم يشرعا الا في المدينة ؛
اي في السنة الاولى من الهجرة وقيل في الثانية كما سياتي ⊙ وحديث لما اسري بالنبي صلى الله
عليه وسلم الى السما اوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به فعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب انه
موضوع وحديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان ليلة الاسرا في اسناده متهم به
وفي الخصائص الكبرى انه صلى الله عليه وسلم علم الاقامة ليلة الاسرا فعنه لما اراد الله عز
وجل ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان اي الاقامة عرج به الى ان انتهى الى الحجاب
الذي يلي الرحمن اي بل عرشه خرج ملك من الحجاب فقال الله اكبر الله اكبر فقيل من ورا الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من ورا الحجاب صدق
عبدي لا اله الا انا فقال الملك اشهد ان محمدا رسول الله فقيل من ورا الحجاب صدق عبدي
انا ارسلت محمدا فقال الملك حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة
الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فاخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه يوم باهل
السموات قال في الشفا والحجاب انما هو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون قال
فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن بعد رفع الحجاب

ومشروعية الاذان ليلة الاسرا حديثها موضوع

عن يمينه حتى اذا وجاء انه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن ذلك الملك فقال جبريل انه من الملك
ما رأيته قبل ساعتي هذه وفي لفظ والذي بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا
الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه وفيه ان هذا ينافيهما ان جبريل كان معه صلى الله
عليه وسلم في هذا المكان وسيأتي انه تخلف عنه عند سدرة المنتهى فلينظر مع ذلك والله اعلم
ولما اقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فاخذ جبريل بيده صلى
الله عليه وسلم فقدمه فصلى بهم ركعتين ● اي واما حديث لما اسري بي اذن جبريل فظنت
الملائكة انه يصلي بهم فقدمني فصليت بالملائكة قال الذهبي منكر بل موضوع والغرض
من تلك الصلاة الاعلام بعلو مقامه صلى الله عليه وسلم وانه المقدم لا سيما في الامامة
وفي رواية ثم اقيمت الصلاة فتدافعوا اي دفعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم
وله في الهمزية لانه يجوز ان يكون جبريل قدمه صلى الله عليه وسلم بعد دفعهم وتقديمهم له صلى
الله عليه وسلم وفي رواية فاذن جبريل اي فاقام الصلاة ونزلت الملائكة من السماء وحشر
الله له المرسلين اي جميعهم بدليل ما في بعض الروايات بعث الله آدم فمن دونه فهو تعميم بعد
تخصيص بناء على ان الرسول اخص من النبي لا بمعناه وهذا هو المراد بقول الخصائص الصغرى
ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم احيا الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وصلاته اماما بهم
وبالملائكة لان الانبياء احيا وفيه اذا كان الانبياء احيا فما معنى احيائهم له ليصلي بهم وقد
علمت معنى احيائهم ● فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد اتدري من صلى خلفك
قال لا قال كل نبي بعثه الله تعالى اي والنبي غير الرسول بعثه الله تعالى الى نفسه اقول
ولا يخالف ما سبق من انه عرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد لجواز ان يكون المراد
عرف معظمهم او انه عرفهم بعد هذا القول ● وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس جمع الله له الانبياء
آدم فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من المرسلين واربعة صفوف من سائر النبيين
وكان خلف ظهره ابراهيم الخليل وعن يمينه اسماعيل وعن يساره اسحاق صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين والله اعلم ● وفي رواية ثم دخلا اي مسجد بيت المقدس فصلى مع الملائكة
فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا الذي معك قال هذا محمد رسول الله خاتم
النبيين قالوا وقد ارسل اليه اي للمعراج بناء على انه كان في ليلة الاسراء قال نعم قالوا
حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة وهذه الرواية تدل لما نحا اليه
ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم صلى بالملائكة مع الانبياء والمرسلين صلوات الله
وسلامه

احيا الله له النبيين المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

وصلاته بالنبيين كانت قبل العروج

وسلامه عليهم اجمعين لانه يجوز ان يكون انما افردهم بالذكر لسؤالهم وفيه ان سؤالهم يدل على
ان نزولهم من السما ببيت المقدس لم يكن لاجل الصلاة معه صلى الله عليه وسلم فقال انما جيء
بهم والظاهر ان صلاته صلى الله عليه وسلم بهم يعني بالانبياء في بيت المقدس كانت قبل
العروج اي كما يدل عليه سياق القصة ● وقال الحافظ ابن كثير صلى بهم في بيت المقدس قبل
العروج وبعده فان في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه فاذا من الناس من يزعم
انه امهم في السما اي لا في بيت المقدس اي وهذا الزاعم هو حذيفة فانه انكر صلاته
صلى الله عليه وسلم بالانبياء في بيت المقدس قال بعضهم والذي تظاهرت به الروايات
صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس والظاهر
انه بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم اليه اي فلم يصل بهم صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس
الا مرة واحدة وانما بعد نزوله صلى الله عليه وسلم لانه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل
جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم اي ولو كان صلى بهم اولا لعرفهم بل تقدم انه
صلى الله عليه وسلم عرف النبيين ما بين قائم وراكع وساجد وما بالعهد من قدم وهذا
هو اللائق لانه صلى الله عليه وسلم اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوي اي بناء على ان
المعراج كان ليلة الاسراء حيث كان مطلوبا بالذات فالذي يليق ان لا يشتغل بشيء عنه فلما فرغ
من ذلك اجتمع هو صلى الله عليه وسلم واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم فقدمه
في الامامة هذا هو الكلام ● اقول يحتمل انه صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس
ولم يكن الا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من العروج والاستدلال على ذلك
بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء واحدا واحدا في السما وان ذلك هو اللائق
فيه نظر ظاهر لانه لا يحتاج مع وجود النقل بخلافه لمجرد الاستحسان العقلي لا يرد النقلي
فقد تقدم عن الحافظ ابن كثير انه ثبت في الحديث ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى
بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده وكونه سأل عن الانبياء في السما لا ينافي صلاته بهم
وانه عرفهم بناء على ان معرفته لهم كانت عند صلاته بهم اولا وانه عرفهم كلهم لا معظمهم على
ما تقدم ثانيا لانه يجوز ان يكونوا في السما على صور لم يكونوا عليها ببيت المقدس لان البرزخ
عالم شأنه كما تقدم ويشهد لهذا ما في قول بعضهم ورؤيته صلى الله عليه وسلم للانبياء محمولة
على رؤية ارواحهم الا عيسى عليه السلام وكذا ادريس ورؤيته لهم في بيت المقدس
يحتمل ان المراد ارواحهم ويحتمل اجسادهم ويدل للثاني وبعث الله له آدم فمن دونه
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي رواية نشر لي الانبياء من سمى الله ومن لم يسم فصليت

بهم وآله اشتغال من الجانب الشمالي المدعو له ايما ما فيه فالتبس لذوي هو اجتماعه صلى الله
عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وصلاته بهم فانه سيلائق للحال والله اعلم
واختلف في هذه الصلاة فقيل العشاء اي الركعتان اللتان كان صلى الله عليه وسلم
يصليهما بالعشي بناء على انه صلى بهم قبل العروج وعلى ذلك تكون صلاة وقيل الصبح
اي الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة اي وهذا ابين لعل لان الفجر طلع وهو مصل
الله عليه وسلم ببيت المقدس بعد العروج وتقدم وسيأتي انه صلى الله عليه وسلم
صلى الغداة بمكة وعليه تكون صلاة بمكة قال والذي يظهر والله اعلم انما كانت
من النفل المطلق اي غير اي ولا يضر وقوع الجماعة فيها ويقولنا اي الركعتان الى آخره
سقط ما قيل القول بانها العشاء او الصبح ليس بشيء لان اول صلاة صلاها من الخمس
مطلقا الظهر ومن حمل الاولية على مكة اي ويكون صلى الصبح ببيت المقدس فعليه الدليل
اي ولا بد بدليل لعل ان تلك الصلاة احدى الصلوات الخمس وفي تقريب القصص كان
ذهابه صلى الله عليه وسلم ومجيئه ثلاث ساعات وقيل اربع ساعات اي بقيت من
تلك الليلة لكن في كلام السبكي ان ذلك كان في قدر لحظة حيث قال في تائيته
وعدت وكل الامر كان في قدر لحظة اي ولا بدع لان الله تعالى يخفف بطيل الزمن القصير
كما يطوي الطويل لمن يشاء وقد فسح الله في الزمن القصير لبعض الاولياء ما يستغرق
الازمنة الكثيرة وفي ذلك حكايات شهيرة . قال صلى الله عليه وسلم واوتيت
بانائين احدهما ابيض فشربت الابيض فقال لي جبريل شربت اللبن وتركت الخمر
لو شربت الخمر لارتدت امتك اي غوت وانهمكت في الشرب بعدك لبلد الرواية
الاخرى وفي رواية البخاري اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به
بايلياء بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذي هداك
للفطرة اي الاستقامة لو اخذت الخمرة غوت امتك ولم يتبعك منهم الا القليل
اي يكونوا مثل ما انت عليه من ترك ذلك فالمراد بالارتداد الرجوع عما هو الصواب
واتيانه بذلك وهو في مسجد بيت المقدس وسيأتي ما يدل على انه اتي له صلى الله
عليه وسلم بذلك ايضا عند خروجه منه قبل العروج قال صلى الله عليه وسلم
واسري بي على ظهر البراق فما كان باسرع من ان اشرفت على مكة ومعي جبريل
فصليت بها الغداة ثم قال صلى الله عليه وسلم لام هانئ بعد ان اخبرها بذلك
انا اريد ان اخرج الى قريش فاخبرهم بما رأيت قالت ام هانئ فتعلقت بردائه

صلى

واتى صلى الله عليه وسلم بانائين

صلى الله عليه وسلم وقلت انشدك الله اي بفتح الهمزة اسألك بالله يا ابن عم اي يا ابن عم
ان تحدث اي لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك وفي رواية اني اذكرك الله
عز وجل الا تأتي قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فاخاف ان يسطوا بك
فضرب بيده الشريفة على ردائه فانتزعه من يدي فارتفع عن بطنه صلى الله
عليه وسلم فنظرت الى عكنه اي طبقات بطنه من السمن فوق ردائه صلى الله عليه وسلم
وكانه طي القراطيس اي الورقات واذا النور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بفتح
الطاء وربما كسرت بصري فخررت ساجدة فلما رفعت رأسي اذا هو قد خرج فقلت لجاريتي
نبعة اي وكانت حبشية معدودة في الصحابة رضي الله عنهما اتبعيه وانظري ماذا
يقول فلما رجعت اخبرتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش
في الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وفي كلام بعضهم بين الركن
والمقام سمي بذلك لان الناس يحطم بعضهم بعضا فيه من الازدحام لانه محل
اجابة الدعاء فيه ومن حلف فيه اثما عجلت عقوبته وربما اطلق كما تقدم على الحجر
بكسر الحاء واولئك النفر الذين انتهى اليهم صلى الله عليه وسلم فيهم المطعم بن عدي
وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال صلى الله عليه وسلم اني صليت
الليلة العشاء الآخرة اي وقت صلاة في هذا الوقت والا فصلاة العشاء لم تكن
فرضت في هذا المسجد وصليت به الغداة اي ووقت صلاة في ذلك الوقت في بيت
المقدس ايضا المناسب لذلك ان يقول واتيت في لحظة او ساعة فيما بين ذلك الى
بيت المقدس ولم يوضح لهم الزمن قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وعرف
ان الناس تكذبه وما احب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل
على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد صلى الله عليه وسلم
حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال
كالمستهزئ هل كان من شيء قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت
المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم ير انه يكذبه مخافة ان
يجحده الحديث ان دعا قومه اليه قال ارأيت ان دعوت قومك اليك احدثهم
بما حدثتني به فقال نعم فقال يا معشر بني كعب بن لؤي فانتفضت اليه المجالس
وجاؤوا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس ث

اول من وضع الحمام وما في ذلك

الحديث انتهى فنزل في رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام
وصليت بهم وكلمتهم فقال ابو جهل كالمستهزئ صفهم لي فقال اما عيسى عليه الصلاة والسلام
ففوق الربعة ودون الطويل اي لا طويل ولا قصير عريض الصدر ظاهر الدم اي لونه
احمر وفي رواية يعلوه حمرة كانما يتحادر من لحيته الجمان وفي رواية كانه خرج من
ديماس اي حمام واصله السرب لكن الذي يخرج منه الانسان وهو عرقان واصله الظلمة
بتبع ديلم اسمى والحمام لفظ عربي واول واضع له الجن وصنعته لسليمان عليه السلام
وقيل اول واضع له بقراط وقيل شخص يسمى بقراط استفاده من رجل كان به
تعقد العصب نوقع في ماء حار فحصل فسكن فصار يستعمله حتى برئ وجاء من طرق
عديدة كلها ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضا ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما
دخله ووجد حره وغمه قال اواه من عذاب الله لانه دخول الحمام يذكر النار لان الحمام
اشبه شيء بجهنم لان النار اسفله والسواد والظلمة اعلاه وقد قيل خير الحمام ما قدم
بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه قال بعضهم ويجيء فيها بعد شيخ سني قال
بعضهم ولم يعرف الحمام في بلاد الحجاز قبل البعثة وانما عرفه الصحابة بعد موته
صلى الله عليه وسلم بعد ان فتحوا بلاد العجم وفيه ان في البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون بيتا يقال له الحمام
قالوا يا رسول الله انه يذهب بالدرن وينفع المريض قال فاستتروا وفي رواية
انه لما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله انه
يذهب الوسخ ويذكر النار قال ان كنتم لا بد فاعلين فمن دخله فليستتر وهو
صريح في ان الصحابة رضي الله عنهم عرفوه في زمنه صلى الله عليه وسلم الا ان يقال
جاز ان يكونوا عرفوه من غيرهم بهذا الوصف لهم ولا ينفي ذلك ما سبق عن البعض من نفي
لزيادة دخوله فيه وكونه يقول صلى الله عليه وسلم بيتا يقال له الحمام وقوله صلى الله عليه
وسلم ستفتح عليكم ارض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات ولعلها جاء من
ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فلا يرد لانه على
تقدير صحته فالمراد به انه محل الاغتسال لا بالهيئة المخصوصة وكذا لا يرد ما في
معجم الطبراني الكبير من حديث ابي رافع انه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع فقال
نعم موضع الحمام هذا فبني حمام لجواز ان يكون بنى ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم
حتى ما عنى السلام بنوته قال بعضهم ولعله قال ذلك لفتح الموضع اي يحفر له بعضهم ويكفي

ذلك

ذلك في فضيلة الحمام ليس في محله وفيه ان هذا البعض لم يتعرض في الفضيلة بل هذا لفظ
بل عليه وعلى ما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما الذي فيه انه يذهب
بالدرن وينفع المريض ولا يرد ايضا ما في مسند احمد عن ام الدرداء رضي الله عنها
انها خرجت من الحمام فلقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها من اين
يا ام الدرداء فقالت من الحمام لان في سنده ضعيفا ومتروكا ولانه يجوز ان يكون
المراد محل الاغتسال لا البناء المبني على الهيئة المخصوصة كما تقدم ويرد ايضا
ما في الفردوس انه صح عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وقد خرجا من الحمام طاب حمامكما قال ابن القيم ولم
يدخل المصطفى صلى الله عليه وسلم حماما قط ولعله ما رآه بعينه هذا الكلام منه
ومن ثم قد السبكي انه ما دخل الحمام نبي قط ويشكل عليه ما تقدم عن سليمان عليه
السلام واعترض بعضهم قول ابن القيم لعله صلى الله عليه وسلم ما رأى الحمام بعينه
بانه صلى الله عليه وسلم دخل الشام وبها حمامات كثيرة فيبعد انه ما رآها ثم :
ينقل انه صلى الله عليه وسلم دخل شيئا منها وفيه انه قد يقال انه صلى الله عليه
وسلم لم يدخل من محلات الشام الا بصرى وجاز ان لا يكون بها حمام حينئذ وهو لم
صلى الله عليه وسلم الهاد في الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا
شر البيوت الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف فيه العورات فمن دخله
لا يدخله الا مستترا وذكر الدميري الصحيح انه لا يخص بهم فيه صحته • وما
احسن قول الغزالي وقد نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذهب الدرن ويذكر
النار وبئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحيا فهذا تعرض لافته
وهذا تعرض لغايته ولا باس بطلبها لغايته مع التحرز عن الافته والحاصل
ان الحمام تعتريه الاحكام الخمسة فيكون واجبا وحراما ومندوبا ومكروها
ومباحا والاصل فيه عندنا معاشر الشافعية الاباحة للرجال فيجب ستر العورة
ويكره للنساء مع ستر العورة حيث لا عذر وهو محمل ما جاء من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر من نسائكم فلا يدخل الحمامات ومع عدم ستر العورة حرام
وهو محمل ما جاء الحمام حرام على نساء امتي • واول من اتخذ الحمام في القاهرة العزيز
ابن المعز العبيدي احد الخلفاء الفاطميين قال بعضهم ليس في بناء الحمام ما يعول عليه الا
قول المصطفى صلى الله عليه وسلم في قصة عيسى عليه الصلاة والسلام كانما خرج من

اول من اتخذ الحمام في القاهرة

٥٠٩

من ديماس وقال غيره اصح حديث فيه انه ابيض يقال له الحمام فيؤخذ حكمه فليستتر
وقال ابن حجر في وصف عيسى عليه السلام انما هو آدم وحلف بالله ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يقل في عيسى انه احمر اي وانما قال آدم وانما اشتبه
على الراوي واجاب النووي بان الراوي لم يرد حقيقة الحمرة بل ما قاربها
اي والحمرة المقاربة لها اي للادمة يقال لها ادمة اي كما يقال لها حمرة فلذا
ما خالف قال صلى الله عليه وسلم جاعد الشعر اي في شعره تثن ثم رأيت
النووي قال قال العلماء المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه
واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر فليتأمل تعلوه صهبة اي يعلو شعره
شقرة كانه عروة ابن مسعود الثقفي اي رضي الله عنه قال ابن حجر انصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الطائف فتبعه حتى ادركه قبل ان يصل الى المدينة فاسلم ثم جاء
الى قومه ثقيف يدعوهم الى الاسلام فقتلوه وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه
ان مثله في قومه كصاحب يس كما بينا في ذلك • واما موسى عليه الصلاة والسلام
فضخم آدم اي اسمر ومن ثم كان خروج يده بيضاء من غير سوء آية له جعد
انه كانه من رجال شنوءة طائفة من اليمن ينسبون الى شنوءة وهو عبد الله
بن كعب بن مالك بن نصر الازد لقب بذلك لشنآن كان بينه وبين قومه وقيل
لانه كان فيه شنوءة وهو التباعد من الادناس وفي رواية كانه من رجال
ازد عمان هو ابو حي من اليمن سميت بذلك لانه نزلها عمان بن سنان من
ولد ابراهيم عليه السلام واما عمان بفتح العين وتشديد الميم فبلدة
بالشام سميت بذلك لان عمان ابن لوط كان يسكنها وكان يقال ازد عمان
يقال ازد شنوءة ورجال الازد معروفون بالطول قال صلى الله عليه وسلم
كثير الشعر غائر العينين متراكب الاسنان مقلص الشفة خارج اللثة
وهو اللحم الذي حول الاسنان عابس • واما ابراهيم عليه السلام
فوالله انه لاشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي رواية لم ار رجلا اشبه
بصاحبكم ولا صاحبكم اشبه به منه يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فضحكوا
اي قريش اولئك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا
فقال المطعم بن عدي ان امرك قبل اليوم كان امما اي يسيرا غير قولك اليوم
وانا اشهد انك كاذب انا نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا

لها

صفة موسى عليه السلام

صفة ابراهيم عليه السلام

شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك اتيته في ليلة واحدة واللات والعزى
لا اصدقك وما كان هذا الذي تقول قط وقال ابو بكر رضي الله عنه يا مطعم
بئس ما قلت لابن اخيك جبهته اي استقبلته بالمكروه وكذبته انا
اشهد انه صادق وفي رواية حين صدقهم بذلك ارتد ناس كانوا اسلموا
اي وحينئذ يقول المذاهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فتدبر
الا ان يراد من ثبت على الاسلام • وفي رواية سعى رجال من المشركين
الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت
المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا
تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم اني لاصدقه
فيما هو ابعد من ذلك اصدقه في خبر السماء في غدوة اي وهي ما بين صلاة الصبح
وطلوع الشمس وروحة اي وهي اسم للوقت من الزوال الى الليل اي وهذا
تفسير لها بحسب الاصل والا فالمراد انه يجيء ان الخبر ياتيه من السماء
الى الارض في ساعة من ليل او نهار فاصدقه فهذا اي مجيء الخبر له من السماء
بواسطة الملك ابعد مما تعجبون منه اي وحينئذ يجوز ان يكون قول ابي بكر
رضي الله عنه للمطعم ما تقدم كان بعد هذا القول اي قاله بعد ان اجتمع برسول
الله صلى الله عليه وسلم وتكلم معه لئلا يخالف ما في الروايتين والى
اسرائه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وتحديثه قريشا
بذلك اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

حظي المسجد الحرام بممشاه • ولم ينس حظه ايلياء •
ثم وافى يحدث الناس شكرا • اذ اتته من ربه النعماء •

اي جميع حرم مكة حصل له الحظ الاوفر بممشاه صلى الله عليه وسلم فيه ففضل سائر
البقاع ولم ينس حظه من ممشاه صلى الله عليه وسلم بيت المقدس لشرفه
الله تعالى بمشيه فيه ايضا ففضل على ما عدا المسجدين اي مسجد مكة ومسجد
المدينة ثم وافى صلى الله عليه وسلم مكة يحدث الناس لاجل امره بالشكر
سبحانه وتعالى وحال كونه شاكرا لله تعالى في وقت او لاجل ان اتته من ربه
النعماء في تلك الليلة وقيل انه لما بلغ ذلك ابا بكر رضي الله عنه قال صفه
لي فاني قد جئته اراد بذلك اظهار صدقه صلى الله عليه وسلم لقومه فقال دخلت

دخلته ليلا وخرجت منه ليلا فاتاه جبريل عليه السلام بصورته فجاء به اي جاء
بصورته وتمثاله فجاء به فجعل صلى الله عليه وسلم يقول باب منه كذا في موضع كذا وباب
منه كذا في موضع كذا وابو بكر رضي الله عنه يقول صدقت اشهد انك رسول الله حتى
اتى على اوصافه اي ومعلوم ان من ذهب بيت المقدس من قريش يصدق على ذلك
ايضا وفي رواية لما كذبني قريش اي وسألتني عن اشياء تتعلق ببيت
المقدس لم اثبتها اي فانوا الراكم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم اكرب
مثله قط فقمت في الحجر فجلى الله عز وجل لي بيت المقدس اي وجلي بتشديد اللام
وربما خففت كشفه لي اي بوجود صورته وتمثاله في جناح جبريل وفي رواية
في المسجد اي بصورته وانا انظر اليه حتى وضع اي موضع بحلها الذي هو جناح
جبريل فلا تخالف بين الروايات وهذا من باب التمثيل وهو دون رفع الجنة
والنار في عرض الحائط لانه من باب طي المسافة وروي الارض ورفع الحجب المانعة
من الاستطراف الذي ادعى الجلال السيوطي انه اصحها بحمل عليه حديث رفع
بيت المقدس حتى راه النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حاله وصفه اياه لقريش صبيحة
الاسرا اذ ذلك له بجامع مجيء صورته في جناح جبريل وانما قلنا انه ذلك من باب
التمثيل لانه من المعلوم ان اهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم
ومفرد انما هو بوضع بحلها الذي هو جناح جبريل ثم رايت ابن حجر الهيتمي قال
الاظهر انه رفع بنفسه كما جيء بعرش بلقيس الى سليمان عليه السلام في طرفة عين
وبلده ان نتوقف فيه فان نوش بلقيس فقد بخلاف بيت المقدس وكان ذلك
النخل مصدر ارتفيل وتقدم انها عند الصفا وانما اسمعت في بيت اولاد عقيل
لما انها انت الى يوسف اخي الحجاج وان زبيدة اذ الخيزران جعلتها مسجدا الما جاء
كما تقدم قال صلى الله عليه وسلم فطفقت اي جعلت اخبرهم عن اياته علاماته
وانا انظر اليه اي وذلك قبل ان يحول الى بنيه بين الحجر وتلك الدار اي فيقول
صلى الله عليه وسلم فقمت في الحجر وهم يجد قولهم صلى الله عليه وسلم يجلي ذلك وتمنعهم
قيل ان تخصيص الاسرا الى المسجد الاقصى لان قريشا تعرفه فيسالونه عنه فيخبرهم بما يعرفون
مع علمهم انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع
واما قول المواهب وهذا لم يسالوه صلى الله عليه وسلم عما راى اي في السما لانهم لاعهد لهم
بذلك فيشتمل مخالفته انه اخبرهم بالمعراج عند اخباره لهم بالاسرا وسيأتي ما يخالفه
عليه ان سيأتي انه قيل ان المعراج كان بعد الاسرا في ليلة اخرى وقيل فيحكمه ذلك انه

ان

ان باب السما الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فجعل العروج منه ليحصل العروج مستويا من غير تعويج قال
الحافظ ابن حجر وفيه نظر لورود ان في كل سماء بيتا معمورا وان الذي في السماء الدنيا بحيال الكعبة فكان المناسب
ان يصعد من مكة ليصل الى البيت المعمور بغير تعويج هذا كلامه ويقال لعله وان سلم ذلك لكن لم يكن الباب
في تلك الجهة فان ثبت ان في السما بابا يقابل الكعبة اتجه سؤاله • قالت نبعة جارية ام هانئ سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لابي بكر يا ابا بكر ان الله قد سماك الصديق اي وهي ثم كان علي رضي الله عنه
يحلف بالله ان الله تعالى انزل اسم ابي بكر من السما الصديق • واما ما رواه اسحاق بن بشر بسنده الى ابي ليلى الغفاري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي بن ابي طالب
فانه اول من امن بي واول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق
والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين قال في الاصابة واسحاق بن بشر لا يحتج بما ينفرد به
اذا ... لضعفه ونكارة احاديثه هذه الكلمة • وفي مسند البزار بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال
لعلي بن ابي طالب انت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل • وفي رواية انه
لما رجع صلى الله عليه وسلم اخبرهم بالاسرا الى بيت المقدس وصفه لهم قالوا الرسالة اية ذلك يا محمد اي ما العلامة الدالة
على هذا الذي اخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط اي هكذا ايت في سواد ولم يكن ما يتسر بوجوده عيني
هذه تلك اي لانه وصف بيت المقدس يحتمل ان تكون حفظته ممن دخل اليه قال ابن دحية اني مررت
بعير بني فلان بوادي كذا فانفرهم اي انفر عيرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير اي شرد فدللتهم
عليه وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بوادي كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم
نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت الغطاء وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان اي وفي كلام
بعضهم فعثرت الدابة يعني البراق فقلب بحافرها القدح الذي فيه الماء الذي كان يتوضأ به صاحبه في
النافلة وشرب الماء الذي في القدح جائز لانه كان عند العرب كاللبن يباح لكل مجتاز من ابناء السبيل
على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له ان ياخذ ما يحتاج اليه من مالكه المحتاج اليه ويجب على مالكه
حينئذ بذله • واما الجواب عن ذلك بانه مال حربي غير صحيح لانه هذا كان قبل مشروعية الجهاد
ومع عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ سالمهم ولا تبع الا
بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قال ابن حجر في شرح الهمزية تكون في غطفة القضية لعل الحلبي ...
... برنا بني ... رواه الى امة ... انا امتد دمعته باحزن ... انا اخذناه ... حربي اي من
مال قوم يرجون الله ان ينال ذاك اي اخذ مال الكافر كان جائزا في شرعهم • قال صلى الله عليه وسلم وآية
ذلك اي علامة صدقي فيما اخبرتكم به صلى الله عليه وسلم انه يقدم الان تصويب من الثنية يقدمها
جمل اورق هو ما بياضه سواد وهو اطيب الابل لحما عند العرب واخبثها عملا عندهم اي ليس بمحمود عندهم
عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء اي فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم الثنية
فاول ما لقيهم الجمل الذي وصف عليه الغرارتان فسالوهم عن الاناء وعن فرار البعير وعن ند البعير
وعن الشخص الذي دلهم عليه فصدقوا قوله • اقول قد علم ان العير التي نفرت وند منها البعير دلهم عليه
... صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى الشام والعير التي كان بها الاناء الذي به الماء الذي شربه
صلى الله عليه وسلم ... وهو راجع الى مكة وهي التي صوبت من الثنية وحينئذ لا يحسن سؤال

ومن فضايل علي رضه

دخلته ليلا وخرجت منه ليلا فاتاه جبريل عليه السلام بصورته في جناحه اي جاء
بصورته وماثله في جناحه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول باب منه كذا في موضع كذا وباب
منه كذا في موضع كذا وابو بكر رضي الله عنه يقول صدقت اشهد انك رسول الله حتى
اتى على اوصافه اي ومعلوم ان من ذهب بيت المقدس من قريش يصدق على ذلك
ايضا وفي رواية لما كذبتني قريش اي وسالتني عن اشيا تتعلق ببيت
المقدس لم اثبتها اي فانها الزمهم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم اكرب
مثله قط فقمت في الحجر فجلى الله عز وجل لي بيت المقدس اي وجلي بتشديد اللام
وربما خففت كشفه لي اي بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل وفي رواية
في المسجد اي بصورته وانا انظر اليه حتى وضع اي موضع محله الذي هو جناح
جبريل فلا مخالفة بين الروايات وهذا اي من باب التمثيل وصدق ونظيره الجنة
والنار في عرض الحائط الا من باب طي المسافة وزوي الارض ورفع الحجب المانعة
من الاستطراق الذي ادعى الجلال السيوطي انه اصحهما بحمل حديث رفع
بيت المقدس حتى راه النبي صلى الله عليه وسلم بمكة حاله وصفه اياه لقريش صبيحة
الاسرا اذ ذلك لا يجامع مجي صورته في جناح جبريل وانما قلنا انه ذلك من باب
التمثيل لانه من المعلوم ان اهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة من بلدهم
ثم فقدوا انما هو موضع محله الذي هو جناح جبريل ثم رايت ابن حجر الهيتمي قال
الاظهر انه رفع بنفسه كما جي بعرش بلقيس الى سليمان عليه السلام في طرفة عين
وذلك ان نتوقف فيه فان عرش بلقيس فقد محله كبيت المقدس وكان ذلك
النخل عند دار عقيل وتقدم انها عند الصفا وانما سميت في بيت اولاد عقيل
اليمان الثاني الى يوسف اخي الحجاج وان زبيدة ادخلتها لما جعلتها مسجدا لما جئت
كما تقدم قال صلى الله عليه وسلم فطفقت اي جعلت اخبرهم عن اياته لا اعقل ما انا
وانا انظر اليه اي وذلك قبل ان يحول الا بينه وبين الحجر ولذلك الدار ايضا قوله
صلى الله عليه وسلم فقمت في الحجر وهم يعدون قوله صلى الله عليه وسلم علي ذلك ومن ثم
قيل ان تخصيص الاسرا الى المسجد الاقصى لان قريشا تعرفه فيسالونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه
مع علمهم انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع
واما قول المواهب وهذا لم يسالوه صلى الله عليه وسلم عما راى في السما لانهم لا عهد لهم
بذلك فيقتضي بيانه انه اخبرهم بالمعراج عند اخباره لهم بالاسرا وبيان ما يخالفه
على انه بيان في انه قيل ان المعراج كان بعد الاسرا في ليلة اخرى وقيل تحت ذلك ايضا

ومن فضايل علي رض

ان باب السما الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس ويحصل العروج منه صعودا عن يمين الصخرة قال
الحافظ ابن حجر وفيه نظر لورود ان في كل سما بيتا معمورا وان الذي في السما الدنيا حيال الكعبة فكان المناسب
ان يصعد من مكة ليصل الى البيت المعمور بغير تعويج هذه الملائكة وحيال الكعبة وان سلم ذلك لكن لم يكن الباب
في تلك الجهة فان ثبت ان في السما بابا يقابل الكعبة اتجه السوال ● قالت نبعة جارية ام هاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لابي بكر يا ابا بكر ان الله قد سماك الصديق اي ومن ثم كان علي رضي الله عنه
يحلف بالله ان الله تعالى انزل اسم ابي بكر من السما الصديق ● واما ما رواه اسحاق بن بشر بسنده الى ابي ليلى الغفاري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون بعدي فتنة فاذا كان ذلك فالزموا علي بن ابي طالب
فانه اول من امن بي واول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق
والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين قال في الاصابة اسحاق بن بشر لا يحتج بحديثه
اذا انفرد لضعفه ونكارة احاديثه هذه الكلمة ● وفي مسند البزار بسند ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال
لعلي بن ابي طالب انت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل ● وفي رواية ان
مما رد قريشا لما اخبرهم بالاسرا الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا الزما اية ذلك يا محمد اي ما العلامة الدالة
على هذا الذي اخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط اي هل رايت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على
صدقك اي لانه وصف لبيت المقدس يحتمل ان يكون عن خطبة حدثه اليه قال اية ذلك اني مررت
بعير بني فلان بوادي كذا فانفرهم اي انفر بعيرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير اي شرد فدللتهم
عليه وانا متوجه الى الشام ثم اقبلت حتى اذا كنت بوادي كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم
نياما ولهم انا فيه ما قد غطوا عليه بشي فكشفت الغطا وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان اي وفي كلام
بعضهم فعثرت الدابة يعني البراق فقلبت بحافرها القدح الذي فيه الما الذي كان يتوضا به صاحبه من
القافلة وشرب الما الذي للعير جائز لانه كان عند العرب كاللبن مما يباح للمجتاز من ابنا السبيل
على انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان له ان ياخذ ما يحتاج اليه من مالكه المحتاج اليه ويجب على مالكه
حينئذ بذله ● واما الجواب عمن ذهب بانه مال حربي غير صحيح لان هذا كان قبل شرع الجهاد
ومع عدم شرعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا يتم الا
بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قال ابن حجر في شرح الهمزية تكن في غلطه الفتح للجلال المحلي في تفسير
قوله فقالوا بعيدة دناه اي امة كي تخبر عنها انها امتدا ومعقتها باجزع وساغ لنا اخذ ماله لانه مال حربي اي من
ما لا يعرفون الا ان ينبه ذلك اي اخذ مال الكافر كان جائزا في شرعهم ● قال صلى الله عليه وسلم واية
ذلك اي علامة صدقي انها المصففة الان الخبر صلى الله عليه وسلم ان عيرهم الان تصوب من الثنية يقدمها
جمل اورق هو ما بياضه سواد وهو اطيب الابل لحما عند العرب واخسها عملا عندهم اي ليس بمحمود العمل عندهم
عليه غرارتان احداهما سودا والاخرى برقا اي فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم الثنية
فاول ما لقيهم الجمل الذي وصف عليه الغرارتان فسالوهم عن الانا وعن نفار البعير وعن ند البعير
وعن الشخص الذي دلهم عليه فصدقوا قوله ● اقول قد علم ان العير التي مرت ونفر منها البعير ودلهم عليه
بعد علمها صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى الشام والعير التي كان بها الانا التي بها الما الذي شربه
صلى الله عليه وسلم بعد علمها وهو راجع الى مكة وهي التي صوبت من الثنية وحينئذ لا يجي سوال

احلها عمارة ثم لا اهل تلك العير وقد بعثهم له صلى الله عليه وسلم فيما اخبر الا ان يقال يجوز ان تكون
هذه العير التي مر عليها صلى الله عليه وسلم في العود اجتمعت في عودها بتلك العير الذاهبة الى
الشام واخبروهم بما ذكروا والله اعلم • وفي رواية قالوا اي الرؤسا مطعم وغيره نسالك عما هو اغنا لنا
عن بيت المقدس اي من قولهم ذلك كان بعد ان اخبرهم ببيت المقدس يا محمد اخبرنا عن عيرنا اي عن
عيرنا الذاهبة والاتية هل لقيت منها شيا فقال نعم اتيت على عير بني فلان بالروحا اي
وهو محل قريب من المدينة اي بينه وبين المدينة ليلتان قد اضلوا ناقة لهم فانطلقوا في
طلبها فانتهيت الى رحالهم ليس بها منهم احد واذا قدح ما فشربت منه فاسالوهم عن ذلك فقالوا
هذه والله ان واللات والعزى ايه اي علامة ثم اقول وهذه العير هي التي مر بها صلى الله عليه وسلم في العود
وهي قادمة الى مكة وفي هذه الرواية زيادة انهم اضلوا ناقة لهم وتقدم في تلك الرواية
انه صلى الله عليه وسلم وجدهم نياما وفي هذه الرواية انه ليس بها احد وقد يقال لا مخالفة
بين الروايتين لانه يجوز ان يكون الراوي اسقط منها هذه الزيادة وهي اضلال الناقة
وان قوله صلى الله عليه وسلم ليس بها منهم احد اي مستيقظا بل بعضهم ذهب في طلب تلك الناقة
وبعضهم كان نايما لكن في هذه الرواية انه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهي بالروحا وهو
لا يناسب قوله في تلك انها الان تصوب من الثنية لان كونها تاتي من الروحا الى مكة في
ليلة واحدة من ابعد البعيد الا ان يقال ان الروحا محل مشترك بين المحل المعروف المتقدم
ذكره ومحل قريب من مكة والله اعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم فانتهيت الى عير بني فلان
فنفرت منها الابل التي هي العير قال لا بل اي التي هي العير وبرك منها جمل احمر عليه
جوالق مخطط ببياض الا انه يحتمل ان هذه الرواية ثالثة ويمكن ان تكون هي الاولى
اسقط من تلك في هذه الرواية وبرك منها جمل الى اخره كما اسقط من هذه قوله في تلك فتكسر
لهم بعير وفي رواية ثم انتهيت الى عير بني فلان فكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان
غرارة سودا وغرارة بيضا فلما حاذت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر اي وانكسر اصلا
بعيرا لهم قد طلبه فلان اي بدلالتي لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم لبعض هذا صوت محمد
فاسالوهم عن ذلك فعلم ان هذه الرواية والتي قبلها هي الاولى ولعل ابن الاثير انه ذكر في
هذه الرواية قوله فسلمت عليهم فقالوا هذه واللات والعزى ايه • قال صلى الله عليه وسلم
ثم انتهيت الى عير بني فلان بالابوا وهو كما تقدم غير مرة انه محل بين مكة والمدينة يقدمها
جمل اورق اي بياضا الى سواد كما تقدم ها هي ذه تطلع عليكم من الثنية فاطلعوا النظر فوجدوا
الامر كما قال فقالوا صدق الوليد فيما قال اي في قوله انه ساحر وانزل الله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وهذا يدل على ان المراد رؤيا الاسرا وانها رؤيا
العين وانها يقال في مصدرها رؤيا بالالف كما يقال رؤية بالتا خلافا لمن انكر ذلك
اذ لو كان رؤيا الاسرا مناما لما انكر عليه في ذلك • اي وقيل انزلت وقد راى النبي صلى الله
عليه وسلم ولد الحكم بن ابي العاص ابو مروان وهم بنو امية على منبره كانهم القردة • وقد ورد
رايت بني مروان يتعاورون منبري وفي رواية بني امية ينزون على منبري نزو القردة زاد في رواية

مدة ملك بني ا

فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فاحكا ضيق ما ذاك وانزل الله تعالى في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي اريناك
الا فتنة للناس وفي رواية فنزل انا اعطيناك الكوثر وفي رواية فنزل انا انزلناه في ليلة القدر
الى اخرها قال بعضهم خير من الف شهر يملكها بعدك بنو امية فان مدة ملك بني امية كانت اثنتين
وثمانين سنة وهي الف شهر وكان جميع من ولي الخلافة منهم اربعة عشر رجلا اولهم معاوية واخرهم
مروان بن محمد • وقد قيل لبعضهم ما سبب زوال ملك بني امية مع كثرة العدد والعدد والاموال
والموالي فقال ان العدو اصدقاهم ثقة بهم وخونوا اعداهم جهلا بهم فصار الصديق بالابعاد عدوا
ولم ينفع العدو صديقا بالتقريب له • وحديث رايت بني مروان قال الترمذي هو حديث غريب
وقال غيره منكر • قال صلى الله عليه وسلم ورايت بني العباس يتعاورون منبري فسرني ذلك وقيل
ان هذه الاية انما نزلت في رؤيا الحديبية حين راى النبي صلى الله عليه وسلم انه واصحابه يدخلون
المسجد محلقين رؤسهم ومقصرين ولم يتم في ذلك العام صدهم المشركون وقال بعض الصحابة له صلى الله
عليه وسلم الم تقل انك تدخل مكة امنا قال بلى افقلت لكم في عامي هذا قالوا لا قال فهو كما قال
جبريل كما سياتي ذلك في قصة الحديبية • وقيل انما نزلت هذه الاية في رؤيا وقعة بدر حين
اراه جبريل مصارع القوم ببدر فارى النبي صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم فتسامعت
بذلك قريش فسخروا واستبعد ولا مانع من تعدد نزول الاية لسبب الاخر فقد يتعدد نزول
الاية لتعدد اسبابها • قال ابن حجر الهيتمي ان اتحاد النزول لا ينافي تعدد اسبابه اي ولذلك
اذا تعددت الاسباب • ويروى انه عين لهم اليوم الذي تقدم فيه العير اي قالوا له متى تجي
قال لهم ياتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل ادم عليه مسح ادم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم
اشرف قريش ينظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجي حتى كادت الشمس ان تغرب اي دنت للغروب
فدعا الله تعالى فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير كما وصف صلى الله عليه وسلم
اقول يجوز ان يكون هذا بالنسبة لبعض العيرات التي مر بها فلا يخالف ما تقدم انه صلى
الله عليه وسلم قال في بعض العيرات انها الان تصوب من الثنية • والحبس للشمس عن
المغيب اشار الامام السبكي في تائيته بقوله • وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها •
فما غربت بل وافقتك بوقفة • وجاء في بعض الروايات انها حبست له صلى الله عليه وسلم
عن الطلوع ففي رواية ان بعضهم قال له اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بها في التنعيم قالوا
فما عدتها واحمالها ومن فيها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له ذلك فاخبرهم بعدتها
واحمالها ومن فيها وقال تقدم عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله تعالى الشمس عن الطلوع
حتى قدمت العير فلما اصبحوا انتظروا قدومها فقال قائل هذه الشمس قد طلعت وقال اخر وهذه العير
قد اقبلت فيها فلان وفلان كما اخبر محمد صلى الله عليه وسلم ولعل تعبيره بحبسها في هذه الرواية
كان فيها قبل ما تقدم والله اعلم وحبس الشمس وقوفها عن السير اي عن الحركة بالكلية وقيل
بطو حركتها وقيل ردها الى ورائها قالوا ولم تحبس الشمس له صلى الله عليه وسلم الا في ذلك اليوم
وما قيل انها حبست له صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حتى الغروب ايضا حتى صلى العصر

بأنه صلى الله عليه وسلم صلى العصر بعد الغروب وقال شغلونا عن الصلاة الوسطى كما سيأتي ثم رأيت في كلام
بعضهم ما يؤخذ منه الجواب وهو ان وقعة الخندق كانت اياما فحبست الشمس في بعض تلك الايام
اي الا حمرارا والاصفرار وعلى حبسها في بعضها فحبست فصلى بعد الغروب فالدلك الشمس ويؤيده
ان رواية التاخير الى الغروب محمولة على التاخير الى الحمرة او الصفرة ● وكما قد ورد ان الشمس
حبست لداود عليه السلام ● وذكر البغوي انها حبست كذلك لسليمان عليه الصلاة والسلام فعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الله امر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان
حتى صلى العصر في وقتها وهذا رد لها لا حبس لها عن غروبها الذي الكلام فيه والذي في كلام
بعضهم انما هو ان سيدنا سليمان سوف خلد واعناقها حين الهاه عرضها عليه عن صلاة العصر
حتى كادت الشمس تغرب وكم يتصدق بها مبادرة لتعظيم امر الله تعالى بالصلاة فحبسها الله
الصدق بجنا؟ الى معوض زمن [illegible] ● وحبست كذلك ليوشع ابن اخت موسى
عليه السلام وهو ابن نون ابن افرايم ابن يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام اي وهو الذي قام
بالامر بعد موسى عليه السلام لما وعد الله تعالى ان يورث الارض وقومه بني اسرائيل الارض
المقدسة التي هي ارض الشام وكان سكنها الكنعانيون [illegible] الجبارين وهم
العمالقة [illegible] ● انهم
اثنى عشر رجلا من كل سبط واحد [illegible] فدخلوا المدينة فراوا امرا هائلا من عظم اجسام
[illegible] اي في عينه وكان في [illegible]
[illegible] رجل من قوم موسى في [illegible]
اي فعظم [illegible] ● وفي العرائس وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة انفس منهم [illegible]
[illegible] اذا انزع [illegible] خمسة انفس اذا رجعنا وان رجلا من العمالقة [illegible]
[illegible] فقالوا نحن [illegible] موسى فقال ارجعوا واخبروه ● وفي العرائس [illegible] عوج بن عناق
احدى بنات آدم عليه السلام [illegible] في الارض [illegible]
[illegible] وانطلق بهم [illegible] فقال انظروا الى [illegible] القوم
الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا [illegible] فقالت امرأته
ولكن خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما رجعوا اخبروا قوم موسى عليه السلام فقال
اكتموا خوفا من بني اسرائيل [illegible] ثم [illegible] كل واحد سبطه [illegible] ●
[illegible] فقالوا [illegible] الا رجلان لم يخبروا قومهم وهما يوشع بن نون
من سبط يوسف وكالب بن يوفنا من سبط بنيامين وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون [illegible] قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين [illegible]
هارون وكالب ويوشع وهما المذكوران بقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين [illegible]
يكون [illegible] موسى [illegible] حتى [illegible] لا [illegible] فافرق بيننا وبين

القوم

القوم الفاسقين اي بالعذر بيننا وبينهم تقرب عليهم التيه فتاهوا اي تحيروا في ستة فراسخ فكانوا كل
يوم يسيرون النهار كله ثم يبيتون حيث اصبحوا ويصبحون حيث امسوا وانزل الله عليهم المن والسلوى لانهم
سألوا عن الطعام وابقيت عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتدنس وتطول على الصغير اذا طال وظلل
عليهم الغمام من الشمس لما رأى موسى عليه السلام ما بهم من التعب ندم على ما دعا عليهم [illegible]
[illegible] بنو اسرائيل العجل اربعين يوما فوقعوا في التيه اربعين سنة لكل يوم سنة [illegible]
فلا تأس على القوم الفاسقين اي لا تحزن على الذين فسقوا اي خرجوا عن [illegible]
ومن عجيب الاتفاق ان اريحا هذه كانت في زمن بني اسرائيل منزل الجبارين وفي زمن الاسلام منزل حكام
الشرطة فانها الان خربة من قرى بيت المقدس ثم مات موسى وهارون في التيه مات هارون اولا ثم مات
موسى بعده بسنتين وفي ذلك رد على من قال ان قبر هارون اخي موسى بالقدس كما سيأتي وفيه رد ايضا على
من يقول موسى مات قبل هارون واشد منه ● وقيل ان موسى رأى شخصا في بعض الكهوف فقام عليه
فمات وان بني اسرائيل قالوا قتل موسى هارون لحسده له على محبة بني اسرائيل له فقال لهم موسى ويحكم
كان اخي ووزيري افتروني اقتله فلما اكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل
السرير الذي كان عليه حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه [illegible] ثم ان موسى انطلق
ببني اسرائيل [illegible] ودعا الله تعالى ان [illegible] ما جاءه الله تعالى [illegible] ولم [illegible] موسى
وعند ذلك قام بالامر يوشع بن نون اي فان موسى لما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله
امره بقتال الجبارين فسار بهم يوشع وقاتل الجبارين وكان يوم الجمعة ولما كادوا ان يفتحوها كادت
الشمس ان تغرب فقال للشمس انك مأمورة وانا مأمور بحرمتي عليك الا ركدت
اي مكثت ساعة من النهار وفي رواية قال اللهم احبسها علي فحبسها الله تعالى حتى افتتح المدينة
اي فعل ذلك خوفا من دخول السبت المحرم عليهم فيه القتال وقد عبر السبكي عن حبسها ليوشع بقوله
وردت عليك الشمس بعد مغيبها ● كما انها قدما ليوشع ردت ● وقوله فوقها بعد مغيبها لا يشكل
ولكن ان يراد بالرد وقوفها وعدم غروبها ومن ثم ذكر ابن كثير في تاريخه ان في حديث رواه الامام احمد
وهو على شرط البخاري ان الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع عليه السلام ليالي سار الى بيت المقدس
وفيه دلالة على ان الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون لا موسى وان حبس الشمس كان في فتح
بيت المقدس لا في فتح اريحا هذا كلامه وهو خلاف السياق ● وفي العرائس ان موسى عليه السلام
لم يمت في التيه بل سار ببني اسرائيل الى اريحا وفي مقدمته يوشع فدخلها يوشع وقتل الجبارين ثم ●
دخلها موسى عليه السلام ببني اسرائيل فاقام فيها ما شاء الله ثم قبض ولا يعلم موضع قبره من الخلق
احد قال وهذا اولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق وذكر بعضهم ان موسى لما حضرته الوفاة
قال يا رب ادنني من الارض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اني عنده
لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال ابن كثير وقوله عليه الصلاة والسلام لم
تحبس لبشر يدل على ان هذا من خصائص يوشع عليه السلام فيدل على ضعف الذي رويناه ان الشمس
رجعت اي بعد غيبتها اي في خيبر [illegible] حتى صلى علي بن ابي طالب العصر بعد ما فاتته
بسبب نوم النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وهو حديث منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان
وهو مما تتوفر الدواعي على نقله وتفرد بنقله امرأة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها هذا كلامه
وسيأتي قريبا ما يخص على انه قوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر اي غيره صلى الله عليه وسلم ووقف

[illegible] الشمس لداود عليهما السلام

وفات هارون عليه [illegible]

تنبيه

ربيبة

علت ان الحبس لها يكون سببا لها عن المغيب والرجوع لها يكون بعد مغيبها فليتأمل ذلك في كلام سبط ابن الجوزي
ان قيل حبسهما ورجوعهما مشكل لانهما لو تخلفت او ردت لاختلت الافلاك ولفسد النظام قلنا حبسهما
وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات . وذكر انه وقع لبعض الوعاظ ببغداد انه قعد
يعظ بعد العصر ثم اخذ في ذكر فضائل اهل البيت فجاءت سحابة غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون
ان الشمس غابت فارادوا الانصراف فاشار اليهم ان لا يتحركوا ثم ادار وجهه الى ناحية المغرب وقال
لا تغربي يا شمس حتى ينتهي . مدحي لآل المصطفى ولنجله . ان كان للمولى وقوفك فليكن .
هذا الوقوف لولده ولنسله . فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمي عليه من الحلي والثياب هذا كلامه ثم
ولما فتحوا اريحا وجدوا بها اموالا عظيمة وكانت الامم السابقة اذا اصابوا الغنيمة قربوها فتجيء النار
تاكلها فما تجيء النار واكلها كان ذلك علامة على قبولها ولم تحل الا لنبينا صلى الله عليه وسلم كما يأتي فلما اصابوا
تلك الغنائم قربوها فلم تجيء النار اليها فقالوا يا نبي الله ما لها لا تأكل غنيمتنا فقال فيكم الغلول
فمر ان يأتي راس كل سبط وصافحه فلصق كف واحد منهم بكف يوشع عليه السلام فقال الغلول في سبطك
فقال ذلك فصافح واحدا بعد واحد فلصقت كف رجل واحد منهم فسأله فقال نعم واتى
براس بقرة من ذهب وعيناها من ياقوت واسنانها من لؤلؤ فاخذها فخلطها بالقربان ووضعها
في الغنيمة فجاءت النار فاكلتها . وذكر البغوي ان الشمس حبست عن الطلوع لموسى كما حبست كذلك لنبينا
عليهما الصلاة والسلام كما تقدم وكذا الفجر حبس لموسى عليه السلام عن الطلوع فحبس عن وقت ابن الزبير
قال ان الله عز وجل امر موسى عليه السلام ان يسير ببني اسرائيل الى بيت المقدس وامره ان يحمل معه عظام
يوسف عليه السلام وان لا يسيروا حتى يضعها بالارض المقدسة ابدا فسأل اين قبر يوسف عليه
السلام فقد كان يوسف عليه السلام لما ادركته الوفاة اوصى ان يحمل الى مقابر ابائه فمنع اهل مصر
اولياءه من ذلك فسأل موسى عليه السلام عن معرفة موضع قبر يوسف عليه السلام فما وجد احدا يعرفه
الا عجوزا من بني اسرائيل فقالت له يا نبي الله انا اعرف مكانه وادلك عليه ان انت اخرجتني
معك ولم تخلفني بارض مصر فقال افعل وفي لفظ قالت اكون معك في الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك
فقيل له اعطها طلبتها فاعطاها وقد كان موسى وعد بني اسرائيل ان يسير بهم اذا طلع الفجر
فدعا ربه ان يؤخر طلوعه حتى يفرغ من امر يوسف عليه السلام ففعل فخرجت به العجوز حتى ارته
اياه في ناحية من النيل وفي لفظ في مستنقعة ماء وتلك المستنقعة في ناحية من النيل فقالت لهم
انضبوا عنها الماء فانضبوه ثم قالت احفروا فحفروا واخرجوه وفي لفظ انها انتهت به
الى عمود على شاطئ النيل اي في ناحية منه فلا يخالف ما سبق في اصله سكة من حديد فيها سلسلة اي
ايد؟ عن ان يكون جرمهم الواقع في تلك الرواية كان على الماء فلذا السكة فيه فمحا نفسه ووجده في صندوق
من حديد في وسط النيل في الماء فاستخرجه وقيل وجده في صندوق من مرمر فاحتمله من الصندوق
الذي من الحديد فاحتمله . وفي انس الجليل ان موسى عليه السلام جاءه شيخ له ثلثمائة سنة فقال يا نبي
الله ما يعرف قبر يوسف الا والدتي فقال له موسى قم معي الى والدتك فقام الرجل ودخل الى منزله واتى
بقفة فيها والدته فقال لها موسى اتعلمين قبر يوسف فقالت نعم ولا ادلك عليه الا ان تدعو الله ان
يرد علي شبابي الى سبع عشرة سنة ويزيد في عمري مثل ما مضى فدعا لها موسى وقال لها كم
عمرك فقالت تسعمائة سنة فعاشت الفا وثمانمائة سنة فدلته على قبر يوسف وكان في وسط نيل
مصر بالجانب ... فنقل الى جنب مصر ليكون نيل مصر في بركته . واما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع

له صلى الله عليه وسلم في خيبر فعن اسماء بنت عميس قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه وراسه في حجر
علي فلم يصل العصر عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وعلي لم يصل العصر اي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصليت العصر فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد
عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها طلعت بعدما غربت قال بعضهم لا ينبغي لمن سبيله العلم ان يتخلف عن حفظ هذا
الحديث لانه من اجل اعلام النبوة وهو حديث متصل وقد ذكر في الامتاع انه جاء عن اسماء من خمسة طرق
وذكرها وبه يرد ما تقدم عن ابن كثير من انها تفردت بنقله امراة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها
وبه يرد على ابن الجوزي حيث قال فيه انه حديث موضوع بلا شك لكن في الامتاع ذكر خامس الطرق ان عليا
اشتغل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا علي صليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في المسجد فتكلم بكلمتين
او ثلاث كانها من كلام الحبش فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشب وذلك يخالف
ثاني الطرق الا ان يدعى ان هذه الطريق فيها حذف والاصل اشتغل مع النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنائم خيبر
ثم وضع راسه في حجر علي ونام فما استيقظ حتى غابت الشمس فلا مخالفة . قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قبل
وصوله الى بيت المقدس ساروا حتى بلغوا ارضا ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل هاهنا ففعل ثم ركب فقال
له جبريل اتدري اين صليت قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة وسيأتي ما فيه في الكلام على الهجرة فانطلق
البراق يهوي يضع حافره حيث ادرك طرفه حتى اذا ادرك ارضا فقال له جبريل انزل فصل هاهنا ففعل ثم ركب
فقال له جبريل اتدري اين صليت قال لا قال صليت بمدين اي وهي قرية تلقاء غزة عند شجرة موسى سميت
باسم مدين بن ابراهيم لما نزلها ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم قال انزل فصل ففعل ثم ركب فقال
له اتدري اين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم اي وهي قرية تلقاء بيت المقدس حيث ولد عيسى عليه السلام
اي وفي الهدى وقيل انه نزل ببيت لحم وصلى فيه ولا يصح عنه ذلك البتة . وبينما هو يسير على البراق اذ راى
عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل الا اعلمك كلمات اذا قلتهن طفئت
شعلته وخر لفيه فقال بلى فقال جبريل قل اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرا في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن
فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن اي فقالها فانكب لفيه
وطفئت شعلته . وراى حال المجاهدين في سبيل الله اي كشف له عن حالهم في دار الجزاء بضرب مثال راى
قوما يزرعون في يوم اي في وقت ويحصدون في يوم اي في ذلك الوقت كلما حصدوا عاد
كما كان فقال يا جبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما
انفقوا من خير فهو يخلفه هذا التشبيه هو المناسب لحالهم دون الاول في الاقتصار عليه الا ان
يدعى انه صلى الله عليه وسلم شاهد الحصاد والعود العدد المذكور الذي هو سبعمائة مرة على ان المضاعفة
المذكورة لا تختص بالمجاهدين فقد جاء كل عمل ابن ادم تضاعف الحسنة بعشرة امثالها الى سبعمائة ضعف
الا ان يقال المراد تكرر العدد والجزاء المذكور للمجاهدين امر مؤكد لا يكاد يتخلف وفي غيرهم قد يتخلف ووجد
صلى الله عليه وسلم ريح ماشطة بنت فرعون ووجد داعي اليهود وداعي النصارى فاما الاول فقد راى
عن يمينه داعيا يقول يا محمد انظرني اسألك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل فقال داعي اليهود اما انك
لو اجبته لتهودت امتك اي تمسكوا باليهودية والمراد غالب الامة . واما الثاني فقد راى عن يساره داعيا

يقول يا محمد انظرني حتى اسألك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل قال هذا داعي النصارى اما انك لو اجبته لتنصرت
امتك اي معظمهم بالانجيل وحكمة كون داعي اليهود على اليمين وداعي النصارى على اليسار لا يخفى • وراى
صلى الله عليه وسلم حال الدنيا اي كشف له عن حالها بضرب مثال وهو رؤية امراة حاسرة عن ذراعيها لان ذلك شان
المشتغل بغيرها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى اي ومعلوم ان الكون الواحد من الدنيا يحبب القلوب
فكيف بوجود ساير انواع الزينة فقالت يا محمد انظرني اسألك فلم يلتفت اليها فقال يا جبريل من هذه
قال تلك الدنيا اما انك لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة • وراى عجوزا على جانب الطريق
فقالت يا محمد انظرني اسألك فلم يلتفت اليها فقال من هذه العجوز يا جبريل قال
فقال انه لم يبق من عمر الدنيا الا ما بقي من عمر الدنيا الا ما بقي من عمر هذه العجوز • وفي كلام بعضهم ان
الدنيا مدتها ثلاثة شابة وعجوز بمعنى متقلبة بذاتها وبمعنى متقلبة بنيها الا ولد وهو جنس لها
من اول وجود هذا النوع الانساني الى ايام ابراهيم عليه السلام وبعدها سميت الدنيا شابة وفيما
بعد ذلك الى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم كهلة وبعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا واعترض
بان الائمة صرحوا بان الشباب ومقابله انما يكون في الحيوان واجيب بان الغرض من ذلك
التمثيل • وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يتحمل الامانة بعجزه عن حفظها بضرب مثال
فاتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل
قال هذا الرجل من امتك تكون عنده امانات الناس لا يقدر على ادائها ويريد ان يتحمل عليها • وكشف له عن
حال من يترك الصلاة المفروضة في دار الجزا فاتى على قوم ترضخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا
يفتر عنهم من ذلك شيء فقال يا جبريل ما هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المفروضة
وكشف له عن حال من يترك الزكاة فاتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون
كما تسرح الابل والغنم وياكلون الضريع وهو يابس الشوك والزقوم وهو شجر مر له زفرة قيل انه لا يعرف
شجر الدنيا وانما هو كشجرة من النار المذكورة في قوله انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي منبتها في اصل الجحيم :
وتقدم الكلام عليها عند الكلام على المتهجدين وياكلون رضف جهنم اي حجارتها المحماة لان الرضف
بالضاد المعجمة الحجارة المحماة التي يكوى بها فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون
صدقات اموالهم المفروضة عليهم • وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال الزناة بضرب مثال فاتى
على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدور ولحم نيء خبيث في قدور فجعلوا ياكلون من ذلك
النيء الخبيث ويتركون اللحم النضيج الطيب فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك
تكون عنده المراة الحلال الطيب فيتركها وياتي امراة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمراة
تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح • وكشف له صلى الله
عليه وسلم عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال فاتى على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شيء الا
خرقته فقال ما هذه يا جبريل فقال هذا مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونه
وتلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون • وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من ياكل الربا
اي حالته التي يكون عليها في دار الجزا اي راى رجلا يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال من هذا قال
اكل الربا وقد شبههم الله تعالى في القرآن بقوله الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس اي اذا بعث الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين من قبورهم الا اكلة الربا
فانهم لا يقومون من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان فكلما قاموا سقطوا على وجوههم

وجوههم

وجنوبهم وظهورهم كما ان المصروع حالة ذلك اي فمنعة حالة في الذهاب الى المحشر زيادة على حالة المشقة التي تكون
في دار الجزا • وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يثبط الناس ولا ينشط فاتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم
بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة
يقولون ما لا يفعلون • وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال المغتابين للناس فمر على قوم لهم اظفار من نحاس
يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم :
وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فاتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم
فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من امتك يتكلم
بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها • وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من احوال الجنة
فاتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذا قال هذا صوت الجنة
تقول كذا بتمامه اي لانه يجوز ان يكون محل الجنة السابعة مقابلا لذلك الوادي • وكشف
له صلى الله عليه وسلم عن حال من احوال النار فاتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا خبيثة فقال ما هذا
يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني اي وليست جهنم بذلك الوادي لانه يجوز ان يكون
الوادي التي هي به هو الذي ببيت المقدس ولعل هذا الوادي مقابل لذلك الوادي وينبغي ان لا يكون
هذا هو المراد بما في الجامع الصغير للسيوطي وخص صلى الله عليه وسلم بالاطلاع على الجنة والنار
بل المراد به ذلك او بينه ذلك في المعراج وعند قوله صلى الله عليه وسلم الى الوادي الذي ببيت •
المقدس بالنسبة للنار ورأى صلى الله عليه وسلم الدجال شبهه بعبد العزى بن قطن اي وهو رجل هلك
في الجاهلية اي قبل البعثة ومر صلى الله عليه وسلم على شخص متنحيا عن الطريق يقول •
هلم يا محمد فقال جبريل سر يا محمد فقال من هذا قال هذا عدو الله ابليس اراد ان تميل اليه
وفي رواية حتى دخلت بيت المقدس وطلبت به ركعتين اي اماما بالانبياء والملائكة اخذني العطش
اشد ما اخذني فاتيت باناءين في احدهما لبن وفي الاخرى عسل هداني الله فاخذت اللبن وفي
اخرى فشربت وبين يدي شيخ متكئ على منبر له فقال اي مخاطبا لجبريل اخذ صاحبك الفطرة انه لمهدي
فلما خرجت جاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة
اي الاسلام التي بعثها الله تعالى ولمن كل مولود يولد على الفطرة اي الاسلام • وفي رواية
اخرى فاتى باناء فيه ثلاثة اقداح مغطاة افواهها فاتى باناء فيه ماء فشرب منه قليلا وفي رواية ثم
يؤتى منه شيئا وانه قيل له لو شربت الماء اي جميعه او بعضه لغرقت امتك • اي وفي رواية انه
ثم قابله يقول اخذ الماء وغرقت امتك ثم رفع اليه اناء آخر فيه لبن فشرب منه حتى روي اي
وفي رواية ثم قابله يقول اخذ اللبن هدى وهديت امتك ثم رفع اليه اناء فيه خمر فقيل له اشرب فقال
لا اريد قد رويت فقال له جبريل انها ستحرم على امتك اي بعدما ابيحت لهم وفي رواية انه قيل له لو
شربت الخمر لغويت امتك ولم تتبعك اي الا القليل اي وفي رواية انه
ثم قابله يقول اخذ الخمر غويت وغويت امتك وهذه الرواية محتملة لان تكون وهو في بيت
المقدس ولان تكون وهو خارج عنه ومن هذا كله يعلم انه تكرر عليه عرض اللبن والخمر داخل
بيت المقدس وخارجه ولا مانع من تكرر عرض الخمر واللبن قبل خروجه من بيت المقدس
وبعد خروجه منه قبل العروج ولا تعارض بين الاخبار بان احدهما كان فيه عسل اللبن وبين
الاخبار بان احدهما كان فيه ماء اللبن ولا بين الاخبار بانائين والاخبار بالاتي ثلاثة لانه
يجوز ان يكون بعض الرواة اقتصر على اثنين ولا بين الانا التي كان فيه عسل او ماء لانه يجوز ان

احدى الاواني اللاتي كان فيه عسلا ثم حصل فيها الما بدل العسل او نوع العسل بدونها الما على العسل
او تكون الاواني اربعة ذكر بعض الرواة ثلاثة فقط. وقد قال ابن كثير مجموع الاواني اربعة فيها اربعة انها
ر الاربعة التي تخرج من اصل سدرة المنتهى ولكن لم يحفظ البعض في رواية جملة فبعض الرواة
تارة ذكر منه الخمر فقط وتارة ذكر منه العسل فقط وتارة ذكر منه الما والخمر وعلى الاحتمال الاول
ينبني عن ستر عدم ذكر جبريل حكمة عدم الشرب من العسل والله اعلم. قال ومر على موسى عليه السلام
وهو يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر وهو يقول برفع صوته اكرمته وفضلته انتهى وفي رواية
سمعت صوتا وتذمرا اي بالذال المعجمة الخفيفة فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا جبريل من هذا
قال هذا موسى ابن عمران قال ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قال او يرفع صوته على ربه
العتاب مخاطبة فيها ادلال وهذا يدل على ان الصوت الذي سمعه كان مشتملا على عتاب وتذمر
مع رفعه وفي رواية على من كان تذمر اي حدته قال على ربه قلنا اعلى ربه قال جبريل
ان الله عز وجل قد عرف له حدته وهذا كله ان كان الذي بعده قبل وصوله الى مسجد
بيت المقدس والله اعلم. وفي هذه الليلة اسري بي مر بي جبريل على قبر ابي ابراهيم فقال
انزل فصل هاهنا ركعتين قال ومر على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال من هذا يا جبريل
قال هذا ابوك ابراهيم عليه السلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال من هذا معك
يا جبريل فقال هذا ابنك احمد فقال مرحبا بالنبي العربي الامي ودعا له بالبركة اي
اي بحصول الخير وقد علمت ان ابراهيم لم يرد قد سأل عنه لكن في السيرة الشامية
انه سأل عنه ايضا فقال من هذا يا جبريل فقال هذا احمد فقال مرحبا بالنبي العربي
الذي نصح امته ودعا له بالبركة وقال اسأل لامتك اليسر والظاهر ان ابراهيم كان
تحت تلك الشجرة او قريبا منها فلا تخالف بين الروايتين. وسار صلى الله عليه وسلم
حتى اتى الوادي الذي في بيت المقدس فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي اي وهي
النمارق اي الوسائد فقيل يا رسول الله كيف وجدتها قال مثل الحمة اي الفحمة انتهى
قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء اي من الصخرة كما تقدم اي على المعراج
بكسر الميم وفتحها الذي تعرج ارواح بني ادم فيه وهو كما في بعض الروايات سلم له
مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب اي [illegible] وهو المراد بقول بعضهم كانت المعارج ليلة
الاسرا عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى والعاشر
الى العرش والرفرف فاطلق على كل مرقاة معراجا وهذا المعراج لم ير الخلايق احسن
منه اما رأيت الميت حين يشق بصره كانما الى السما اي بعد خروج روحه فان ذلك
عجبه بالمعراج الذي نصب لروحه ليعرج عليه وذلك شاهد للمومن والكافر لان
المومن يفتح لروحه باب السما دون الكافر فترد بعد عروجها بخسران [illegible]
له وذلك المعراج اتى به من جنة الفردوس وانه منضد باللؤلؤ اي جعل فيه اللؤلؤ
بعضه على بعض عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فصعد هو وجبريل عليه السلام
قال الحافظ ابن كثير ولم يكن صعوده على البراق كما توهمه بعض الناس اي ومنهم صاحب
الهمزية كما ياتي عنه حتى انتهى الى باب من ابواب سما الدنيا يقال له باب الحفظة
وعليه ملك يقال له اسماعيل اي وهذا اسكن الهواء لم يصعد الى السما قط ولم يهبط الى الارض
قط

٢٦٥

قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة وتحت يده اثنا عشر الف ملك اي وفي رواية
ان تحت يده سبعين الف ملك تحت يد كل ملك سبعون الف ملك فاستفتح جبريل فقيل من انت
وفي رواية فضرب بابا من ابواب السما فناداه اهل السما [illegible] من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد [illegible] قال جبريل [illegible]
[illegible]
[illegible] يكون هذا القنديل [illegible] الحفظة قال
[illegible] بعث اليه اي بالاسرا والعروج [illegible] علم بانه سيعرج به
الى السما بعد الاسرا به الى بيت المقدس والا فبعثته صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الخلق
يبعد انه يخفى على الملائكة الى هذه المدة [illegible] لما قالوا وقد بعث ولم
يقولوا اليه. فان قيل [illegible] ان الملائكة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] واختلف في لفظ الاثم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وفي رواية [illegible]
[illegible] كما [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ارواح [illegible] الموتى
[illegible] ارواح [illegible] الكفار
[illegible] ارواح [illegible]
في الدرجة [illegible] ليس [illegible]
[illegible]
وفي [illegible] الحفظة [illegible]
[illegible] الحفظة [illegible]
الحافظ ابن حجر وعن يمينه اسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن يساره اسودة
وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر عن يمينه اي قبل الاسودة ضحك واستبشر واذا
نظر قبل شماله اي قبل الاسودة حزن وبكى فسلم عليه صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا
بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذا قال هذا ابوك ادم
اي وزاد في الجواب [illegible] الاسودة نسم [illegible] بنيه فاهل اليمين اهل الجنة
واهل الشمال اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله حزن وبكى
وزاد في الجواب ايضا [illegible] الباب الذي عن يمينه باب الجنة اذا نظر من [illegible]
ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب النار اذا نظر من [illegible] بكى وحزن

انتهى اي اذا نظر الى الارواح التي عن يمينه وشماله وفيه ان الجنة فوق السموات السبع والنار في الارض السابعة
وهي محيطة بالدنيا فكيف يكونان بالنسبة في السماء الدنيا وان ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السماء
كما تقدم واجيب عن الثاني بان محلهما الجواز كون ذريته لذريته الكفار الكائنة بكونه ابدانا وهي
دون السماء لا فيها نظر اذ فيه ذلك الباب اي كون تلك نسمة الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم
الى جهة يساره ويجاب عن الاول بان الباب الذي عن يمينه يجوز ان يكون محاذيا لموضع الجنة
من السماء السابعة وهذا قيل لا بالجنة وكذا يقال في باب جهنم لان الاضافة تاتي لادنى
ملابسة ويجاب ايضا بان كون نسمة ذريته الكفار عن جهة يساره يعلم انه لا حاجة في الجواب
عن ذلك الى قول الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يقال ان النسم المرئية هي الارواح التي لم تدخل
الاجساد بعد اي الان وتستقر فيما يعني ادم وتشاهدوا فقد اعلم بما سيصيرون اليه فاعل ان
الارواح مخلوقة قبل الاجساد فاستقرارها في الارواح لا يناسبه فالروح طيبة خارجة من جسد طيب
الى جهة ولا حاجة للنقل في الجواب عن ذلك بما ان الكفار التي لا تفتح لها ابواب
السماء المشركون دون الكفار من اهل الكتاب فيجوز ان تكون تلك الاسودة ارواح كفار اهل
الكتاب انه هو مخصوص ان المراد بارواح ذريته في الروايات السابقة الارواح التي خرجت من
اجسادها قال صلى الله عليه وسلم ثم اتى على قوم لهم مشافر كمشافر الابل اي كشفاه
الابل يعني في ايديهم قطع من نار كالافهار اي الحجارة التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها في
افواههم فتخرج من ادبارهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وهم في الارض اي وسيصلى لعله المراد بالرجال الاشخاص
وهؤلاء لم تقتحم روايته صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا لهم بطون
ان خصوا بذكر لانهم اولياء الايتام غالبا قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا لهم بطون
كانها البيوت ولعله في رواية اخرى فيها الحيات ترى من خارج البطون
ثم ان هؤلاء في رواية اخرى فيها الحيات ترى من خارج البطون لا يقدرون
بسبيل اي طريق الى فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار لا يقدرون
على ان يتحولوا من مكانهم وذلك كذلك وهم اهل الربا المذكورون الموصوفون بذلك المعنى لشدة وطئهم
لهم والمهيومة التي اصابها الهيام شدة العطش اي وفي رواية كلما نهض احدهم خر اي سقط
قال فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اكلة الربا وفي رواية لهم صلى الله عليه وسلم في
الارض لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس الحجارة اي ولا مانع من اجتماع
الاوصاف لهم بهذا الوصف بل ان الواصف لهم يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة وهكذا عذابهم ○ قال
الوصف لهم اي يخرجون من ذلك البحر ويلقون في طريق من ذكر قال
صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا بين ايديهم لحم سمين طيب الى جنبه لحم خبيث منتن ياكلون
من الخبيث المنتن ويتركون السمين الطيب فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يتركون
ما احل لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن وفي روايته لهم في الارض
اي الرجال والنساء نحو هذا الوصف ○ وفي رواية اي اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد
واخرى عليها لحم منتن عليها ناس ياكلون قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يتركون
الحلال ويأكلون الحرام اي يزنون الحلال ما هم لا يقبله اي وهؤلاء لم تتقدم روايتهم في الارض
قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال
هؤلاء اللاتي ادخلن على ازواجهن ما ليس من اولادهم اي نسب زنا وهؤلاء لم تتقدم

صلى

صلى الله عليه وسلم لهن في الارض والذي تقدم روايتهن الزناة والزانيات لا بهذا الوصف
وهو ادخالهن على الرجال ما ليس من اولادهم على انه يجوز ان يكون المراد مطلق الزانيات
لان الزنا سبب في حصول ما ذكر غالبا ولا مانع من اجتماع الوصفين لهن ○ قال ثم مضى هنيهة فاذا اقوام
تقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه فيقال له كلوا ما كنتم تاكلون من لحم اخيكم قال
يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من امتك اللمازون اي المغتابون للناس النمامون لهم انتهى
اي وتقدمت روايته صلى الله عليه وسلم للمغتابين في الارض بغير هذا الوصف اي ورُوي انه
صلى الله عليه وسلم رأى في هذه السماء النيل والفرات يطردان اي يجريان وعنصرهما اي اصلهما وهو
يخالف ما يأتي انه صلى الله عليه وسلم رأى في اصل سدرة المنتهى اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران
وان الظاهرين النيل والفرات ○ واجيب بانه يجوز ان يكون منبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما
وهو المراد بعنصرهما الذي هو اصلهما في السماء الدنيا اي بعد مرورهما في الجنة ومن السماء الدنيا ينزلان
الى الارض فقد جاء في تفسير قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض انهما النيل والفرات
انزلا من الجنة من اسفل درجة منها على جناح جبريل عليه السلام في ودعهما بطون الجبال ثم ان الله تعالى
سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الايمان وذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به
لقادرون ذكره السهيلي وفي زيادة الجامع الصغير ان النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين
يسيح لوجدتم فيه من ورقها ○ قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل
عليه السلام فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ○
ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام اي شبيه احدهما بصاحبه
ثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا لي بخير ○ وفي بعض الروايات انهما في السماء الثالثة
انتهى وكونهما ابني الخالة اي ان ام كل خالة الآخر هو المشهور وعليه قال ابن السكيت يقال ابنا
خالة ولا يقال ابنا عمة ويقال ابنا عم ولا يقال ابنا خال لكن في عيون المعارف للقضاعي ان
ان يحيى انما هو ابن خالة مريم ام عيسى لا ابن خالة عيسى لان ام يحيى اخت ام مريم لا اخت مريم
وكذا في كلام ابن اسحاق ان عمران وزكريا كلاهما من ذرية سليمان عليهم الصلاة والسلام وانهما
تزوجا اختين فزوجة زكريا ولدت يحيى قبل عيسى بستة اشهر وكذا مريم عيسى وزوجة عمران
ولدت مريم فام يحيى اخت ام مريم فعيسى ابن بنت خالة يحيى وحينئذ يكون قوله صلى الله
عليه وسلم فاذا انا بابني الخالة على التجوز وكذا قوله عيسى ليحيى يا ابن الخالة كما في تفسير
الشنتري على التجوز وفيه حكى عن يحيى وعيسى عليهما السلام انهما خرجا يتبايعان فصدم يحيى
امرأة فقال له عيسى يا ابن الخالة لقد اصبت اليوم خطيئة ما ارى الله يغفرها لك قال
وما هي قال صدمت امرأة قال والله ما شعرت بها فقال عيسى سبحان الله بدنك معي فاين
قلبك قال معلق بالعرش ولو ان قلبي اطمأن الى جبريل عليه السلام طرفة عين لظننت
اني ما عرفت الله عز وجل ووجه التجوز انه اطلق على بنت الاخت لفظ الاخت وقال بعضهم
وهو كثير شائع في كلامهم ثم رأيت المولى ابا السعود ذكر ما يجمع به بين القولين وهو انه

العروج الى السماء الثانية

يحيى عليه السلام

قيل ان ام يحيى اخت ام مريم من الام واخت مريم من الاب فليتامل تصويره بناء على تحريم نكاح المحارم
لان ام مريم حينئذ بنت موطوءة ابيها الا ان يقال ربيبته الا ان يكون في شريعتهم جواز ذلك • ثم
رايت بعضهم ذكره لذلك قال ولا يبعد ان عمران تزوج اولا ام حنة فولدت اشياع
اي التي هي ام يحيى ثم تزوج حنة بعد ذلك التي هي ربيبته بنت موطوءته فجاءها بمريم
بناء على جواز ذلك في شريعتهم • وفيه انه تقدم ان نوحا عليه الصلاة والسلام بعث
بتحريم نكاح المحارم الا ان يقال المراد محارم النسب دون المصاهرة • ولم يسم احد يحيى
بعد يحيى عدا يحيى بن خلاد الانصاري جيء به للنبي صلى الله عليه وسلم يوم ولد
فحنكه بتمرة وقال لاسمينه باسم لم يسم به بعد يحيى بن زكريا فسماه يحيى • ومما
يدل على شرف سيدنا يحيى بن زكريا ما في الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام فذكرنا نوحا بطول
عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله تعالى اياه وعيسى برفعه الى السماء
وقلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افضلهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبياء اي فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر
انه لم يعمل سيئة قط ولا هم بها • اي ففي الحديث ما من احد الا ويلقى الله عز وجل
وقد هم بخطيئة او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم بها ولم يعملها فليتامل مع ما تقدم في ذلك
وقد ذكر ان والده زكريا لامه على كثرة العبادة والبكا فقال لقد انت امرتني بذلك
يا ابت الست انت القائل ان بين الجنة والنار عقبة لا يقطعها الا البكاؤون من خشية الله
تعالى فقال بلى فجد وجد • وقد جاء في الحديث ان يحيى هو الذي يذبح الموت يوم القيامة
بمجمع ذبحه بشفرة تكون في يده والناس ينظرون اليه اي فان الموت يكون في
صورة كبش املح فيوقف بين الجنة والنار ويقال لاهلهما اتعرفون هذا فيقولون
نعم هو الموت اي يلقي الله عز وجل معرفته في قلوبهم وتقدم الكلام على ما جاء به الحديث الصحيح على
انه جاء في تفسير قوله عز وجل خلق الموت والحياة ان الموت في صورة كبش لا يمر بشيء الا مات
وخلق الحياة في صورة فرس لا يمر على شيء الا حيي وهو يدل على ان الموت جسم وان الميت
يشاهد حلول الموت به • وقيل الذي يذبح الموت جبريل عليه السلام • وقيل ان في هذه
السماء اي الثانية ادريس وهارون وهو قول شاذ وقيل يوسف جاء به رواية ذكرها
الجلال السيوطي في اوائل الجامع الصغير وذكر فيها ان ابني الخالة في السماء الثالثة
كما تقدم وتقدم ان بعضهم ذكر انها رواية الشيخين عن انس • قال ابو حيان وعيسى لفظ
اعجمي والظاهر ان شكل يحيى هذه الكلمة • وفي كلام غيره ان يحيى عربي ومنع صرفه للعلمية
ووزن الفعل وفي عيسى قيل انه عربي مشتق من العيس وهو بياض يخالطه صفرة وعلى
انه اعجمي قيل عبراني وقيل سرياني • ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل
قيل

المعراج الى السماء الثالثة

قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بيوسف عليه السلام اي وصورته تشرق من نوره واذا هو قد اعطي شطر الحسن اي وفي
رواية صورة القمر ليلة البدر والمراد بشطر الحسن نصف الحسن الذي اعطيه الناس
وفي الحديث اعطي يوسف وامه ثلث حسن الدنيا واعطي الناس الثلثين ويحتاج
للجمع بينها وبين ما جاء في رواية قسم الله ليوسف من الحسن والجمال ثلثي حسن الخلق
وقسم بين سائر الخلق الثلث • وعن وهب بن منبه الحسن عشرة اجزاء تسعة منها
ليوسف وواحد بين الناس • وفي كلام بعضهم كان فضل يوسف في الحسن على الناس
كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السما وكان اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه
على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران والمراد بالناس غير نبينا
صلى الله عليه وسلم لان حسن نبينا صلى الله عليه وسلم لم ينازع في حسنه كما
اشار اليه صاحب البردة بقوله • فجوهر الحسن فيه غير منقسم • خلافا لابن المنير
حيث ادعى ان يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وتبعه
على ذلك شارح تائية الامام السبكي وعبارته فاذا هو اي يوسف اعطي شطر
الحسن الذي اعطيه كله صلى الله عليه وسلم • هذا وقد قيل ان يوسف عليه السلام
ورث الحسن من اسحاق الذي هو جده واسحاق ورث الحسن من سارة التي هي امه
وسارة اعطيت سدس الحسن وورثت ذلك من حوى • اي وفي رواية في وصف
يوسف عليه السلام وانه احسن ما خلق الله تعالى قد فضل الناس بالحسن
كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب اي كفضل القمر ليلة البدر على بقية الكواكب
الليلية والمراد بخلق الله تعالى وبالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت
انه اعطي شطر الحسن الذي لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ولان المتكلم لا يدخل
في عموم خطابه على ما فيه • وقد جاء ان يوسف اعطي نصف حسن ادم • وفي رواية
ثلث حسن ادم • وقد جاء كان يوسف يشبه ادم يوم خلقه ربه عز وجل • وفي
الخصائص الصغرى للسيوطي وخص صلى الله عليه وسلم بانه اعطي كل الحسن ولم يعط
يوسف الا شطره فلينظر الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها • وقد جاء ما بعث
الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا
قال صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير • وفي بعض الروايات ان في هذه
السماء الثالثة ابني الخالة يحيى وعيسى • ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح
جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير وفي رواية فقال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي رواية قتادة مرحبا بالابن الصالح • قال
بعضهم وهو القياس لانه جده الا على انه من ولد شيث بينه وبين شيث اربعة

المعراج الى السماء الرابعة

لمن أعطي الرسالة

إلى الرسل بعد موت آدم بثماني سنة • وهو أول من أعطي الرسالة من ولد آدم وهو ع
ينبغي أن شيث لم يكن رسولا • ونوح من ولد بنيه وبينه اثنان فادريس في عمود
نسبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قوله بالأخ الصالح في تلك الرواية
محمولا عليه التواضع منه فإن عمتك بذلك إذ ادريس ليس جدا لنوح
ولا هو من آباء النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا
أي محل لحياته لم يرفع إلى السماء قيل من مصر بعد أن خرج منها وقد أراد الأرض
كلها وعاد إليها ودعا من الخلق بها إلى الله عز وجل بأشياء وسمى لغة خاطب
كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج علم النجوم أي علم الحوادث
التي تكون في الأرض باقترانات الكواكب • قال الشيخ محيي الدين ابن
العربي وهو علم صحيح لا يخطئ في نفسه وإنما الناظر في ذلك هو الذي يخطئ لعدم
استيفاء النظر ودعوى إدريس عليه السلام الخلا يدل على أنه كان رسولا • وفي
كلام الشيخ محيي الدين بن العربي لم يجئ في القرآن برسالة إدريس بل قيل فيه صديقا
نبيا • وأول شخص افتتحت به الرسالة نوح عليه السلام ومن كان قبله إنما كانوا أنبياء
كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل معه في شرعه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع
كان كافرا **ومما يؤثر عنه** عليه الصلاة والسلام حب الدنيا والآخرة لا يجتمعان
في قلب عبد أبدا الناس اثنان طالب لا يجد وواجد لا يكتفي من ذكر عار الفضيحة هان عليه
لذنبنا • خير الإخوان من نسي ذنبك وستر وقر عندك • ومن قبضت روحه في هذه
السماء الرابعة وصلت عليه الملائكة ومعنى هذا نزلت عليه الملائكة كما هبطت وحينئذ
لا ينافي أنه كان في السماء الخامسة والسادسة والسابعة أرفع منه على أنه قيل كما أن أحيا
الله تعالى إياه وأدخله الجنة وهو فيها الآن أي غائب أحوال في الجنة فلا ينافي وجوده في السماء
المذكورة في تلك الليلة لأن الجنة أرفع من السموات لأنها فوق السماء السابعة ولا ما جاء في
الحديث أنه في السماء الثانية كعيسى عليه السلام • وفي بعض الروايات أنه في هذه السماء الرابعة هارون
ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام
أي ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب إلى سرته من طولها وحوله قوم من بني
إسرائيل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعا لي بخير أي ونحو ابنه فقال يا جبريل من هذا قال
هذا الرجل المحبب في قومه هارون بن عمران • أي لأنه كان ألين لهم من موسى عليهما الصلاة
والسلام لأن موسى عليه السلام كان فيه بعض الشدة عليهم ومنهم كان لذلك بعض الإيذاء
ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال نعم ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه الصلاة والسلام
فرحب بي ودعا لي بخير أي وفي رواية جعل يمر بالنبي ومعه القوم والنبي ليس معه أحد

ثم بسواد عظيم فقال من هذا قيل كذا وقوله المناسب هذا قوم موسى لا يخفى ولكن ارفع رأسك
فإذا أنا بسواد عظيم قد سد الأفق من هذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون
ألفا قدامهم يدخلون الجنة بغير حساب أي منهم بدليل ما جاء في رواية قيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون
ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم أمته أي وأمة موسى أيضا أن بقية
وجودهما حقيقة في السماء السادسة وهذا السياق يدل على أن الذين مر بهم من النبي والنبيين
في السماء السادسة فلما خلصنا أي جاوزنا ما ذكر من النبي والنبيين والسواد العظيم فإذا موسى بن
عمران رجل آدم طوال كأنه من رجال شنوءة كثير الشعر أي مع طول لو كان عليه قميصان لنفذ
الشعر منهما أي وكان إذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته نارا لشدة
غضبه • وفي كلام بعضهم كان إذا غضب خرج شعره من مدرعته كشوك النخل ولشدة غضبه لما فر
الحجر بثوبه عليه السلام ما زال يضربه حتى ضرب به ست ضربات أو سبع ضربات مع أنه لا إدراك له
ووجه بأنه لما فر صار كالدابة والدابة إذا جمحت بصاحبها يؤدبها بالضرب فسلم عليه النبي صلى
الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير
وقال تزعم الناس أني أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله مني فلما جاوزه بكى فقيل له
ما يبكيك فقال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي
أي يكونون شطر الأمم • فقد ذكر الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى أن مما اختص به النبي
صلى الله عليه وسلم أن أمته في الآخرة أن أهل الجنة من الأمم مائة وعشرون صفا هذه الأمة
منها ثمانون وسائر الأمم أربعون • وجاء في المرفوع كل أمة بعضها في الجنة وبعضها في النار إلا
هذه الأمة فإنها كلها في الجنة • وفي الغرائب عن أبي هريرة رضي الله عنه كلم الله عز وجل
موسى عليه السلام كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصفا من مسيرة
عشرة فراسخ • وفي الحديث ليس أحد يدخل الجنة إلا جرد مرد إلا موسى عليه الصلاة والسلام
فإن لحيته إلى سرته **ثم عرج بنا إلى السماء السابعة** واسمها عريبا واسم الأرض السابعة
جريبا روى الخطيب بإسناد صحيح أن وهب بن منبه قال من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة
كان له ثواب ما بين عريبا وجريبا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد بعث إليه قال نعم قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم أي
رجل أشمط أي من يخالط سواد شعره بياض كهل ولا ينافي ذلك ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في وصفه أنه أشبه
بصاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا جالس عند باب الجنة أي في جهتها مسندا
ظهره إلى البيت المعمور وهو من عقيق ويقال له الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وفي آخره
حاء مهملة من ضرح أي أبعد وسمي الضريح ومن كلام الحافظ ابن حجر يقال له الضريح والضراح وجاء
أنه سقف بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها أي فهو في تلك السماء في محل يحاذي الكعبة أي وقيل في السماء
الرابعة وبه جزم في القاموس وقيل في السادسة وقيل في الأولى وتقدم الجمع كل سماء بيت

معمورا وان كل بيت منها بحيال الكعبة وإذا هو يدخله في كل يوم ألف ملك لا يعودون إليه آخر
وعن بعضهم ان البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك وفي رواية سبعون وجيها مع كل
وجيه سبعون ألف ملك والوجيه الرئيس ولعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بإعلام
جبريل وإلا فرؤيته صلى الله عليه وسلم له في تلك الليلة لا تقتضي ذلك • ثم رأيت الشيخ
عبد الوهاب الشعراني أشار إلى ذلك حيث قال وسمي له البيت المعمور فنظر إليه وركع
فيه ركعتين وعرفه أي جبريل انه يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد
ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها
والظاهر ان دخول هؤلاء الملائكة خاص بالذي في السماء السابعة • وقال السهيلي وقد
ثبت في الصحيح ان أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين رآهم مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام
من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا قال وأولاد الكافرين
قال له وأولاد الكافرين خرجه البخاري في الحديث الطويل في كتاب الجنائز وخرجه
في موضع آخر فقال فيه أولاد الناس • وقد روي في أطفال الكافرين أنهم خدم لأهل
الجنة هذا كلامه • وجاء في حديث مرفوع لكن سنده ضعيف ان في السماء الرابعة نهرا يقال
له الحيوان يدخله جبريل كل يوم أي سحرا كما في بعض الروايات فينغمس ثم يخرج فينتفض
فيخرج عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا • وفي لفظ يخلق الله عز وجل
من كل قطرة كذا وكذا ألف ملك يؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه ثم الذين
يصلون في البيت المعمور ثم لا يعودون إليه أبدا يولي عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم في
السماء موقفا يسبحون الله عز وجل إلى أن تقوم الساعة • وذكر الشيخ عبد الوهاب
الشعراني ان جبريل أخبره بذلك في تلك الليلة والله أعلم وفي رواية وإذا أنا بأمتي
شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد فدخلت البيت
المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب
الرمد فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور والظاهر أنه ليس المراد بالشطر النصف
حتى تكون العصاة من أمته بقدر الطائعين ثم وان الصلاة محتملة لما عدا ولذات
الركوع والسجود ولمناسبة ما تقدم من فعل ركعتين وان إبراهيم عليه الصلاة والسلام
قال له يا بني انك لاق ربك الليلة وان أمتك آخر الأمم وأضعفها فان
استطعت ان تكون حاجتك في أمتك فافعل • وفي البخاري ان السابعة التي بها إبراهيم
عليه الصلاة والسلام قال له صلى الله عليه وسلم ذلك في الارض قبل وصوله بيت المقدس
وقال له مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال له
وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة إلا بالله وفي رواية أخرى أقرئ أمتك مني السلام
وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله

والله

والله أكبر وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لأنه يجوز أن يكون غراس الجنة مجموع ما ذكر
وان بعض الرواة اقتصر • قال صلى الله عليه وسلم واستقبلتني جارية لعساء وقد أعجبتني
فقلت لها يا جارية أنت لمن قالت لزيد بن حارثة أي وتلك الجارية خرجت من
الجنة فيكون استقباله لها صلى الله عليه وسلم بعد مجاوزة السماء السابعة لكن في رواية
فرأيت فيها أي في الجنة جارية الحديث وقد يقال يجوز أن يكون رآها مرتين خارج الجنة
وداخلها ويكون سؤاله عنها في المرة الأولى واللعس كون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد
قليلا وذلك يستملح قاله في الصحاح • وفي رواية فلما انتهيا إلى السماء السابعة رأى غيوما ورعدا
وبرقا وصواعق أي وهذه الرواية أي رواية ابن طلحة فيه انه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك في السماء
السابعة محتملة لأن يكون رآه قبل دخولها وحينئذ يكون خرج ثم أتى بإناء من خمر
وإناء من لبن وإناء من عسل على الاختلاف بين المذكورين وعندما عرض تلك الأواني عليه
صلى الله عليه وسلم أخذ اللبن فقال له جبريل أصبت أي بأخذك اللبن الذي هو الفطرة
أصاب الله عز وجل بك أمتك على الفطرة أي أوجدهم على الفطرة ببركتك • وفي رواية
هذه الفطرة التي أنت عليها وأمتك • أي وتقدم ان المراد بها الاسلام • وتقدم ان
إبراهيم عليه الصلاة والسلام في السماء السادسة وموسى في السماء السابعة وهذه
الرواية في البخاري عن أنس وتقدم ان ذلك كان في الاسراء بروحه صلى الله عليه وسلم
لا بجسده وتقدم ان رؤيا الأنبياء حق فالأولى الجمع بين الروايات بالانتقال وان بعض
الأنبياء نزل من محله لما تقدم لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند صعوده وبعضهم خرج
عن محله وصعد لما فوقه لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند هبوطه فأخبر عنه
صلى الله عليه وسلم تارة بأنه في سماء كذا وتارة بأنه في سماء كذا وقال الحافظ ابن حجر
لا يرد الجمع بل يحكم على ما خالف أصح الروايات بأنه لا يعمل به وقال الجمع إنما هو يجوز
استعمال ... الية هذا كلامه وعندي فيه نظر ظاهر والجمع أولى من إثبات
المعارضة لا سيما بين الصحيح والأصح وان كان الصحيح شاذا لأنا لا نعلم الأصح إذ
الصحيح عند غيره الأصح فعندنا الجمع فيه تساهل وعلى المشهور من الروايات الذي صدرنا به
أبدى بعضهم لاختصاص هؤلاء الأنبياء بلقائه صلى الله عليه وسلم واختصاص كل واحد
منهم بالسماء التي لقيه فيها حكمة يطول ذكرها • قال صلى الله عليه وسلم ثم ذهب بي
أي جبريل إلى سدرة المنتهى وإذا أوراقها كآذان الفيلة أي وفي رواية مثل
آذان الفيول • وفي رواية تكاد الورقة تغطي هذه الأمة • وفي رواية الورقة
الواحدة ظللت تغطي هذه الدنيا وحينئذ يكون المراد بكونها كآذان الفيلة في
الشكل وهو الاستدارة لا في السعة • وإذا ثمرها كالقلال • وفي رواية كقلال هجر
قرية بقرب المدينة والواحدة من قلالها تسع قربتين ونصفا من قرب الحجاز والقربة
تسع من الماء مائة رطل بغدادي فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشي تغيرت أي صارت

مطلب سدرة المنتهى

خالة من الحسن غير تلك الحالة التي كانت عليها فما احد من خلق الله عز وجل يستطيع ان ينعتها
من حسنها اي لان دواير الحسن تدهش الرائي وهذا السياق يدل على ان سدرة المنتهى فوق
السما السابعة اي وهو قول الاكثر ● وفي بعض الروايات ان اغصانها تحت الكرسي ومقتضاه
ان العرش والكرسي فوق السما السابعة ● قال وقيل لها هذا عن سدرة المنتهى كما ثمارها لا كول لذ
في ايدي لو لو تعيننه عيني وهذا السوال ليؤكل او يقطفها اي لا يؤكل انتهى ● قال صلى الله عليه
وسلم ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اي بالمعجمة قباب اللولو وفي لفظ جنابذ اللولو اي
المعقود والقلانس واذا ترابها المسك ورمانها كالدلاء وطيرها كالبخت ● ثم قال صلى الله
عليه وسلم للجنة كان قبل ان يعرج بها الساعة ● وفي الحديث ما من الله بنا غرة حلوة ولا
مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل والذي نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة ●
فتصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها وهذا النعيم يرشد الى ان ثمرة الجنة ان
كلها حلوة ولو كان امنا تكون على صورة ثمرة الدنيا المرة ● وفي كلام الشيخ محيي الدين
ابن العربي فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة اي لا تؤكل من غير قطع اي يؤكل منها
فالاكل موجود والعين باقية في غصن الشجرة وليس المراد ان الفاكهة غير مقطوعة
في شتاء ولا صيف او يخلق الله مكان قطفها اخرى مثل العود كما قاله بعضهم فقيل بها يأكل
العبد هو عين ما يشهد واطال في ذلك وكانه لم يقف على هذا الحديث او لم يثبت
عنده فليتامل ● قال ويخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران باطنان ونهران
ظاهران فقلت ما هذه اي الانهار يا جبريل فقال اما الباطنان ففي الجنة اي يبطنان
ويغيبان في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات انتهى ● اقول قول جبريل
اما الباطنان ففي الجنة لا يحسن ان يكون جوابا عن هذا السوال اي الذي هو
سوال عن بيان الحقيقة ويحمل بذكرا سميهما فكان المناسب بحسب الظاهر
ان يقول واما الباطنان فنهر كذا او كذا ● وهذا السياق يدل على ان النيل والفرات
يجريان في الجنة ويجاوزانها وان ما عداهما كسيحان وجيحان بنا على انهما ينبعان
من اصل شجرة المنتهى يبقيان فيها ولا يجاوزانها والنيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة
ويحتمل ان النهرين الذين هما ما عدا النيل والفرات بنا على انهما سيحان
وجيحان يبطنان في الجنة ولا يظهران الا بعد خروجهما منها لوجودهما في
الخارج بخلاف النيل والفرات فانهما يستمران ظاهرين فيها الى ان يخرجا منها
وقد جا في حديث ما من يوم الا ويبرد ماء الجنة في الفرات قال بعضهم ومصداقه
ان الفرات مد في بعض السنين فوجد فيه رمان كل واحدة مثل البعير فيقال
انه من رمان الجنة وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الاحاديث الواهية ●
وفي حديث موقوف على ابن عباس اذا كان خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل
فرفع من الارض هذه الانهار والقرآن والعلم والحجر والمقام وتابوت موسى بما فيه

الى السما هذا او من كلام بعضهم ما يدل على ان سيحان وجيحان لا ينبعان من اصل سدرة المنتهى
فليتأمل المراد بالباطنين ● وعن مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر اي ومعنى كونهما باطنين
انهما لم يخرجا من الجنة اصلا ومعنى كون النيل والفرات ظاهرين انهما يخرجان منها
وفي السيرة الشامية لم يثبت في سيحان وجيحان انهما ينبعان من اصل شجرة المنتهى فيمتاز
النيل والفرات عليهما بذلك واما الباطنان المذكوران اي في الحديث فهما غير
سيحان وجيحان قال القرطبي ولعل ترك ذكرهما اي سيحان وجيحان في حديث
الاسرا كونهما ليسا اصلا برأسهما وانما يحتمل ان يتفرعا عن النيل والفرات هذا
كلامه ولعل المراد انهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من الجنة فهما لم يخرجا من اصل
السدرة ولا يبطنان في الجنة اصلا ● قال واذا فيها اي في تلك الشجرة عين اي في
اصلها ايضا عين يقال لها السلسبيل فيتشعب منها نهران احدهما الكوثر والاخر
يقال له نهر الرحمة فاغتسلت منه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر انتهى
اي فهما يخرجان من اصل سدرة المنتهى لكن لا من المحل الذي يخرج منه النيل والفرات
وحينيذ يحسن القول بانه يخرج من اصل تلك الشجرة اربعة انهار نهران ظاهران
ونهران باطنان ومن جعل الكوثر قسيما من السلسبيل يخالفه جعله فيهما لما تقدم
وعن مقاتل فالباطنان الكوثر ونهر الرحمة فالانهار التي تخرج من اصل سدرة
المنتهى اربعة بنا على ان سيحان وجيحان لا يخرجان منها او ستة بنا على انهما
يخرجان منها وعليه ولا ينافي قول القرطبي ما في الجنة نهر الا ويخرج من اصل
سدرة المنتهى لان المراد اما خروجه بنفسه او اصله الذي يتفرع منه بنا على ما تقدم
من ان سيحان وجيحان يتفرعان عن النيل والفرات ولا ينافي ما عند مسلم يخرج
من اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار من الجنة وهي النيل والفرات وسيحان
وجيحان ولا ما جا عند الطبراني سدرة المنتهى يخرج من اصلها اربعة انهار
من ما غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى
وعن كعب الاحبار ان نهر العسل نهر النيل اي وفيه دلالة لمن قال بعضهم لولا
دخول بحر النيل في البحر الملح الذي يقال له البحر الاخضر قبل ان يصل الى بحيرة
الزنج ويختلط بماء حتى لما قدر احد على شربه لشدة حلاوته ونهر اللبن نهر
جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الما نهر سيحان لان غاية ذلك سكونهما من
انهار الجنة وهما الكوثر ونهر الرحمة ● ومعنى كونها تخرج من اصل سدرة
المنتهى من الجنة انه يحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والا فما يخرج
من اصلها فمنبع انهار الجنة هكذا ذكره الشارح ابن ابي جمرة ولم اقف على ما يدل

على ثبوت هذا الاحتمال اي ان سدرة المنتهى مغروسة في الجنة ولا حاجة لهذا الاحتمال
في تصحيح هذه الرواية لان المعنى ان تلك الانهار تخرج من اصل تلك الشجرة ثم تكون
خارجة عن الجنة • ثم لا يخفى ان في كلام القاضي عياض ان سيحان بلاد به سيحون وجيحان
بلاد به جيحون ويخالفه قول صاحب النهاية اتفقوا كلهم على ان جيحون غير جيحان
وسيحون غير سيحان ومن ثم انكر الامام النووي على القاضي عياض حيث قال
الثاني اي من وجوه الانكار على القاضي قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون
وجيحون فجعل الاسما مترادفة وليس كذلك بل سيحان وجيحان غير سيحون
وجيحون هذا كلامه • وذكر صاحب النهاية ان جيحون نهر وراء خراسان عند
بلخ وسكت عن بيان سيحون فليتامل • قال والذي غشى الشجرة فراش من ذهب
والفراش هو الحيوان الذي يلقي نفسه في السراج ليحترق وصلاة الملائكة على كل ورقة
منه يسبح الله تعالى وملائكة اي احوف ورقة منها كانهم الغربان يأوون
اليها متشوقين اليها متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة انتهى
ورأى صلى الله عليه وسلم جبريل عند تلك السدرة على الصورة التي خلقه (صورة جبريل عليه السلام)
الله تعالى عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر من
اجنحته التهاويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله عز وجل وغشيت
تلك السدرة سحابة فتأخر جبريل عليه السلام • ثم عرج به صلى الله عليه
وسلم اي في تلك السحابة حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الاقلام • وفي رواية
صريف اي صوت حركتها حال الكتابة اي ما تكتبه الملائكة من الاقضية
وهذا السياق يدل على ان جبريل لم يتعد سدرة المنتهى ويدل على ما تقدم
من ان سدرة المنتهى فوق السماء السابعة اي احد ما تقدم وهو الموافق لقول
بعضهم انها على بعض العرش • وفي رواية ثم انطلق بي اي جبريل الى ظهر السماء
السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه
طير خضر نعم الطير رأيت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا
فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرد بالذال
المعجمة كما تقدم وماؤه اشد بياضا من اللبن فاخذت من آنيته واغترفت
من ذلك فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رائحة من المسك • اقول
قد تقدم ان هذا النهر من الاربعة التي تخرج من سدرة المنتهى التي يقال لها
السلسبيل اي فهو يخرج من تلك الشجرة ويمر على ما ذكر ثم يدخل الجنة وينتهي بها
فلا ينافي كون الكوثر نهرا في الجنة وان السلسبيل عين في الجنة لان السلسبيل على

كما تقدم

كما تقدم اصل الكوثر والله اعلم • وفي رواية لمسلم اي سدرة المنتهى في السماء السادسة
واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
وعندها تقف الحفظة وغيرهم فلا يتعدونها ومن ثم سميت سدرة المنتهى • وعن
تفسير ابن سلام عن بعض السلف قال انما سميت سدرة المنتهى لان روح المؤمن ينتهي بها اليها
فيصلي عليها هنالك الملائكة المقربون وجمع الحافظ ابن حجر بين كون سدرة المنتهى في السادسة وكونها في
السابعة بان اصلها في السادسة واغصانها في السابعة اي فوق السابعة اي جاوزت السابعة فلا ينافي القول
بانها فوق السابعة على ما تقدم وهذا الحمل متعين لكون اصلها في السادسة لا ينافي كون الانهار
تخرج من اصلها الى اخر ما تقدم • ويروى ان جبريل لما وصل الى مقامه وهو سدرة المنتهى فوق السماء
السابعة قال له صلى الله عليه وسلم ها انت تتركني هذا مقامي اي لا اتعداه فزج بي في النور اي
الغاية تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالوقوف قال الشيخ عبد الوهاب وهو نظير
الجهة عندنا • وفي تاريخ الشيخ العيني شارح البخاري عن مقاتل ابن حبان قال انطلق بي جبريل
حتى انتهى الى الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهى فقال جبريل تقدم يا محمد قال فتقدمت حتى انتهيت
الى سرير من ذهب عليه فراش من حرير الجنة فنادى جبريل من خلفي يا محمد ان الله يثني عليك ف
اسمع واطع ولا يهولنك كلامه فبدأت بالثناء على الله عز وجل الحديث اي وفي ذلك النور
المستوي الذي سمع فيه صريف الاقلام رأى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب • وفي رواية انه
لما وقف جبريل قال له صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله قال ان تجاوزت
احترقت بالنار فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد
سل الله عز وجل لي ان ابسط جناحي على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال ثم زج بي في النور فخرق بي
السبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عني حس كل ملك
فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة ابي بكر رضي الله عنه قف ان ربك
يصلي فبينا انا اتفكر في ذلك اي في وجود ابي بكر في هذا المحل وفي صلاة ربي فاقول
هل سبقني ابو بكر وكيف يصلي ربي وهو غني عن ان يصلي كما يأتي لعل ذلك ما يأتي فاذا النداء
من العلي الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا احمد ادن يا محمد فادناني ربي حتى كنت كما قال
عز وجل ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى • وفي الخصائص الصغرى وخص بالاسرا
وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووطئه مكانا ما وطئه نبي مرسل
ولا ملك مقرب وهذه الرواية ككلام الخصائص تدل على ان فاعل دنى وتدلى واحد وكأنه هو
صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون معنى تدلى زاد في القرب • وجعل بعض العلماء من جملة ما
تنزل فيه المشهور من الروايات انه جعل فاعل دنى فتدلى الحق سبحانه وتعالى اي دنى الجبار
رب العزة فتدلى حتى كان من محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين او ادنى • ثم رأيت الحافظ ابن حجر

ذكره عن البيهقي انه روي بسنده حتى ما يوافق ما ذكره بك • ومعلوم ان معنى الدنو والتدلي لو اقتضى
من الله تعالى كقضية النزول لسنه من ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سماء الدنيا كل ليلة حيث يبقى ثلث
الليل الاخير وهو اي ذلك عند اهل الحقائق من متشابه التنزل بمعنى انه تعالى يتلطف
بعباده ويتنزل في خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على انفسهم فهو في حقهم حقيقة
وفي حقه تعالى مجاز وفي رواية بعضهم ذكروا ان قاعد في جبريل وقاعد لدى محمد صلى الله عليه وسلم
اي سجد لربه سبحانه وتعالى شكرا على ما اعطاه من الزلفى وفي رواية بعضها اخر ذكروا ان قاعد
لدى الرفرف وقاعد لدى محمد صلى الله عليه وسلم اي لدى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى
حكى عليه ثم دنى محمد من ربه سبحانه اي قرب قرب منزلة وتشريف لا قرب مكان تعالى
الله عز وجل عن ذلك • قال صلى الله عليه وسلم وسالني ربي فلم استطع ان اجيبه فوضع يده
عز وجل بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد اي يد قدرته تعالى لانه سبحانه منزه عن الجارحة
فوجدت بردها فاورثني علم الاولين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه
اذ علم انه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم امرني بتبليغه اي الى العام والخاص
من امتي وهم الانس والجن اي على ما تقدم • اقول هذا التقسيم يدل على ان العلوم
التي هي هذه العلوم الثلاثة الا ان يقال كل علم من هذه الثلاثة يشتمل على انواع من
العلوم والله اعلم • قال صلى الله عليه وسلم ثم قلت اللهم انه لحقني استيحاش سمعت مناديا
ينادي بلغة ابي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فتعجبت من هاتين هل سبقني ابو بكر الى هذا
المقام وان ربي لغني ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد وانما اقول سبحاني
سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية فصلاتي رحمة
لك ولامتك واما امر صاحبك يا محمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه
قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل بذكر العصا عن عظم الهيبة وكذلك انت يا محمد
لما كان انسك بصاحبك ابي بكر خلقنا ملكا على صورته ينادي بلغته ليزول عنك الاستيحاش
لما يلحقك من عظم الهيبة اقول لعل المراد خلقنا صورة على صورته لانه ليس في الرواية
انه راى ذلك الملك على صورة ابي بكر وانما سمع صوته والله اعلم • ثم قال الله عز وجل واين
حاجة جبريل فقلت اللهم انت اعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سال ولكن فيمن احب وصحب
اقول لعل المراد بمن صحب من كان تابعا لك في دينك عاملا بسنتك اي وهو مراد جبريل
بامته صلى الله عليه وسلم من قوله ان ابسط جناحي لامتك على الصراط والله اعلم • وروي
انه صلى الله عليه وسلم لما راى الحق سبحانه وتعالى خر ساجدا قال صلى الله عليه وسلم
فاوحى الله الي ما اوحى • وقد ذكر الثعلبي والقشيري في تفسير قوله تعالى فاوحى الى عبده
ما اوحى ان من جملة ما اوحى اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم

حتى

حتى تدخلها امتك قال القشيري واوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضياف لك
بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل وفرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة • اقول تقدم ان من جملة
ما اوحى اليه في هذا الموطن من القران خواتيم سورة البقرة وقد تقدم ذلك عند الكلام على
انواع الوحي وقدمنا انه يشبه ان يكون هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية على ما تقدم هذا
وفي حديث رواه ثقات انه لما وصلت الى السماء السابعة قال لي جبريل رويدا اي قف فيه
فان ربك يصلي قلت اهو يصلي وفي لفظ كيف يصلي وفي لفظ اخر قلت يا جبريل ايصلي ربك
قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ولا مانع من تكرر
وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من جبريل ومن غيره في السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد
تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه عز وجل يصلي في المرة الثانية وما بعدها • وورد ان
بني اسرائيل سالوا موسى عليه الصلاة والسلام هل يصلي ربك فبكى موسى عليه الصلاة والسلام
لذلك فقال الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذي سمعت قال اخبرهم ان صلاتي
وان صلاتي تطفئ غضبي والله اعلم • قال صلى الله عليه وسلم فنزلت الى موسى اي وفي رواية
ثم انجلت تلك السحابة اي عند وصوله الى سدرة المنتهى الذي هو المحل الذي وقف فيه
جبريل فاخذ بيدي جبريل فانصرف سريعا فاتى على ابراهيم فلم يقل شيئا ثم اتى على موسى وهذا
يدل على ما هو المشهور في الروايات ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان في السماء السابعة
وموسى كان في السادسة لا على غير المشهور ان ابراهيم كان في السادسة وموسى كان في السابعة
كما تقدم • ولما اتى الى موسى عليه الصلاة والسلام قال له ما فرض ربك عليك اي وفي لفظ
بما امرت قال خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني
بلوت بني اسرائيل وخبرتهم اي وفي البخاري ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله
قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة اي فانه فرض عليهم صلاتان
فما قاموا بهما اي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي وقيل فرض ركعتان عند الزوال
اي فما قاموا بذلك • وفي تفسير البيضاوي ان الذي فرض على بني اسرائيل خمسون
صلاة في اليوم والليلة وسياتي ذكر ذلك في بعض الروايات ويرد قولهم ان سبب
طلب التخفيف انه استكثر الخمسين التي هي المرة الاخيرة فهو انما يناسب ما تقدم • ثم رايت
القاضي البيضاوي قال في تفسير قوله تعالى ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا ان من ذلك الاصر التي كلفت بها بنو اسرائيل خمسين صلاة في اليوم
والليلة وكتب عليه الجلال السيوطي الحاشية ان كون بني اسرائيل كلفوا بخمسين صلاة
في اليوم والليلة باطل وبسط الكلام على ذلك • ثم قال موسى فارجع الى ربك فاساله
التخفيف لامتك اي وانما كانت امته مامورة بما امر به ومفروض عليها ما فرض عليه لان الفرض

عليه صلى الله عليه وسلم فرض على أمته والأمر له صلى الله عليه وسلم أمر لها لأن الأصل أن ما ثبت في حق
النبي ثبت في حق أمته إلا أن يقوم الدليل على الخصوصية قال فرجعت إلى ربي أي انتهيت إلى الشجرة
فغشيته السحابة وخر ساجدا فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى
فقلت حط عني خمسا فقال إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك واسأله التخفيف قال فلم
أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه الصلاة والسلام حتى قال الله تعالى لي
يا محمد إنهن خمس صلوات في كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة
فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن
عملها كتبت عليه سيئة واحدة • قال صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت إلى موسى
فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت
منه • أي وفي رواية أنه وضع عنه عشر صلوات عشر صلوات إلى أن أمر بخمس صلوات • وجاء
في الحديث أكثروا من الصلاة على موسى فما رأيت أحدا من الأنبياء أحوط على أمتي منه • أقول
في الوفا أن رواية وضع خمس صلوات من أفراد مسلم ورواية وضع عشر صلوات أصح لأنه
متفق البخاري ومسلم عليها والرواية التي حط فيها خمسا خمسا غلط من الرواة هذا
كلامه فليتأمل والمتبادر من قوله إياك أمر بخمس صلوات أنه رفع التعلق بجميع الخمسين ثم
ثبت تعلقا جديدا بالخمس ليست من الخمسين فالمنسوخ جميع الخمسين ويحتمل أنه رفع التعلق
بجملة الخمسين مع إثبات التعلق بخمسة منها التي هي بعضها فيكون المنسوخ ما عدا الخمس من الخمسين
فيؤخذ من هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على منعه
ورد بأن هذا وقع بعد البلاغ بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كلف بذلك ثم نسخ فقد
قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله وما قيل أن الخمس في ليلة الإسراء ناسخة
للخمسين إنما هو في حقه صلى الله عليه وسلم لبلوغه له لا في حق الأمة أي لعدم بلوغه لهم
هذا الكلام مردود إذ النسخ في حقه صلى الله عليه وسلم نسخ في حق أمته كما هو الأصل إلا أن تثبت
الخصوصية بدليل صحيح وهذا أورده في الخصائص الصغرى للسيوطي رحمه الله من أن وجوب
الخمسين ثم نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وإنما نسخ في حق الأمة ولعل مستنده في ذلك
رواية فرض الله على أمتي ليلة الإسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف
حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة أي على الأمة كما هو المتبادر وقول موسى عليه الصلاة
والسلام له صلى الله عليه وسلم إن أمتك لا تطيق ذلك وربما يوافق ذلك قول الإمام
السبكي في تائيته • ومذ كان رب العالمين مطالبا • بخمسين فرضا كل يوم وليلة •
فأبقيت أجر الكل ما اختل ذرة • وخففت الخمسون عنا بخمسة •
وفيه النسخ قبل التمكن من الفعل وهو يرد قول المعتزلة القائلين بأنه لا يجوز

النسخ

النسخ قبل التمكن من الفعل ورد قوله وقيل والظاهر أن الخمسين التي فرضت أولا أن كل صلاة من الخمس
تكرر عشر مرات فما زاد على الخمس مثلها وعشرها ويحتمل أن تكون صلوات أخر مغايرة لتلك الخمس
ولم أقف على بيان تلك الصلوات وعلى أنه الخمسين لم تنسخ في حقه صلى الله عليه وسلم
لم أقف على ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم صلاها ولا على كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم
لها وإلى عروجه صلى الله عليه وسلم ورجوعه أشار صاحب الهمزية بقوله •
وطوى الأرض سائرا والسموات • العلى فوقها له إسراء • فصف الليلة التي كان للمختار
فيها على البراق استواء • وترقى به إلى قاب قوسين • وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الأماني حسرى • دونها ما وراءهن وراء • وتلقى من ربه كلمات •
كل علم في شمسهن هباء • زاخرات البحار يغرق فيها • قطرتها العالمون والحكماء •
أي وطوى الأرض حال كونه صلى الله عليه وسلم سائرا عليها إلى المدينة عند الهجرة •
كما طويت له صلى الله عليه وسلم قبل ذلك السموات لما كان له فوقها إسراء أي ليلة الإسراء
إلى أن جاوزها جميعا في أسرع وقت فصف تلك الليلة التي كان للمختار فيها على
البراق استواء واستقرار وصعد به ذلك البراق إلى مقدار قاب قوسين وتلك
الرتبة التي وصل إليها صلى الله عليه وسلم هي السعادة الثابتة التي لا يعتريها نقص
ولا زوال وهي رتب تسقط دونها الأماني حسرى ذات إعياء وتعب ما قد انتهى قدام
أي ليس بعدها من رتبة يرتقيها أحد غيره صلى الله عليه وسلم • وتلقى من ربه كلمات ما علمها
بالنسبة إليها كالهباء وهو ما يرى في ضوء الشمس وثب إليه سبحانه وتعالى بعلوها لا يدرك
العلماء والحكماء قطرة منها وكونه صلى الله عليه وسلم صعد السموات على البراق يوافقه •
ما في حياة الحيوان إن قيل لم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء على البراق
ولم ينزل عند صعوده عليه فالجواب أنه عرج به إليه إظهارا للكرامة ولم ينزل به عليه إظهارا
لقدرة الله تعالى في هذا الكلام فليتأمل وتقدم عن الحافظ ابن كثير إنكار صعوده صلى
الله عليه وسلم على البراق • وقد جاء أن موسى اشتد علي حين مر به وخرج
إلى حين رجعت ونعم الصاحب كان لكم أي فإنه صلى الله عليه وسلم لما جاوزه عند الصعود
بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام أي لأنه صلى الله عليه وسلم كان حديث
السن بالنسبة لموسى صلى الله عليه وسلم هذا هو المناسب للمقام بعثته بعدي يدخل الجنة
من أمته أكثر مما يدخل من أمتي • وفي رواية تزعم بنو إسرائيل أي وهو يعقوب ابن إسحاق
عليهما الصلاة والسلام ومعنى إسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله وفي لفظ تزعم الناس
أني أكرم على الله مني ولو كان هذا وحده هان ولكن معه أمته وهم أفضل الأمم عند الله
تعالى أي إنهم إلى شرفه شرف أمته على سائر الأمم أقول والعزم من هذا وما تقدم

فضل الصدقة

في النار

عنه عند مروره صلى الله عليه وسلم على قبره عليه الصلاة والسلام عند الكثيب الاحمر اظهار فضيلة
نبينا صلى الله عليه وسلم وفضيلة امته بانه افضل الانبيا وامته افضل الامم • وفي رواية عن ابن
عمر كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات ولم يزل صلى الله عليه وسلم يسأل
حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل البول من الثوب مرة • قال وعن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي مكتوبا على
باب الجنة الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض
افضل من الصدقة قال لان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا عن
حاجة انتهى • هذا والراجح عند ائمتنا ان درهم الصدقة افضل من درهم القرض وبيان
كون درهم القرض بثمانية عشر درهما ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء
في بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة فتصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع
للمقرض بدله وهو بدرهمين من عشرين فيتخلف ثمانية عشر • وعرضت عليه
صلى الله عليه وسلم النار فاذا فيها غضب الله تعالى ونقمته لو طرحت فيها الحجارة
والحديد لاكلتها • وفي هذه الرواية زيادة على ما تقدم وهي فاذا اقوام ياكلون الجيف
فقال صلى الله عليه وسلم من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس
اي وتقدم انه صلى الله عليه وسلم رأى هؤلاء في الارض وان لهم اظفارا من حديد
يخمشون وجوههم وصدورهم ورآهم في السما الدنيا وانهم يقطعون اللحم من جنوبهم
فيلقمونه ولينظر ما الحكمة في تكرر رؤية هؤلاء دون غيرهم من بقية اهل الكباير
الذين رآهم في الارض وفي سما الدنيا ولعل الحكمة في ذلك المبالغة في الزجر عن
الغيبة لكثرة وقوعها • ورأى فيها رجلا احمر ازرق فقال من هذا يا جبريل قال
هذا عاقر الناقة اي ولعل دخول الجنة وعرض النار عليه صلى الله عليه وسلم
كان قبل ان تغشاه السحابة ويزج به في النور ولا مانع من ان تعرض عليه النار
وهو فوق السما السابعة وهي في الارض السابعة • اقول ونقل القرطبي في
تفسيره عن الثعلبي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأيت ليلة اسري بي الى السما تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل
دنياكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملايكة يسبحون الله عز وجل ويقدسونه ويقولون
في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة اي صلاها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة
اي لصلاتها وهذا يفيد ان هذه التسمية اي تسمية ذلك اليوم الجمعة معروفة
عند الملايكة وعنده صلى الله عليه وسلم وهو يوافق ما قيل ان المسمي لها بذلك
كعب بن لوي كما تقدم ويخالف ما سياتي من ان تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة هداية

س

صفة مالك خازن النار

من الله عز وجل للمسلمين بالمدينة وانها ارسل لهم صلى الله عليه وسلم ان يصلوها في ذلك اليوم
ثم تسميته بيوم الجمعة بل اقتصر على قوله اليوم الذي يلي اليوم الذي يجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم
اي في اكثر الروايات والا فقد رأيت السهيلي ذكر حديثا عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه سمى ذلك اليوم بيوم الجمعة ونصه كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير
اما بعد فانظر اليوم الذي يلي اليوم الذي يجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم
وابناءكم فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة بل اكثر الروايات يجوز ان يكون
اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك هنا اي في قصة المعراج كان بعد التسمية وصلاة الجمعة
وعبر بصيغة العبادة لكونها عرفت لهم فيكون الذي سمعه من الملايكة يوم العروج بعد
ذلك والله اعلم • قال ورأى صلى الله عليه وسلم مالكا خازن النار فاذا هو رجل
عابس يعرف الغضب في وجهه فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم اي بالسلام ثم اغلقت
دونه انتهى • وفي الاصل وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقد رأيتني اي يخبر
انه صلى الله عليه وسلم رأى نفسه في جماعة من الانبيا فحانت الصلاة اي حضرت
ارادة الصلاة فاممتهم اي صليت بهم اماما قال قائل يا محمد هذا مالك خازن
النار فسلم عليه فبدأني بالسلام • قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما لي
لم آت اهل سما الا رحبوا بي وضحكوا الا واحد سلمت عليه فرد علي السلام ورحب
بي ولم يضحك الي قال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو
ضحك لاحد لضحك اليك انتهى • اقول وهذا السياق يدل على ان ضحك من لقيه من
الانبيا والملايكة في السموات له صلى الله عليه وسلم سقط من جميع روايات المعراج ثم
انه لم يذكر في شيء منها على ما علمت ويدل على ان مالكا خازن النار وجد في السماء
السابعة وانه مرة بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام ومرة بدأه النبي صلى الله
عليه وسلم بالسلام والمناسب ان يكون في المرة الاولى هو الذي بدأ النبي صلى
الله عليه وسلم بالسلام وهو عند الباب • ثم رأيت الطيبي صرح بذلك حيث قال انما
بدأ خازن النار بالسلام عليه ليزيل ما استشعر من الخوف منه لما كونه انه رأى
رجلا عابسا يعرف الغضب في وجهه فلذلك فيه ما ذكره السهيلي من انه صلى الله عليه
وسلم لم يره على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ولو رآه عليها لم يستطع
ان ينظر اليه وقوله صلى الله عليه وسلم ان سما الى اخره قد يخالفه ما جاء انه
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما لي لم ار ميكائيل ضاحكا قال ما ضحك منذ خلقت
النار وفيه ان هذا يفيد ان ميكائيل كان موجودا قبل خلق النار ولا يخالف ما رواه
لا ينافي ان ميكائيل ضحك بعد ذلك فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فقيل

عن ذلك فقال رأيت ميكائيل راجعاً من طلب القوم أي يوم بدر وعلى جناحه الغبار فضحك إلي
فتبسمت إليه ولعل هذا كان بعد ما أخرجه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط قال
ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار • ومما يدل لعل أن جبريل عليه السلام خلق قبل
النار أيضاً ما في مسند أحمد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل لم تأتني إلا وأنت صار بين عينيك قال إني لم أضحك منذ خلقت النار
وهذا أنجع ما تقدم من رؤيته الجنة والنار يرد على الجهمية وبعض المعتزلة كغيلان
الجبري وأبي هاشم حيث زعموا أن الله تعالى لم يخلق الجنة والنار وأنهما ليستا
موجودتين الآن وإنما يخلقهما سبحانه يوم الجزاء مستدلين بأنه لا يحسن من الحكيم
أن يخلق الجنة دار النعيم والنار دار النقمة قبل خلق أهلهما وبأنهما لو كانتا
مخلوقتين في السما والأرض لضاقتا بهما واجيب عن الأول بأنه يحسن من الحكيم
خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الإنسان إذا علم ثواباً مخلوقاً اجتهد في العبادة
لتحصيل ذلك الثواب وإذا علم عقاباً مخلوقاً اجتهد في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه
ذلك العقاب نعوذ بالله منه واجيب عن الثاني بأن الله استثناهما في قوله تعالى فصعق
من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله • وفيه أنها صعقة الموت ولا
يتصف بالموت غير ذي الروح ولأن الجنة كما قيل ليست في السما السابعة بل فوقها
والنار ليست في الأرض السابعة بل تحتها وحينئذ يكون القول بأن الجنة في السما
السابعة والنار في الأرض السابعة فيه تجوز والله أعلم • قالوا واختلف في
رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى في تلك الليلة فأنكر العلما على
وقوع ذلك أي أنه صلى الله عليه وسلم رآه عز وجل بعيني رأسه واستدل له بحديث
رأيت ربي في أحسن صورة ورد بأن هذا الحديث مضطرب الإسناد والمتن وقد
قال بعض العارفين شاهد الحق سبحانه وتعالى في القلوب فلم يرتق إليه أحد
من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلاً للرؤية والمكالمة وإنكار
عائشة رضي الله عنها ذلك لمن زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه أي بعيني
رأسه فقد أعظم الفرية على الله عز وجل أي أتى بأعظم الافترا والكذب [illegible]
ووافقها على ذلك من الصحابة ابن مسعود وأبو هريرة رضي الله عنهما وجمع من العلما
ونقل عن الدارمي والحافظ أنه نقل إجماع الصحابة على ذلك ونظر فيه وذهب
إلى الرؤية أي المذكورة أكثر الصحابة وكثير من المحدثين والمتكلمين بل حكى بعض
الحفاظ على وقوع الرؤية له بعيني رأسه الإجماع وإلى ذلك يشير صاحب الأصل بقوله

تحقيق في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه

وراه

• وراه رما راه سواه • رؤية العين يقظة لا المرائي •
واحتجت عائشة رضي الله عنها على منع الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الأبصار • قالوا وورد في
أن مسروقاً قال لها ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى أي مرة أخرى أي ثانية
قال إن الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى فقالت أنا
أول هذه الأمة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال إنما
رأيت جبريل منهبطاً أي فالضمير البارز إنما هو لجبريل وفي رواية قال إنما ذاك جبريل
ما رأيته في صورته التي خلق عليها إلا مرتين أي مرة في الأرض ومرة في السما في هذه
الليلة كما تقدم وعلى ظاهر الآية أن من جعل الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم
والبارز له سبحانه وقطع النظر عن هذه الرواية التي جاءت عن عائشة رضي الله عنها
يلزم أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى الحق سبحانه وتعالى ليلة المعراج مرتين مرة
في قاب قوسين ومرة عند سدرة المنتهى ولا مانع من ذلك ولعل ذلك هو المعني بقول
الحافظ السيوطي وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته للباري عز وجل مرتين وبها جمع
له بين الكلام والرؤية وكلمه عند سدرة المنتهى وكلم موسى بالجبل • قال بعضهم يجوز
أنه صلى الله عليه وسلم خاطب عائشة رضي الله عنها بما ذكر أي بقوله إنما رأيت جبريل
إلى آخره على قدر عقلها أي في ذلك الوقت انتهى • ولا يدفع قولها بما روي عن أبي ذر رضي
الله عنه قلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال رأيت نوراً أي حجبني ومنعني عن
رؤيته عز وجل • ومن ثم جاء في رواية نوراني أراه أي كيف أراه مع وجود النور لأن النور
إذا غشي البصر حجبه عن رؤية ما وراه أي ولا يعارض أنه سبحانه وتعالى هو النور
الذي لا ظلمة فيه لمن فهم ذلك وأن هما روي نوراني أي لأن هذه الرواية كما قيل
تصحيف ومن ثم قال القاضي عياض لم أر هذه في شيء من الأصول ومحال أن تكون ذات الله تعالى
نوراً لأن النور من جملة الأعراض أي لأنه كيفية تدركها الأبصار أولاً وبواسطة
تلك الكيفية تدرك ساير المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة
المحاذية لهما والله أعلم وسبقه إلى مثل ذلك أي مجيئه تعالى النور كما رواه مسلم ومن ثم قيل
في قوله تعالى الله نور السموات والأرض أي ذو نورها وهو على المبالغة • أي وجاء رأيت ربي
في صورة شاب أمرد عليه حلة خضرا ودونه ستر من لؤلؤ • وجاء رأيت ربي في أحسن
صورة • قال الكمال بن الهمام إن كان المراد به رؤيته يقظة فهو حجاب الصورة • قال
وقيل رآه بفؤاده ويشير لا بعيني رأسه بعض الصحابة قلنا يا رسول الله هل
رأيت ربك فقال لم أره بعيني رأيته بفؤادي مرتين ثم تلا ثم دنى فتدلى الآية وهذا
السياق يدل على أن فاعل دنى فتدلى الحق سبحانه وتعالى • والمراد بالفؤاد القلب

اي خلق الله رؤيته في القلب او خلق الله لفؤاده بصرا رأى به ربه • انتهى وكون الفؤاد له بصر لا يمنع تفسيرها بما في ما زاغ البصر وما طغى • واجيب عما احتجت به عائشة رضي الله عنها من قوله تعالى لا تدركه الابصار بانه لا يلزم من الرؤية الادراك اي الذي هو الاحاطة فالمنفي انما هو الاحاطة به لا من اصل الرؤية • وقد قال بعضهم للامام احمد باي شيء تدفع قول عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله تعالى الفرية فقال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي وقول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها هذا • وقد قال ابو العباس لما سئل عن ذلك قال نعم رآه فان رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه رآه بعيني رأسه يقظة ومن حكى ذلك فقد وهم وهذه نصوص موجودة ليس فيها ذلك اقول وعبارة بعضهم ان يكون الامام احمد يقول عن عائشة رضي الله عنها انها تنكر رؤيا المنام حتى يرد بها وقد ضعف حديث ابي ذر المتقدم وهو قلت يا رسول الله رأيت ربك فقال نور انى اراه وهو من جملة الاحاديث التي في مسلم التي تنظر فيه والله اعلم • قال ابو العباس ابن تيمية واهل السنة متفقون على ان الله عز وجل لا يراه احد بعينه في الدنيا لا نبي ولا غير نبي ولم يتنازع الا في نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قد ثبت ان احاديث المعراج المعروفة ليس في شيء منها انه رآه وانما روي ذلك باسناد موضوع باتفاق اهل الحديث • وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واعلموا ان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وقد سال الرجل شيخه السلام الرؤية فمنعها • وقد نقل القرطبي عن جماعة من المحققين القول بالوقف في هذه المسئلة لانه لا دليل قاطع وغاية ما استدل به الفريقان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل وهي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي هذا كلامه ونازع فيه السبكي بانه ليس من المعتقدات التي يشترط فيها الدليل القطعي وحينئذ هي التي تخلف باعتقادها كالحشر والنشر بل من المعتقدات التي يكتفى فيها بنقل الواحد الصحيح وهي التي لم نكلف باعتقادها كما نحن فيه • ومن الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته من آيات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى وبرؤيته للباري مرتين • ومن كلام بعضهم قال اهل من قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى رأى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة • ومن كلام ابن دحية خص صلى الله عليه وسلم بان خصلة منها الرؤية والدنو والقرب • قال بعضهم قد صح ذلك في حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما في اثبات الرؤية وحينئذ يجب الجزم باثباتها ولا يجحد احد ان يظن بابن عباس ان يتكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد • قال الامام النووي والراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني راسه

اي

اي واما رؤيته عز وجل يوم القيامة في الموقف فعامة لكل احد من الخلق الانس والجن من الرجال والنساء المؤمن والكافر والملائكة جبريل وغيره • واما رؤيته عز وجل في الجنة فقيل لا تراه الملائكة وقيل يراه منهم جبريل خاصة مرة واحدة • قال بعضهم والقياس عدم رؤية الملائكة عدم رؤية الجن ورد ذلك • واختلف في رؤية النساء من هذه الامة له تعالى في الجنة فقيل لا يرونه لانهن مقصورات وقيل يرينه في ايام الاعياد دون ايام الجمع بخلاف الرجال فانهم يرونه في كل جمعة • فقد جاء ان الله يتجلى في مثل عيد الفطر ويوم النحر لاهل الجنة لاهل الجنة تجليا عاما ومن اهل الجنة من هو الى الحق على التابيد • وجاء ان كل يوم كان للمسلمين عيد في الدنيا فانه عيد لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويوم الجمعة في الجنة يوم المزيد قال بعضهم هذا العموم لاهل الجنة واما خواصهم فكل يوم لهم عيد يرون ربهم فيه بكرة وعشيا • واما رؤيته عز وجل في النوم فمن الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له رؤيته عز وجل في المنام ولا يجوز ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم في احد القولين وهو اختيار وعليه ابو منصور الماتريدي • ومن كلام الامام النووي قال القاضي عياض اتفق العلماء على جواز رؤية الله عز وجل في المنام وصحتها اي وقوعها قال وان رآه حينئذ انسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات الاجسام لان ذلك المرئي غير ذات الله تعالى والله اعلم • ثم لا يخفى ان اكثر العلماء على ان الاسرا الى بيت المقدس ثم العروج في ليلة واحدة وقيل كان الاسراء وحده في ليلة ثم كان هو والمعراج في ليلة اخرى • قال وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما نزل الى سماء الدنيا نظر الى اسفل منه فاذا هو برهج ودخان واصوات فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذه الشياطين يحومون على اعين بني آدم لا يتفكرون اي ولذلك مانع لهم من التفكر في ملكوت السموات والارض اي لعدم نظرهم للعلامات الموصلة لذلك لولا ذلك لرأوا العجائب اي ادركوها • ثم ركب صلى الله عليه وسلم البراق منصرفا اي راجعا على انه لم يعرج على البراق فمر بعير لقريش بمحل الى اخر ما تقدم انتهى • اقول ذكر بعضهم ان مما انزل عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والارض اي عند نزوله من السماء قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم الآيات الثلاث وقوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الآية والآيتان من آخر سورة البقرة وهما آمن الرسول الى آخرها وتقدم انها نزلت بمكة بغير شيء والله اعلم • واستدل على ان كلا من الاسراء والمعراج كان يقظة بجسده وروحه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا لان العبد حقيقة هو الروح والجسد قال تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وقال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه ولو كان الاسراء مناما لقال بروح عبده ولان الدابة التي هي البراق لا تحمل

للارواح وانما تحمل الاجساد • واستدل على ان الرؤية كانت بعيني بصره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى لان وصف البصر بعدم الازاغة يقتضي ان ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال ما زاغ قلبه
اقول فيه ان لقائل ان يقول لا يجوز ان يكون المراد بالبصر بصر قلبه لما تقدم ان الله تعالى خلق
لقلبه بصرا والله اعلم وقيل كان الاسراء بجسده والمعراج بروحه الشريفة اي بناء على انها عرج بها حقيقة
من غير انه بالجسد وكان حالها في ذلك الرقي منه في حالتها بعد مفارقتها للجسد بعد الموت في صعودها
في السموات حتى تقف بين يدي الله تعالى وهذا امر فوق ما يراه النائم وعليه صلى الله عليه وسلم
لا تنافي ذات روحه الصعود الا بعد الموت لجسدها • فيلزم من لم يصح كما رفع عيسى لا امر الاسراء
دون المعراج • اقول الظاهر ان اخباره صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يكن عند اخباره بالاسراء
بل متاخر عن اخباره بالاسراء بناء على انهما كانا في ليلة واحدة والا فقد ذكر بعضهم ان المعراج لم يكن
في ليلة الاسراء الذي اخبر به كفار قريش فلذا اذ لو كان اي في تلك الليلة لاخبر به حين اخبرهم
بالاسراء اي ولم يخبر به حينئذ اذ لو اخبر به حينئذ لنقل ولذكره سبحانه وتعالى اي مع الاسراء •
لان المعراج ابلغ في المدح والكرامة وخرق العادة من الاسراء المسجد الاقصى واجيب عنه
بانه على تسليم انه كان في ليلة الاسراء الذي اخبر به قريشا هو صلى الله عليه وسلم استدرجهم الى
الايمان بذكر الاسراء اولا فلما ظهرت لهم امارات صدقه وعلمت الاية الخارقة التي هي
الاسرا اخبرهم بما هو اعظم منها وهو المعراج بعد ذلك اي بعد ان اخبرهم بذلك لم ينكروه لذلك
اي لثبوت صدقه صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من الاسراء • وتقدم عن المواهب انهم لم يسالوه
عن غير هذه لعله صدقه صلى الله عليه وسلم في ذلك لعدم علمهم وصفهم بشيء في السما والحق
سبحانه وتعالى ارشده الى ذلك اي الى ان يخبرهم بالاسراء اولا ثم بالمعراج ثانيا حيث لم يذكر
قصة المعراج في سورة الاسرا بل انزل ذلك في سورة النجم • ومما يؤيد انهما كانا في ليلة
واحدة قول الامام البخاري في صحيحه باب كيف فرضت الصلاة في ليلة الاسراء لان من
المعلوم ان فرض الصلاة اي الصلوات الخمس انما هو في المعراج واما افراده كلا من الاسرا
والمعراج بترجمة فلا يخالف ذلك لانه انما افرد كلا منهما بترجمة لان كلا منهما يشتمل على قصة
مفردة وان كانا وقعا معا • وقد خالف الحافظ الدمياطي في سيرته فذكر ان المعراج
كان في رمضان والاسرا كان في ربيع الاول والله اعلم • وقيل الاسرا وقع له صلى الله عليه
وسلم بعد البعثة مرتين مناما اولا ويقظة ثانيا اي فكانت مرة المنام توطئة وتيسيرا لوقوعه
يقظة وبذلك يجمع بين الاختلاف الواقع في الاحاديث اي فبعض الرواة ضبط الواقع له صلى
الله عليه وسلم مناما والواقع له يقظة وعلى ذلك لا يشكل قول شريك فلما استيقظ لكنه قال
ان مرة المنام كانت قبل البعثة ففي روايته وذلك قبل ان يوحى اليه وقد انكر عليه الخطابي ذلك
وعده من جملة اوهامه الواقعة في حديث الاسراء والمعراج ورد على الخطابي الحافظ ابن حجر

في ذلك

في ذلك بما ينبغي الوقوف عليه • وقيل كان المعراج يقظة ولم يكن فيه ولم يكن من بيت المقدس بل كان
من مكة وكان مناما فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم كان يشتاق ان يرى الجنة والنار
فلما كان نائما ظهرا اتاه جبريل وميكائيل فقالا انطلق الى ما سالت الله تعالى فانطلقا بي الى
ما بين المقام وزمزم فاتي بالمعراج فاذا هو احسن شيء منظرا فعرجا بي الى السموات سماء سماء الحديث
ولا يخفى ان سياق هذا الحديث يدل على ان ذلك كان مناما فلا يحسن ان يكون دليلا على قول انه
يقظة • وقد جاء عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن
سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ
حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج الى السما الحديث وقد يدعى ان في رواية
ابي ذر اختصارا وليس فيها ان ذلك كان مناما او يقظة اي واما ما ادعاه بعضهم ان المعراج
تكرر يقظة فغريب اذ كيف يتكرر يقظة سؤال اهل كل باب من ابواب السما هل بعث اليه
وكيف يتكرر سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبي وكيف يتكرر فرض الصلوات الخمس فيه
والمراجعة واما مناما فلا يبعد في تكرر ذلك توطئة لوقوعه يقظة • اي وهذا منشأ
اختلاف الروايات اذ خلط بعض الرواة ما وقع في المنام بما وقع في اليقظة كما تقدم نظيره في
الاسرا وتعدد روايات الاسرا لا يقتضي تعدده في اليقظة خلافا لمن زعمه ومن ثم قال الحافظ
ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراءات متعددة فقد ابعد
واغرب اي فالحق انه اسرا واحد بجسده وروحه صلى الله عليه وسلم يقظة وذلك من خصائصه
صلى الله عليه وسلم • وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان له اسراءات اربعة وعشرون
مرة وقيل ثلاثون مرة منها مرة واحدة بروحه وجسده يقظة والباقي بروحه رؤيا منام
اي ومن ذلك ما وقع له صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد الهجرة وهو محمل قول عائشة رضي
الله عنها ما فقدت جسده الشريف • وفي صبيحة ليلة المعراج اي حين زالت الشمس من
اليوم الذي يلي الليلة التي فرضت فيها الصلوات الخمس كان نزول جبريل عليه السلام ثم
واما مته بالنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اوقات الصلوات اي وكيفيتها اي لانه لا يلزم
من علمه صلى الله عليه وسلم بكيفية صلاة الركعتين في صلاة قيام الليل علم كيفية الصلوات
الخمس وان قلنا بان الركعتين فيهما فرضتا ركعتين فامر صلى الله عليه وسلم باصحابه
فصيح الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس
متبع تلك الصلاة الظهر لانها فعلت عند قيام الظهيرة اي شدة الحر او عند نهاية
ارتفاع الشمس وهذا الحديث ظاهر بان صلاته صلى الله عليه وسلم بالناس كانت بعد
صلاته مع جبريل ويحتمل لان يكون صلى الله عليه وسلم مع صلاة جبريل والناس صلوا
بصلاته صلى الله عليه وسلم ففي بعض الروايات لما نودي بالصلاة جامعة فزعوا لذلك

وفي صبيحة المعراج

واجتمعوا فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر اربع ركعات لا يجهر فيهن بقراءة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يدي الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي الناس
برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل ثم فعل كذلك
في العصر ولما غابت الشمس صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب ثلاث ركعات يجهر
في كل ركعتين علانية وركعة لا يجهر فيها علانية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي
الناس وجبريل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بجبريل . وفي كلام الامام النووي ما يدل على ان جبريل تردد فصلى امام رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو بكسر الهمزة ويوضحه قوله في الحديث نزل جبريل فامني واستدل بذلك بعضهم على جواز الاقتداء
بمن هو يقتدي بغيره لا كما يقول ائمتنا من منع ذلك واجيب من جانب ائمتنا بان معنى كونه صلى
الله عليه وسلم مقتديا بجبريل انه تابع له في الافعال من غير نية اقتداء ولا ايقاف فعله على فعل
جبريل فلا يشكل على ائمتنا ثم هذا حينئذ يشكل على ائمتنا الشافعية بانه لا بد من علم كيفية الصلاة
قبل الدخول فيها ولا يكفي علمها بالمشاهدة . وقد يجاب بانه يجوز ان يكون جبريل علمه صلى الله عليه
وسلم كيفيتها بالقول ثم اتبع القول الفعل وهو صلى الله عليه وسلم علم اصحابه كذلك وبما
تقرر سقط الاستدلال بذلك على جواز الفرض خلف النفل لان تلك الصلاة لم تكن
واجبة على جبريل لان الملائكة ليسوا مكلفين بذلك . واجيب بانها كانت واجبة على جبريل
لانه مأمور بتعليمها له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا وكان ذلك عند البيت اي
الكعبة مستقبله بيت المقدس اي صخرته واستقباله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس
اي صخرته قيل كان باجتهاده وقيل كان بامر من الله تعالى له قبل نزول القرآن وقيل بعده
اي وعلى انه بوحي فيكون مما نسخت السنة وقد قال ائمتنا ونسخ قيام الليل
بالصلوات الخمس الى بيت المقدس كما تقدم . وكان صلى الله عليه وسلم اذا استقبل
بيت المقدس يجعل الكعبة بينه وبينه فيصلي بين الركن اليماني وركن الحجر الاسود
اي كما صلى به جبريل الركعتين اولا كما تقدم وحينئذ لا يخالف هذا قول بعضهم لم يزل
صلى الله عليه وسلم يستقبل الكعبة حتى خرج منها اي من مكة اي لم يستدبرها فلما قدم
صلى الله عليه وسلم المدينة استقبل بيت المقدس اي تمحض استقباله له واستدبر الكعبة
وظاهر هذا فهم انه هذا اي استقباله بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبينه كان شأنه
صلى الله عليه وسلم فيها وان صلى خارج المسجد بمكة ونواحيها والظاهر انه صلى الله عليه
وسلم كان يفعل ذلك ادبا لا وجوبا والا فقد جاء ان صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم
كانت عند باب الكعبة كما رواه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في الام . وروى الطحاوي
عند باب البيت مرتين اي وذلك في المحل المخصص الذي تسميه العامة المعجنة كما تقدم وصلاته
صلى الله

صلى الله عليه وسلم عند باب الكعبة في المحل المذكور لبيت المقدس لا يكون مستقبلا للكعبة بل يكون على
يساره لانه لا يتأتى ان يستقبل بيت المقدس ويكون مستقبلا للكعبة ايضا الا اذا صلى بين
اليمانيين كما تقدم . وايضا ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يتهجد نحو بيت المقدس
ويجعل الكعبة وراء ظهره وهو بمكة اي في بعض الاوقات حتى لا يخالف ما سبق انه صلى الله
عليه وسلم كان يستقبلها مع استقباله بيت المقدس ولا ينافي ذلك ما في زين الاعمال
اقام صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل ثلاث عشرة سنة وكان يصلي الى بيت المقدس
مدة اقامته بمكة يجعلها بين يديه ولا يستدبرها لامكان حمل مدة اقامته على غالبها
ومما يدل على انه صلى الله عليه وسلم مع الصحابة كانوا يصلون الى بيت المقدس وهم
بمكة ما سيأتي عن البراء بن معرور انه لما عدل عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة
قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك قال له قد كنت على قبلة لو صبرت
عليها وأمه صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين مرة اول الوقت ومرة اخر الوقت اي
تكن الوقت الاختياري بالنسبة للعصر والعشاء والصبح لا الاخر الحقيقي يعني الوقت
اي فانه جاءه صلى الله عليه وسلم جبريل امر فصيح باصحابه الصلاة جامعة كما تقدم اي لان
الاقامة المعروفة للصلوات الخمس لم تشرع الا بالمدينة على ما تقدم وسيأتي قال
فقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم وصلى به في
اول يوم الظهر حين زالت الشمس كما تقدم اي عقب زوالها وصلى به العصر حين صار ظل
كل شيء مثله اي زيادة على ظل الاستواء وعلى الظل الحاصل عقب الزوال وصلى به المغرب
حين افطر الصائم اي دخل وقت فطره وهو غروب الشمس وصلى به العشاء حين غاب الشفق
وصلى به اي في غد ذلك اليوم وهو اليوم الثاني الفجر حين حرم الطعام والشراب على
الصائم اي حين دخل وقت حرمة ذلك وهو الفجر . اي فان قيل صلاة جبريل به صلى
الله عليه وسلم حينئذ لم يكن الصيام الذي هو رمضان فرض اجيب بانه على تسليم انه لم
يفرض عليه صوم قبل رمضان وهو صوم عاشوراء او ثلاثة ايام من كل شهر على ما سيأتي
جاز ان يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة كان بعد فرض رمضان وصلى به
الظهر حين كان ظل الشيء مثله وصلى به العصر حين كان ظل الشيء مثليه وصلى به المغرب حين افطر
الصائم وصلى به العشاء ثلث الليل الاول وصلى به الفجر اي في اليوم الثالث ما اسفر ثم التفت
فقال يا محمد هذا وقتك ووقت الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين
انتهى . واما رواية انه صلى به الظهر الثاني لان قال وصلى به العصر فيما كان انه صلى به الظهر المتقدم
ذلك لا يكون العصر ليس من اليوم الثاني بل من تتمة ما قبله وفيه دليل على ان اليوم من
طلوع الشمس كما يقول الفلكيون اي ولا يخفى ان قوله والوقت ما بين هذين الوقتين محمول

عند امامنا الشافعي رضي الله عنه على الوقت الاختياري بالنسبة للعصر والعشاء والفجر والا
فوقت العصر لا يخرج الا بغروب الشمس ووقت العشاء لا يخرج الا بطلوع الفجر • ووقت الصبح
لا يخرج الا بطلوع الشمس خلافا للاصطخري حيث ذهب الى خروج وقت العصر بمصير ظل الشيء
مثليه والعشاء بثلث الليل والصبح بالاسفار متمسكا بظاهر الحديث • والبداءة بالظهر
هو ما عليه اكثر الروايات • وروي ان البداءة كانت بالصبح عند طلوع الفجر وعلى
الاول انما لم تقع البداءة بالصبح مع انها اول صلاة تحضر بعد ليلة الاسراء لان
الاتيان بها يتوقف على بيان علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب كانه قيل اوجب
حتى ما تتبين كيفيته في وقته والصبح لم تتبين كيفيتها في وقتها فلم تجب فلا يقال
هذا من تأخير البيان عن وقت الحاجة • واجاب الامام النووي بانه حصل
التصريح بان اول وجوب الخمس من الظهر كما نقل وجبت ما عدا صلاة الصبح
يوم هذه الليلة فعدم وجوبها ليس لعدم علم كيفيتها فهي غير واجبة وان فرض
علم كيفيتها وفيه انه يلزم حينئذ ان الخمس صلوات في اليوم والليلة لم توجد الا
فيما عدا ذلك اليوم والليلة • قال ابو بكر ابن العربي ظاهر قوله هذا وقتك
ووقت الانبياء من قبلك ان هذه الصلوات في هذه الاوقات كانت مشروعة
لكل واحد من الانبياء قبله وليس كذلك وانما معناه ان وقتك المحدود الطرفين
والا لم تكن هذه الصلوات الخمس على هذه المواقيت الا لهذه الامة خاصة وان كان
غيرهم قد شاركهم في بعضها • فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها ان آدم لما تيب عليه
كان ذلك عند الفجر فصلى ركعتين فصارت الصبح • وفدي اسحاق عند الظهر اي على
القول بانه الذبيح فصلى اربع ركعات فصارت الظهر • وبعث عزير فقيل له كم لبثت
قال لبثت يوما فرأى الشمس قريبة من الغروب قال او بعض يوم فصلى اربع ركعات
فصارت العصر • وغفر لداود عند المغرب اي الغروب فقام يصلي اربع ركعات
فجهد اي تعب فجلس في الثالثة اي سلم فيها فصارت المغرب ثلاثا • واول من صلى
العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم فصلاها من حضوره صبابته • وفي شرح مسند
امامنا الشافعي رضي الله عنه للامام الرافعي رحمه الله كانت الصبح صلاة آدم
والظهر صلاة داود فقد اشترك داود واسحاق في صلاة الظهر • والعصر صلاة
سليمان اي فقد اشترك داود وعزير عليهما السلام في صلاة العصر • والمغرب صلاة
يعقوب فقد اشترك يعقوب وداود في صلاة المغرب • والعشاء صلاة يونس وأورد
في ذلك خبرا وعليه فليست صلاة العشاء من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم والاصل
الثابت في حق نبي ثابت في حق امته الا ان يقوم الدليل على الخصوصية فليست من خصائصه

عن الامة • وذكر بعضهم ان المغرب كانت صلاة عيسى اي وكانت اربعا ركعتين عن نفسه
وركعتين عن امه اي فقد اشترك عيسى ويعقوب وداود في صلاة المغرب • وفي كلام بعضهم
اول من صلى الفجر آدم والظهر ابراهيم اي وعليه فقد اشترك ابراهيم واسحاق وداود في
صلاة الظهر • واول من صلى العصر يونس اي وعليه فقد اشترك سليمان وعزير ويونس
في صلاة العصر • واول من صلى المغرب عيسى • واول من صلى العتمة التي هي العشاء
موسى اي وعليه فقد اشترك موسى ويونس ونبينا صلى الله وسلم عليهم في صلاة
العشاء • وفي الخصائص الكبرى وخص صلى الله عليه وسلم بانه اول من صلى العشاء
ولم يصلها نبي قبله ومن ثم لا زمن انه لم يصلها احد من الامم • وقد جاء التصريح به
في بعض الروايات انكم فضلتم بها اي العشاء على سائر الامم وعليه فهي من خصائصها
ومن خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم • وقد تقدم عن بعضهم ان جبريل صلى
بابراهيم عليه الصلاة والسلام الصلوات الخمس فليتأمل • قال وقيل فرضت
الصلوات الخمس ليلة المعراج ركعتين ركعتين اي حتى المغرب ثم زيدت
في صلاة الحضر فاكملت اربعا في الظهر اي في غير يوم الجمعة واربعا في العصر
والعشاء وثلاثا في المغرب واقرت صلاة السفر على ركعتين اي حتى في المغرب
عن عائشة رضي الله عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين اي في الصبح
والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
اي بعد شهر وعشرة ايام من الهجرة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت
صلاة الفجر اي لم يزد فيها لطول القراءة اي فانها يطلب فيها زيادة القراءة
على الظهر والعصر المطلوب فيهما طوال المفصل وصلاة المغرب اي تركت صلاة
المغرب فلم يزد فيها ركعتان بل ركعة فصارت ثلاثا لانها وتر النهار اي كما في
الحديث فعقود عليه بركعة الوتر فان الله وتر يحب الوتر والمراد انها وتر
عقب صلاة النهار وتركت صلاة السفر فلم يزد فيها اي في غير المغرب هذا
هو المفهوم من كلام عائشة رضي الله عنها وهو يفيد ان صلاة السفر استمرت
على ركعتين اي في غير المغرب اي وحينئذ يلزم ان يكون القصر في الظهر والعصر
والعشاء عزيمة لا رخصة ولا يحسن ذلك مع قوله تعالى فليس عليكم جناح ان
تقصروا من الصلاة • وفي كلام الحافظ ابن حجر المراد بقول عائشة فاقرت
صلاة السفر اي باعتبار ما آل اليه الامر من التخفيف اي لا انها استمرت منذ فرضت
الرباعية خففت فيها اي في السفر لانه استقر امرها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم
المدينة بشهر او باربعين يوما ثم نزلت آية القصر في ربيع الاول من السنة الثانية

ولانها استمرت منذ فرضت فلا يلزم ذلك ان يكون القصر عزيمة وقيل فرضت اي
الصلوات الخمس في المعراج اربعا اربعا الا المغرب ففرضت ثلاثا والا الصبح
ففرضت ركعتين اي والا الصلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الاربع في السفر
اي وهو المناسب لقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ومن ثم قال
بعضهم ان هذا هو الذي يقتضيه ظاهر القرآن وكلام جمهور العلماء ويمكن ان
يكون المراد من كلام عائشة رضي الله عنها انها فرضت ركعتان بتشهد ثم ركعتان
بتشهد وسلام وقيل ان هذا الا في الصبح والمغرب وقال بعضهم ويعضد هذا
ما روي عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اي الصلوات الخمس التي فرضت ليلة
المعراج بمكة ركعتين ركعتين فلما قدم المدينة واقام بها وعشرة ايام فرضت
الصلاة اربعا او ثلاثا وتركت الركعتان تماما اي تامة للمسافر وعن يعلى
ابن امية قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
ان خفتم فقد امن الناس فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اي فقال
بين القصر بحالة السفر لا الخوف وهذا انما يخالف ما في الاتقان سأل قوم من بني
النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب في الارض فكيف
نصلي فانزل الله عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون
لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى مثلها
في اثرها فانزل الله عز وجل بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فتبين بهذا الحديث
ان قوله ان خفتم شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر قال ابن جرير هذا
تاويل في الاية حسن لو لم يكن في الاية اذا قال ابن العربي يصح مع اذا على جعل الواو
زائدة قلت ويكون من اعتراض الشرط على الشرط واحسن منه ان يجعل اذا ابتداء على
قول من يجيز زيادتها هنا هذا الكلام منقولا بتمامه وقيل فرضت اي الرباعية اربعا في الحضر وركعتين
في السفر فعن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان وصلاة العيد ركعتان
غير قصر اي تمام على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم اي وثبت بالسنة ان صلاة السفر ما تقدم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة
اي وثبت في صلاة السفر ما تقدم وقوله في الخوف ركعة اي يصليها مع الامام وينفرد بالاخرى
وذلك في صلاة عسفان حيث يحرم بالجميع ويسجد معه صف اول ويحرس الصف الثاني فاذا قاموا
سجد من حرس ولحقه وسجد معه في الركعة الثانية وحرس الآخرون فقد صلى كل مع الامام

ركعة

ركعة بلا ريب اذ ان في كلام ابن عباس ما يفيد ان صلاة الفجر تقصر وفرض التشهد والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم متاخر عن فرض الصلاة فعن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نقول قبل ان يفرض علينا
التشهد السلام على الله قبل عباده السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان اي
من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام
وقال له بعض الصحابة كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم
صل على محمد الخ ولم اقف على الوقت الذي فرض فيه التشهد والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
فيه ولا على ان قولهم السلام على الله الى آخره هل كان واجبا او مندوبا قال بعضهم والحكمة
في جعل الصلوات في اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت خمسة والمعاصي تقع بواسطتها
كانت كذلك لتكون كفارة لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي اي بسبب تلك الحواس
وقد اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله ارايتم لو كان بباب احدكم نهر يغتسل منه في
اليوم والليلة خمس مرات اكان ذلك يبقي من درنه شيئا قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات
الخمس يمحو الله بهن الخطايا قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع ليوافق اجنحة الملائكة
كما جعلت اجنحة للشخص يطير بها الى الله تعالى وسئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
هل نجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى فقال نعم وتلا قوله تعالى فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اراد بحين
تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وحين تظهرون الظهر واطلاق
التسبيح بمعنى الصلاة جاء في قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين قال القرطبي اي من المصلين
وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة والله تعالى اعلم

باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

من العرب اي يعرضوه ويناصروه على ما جاء به من الحق اي لانه صلى الله عليه وسلم اخفى رسالته ثلاث
سنين ثم اعلن بها في الرابعة على ما تقدم ودعى الى الاسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام يتتبع
الحجاج في منازلهم اي بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي
اليهم في اسواق المواسم وهي عكاظ ومجنة وذي المجاز فقد تقدم ان العرب كانت اذا حجت
تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجيء سوق مجنة ذي المجاز
تقيم به الى ايام الحج يدعوهم الى ان يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فعن جابر بن عبد الله رضي
الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول الا
رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعوني ان ابلغ كلام ربي وعن بعضهم رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر الى المدينة يطوف على الناس في منازلهم اي بمنى يقول يا ايها
الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ووراءه رجل يقول يا ايها الناس ان هذا

يأمركم ان تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل ابو لهب يعني عمه • وفي رواية عن ابي
طارق رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يعرض نفسه
على قبائل العرب يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان
اي ذوائبتان يرجمه بالحجارة حتى ادمى كعبه يقول يا ايها الناس لا تسمعوا منه فانه
كذاب فسألت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الرجل الذي يرجمه فقيل
هو عمه عبد العزى يعني ابا لهب • وفي السيرة الهشامية عن بعضهم قال اني لغلام
شاب مع ابي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في منازل القبائل من العرب فيقول
يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا
ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى ابين
عن الله عز وجل ما بعثني به قال وخلفه رجل احول وضيء له غديرتان عليه حلة
عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بني فلان
ان هذا الرجل انما يدعوكم الى ان تسلخوا اللات والعزى من اعناقكم الى ما جاء به من البدعة
والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابي من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه
ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب • وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه
وسلم عرض نفسه على كندة وكلب اي على بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فقال لهم ان
الله قد احسن اسم ابيكم اي عبد الله فقد قال صلى الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله عز وجل
عبد الله وعبد الرحمن ثم عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم وعرض على بني حنيفة
وبني عامر اي ابن صعصعة اي فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على امرك ثم اظهرك الله
على من خالفك ايكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشاء فقال له
انقاتل العرب دونك وفي رواية انهدف نحورنا للعرب دونك اي نجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا اظهرك الله
كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك وابوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ ادركه السن
حتى لا يقدر ان يوافي معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان من موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش
احد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا الى ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع
الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف اي تدارك هل لذناباها من مطلب والذي
نفس فلان بيده ما تقولها اي ما ادعى النبوة كاذبا احد من بني اسماعيل قط وانها لحق وان رأيكم
غاب عنكم • وذكر الواقدي انه صلى الله عليه وسلم اتى بني عبس اي وبني سليم وغسان وبني محارب
اي وفزارة ومرة وبني نصر وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى الله عليه وسلم اقبح الرد
ويقولون اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يك احد من العرب اقبح ردا عليه
من بني حنيفة اي وهم اهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم بنو حنيفة لان امهم حنيفة فقيل لها
ذلك

ذلك لحنف كان في رجليها ونقيضها اي ومن ثم شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف اي ودفع صلى الله
عليه وسلم هو وابو بكر رضي الله عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر فسلم وقال ممن القوم
قالوا من ربيعة قال واي ربيعة من هامتها او من لهازمها قالوا بل من هامتها العظمى قال فايها قال من ذهل
الاكبر قال منكم حامي الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال فمنكم قاتل الملوك وسالبها ملكه فلان
قالوا لا قال فمنكم صاحب العمامة الفردة فلان قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر انتم ذهل
الاصغر فقام اليه شاب حين بقل وجهه اي طلع شعر وجهه فقال له انه على سائلنا ان نسأله
يا هذا انك قد سألتنا فاخبرناك فمن الرجل فقال ابو بكر رضي الله عنه انا من قريش فقال
الفتى بخ بخ اهل الشرف والرياسة فمن اي قريش انت قال من ولد تيم بن مرة فقال الفتى امكنت
منكم قصي الذي كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه قال لا قال فمنكم
شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السما الذي كان وجهه القمر يضيء في الليلة الظلماء قال لا فاجتذب
ابو بكر رضي الله عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك ف
تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه لقد وقعت من الاعرابي على باقعة
اي داهية اي ذو دهاء وهو في الاصل اسم لطائر حذر يطير عنه وتيرة قال اجل ابا حسن ما من
طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق اي واستفهام الفتى توبيخي لا حقيقي لان من
المعلوم ان من ذكر ليسوا من تيم لان ابا بكر كما تقدم انما يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في
مرة ومرة جد لقصي فكانه يقول له ان قبيلتكم لم تشتمل على هؤلاء الاشراف اي كان قبيلتنا
لم تجتمع على اولئك الاشراف • وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه
وسلم لقي جماعة من شيبان بن ثعلبة وكان معه ابو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما وان ابا
بكر سألهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت ابو بكر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بابي انت وامي هؤلاء غرر اي سادات في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو
وهاني بالهمز ابن قبيصة بفتح القاف ومثنى ابن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق
ابن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكان له غديرتان اي ذوائبتان من شعر وكان ادنى القوم اي اقرب
القوم مجلسا من ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال له ابو بكر كيف العدد فيكم قال مفروق انا لا
نزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة والذي قاله صلى الله عليه وسلم لن تغلب
اثنا عشر الفا من قلة قاله لما اراد ان يغزو هوازن وكان جيشه العدد المذكور كما يأتي
فقال ابو بكر رضي الله عنه كيف المنعة فيكم فقال مفروق علينا الجهد اي بفتح الجيم وضمها اي
الطاقة ولكل قوم جد بفتح الجيم اي حظ وسعادة اي علينا ان نجهد وليس علينا ان يكون لنا
الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال له ابو بكر رضي الله عنه فكيف الحرب بينكم وبين
عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب

وانا لنؤثر الجياد اي من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح اي ذوات اللبن من الابل وربما قيل للبقر والغنم
ايضا والنصر من عند الله فديله يديلنا بضم اوله وكسر الدال المهملة اي ينصرنا مرة ويديل علينا مرة
اي يجعل علينا اخرى لعلك اخو قريش فقال ابو بكر رضي الله عنه اوقد بلغكم انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر ذلك فالى م تدعوا يا اخا قريش
فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادعوا الى شهادة ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واني رسول الله والى ان تؤووني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت اي تعاونت
على امر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال
مفروق والى م تدعوا ايضا يا اخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا اتل
ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق
نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون فقال مفروق ما هذا من كلام اهل الارض
ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال والى م تدعوا ايضا يا اخا قريش فتلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وهذه الاية ذكر العز ابن عبد السلام انها
اشتملت على جميع الاحكام الشرعية وبين ذلك في سائر الابواب الفقهية وضمن ذلك
كتابا سماه الشجرة فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد
افك قوم اي صرفوا عن الحق كذبوك وظاهروا اي عاونوا عليك وكان مفروق اراد ان
يشركه اي يشاركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا
وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعت مقالتك يا اخا قريش واني ارى ان تركنا ديننا واتباعنا
اياك على دينك لمجلس جلسته الينا ليس له اول ولا اخر لزلل في الراي وقلة نظر في العاقبة
وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع
وننظر وتنظر وكانه احب ان يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال وهذا المثنى بن حارثة
شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعت مقالتك يا اخا قريش والجواب هو جواب
هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلسته الينا ليس له اول ولا اخر وان احببت
ان نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي انهار كسرى فعلنا فانا انما نزلنا على عهد
اخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا وان لا نؤوي محدثا واني ارى هذا الامر الذي تدعونا اليه
انت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسأتم في الرد اذ افصحتم بالصدق
وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من احاطه من جميع جوانبه ارايتم ان لا تلبثوا الا قليلا حتى
يورثكم الله ارضهم واموالهم ويفرشكم نساءهم اتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك

اللهم

اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وهؤلاء لم اقف على اسلام
احد منهم الا ان في الصحابة شيخا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم
والمطاع فيهم ولعله هو هذا المذكور هانئ بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورايت بعضهم ذكر ان النعمان
ابن شريك له وفادة فيكون من الصحابة اي وفي اسد الغابة ان مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل
عن ابي نعيم انه قال لا اعرف لمفروق اسلاما ولما قدمت بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي بكر ائتهم فاعرضني عليهم فاتاهم فعرض عليهم فقال لهم كيف العدد فيكم قالوا
كثير مثل الثرى قال فكيف المنعة قالوا لا منعة جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم
قال فتجعلون لله عليكم ان هو ابقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا
ابناءهم ان تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين وتكبروه ثلاثا وثلاثين
قالوا ومن انت قال انا رسول الله ثم مر بهم ابو لهب فقالوا له هل تعرف هذا الرجل
قال نعم فاخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم انه رسول الله فقال لهم لا ترفعوا بقوله
راسا فانه مجنون يهذي من ام راسه فقالوا العدد اي ما ذلك حين ذكر من امر فارس
ما ذكر ومن رواية انه لما سالهم قالوا حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا
وبينك من الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا
مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذي دعاكم الى ما دعاكم قالوا محمد قال فهو شعاركم
فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بي نصروا اي نصروا بذكرهم اسمي
ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في كل موسم ويقول لا اكره احدا
على شيء من رضي الذي ادعو اليه فذاك ومن كره لم اكرهه انما اريد منعي من القتل حتى
ابلغ رسالات ربي فلم يقبله احد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل اعلم به اترون
ان رجلا يصلحنا وقد افسد قومه وعن ابن اسحاق لما اراد الله تعالى اظهار دينه
واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الموسم وفي سيرة مغلطاي وسند الحاكم ان ذلك كان في شهر رجب يعرض نفسه
على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة التي تضاف اليها الجمرة
فيقال جمرة العقبة اي وهي على يسار الطريق لقاصد منى من مكة وبها الان مسجد يقال
له مسجد البيعة اذ لقي بها رهطا من الخزرج اي لا من الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن
يحج من العرب اي وكان الاوس في الاصل اي اللغة العطية ويقال للذيب ويقال للرجل
اللهو واللعب والخزرج في الاصل الريح الباردة تلطف الجنوب خاصة وكانوا ستة نفر
وقيل ثمانية اراد الله تعالى بهم خيرا وقد عد السنة في الامتاع بين الناس اختلاف في ذكرهم

فقال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج فقال امن موالي يهود اي من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير
لانهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على من سواهم وان يامن بعضهم من بعض وهذا كان
من اول امرهم قبل ان تقوى شوكتهم على يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه
صلى الله عليه وسلم ● وفي لفظ وجدهم يحلقون رؤوسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض
عليهم الاسلام اي ورأوا امارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض
تعلمون والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه لان يهود كانوا اذا وقع
بينهم وبينهم شيء من الشر قالوا لهم سيبعث نبي قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل
عاد وارم اي كما تقدم في اخبار الاحبار والرهبان فلما دعاهم الى الاسلام
اجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من
العداوة والشر ما بينهم اي فان الاوس والخزرج كانوا اخوين لاب وام فوقعت بينهما
العداوة وتطاولت بينهم الحروب فمكثوا على المحاربة والمقاتلة اكثر من مائة سنة
اي مائة وعشرين كما في الكشاف ● اقول وفي رواية قالوا يا رسول الله انما كانت بعاث
اي يوم الوقعة بضم الموحدة ثم عين مهملة مخففة وفي اخره ثاء مثلثة وقيل بفتح الموحدة وبدال المهملة
معجمة قيل وقد ذكروا المعجمة تصحيف ● فعن ابن دريد صحف الخليل بن احمد يوم بعاث بالغين المعجمة
وانما هو بالمهملة وفي القاموس بالمعجمة والمهملة عام اول يوم من ايامنا اقتتلنا به وعن
كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله ان يصلح ذات بيننا وندعوهم
لما دعوتنا اليه فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا
احد اعز منك ● وبعاث مكان من المدينة على ليلتين منها عند بني قريظة
وبها كان حصن للاوس كان به القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة
بخمس سنين بين الاوس والخزرج وسيد الاوس ورئيسهم حضير والد اسيد
وبه تقدم من قتل من قومه وكان النصر فيهم اولا للخزرج ثم صار للاوس ● وسبب
القتال انه كان من قاعدتهم ان الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجل من الاوس
اي وهو سويد بن الصامت رجلا حليفا للخزرج اي وهو زياد والد المجذر بن زياد
وزياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة وتخفيف المثناة تحت والمجذر بالذال
المعجمة مشددة مفتوحة فارادوا ان يقتلوا سويدا به فابى عليهم الاوس
ذلك لان سويدا هذا كان يسميه قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده كان ابن
خالة عبد المطلب لان امه اخت سلمى ام عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا او معتمرا
فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به لانه صلى الله عليه وسلم كان
لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له ودعاه الى الله تعالى

فدعى

فدعى سويدا الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد لعل الذي معك مثل الذي معي
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا
الكلام حسن والذي معي افضل من هذا قران انزله الله علي هو هدى ونور فتلا عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان
هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث ان قتلته الخزرج ● وفي كلام
بعضهم ثم امن بالله ورسوله وسافر حتى دخل المدينة الى قومه فشعروا باسلامه فقتلته
الخزرج بغتة وقيل القاتل له المجذر ولد زياد الذي قتله سويد لان سويدا
كان قد شرب الخمر وجلس بيوم وهو يمشي سكرانا فبصر به انسان من الخزرج فخرج حتى
اتى المجذر بن زياد فقال هل لك في الغنيمة الباردة قال وما هي قال سويد اعزل
لا سلاح معه فخرج المجذر بالسيف مصلتا فلما ابصر سويدا قال قد امكن الله منك
قال ما تريد مني قال قتلك فقتله فكان ذلك سبب الحرب بين الاوس والخزرج
ببعاث ● فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم الحارث بن سويد
والمجذر بن زياد وشهدا بدرا فجعل الحارث بن سويد يطلب مجذرا ليقتله بابيه فلم
يقدر عليه حتى كان يوم احد فاتاه من خلفه فقتله غيلة كما سياتي وممن قتل في
هذه الحروب التي يقال لها بعاث تحقيقا لذلك اياس بن معاذ قدم مكة هو ونفر
يقال له ابو الحيسر انس بن رافع ثم جاء معه من قومه يلتمسون الحلف من قريش على
قومهم الخزرج فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم في
خير مما جئتم به قالوا له وما ذاك قال انا رسول الله بعثني للعباد ادعوهم الى
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وانزل علي الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم
القران فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا اي قوم والله خير مما جئتم اليه فاخذ
ابو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك لعمري
جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنى
موت اياس صار يحمد الله ويسبحه ويهلله ويكبره حتى مات والله اعلم ثم انصرف
اولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم ● قال وفي رواية انهم لما امنوا به صلى
الله عليه وسلم وصدقوه قالوا له انا نشير عليك ان تمكث على حالك اي على
حالك باسم حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شانك وندعوهم الى الله عز وجل
ورسوله صلى الله عليه وسلم ولعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام
المقبل فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى اي فلم يقع لهؤلاء السنة الثانية

مبايعة (و) يسمى هذا ابتداء اسلام الانصار وربما سماه بعضهم العقبة الاولى • فلما كان
العام المقبل قدم من الاوس والخزرج اثنى عشر رجلا اي عشرة من الخزرج واثنان من الاوس
وقيل كانوا احد عشر بهم خمسة من الستة او الثمانية الذين اجتمعوا به صلى الله عليه
وسلم عند العقبة اولا فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة ايضا فبايعهم
اي عاهدهم صلى الله عليه وسلم اي وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة
المالية وتلى عليهم آية النساء اي الاية التي نزلت بعد ذلك في شان النساء يوم
الفتح لما فرغ من بيعة الرجال واراد بيعة النساء • يعني عبادة بن الصامت
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة النساء اي كبيعة النساء اي كما بايعته النساء
التي كانت يوم فتح مكة وهي على ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا
نقتل اولادنا اي لان قتل الاولاد كان شائعا فيهم وهو وأد البنات وقيل
وأد البنين خوف الاملاق • وفي الهمزية كان جمهور العرب لا يئدون بناتهم وكان
بعض ربيعة ومضر يئدونهن وهو دفنهن احياء فبعضهم يئدهن خوف العيلة والا
فتقار وبعضهم خوف السبي ولا نأتي ببهتان اي الكذب الذي يبهت سامعه
نفتريه بين ايدينا وارجلنا اي في الحال ولا نستقبلا له وقيل غير ذلك ولا نعصيه
في معروف اي ما عرف من الشارع حسنه نهيا وامرا • قال الحافظ ابن حجر المبايعة
المذكورة في حديث عبادة ابن الصامت على الصفة المذكورة لم تقع ببيعة العقبة
وانما نص بيعة العقبة ما ذكره ابن اسحاق وغيره من اهل المغازي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لمن حضر من الانصار ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه
نساءكم وابناءكم فبايعوه على ذلك وعلى ان يرحل اليهم هو صلى الله عليه وسلم واصحابه
ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال فهذه ادلة صريحة في ان هذه البيعة بعد نزول الاية
بعد فتح مكة • اقول ليس في كلام عبادة ان هذه البيعة بيعة العقبة اذ لم يقل بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه وحينئذ
فلا يبعد ان يكون كلام عبادة هنا هذا المذكور وتلا عليهم آية النساء فانه يعين
التغاير المفتتم بل هو دليل على ان هذه المبايعة متاخرة عن يوم الفتح كما قال
الحافظ ابن حجر والله اعلم • زاد بعضهم والسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة
لائم ثم قال ومن وفى بالتخفيف والتشديد اي ثبت على العهد فاجره على الله
ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو اي العقاب طهرة له او قال كفارة
له • واستشكل بان ابا هريرة روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري الحدود كفارة
لاهلها

بيعة العقبة

لاهلها ام لا واسلام ابي هريرة متاخر عن بيعة العقبة بسبع سنين كما ياتي فانه كان عام خيبر
في سنة سبع كما سياتي واجيب بان هذه البيعة التي ذكرها عبادة ليست بيعة العقبة بل بيعة
غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه كان
قبل ان يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علمه اي ان الحدود كفارة • قال صلى
الله عليه وسلم ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فامره الى الله عز وجل ان شاء
عفا عنه وان شاء عذبه اي وكون الحدود كفارة وطهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد
لا يكون كفارة وطهرة له لان الله لا يغفر ان يشرك به • وفي رواية فان رضيتم فلكم الجنة
وان غشيتم من ذلك شيئا فاصبتم بحد في الدنيا فهو كفارة لكم في الدنيا وان سترتم عليه
فامركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر اي وفي هذا رد على من قال بوجوب التعذيب
لمن مات بلا توبة وعلى من قال بكفر مرتكب الكبيرة • فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن ام مكتوم واسمها عاتكة واسمه عمرو وقيل
عبد الله وهو ابن خال خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها • قال الشعبي
غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة غزوة ما منها غزوة الا واستخلف ابن
ام مكتوم على المدينة وكان يصلي بهم وليس له رواية • ومصعب بن عمير رضي الله
تعالى عنهما يعلمان من اسلم منهم القرآن ويعلمانهم اي من اراد منهم الاسلام ويفقهانهم
في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما في اكثر الروايات وهو يفيد
انه صلى الله عليه وسلم بعثهما معا ويدل له ما روي عن البراء ابن عازب رضي الله
عنه اول من قدم علينا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن ام مكتوم
فجعلا يقرئان الناس القرآن اي وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا
حين كتبوا اليه يبعث اليهم • وفي رواية ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا ويقرئ الناس بكتاب الله • وفي رواية كتبوا
اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير
وكان يقال له المقرئ وهو اول من سمي بهذا الاسم وهذا يدل على ان مصعبا لم يكن معهم
اقول وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كتبوا وارسلوا اليه صلى الله عليه وسلم
بذلك عند خروجهم من مكة وقبل ان ينصرفوا راجعين الى المدينة والاقتصار على مصعب
لا ينافي ما تقدم من ذكر ابن ام مكتوم معه ثم رايت ما يفيد الجمع الاول وهو عن ابن
اسحاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعني مصعب بن عمير بعدهم وانما كتبوا اليه
ان الاسلام قد فشا فينا فابعث الينا رجلا من اصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا في الاسلام
ويعلمنا سننه وشرائعه ويؤمنا في صلاتنا فبعث مصعب بن عمير وما يفيد الجمع الثاني

وهو ما نقل عن الواقدي ان ابن ام مكتوم قدم المدينة بعد بدر بيسير • وفي كلام ابن قتيبة :
وقدم ابن ام مكتوم المدينة مهاجرا بعد بدر بيسير وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون
كل من مصعب بن عمير وابن ام مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيئهما مع القوم وانه مكثا يفقهانهم بالاسلام
فساقهما الى حين كانت وهم بالمدينة في اليمن مصعب وتخلف ابن ام مكتوم فليتامل ذلك
والله اعلم • وهذه المبايعة يقال لها العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة عندها
ولما قدم مصعب المدينة نزل على ابي امامة اسعد بن زرارة رضي الله عنه ايعدون
بقباء رفقته • وكان سالم مولى ابي حذيفة رضي الله عنه يؤم المهاجرين بقباء قبل
ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب يؤم القوم اي الاوس
والخزرج لان الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤمه بعضهم • وجمع بهم اول جمعة
جمعت في الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة
الصريحة بها فانها مدنية • وقال الشيخ ابو حامد فرضت الجمعة بمكة ولم يتمكن
من فعلها • قال الحافظ ابن حجر وهو غريب اي وعلى صحته فهو مما تقدم حكمه
على تلاوته • وعند ابن اسحاق ان اول من جمع بهم ابو امامة اسعد بن زرارة
وكانوا اربعين رجلا • اي فعن كعب بن مالك قال اول من جمع بنا في المدينة اسعد
ابن زرارة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في نقيع الخضمات والنقيع
بالنون قبل القاف او الباء الموحدة لكن قال الخطابي انه غلط والخضمات جمع خضمة
وهي الماشية التي تخضم • اي تاكل بفيها كله بما في ذلك المحل من الكلا وهو اسم
لقرية من قرى المدينة قال وكنا اربعين رجلا اي ولا مخالفة لان مصعب بن عمير
كان عند ابي امامة اسعد بن زرارة كما علمت فكان هو المعاون على الجمع وكان
الخطيب والمصلي مصعب بن عمير فنسبة التجميع لكل منهما اي ولا يكون مانعا من الرواية
الثانية من ان اسعد بن زرارة هو الذي صلى بهم على التجوز اي جمعهم على الصلاة :
ويؤيده ما تقدم من ان الاوس والخزرج كره بعضهم ان يؤمه بعض وايضا المامور
بالتجميع مصعب بن عمير كما سياتي • قال السهيلي وتسميتهم اي الانصار بهذا الاسم
اي تسميتهم اليوم بيوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى لهم والا فكانت
تسمى في الجاهلية العروبة اي يسمى ذلك اليوم بيوم العروبة اي الرحمة • وقال عليه
الصلاة والسلام في حق هذا اليوم انه اليوم الذي فرض عليهم اي على اليهود والنصارى
اي طلب منهم تعظيمه والتفرغ للعبادة فيه كما فرض علينا اضلته اليهود والنصارى :
وهدانا الله تعالى له اي ان كلا من اليهود والنصارى امر بان ذلك اليوم يعظمون فيه الحق سبحانه
وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته فعدل اليهود من قبل انفسهم بدله السبت لانهم يزعمون انه اليوم السابع

الذي

جمعة جمعت في الاسلام

الذي استراح الحق فيه سبحانه وتعالى من خلق السموات والارض وما بينهما من المخلوقات اي بناء على ان اول الاسبوع
الاحد وانه مبدأ الخلق قال بعضهم وهو الراجح • وفي كلام بعضهم اول الاسبوع الاحد لغة واوله السبت
عرفا اي في عرف الفقهاء في الايمان ونحوها ويؤيد الاول ان السبت ماخوذ من السبات وهي الراحة :
قال تعالى وجعلنا نومكم سباتا اي راحة فكانهم اثروا في التعظيم لهذه الفضيلة • واختارت النصارى
من قبل انفسهم بدل يوم الجمعة يوم الاحد اي بناء على انه اول يوم ابتدأ فيه بايجاد المخلوقات •
فكانهم اثروا في التعظيم لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى ضلوا تركوه مع علمهم به ويؤيد ذلك
ما جاء ان الله تعالى فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم
وهدى الله تعالى المسلمين اي ليوم الجمعة وهداية المسلمين له تدل على انهم لم يكلوا اجتهاد :
وانما اجتهدوا فيه فاما بوحي • وفي سفر السعادة كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه وسلم
ان يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بانواع التشريف والتكريم • وجاء ان اهل الجنة
ينتظرون في الجنة يوم الجمعة كما ينتظر اهل الدنيا في الدنيا واسمه عندهم يوم
المزيد كما تقدم لان الله تعالى يتجلى عليهم في ذلك اليوم ويعطيهم ما يتمنوه ويزيدهم ما لم
يتمنوه ولذي مزيد لهم يجيئون يوم الجمعة ليعطيهم الله تعالى فيه من الخير • وقد جاء
في المرفوع يوم الجمعة سيد الايام واعظمها عند الله تعالى فهو في الايام كشهر رمضان في
الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر في رمضان • والذي في البخاري ثم هذا اي
يوم الجمعة يومهم الذي فرض عليهم اي على اليهود والنصارى فاختلفوا فيه فهدانا الله
له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد • وقوله فاختلفوا فيه يدل
على انهم لم يعلموا عينه ويوافقه ما نقل عن بعض اهل العلم ان اليهود امروا بيوم من
الاسبوع ليعظمون الله تعالى فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل انفسهم
السبت فاكرموه في شرعهم وكذلك النصارى امروا على لسان عيسى بيوم من الاسبوع
فاختاروا من قبل انفسهم الاحد فالتزموه شرعا لهم وهو يخالف ما سبق فليتامل :
قال بعضهم والراجح ان اول الاسبوع السبت لانه اول يوم ابتدأ فيه بايجاد المخلوقات
فقد جاء في الصحيح ان الله خلق التربة يوم السبت • والجبال يوم الاحد • والشجر يوم
الاثنين • والمكروه يوم الثلاثاء • والنور يوم الاربعاء كذا في مسلم • وعليه يشكل تسمية
اليوم الذي يليه الاحد واجيب بانه من تسمية اليهود وتبعهم غيرهم • وقد ذكر السهيلي
ان تسمية هذه الايام طارئة ولو كان الله سبحانه وتعالى سماها في القرآن بتلك الاسماء
المشتقة من العدد لقلنا هي تسمية صادقة لكنه لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وانما غير
مشتقين من العدد هذا كلامه • ورد بانه جاء ان الله تعالى خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق
ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق

خامسًا فسماه الخميس. وأجاب ابن حجر الهيتمي بأن هذا أي التسمية المذكورة لم تثبت وأن العرب
تسمي خامس الورد أربعًا هذا كله بناء على أنه يكون أول الأسبوع السبت. ثم رأيت السهيلي قال لم
يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحد والاثنين إلى سائرها إلا حاكيًا للغة قومه
لا مبتديًا بتسميتها ولعل قومه كانوا أخذوا معاني هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين
لهم فألقوا عليها هذه الأسماء اتباعًا لهم هذا كلامه فليتأمل. وفي السبعيات للهمداني
أكرم الله موسى عليه الصلاة والسلام بالسبت وعيسى بالأحد وداود بالاثنين وسليمان
بالثلاثاء ويعقوب بالأربعاء وآدم بالخميس ومحمدًا صلى الله عليه وسلم بالجمعة وهذا
يدل على أن اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الأحد من عند أنفسهم فليتأمل
وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة أي وقع
فيه المكر والخديعة أي لأنه اليوم الذي اجتمعت فيه قريش في دار الندوة للاستشارة
في أمره صلى الله عليه وسلم. وسئل عن يوم الأحد فقال يوم غرس وعمارة لأن الله
تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها. وفي رواية لأن الجنة بنيت فيه وغرست. وسئل
عن يوم الاثنين فقال يوم سفر وتجارة لأن فيه سافر شعيب فربح في تجارته. وسئل
عن يوم الثلاثاء فقال يوم دم لأن فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه. وذكر
الهمداني في السبعيات أيضًا أنه قتل فيه سبعة جرجيس وزكريا ويحيى ولده عليهم الصلاة
والسلام وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بني إسرائيل وهابيل
ابن آدم ويحيى نفسه كل واحد ومن ثم نهى صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد
النهي وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وفيه نزل إبليس إلى الأرض وفيه خلقت جهنم وفيه
سلط الله ملك الموت على أرواح بني آدم وفيه ابتلي أيوب. وفي بعض الروايات أن اليوم
الذي ابتلى الله فيه أيوب يوم الأربعاء. وسئل عن يوم الأربعاء فقال يوم نحس لأن
فيه أغرق فرعون وقومه وأهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح أي ومن ثم كان يسمى في الجاهلية
دبارًا وأبعادًا للهلاك لكن الذي في الحديث الموقوف على ابن عباس الذي لا يقال
من قبل الرأي آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر. وجاء يوم الأربعاء لا أخذ ولا إعطاء
وذكر الزمخشري أن بعضهم قال لأخيه اخرج معي في حاجة فقال له هذا الأربعاء قال فيه ولد
يونس قال لا جرم قد بانت له بركته أي حيث التقمه الحوت قال وفيه ولد يوسف قال فما أحسن
ما فعل به إخوته حتى طال حبسه وغربته قال وفيه نصر المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب
قال أجل ولكن بعد أن زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر. وورد في بعض الآثار النهي عن
قص الأظفار يوم الأربعاء وأنه يورث البرص. وعن ابن الحاج صاحب المدخل أنه هم بقص أظفاره يوم
الأربعاء فتذكر ذلك فترك ثم رأى أن قص الأظفار سنة حاضرة ولم يصح عنده النهي فقصها فلحقه البرص

فرأى

فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال له ألم تسمع نهيي عن ذلك فقال يا رسول الله لم يصح ذلك
عندي فقال يكفيك أن تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده على بدنه فزال البرص جميعًا. قال
ابن الحاج فجددت مع الله توبة أني لا أخالف ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجاء
في حديث خرجه الحاكم من طريقين آخرين لا تبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء وكره بعضهم
عيادة المريض يوم الأربعاء. وفي منهاج الحليمي وشعب الإيمان للبيهقي أن الدعاء مستجاب
يوم الأربعاء بعد الزوال قبل وقت العصر لأنه صلى الله عليه وسلم استجيب له الدعاء على
الأحزاب في ذلك الوقت وكان جابر يتحرى ذلك بالدعاء في مهماته. وذكر أنه ما بدئ بشيء يوم
الأربعاء إلا وتم فينبغي البداءة بنحو التدريس فيه. وسئل عن يوم الخميس فقال يوم قضاء الحوائج
لأن فيه دخل إبراهيم الخليل على ملك مصر فقضى حاجته وأعطاه هاجر. أي ثم زاد في رواية
والدخول على السلطان. وسئل عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه آدم حواء ويوسف
زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان بلقيس ونكح فيه صلى الله عليه وسلم خديجة وعائشة. وعن
ابن عباس رضي الله عنهما أذن صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة أي قبل أن يهاجر صلى الله عليه
وسلم في إقامة الجمعة أي فلم يفعلوها باجتهاد بل بإذنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى مصعب
ابن عمير رضي الله عنه أما بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أي اليوم
الذي يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا مال النهار عن شطره فتقربوا إلى الله تعالى
بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال أي صلى الجمعة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي استمر على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أنه صلى الله
عليه وسلم عين لهم ذلك اليوم وهو خلاف قوله السابق فهداكم الله له الظاهر في أن
هدايتهم له باجتهاد منهم ويدل له ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه بإسناد صحيح أن الأنصار
قالوا إن اليهود يومًا يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يومًا نجتمع
فيه فنذكر الله ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة أي لأنه اليوم الذي وقع فيه خلق
آدم الذي هو مبدأ هذا الجنس وحصل فيه أيضًا فناء الخلق وانقضاؤهم إذ فيه تقوم
الساعة ففيه المبدأ والمعاد أو هذا المروي عن ابن عباس يقتضي أن الأنصار اختاروه
باجتهاد منهم إلا أن يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن يكون هذا العزم على ذلك حصل منهم أولًا
ثم أرسلوا إليه صلى الله عليه وسلم يستأذنوه في ذلك فأذن لهم فيه فنزل الوحي بموافقته
لما اختاروه. وفيه أنه لو كان كذلك لقال صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير افعلوا ذلك
ولم يقل له انظروا إلى اليوم إلى آخره إلا أن يقال يجوز أنهم لما استأذنوه صلى الله عليه وسلم في
الاجتماع لم يعينوا له اليوم فعينه لهم صلى الله عليه وسلم. وتقدم عن الشيخ أبي حامد أن
الجمعة فرضها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ولم يقمها لعدم التمكن من فعلها. وتقدم عن

الحافظ ابن حجر انه غريب ويوجه انه لو كان امره بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن
من فعلها لامر بها مصعب بن عمير عند ارساله المدينة ولم يامر بها الا بعد ذلك الا ان يقال
انما لم يامر بها حينئذ لانه يجوز ان يكون انما امر بها بعد ذهاب مصعب الى المدينة او انه
انما لم يامر بذلك حينئذ لان لاقامتها شروطا منها العدد وهو عند امامنا الشافعي رضي
الله عنه اربعون بشروط ولم يكن ذلك موجودا عند ارساله صلى الله عليه وسلم ومن ثم لما
علم صلى الله عليه وسلم وجود العدد المذكور ارسل له يامره بذلك في قوله اما بعد فانظر
اليوم الى اخره . ثم لا يخفى ان ظاهر سياق الرواية ايان يدل على ان الذي هداهم الله اليه
انما هو ايقاع العبادة في هذا اليوم لا تسميته بيوم الجمعة كما تقدم عن السهيلي على ان
تسميتهم له بذلك لم اقف عليها في رواية على ان السهيلي ذكر عن ابن عباس رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سماها يوم الجمعة لما ارسل لمصعب بن عمير ان يجمع بهم
كما تقدم في الاسراء . وذكروا ايضا ان كعب بن لوي اول من سمى يوم العروبة الجمعة وقد
يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون الانصار ومن معهم من المهاجرين لم يبلغهم ما ذكر
عن كعب بن لوي ان ثبت انهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم . وعن ابي هريرة رضي
الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب تسمية هذا اليوم بيوم
الجمعة فقال لان فيها جمعت طينة ابيك ادم وقدمنا انه لا مخالفة بين ما هنا وما
تقدم في الاسراء والله اعلم . واسلم سعد بن معاذ وابن عمه اسيد بن حضير رضي
الله تعالى عنهما على يد مصعب بن عمير وكان اسلام اسيد بن حضير قبل سعد في يومه
فعن ابن اسحاق ان اسعد بن زرارة رضي الله عنه خرج بمصعب بن عمير الى حائط
اي بستان من حوائط بني ظفر فجلسا فيه واجتمع معهما رجال ممن اسلم وسعد بن معاذ
واسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما اي بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه
فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا ابا لك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعني اسعد
ابن زرارة ومصعب بن عمير الذين اتيا دارينا تثنية دار وهي المحلة والمراد قبيلتنا
وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما اي وفي لفظ قال له ائت اسعد بن زرارة
فازجره عنا فليكف عنا ما نكره فانه بلغني انه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه سفهاءنا
وضعفاءنا فانه لولا ان اسعد بن زرارة مني حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتي
ولا اجد عليه مقدما فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل اليهما فلما راه اسعد بن زرارة
قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ثم قال مصعب ان يجلس اكلمه
هذه الكلمة قال فوقف عليهما متشتما قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت
لكما بانفسكما حاجة . وفي لفظ قال يا اسعد ما لنا ولك تاتينا بهذا الرجل الغريب تسفه

سفهاءنا وضعفاءنا . وفي رواية علام اتيتنا في دورنا بهذا الرجل الوحيد الغريب الطريد
يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب او تجلس بفتح الواو استفهاما فانه
تسمع بالنصب في جواب الاستفهام فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره اي
صرفنا عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا
عليه القران فقال ما احسن هذا واجمله بالنصب على التعجب كيف تصنعون اذا اردتم
ان تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق
ثم تصلي فقام واغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين اي
وهما صلاة التوبة . فقد ذكر اصحاب السنن وقال الترمذي حديث حسن
انه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي
ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر له ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما
لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الان وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه
ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا
قال احلف بالله لقد جاءكم اسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما
وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت بهما باسا
وقد نهيتهما فقالا نفعل ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد
ابن زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك اي لينقضوا عهدك
فقام سعد مغضبا مبادرا فاخذ الحربة من يده وقال والله ما اراك اغنيت شيئا
ثم خرج اليهما فلما اقبل سعد قال اسعد لمصعب لقد جاءك والله سيد من وراءه
من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما راهما سعد مطمئنين عرف سعد
ان اسيدا انما اراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة
يا ابا امامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني اتغشانا في
دارنا بما نكره فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته عزلنا
عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض
عليه القران فقال لهما كيف تصنعون اذا انتم اسلمتم ودخلتم في هذا الدين فقال
تغتسل فتتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل
وطهر ثوبيه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم اخذ حربته فاقبل عامدا الى نادي
قومه ومعه اي ومع ذلك النادي اسيد بن حضير فلما راه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله
لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل
كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا واوصلنا رايا وايمننا اي ابركنا نقيبة اي نفسا

وامرأة قال فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما امسى
في دار قبيلة بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة فأسلموا في يوم واحد
كلهم وكان ذلك بعد العقبة الأولى وقبل العقبة الثانية إلا ما كان من الأصيرم
وهو عمرو بن ثابت من بني عبد الأشهل فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم
واستشهد ولم يسجد لله سجدة وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة. وفي
كلام ابن الجوزي أول دار قبيلة أسلمت من دور الأنصار دار بني عبد الأشهل
ثم رجع مصعب إلى دار أسعد بن زرارة رضي الله عنه فأقام عنده يدعو الناس
إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها رجال ونساء مسلمين إلا ما كان
من سكان عوالي المدينة أي قراها من جهة نجد. قال وفي كلام بعضهم إلا ما كان من
الأوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس وهو صيفي بن الأسلت وكان
شاعرا لهم يسمعون منه ويطيعون له لأنه كان قوالا بالحق مقبولا فقد ترهب
في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا
وقال أعبد رب إبراهيم لا يدخل فيه حائض ولا جنب فوقف بهم عن الإسلام
فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر
وأحد والخندق فأسلم وحسن إسلامه وهو شيخ كبير أحمق. أي وقد تأخر
إسلامه لما ذكره بعضهم أنه لما أراد الإسلام عند قدومه صلى الله عليه وسلم
المدينة لقيه أبي بن سلول وكلمه بالعصبية ونفره عن الإسلام وقال أبو قيس
لا أتبعه إلا آخر الناس فلما احتضر أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن قل لا إله إلا الله أشفع لك بها فقالها وهم ابنه أن ينكح امرأة أبيه أي
على ما هو عادة الجاهلية أي وكان ذلك في المدينة حتى في أول الإسلام
إن أكبر أولاد الرجل يخلفه على زوجته بعد موته فنزل التحريم أي قوله تعالى
ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف وتقدم الكلام على سبب نزول
هذه الآية مستوفى. ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة مع من خرج من المسلمين
من الأنصار إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة وأخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بمن أسلم مدة بذلك. وعن كعب بن مالك قال
خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا والبراء
بالمد لغة آخر ليلة من الشهر سمي بذلك لأنه ولد فيها ومعرور لغة مقصود فلما
خرجنا من المدينة قال البراء لنا إني قد رأيت رأيا ما أدري أتوافقوني عليه أم لا
قال قلنا وما ذاك قال رأيت أن لا أدع هذه البنية أي بفتح الموحدة وكسر النون
وتشديد

وتشديد المثناة تحت المفتوحة ثم تاء التأنيث على وزن فعيلة يعني الكعبة مني بظهر
وأن أصلي إليها قال فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي إلا
الشام يعنون بيت المقدس أي صخرته وما نريد أن نخالفه فقال إني
مصل إليها فقلنا لكنا لا نفعل قال فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ثم
يعني بيت المقدس أي واستدبرنا الكعبة وصلى إلى الكعبة أي مستدبر الشام
حتى قدمنا مكة وقد كنا عبنا عليه ذلك وأبى إلا الإقامة على ذلك فلما قدمنا
مكة قال لي يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما
صنعت في سفري هذا فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم
إياي فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه
لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هل تعرفانه فقلنا لا فقال هل تعرفان العباس ابن عبد المطلب
قال قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فإذا دخلتما
المسجد فإذا هو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس
ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه فسلمنا ثم جلسنا إليه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال نعم
هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال كعب فوالله
ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البراء ابن
معرور يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للإسلام
فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة فصليت إليها وقد خالفني
أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله قال قد
كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي بيت المقدس أي ولم يأمره بإعادة الصلاة مع أنه كان متأولا وبين له أن
الواجب عليه استقبال بيت المقدس لأنه كان متأولا فليتأمل. وفي هذا التصريح
بأنه صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة كانوا قبل الهجرة وبعدها يصلون إلى
بيت المقدس قبل أن تحول القبلة وقد تقدم الوعد بذلك. قال كعب ثم خرجنا
إلى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة أي أن يوافوه في الشعب
الأيمن إذا انحدروا من منى أسفل العقبة حيث المسجد اليوم أي الذي يقال له
مسجد البيعة كما تقدم وأمرهم أن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا وذلك في ليلة
اليوم الذي هو يوم النفر الأول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا

بيعة العقبة الثانية

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين امرنا وكان من جملة المشركين ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بفتح الحاء والراء المهملتين فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من سادتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام فاسلم واخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فمكثنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد هدأة يتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلث وسبعون رجلا وامرأتان نسيبة بالتصغير وهي ام عمارة من بني النجار اي وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وزوجها وابناها حبيب وعبد الله رضي الله تعالى عنهم وحبيب هذا اخذه مسيلمة الكذاب وما زال يقول له اتشهد ان محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول وتشهد اني رسول الله فيقول لا فيقطع عضوا من اعضائه وهكذا الى حتى قطعت اعضاؤه ومات وسيأتي ما وقع لها رضي الله عنها في حرب مسيلمة وام منيع اي وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم خمسة وسبعون نفسا نعم تخالف قول ابن مسعود وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا او رجلين وامرأتان اي منهم احد عشر رجلا من الاوس قال فجلسنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا اي وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم اقول ولا ينافي لا مخالفة لانه يجوز ان يكون سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم والله اعلم جاءهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب اي ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له اقول وهذا لا يخالف ما جاء انه كان معه ايضا ابو بكر وعلي لان العباس اوقف عليا على فم الشعب عينا له واوقف ابا بكر على فم الطريق الاخر عينا فلم يكن معه عندهم الا العباس والله اعلم فلما جلسوا كان العباس اول من تكلم فقال يا معشر الخزرج اي قال ذلك لان العرب كانت تطلق الخزرج على ما يشمل الاوس وكانت تغلب الخزرج على الاوس فيقولون الخزرجيين ● ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده

فقال البراء بن معرور انا والله لو كان في انفسنا غير ما تنطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج انفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم اي والبراء بن معرور هو اول من اوصى بثلث ماله ● وفي رواية ان العباس قال فدا ابي محمد الناس كلهم غيركم فانتم اهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فاروا رايكم وائتمروا بينكم ولا تفترقوا الا عن ملأ منكم واجتماع فان احسن الحديث اصدقه ● اقول قول العباس فدا ابي محمد الناس كلهم غيركم ربما يفيد ان الناس غير الانصار راودوه على نصرته فاباهم ولا ينافيه ما تقدم ولولا التأكيد بلفظ كلهم لامكن ان يراد بالناس قبيلة شيبان بن ثعلبة فانهم لما تقدم قالوا له ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى فابى ذلك ويحتمل ان المراد بالناس الذي اباهم اهله وعشيرته والله اعلم ● وعند ما تكلم العباس بما ذكر قالوا له قد سمعنا ما قلت ● تكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت ● وفي رواية خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك عز وجل ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ولنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ● وفي رواية فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم ● اي وفي رواية انهم قالوا له يا رسول الله نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان تقولوا في الله لا تخافوا لومة لائم وعلى ان تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة ● فاخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا اي نساءنا وانفسنا لان العرب تكني بالازار عن المرأة وعن النفس فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة اي السلاح ورثناه كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو الهيثم بن التيهان بتشديد المثناة تحت وتخفيفها نتبعه على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس اخفوا جرسكم اي صوتكم فان علينا عيونا ثم قال ابو الهيثم يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالا اي عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل اي ذمتي ذمتكم ان تطلبون بدمي واطلب بدمكم فدمي ودمكم واحد ● وفي لفظ بدل

الدم الدم وهو بالتحريك الحرم من المرأة اي حرمي حرمكم تقول العرب اذا ارادت تاكيد المحالفة
وهدمي وهدمكم واحد اي اذا اهدر دم الدم اهدرته وذمتي ذمتكم ورحلتي مع رحلتكم انا
منكم وانتم مني احارب من حاربتم واسالم من سالمتم • اي وعند ذلك قال العباس لهم ديني
الله عليكم باذمتكم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام والبلد
الحرام يد الله فوق ايديكم لتجدن في نصرته ولتشدن من ازره قالوا جميعا نعم فقال العباس اللهم
انك سامع وشاهد وان ابن اخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن اخي
عليهم شهيدا • ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون
على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس • وقد ورد انه صلى الله عليه
نقباء الانصار
وسلم قال لهم ان موسى عليه الصلاة والسلام اخذ من بني اسرائيل اثني عشر نقيبا فلا يجدن
احد في نفسه ان يؤخذ غيره فانما يختار لي جبريل اي لانه عليه الصلاة والسلام حضر
البيعة فلما تخيرهم اي وهم سعد بن عبادة • واسعد بن زرارة • وسعد بن الربيع • وسعد
ابن خيثمة • والمنذر بن عمرو • وعبد الله بن رواحة • والبراء بن معرور • وابو الهيثم بن التيهان
واسيد بن حضير • وعبد الله بن عمرو بن حرام • وعبادة بن الصامت • ورافع بن مالك • رضي
الله تعالى عنهم كل واحد على قبيلة • وقال صلى الله عليه وسلم للنقباء انتم كفلاء على
غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومي يعني المهاجرين • وقيل ان الذي
تولى الكلام من الانصار وشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسعد بن زرارة اي وهو اصغرهم
فانه اخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم وقال رويدا يا اهل يثرب انا لم نضرب اكباد الابل الا ونحن
نعلم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان
تعضكم السيوف فاما انتم قوم تصبرون عليها اذا مستكم وبقتل خياركم ومفارقة العرب كافة اي جميعا
فخذوه واجركم على الله تعالى واما انتم تخافون من انفسكم خيفة فذروه فهو اعذر لكم عند الله
عز وجل فقالوا يا اسعد امط عنا يدك فوالله لا نذر اي نترك هذه البيعة ولا نستقيلها
اي لا نطلب الاقالة منها • وقيل ان الذي تكلم من الانصار وشد العقد العباس بن عبادة بن
نضلة فقال يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر
والاسود من الناس اي على محاربتهم وان لا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في البداءة بالمحاربة
الا بعد ان هاجر الى المدينة بمدة كما تقدم اي وقبل ذلك مامور بالدعاء الى الله تعالى والصبر على
الاذى والصفح عن الجاهل كما تقدم عن اسعد بن زرارة ثم تواثقوا على ذلك وقالوا يا رسول
الله ما لنا بذلك اي ان نحن وفينا قال رضوان الله والجنة قالوا امدد يدك فبسط يده صلى
الله عليه وسلم فبايعوه اي • واول من بايعه صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور وقيل اسعد
ابن زرارة وقيل ابو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون كلهم اي وبايعه المرأتان المذكورتان

من غير

من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان ياخذ عليهن فاذا احرزن
قال اذهبن فقد بايعتكن كما تقدم فكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر اي العرب والعجم
فهؤلاء الثلاثة لم يتقدم عليهم احد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية
وفي ان ابا الهيثم قال ابايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بني اسرائيل موسى
ابن عمران عليه الصلاة والسلام وان عبد الله بن رواحة قال ابايعك يا رسول الله على ما بايع عليه
الاثنا عشر من الحواريين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام • وقال اسعد بن زرارة ابايع الله عز وجل
يا رسول الله فابايعك على ان اتم عهدي بوفائي واصدق قولي بفعلي في نصرك • وقال النعمان بن حارثة ابايع
الله عز وجل يا رسول الله وابايعك على الاقدام في امر الله عز وجل لا اراف فيه القريب ولا
البعيد اي لا اعامله بالرافة والرحمة • وقال عبادة بن الصامت ابايعك يا رسول الله على
ان لا تاخذني في الله لومة لائم • وقال سعد بن الربيع ابايع الله وابايعك يا رسول الله على
وبها انتهت البيعة
ان لا اعصي لكما امرا ولا اكذبكما حديثا • وقد انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها العقبة
الثانية ولما وقعت صرخ الشيطان من راس العقبة باشد صوت وابعده يا اهل الجباجب
اي بجيمين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم باء موحدة وهي منازل منى
وفي الهدي يا اهل الاخاشب هل لكم في مذمم والصباة معه يعني بمذمم النبي صلى الله عليه
وسلم لان قريشا كانت تقول بدل محمد صلى الله عليه وسلم مذمم ويعني بالصباة اصحابه
الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن اسلم صابي لان الصابي من خرج من دين الى دين
وقد جاء الا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون
مذمما وانا محمد فانهم قد اجمعوا اي عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا ازب العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك • وازب بكسر الهمزة
واسكان الزاي ثم بالموحدة الخفيفة وقيل بفتح الهمزة وفتح الزاي وتشديد الموحدة
اي شيطان سمي بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه عامرها وازب في الاصل
القصير • ومن ثم راى عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على برذعة رحله فقال
له ما انت فقال ازب قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه على راسه بعود سوطه فهرب
وعند ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا وفي لفظ انفضوا الى رحالكم
اي تفرقوا وفي رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من راس الجبل يا معشر
قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزعوا اي الانصار عند ذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس
يسمعه احد ممن تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ ابليس الذي هو ابو الجن •
ويجوز ان يكون المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الابالسة وانه اتى بالمقطين

معا . وتقدم البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم . فعن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه
لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبي الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض انكرته قائما على يمينك
قال وقد رأيته قلت نعم قال ذلك جبريل والله اعلم . ثم ان الحديث لما سمع المشركون
من قريش بذلك اي وفي كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر سمعه صوته
بصوت منبه بن الحجاج فقال عمرو بن العاص ما قال ابو جهل من الفزع فقال عمرو ذهبت
انا وهو الى عتبة بن ربيعة فاخبره بصوت منبه بن الحجاج فلم يرعه ما راعنا وقال
هل اتاكم فاخبركم بهذا منبه قلنا لا قال لعله ابليس الكذاب الحديث وفيه طول
وامور مستغربة ولا ينافي سماع عمرو وابي جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس
يسمعه احد ممن تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهما . وعنده فشى الخبر جاء جلتهم من
واشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج وفي رواية يا معشر
الخزرج اي بالتغليب بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه على
حربنا والله ما من حي ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركوا الاوس
والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء وما علمناه حتى ان ابي بن سلول جعل يقول لهذا باطل
وما كان قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يؤامروني وصدقوا
لانهم لم يطلعوه كما علم مما تقدم اي ونفر الناس من منى . وبحثت قريش عن الخبر الا انصار
فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر انطلقوا في آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو
فاما سعد فمسك وعذب في الله واما المنذر ففات ثم انقذ الله سعدا من ايدي المشركين
قال سعد رضي الله عنه فلما ظفروا بي ربطوا يدي في عنقي فلم يزالوا يلطموني على وجهي ويجذبوني
بجمتي اي وكان ذا شعر كثير حتى ادخلوني مكة فاوى الي رجل اي وهو ابو البختري بن هشام
ثاب كما تقدم فقال ويحك اما بينك وبين احد من قريش جوار وله عهد قال بلى قد كنت
اجير لجبير بن مطعم تجاره واسعهم ممن اراد ظلمهم ببلادي وللحارث بن حرب بن امية اي وهو
اخو ابو سفيان والاول اسلم بعد الحديبية والثاني لعله لم يسلم قال فناد بهما فقلت
باسم الرجلين فعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد فقال لهما ان رجلا من الانصار
او من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو قال يقول انه سعد بن عبادة فجاء
فخلصاني من ايديهم انتهى . اي وعن سعد بينما انا مع القوم اضرب اذ طلع علي رجل
ابيض وضيء شعشاع اي طويل ذا بهاء الحسن حلو من الرجال فقلت في نفسي ان يكن عند
احد من القوم خير فعند هذا فلما دنا مني رفع يده ولكمني لكمة شديدة فقلت في
نفسي والله ما عندهم بعد هذا خير اي وهذا الرجل سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه
فانه اسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة اظهروا الاسلام اي اظهارا كليا وتجاهروا

به

به ولا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة . وكان عمرو بن الجموح اي وهو من
سادات بني سلمة بكسر اللام واشرافهم لم يكن اسلم وكان ممن اسلم ولده معاذ بن عمرو وكان لعمرو
في داره صنم اي من خشب يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى اي تصب عنده تقربا اليه كان
يعظمه فكان فتيان قومه ممن اسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو
يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه اي ولعله بعد اخراجه من داره في بعض الحفر
التي فيها خرؤ الناس منكسا فاذا اصبح عمرو قال ويلكم من عدا على الهتنا هذه الليلة ثم
ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا امسى عدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك الى
ان غسله وطيبه وجاء بسيف علقه في عنقه ثم قال له ما اعلم من يصنع بك فان كان
فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما امسى عدوا عليه واخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا
كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم القوه في بير من ابار بني سلمة فيها خرؤ الناس فلما اصبح
عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه الى ان وجده في تلك البير فلما رآه كذلك رجع الى
عقله وكلمه من اسلم من قومه فاسلم وحسن اسلامه وانشد ابياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن . انت وكلب وسط بير في قرن .

سبب الهجرة الى

اي حبل . وامر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة اي لان قريشا
لما علمت انه صلى الله عليه وسلم آوى اي انضم الى قوم اهل حرب ونجدة ضيقوا على اصحابه
وتلاعبوا بهم ما لم يكونوا ينالون منهم من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما
بين مفتون في دينه وبين معذب وبين هارب في البلاد فشكوا اليه صلى الله عليه
وسلم واستاذنوه في الهجرة اي مكث اياما لا ياذن ثم قال لهم اريت دار هجرتكم ثم
اريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة ارض نخل وسباخ
لقلت هي والسراة بفتح السين اعظم جبال بلاد العرب ثم خرج اليهم مسرورا فقال
قد اخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فاذن وقال من اراد ان يخرج فليخرج اليها فخرجوا
اليها ارسالا اي متتابعين يخفون ذلك اي وفي رواية رايت في المنام اني هاجرت من
مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي اي وهمي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب
وفي الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اوحى الي اي هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك المدينة او البحرين او قنسرين
قال الترمذي هذا حديث غريب وزاد الحاكم فاختار المدينة . اقول فيه ان هذا
السياق المتقدم يدل على ان استيذانهم في الهجرة عبارة عن خروجهم من مكة
لا لخصوص المدينة وان عدم اذنه صلى الله عليه وسلم في الهجرة لعدم تعيين المحل
الذي يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لا يناسب ما تقدم في

حديث المعراج من قول جبريل له صليت بطيبة وإليها المهاجرة. وقد يجاب بأنه يجوز أن
يكون صلى الله عليه وسلم أنسي قول جبريل المذكور حينئذ ثم تذكره بعد ذلك
بقوله قد أريت دار هجرتكم إلى آخره. وفيه أن هذا لا يحسن بعد مبايعته
صلى الله عليه وسلم للأوس والخزرج على مناصرته ومحاربة عدوه مع علمه بأن
وطنه المدينة وكونهم يبايعونه على مناصرته مع كونه ساكنا في الحرب أو
مترددين في غاية البعد على أنه سيأتي في غزاة بدر أنه صلى الله عليه وسلم
خشي أن الأنصار لا ترى مناصرته إلا في المدينة أي فإن في بعض الروايات أن
وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم بيثرب والله أعلم. وقبل الهجرة آخى صلى الله
عليه وسلم بين المسلمين أي بين المهاجرين على الحق والمواساة فآخى بين أبي بكر وعمر
رضي الله تعالى عنهما. وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة. وبين عثمان وعبد الرحمن
ابن عوف. وبين الزبير وابن مسعود. وبين عبادة بن الحارث وبلال. وبين
مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص. وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي
حذيفة. وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله. وبين علي ونفسه صلى الله
عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يا رسول الله قال فأنت أخي
في الدنيا والآخرة. قال وأنكر أبو العباس بن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين ولا
سيما مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه قال لأن المؤاخاة
بين المهاجرين والأنصار إنما شرعت لإرفاق بعضهم ببعض ولتأليف قلوب بعضهم
على بعض فلا معنى لمؤاخاة مهاجري لمهاجري قال الحافظ ابن حجر وهذا
رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى
بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأعلى بالأدنى ويستعين الأدنى بالأعلى ولهذا
تظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله تعالى عنه لأنه صلى الله عليه وسلم
هو الذي كان يقوم بأمره قبل البعثة. وفي الصحيح في عمرة القضاء أن زيد بن حارثة
قال إن بنت حمزة بنت أخي أي بسبب المؤاخاة انتهى. وكان أول من هاجر منهم إليها
أي للمدينة أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي وهو أخوه من الرضاع
وابن عمته وهو أول من يدعى للحساب باليمين كما تقدم فإنه لما قدم من الحبشة لمكة
آذاه أهلها وأراد الرجوع إلى الحبشة فلما بلغه إسلام من أسلم من الأنصار أي
الاثني عشر الذين بايعوا البيعة الأولى خرج إليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما
عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة في حجرها وخرج يقود
البعير رآه رجال من قوم أم سلمة فقاموا إليه وقالوا يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك
فما حبستنا

آخى صلى الله عليه [وسلم] بين المهاجرين

أول من هاجر

فما حبستنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبي
سلمة وقالوا إنا لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا فتنازع وولدها سلمة ثم تجاذبوه حتى خلعوا
يده وأخذه قوم أبيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة إلى الأبطح
فتبكي حتى المساء نحو سنة فمر بها رجل من بني عمها أي من أعمامها وقال لقومها ألا
تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقي بزوجك
فلما بلغ ذلك قوم أبي سلمة ردوا عليها ولدها فارتحلت بعيرها وجعلت ولدها في حجرها
وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت
عثمان بن طلحة أي الحجبي حاجب مفتاح الكعبة وكان عثمان بن طلحة يومئذ مشركا ثم
أسلم رضي الله عنه في هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص
كما سيأتي فشيعها إلى المدينة حتى إذا أوفى على قباء قال لها هذا زوجك هنا ثم انصرف
وهي أول ظعينة دخلت من المهاجرين المدينة رضي الله تعالى عنها وكانت أم سلمة تقول
ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان بن طلحة. قال وقال ابن إسحاق وابن سعد ثم كان
من قدمها بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بالحاء المهملة
المفتوحة وسكون الثاء المثلثة وهي أول ظعينة قدمت المدينة انتهى. أقول
أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة لأجل زوجها وليلى أول ظعينة قدمت مع زوجها
فلا منافاة. وفي كلام ابن الجوزي أول من هاجر إلى المدينة من النساء أم كلثوم بنت
عقبة بن أبي معيط والله أعلم. قال بنت أبي أم سلمة ما نقمتم عما تحق عثمان
ابن طلحة يقولها ناسية لما رآني قال إلى أين قلت إلى زوجي قال أو ما معك أحد
قلت لا ما معي إلا الله تعالى وابني هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير
وسار معي فكان إذا وصلنا المنزل أناخ بي ثم استأخر فإذا نزلنا جاء وأخذ البعير فحط
عنه ثم قيده في الشجرة ثم أتى إلى شجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري
فرحله وقدمه واستأخر عني وقال اركبي فإذا ركبت أخذ بخطامه فقادني حتى
أي وقد قال فقهاؤنا من المعذور سفر المرأة بغير زوجها ولا محرم ولا امرأة
ثقة في غير الهجرة ونحو الحج والعمرة أما في ذلك فيجوز حيث أمنت الطريق وقولنا
لا ينهض له ينافي أول من قدم المدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب
ابن عمير لأن قدومه كان متقدما على ما تقدم أو يقال أبو سلمة أول من قدم المدينة
بنوع طعمه وأما مصعب فكان بإرسال منه صلى الله عليه وسلم. ثم رأيت في السيرة
الهشامية أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني
مخزوم أبو سلمة وعليه فلا إشكال ثم جاء عمار وبلال وسعد في رواية ثم قدم أيضا

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا اي بعضهم بعد بعض للعقبة الثانية فنزلوا على الانصار في دورهم
فآووهم وواسوهم • ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب وعياش بن ابي ربيعة في عشرين
راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب ان يهاجر معه وقال تجدني او
اجدك عند محل كذا ففطن بهشام قومه فحبسوه عن الهجرة • وعن علي كرم الله وجهه
قال ما علمت ان احدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب فانه
لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده اسهما واختصر عنزته
اي وهي الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش
بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم اتى المقام فصلى متمكنا ثم وقف على الحلق من قريش
واحدة واحدة فقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعني الانوف
من اراد ان تثكله امه اي تفقده او يوتم ولده او ترمل زوجته فليلقني وراء
هذا الوادي قال علي رضي الله عنه فما تبعه احد ثم مضى لوجهه • ثم ان ابا جهل واخاه

سبب نزول هذه الآية ووصينا الانسان بوالديه

شقيقه الحارث بن هشام رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة
والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن ابي ربيعة وكان اخاهما
لامهما وابن عمهما كان اصغر ولد امه واحبهم اليها واخبراه ان امه قد نذرت ان لا تغسل
ومن لفظ لا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه اي وفي لفظ ان لا تاكل
ولا تشرب ولا تدخل مسكنا حتى ترجع اليها وقالا له انت احب ولدها اليها
وانت في دين ينهى عن العقوق فارجع الى مكة فاعبد ربك لا نفسده بالمدينة فرقت
نفسه وصدقهما اي واخذ عليهما المواثيق ان لا يهيجاه بسوء وقال له عمر ان يريدا
الا فتنتك عن دينك فاحذرهما فوالله لو قد اذى امك القمل لامتشطت ولو اشتد
عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش ابر امي ولي مال هناك آخذه فقال له
عمر خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فابى الا ذلك فقال له عمر حيث صنعت فخذ ناقتي
هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فابى ذلك
وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه بتخفيف التاء اي شدا
يديه الى خلف باكتافه في الطريق • اي وفي السيرة الهشامية انه اخذ الناقة وخرج
عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له ابو جهل يا اخي والله لقد استغلظت
بعيري هذا افلا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى قال فاناخ واناخا ليتحول عليها فلما
استووا بالارض عدوا عليه واوثقاه رباطا وادخلاه مكة نهارا موثقا وقالا يا اهل
مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا فحبس بمكة مع هشام بن العاص فانه كان
تقدم منع من الهجرة وحبس وجعل كل منهما في قيد وحلفت امه انه لا يحل عنه حتى يرجع عن دينه

فقتل

فقتل قبله وكان ذلك سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الآية وذكر انه تقدم انها نزلت
في سعد بن ابي وقاص الا ان يقال يجوز ان يكون مما تكرر نزوله فتكون نزلت فيهما • قيل ولم يزل
عياش محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فخرج عياش فلقي الرجل الكناني
الذي كان اعان عليه ابو جهل واخيه الحارث وكان قد اسلم وعياش لم يعلم باسلامه فقتله
واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا
خطأ فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لعياش قم فحرر اي اعتق رقبة • وما ذكر
من ان عياشا استمر محبوسا الى الفتح يخالف قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة
كما يسائر اربعين يوما يقنت في صلاة الصبح بعد الركوع اي من الركعة الاخيرة وكان يقول
في قنوته اللهم انج الوليد بن الوليد وعياش بن ابي ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين
من المؤمنين بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان هذا يدل على ان
هشام بن العاص وعياش بن ابي ربيعة لم يفتتنا ولم يرجعا عن الاسلام • وفي السيرة
الهشامية ما يفيد انهما فتنا الاول صريحا والثاني ظاهرا • وفي السيرة الشامية ثم
التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكر لانهما لو كانا افتتنا لاطلقا من الحبس والقيد واما
ذلك الا ان يقال فعل بهما ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام • ومما يدل على ان
رجوعهما عن الاسلام ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما اي وسياتي
ان الوليد كان سببا لخلاص عياش ابن ابي ربيعة وهشام بن ابي العاص بعد ان تخلص
من الحبس وهاجر الى المدينة فان الوليد كان اسر يوم بدر فافتداه اخواه خالد وهشام
ابنا الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فاسلم واراد الهجرة فحبسوه بمكة وقيل له
هلا اسلمت قبل ان تفتدي فقال كرهت ان يظن بي اني جزعت من الاسار ثم جاء نحو
الى المدينة ورجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما واتى بهما الى المدينة فسر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وبه يعلم ضعف ما تقدم من ان
عياشا لم يزل محبوسا الى يوم الفتح • وممن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم
مولى ابي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة اي لانه لما اعتقته زوجة ابي حذيفة وكانت
انصارية تبناه ابو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم عمر بن الخطاب لانه
كان اكثرهم اخذا للقرآن وكان عمر بن الخطاب يثني عليه كثيرا حتى قال لما اوصى
عند قتله لو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا ما جعلتها شورى قال ابن عبد البر معناه
انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة اي فانه قتل في يوم اليمامة وارسل
عمر ميراثه لمعتقته فابت ان تقبله فجعله في بيت المال • ولما اراد صهيب الهجرة
الى المدينة اي بعد ان هاجر اليها صلى الله عليه وسلم قالوا له اتيتنا صعلوكا •

صهيب [...] الهجرة

والشامي قالوا له كنا رفقنا إذ أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون
ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم إن جعلت لكم مالي تخلون سبيلي فقالوا نعم قال فإني جعلته لكم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب • أقول ذكر أن صهيبا تواعد معه صلى الله عليه
وسلم أن يكون معه في الهجرة فلما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل إليه أبا بكر مرتين
أو ثلاثا فوجده يصلي فكره أن يقطع عليه صلاته كما يأتي وحينئذ يكون قول صهيب
المذكور بعد هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كما تقدم وهو ما في الخصائص الكبرى عن
صهيب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وخرج معه أبو بكر وقد كنت هممت
بالخروج معه فصدني فتيان من قريش أي بعد أن أردت الخروج بعده وقالوا له جئتنا
فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا
قال فقلت لهم هل لكم أن أعطيكم أواقي من الذهب وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلوا
سبيلي ففعلوا فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواقي وخرجت حتى قدمت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء قبل أن يتحول منها فلما رآني قال يا أبا يحيى ربح البيع
ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام
أي وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي
صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل
عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم أني من أرماكم رجلا
وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه ثم
افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم [illegible]
أي وفي رواية أنهم قالوا له دلنا على مالك ونخلي عنك وتعاهدوا على ذلك ففعل
وذكر بعض المفسرين أن المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم إني شيخ كبير لا يضركم
أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني وتتركوا لي راحلة
ونفقة ففعلوا ونزل قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
قال فلما قدمت وجدت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآني أبو بكر
قام إلي فبشرني بالآية التي نزلت في • أي وفي رواية فتلقاني أبو بكر وعمر ورجال
فقال لي أبو بكر ربح البيع أبا يحيى فقلت وبيعك هذا لا تخبرني ماذا لك فقال أنزل الله
فيك كذا وقرأ علي الآية • وفي تفسير سهل بن عبد الله التستري أن صهيبا كان
من المشتاقين لم يكن له قرار وكان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار • وتحكي أن امرأة
اشترته فلما رأت ذلك قالت له لا أرضى حتى تنام بالليل لأنك تضعف فلا يمكنك
الاشتغال بأعمالي فبكى وقال إن صهيبا إذا ذكر النار طار نومه وإذا ذكر الجنة زاد
سوقه

٢٩٤

سوقه وإذا ذكر الله طال شوقه أي فيتباعد عنه النوم انتهى وفي تاريخ ابن كثير أن الروم أغارت على بلاد
صهيب وكانت عليه جلدة وقيل على الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب
فحملوه إلى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حينا فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان إسلامه وإسلام عمار في يوم واحد وقد يقال يجوز أن تكون
تلك المرأة التي اشترته كانت من بني كلب • وعن صهيب رضي الله عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم
قبل أن يوحى إليه وأنه قال له عمر رضي الله عنه يا صهيب اكتنيت وليس لك ولد فقال كناني رسول
الله صلى الله عليه وسلم بأبي يحيى أي فهو من جملة من كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ولد له
وكان في لسانه عجمة شديدة وكان [illegible] فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل قثاء ورطبا
وهو أرمد إحدى عينيه فقال له تأكل رطبا وأنت أرمد فقال إنما آكل من ناحية عيني الصحيحة
فضحك صلى الله عليه وسلم • وفي المعجم الكبير للطبراني عن صهيب قال قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فأخذت آكل من التمر فقال أتأكل
التمر وبك رمد فقلت يا رسول الله أمضغه من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم أي ولا مانع من التعدد • ولما أذن صلى الله عليه وسلم لأصحابه في الهجرة
وهاجروا إلى المدينة مكث صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه
إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر أي وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا أو مريضا أو عاجزا عن
الخروج • وكان أبو بكر رضي الله عنه كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله أن يجعل لك رفيقا أو صاحبا فطمع أبو بكر أن يكون هو
أي وفي رواية أنه تجهز أبو بكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فإني أرجو أن
يؤذن لي فقال له أبو بكر هل ترجو ذلك بأبي أنت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين عنده الخبط أي وفي لفظ ورق السمر
بفتح المهملة وضم الميم قال الزهري وهو الخبط قال ابن فارس والخبط ما يخبط بالعصا
فيسقط من ورق الشجر وكان مدة علفهما أربعة أشهر أي وكان اشتراهما بثمانمائة درهم • أقول
ظاهر هذا السياق أن علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم لأبي بكر
ومعلوم أن ذلك بعد بيعة العقبة الأولى لأن المدة بينها وبين الهجرة له صلى الله عليه وسلم
والهجرة كانت ثلاثة عشر شهرا أو قريبا منها لأنها كانت في ذي الحجة وهجرته صلى الله
عليه وسلم كانت في ربيع الأول • وفي السيرة الهشامية ما يصرح بأن علفه للراحلتين
كان بعد قول المصطفى له صلى الله عليه وسلم ما ذكر فيها أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لأبي
بكر وقد استأذنه في الهجرة لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا طمع بأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم إنما يعني نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما إعدادا لذلك ويأتي

عن الحافظ ابن حجر ان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم سنتين ونصف سنة على التحرير
والله اعلم **فلما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم** صارت له شيعة اي انصار
واصحاب من غيرهم ورأوا خروج اصحابه اليهم وانهم اصابوا منعة لان الانصار قوم اهل حلقة
اي سلاح وبأس حذروا اي خافوا ان يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يجمع على حربهم
فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
محله مشورتهم لا يقضون امرا الا فيها اي وهي اول دار بنيت بمكة كانت منزل قصي بن كلاب
كما تقدم ثم صارت لولد عبد الدار ثم ابتاعها معاوية لما حج وهو خليفة من ولد عبد الدار
وتقدم ان معاوية انما اشتراها من حكيم بن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله
قال جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بن ابي سفيان بمائة
الف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال حكيم ذهبت المكارم الا
التقوى يا ابن اخي الى آخر ما تقدم وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام الحنفي الان وكانت
لها باب للمسجد وتقدم انه كان لا يدخلها عند المشورة من غير ولد قصي الا ابن اربعين سنة
ومن كلام بعضهم ساد ابو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة وما استدارت لحيته وقد ادخلت
في المسجد. قيل لها دار الندوة لاجتماع الندي وهو الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم
الزحمة لانه اجتمع فيه اشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني اسد وبني
مخزوم وبني سهم وبني جمح وغيرهم ممن لا يعد من قريش اي ولم يتخلف من اهل الرأي والحجا احد
ثم ان ابليس جاءهم في صورة شيخ نجدي عليه طيلسان من خز وقيل من صوف اي وانما فعل ذلك
لتقبل منه ما يشير به لان اهل الطيلسان في العادة اهل الوقار والمعرفة ووقف ذلك
الشيخ على الباب فقالوا له من الشيخ قال شيخ من اهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له فحضر معكم
ليسمع ما تقولون وعسى ان لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا اجل اي نعم قال فادخل فدخل معهم
وانما قال انهم من اهل نجد لان قريشا قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة
لان هواهم كان مع محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل لما سمعهم يقولون لا يدخلن معكم اليوم الا من هو
منكم قال لهم لما سألوه وقالوا له من انت قال شيخ من نجد وانا ابن اختكم فقالوا ابن اخت
القوم منهم وقيل ان ابليس لما دخل عليهم انكروه وقالوا له من انت وما ادخلك علينا
في خلوتنا هذه بغير اذننا فقال انا رجل من اهل نجد رأيتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فاحببت
ان اجلس اليكم واسمع كلامكم فان كرهتم ذلك خرجت عنكم فقال بعضهم لبعض هذا نجدي لا
عين عليكم منه وفي لفظ هذا من اهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم. وعند المشورة
قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من امره ما قد رأيتم وانا
والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا فتشاوروا فقال قائل

اي

اي وهو ابو البختري بن هشام احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما اصاب اشباهه
من الشعراء حتى يصيبه ما اصابهم من هذا الموت فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم برأي والله
لو حبستموه كما تقولون ليخرجن امره من وراء الحائط او الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه
فلا تشكوا ان يثبوا عليكم فينزعوه من ايديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على امركم فانظروا ما هذا
برأي فانظروا رأيا غيره فتشاوروا. فقال قائل منهم اي وهو الاسود بن ربيعة بن عمير
نخرجه من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالي اين يذهب فقال
الشيخ النجدي والله ما هذا لكم برأي الم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته
على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما امنتم ان يحل بفتح اوله وضم الحاء المهملة
اي ينزل ويجوز ان يكون بكسرها اي يسقط على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه
حتى يتابعوه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا امركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما اراد دبروا فيه
رأيا غير هذا. فقال ابو جهل بن هشام والله ان لي فيه لرأيا ما اراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو
يا ابا الحكم قال الرأي ان تأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا اي قويا حسيبا في قومه نسيبا
وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد
فيقتلونه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو
عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل اي الدية فعقلناه لهم. فقال الشيخ
النجدي لما قال هذا الرجل هذا هو الرأي ولا ارى غيره فتفرق القوم على ذلك فاتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة في فراشك الذي كنت تبيت عليه اي
واخبره بمكر القوم وانزل الله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا الآية. فلما كانت عتمة من الليل اي
الثلث الاول اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه
اي وكانوا مائة. وفي الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن عبيد
ابن عمير لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه قال له ابو طالب
هل تدري ما ائتمروا بك قال يريدون ان يحبسوني او يقتلوني او يخرجوني قال من حدثك
بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال انا استوصي به بل هو يستوصي بي
هذا كلامه ولم يتعقبه بان هذا كان بعد موت ابي طالب وكان ائتمارهم يوم السبت. فقد
سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يا رسول الله
قال ان قريشا ارادوا ان يمكروا فيه اي ارادوا فيه المكر فانزل الله تعالى واذ يمكر بك
الذين كفروا الآية. وفي سيرة الحافظ الدمياطي فاجتمع اولئك القوم من قريش يتطلعون
من صير الباب اي شقه ويرصدونه يريدون بياته اي يوقعون به الامر ليلا ويأتمرون
ايهم يحمل على المضجع. وفيه ان ائتمارهم في ذلك لا يناسب ما اجتمع رأيهم عليه من انهم يجتمعون على

على قتله ليتفرق دمه في القبائل ثم رايت بعضهم قال واحدقوا ببابه صلى الله عليه وسلم وعليهم
السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بني هاشم قتله
من جميع القبائل فلا يتمكنوا من اخذ ثاره وهو المناسب لما ذكر والله اعلم ● فلما راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكانهم اي علم ما يكون منهم قال لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه نم
على فراشي واتشح ببردي اي هذا الحضرمي وقد كان يشهد فيه العيدين وقد كان طوله اربعة
اذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان اخضر او احمر يدل للثاني قول جابر كان يلبس
بردا احمر في العيدين والجمعة ثم رايت في بعض الروايات انه كان اخضر فلينظر الجمع ●
وفي سيرة الدمياطي وارتد ببردي هذا الاحمر والحضرمي منسوب الى حضرموت التي هي البلدة
المقبلة باليمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسجى به في البرد عند نومه
فانه لن يخلص اليك شي تكرهه منهم ● اقول وانما ذكر ان الله تعالى اوحى الى جبريل وميكائيل
اني قد اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الاخر فايكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار
كلاهما الحياة فاوحى الله اليهما الا كنتما مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين محمد ●
صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض
فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند راسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل
بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة وانزل الله عز وجل ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ● قال فيه الامام ابن تيمية انه كذب
باتفاق اهل العلم بالحديث والسير وايضا قد حصلت له الطمانينة بقول الصادق
له لن يخلص اليك شي تكرهه منهم فلم يكن فيه فدا بالنفس ولا ايثار بالحياة والاية
المذكورة في سورة البقرة وهي مدنية باتفاق وقد قيل انها نزلت في صهيب رضي الله
عنه لما هاجر كما تقدم لكنه في الامتاع لم يذكر انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي ما ذكر
وعليه فيكون فداؤه للنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه واضحا ولا مانع من تكرر نزول الاية
في حق علي وفي حق صهيب وحينئذ يكون شرى في حق علي رضي الله عنه بمعنى باع اي
باع نفسه بحياة المصطفى وفي صهيب بمعنى اشترى اي اشترى نفسه بماله ونزول هذه
الاية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب ● وفي
الينبوع انه صلى الله عليه وسلم نظر الى اصحابه وقال ايكم يبيت على فراشي وانا اضمن
له الجنة فقال علي انا ابيت واجعل نفسي فداك هذا كلامه ولعله لا يصح ثم رايت في
الامتاع ما يدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحاق ولم يعلم فيما بلغني بخروجه صلى الله
عليه وسلم حين خرج الا علي وابو بكر الصديق فليتامل والله اعلم ● وكان في القوم الحكم ابن
ابي العاص وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث وامية بن خلف وزمعة بن الاسود وابو
لهب

لهب وابو جهل فقال وهم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه
على امره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن
اي بضم الهمزة وتشديد النون وهو محل بارض الشام بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا
كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها وسمعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول له نعم انا اقول ذلك واخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى
يس والقرآن الحكيم الى قوله تعالى فاغشيناهم فهم لا يبصرون فاخذ الله تعالى على ابصارهم عنه
فلم يروه ● وفي مسند الحارث بن ابي اسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر في فضل يس
انها ان قراها خائف امن او جائع شبع او عار كسي او عاطش سقي او سقيم شفي ● وعند خروجه
صلى الله عليه وسلم جعل ينثر التراب على رؤوسهم فلم يبق رجل الا وضع على راسه ترابا
ثم انصرف الى حيث اراد فاتاهم ات فقال ما تنتظرون هاهنا قالوا محمدا قال قد خيبكم
الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق
لحاجته افما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على راسه فاذا عليه تراب ● قال
في النور وهنا بياض في حديث مارية خادم النبي صلى الله عليه وسلم تكنى ام الرباب
انها طاطات لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين
وينبغي ان يوفق بينهما ان صحا والا فالعبرة بالصحيح منهما هذا كلامه ● اقول التوفيق
حاصل وهو انه يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يحب ان يخرج عليهم من الباب فتسور
الحائط الذي ينزل منها عليهم والله اعلم ● اي وكان ذهابه صلى الله عليه وسلم في تلك
الليلة الى بيت ابي بكر رضي الله عنه فكان فيه الى الليلة القابلة ثم خرج هو وابو بكر
ثم مضيا الى جبل ثور كذا في سيرة الدمياطي ثم اي بعد اخبارهم بخروجه صلى الله عليه وسلم
ووضع التراب على رؤوسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على الفراش مسجى ببرد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا
كذلك اي يريدون ان يوقعوا به الفعل والله مانع لهم منه حتى اصبحوا وانفتح
النهار فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذي كان
حدثنا اي وهو لما قام علي رضي الله عنه سالوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لا علم لي به وفي رواية فلما اصبحوا ثاروا اليه يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما
راوا عليا رضي الله عنه رد الله تعالى مكرهم فقالوا اين صاحبك فقال لا ادري
فانزل الله تعالى قوله تعالى ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وانزل تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين كذا في الاصل نقلا عن ابن اسحاق ولا يخفى ان الاية الثانية

موتهم بان كرموا من الشاورة • فقال والمانع من اقتحام الجدار عليه في الدار مع قصر الجدار وقد
جاءوا لقتله انهم هموا بذلك فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض انها لسبة في العرب
ان يتحدث عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى • اقول
لا يخفى ان هذه الهيابة ما منعتهم من بعضهم انهم انما ارادوا قتله صلى الله عليه وسلم
عند طلوع الفجر ليظهر لبني هاشم ان قاتلوه فلذا بيتوا عليه ليلة يتسوروا الجدار الا ان يقال
ارادة ذلك منهم كانت عند طلوع الفجر ووجود الاسباب المانعة لهم من الوثوب عليه لا ينافي
ان المانع لهم من الوثوب عليه الذي جاءوا بصدده وهم ما يتربصون من دينه قريش انما هي حماية
الله تعالى الموجبة لخذلانهم واظهار عجزهم وفي ذلك تصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال لعلي لا يخلص اليك شيء تكرهه منهم على ما تقدم • والمراد بقول بعضهم كان المشركون يرمون
عليا يظنون انه النبي صلى الله عليه وسلم يرمونه بالبنادق لا بخصوص حجارة او نبل كان لا يخفى
فانه قيل هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلنا لو فعلوا ذلك لتبين لهم اذ لا يوضع
التراب على رؤوسهم واظهارا لما يدل انه تعالى لم يخرج عليهم ولم يبصره احد منهم • وفي رواية انهم
تسوروا عليه صلى الله عليه وسلم ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار علي في وجوههم فعرفوه
فقالوا هو انت اين صاحبك فقال لا ادري وهذا مخالف لما تقدم فلينظر الجمع بينهما وعلى
صحتها او في لفظ امروه بالخروج فضربوه وادخلوه المسجد وحبسوه ساعة ثم خلوا عنه
والله اعلم

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن له في الهجرة الى المدينة

اي وانزل الله تعالى عليه وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا • قال زيد بن اسلم جعل الله عز وجل مدخل
صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار • وروى بعضهم ما جاء ان عند
رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قال له جبريل سل ربك فان لكل نبي
مسألة فقال ما تأمرني ان اسأل قال قل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فانزل الله تعالى عليه ذلك في رجعته من تبوك بعد
ما ختمت السورة اي الا ان يدعى تكرر النزول • وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم
في الهجرة قال لجبريل من يهاجر معي قال ابو بكر الصديق اي • ومن الغرائب قول
بعضهم ومن ذلك اليوم سماه الله صديقا فقد تقدم ان تسميته بذلك كان عند تصديقه
له صلى الله عليه وسلم عند اخباره بالاسراء ومن صبيحته بيت المقدس • ومن الغرائب ايضا
ما في السبعيات ان النبي صلى الله عليه وسلم تشاور مع اصحابه فقال ايكم يوافقني ويرافقني
فقد امرني الله تعالى بالخروج من مكة الى المدينة فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه انا يا رسول
الله ذي بردة ما في السيرة انه صلى الله عليه وسلم اتى ابا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال

اخرج

اخرج من عندك فقال انما هم اهلك اي يعني عائشة واسماء رضي الله تعالى عنهما قال
شعرت اي علمت انه قد اذن لي في الهجرة فقال يا رسول الله الصحبة اي اسألك الصحبة
فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة اي نعم الصحبة فاعطاه احدى بعيريه
لما تقدم عن سيرة الدمياطي لكن تقدم عنها ان هذه الليلة ليلة ابي بكر في ليلة خروجه
من عند قريش وانه مكث ببيته اي بيت ابي بكر الى الليلة القابلة التي كان فيها خروجه
صلى الله عليه وسلم الى جبل ثور ليختفي من الجمع ويقال ان مجيئه صلى الله عليه وسلم
ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مختفيين حتى اتيا الغار وهو بجبل
ثور فتواريا فيه • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال عند
خروجه من مكة اي متوجها الى المدينة والله اني لاخرج منك واني لاعلم انك احب
بلاد الله الى الله واكرمها على الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت •
اي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم وقف اي على راحلته بالحزورة ونظر
الى البيت وقال والله انك لخير ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى الله
ولولا ان اهلك اخرجوني منك قهرا ما خرجت • وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم
وقف في وسط المسجد والتفت الى البيت فقال اني لاعلم ما وضع الله بيتا احب الى
الله منك وما في الارض بلد احب الي منك وما خرجت عنك رغبة ولكن الذين
كفروا اخرجوني اي وهذه الروايات تدل على انه قال ذلك صلى الله عليه وسلم
على الحزورة او في وسط المسجد يقتضي انه جاء بعد خروجه من الغار الى ما ذكر
ثم ذهب الى المدينة • وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم على الحجون وقال والله
انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت • وفي لفظ
ولو تركت فيك ما خرجت منك ولا مانع من تكرر ذلك • ثم رأيت في كلام بعضهم
ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحجون كان في عام الفتح • وفي لفظ اخر
قال لمكة ما اطيبك من بلد واحبك الي ولولا ان قومي اخرجوني ما سكنت
غيرك • اي وفي حال الترمذي عن السخاوي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه
مهاجرا الى المدينة وقف ونظر الى مكة وبكى فانزل الله عز وجل عليه وكأين
من قرية هي اشد قوة من قريتك الاية • واما ما رواه الحاكم عن ابي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع
اليك فقال الذهبي انه موضوع وقال ابن عبد البر لا يختلف اهل العلم انه منكر
موضوع • اقول والذي رأيته في المستدرك للحاكم اللهم انك تعلم انهم اخرجوني
من احب البلاد الي فاسكني احب البلاد اليك والمعنى واحد والتبس الى ما روي

فضل مكة
فضل الاقامة بمكة

عن الزهري اللهم انك اخرجتني من احب البلاد الي فاسكني احب البلاد اليك اسند من قال بتفضيل المدينة على مكة قال لان الله تعالى اجاب دعاءه فاسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلماء ومنهم الامام مالك رضي الله عنه وانا لا احاديث الا وليا اشد من قال بتفضيل مكة على المدينة وهم الجمهور ومنهم امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه واستند والى ذلك انه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع اي بلد تعلمون اعظم حرمة قالوا الا بلدنا ولا يكد ناهية بيوت مكة وهذا اجماع من الصحابة بانها اعظم حرمة عليه صلى الله عليه وسلم اي مكة افضل من سائر البلاد لان ما كان اعظم حرمة فهو افضل • وعنه قال صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم سيرة مائة عام • قال ابن عبد البر واني لا عجب ممن يترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله والله اني لاعلم انك خير ارض الله واحبها الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت وهذا حديث صحيح ويميل الى تاويل لا يجامع ذلك وفي الحجرة يعلم ان الحسنة بمائة الف حسنة • وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشيا كتبت له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بمائة الف حسنة والكلام في غير ما ضم الاعضاء الشريفة صلى الله عليه وسلم من ارض المدينة والا فذاك افضل بقاع الارض بالاجماع بل حتى من العرش والكرسي على ان ما جاور الاعارف ذكر ابن الطوفان من نحلة التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى ارساها بالمدينة فهي من جملة ارض مكة وحينئذ لا يحتاج الاستناد في تفضيل المدينة على مكة بقول ابي بكر رضي الله عنه انهم لما اختلفوا في اي محل يدفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبض الله الا في احب البقاع اليه ليدفن فيه كما بينا والله تعالى اعلم وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت بينا نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر الصديق في نحو الظهيرة اي وسطها وهو وقت الزوال قال قائل لابي بكر اي وهذا القائل هي اسماء بنت ابي بكر ومن كلام بعض الحفاظ يحتمل ان يفسر بعامر بن فهيرة اي مولى ابي بكر قالت اسماء فقلت يا ابت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا اي متطلسا في ساعة لم يكن يا تينا فيها اي نحن عائشة رضي الله عنها لم يمر علينا يوم اي قبل الهجرة الا يا تينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهار بكرة وعشيا وفي لفظ كان لا يخطي ان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ابي بكر احد طرفي النهار اما بكرة واما عشية اي ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين

على

والاصل في لبس الطيلسان

على تقدير صحة الثانية والاولى في البخاري • وتقنعا التقنع بالطيلسان كرهه الحافظ ابن حجر حيث قال قوله متقنعا اي متطلسا وهو اصل في لبس الطيلسان هذا كلامه • واعترضه ابن القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبس الطيلسان ولا احد من اصحابه وحينئذ يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع تغطية الراس واكثر الوجه بالرداء من غير ان يجعل منه شيء تحت رقبته الذي يقال له التحنك وحمل قول ابن القيم المذكور على الطيلسان المدور الذي تلبسه اليهود • قال بعضهم وهذا الطيلسان المدور هو المعروف بالطرحة • وقد تخذت خلفا بني العباس الطرحة السوداء على العمامة عند الخطبة واستمر ذلك شعارا للخلفاء فالحاصل ان ما يغطي به الراس مع اكثر الوجه اذا كان معه تحنيك اي ادارة على العنق قيل له طيلسان وربما قيل له رداء مجازا وان لم يكن معه تحنيك قيل له رداء وقناع وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ما كان شعار اقضي القضاة الشافعية خاصة قال بعضهم بل صار شعار العلماء ومن ثم صار لبسه يتوقف على الاجازة من المشايخ كاللباس والتدريس فكان الشخص يكتب في اجازته وقد اذنت له في لبس الطيلسان لا انتهاء ه بالاهلية • وما يجعل على الاكتاف دون الراس يقال له رداء فقط وربما قيل له طيلسان اي مجازا • وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه وله حكم المرفوع التقنع من اخلاق الانبياء • وقد ذكر بعضهم ان الطيلسان الخلوة الصغرى • وفي حديث لا يتقنع الا من استكمل الحكمة في قوله وفعله وكان ذلك من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع كالاسواق • واول من لبس الطيلسان بالمدينة جبير بن مطعم رضي الله عنه • وفي الكفاية لابن الرفعة ان ترك الطيلسان للفقيه مخل بالمروة اي بحسب ما كان في زمنه رحمه الله تعالى وفي الترمذي لم يكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع انما كان يفعله لحر او برد وتعقب بان في حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع • وفي طبقات ابن سعد مرسلا انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدي شكره • اي لان فيه غض البصر ومن ثم قيل انه الخلوة الصغرى كما تقدم • ولما قيل لابي بكر رضي الله عنه ذلك اي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا قال ابو بكر فداء له ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر • قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل اي وتنحى ابو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك اي لانه صلى الله عليه وسلم كان عقد على

من حج ماشيا

البكاء عشرة انواع

على عائشة رضي الله عنها كما تقدم فهما من جملة اهله وانما كذلك . وقيل هو على حد قول الشعر
لا حزا ملي اهلك . وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال .
ابو بكر رضي الله عنه لا عين عليك انما هما ابنتاي اي وسكتنا عن امهما سترا فاذنا
فقد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر رضي الله عنه الصحبة يا رسول الله بابي انت وامي .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة اي فبكى ابو بكر رضي الله عنه سرورا قالت
عائشة رضي الله عنها فرأيت ابا بكر يبكي وما كنت احسب ان احدا يبكي من الفرح حتى
رأيت ابا بكر وسدد القائل . وورد الكتاب من الحبيب بانه . سيزورني فاستعبرت اجفاني
غلب السرور علي حتى انه . من عظم ما قد سرني ابكاني .
يا عين صار الدمع عندك عادة . تبكين من فرح ومن احزان .
ويقال اقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة عين لمن يفرح برؤية واسخن عينه لمن يدعى عليه
وهو سخنة العين لمن يحزن به لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد
روي ان نبيا من الانبياء اجتاز بحجر يخرج منه الماء فسال ربه عن ذلك فانطقه الله
تعالى الحجر فقال منذ سمعت ان لله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وانا ابكي
هذا الدمع خوفا من تلك النار فاشفع لي عنده ربك فشفع له فشفع فيه وبشره بذلك
ثم مر به بعد مدة فاذا الماء يخرج منه فقال الم ابشرك ان الله تعالى اجارك من النار
فقال هذا يا نبي الله ذاك بكاء الخوف والخشية وهذا بكاء الفرح والمسرة . ومنه
لما قال صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك سورة كذا اي
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين بكى من الفرح وقال اوذكرت هناك
اي ذكرني الله عز وجل وفي لفظ وسماني قال نعم . ومن سمى السعادة قال العلماء
البكاء على عشرة انواع . بكاء فرح وبكاء حزن لما فات . وبكاء رحمة وبكاء خوف لما يحصل
وبكاء كذب كبكاء النائحة فانها تبكي بشجو غيرها . وبكاء موافقة بان يبكي حين يرى جماعة
يبكون فيبكي مع عدم علمه بالسبب . وبكاء المحبة والشوق . وبكاء الجزع من حصول الم لا يحتمله
وبكاء الخور والضعف وبكاء النفاق وهو ان تدمع العين والقلب قاسي . والبكاء بالقصر
دمع العين من غير صوت والممدود ما كان معه صوت . واما التباكي فهو تكلف البكاء
وهو نوعان محمود ومذموم فالاول ما يكون لاستجلاب رقة القلب وهو المراد بقول
سيدنا عمر رضي الله عنه لما راى المصطفى صلى الله عليه وسلم وابا بكر يبكيان في شان اسارى
بدر اخبرني ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت ومنه ما بكى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لك والثاني ما يكون لاجل الرياء والسمعة . قال ابو بكر
رضي الله عنه بابي انت يا رسول الله خذ احدى راحلتي هاتين فاني اعددتهما للخروج قال رسول الله
صلى الله

صلى الله عليه وسلم بل بالثمن اي لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله اي والا
فقد انفق ابو بكر رضي الله عنه اكثر ماله عليه صلى الله عليه وسلم اي فعن عائشة رضي الله عنها
انفق ابو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف درهم وفي لفظ دينار ومن ثم قال
صلى الله عليه وسلم ليس من احد امن علي في اهله وماله من ابي بكر . وفي رواية ما احد امن علي
في صحبته وذات يده من ابي بكر وما نفعني مال ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر وقال هل انا
ومالي الا لك يا رسول الله . وفي رواية ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا بكر
فان له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة . اقول ولا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم
اخذ احدى ناقتي ابي بكر بالثمن ما رواه ابان ابن ابي عياش احد التابعين عن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ما اطيب مالك
منه بلال مؤذني وناقتي التي هاجرت عليها وزوجتني ابنتك وواسيتني بمالك كاني
انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتي لان ابان بن ابي عياش معدود من الضعفاء وقد
قال شعبة لان اشرب من بول حمار حتى اروى احب الي من ان اقول حدث ابان بن ابي
عياش وقال فيه مرة اخرى لان يزني الرجل خير من ان يروي عن ابان وقد طلب
من شعبة ان يكف عن ابان هذا فقال الامر دين وهذا يكذب على رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وضعفه ابن حبان بانه كان يروي عن انس وابان يجالس
الحسن البصري فكان يسمع كلامه فاذا حدث ربما جعل كلام الحسن عن انس مرفوعا
وهو لا يعلم ولا تقدير صحته ما قال لا منافاة ايضا لانها كانت من مال ابي بكر فتبدل
ان يأخذها صلى الله عليه وسلم بثمنها على ان في الترمذي ما يوافق ما رواه ابان
فعنه عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار واعتق بلالا من ماله
قال وهذا حديث غريب والله اعلم . وكان الثمن عن تلك الناقة التي هي
القصوى وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم وماتت في خلافة ابي بكر رضي الله
عنه او الجدعاء اربعمائة درهم اي لما علمت ان الناقتين اشتراهما ابو بكر بثمانمائة
درهم واما ناقة العضباء فقد جاء ان بنته فاطمة رضي الله عنها تحشر عليها . قالت
عائشة رضي الله عنها فجهزناهما احث الجهاز اي اسرعه والجهاز ما يحتاج اليه فصنع
لهما ما يحتاجان اليه في السفر ووضعنا لهما سفرة في جراب اي زادا في جراب لان
السفرة في الاصل الزاد الذي يصنع للمسافر ثم استعمل في وعاء الزاد وكان فيها سفرة
شاة مطبوخة فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب اي
وابقت الاخرى اي نطاقا لها وهو يوافق ما في صحيح مسلم عن اسماء رضي الله تعالى عنها

وتسمى النطاق

انها قالت للحجاج بلغني انك تقول اي لولدها عبد الله بن الزبير تعييره يا ابن ذات النطاقين
اجل والله انا ذات النطاقين اما احدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وطعام ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه واما الآخر فنطاق المراة اي الذي
لا تستغني عنه اي عند اشتغالها لان النطاق ما تشد به المراة وسطها ليلا تعثر
في ذيلها اي على ثوب يلقى اعلاه على اسفله ● وقيل النطاق ازار فيه تكة ومن
ثم جاء في بعض الروايات ذات النطاق اي وكلاهما صحيح لكن في لفظ فقطعت نطاقها
قطعتين فاوكت بقطعة منه فم الجراب وشدت فم القربة بالباقي اي فلم يبق لها
شيء منه ● ويوافقه ما في البخاري عن اسماء لم نجد لسفرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي لمحلها الذي هو الجراب ولا لسقايه الذي هو القربة ما نربطهما به فقلت
لابي بكر والله ما اجد شيئا اربط به الا نطاقي قال فشقيه اثنين واربطي بواحد
السقا الذي هو القربة وبالآخر السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين اي
سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها ابدلك الله بنطاقك هذا نطاقين
في الجنة ● وفيه ان الرواية الاولى التي عن عائشة والرواية الثانية التي عن
اسماء وافقتا مسلم لم يذكر السقا ● وفي رواية البخاري ذكر السقا واسقاط الجراب
لكن ذكر بدل الجراب السفرة وقد يقال المراد بربط السفرة ربط محلها الذي
هو الجراب كما اشرنا اليه ● قال بعضهم وما تقدم عن مسلم ينبغي ان يكون اقرب الى
الضبط لان اسماء كانت في اخريهما مخبرة عن نفسها اي فلم تربط الا الجراب
باحد شقي النطاق وابقت لها الآخر وقد يقال الحمل يبقى في محله لما في رواية
البخاري وحينئذ يجمع بانه يجوز انها شقت النطاق نصفين فقطعت احدهما
قطعتين شدت باحداهما الجراب وبالاخرى السقا فهي ذات النطاقين الذي
ابقته والذي فعلت به ما ذكر ● وفي السيرة الشامية ان اسماء بنت ابي بكر جاءت
اليهما لما نزلا من الغار بسفرتهما ونسيت ان تجعل لها عصاما فذهبت تعلق السفرة
فاذا ليس لها عصام فشقت نطاقها فجعلته عصاما فعلقتها به وانتطقت بالآخر
اي وهذا يدل على ان المراد بقول عائشة فجهزناهما احث الجهاز اي عند خروجهما
من الغار لا عند ذهابهما الى الغار كما قد يتبادر من السياق ثم على المتبادر جرى ابن
الجوزي حيث قال اسماء بنت ابي بكر اسلمت بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة
خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحدا لسفرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والآخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين هذا كلامه وقد يقال لا مانع
من تعدد ذلك وكون النطاق ما تشد به المراة وسطها ليلا تعثر في ذيلها يخالفه

قول

قول بعضهم النطاق هو ثوب تلبسه المراة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الاعلى على الاسفل وهذا يوافق ●
القيل المتقدم ولعله الملافين ويوافق الثاني ما قيل اول من فعله هاجر ام اسمعيل اتخذته
لتخفي اثر مشيها على سارة ولعله عند خروجها لما امره الله عز وجل باخراجها مع ابراهيم بابنها
الى مكة قبل ان تركب مع ابراهيم على البراق ● ثم استاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر رجلا من بني الديل اي وهو عبد الله بن الاريقط ويقال ابن ارقط او ارقد اسم امه
فاريقط مصغرها ليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش اي ثم اسلم بعد ذلك وقيل لم
يعرف له اسلام ● وفي النور منها وجدنا من طريق صحيح انه اسلم بعد ذلك فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه
على جبل ثور بعد ثلاث ليال وقيل الجبل بذلك لانه على صورة الثور الذي يحرث عليه ويساق
السياق يدل على ان استيجار عبد الله المذكور كان قبل التجهيز ● قالت عائشة رضي الله تعالى عنها
ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور اي ليلا كما تقدم ● وعن ابن سعد لما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته الى بيت ابي بكر رضي الله عنه فكان فيه الى الليل ثم خرج هو وابو
بكر فمضيا الى الغار غار ثور فدخلاه اي وكان خروجهما من خوخة في ظهر بيت ابي بكر ● وعن عائشة بنت قدامة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد خرجت من الخوخة متنكرا فكان اول من لقيني
ابو جهل لعنه الله فاعمى الله عز وجل بصره عني وعن ابي بكر حتى مضينا ● وفي كلام سبط ابن
الجوزي وعن وهب بن منبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج الى الغار من بيت ابي بكر ●
فخرج من خوخة في ظهر الدار والاصح انما كان خروجه من بيت نفسه وجعل ابو بكر رضي الله تعالى عنه
مرة امام النبي صلى الله عليه وسلم ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب
فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك ● اقول في الدر المنثور فمشى صلى الله
عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه ليلا يظهر اثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه فلما رآهما ابو بكر
قد حفيتا حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله وفي لفظ لم يحتف رسول الله صلى الله
عليه وسلم الغار حتى قطرتا دما ● وفي كلام السهيلي عن ابي بكر رضي الله عنه قال نظرت
الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما ● قال بعضهم ويشبه ان يكون ذلك
من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك او لعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة
ويدل عليه قوله فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته ● وفي لفظ فمشيا الى الغار مع الصبح
ولا يحتمل ذلك مشي ليلته الا ببعد بعد ذلك او انه صلى الله عليه وسلم كما قيل ذهب الى جبل حتى
ناداه اهبط عني فاني اخاف ان تقتل على ظهري فيعذب فناداه جبل ثور الي يا رسول الله وسافه
في الاصل رواية تقتضي انه ذهب الى غار ثور راكبا ناقته الجدعاء ثم رأيته في النور اشار الى ان
ركوبه صلى الله عليه وسلم الجدعاء انما كان بعد خروجه من الغار لا انه ركبها من منزل ابي بكر ●

اي الغار كما هو ظاهر الرواية • وفي الخصائص الكبرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما تشاور نفر
المشركون في امر رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلع الله تعالى نبيه على ذلك فخرج تلك الليلة
حتى لحق الغار فلما اصبحوا اقتفوا اثره صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا الجبل الحديث اي
وهو مخالف لما تقدم من ان خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان في الليلة الثانية
لا في ليلة خروجه على قريش وقد يقال لا منافاة لان قوله حتى لحق بالغار غاية
لمطلق الخروج من بيته لا في خصوص تلك الليلة اي خرج من بيته واستمر على خروجه حتى
لحق بالغار ووجد في الليلة الثانية لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم جا الى بيت
ابي بكر متقنعا في وقت الظهيرة فليتامل • واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بخروجه
الى الهجرة وامره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودايع التي كانت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم للناس لانه لم يكن بمكة احد عنده شي يخشى عليه الا وضعه عنده صلى الله عليه
وسلم لما يعلمون من امانته اي ولعل اعلام علي بذلك كان عند توجهه صلى الله عليه
وسلم الى بيت ابي بكر لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم اجتمع بعلي رضي الله تعالى عنه
بعد ذلك الا في المدينة لكن سياتي انه اجتمع به بعد خروجه من الغار • وفي الفصول
المهمة انه صلى الله عليه وسلم وصى عليا رضي الله عنه بحفظ ذمته واداء امانته ظاهرا
على اعين الناس وامره ان يبتاع رواحل للفواطم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
وفاطمة بنت اسد ام علي رضي الله عنه وفاطمة بنت الزبير ابن عبد المطلب ولمن هاجر معه
من بني هاشم ومن ضعفاء المؤمنين وشرا علي رضي الله عنه الرواحل مخالف لما ياتي في
الا منه انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى علي حلة وارسل بنود تسميتها حمرا بين الفواطم
وهي فاطمة ابنة حمزة وفاطمة بنت عتبة وفاطمة ام علي وفاطمة ابنته صلى الله عليه
وسلم وارساله لتلك الحلة كان بعد وصوله الى المدينة فليتامل • قال في الفصول
المهمة وقال لعلي اذا ابرمت ما امرتك به كن على اهبة الهجرة الى الله ورسوله
وسر لقدوم كتابي عليك واذا جا ابو بكر فوجهه خلفي نحو بير ام ميمون وكان ذلك في
فحمة العشا والرصد من قريش قد احاطوا بالدار ينتظرون ان ينتصف الليل وينام الناس
ودخل ابو بكر على علي وهو يظنه اي وابو بكر يظن عليا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج نحو بير ام ميمون وهو يقول لك ادركني فلحقه ابو
بكر ومضيا جميعا يتناوبان حتى اتيا جبل ثور فدخلا الغار فليتامل مع الجمع بينه وبين ما تقدم
ولما انتهيا الى فم الغار قال ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى
ادخله قبلك فان كان فيه شي نزل بي قبلك فدخل رضي الله عنه فجعل يلتمس بيده كلما راي
جحرا قال بثوبه فشقه ثم القمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه فبقي جحر وكان فيه حية فوضع

عقبه

عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الحية التي في الجحر لما احست بعقب سيدنا ابي بكر
جعلت تلسعه وصارت دموعه تتحدر قال ابن كثير وفي هذا السياق غرابة ونكارة • وقد كان
صلى الله عليه وسلم وضع راسه في حجر ابي بكر ونام فسقطت دموع ابي بكر على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك ابي وامي فتفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على محل اللدغة فذهب ما يجده • قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك في عقبه
قال بعضهم في الشرف المختار فمن ثم لبس السادة المنقص على روسهم تعظيما للحية التي لدغت ابا بكر
في الغار اي لانهم يزعمون ان ذلك على صورة تلك الحية • ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لابي بكر اين ثوبك فاخبره الخبر زاد في رواية وانه راي على ابي بكر اثر الورم فسال عنه
فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتني قال كرهت ان اوقظك فمسحه
النبي صلى الله عليه وسلم فذهب ما به من الورم والالم اي ويحتاج الى الجمع بين هاتين
الروايتين على تقدير صحتهما وحيث اخبره ابو بكر بذلك رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديه وقال اللهم اجعل ابا بكر معي في درجتي في الجنة فاوحى الله تعالى اليه قد استجاب الله
لك • وذكر انه لما صار يسد كل جحر وجده اصاب يده ما ادماها فصار يمسح الدم عن اصبعه
وهو يقول • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • ويقال ان هذا البيت
من كلام ابن رواحة وقيل من كلامه صلى الله عليه وسلم وانه يجوز ان يكون ابن رواحة ضمن
ذلك البيت لابياته • ومما يؤيد ان ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ما ذكره سبط ابن
الجوزي ان ابا بكر لما لحقه صلى الله عليه وسلم في اثنا الطريق ظنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الكفار فاسرع في المشي فانقطع قبال نعله ففلق ابهامه حجر فسال الدم
فرفع ابو بكر صوته يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه • ومما يصرح بذلك ما رواه ابن
عن جندب البجلي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار فنكبت اصبعه فذكر البيت
المذكور واراد بالغار غارا لا ان المراد به هذا الغار كما توهم • وجاء في الصحيحين عن
جندب بن عبد الله بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فدميت
اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت • اي ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو
بكر الغار امر الله تعالى شجرة اي وهي التي يقال لها العشار اي وقيل ام غيلان فـ
فنبتت في وجه الغار فسترته بفروعها اي ويقال انه صلى الله عليه وسلم دعا بتلك
الشجرة وكانت امام الغار فاقبلت حتى وقفت على باب الغار وانها كانت مثل قامة
الانسان وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها اي نسجا متراكبا بعضه على بعض
اي كنسج اربع سنين كما قاله بعضهم • وقد نسج العنكبوت ايضا على عبد الله بن انيس رضي الله
عنه لما قتل سفيان بن خالد وقطع راسه واخذها ودخل في غار في الجبل وكمن فيه حتى

ونسج العنكبوت

انقطع نسله الطالب كما سياتي • ونسج ايضا على النبي داود لما طلبه طالوت • ونسج ايضا
على عورة سيدنا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم وهو اخو
الامام محمد الباقر وعم الامام جعفر الصادق وهو الذي ينسب اليه الزيدية كان اماما
مجتهدا وكان ممن اخذ عن واصل بن عطا الاخذ عن الحسن البصري ولما ابتدع عطا المعتزلة
بين المنزلتين امر الحسن البصري باعتزاله مجلسه فقيل له معتزلي وما زينا الا لاصحابه
معتزلة ولا يلزم من كون شيخ سيدنا زيد معتزليا ان يسلك سيدنا زيد مسلكه
وصلب سيدنا زيد عريانا واقام مصلوبا اربع سنين وقيل خمس سنين فلم تر له عورة
وقيل ان بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع من وجود الامرين وكان قد
صلب ووجهه الى غير القبلة فدارت خشبته التي صلب عليها الى ان صار وجهه الى القبلة
اي وقد وقع لخبيب نحو ذلك كما سياتي ثم احرقوا خشبة زيد وجسده وذري رماده
في الرياح على شاطئ الفرات فانه خرج على هشام بن عبد الملك وقد دعت نفسه
للخلافة فقاتله يوسف بن عمر الثقفي امير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك
فانهزم اصحاب زيد عنه بعد ان حضر له وانصرف عنه اكثرهم فقيل بايعه ناس كثيرون
من اهل الكوفة وطلبوا منه ان يتبرا من الشيخين ابي بكر وعمر ليتبعوه فقال كلا بل
اتولاهما فقالوا اذا نرفضك فقال اذهبوا فانتم الرافضة فسموا بذلك من
حينئذ رافضة وجاءت اليه طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونتبرا ممن يتبرا منهما فقبلهم وقاتلوا
معه فسموا الزيدية • اقول والعجب ممن يتمذهب بمذهب زيد ويتبرا من الشيخين
ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما • وعندما بلغه انما به جراحات واصابه
سهم في جبهته وحال الليل بين الفريقين فطلبوا حجاما من بعض القرى لينزع له النصل
فاستخرجه فمات من ساعته واخفوا قبره واجروا عليه الماء واستكتموا الحجام ذلك
فلما اصبح الحجام سعى الى يوسف بن عمر متنصحا واخبره ودله على موضع قبره فاستخرجه
وبعث براسه الى هشام فكتب اليه هشام ان اصلبه عريانا فصلبه كذلك • وكان
ان هشام بن عبد الملك قال يوما لزيد بلغني انك تريد الخلافة ولا تصلح لها لانك
ابن امة فقال قد كان اسماعيل بن امة واسحاق بن حرة فاخرج الله
تعالى من صلبه خير ولد ادم فقال له هشام قم فقال اذن لا تراني الا حيث تكره ورجز

• لا تطمعوا ان تهينونا ونكرمكم • وان نكف الاذى عنكم وتؤذونا •

فقتل وكان زيد هذا دفن تحت القبة عند مسجد بناه له سيدنا زين العابدين بن الحسين • وكذلك زعم فيما قاله
الشيخ الشعراوي نفعنا الله تعالى ببركاته وليس كذلك بل هو محل زيد بن زين العابدين كما ذكره المقريزي
في الخطط وبناه لزيد لا الازدياد • وذكر في حياة الحيوان ان نسج العنكبوت يخرج من خارج

جلدها لا من جوفها • وعن علي رضي الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيوت يورث
الفقر • وامر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار اي ويروى انهما باضتا اي وفرختا
كما قاله بعضهم • واستاجر المشركون رجلا يقال له علقمة بن كرز رضي الله تعالى عنه فانه اسلم
يوم الفتح ليقفو لهم اثر النبي صلى الله عليه وسلم فقفا لهم الاثر حتى انتهى الى الغار اي فقعد
وبال في اصل الشجرة ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا ادري اخذ يمينا ام شمالا ام صعد الجبل
وفي رواية قال لهم القايف هذا القدم قدم ابن ابي قحافة وهذا القدم الاخر لا اعرفه الا
انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شيء • فلما
وصل الى الغار قال الى هنا انتهى الاثر وتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر ضع قدمك
موضع قدمي فان الرمل لا ينم وتقدم ما في ذلك اي لان المشركين لما فقدوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم شق عليهم ذلك وخافوا ذلك وطلبوه بمكة اعلاها واسفلها وبعثوا القافة
اي الذين يقصون الاثر في كل وجه فقفوا الاثر فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره وقال
ما تقدم • وانتدب فتيان من قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم اي ولما اقبلوا اشفق صلى
الله عليه وسلم على صهيب وخاف عليه وقال واصهيباه ولا صهيب لي اي لانه نوى عند
همهما ان يكون ثالثهما فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للغار ارسل له ابو
بكر مرتين او ثلاثا فوجده يصلي فقال يا رسول الله وجدته يصلي فكرهت ان
اقطع عليه صلاته فقال اصبت • وتقدمت الحوالة على هذا فلما كان فتيان قريش على
اربعين ذراعا من الغار تعجل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين اي ونسج العنكبوت
فقال ليس فيه احد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف ان الله عز وجل قد درا عنه اي
دفع عنه • وفي رواية فلما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال امية بن خلف
وما اربكم اي حاجتكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد اي صلى الله عليه وسلم ولو دخل
الغار لتفسخ ذلك العنكبوت وتكسر البيض وهذا البيض لم يكن فرخ اي ويحتمل ان بعضه
فرخ وبعضه لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار فقال ابو بكر يا رسول الله انهم يرونا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر لو كانوا يرونا ما استقبلونا هذا او في لفظ لو رانا ما تكشف
عن فرجه اي وما استقبلنا بفرجه ويبول وقال ابو جهل اما والله اني لاحسبه قريبا يرانا
ولكن بعض سحره قد اخذ على ابصارنا فانصرفوا • وذكر ابن كثير ان بعض اهل السير ذكر ان ابا
بكر رضي الله عنه لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت
قدميه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لو جاءونا من هاهنا لذهبنا من هاهنا فنظر الصديق
الى الغار قد انفرج من الجانب الاخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه
قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة الالهية ولكن لم يرد ذلك باسناد قوي

ولا صغير ولما انبت شيئا من تلقاء انفسنا . ونهى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت
وقال انها جند من جند الله تعالى انتهى . وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لا ازال احب
العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم احبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا
خيرا فانها نسجت علي وعليك يا ابا بكر الا ان البيوت تطهر من نسجها اي ينبغي ذلك كما تقدم
ان وجود نسجها في البيوت يورث الفقر . وفي الجامع الصغير جزى الله العنكبوت عنا خيرا
فانها نسجت على الغار . انفرد فيه انه في الحديث العنكبوت شيطان فاقتلوه وفي لفظ العنكبوت
شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح وثبت تأخره فانه ناسخ له وان كان متقدما على
ما هنا وقد صح ما هنا فهو منسوخ به والله اعلم . وبارك صلى الله عليه وسلم على الحمام مثل
ايد فرض جزاء الحمام واتخذتا في الحرم فافرختا كل شئ في الحرم من الحمام اي ولاجل ذلك
ذهب العلماء من ائمتنا الصحابة الى فيه على حمام مكة دون غيره من الطيور وهو الراجح . ونظر
في الامتناع في كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج فانه روي في قصة نوح عليه الصلاة
والسلام انه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض فوقعت بوادي الحرم فاذا الماء
نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمرا فاختضبت رجلاها ثم جاءت فمسح عنقها وطوقها طوقا
ووهب لها الحمرة في رجليها واسكنها الحرم ودعى لها بالبركة . وفي شعر مضاض الذي اوله

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا . انيس ولم يسمر بمكة سامر .
وتبكي لبيت ليس يؤذي حمامه . تظل به امنا وفيه العصافر .

ففي هذا ان الحمام قد كانت من عهد جرهم اي ونوح في الحرم . وذكر بعضهم ان حمام مكة اظلته
صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة . ويروى ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه
لما رأى قريشا اقبلت نحو الغار حزن وبكى فقيل له في ذلك اي وبكاء انه لما سمع الناس
يقول لعذبني والله ما جاز طلبكم من هذا الغار حزن وبكى وقال والله ما على نفسي
ابكي ولكن مخافة ان ارى فيك ما اكره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن
ان الله معنا وانزل الله سكينته على ابي بكر رضي الله عنه اي وانزل عليه الامنة التي
تسكن عندها القلوب . وفي مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما قيل فقال له لا تحزن
ولم يقل له لا تخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه عن خوفه على نفسه
وهذا النهي تأنيس وتبشير له كما في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم ويرد ما زعمه الرافضة
ان ذلك غض من ابي بكر وذم له لان حزنه رضي الله عنه ان كان طاعة فالنبي صلى الله
عليه وسلم لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا انه معصية . وفي رواية عن ابي بكر رضي الله
عنه قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار لو ان احدهم نظر الى قدميه
لابصرنا تحت قدميه اي لانهم علوا على رؤوسنا فمن ابي بكر قال فنظرنا الى اقدام المشركين

ونحن

ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه
فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال بعضهم كان منهما وثالثهما بالحفظ والمعية ما ثبت
بالحفظ فكان يقال يا رسول الله ويقال لابي بكر يا خليفة رسول الله واما بالمعية فكان
معنا جالهما بالنصر والهداية والارشاد والظهير في ايده بجنود لم تروها راجع للنبي صلى الله
عليه وسلم وتلك الجنود ملائكة انزلهم الله تعالى عليه في الغار يبشرونه صلى الله عليه وسلم
بالنصر . وروي ان ابا بكر رضي الله عنه عطش في الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذهب الى صدر الغار فاشرب فانطلق ابو بكر الى صدر الغار فوجد ماء احلى من الشهد
وابيض من اللبن وازكى رائحة من المسك فشرب منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله امر الملك الموكل بانهار الجنة ان يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار
لتشرب فقال ابو بكر يا رسول الله ولي عند الله هذه المنزلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
نعم وافضل والذي بعثني بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان له عمل سبعين نبيا .
وذكر بعضهم قال كنت جالسا عند ابي بكر رضي الله عنه فقال من كان له عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم عدة فليقم فقام رجل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني
ثلاث حثيات من تمر فقال ارسلوا الى علي فجاء فقال يا ابا الحسن ان هذا يزعم كذا وكذا
فاحث له فحثا ثلاثا فقال ابو بكر عدوها فعدوها فوجدوا كل حثية ستين تمرة لا تزيد
ولا تنقص فقال ابو بكر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ليلة الهجرة في الغار
كفي وكف علي في العدد سواء . ذكر الذهبي انه خبر موضوع وقد يقول الصديق صدق الله
ورسوله علة لاخباره عليه على نفسه في ان يحثوا الا ان ذلك علمت لكون كل حثية جاءت
ستين حبة . اي ولما ايست قريش منهما ارسلوا لاهل السواحل ان من اسر او قتل احدهما
كان له مائة ناقة اي وينادي ان ابا جهل امر مناديا ينادي في اعلى مكة واسفلها من جاء بمحمد او دل عليه
فله مائة بعير . والى قصة الغار اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

اخرجوه منها وآواه غار . وحمته حمامة ورقاء . وكفته بنسجها عنكبوت .
ما كفته الحمامة الحصداء . واختفى منهم على قرب مرآه . ومن شدة الظهور الخفاء .

اي كان ثوابها لاخراجه من تلك الارض التي هي مولده صلى الله عليه وسلم ومرباه ووطنه ووطن آبائه
بسبب ما نفعهم من ابن ابيه وابن امه اصحابه حقروا ما عندهم . وآواه غار حمته فيه حمامة في لونها
بياض وسواد وكفته اعداءه عنكبوت بنسجها الذي كفته اياه الحمامة الكثيرة الوحش تلك الحمامة
كانت ورقا حصداء واستتر منهم مع قرب محل مرآه وحكمة خفائه عنهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم
الى ما تحت قدميه شدة ظهوره عليهم بالعظمة والخوف الا لهيبة . ومكث في الغار ثلاث ليال يبيت عندهما
عبد الله بن ابي بكر وهو غلام وهو يعرف ما يقال فيهما حتى يختلط الظلام ويدلج من عندهما فيصبح

مع قريش كانت في بيته فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه ويخبرهما به وعامر ابن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله
عنهما كان مملوكا للطفيل فاسلم وهو مملوك وكان ممن يعذب في الله عز وجل فاشتراه ابو بكر
من الطفيل واعتقه كما تقدم فكان يروح عليهما بمنحة غنم اي قطعة من غنم ابي بكر فكان يرعاها
حين تذهب ساعة من العشا ويغدوا بها عليهما ثم يبيتان اي اذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر
ابن فهيرة اثره بالغنم حتى يعفي اثره فتعفيه يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث
اي وذلك بارشاد من ابي بكر رضي الله تعالى عنه • وفي السيرة الشامية وامر ابو بكر ابنه عبد الله
رضي الله عنه يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم ياتيهما اذا امسى بما يكون في ذلك اليوم من
الخبر وامر عامر ابن فهيرة ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا امسى في الغار • وكانت
اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما تاتيهما اذا امست بما يصلحهما من الطعام • اقول وفي الدرر
عن عايشة رضي الله عنها ما كان احد يعلم مكان ذلك الغار الا عبد الله بن ابي بكر واسما
بنت ابي بكر فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن فهيرة فانه كان اذا سرح غنمه مر بهما فحلب
لهما • وفي الصفوة المهذبة واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام يختلف لهما
في الغار وقريش لا يدرون اين هو واسما بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنهما تاتيهما ليلا
بطعامهما وشرابهما فلما كان بعد الثلاث امرها صلى الله عليه وسلم ان تاتي عليا وتخبره
بموضعهما وتقول له يبتاع جزلهما دليلا ويا تي معه بثلاث من الابل بعد مضي ساعة من الليل
الاتية اي وهي الليلة الرابعة فجاءت اسما الى علي كرم الله وجهه فاخبرته بذلك فاستاجر
لهما رجلا يقال له الاريقط بن عبد الله الليثي وارسل معه ثلاثا من الابل فجاء بهن الى
اسفل الجبل ليلا فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رغا الابل نزل من الغار هو وابو بكر فعرفاه
اي والذي في البخاري فاتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا اي وتقدم ان
المستاجر للدليل النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وقد يجمع بان المراد باستئجار علي رضي الله
عنه اعطاوه الاجرة وكونه استاجر لهما ثلاثة رواحل فيه ان فيه ما يعلم منه نظر ظاهر • اقول
وركب النبي صلى الله عليه وسلم وركب ابو بكر وركبا الدليل • وفي الدر المنثور فمكث هو صلى
الله عليه وسلم وابو بكر في الغار ثلاثة ايام يختلف اليهما بالطعام عامر ابن فهيرة وعلي
يجهزهما فاشترى ثلاثة اباعر واستاجر لهما دليلا فلما كان في بعض الليل من الليلة الثالثة
اتاهم علي بالابل والدليل فركبا ما ذكر مع ما قبله • وفي حديث مرسل مكثت مع صاحبي في
الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا تمر البرير اي الاراك • وتقدم في باب رعيته الغنم
ان تمر الاراك الكباث والذي ينبغي ان يقال ان هذا موضوع فقط • قال ابو
عمر بن عبد البر وهذا اي القول بانهما مكثا في الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند اهل العلم
بالحديث قال الحافظ ابن حجر والمراد كما قال الحاكم انهما مكثا مختفيين من المشركين في الغار

وفي

وفي الطريق بضعة عشر يوما ... الا الاثري الا اقتصار بعض الرواة والله اعلم • قال وعن اسما بنت
ابي بكر رضي الله تعالى عنهما ... ابا بكر ارسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة الاف درهم
او اربعة الاف وكان ... الف درهم وفي لفظ اربعين الف دينار ويوافقه ذلك ما جاء عن انس رضي
... بعين الف دينار فحمل ابنه ذلك في الغار • قالت
... اسلم بعد وكان قد ذهب بصره فقال والله اني
... يا ابت انه قد ترك لنا خيرا كثيرا قالت فاخذت
... في بيتي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم اخذت
... ضع يدك عليه فقال لا باس ان كان ترك لكم هذا
... اردت ان اسكت بذلك الشيخ انتهى اي • ولما بلغ
... انه بها فقال لا عذر في مقامي بمكة فامرا هله
... والله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
... وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت في خالد
... الى الحبشة في المرة الثانية فاني من بنس
... سلم قال حسان رضي الله عنه هل قلت في
... رضي الله عنه شعر •
... اذ صاعد الجبلا •
... ولم يعدل به رجلا •
... بت تواجنه اي وفي لفظ ثم ما لعدو قت
... اي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل
... هذين البيتين انهما ابيات ربي مما هن
... ويقال لا مانع ان يكون ادخلهما حسان في
... ابي بكر رضي الله عنه قال يا عتابكم يعزا د
... لصاحبه لا تحزن بكى وقال انا والله صاحبه
... رسول الله صلى الله عليه وسلم انت امام ابي بكر
... منك في الدنيا والاخرة هو الذي شعره بين
... والمرسلين افضل من ابي بكر • وعن عبد الله
... الله عليه وسلم يقول اتاني جبريل فقال ان الله
... ابكر واحب حلا امني والله تعالى اعلم •
الهجرة الى المدينة لا يخفى انه

دون الطريق بضعة عشر يوما وذكروا انهما لاي الا فتقار عليك من بعض الرواة والله اعلم . قال وعن اسماء بنت
ابي بكر رضي الله تعالى عنهما ان ابا بكر ارسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة الاف درهم
او اربعة الاف وكان جميع ماله اربعين الف درهم وفي لفظ اربعين الف دينار وينبغي ذلك ما جاء عن انس رضي
الله عنه انفق ابو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الف دينار فحمل اليه ذلك في الغار . قالت
اسماء فدخل علينا جدي ابو قحافة رضي الله عنه فانه اسلم بعد وكان قد ذهب بصره فقال والله اني
لاراه يعني ابا بكر قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت كلا يا ابت انه ترك لنا خيرا كثيرا قالت فاخذت
احجارا فوضعتها في كوة اي طاقة في البيت كان ابي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم اخذت
بيده فقلت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا بأس ان كان ترك لكم هذا ا
في هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكن اردت ان اسكت قلب الشيخ انتهى اي . ولما بلغ
ضمرة ابن جندب خروجه صلى الله عليه وسلم وكان مريضا فقال لا عذر لي في مقامي بمكة فامر اهله
فحملوه فلما وصل الى التنعيم مات به فانزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت في خالد
ابن حزام ابن خويلد بن اسد اسلم قديما وهاجر الى الحبشة في المرة الثانية فانه نهشته
حية قبل ان يصل . وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله عنه هل قلت في
ابي بكر شيئا قال نعم قال قل وانا اسمع فقال رضي الله عنه شعر .

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد . طاف العدو به اذ صاعد الجبلا .
وكان حب رسول الله قد علموا . من البرية لم يعدل به رجلا .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه اي وفي لفظ تبسم ثم قال صدقت
يا حسان هو كما قلت انه احب البرية اليه اي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل
به غيره . اقول في ينبوع الحياة والذي اعرف هذين البيتين انهما من ابيات رثى بهما حسان
ابا بكر رضي الله تعالى عنهما هذا كلامه . وقد يقال لا مانع ان يكون ادخلهما حسان في
مرثيته لابي بكر بعد ذلك والله اعلم . وعن ابي بكر رضي الله عنه قال لي ايكم يقرأ
سورة التوبة قال رجل انا فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى وقال انا والله صاحبه
وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم امشي امام ابي بكر
فقال يا ابا الدرداء اتمشي امام من هو خير منك في الدنيا والآخرة والذي نفس محمد بيده
ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر . وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتاني جبريل فقال ان الله
يأمرك ان تستشير ابا بكر . وعنه حب ابي بكر واجب على امتي والله تعالى اعلم .

باب الهجرة الى المدينة لا يخفى انه

مع قريش كانت في بيته فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه ... هير وعامر ابن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله
عنهما كان مملوكا للطفيل فاسلم وهو مملوك وكان مم ... ب في الله عز وجل فاشتراه ابو بكر
من الطفيل فاعتقه كما تقدم فكان يروح عليهما بمنحة ... اي قطعة من غنم ابي بكر فكان يرعاها
حين تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما ثم
ابن فهيرة اثره بالغنم حتى يعفي اثره فتعميه
اي وذلك بارشاد من ابي بكر رضي الله تعالى عنه . وفي
رضي الله عنه يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم
الخبر وامر عامر ابن فهيرة ان يرعى غنمه نهاره
اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما تاتيهما اذا امست
عن عائشة رضي الله عنها ما كان احد يعلم مكان
بنت ابي بكر فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن
لهما . وفي الصفوة المهمة والغام رسول الله
في الغار وقريش لا يدرون اين هو واسماء بنت
بطعامهما وشرابهما فلما كان بعد الثلاث امر
موضعهما ويشتري له بعيرا جز لهما ذلول وبانا
الليلة اي وهي الليلة الرابعة فجاءت اسماء الى
لهما راحلتان لما الا ربيعة بن عبد الله الليث
اسعد الجمل ليلة فلما سمع النبي صلى الله عليه و
اي والذي في البخاري فاتاهما براحلتيهما
المستاجر للدليل النبي صلى الله عليه وسلم وا
عند المطاوعة الا حزن وكونه استأجر لهما
وركب النبي صلى الله عليه وسلم وركب ابو بكر
الله عليه وسلم وابو بكر في الغار ثلاثة ايام
جمزها فاشتراه اباعز واستاجر لهما
اناخ على بالابل والدليل
الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا تمر البرير
ان تمر الاراك النضيح الكتاب
عبد البر وهذا اي القول بانهما مكثا في ال
بالحديث قال الحافظ ابن حجر والمراد

لما كان صبيحة الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل الذي هو الرجل الدؤلي
براحلتيهما فركبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة اي رديفا لابي بكر يخدمهما اي وفي البخاري ان ابا
بكر كان رديفا له صلى الله عليه وسلم ولا مخالفة لما ياتي • ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما خرج
من الغار وركب اخذ ابو بكر بغرزه اي بركابه والغرز بفتح معجمة فسكون مهملة ثم زاي
ركاب الابل خاصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ابشرك قال بلى فداك ابي وامي
قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق عامة ويتجلى لك خاصة • قال الخطيب هذا الحديث
لا اصل له قال الذهبي لا تحل روايته • ودعا صلى الله عليه وسلم بدعا فيه اللهم اصحبني
في سفري واخلفني في اهلي واخذ بهم الدليل على طريق السواحل وصار ابو بكر اذا سال
سايل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الذي معك اي وفي رواية من هذا الذي
بين يديك وفي رواية من هذا الغلام بين يديك اي يمشي امامك لانه كان رديفا له صلى
الله عليه وسلم يقول هذا الرجل يهديني الطريق يعني طريق الخير اي لانه صلى الله
عليه وسلم قال لابي بكر اله الناس اي اشغلهم عني اي تكفل عني بالجواب لمن •
سال عني فانه لا ينبغي لنبي ان يكذب اي ولو صورة كالتورية فكان ابو بكر يقول
لمن سأله عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكر وانما تولى ابو بكر عن نفسه لان ابا
بكر كان معروفا لهم لانه كان يكثر المرور عليهم في التجارة للشام اي معروفا لهم •
فلا ينافي ما في بعض الروايات انه كان اذا سئل من انت يقول باغ اي طالب حاجة
وعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينبغي لهم الكذب ولو صورة ومن ذلك
التورية لكن سياتي في غزوة بدر وقوع التورية منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية
ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ابي بكر ناقته • وفي التمهيد لابن عبد البر
انه لما اتي براحلة ابي بكر سال ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يركب ويردفه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انت اركب واردف قلت انا فان الرجل احق بصدر
دابته فكان اذا قيل له من هذا وراءك قال هذا يهديني السبيل • اقول لا مخالفة بين
هذا وبين ما تقدم لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم ركب تارة خلف ابي بكر على
ناقة ابي بكر وتارة ركب صلى الله عليه وسلم على ناقته نفسه امامه وان ركوبه لها كان
في اثناء الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما اركب راحلته عامر بن فهيرة او ترك
ركوبها لاجل ان اخذها والهداية كما تكون من المتقدم تكون من المتاخر وان كان الاول
هو الغالب والله اعلم والى توجهه صلى الله عليه وسلم الى المدينة اشار صاحب الهمزية بقوله
• ويحي نحو المدينة واشتاقت • اليه من مكة الانحاء •
اي وقصد صلى الله عليه وسلم المدينة واشتاقت اليه الجهات والنواحي من مكة وقد جا

الله

ومن قول اهل

الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة الى المدينة مهاجرا وبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فانزل
الله تعالى عليه ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اي الى مكة واهل الرجعة
يقولون الى الدنيا اي من يقول بان النبي صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى
وقد اظهرها عبد الله بن سبا كان يهوديا ثم اسلم يقال له ابن السودا ومن ثم كان يقال له ابن
السودا اظهر الاسلام في خلافة عمر رضي الله عنه وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنه
وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام فكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى
الدنيا ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجعة من عيسى عليهما الصلاة والسلام وتقدم ذلك
في اثنا الكلام على بدء الوحي • وكانت قريش كما تقدم ارسلت لاهل السواحل ان من قتل

خبر سراقة

او اسر ابا بكر او محمدا صلى الله عليه وسلم كان له مائة ناقة اي من قتلهما او اسرهما كان له مائتان
قال سراقة فجاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتله او اسره دية فبينا انا جالس في مجلس
من مجالس قومي بني مدلج اي بقديد وهو محل قريب من رابغ اقبل رجل منهم حتى وقف علينا
ونحن جلوس فقال يا سراقة اني رايت اسودة اي اشخاصا بالسواحل اراها محمدا واصحابه
قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا
باعيننا اي بمرأى منا يطلبون ضالة لهم اي وفي لفظ قال رايت ركبة اي بالتحريك جمع
راكب ثلاثة مروا علي انفا اي قريبا اني لاراهم محمدا واصحابه قال سراقة فاومات اليه
ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت اي
الى بيتي فامرت جاريتي ان تخرج فرسي خفية اي الى بطن الوادي • اي وتحبسها علي واخذت
رمحي وخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه في الارض والزج الحديدة التي تكون
في اسفل الرمح وخفضت عاليه اي مسكت باعلاه • وجعلت استقل في الارض لئلا يراه
احد وانما فعل ذلك كله ليفوز بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه احد من قومه
بخروجه معه لقتلهما او اسرهما زاد في رواية ثم انطلقت فلبست لامتي وجعلت اجر
الرمح مخافة ان يشركني اهل الماء فيهم فلما دنوت اتيت فرسي اي وكان يقال لها
العود والفرس لفظة تقع على الذكر والانثى قال في النور والمراد هنا الانثى لقوله
فركبتها ولقوله فرفعتها اي بالغت في اجرائها حتى دنوت منهم وفي لفظ فرفعتها
تقرب بي وجنيبة يكون الجري اسرع من السير بها لان التقريب دون العدو و
فوق العادة فعثرت بي فرسي اي هو وقت لمخرجهما كما في حديث اسماء بنت ابي بكر رضي
الله عنها زاد في رواية ثم قامت تحمحم فخررت عنها فقمت فاهويت الى كنانتي بيدي
فاستخرجت الازلام اي وهي عيدان السهام التي لا ريش لها ولا تركب فيها النصال

واستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره وهو عدم اضرارهم أي لا مكتوب عليهما افعل
ولا تفعل وبيان للاول الامر وبيان لذلك ثابت في الناجي فركبت فرسي وعصيت الازلام لا
تنقل فلا زالت تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت
وابو بكر يكثر الالتفات ساخت اي غابت يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين
فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها اي وكانت الارض صلبة
فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان اي غبار ساطع في السماء مثل الدخان
اي مع كون الارض صلبة فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان
اي وقلت انظروني لا اوذيكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه اي وفي رواية ناديت
القوم وقلت انا سراقة بن مالك انظروني اكلمكم انا لكم نافع غير ضار واني لا ادري
لعل الحي فزعوا لركوبي اي بلغهم ذلك وانا اراجع ادادهم عنكم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابي بكر قل له ماذا تبتغي فقلت اخبرتهم بما يريد الناس منهم
وفي رواية قال يا محمد ادع الله ان يطلق فرسي وارجع عنك وارد من ورائي
وفي رواية قال يا هذا ان ادعوا الى الله ربكما ولكما ان لا اعود فعند اي دعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانطلق الفرس وحينئذ يكون زجرها ونهوضها بعد الدعاء
فلا يخالف ما سبق. قال فركبت فرسي اي بعد نهوضها حتى جئتهم فقلت ان قومك
قد جعلوا فيك الدية اي مائة من الابل لمن قتلك او اسرك وهذا هو المراد بقوله في
الرواية السابقة فاخبرتهم بما يريد الناس منهم وكان مرادي ان ذلك كان في قوله
بهم عن ذكر ابي بكر. قال سراقة وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني وقالا اخف
عنا. اي وفي رواية عرضت عليهما الزاد والحملان ولعل الحملان هو المراد بالمتاع
اي لا بد جائزة قال لهما خذا هذا السهم من كنانتي وغنمي وابلي بمحل كذا وكذا فخذا
منهما ما شئتما فقال لا حاجة لنا اكفنا نفسك فقال كفيتكما. اه وفي رواية فقال له
صلى الله عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب في دين الاسلام فاني لا ارغب في ابلك
ومواشيك. وفي رواية عن ابي بكر رضي الله عنه قال لما ادركنا سراقة قلت يا رسول
الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا اي وفي نقل انه لما دنا
لدى الغار فلما كان بيننا وبينه قيد اي قدر رمح او رمحين او ثلاثة قلت يا رسول الله
هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكي قلت اما والله ما على نفسي ابكي ولكن
ابكي عليك فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت واما
شئت فساخت بفرسه في الارض الى بطنها وكانت الارض صلبة اي ولا يخالف ما سبق
انها بلغت الركبتين لجواز ان يكون ذلك في اول امرها ثم صارت الى بطنها وذلك في

في المرة الاولى فلا يخالف ما في الاقناع لما قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساخت يدا
فرسه في الارض الى بطنها فقال ادع لي يا محمد ان يخلصني الله تعالى ولك علي ان ارد عنك
الطلب فدعى فخلص فعاد فتبعهم فساخت قوائم فرسه في الارض اشد من الاولى فقال
يا محمد قد علمت ان هذا امر دعائك على الحديث اذ هو يدل على انها في المرة الاولى
وصلت الى بطنها وفي المرة الثانية وصلت الى ما هو زائد على ذلك وقد يدل لهما يأتي
عن الهمزية ولعل المراد انه دخل جزء من بطنها في الارض في المرة الثانية. وفي
لفظ فقال يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله ان ينجيني مما انا فيه فوالله لاعمين
على من ورائي من الطلب فدعى له فانطلق راجعا. وفي السيرة الهشامية ان
سراقة لما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام
وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فامرها بما شئت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ارض خذيه فاخذت الارض ارجل جواده الى الركب
فنادى سراقة فرسه فلم تتحرك فقال يا محمد الامان وحق العزى لئن نجيتني لاكونن
لك لا عليك فقال يا ارض اطلقيه فاطلقت جواده. وروي في بعض التفاسير
ان سراقة عاهد سبع مرات ثم نكث العهد وكلما نكث العهد تغوص قوائم فرسه
في الارض وهذا اي الاقتصار على غوص قوائم فرسه في الارض لا ينافي الزيادة
فيها فيما سبق وفي السابعة تاب توبة نصوحا. وفي الصفوة المهمة لما فشا
خبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك في اليوم الثاني من خروجه صلى الله
عليه وسلم من الغار جمع الناس ابو جهل وقال بلغني ان محمدا قد مضى نحو يثرب على
طريق الساحل ومعه رجلان آخران فايكم يأتيني بخبره فوثب سراقة فقال انا لمحمد
يا ابا الحكم ثم انه ركب راحلته واستجنب فرسه واخذ معه عبدا اسود كان ذلك
العبد من الشجعان المشهورين فسارا من اثر النبي صلى الله عليه وسلم سيرا عنيفا حتى لحقا
به فقال ابو بكر يا رسول الله قد دهينا هذا سراقة قد اقبل في طلبنا ومعه غلامه
الاسود المشهور فلما ابصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول رمحه واقبل
نحوهم فلما قرب منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا امر سراقة بما شئت وكيف
شئت فغابت قوائم فرسه في الارض حتى لم يقدر الفرس ان يتحرك فلما نظر سراقة
الى ذلك هاله ورمى نفسه عن الفرس الى الارض ورمى رمحه وقال يا محمد انت [illegible]
واصحابك اي انت كانت اي انت واصحابك فادع ربك يطلق لي جوادي ولك عهد
وميثاق ان ارجع عنك فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم ان كان

ما دنا منهما يقول فاطلق لي جوادي فادعا فاطلق الله قوائم فرسه حتى وثب عليها الا ومن
سلبها اي ولعل هذا في المرة الثانية اذ المرة الاولى خيفة من السيخ عليها تقدم وقد
تقدم ان الاقتصار على القوائم لا ينافي الزيادة فيحمل فيه على ما سبق اي
هذه الرواية ورجع سراقة الى مكة فاجتمع الناس عليه فانكروا ذلك اي امر محمد فلا
قال له ابو جهل حتى اعترف واخبرهم بالقصة وفي ذلك يقول سراقة مخاطبا لابي جهل
ابا حكم والله لو كنت شاهدا ۞ لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه ۞
علمت ولم تشكك بان محمدا ۞ رسول ببرهان فمن ذا يقاومه ۞
وسياق هذه الرواية يدل لعله انه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ويدل لذلك
قوله بعد رؤيته صلى الله عليه وسلم في الجبل لكنه مخالف لما تقدم
ما ذكر انه كان احد القافة حيث لا ترى صلى الله عليه وسلم من مجلس قومه واخفى خروج فرسه عن قومه
انه خرج خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد من مجلس قومه واخفى خروج فرسه عن قومه
وهذا ينافي لا نه يجوز ان يكون لما خرج من مكة سلك طريقا غير الطريق الذي
سلكه النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد فجلس في مجلس قومه فلما اخبره
بمروره فعل ما تقدم ثم وجد عنده الاسود في مروره وكان قد راحلته حين ركبها كما سبق
فرسه ومجيء عنه ولا مانع ان يخرج من مكة بعد خروجهم من الغار ومرورهم على قديد ولا
ينافي ذلك قوله فانا ارسل كفار قريش لانه يجوز ان يكون ذلك هو الحامل لسراقة
على الذهاب الى مكة لعله يجده بطريقه ولا ينافي ذلك كونه كان احد القصاصين للاثر
صلى الله عليه وسلم لانه يجوز ان يكون عاد الى قديد فبدا له بحبل الجمل ومن كلام بعضهم
انه ارسل بعد ذلك ابياته الى ابي جهل ولا منافاة لجواز ان يكون ارسل بهما قبل ان
يأتيه فيها بعد رواية انه لما لحق بهم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا شره فصرعه
عن فرسه فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا
ثم لا يخفى ان صرعه عن فرسه يحتمل ان يكون لما ساخت ويحتمل انه صرع عنها قبل ذلك
وهو ظاهر سياق الرواية الاولى وهي خرجت بي فرسي فخررت عنها وحينئذ يكون
عودها بعد تسايخه صلى الله عليه وسلم والله اعلم ۞ قال سراقة حتى لقد اتى ان يكتب
لي كتابا امن لا يتعرض لي بسببي حين لحقت بما لقيته من الحبس عنهم ان سيظهر امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وفي السيرات قال سراقة يا رسول الله اني لاعلم
ان سيظهر امرك في العالم وتملك رقاب الناس فعاهدني اني اذا اتيتك يوم
تملك فاكرمني فامر عامر بن فهيرة اي وقيل ابا بكر فكتب لي في رقعة من ادم اي
وقيل في قطعة من عظم وقيل في خرقة اقول وحينئذ يحتمل ان يكون كتب عامر بن فهيرة
اولا فطلب سراقة ان يكون ابو بكر هو الذي يكتب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتابه

بكتابة ذلك فاخذها كتب في الرقعة من الادم ولا حركت في العظم او الخرقة او المراد بالخرقة
رقعة من الادم فلا مخالفة ۞ ولما اراد الانصراف قال له كيف بك يا سراقة اذا لبست
سواري كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم وبيان ان سراقة اسلم بالجعرانة ولما قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ... قال له صلى الله عليه وسلم مرحبا بك ۞ وعن سراقة لما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف خرجت ومعي الكتاب لالقاه فلقيته
بالجعرانة فدخلت في كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون اليك
اليك ماذا تريد فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرفعت يدي
بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابي وانا سراقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه واسلمت ولما جيء لعمر رضي الله عنه في زمن خلافته بسواري
كسرى وتاجه ومنطقته اي وبساطه وكان سواره زرا قا في سنتين ذراع منظوما باللؤلؤ منه
وبالجواهر الملونة على الوان زهر الربيع كان يبسط له في ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت
الزهور وجيء له بما ذكر من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثا وعليهن من الحلي والحلل
والجواهر ما يبهر الانسان دعا ولم يحضر غيره فقال له ... سراقة ... قال ارفع يديك والبس
سواريه وقال له قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول انا رب الخلائق
والبسهما سراقة ... اي ورفع عمر بهما صوته ثم ... الذي جيء به من ايوان كسرى
في صحن المسجد فوقف على البساط ثم قطع البساط وقسمه في المسلمين فاصاب عليا رضي الله
تعالى عنه قطعة باعها بخمسين الف دينار ثم جيء ببنات الملك الثلاث فوقفن بين يديه
وامر المنادي ان ينادي عليهن وان يرفع النقاب عن وجوههن ليزيد المسلمون في
اثمانهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادي في صدره فغضب عمر رضي الله عنه
واراد ان يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له علي رضي الله تعالى عنه مهلا يا امير المؤمنين
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر
فسكن غضبه فقال له علي ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة
فقال له عمر كيف العمل والطريق الى العمل معهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به
من يختارهن فقومن واخذهن علي رضي الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر
فجاءت منه بولده سالم والاخرى لمحمد بن ابي بكر فجاءت منه بولده القاسم والثالثة لولده
الحسين فجاءت منه بولده علي الملقب بزين العابدين وهؤلاء الثلاثة فاقوا اهل المدينة
علما وورعا وكانوا اهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن السراري فلما نشأ هؤلاء الثلاثة
فيهم رغبوا فيهن ۞ ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت اجالس سعيد بن المسيب
واعجب سعيد بي يوما فقال لي من اخوالك فقلت امي فتاة فكاني نقصت من عينه

فلما عقد اذ دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فلما خرج من عنده قلت له يا عم •
من هذا فقال سبحان الله اتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر
قلت من امه قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس عنده ثم نهض فلما خرج
قلت يا عم من هذا فقال اما تعجب ان تجهل مثل هذا من اهلك هذا القاسم بن محمد
ابن ابي بكر قلت من امه قال فتاة ثم دخل عليه علي بن الحسين فجلس ثم
نهض فلما خرج قلت له يا عم من هذا فقال عجبت منك اتجهل مثل هذا هذا علي
زين العابدين علي بن الحسين قلت من امه قال فتاة قلت يا عم رايتني
نقصت من عينك لما علمت اني ابن فتاة قال فلم يكن الا سويعة قال فادخل وعظمت
في عيني جدا • ولما رجع سراقة صار يرد عنهم اي الطلب لا يلقى احدا الا رده
يقول كفيتم اي اختبرت الطريق فلم الق احدا او لن تلقوا فالذين بسيره
اي بما عندهم فصدع صلى الله عليه وسلم كانهم اخبروا بمكان سيره
عرفتم نظري بالطريق وقد سبرت فلم ار شيئا فرجعوا اي فانكفوا فرس لما
سمعوا قول القافة اي ومن عجيب انه صلى الله عليه وسلم نزل خيمة ام معبد كما سياتي ارسل
سرابلا في طلبه يقول فما علمهم الطلب قبل ان يسبقني عليكم بكلاب العرب فتحملان
هؤلاء هم الذين ردهم سراقة فكان سراقة اول النهار جاهدا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واخر النهار مسلحة له اي سلاحا له وفي رواية قال سراقة خرجت
وانا احب الناس في تحصيلهما ورجعت وانا احب الناس في ان لا يعلم بهما احد ويجهد
ان بعد ردهم سراقة ذهبوا الى ام معبد ففي تتمة الخبر ان الخيل التي ردها سراقة جاءت الى ام
معبد فسالوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشفقت اي خافت عليهم
فتعاجمت عليهم اي اظهرت عدم علمها به وقالت انكم تسالون عن امر ما سمعتها
قبل قبلي هذا ثم قالت لهم تفرقوا عني لا اصرخن في قومي عليكم وكانت
في عز من قومها فانصرفوا ولم يعلموا الى اين توجه اي من اي طريق توجه اي ولعلها
قالت لهم ذلك لما رات منهم التعويل عليها وهذا السياق يدل على ان قصة سراقة
قبل قصة ام معبد والى قصة سراقة اشار صاحب الاصل بقوله •
عثرت بسراقة اطلاع فساخت به • جواده فانتهز للفتح مطلبا •
والهما اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله •
واقتفى اثره سراقة فاستهواه • في الارض صافن جرداء •
ثم ناداه بعدما سيمت الخسف • وقد ينجد الغريق النداء •
اي وتبع اثره سراقة فهوت اي سقطت برجليه في الارض فرسه التي تقوم على

له ثلاث قوائم وتحجيل الثالثة وطرف اليد على طرف الحافر وهو وصف محمود في الخيل جدا وقوله الشمر
وذلك وصف محمود في الخيل ايضا بعد ان قال وثبت ان يخسف بمالكها ولن تخلص الدعا
المزيف كما وقع ليونس عليه الصلاة والسلام • قال وعن ابي بكر الصديق رضي الله
عنه انه قال سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه
احد رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا عندها فاتيت الصخرة فسويت بيدي
مكانا ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ثم بسطت له فروة معي ثم قلت
يا رسول الله نم وانا انفض لك ما حولك فنام صلى الله عليه وسلم واذا براع
مقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذي اردنا وهو اول ظل فلقيته فقلت له لمن
انت يا غلام فقال لرجل من اهل مكة فسماه فعرفته اي وقال الحافظ ابن حجر لم اقف
اسم هذا الراعي ولا على اسم صاحب الغنم • قال ابو بكر وفي اسنادنا وعنه فقلت
هل في غنمك من لبن قال نعم قلت افتحلب قال نعم فاخذ شاة فحلب في قعب
معه وفي رواية ومعي اداوة حملتها للنبي صلى الله عليه وسلم يرتوي فيها فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت
ان اوقظه من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد اسفله
فقلت يا رسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب لان العادة به باحة مثل
ذلك لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع ماذونا له في ذلك اي كما
تقدم فلا ينافي ما جاء لا يحلبن احدكم ماشية احد الا باذنه اي ان هذا الحديث
محمول على غير ذلك اي ما لا يحتمل من غير معرفة الراعي • واما قول بعضهم انه
استجاز شربه لانه مال حربي ففيه نظر لان الغنائم اي اموال الحربيين لم تكن
ابيحت له حينئذ ثم • قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم الم يان للرحيل قلت بلى فارتحلنا
بعدما زالت الشمس اي وفي رواية ان ابا بكر قال فقال الرحيل يا رسول
الله اي دخل وقته قال الحافظ ابن حجر يجمع بينهما بان يكون النبي صلى الله
عليه وسلم بدأ فسأل فقال له ابو بكر بلى ثم اعاد عليه بقوله قد آن الرحيل
واجتازوا في طريقهم بام معبد اي واسمها عاتكة وكان مرورهم بها بعد اي
وهو بعد سراقة كما تقدم ولعلهما كانا بطرفيها الاخير الذي يلي المدينة ومنزل
سراقة بطرفه الذي يلي مكة وكانت مسافته قريبة • اي وكانت اي
ام معبد امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء قبتها وتطعم وتسقي وهي لا تعرفهم اي
وسألوها لحما وتمرا وفي رواية اي ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئا واسعوا كان عندنا
شيء ما اعوزناكم اي ما احوجناكم وفي رواية ما اعوزناكم القرى لانهم كانوا مسنتين
اي مجدبين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام معبد هل من لبن

قصة ام معبد

قالت لا والله هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم اي لم تطق اللحاق بنا لما بها من الهزال
فقال هل بها من لبن قالت هي اجهد من ذلك فقال اتاذنين لي في حلبها قالت والله
ما ضربها من فحل قط فشانك اي الزم شانك بها ان رايت بها حلبا فاحلبها فدعى
بها فمسح ظهرها بيده وفي رواية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا
فقال ادع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات فرقا فمسح ظهرها وفي رواية فمسح
بيده ظهرها وضرعها وسمى الله تعالى وقال اللهم بارك لنا في شاتنا فتفاجت
واجترت وتفاجت اي فتحت ما بين رجليها للحلب ثم دعا باناء يربض الرهط
اي يرويهم حتى يثقلهم فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة
الى العشرة وقيل من السبعة الى الاربعين فحلب فيه ثجا اي بقوة لكثرة اللبن ورغوة
ثم قال حتى علاه البهاء وفي رواية حتى علته الثمال بضم المثلثة اي الرغوة
وفي رواية فسقاها حتى رويت وسقى اصحابه حتى رووا عللا بعد نهل
اي مرة ثانية بعد اولى اي ثم شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
اخرهم شربا وقال ساقي القوم اخرهم شربا ثم حلب فيه وغادره اي تركه
عندها وارتحل والى ذلك اشار الامام السبكي بقوله في تائيته .
سقت عمها شاة كذا ام معبد . فالقيتها ادر حلو بنت .
والحق بذات الشاة صاحبا لهجرة وحدا الله شفا في نفو لمرى وصفرا خصنا الرزق
درت الشاة حين مرت عليها . فلها ثروة بها ونماء .
اي ارسلت الشاة لبنها حين مرت راحته الشريفة على ظهر الشاة فلتلك
الشاة بسبب ذلك الاخذ كثرة لبن وزيادة . وعن ام معبد ان هذه الشاة
بقيت الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى سنة ثمان عشرة ومن
سنة عشرة من الهجرة وبقيت لتلك السنة عام الرمادة اي وكانت تلك السنة جدبة
الارض اجدابا شديدا حتى جعلت الوحوش تاوي الى الانس وحتى يذبح الرجل الشاة فيعافها
اي لقبح لحمها وكانت الريح اذا هبت القت ترابا كالرماد فسمي ذلك العام عام الرمادة
وذلك ان عمر رضي الله عنه الى ان لا يذوق لبنا ولا سمنا ولا لحما حتى يحيي الناس اي يحيهم
الحيا وهو المطر وقال كيف لا يعنيني شان الرعية اذا لم يمسني ما مسهم وهذا الباقي بدليل
ان الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عند ام معبد شاة واحدة . وفي تاريخ البيهقي عن الحارث
قال يونس بن ابن اسحاق انه دعى ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله تعالى وحلب في
العس حتى ارغى وقال اشربي يا ام معبد فقالت اشرب فانت احق به فرده عليها فشربت
ثم دعى بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعا بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك
فسقى

سقيا العباس

فسقى دليله ثم دعى بحايل اخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فهيرة . وطلب قريش رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا ام معبد فسالوا عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت
ما ادري ما تقولون قد ضافني حالب الحايل فقالوا لها ذلك الذي نريده . وعن عمر رضي
الله عنه ذلك قال كعب لعمر رضي الله عنه يا امير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا اذا ا
اصابهم مثل ذلك استسقوا بعصبة الانبيا فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم
وصنو ابيه وسيد بني هاشم يعني العباس فمشى اليه عمر وشكى اليه ما فيه الناس
ثم صعد عمر المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا وصنو ابيه
صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال عمر للعباس يا ابا الفضل قم
وادع فقام رحمه الله واثنى عليه ودعا بدعا منه اللهم عندك السحاب وعندك الماء اللهم انا
نشكو اليك جوع كل جائع اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك قال
فسقوا قبل ان يصلوا الى منازلهم وخاضوا في الماء واخصبت الارض وعاش الناس فقال عمر
هذا والله هو الوسيلة الى الله تعالى والمكان منه وقال الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا
لك ساقي الحرمين . وذكر السهيلي ان جماعة كانت مقبلة الى المدينة في ذلك اليوم فسمعوا
ما يجا بصيح من السحاب اتاك الغوث ابا حفص اتاك الغوث ابا حفص هذا وذكر العلامة
ابن حجر الهيتمي في الصواعق عن تاريخ دمشق ان الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة
سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر رضي الله عنه لاستسقين غدا بمن يسقينا الله
به فلما اصبح غدا للعباس رضي الله عنه فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك
قال اخرج حتى نستسقي الله بك قال اقعد فارسل الى بني هاشم ان تطهروا والبسوا صالح
ثيابكم فاتوه فاخرج طيبا فطيبهم ثم خرج وعلي امامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين
عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره وقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم اتى المصلى فوقف فحمد الله
واثنى عليه وقال اللهم انك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل ان تخلقنا فلم
يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت علينا في اوله فتفضل علينا في اخره قال جابر
فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحا فما وصلنا الى المنازل الا خوضا فقال العباس انا ابن المسقى
ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات اشارة الى ان اباه عبد المطلب استسقى خمس
مرات فسقي فيهن كلهن فليتنبه الفهم . قال ابن شهاب كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون
للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه وياخذون برايه اي وكان عمر وعثمان لا يمران وهما
راكبان الا نزلا حتى يجوز العباس وهما مشاة معه الى بيته اجلالا له اي لانه صلى الله عليه
وسلم قال احفظوني في العباس فانه عمي وصنو ابي وفي رواية فانه بقية ابائي . قالت ام
معبد في وصف تلك الشاة وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا اي بكرة وعشية وما في الارض قليل

وصف شاة ام معبد

ولا كثيرا أي مما يتعاطاه الدواب. وهو جاء زوجها أبو معبد قال السهيلي لا يعرف اسمه وقيل اسمه أكثم
بالثاء المثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد الله عجا عند المسا يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن
الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عجب وقال يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوب في البيت أي والشاة
عازب أي لم يطرقها فحل لكن رأيته في النور نسخ العازب بالبعيدة الرعي التي لا تأوي إلى المنزل في الليل
وفي الصحاح العازب الكلأ البعيد الذي لم يؤكل ولم يوطأ قالت مر بنا رجل مبارك قال صفيه
قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه أي مشرقه. في أشفاره أي أجفان عينيه أي شعرها
النابت بها وطف أي طول. وفي عينيه دعج أي شدة سواد في شدة بياض أي وهذا هو الحور ومن ثم
فسر بعضهم الدعج بشدة السواد وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بياض عينيه شديد البياض
بل كان أشكل العين والشكلة حمرة في بياض العين وهو دليل الشهامة وهو من علامات
نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة كما تقدم. وفي صوته صحل أي بحة بضم الموحدة أي ليس
حاد الصوت. عظيم اللحية لا تشناه من طول أي لا تبغضه لفرط طوله ولا تقتحمه من قصر
أي تحتقره من قصره. لم تعبه ثجلة أي عظم البطن وكبرها ولا تزره صعلة أي صغر الرأس
كأن عنقه إبريق فضة ولا إبريق السيف الشديد البريق إذا نطق فعليه البهاء وإذا
صمت فعليه الوقار لكأن كلامه خرزات النظم. أزين أصحابه منظرا. وأحسنهم وجها أصحابه
يحفون به إذا أمر ابتدروا أمره وإذا نهى انتهوا عند نهيه. قال وفي لفظ أنها قالت رأيت
رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه أي مشرقه حسن الخلق لم تعبه نحلة ولا تزريه صعلة وسيما
قسيما أي حسنا في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل أو قالت صهل أحور أكحل أي في
أجفان عينيه سواد خلقة وفي عنقه سطع أي نور وفي لحيته كثاثة أي لا طويلة ولا دقيقة
أزج أي رقيق طرف الحاجب أقرن أي مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر إن صمت فعليه
الوقار وإن تكلم سما به أي ارتفع على جلسائه وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد
وأحسنهم من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن
ربعة لا تشناه أي تبغضه من طول أي من فرط طول ولا تقتحمه عين من قصر أي لا تتجاوزه
إلى غيره احتقارا له غصنا بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون
به إن قال صمتوا لقوله وإن أمر ابتدروا إلى أمره محفود محشود مخدوم لا حشد وجماعة
لا عابس ولا مفند أي يكثر اللوم أي نهي. قال هو والله صاحب قريش ولو رأيته
لاتبعته ولأجهدن أن أفعل. أي وفي الإمتاع وينادى أنها أي أم معبد ذبحت لهم شاة
وطبختها فأكلوا منها وقدمته لهم فتسعد منهم منها وسقته لحم السفرة وبقي عندها أكثرها
وفي الخصائص الكبرى أنه صلى الله عليه وسلم بايعها أي أسلمت قبل أن يرتحلوا عنها. وفي كلام
ابن الجوزي أن أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها هاجر وأسلم أقول وفي شرح الشفاء للشهاب
وهاجرت

تمام مجلسه صلى الله عليه وسلم

وهاجرت هي وزوجها وأسلم أخوها حبيش بن الأشعر واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول
الرجل المبارك. وقيل إن زوجها خرج في أثرهم فأدركه وبايعه صلى الله عليه وسلم ورجع. وفي الأجوبة
المسكتة لابن عون قيل لأم معبد ما بالك وصفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بصفات
من وصفناه من الرجال فقالت أما علمتم أن نظر المرأة إلى الرجل أشفى من نظر الرجل إلى الرجل. وفي ربيع
الأبرار للزمخشري عن هند بنت الجون أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها أم معبد قام
من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك في عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحت
وهي أعظم دوحة أي شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة
العنبر وطعم الشهد ما أكلها جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روي ولا سقيم إلا برئ ولا أكل من ورقها
بعير ولا شاة إلا در لبنها فكنا نسميها المباركة فأصبحنا في يوم من الأيام وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها
ففزعنا لذلك فما راعنا إلا نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وإلى العجب كيف لم يشتهر أمر هذه
الشجرة كما اشتهر أمر الشاة. وعن أم معبد أنها قالت مر علي خيمتي غلام سهيل بن عمرو ومعه
قربتان فقلت ما هذا قال إن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى مولاي يستهديه ماء زمزم
فأنا أعجل السير كيلا تنشف القرب أي فإنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى سهيل بن عمرو
إن جاءك كتابي ليلا فلا تصبحن أو نهارا فلا تمسين حتى تبعث إلي من ماء زمزم فملأ له مزادتين
فملأهما من ماء زمزم وبعث بهما على بعيره مولاه أزهر. ولا زال كفار قريش بمكة لا يعلمون
أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حتى سمعوا هاتفا يذكرهما ويذكر أم
معبد في أبيات منها قوله. جزى الله رب الناس خير جزائه.
رفيقين قالا خيمتي أم معبد. هما نزلا بالبر ثم ترحلا. فأفلح من أمسى رفيق محمد
فعلموا توجهه ليثرب. أي وفي طريق اليمن محل يقال له الدهيم وبه أم معبد قال بعضهم
وليست بأم معبد التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ويجوز أن
يكون الخبر الذي وصل إليهم في اليوم الثاني من خروجه من الغار هو قول هذا الهاتف
أو عقبه من يحصر داهم وإلى قول الهاتف أشار صاحب الهمزية.
وتغنت بمدحه الجن حتى. أطرب الإنس منه ذاك الغناء.
أي وأطربت الجن إذ صادفت الحجة صلى الله عليه وسلم من موزونة الغناء الذي تتولع به النفس
حتى أطرب ذلك الغناء الإنس حيث سمعوه وأما قول بعضهم إنهم علموا ذلك من هاتف يقول
إن يسلم السعدان يصبح محمد. من الأمن لا يخشى خلاف المخالف
فقالوا السعود سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت القابلة سمعوا ذلك
الهاتف يقول. فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا. ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
فقالوا سعد الأوس سعد بن معاذ وسعد الخزرجين سعد بن عبادة ففيه نظر لأن السعديين

ان يسلم السعدان • اقول يجوز ان تكون ان هنا بمعنى اذ
المذكورين كانا اسلما قبله لذلك فلا يحسن قوله ان يسلم السعدان
اي صيرورته صلى الله عليه وسلم امنا لا يخشى خلاف المخالف له بعد اسلام السعدين اذ المراد دوامه
على الاسلام على انه ذكر في الاصل ان انشاد هذين البيتين وسماع اهل مكة له كان قبل اسلام سعد
ابن معاذ • وذكر بعضهم ان السعود في الانصار ستة ادبعة في الاوس سعد بن معاذ وسعد
ابن خيثمة وسعد بن عبيد وسعد بن زيد • واثنان من الخزرج سعد بن عبادة • وسعد
ابن الربيع وسعد بن عثمان ابو عبادة والله اعلم • قال ونقل بعضهم قصة سرافة على قصة
ام معبد هو ما في الاصل وقد التزم فيه بترتيب الوقائع وقضية الترتيب ذكر قصة ام معبد
بعد قصة سراقة لان الصحيح الذي صرح به جماعة • اقول ومما يدل لذلك ما تقدم من ان كفار
قريش لم يعلموا اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف يذكر ام معبد
وعن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من
قريش فيهم ابو جهل ووقفوا على الباب فخرجت اليهم فقالوا اين ابوك فقلت والله لا ادري
فرفع ابو جهل يده فلطم خدي لطمة خرم منها قرطي اي وفي لفظ طرح منها قرطي والقرط ما يعلق
في شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضى ثلاث ليال ولم ندر اين توجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ اقبل رجل من الجن من اسفل مكة يتغنى بابيات وان الناس ليتبعونه
يسمعون صوته حتى خرج باعلا مكة جزى الله رب الناس الابيات كذا في الاصل
ان قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في خروجه للغار وقولها فمضى
ثلاث لا ندري يقتضي ان المراد خروجه من الغار لتقدم انهم علموا بخروجه الى المدينة
في اليوم الثاني من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا اذ ذاك الا من الهاتف فليتامل
وقد نبه في الاصل في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي حيث قدم خبر سراقة على قصة ام
معبد الا انه قال ان الدمياطي لم يلتزم الترتيب فلا يتحقق تعيينه • وهنا قصة اخرى فيها
زيادة وتنقص قيل هي قصة ام معبد وقيل غيرها • واجتاز صلى الله عليه وسلم بغنم فقال
لراعيها لمن هذه فقال لرجل من اسلم فالتفت صلى الله عليه وسلم لابي بكر وقال سلمت ان
شاء الله تعالى ثم قال للراعي ما اسمك قال مسعود فالتفت الى ابي بكر رضي الله عنه فقال سعدت
ان شاء الله تعالى • وفي الامتاع ولقي بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنه في ركب
من قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد • وفي السيرة
ان بريدة لما جعلت قريش لمن ياخذ النبي صلى الله عليه وسلم طمع في ذلك فخرج
هو في سبعين من اهل بيته وفي لفظ وكانوا ثمانين بيتا وحينئذ يكون بيته قومه فلما
رآه صلى الله عليه وسلم قال له من انت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا ابا بكر برد امرنا وصلح قال ممن انت قال من اسلم من بني سهم قال النبي صلى الله عليه وسلم

سهمنا

سهمنا وخرج سهمك يا ابا بكر اي لانه صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتطير كما تقدم ثم قال بريدة للنبي صلى الله عليه
وسلم من انت قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا عبده ورسوله فاسلم بريدة واسلم من معه اي وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم العشاء الاخرة ثم قال بريدة
يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل بريدة عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه وقال له كما
في الوفاء تنزل علي يا نبي الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناقتي هذه مامورة قال بريدة الحمد لله الذي
اسلمت بنو سهم يعني قومه طائعين غير مكرهين • ولما سمع المسلمون بالمدينة بخروج النبي صلى الله عليه
وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة اقول ولعل خروجهم كان
في ثلاثة ايام وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان يمكثها في الغار والله
اعلم فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم اي واحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم اي محل
مرتفع من اطامهم اي من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
مبيضين اي لانهم لقوا الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضا كما في البخاري وقيل ان الذي كساهما طلحة ابن عبيد الله قال في النور
ولعلهما لقياه معا او متعاقبين فكسواه وابا بكر ما ذكر وهذا الجمع اولى من ترجيح الحافظ الدمياطي
لهذا القيل ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل هو الذي في السير وما قاله الدمياطي في ترجيحه على
عادته في ترجيح ما في السير على ما في الصحيح لكنه ذكر ان ذلك كان شانه في ابتدا امره فلما تضلع من الاحاديث
الصحيحة كان يرى الرجوع عن كثير مما وافق عليه اهل السير وخالف الاحاديث الصحيحة فلما راهم ذلك
اليهودي يزول بهم السراب اي يرفعهم ويظهرهم والسراب ما يرى كالماء وسط النهار في زمن الحر فلم يملك
اليهودي ان قال باعلا صوته يا معشر العرب هذا جدكم اي حظكم الذي تنتظرون اي وفي رواية فلما
دنوا من المدينة بعثا رجلا من اهل البادية الى ابي امامة واصحابه من الانصار اي ولا مانع من
وجود الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة اي وفي لفظ
فوافوه وهو مع ابي بكر في ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت بظهر الحرة فلا مخالفة ثم قال لهم
ادخلا امنين مطاعين وفي لفظ فاستقبله زهاء خمسمائة اي ما يزيد على خمسمائة من الانصار فقالوا
اركبا امنين مطاعين فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين
لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول على كلثوم بن الهدم لانه كان شيخ بني عمرو بن عوف اي
وهم بطن من الاوس قيل وكان يومئذ مشركا ثم اسلم ومات قبل بدر وقيل اسلم قبل قدومه
صلى الله عليه وسلم المدينة اي وعند نزوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم بغلام له يا نجيح فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انجحت يا ابا بكر وكان يجلس للناس ويتحدث مع اصحابه في بيت
سعد بن خيثمة اي لانه كان عزبا لا اهل له هناك وكان منزله يسمى منزل العزاب والعزب من الرجال
من لا زوجة له ولا يقال اعزب وقيل هو لغة رديئة • اقول وربما يجمع بين قول من قال

نزل على كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رأيت الحافظ الشامي أشار إلى ذلك والله أعلم • ونزل
علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما نزل المدينة على كلثوم أيضاً بقي بعد أن تأخر بمكة بعده صلى الله عليه وسلم
ثلاث ليال يؤدي الودائع التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم • فلما توجه صلى الله عليه
وسلم إلى المدينة قام علي رضي الله عنه بالأبطح ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم وديعة فليأت تؤدى إليه أمانته فلما نفذ ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشخوص إليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم ومعه أم أيمن وولدها أيمن وجماعة من
ضعفاء المؤمنين • أقول وسيأتي ما يخالف ذلك وهو أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل في دار أبي أيوب
بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين يقدمان عليه بفاطمة وأم
كلثوم بنتيه وسودة زوجته وأم أيمن وولدها أسامة إلا أن يقال يجوز أن يكون الكتاب الذي مع
ابن عمه سيدنا علي رضي الله عنه للهجرة كان مع زيد وأبي رافع رضي الله عنهما وأنهما صحباه ولا ينافي
ذلك ما تقدم من أنه تأخر بمكة بعده ثلاث ليال يؤدي الودائع لأن تلك الليالي الثلاث كانت
لتأدية الودائع ومكث بعدها إلى أن جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قدومه
على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد نزوله بقبا على كلثوم فلا مخالفة لكن في السيرة الهشامية
أنه نزل مع النبي صلى الله عليه وسلم على كلثوم وهو لا ينافي إلا على القول بأنه صلى الله
عليه وسلم مكث في قبا بضع عشرة ليلة كما سيأتي وحينئذ يخالف ما سبق من مجيء زيد وأبي رافع
علينا أنه صلى الله عليه وسلم إنما أرسلهما بعد أن تحول من قبا إلى المدينة • وفي الإمتاع لما قدم علي من
مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وبكى
رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك ولا مانع من
وقوع ذلك من علي مع وجود ما يركبه لأنه يجوز أن يكون هاجر ماشياً رغبة في عظم الأجر
وفي السيرة الهشامية أن علياً أقام على كلثوم ليلة أو ليلتين وأنه رأى امرأة مسلمة لا زوج
لها بقبا إنساناً يأتيها من جوف الليل يضرب عليها بابها فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه قال
علي فقلت لها من هذا قالت هذا سهل بن حنيف قد عرف أني امرأة لا أحد لي فإذا أمسى عدا على
أوثان قومه فكسرها ثم جاءني بها فقال احتطبي بهذه أي اجعليها للنار فكان علي يعرف
ذلك لسهل بن حنيف والله أعلم • قال ونزل أبو بكر على حبيب بن إساف وقيل على خارجة
ابن زيد بالسنح بضم السين المهملة ونون ساكنة فحاء مهملة • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ولد نبيكم يوم الاثنين [illegible] يوم الاثنين وخرج من مكة أي إلى الغار يوم الاثنين
ودخل المدينة يوم الاثنين • قال الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه صلى الله عليه وسلم
كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين زاد بعضهم وفتح مكة كان يوم الاثنين
ووضع الركن كان يوم الاثنين • ومن الغريب ما حكاه بعضهم عن أبي الربيع المالكي وكان بعض

[illegible] الاثنين

كان

كان يوم الاثنين تشخصا منه إذا أتم بينه تمام عجباه ولا يتام قبله • وقيل خروجه من مكة
أي إلى الغار يوم الخميس وعليه يكون مكثه صلى الله عليه وسلم في الغار تلك الليالي الثلاث
التي هي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وعليه يكون خروجه من الغار
صبيحة يوم الأحد • وفي البخاري أنهما أي الدليل أتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وتقدم
أن خروجهما إلى الغار كان ليلاً من بيت أبي بكر وقول أبي بكر وسرنا ليلتنا كلها حتى
تمام قائم الظهيرة يقتضي أنهما خرجا من الغار ليلاً بدليل قوله ليلتنا لأن مع التأكيد يبعد
أن يكون المراد بقية ليلتنا وتقدم عن البخاري أنه أتاهما براحلتيهما صبح ثلاث
وحمل ذلك على ما قارب الصبح من الليل فليتأمل هذا المحل • وقيل دخلها أي المدينة
ليلاً كما في رواية لمسلم أي وقال الحافظ ابن حجر ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل أي
فدخلها نهاراً ا ه • أقول لعل مراد الحافظ أن الوصول كان ليلاً إلى قرب المدينة
فأقاموا بذلك المحل إلى أن أسفر النهار وساروا وإنما دخلوا الأبواب وقت الظهيرة
فلا يخالف ما تقدم • وقيل دخلها يوم الجمعة وذكر ابن حجر أنه شاذ والله أعلم
وسرى السرور إلى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم في المدينة • فعن البراء
رضي الله عنه قال ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما كان اليوم الذي دخل فيه صلى الله عليه وسلم
المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير أي الأسطحة عند قدومه
صلى الله عليه وسلم يقلن بقولهن طلع البدر علينا إلى آخره • وعن عائشة رضي
الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل النساء والصبيان والولائد
يقلن • طلع البدر علينا • من ثنيات الوداع • وجب الشكر علينا • ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا • جئت بالأمر المطاع • قال واستشكل بأن ثنيات الوداع
ليس من جهة القادم من مكة بل هي من جهة الشام فقد قال ابن القيم في الهدي
في غزوة تبوك ثنيات الوداع من جهة الشام لا يطؤها القادم من مكة
ونقل الحافظ ابن حجر عنه هنا ذلك ولم يتعقبه في محله • وأجيب بأنه صلى الله
عليه وسلم جاء من جهتها في دخوله المدينة عند خروجه من قبا انتهى أي وفي كلام
بعضهم ما كان أحد يدخل المدينة إلا منها فإن لم يعشر بها مات قبل أن يخرج لوباها
كما زعمت اليهود فإذا وقف عليها قيل قد ودع فسميت به • وقيل إنما سميت ثنية
الوداع لأن المودع يمشي مع المسافر من المدينة إليها وهو اسم قديم جاهلي وقيل
إسلامي سميت بذلك لأنه محل ذلك وقيل لأن الصحابة رضي الله عنهم ودعوا فيها
النساء اللاتي استمتعوا بهن في خيبر عند رجوعهم من خيبر وقد وقع توديع من خرج

ثنية الوداع

الى قباء ثبوت فيها اذ يكون صلى الله عليه وسلم وقع بعض المساجد عندها وهذا ايضا
على ان هذا المسجد بني قبل عند دخول المدينة لا عند دخول قبا وسياق بعضهم :
يقتضيه وسياق بعض آخر يقتضي انه كان عند دخول قبا ومن هذا افهم ان المدينة
تطلق ويراد بها ما يشمل قبا وما حولها وسرى السرور الى القلوب حتى البراني
آخر وهي المراد به حول المدينة يوم لا شيء عليها يتقدم وتطلق ويراد
بها ما قابل قبا وعليه فيكون هي المراد بقول انس لما كان اليوم الذي دخل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة الى آخره ولعل منه ما في بعض الروايات ان المسلمين
دخل المدينة يوم الجمعة الذي صحح الحافظ ابن حجر سنده كما تقدم • ولما جلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ابو بكر للناس اي وابو بكر شيخ شيبه ظاهر
والنبي صلى الله عليه وسلم شاب اي شعر لحيته اسود مع كونه اسن من ابي بكر كما تقدم
وقد قال انس لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر فطفق من جاء من
الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر اي يعرفه بالنبي
صلى الله عليه وسلم حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو
بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس اي عرف من جاءهم بعد ذلك اي لان
عدم تاثير الشمس فيه بتظليل الغمامة كان قبل البعثة ارهاصا كما تقدم • ومما
يدل على ان دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة وخروجه من قبا كان يوم الجمعة
قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف اي في قبا
بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة
وقيل لبث بضع عشرة ليلة وهو المنقول عن البخاري • وعن ابن عقبة اقام
صلى الله عليه وسلم ثنتين وعشرين ليلة • وفي الهدي اقام اربعة عشر يوما
وهو ما في صحيح مسلم فليتامل • واسس فيها المسجد الذي اسس على التقوى
اي الذي يقولون فيه الآية وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في الهدي ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسجد
الذي اسس على التقوى فقال مسجدكم هذا واشار لمسجد المدينة اي وفي رواية
فاخذ حصا فضرب بها الارض وقال مسجدكم هذا يعني مسجد المدينة لان كلا منهما
مؤسس على التقوى هذا كلامه وهو اقعد مما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان يرى كل مسجد بني بالمدينة الشامل لقبا اسس على التقوى اي يكون
الذي نزلت فيه الآية مسجد قبا • وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قبا
يوم الجمعة حين ارتفع النهار فاد ولبث كان محل مسجدها مربدا اي محلا يجفف

فيه

ول[illegible] بني [illegible] قباء

فيه التمر لكلثوم بن الهدم وهو اول مسجد بني في الاسلام لعموم المسلمين فلا ينافي انه
بني قبله غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه الصديق بفناء
داره بمكة كما تقدم انتهى • وفي كلام ابن الجوزي اول من بنى مسجدا في الاسلام عمار
ابن ياسر • وفي السيرة الهشامية عن الحكم بن عتيبة لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزل قبا قال عمار بن ياسر ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من ان يجعل له
مكانا يستظل به اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قبا اي فاتم الحجارة
اسسه صلى الله عليه وسلم واستتم بنيانه عمار فعمار اول من بنى مسجدا لعموم المسلمين
فالاول عن جابر لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم سنتين نعمر
المساجد ونقيم الصلاة انتهى • ونعمر يحتمل ان يكون بالتخفيف فيكون عطف نقيم
الصلاة من عطف التفسير ويحتمل ان يكون بالتشديد فيكون بناء المساجد
تقدم في المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم • وقد اورد الحافظ ابن حجر قال
كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران ونصف شهر
على التحرير كما تقدم اي ورواية جابر تدل على انه كان بين اجتماع الاثني عشر
من الانصار به صلى الله عليه وسلم ومجيئهم المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم
المدينة سنتان وقد يقال ليس مراد جابر ان ابتداء المدة من قدوم الاثني عشر
عليه بل مراده ابتداؤها من قدوم الستة عليه الذين فيهم جابر واما المدة تزيد على
السنتين فليتامل • وهو اي مسجد قبا اول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم
باصحابه جماعة ظاهرا اي آمنين • وقيل ان هذا المسجد بناه المهاجرون
والانصار يصلون فيه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قبا صلى
فيه ولم يحدث فيه شيئا وهو يخالف ما تقدم عن السيرة الهشامية ومما في الطبراني
بسند رجاله ثقات عن الشموس بفتح الشين المعجمة بنت النعمان رضي الله عنهما
قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل واسس هذا المسجد
مسجد قبا فرايته ياخذ الحجر او الصخرة حتى يهصره الحجر اي يميله فيأتي
الرجل من الصحابة فيقول يا رسول الله بابي انت وامي تعطيني اكفك فيقول لا
خذ مثله حتى اسسه • وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما اراد بناءه قال يا اهل
قبا ائتوني باحجار من الحرة فجمعت عنده احجار كثيرة فخط القبلة واخذ
حجرا فوضعه ثم قال يا ابا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجري ثم قال يا عمر
خذ حجرا فضعه الى جانب حجر ابي بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب
حجر عمر فقال بعضهم كانه صلى الله عليه وسلم اشار الى ترتيب الخلافة بعده وسيجي

وسيجي في بنا مسجد المدينة نحوه ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وبعد تحوله صلى الله عليه وسلم الى
المدينة كان يأتيه يوم السبت كاسبا وراكبا وقال من توضأ واسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قبا فصلى
فيه كان له اجر عمرة ، وروى الترمذي والحاكم وصححاه عن اسيد بن ظهير عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال صلاة في مسجد قبا كعمرة ، وفي رواية من صلى في مسجد قبا يوم الاثنين ويوم الخميس
انقلب باجر عمرة ، وكان عمر رضي الله عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لو كان بطرف
من الاطراف وفي رواية في افق من الافاق لضربنا اليه اكباد الابل اي وصحح الحاكم عن ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قبا
ماشيا وراكبا ، وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن ابيه قال خرجت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قبا ، وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان
يأتي مسجد قبا فيصلي فيه ركعتين ، وعنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قبا فقام يصلي فجا نفر الانصار فسلم عليه فقلت لبلال كيف رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرد عليهم قال يشير اليهم بيده وهو يصلي اي يجعل باطنها الى اسفل وظهرها
الى فوق وقد وقفت له صلى الله عليه وسلم الاشارة في الصلاة برد السلام لما قدمت
عليه ابنته رضي الله عنها من الحبشة وهو يصلي فاومى اليها برأسه ، وفي الهدي واما
حديث من اشار في الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل ، وفي كلام
بعضهم فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه احد
وهو في الصلاة اشار باصبعه المباركة جواب السلام وليس هذه الاحاديث معارض
الا حديث مجهول وهو من اشار في صلاته اشارة مفهمة فليعد صلاته وهذا الحديث
لا يصلح للمعارضة ، ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم سألهم عن ذلك فقال لهم ما هذا الطهور الذي اثنى الله تعالى عليكم
فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الا غسل فرجه فقال هو هذا
وفي لفظ اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قبا اي وفي الكشاف ومعه المهاجرون
حتى وقف على مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم
اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام
اتؤمنون بالقضاء قالوا نعم قال وتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون على الرخاء
قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس وقال يا معشر الانصار
ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط اي المعبر عنه
بالطهور فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي
صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا هذه الاية ، وفي رواية فقال ان الله قد احسن

اليكم الثنا في الطهور فما هذا الطهور الذي تطهرون به قالوا يا رسول الله ما نعلم شيئا الا انه كان لنا
جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي لفظ كنا نستنجي
بالماء في الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه فقال فلا تدعوه وفي لفظ قالوا نتوضأ للصلاة
ونغتسل من الجنابة فقال لهل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان احدنا اذا خرج الى الغائط احب
ان يستنجي بالماء وفي رواية نستنجي من البول والغائط زاد في رواية ولا ننام الليل كله
على الجنابة قال هو ذلك فعليكموه اي الزموه اي وفي مسند البزار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
انه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا انا نتبع الحجارة الماء قال بعضهم في اسناده ضعف وبعد ان
تقدم من ذكر الحجارة يرد على الامام النووي حيث قال هكذا اي ذكر الجمع مع الماء في جمع الانصار
بقبا رواه الفقهاء في كتبهم وليس له اصل في كتب الحديث بل المذكور فيها انهم قالوا كنا نستنجي
بالماء وليس فيها مع الحجر اي ويكون السكوت عن الحجر لكونه كان معلوما فعله ، وفي
الخصائص الصغرى ان مما اختص به صلى الله عليه وسلم في شرعه وامته الاستنجا بالجامد
وبالجمع فيه بين الماء والحجر ، ومن اهل قبا عويمر ابن ساعدة قال في حقه صلى الله عليه وسلم
نعم العبد من عباد الله والرجل من اهل الجنة عويمر بن ساعدة اي لانه كان اول من استنجا
بالماء قيل اي ومن ثم جا تخصيصه بالسؤال فقد روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويمر بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذي اثنى
الله عليكم به فقال يا نبي الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الحديث وهذا السياق
ربما يقتضي ان الاستنجا بالماء لم يكن معروفا في غير اهل قبا قبل نزول هذه الاية ، وفي
كلام بعضهم اول من استنجى بالماء ابراهيم الخليل وكره بعض الصحابة الاستنجا بالماء وهو
حذيفة ولعله لكون الاستنجا بالماء عده من الرخصة ، ونقل عن ابن عمر انه كان
لا يستنجي بالماء ولعله لما ذكرنا ، وكذا ما نقل عن ابن الزبير ما كنا نفعله ، وعن الامام احمد
انه لم يصح حديث في الاستنجا بالماء وبالغ مغلطاي في رده ، وعن سيدتنا عائشة انكار
ان النبي صلى الله عليه وسلم استنجى بالماء ولعل المراد انكار صحة ذلك عنه صلى الله عليه
وسلم فليتأمل وذكر الامام محمد في الخبر بوب لما عزمنا ذكره اما ما في الام ان سنة الجمع
بين الحجر والماء تتوقف على كون الاستنجا بالحجر كافيا لو اقتصر عليه يقول لا الاستنجا
بالحجر كاف ولو اقتصر اي بالاستنجا الكافي رجل ثم غسل بالماء كان احب الي وانما قلنا
ظاهره لا مكان رجوع الضمير للاستنجا لا بقيد كونه كافيا ، والذي عليه متاخروا اصحابنا
ان سنة الجمع يكتفى فيها بازالة العين ولو بحجر واحد وقد بينا هذا في المجموع وما ذكره الامام
احب ولا يخفى ان حديث الانصار يقتضي اختصاص سنة الجمع بين الحجر والماء بالغائط وبه قال
القفال في كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص الام ان مثل الغائط البول ، ثم بعد ذا فانه

صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة ثم ركب راحلته الجدعاء وقيل القصوى وقيل العضباء اي قاصدا
المدينة والجدعاء بالدال المهملة المقطوعة الانف او مقطوعة الاذن كلها والقصوى المقطوع
طرف اذنها والعضباء المشقوقة الاذن قال بعضهم وهي الناقة ولم يكن بها عضب اي بتلك الوثوق
يعني ذلك ويأتي عن الاصل ان هذه القاب لناقة واحدة • وهكذا ركب صلى الله عليه وسلم وخرج
من قبا وسار سار الناس معه ما بين ماش وراكب اي وكل واحد منهم ينازع صاحبه زمام الناقة
شحا اي حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفعها له حتى دخل المدينة • قال وقالت
الخدم والصبيان يقولون الله اكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء محمد صلى الله عليه وسلم
ولعبت الحبشة بحرابها فرحا بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو بن عوف
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجت ملالا لنا ام تريد دارا خيرا من دارنا فقال
اني امرت بقرية تأكل القرى اي تغلبها وتقهرها والمراد اهلها اي ان اهلها تفتح القرى
فيأكلون اموال اهل تلك القرى ويسبون ذراريهم فخلوا سبيلها يعني ناقته صلى الله عليه
وسلم اي دعوها فانها مأمورة المدينة • روى الشيخان امرت بقرية تأكل القرى
يثرب وهي المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية كالنجم للثريا اذا اطلق
يعني المراد وان اريد غيرها قيد والنسبة اليها مدني ولغيرها من المدن مديني
للفرق بينهما ويثرب اسم محل فيها سميت كلها به ولعل ذلك المحل سمي به لان نزل
به يثرب من نسل نوح • وفي الحديث المدينة تنفي الناس اي شرارهم كما ينفي الكير خبث
الحديد وفي بعض الروايات لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها قيل وذلك
كان في حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك في زمن الدجال • وقد جاء ان
الدجال يرجف باهلها فلا يبقى منافق ولا كافر الا خرج اليه • وفي رواية يأتي
الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل منافق وكافر وقيل
استدل من قال كون المدينة تنفي الخبث ليس عاما في الازمنة ولا في الاشخاص
لان المنافقين كانوا بها وخرج منها جماعة من خيار الصحابة منهم علي وطلحة والزبير
وابو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وفي كلام ابن الجوزي ان
عبد الله بن مسعود مات بالمدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم ايما رجل من
اصحابي كان قائدهم ونورهم يوم القيامة وفي رواية فهو شفيع لاهل تلك الارض • وانما
قال صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون اي خير لهم من بلاد الرخاء بدليل
صدر الحديث يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء هلم الى الرخاء
والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج احد منها رغبة عنها الا اخلف
الله من هو خير منه اي من خرج منها رغبة عنها الى غيرها من بلاد الرخاء والسعة فلا دليل
في

المدينة طابة

فيه دلالة على انها افضل من مكة ومن اسمائها اكالة البلدان ومن اسمائها البارة بتشديد الراء وتسمى
الفاضحة لان من اضمر فيها شيئا اظهره الله تعالى ما اضمره وافتضح به اي فالمراد اضمر شيئا من السوء
وقد قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى هي طابة هي طابة كذا مرة
هي طابة هي طابة قال ذلك ثلاثا وفي رواية فليستغفر الله ثلاثا فليستغفر الله فليستغفر الله
هي طيبة هي طيبة هي طيبة هي طابة هي طابة كذا ثبت فقد دار انما سميت طيبة لطيب رائحة من
مكث بها ولتزايد روائح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم
اي لان ترابها يشفي من الجذام وتسميتها يثرب في القرآن انما هو حكاية لقول المنافقين
اي بعد نهيهم عن ذلك ويقول صلى الله عليه وسلم لا ادري ما الا يثرب اي وجود ذلك من كلامه وقع
في كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها به لكن كان قبل النهي عن ذلك انتهى اي • وجاء
الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها ويأرز بكسر الراء اي ينضم ويجتمع
بعضه الى بعض وفي رواية ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ يأرز كما تأرز الحية
الى جحرها وانما كره تسميتها يثرب لان يثرب مأخوذ من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب
ومنه قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم او من الثرب بالتحريك وهو الفساد • وعن القاسم
ابن محمد قال بلغني ان للمدينة في التوراة اربعين اسما وقيل احد عشر اسما من جملتها
سكينة اي ومن جملتها الجابرة والعذراء والمرحومة وفي كلام بعضهم لها نحو مائة اسم
منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح •
قال الامام النووي لا يعرف في البلاد اكثر اسماء منها ومن مكة • ومما يدل على ان خروجه
صلى الله عليه وسلم من قبا متوجها الى المدينة كان يوم الجمعة قول بعضهم وعند سيره صلى
الله عليه وسلم الى المدينة ادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد
الذي في بطن الوادي بمن معه من المسلمين وهم مائة وصلاها بعد ذلك في المدينة
وكان معه صلى الله عليه وسلم اربعين فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه صلى
الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا ولم يحفظ انه صلاها مع انقص
عن هذا العدد ومن حينئذ صلى الجمعة في ذلك المسجد سمي هذا المسجد بمسجد الجمعة ثم
وهو على يمين السالك بحوزته فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة اي وخطب لها وهي اول
خطبة خطبها في الاسلام اي ومن خطبته تلك من استطاع ان يقي وجهه من النار ولو
بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزي الحسنة بعشر امثالها اي سبعمائة
والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته وفي رواية والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته ونقل لفظ بعض هذه الخطبة في تفسيره واورده الحيثما في المواهب وليس فيها
هذا اللفظ اقول هذا اذا صح ان كان اتم بغيا الاثنين فالثلاثاء والاربعاء الخميس

اول جمعة صلى
صلى الله عليه وسلم

كما تقدم وأما ما روي أنه صلى الله عليه وسلم أقام ببني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة أو أكثر من ذلك كما تقدم فيتعين أنه لم يصل
الجمعة في قبا في تلك المدة ثم رأيت في كلام بعضهم أنه كان يصلي الجمعة في مسجد قبا في إقامته
هناك أي ويبعده أنه صلاها من غير خطبة . وفي الجامع الصغير إن الله كتب عليكم الجمعة في مقامي
هذا في ساعتي هذه في شهري هذا في عامي هذا إلى يوم القيامة من تركها من غير عذر مع إمام عادل
أو جائر فلا جمع الله له شمله ولا بورك له في أمره ألا ولا صلاة له ولا حج له ألا ولا بركة له
ولا صدقة له فإن كان قاله في تلك المدة في الخطبة التي خطبها في مسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضى
ذلك أنها لم تكن واجبة قبل ذلك وهو يخالف قول الفقها إنها إنما وجبت بمكة ولم تقم بها
لعدم تمكنهم من إظهارها بمكة لأن إظهارها أقوى من إظهار جماعة الصلوات الخمس
وفي الإتقان مما تأخر نزوله عن حكمه آية الجمعة فإنها مدنية والجمعة فرضت بمكة وقول
ابن الغرس إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن
كعب بن مالك قال كنت قائد أبي حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الندا
يستغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة فقلت يا أبتاه أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة
كلما سمعت الندا بالجمعة لم هذا قال أي بني كان أول من صلى بنا الجمعة قبل أن يقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة هذا كلامه وإليها ملحا ووجه الرد من هذا وجاء
صلاة الجمعة بالمدينة تخالف صلاة فيما سواها وصيام شهر رمضان في المدينة كصيام ألف
شهر فيما سواها كذا في الوفا عن نافع عن ابن عمر . وأول قرية صليت بها الجمعة بعد المدينة
قرية عبد القيس بالبحرين وهل كانت الخطبة قبل الصلاة أو بعدها في الدر أنه صلى الله
عليه وسلم كان وهو بالمدينة يخطب للجمعة بعد أن يصلي مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم
جمعة قائما إذ قدمت عير دحية الكلبي وكان إذا قدم يخرج أهله للقائه بالطبل واللهو
وتجتمع الناس للشراء من طعام تلك العير وللتفرج عليهما وقيل للتفرج على دحية
فقد قيل كان إذا قدم دحية المدينة لم يبق معصر إلا خرجت لتنظر إليه لفرط
جماله وقيل لا مانع أن يكون ذلك لاجتماع الأمرين فانفض الناس حتى لم يبق معه صلى الله
عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا والجلال المحلي في نظمه التفسير أسقط لفظ إلا كذا
أي وانفضاضهم عما عداهم يحتمل أن يكون في حال الخطبة قبل تمام الأركان ويحتمل
أن يكون بعد ذلك وعلى الأول يجوز أن يكون رجع ممن انفض من تكمل به العدد
الأربعون قبل طول الفصل وقد أعاد صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعوه من أركان الخطبة
عند انفضاضهم فلا يخالف ما ذهب إليه إمامنا الشافعي رضي الله عنه من وجوب سماع
الأربعين لأركان الخطبة ثانيا فقال ولا يخفى أنهم فعلوا ذلك أي الانفضاض عند الخطبة
ثلاث مرات فأنزل الله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا الآية ثم صار صلى الله عليه وسلم

يخطب

اول جمعة صليت

يخطب قبل أن يصلي لتحافظ الناس على عدم الانفضاض لأجل الصلاة وعليه انعقد الإجماع
فلا نظر لمخالفة الحسن البصري وحينئذ يكون قول الجمهور فيما تقدم لا على وجوب
تأخر صلاة الجمعة عن الخطبتين ثبت صلاته صلى الله عليه وسلم بعد خطبتين أي
استقر ثبوت ذلك . وعن الزهري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان
يقول إذا خطب أي في غير الخطبة المتقدمة كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت
لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لأمر الناس يريد الناس أمرا ويريد الله
أمرا فما شاء الله كان لا ما شاء الناس وما شاء الله كان ولو كره الناس لا مبعد لما قرب
الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شيء إلا بإذن الله والله أعلم . ثم ركب صلى الله
عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة أي وقد أرخى زمامها ولم يحركها
وهي تنظر يمينا وشمالا فسأله الذين مر بهم منهم عتبان بكسر العين المهملة ابن مالك ونوفل
ابن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يا رسول الله أقم عندنا في
العدد والعدة والمنعة وفي لفظ والثروة وفي لفظ انزل بنا فإن فينا العدد
والعز والحلقة أي السلاح ونحن أصحاب الحدائق والدرك يا رسول الله كان
الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ إلينا فقال لهم خيرا وقال
خلوا سبيلها فإنها مأمورة خلوا سبيلها وهو يتبسم ويقول بارك الله فيكم وعليكم
فانطلقت حتى وازنت دار بني بياضة تلقته بنو بياضة أي محلتهم والمراد القبيلة . فقال له
بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو مثل ما تقدم وأجابهم بأنها مأمورة ثم
خلوا سبيلها فانطلقت حتى وازنت دار بني ساعدة أي قومهم سعد بن عبادة والمنذر بن
عمرو وأبو دجانة فقالوا له صلى الله عليه وسلم نحوا مما عرض قبل ذلك وأجابهم خلوا سبيلها فإنها
مأمورة فانطلقت حتى مرت بدار عدي بن النجار وهم أخواله صلى الله عليه وسلم أي أخوال
جده عبد المطلب كما تقدم بأوائله ودهم فتلقاه بنو عدي بن النجار أي أولئك الطائفة منهم
بمثل ما تقدم أي وفي رواية أنهم قالوا له نحن أخوالك هلم إلى العدد والمنعة والعز مع القرابة
لا تجاوزنا إلى غيرنا يا رسول الله . أي زاد في رواية لا تجاوزنا إلى أحد من قومنا أولى بك منا
لقرابتنا وأجابهم بأنها مأمورة فانطلقت حتى بركت في محل من محلات بني النجار وذلك في محل
المسجد أي محل بابه أو في محل المنبر الآن وذلك عند دار بني مالك بن النجار وعند باب أبي
أيوب الأنصاري أي واسمه خالد بن زيد النجاري الخزرجي شهد العقبة وسائر المشاهد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع علي بن أبي طالب من خاصته شهد معه الجمل وصفين
والنهروان غزا أيام معاوية أرض الشام مع يزيد بن معاوية سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين
فتوفي عند مدينة قسطنطينية فدفن هناك وأمر يزيد بالخيل فجعلت تقبل وتدبر على قبره

وفاة ابي ايوب

حتى خفي أثر القبر أي خوفا أن ينبشه الكفار فكان المشركون إذا أمحلوا كشفوا عن قبره
فيمطروا فلم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله
صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت إلى مبركها فبركت فيه ثم
تحلحلت أي بالجيم تقعقعت ووضعت جرانها أي باطن عنقها من المذبح إلى المنحر وأرزمت
أي صوتت من غير أن تفتح فاها فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رب أنزلني
منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أي قال ذلك أربع مرات وأخذه صلى الله عليه وسلم
الذي كان يأخذه عند الوحي أي وسري عنه وقال هذا إن شاء الله يكون المنزل أي
وأمر أن يحط رحله وفي لفظ أن أبا أيوب قال له ائذن لي أن أنقل رحلك فأذن له
وأخذ أبو أيوب رحله فوضعه في بيته أي وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته
فكانت عنده . أي وذكر بعضهم أن أبا أيوب لما نقل رحله أناخ الناقة في منزله وقد
حينئذ لا مخالفة لجواز أن يكون أسعد أخذ بزمامها بعد ذلك فكانت عنده . أي وعن
أبي أيوب رضي الله عنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اقترعت الأنصار أيهم
يأويه فقرعهم الحديث . وقد يقال مراده بالأنصار أهل تلك المحلة التي بركت فيها الناقة
وذكر السهيلي أنها لما ألقت جرانها في دار بني النجار أي في محل من محالها جعل رجل من بني سلمة
وهو جبار بن صخر أي وكان من صالحي المسلمين ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل في دار بني سلمة
فلم تفعل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل
ثم بنو الحارث ثم بنو ساعدة وفي كل دور الأنصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة وجد في
نفسه وقال خلفنا وكنا آخر الأربع أسرجوا لي حماري آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكلمه ابن أخيه سهل فقال أتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم أعلم أوليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع وقال الله ورسوله أعلم
وأمر بحماره فحل عنه وفي رواية فقال له أجلس ألا ترضى أن سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الأربع الدور التي سمى فمن ترك فلم يسم أكثر ممن سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخرج جويريات من بني النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بني النجار . يا حبذا محمد من جار

فخرج إليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتحببنني وفي رواية أتحبونني فقلن نعم يا رسول
الله فقال الله يعلم أن قلبي يحبكن وفي رواية والله أحبكم وفي رواية وأنا والله أحبكم وأنا والله
أحبكم وأنا والله أحبكم قال ذلك ثلاثا وهذا ربما يدل لسماع الغناء على الدف من المرأة لغير العرس
ويدل لذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس مرفوعا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين
وجاءت جارية بيدها دف لها سيرتي بها مزهر تختلف فيه بين القوم وهي تغنيهم وتقول

هلهل

يقلن

هل هلي ويحكم . إن لهون من حرج . فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج إن شاء الله تعالى أي
ومما يدل عن عائشة رضي الله عنها دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان
من جواري الأنصار تغنيان وفي رواية تضربان بدفين فاضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني فأقبل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال دعهما وفي رواية فقال أبو بكر مزمور وفي لفظ مزمارة
الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهن يا أبا بكر وانتهرني وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متغشيا بثوبه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف فقال
دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد أي لأن تلك كانت أيام منى وذلك كان يوم عيد الفطر وتلك
الأيام يعني ولا مانع من تعدد الواقعة . أخرج البخاري عن الربيع بنت معوذ أن النبي صلى الله
عليه وسلم دخل عليها غداة بني بها وعندها جويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن
يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولي
هكذا وقولي ما كنت تقولين . وفي حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في بعض
مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله سالما
أن أضرب بين يديك بالدف فقال لها إن كنت نذرت فاضربي فجعلت تضرب فدخل أبو بكر
وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
إن الشيطان ليفرق منك يا عمر إني كنت جالسا وهي تضرب ودخل أبو بكر وهي تضرب فلما
دخلت أنت ألقت الدف أي ولذا قال إن الشيطان يحضر فعلها بالدف لأن المرأة ضعيفة العقل
ولا ينافي ذلك أي سماعه الغناء من المرأة مع الضرب بالدف ما تقدم في باب ما حفظه الله به صلى الله عليه
وسلم في صغره من أمور الجاهلية لأن الدف ثم كان صحبة مزمار بخلافه هنا . وتسمية أبي بكر
رضي الله عنه الدف مزمارا لأنه كان يعتقد حرمته قبل تقييده بالمزمار المحرم سماعه . قال
بعضهم واعلم أن السماع في طريق القوم معروف . وفي الجواذب إلى الجنة معدود وموصوف
وقال بعض أحبائه من أكبر مصائبنا لنفوس أي ولرجوعها إلى مناسبتها . وقد شوهد تأثير
السماع في الحيوانات غير الناطقة بدليل الأشجار ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج
غليظ الطبع . وعن أبي بشر أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر مروا بالحبشة وهم
يلعبون ويرقصون ويقولون . يا أيها الضيف المعرج طارقا . لولا مررت بآل عبد الدار

لولا مررت بهم تريد قراهم . منعوك من جهد ومن إقتار

أي ولم ينكر عليهم وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث خلى عن التكسر فقد صحت الأخبار وتواترت
الآثار بإنشاد الأشعار بين يديه صلى الله عليه وسلم بالأصوات الطيبة مع الدف وغيره وبذلك
استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف ولو فيه جلاجل لما هو سبب لإظهار السرور وعلى جواز إنشاد

القول في السماع

الشعر واستماعه حيث خلى عن هجو لغير نحو فاسق متجاهر بفسقه وخلى عن تشبيب بمعين من امراة او
غلام والخلاف انما هو في سماع الملاهي كالاوتار والمزامير وخوف الفتنة من سماع صوت المراة
او الامرد الجميل • ونقل عن الجنيد انه قال الناس في السماع اي سماع الالات على ثلاثة اضرب
العوام وهو حرام عليهم لبقاء نفوسهم والزهاد وهو مباح لهم لحصول مجاهداتهم والعارفون
وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم • وذكر نحوه ابو طالب المكي وصححه السهروردي في عوارف
المعارف • وفي كلام بعضهم حيث التذ بحسن غير الغافلة على الله مما الهما يحسن من سماع
الصوت الحسن • فقد كانت الطيور تقف على راس داود عليه الصلاة والسلام لسماع صوته
لكن يشكل على ذلك ما اخرجه ابن ابي شيبة عن صفوان بن امية وهو من المولفة قال كنا
عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله كتب على الشقوة
فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال صلى الله عليه وسلم
لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله اي يا عدو الله لقد رزقك الله
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله اما انك لو
قلت بعد هذه المقالة لضربتك ضربا وجيعا الا ان يقال هذا الحديث محمول على من
يتخذه حرفة وهو مكروه تنزيها • وقوله صلى الله عليه وسلم اخترت ما حرم الله
عليك الى اخره للمبالغة في التنفير عن ذلك • ونزوله صلى الله عليه وسلم على ابي ايوب
وقال المرء مع رحله اي بعد ان قال اي بيوت اهلنا يعني اهل تلك المحلة من بني النجار اقرب فقال ابو
ايوب داري هذه او فحططنا رحلك فيها فذهبت تلك الكلمة اي التي هي المرء مع رحله مثلا وقال له
اذهب فهيئ لنا مقيلا فذهب فهيأ ذلك ثم جاء فقال يا نبي الله قد هيأت مقيلا فقم على بركة الله
تعالى ونزل معه صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه • اقول وفي رواية تنازع
القوم • اقول وفي رواية تنازع القوم ايهم ينزل عليه اي كل يحرص على ان يكون داره لنزوله اي
فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الليلة على بني النجار اخوال عبد المطلب لاكرمه
بذلك فلما اصبح غدا حيث امر وحينئذ يكون قول النبي صلى الله عليه وسلم انزل الليلة اي
عند تلك الليلة ولا يخالف هذا ما قبله من قول بني النجار هلم الينا وقوله لهم انها مامورة
لجواز ان يكون امرها لنزول عليهم واعلم ان خصوص البقعة والمحلة من محلات بني النجار التي ينزل
بها من دارهم ما يكون بها الناقة • وفيه انه يبعد مع ذلك ابيع قولهم المذكور اي انه ينزل على بني
النجار سواد منهم بني النجار في النزول عنده الا ان يقال لعلهما لم يبلغ له صلى الله عليه وسلم وذلك
لم يبلغهم قوله المذكور او جوزوا ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا له في ذلك راي
• وقد اشار الى نزوله صلى الله عليه وسلم على بني النجار الامام السبكي في تائيته بقوله •
نزلت على قوم بايمن طائر • لانك ناموس النسا والفتية • فيا لبني النجار من شرف سما

يجرون

سبب نزول وان طائفتان من المؤمنين

يجرون اذياله المعالي الشريفة • وهذا الباب يدل على ان تنازع القوم ونزوله بهم المذكور
كان في اخر الليلة وهو في قبا وهو يرد قول بعضهم يحتمل ان يكون ذلك في اول قدومه
صلى الله عليه وسلم باطن المدينة فالمراد باهل المدينة اهل قبا ويرد قول سبط ابن
الجوزي لعله نزل على بني النجار ليلة اي تلك الليلة ثم ارتحل الى بني عمرو بن عوف
اي في قبا هذا وفي رواية عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فاقام
فيهم اربع عشرة ليلة ثم ارسل الى ملا من بني النجار فجاءوا متقلدين سيوفهم قال
انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وابو بكر ردفه وملا من
بني النجار حوله حتى اناخ بفناء ابي ايوب وهذه الرواية وقع فيها اختصار كبير وبلغنا
انه صلى الله عليه وسلم عرج على عبد الله بن ابي بن سلول وكان جالسا محتبيا واراد
النزول عليه فقال له اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال سعد بن عبادة
يا رسول الله لا تجد في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد ان تملكه
وقد وقع له في بعض الايام انه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو اتيت
عبد الله بن ابي بن سلول اي تالفا له ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه
وليزول ما عنده من النفاق فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق
المسلمون يمشون معه فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له اليك عني والله لقد
اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما اصحابه
فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا فاصلحوا بينهما كذا في البخاري • وفيه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر على ابي بن سلول في جماعة فقال ابي لقد غبرنا ابن ابي كبشة في هذه البلاد فسمعها
ابنه عبد الله رضي الله عنه فاستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه براسه
فقال له صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر اباك وكان ابي جميل الصورة ممتلي الجسم فصيح
اللسان وهو المعني بقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم الاية ولكونه متبوعا
جمع به بصيغة الجمع • وعن الزهري اخبرني عروة بن اسامة بن زيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف واردف اسامة وراءه يعود سعد بن عبادة
في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك
قبل ان يسلم عبد الله بن ابي فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان
واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فثار غبار من مشي الحمار فخمر ابن ابي انفه بردائه

ثم قال له تبرزوا الينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن
فقال ابن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا ارجع
الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به
فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد الم تسمع
ما قال ابو حباب يعني ابن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف
عنه واصفح فوالله الذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي انزل عليك ولقد
اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد ذلك بالحق الذي اعطاك
الله شرق بذلك فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اعلم ● ومكث صلى الله عليه وسلم ببيت ابي ايوب الى ان بنى المسجد وبعض
مساكنه ومدة مكثه في بيته ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة اي
وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت ابي ايوب سبعة اشهر ● قال ولما تحول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون اي غالبهم ايضا
فما بقي فتنافست فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهمان فما نزل احد
من المهاجرين على احد من الانصار الا بقرعة بينهم فكان المهاجرون في دور الانصار
واموالهم ● وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابي امامة اسعد بن
زرارة رضي الله تعالى عنه وكان ابو امامة يجمع فيه بمن يليه بنا في بعض مربد للتمر لسهل
وسهيل اي يجفف فيه التمر ويرادف المربد الجرين والمسطح والبيدر وهو ما يبسط
فيجعل للزرع او التمر للتجفيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في ذلك المربد
قال بعضهم يعني ام زيد بن ثابت انها قالت رأيت اسعد بن زرارة قبل ان يقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد
سهل وسهيل قالت فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم صلى بهم في ذلك
المسجد وبناه اي مع ارضاء بقيته ذلك المربد فهو مسجده وحينئذ لا يخالف ذلك قول الحافظ
الدمياطي عن الزهري قال بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين قبل قدومه صلى الله عليه وسلم
وكان مربدا لسهل وسهيل وكان جدارا مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان
اسعد بن زرارة بناه وكان يصلي باصحابه ويجمع بهم الجمعة فيه قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي ولما قدم المدينة صار يصلي فيه ● وقد يقال لا منافاة كان اسعد بن زرارة بنى فيه جدارا

كان محل مسجده صلى الله عليه وسلم

قبله بيت المقدس كان يصلي فيه بالناس قبل قدوم مصعب بن عمير ثم صلى بهم فيه مصعب هذا كلامه
ولعلم ما فيه لما قدمناه في قدوم مصعب المدينة لكن في البخاري انه صلى الله عليه وسلم
كان يصلي في مرابض الغنم قبل ان يبني المسجد اي ولعله اتفق له ذلك في بعض الاوقات
لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي حيث ادركته الصلاة ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
سأل اسعد بن زرارة ان يبيعه تلك البقعة التي كانت من جملة ذلك المسجد ليجعلها
مسجدا فانها كانت في يده ليتيمين في حجره وهما سهل وسهيل وقيل كانا في حجر معاذ بن
عفراء اي قال الاصل وهو الاشهر وفي المواهب ان الاول هو المرجح واليتيمان المذكوران من
بني مالك ابن النجار وقيل كانا في حجر ابي ايوب الانصاري قال بعضهم والظاهر ان الكل
اي من اسعد ومعاذ وابي ايوب كانوا يتكلمون لليتيمين لانهم بنو عمهم فنسبا الى حجر كل وقد
عرض ابو ايوب عليه صلى الله عليه وسلم ان يأخذ تلك الارض ويقوم لليتيمين قيمتها فابى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعهما بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر رضي الله
عنه وفي رواية فدعا الغلامين فساومهما بالمربد فقالا نهبه لك يا رسول الله
فابى ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وامر ابا بكر ان يعطيهما ذلك
اي وحينئذ يكون وصفهما باليتم باعتبار ما كان ● وفي رواية ارسل صلى الله عليه وسلم
الى الملأ من بني النجار ولعلهم من تقدم وهم اسعد ومعاذ وابو ايوب ومعهم سهل وسهيل
فجاؤه صلى الله عليه وسلم فقال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا اي خذوا مني ثمنه قالوا
لا والله لا نطلب ثمنه الا الى الله فابى ان يأخذه الا بالثمن ● قال وعن اسعد
ابن زرارة عوض اليتيمين عن تلك الارض نخلة اي له في بني بياضة وقيل
ارضاهما ابو ايوب وقيل معاذ بن عفراء وطريق الجمع بين ذلك انه يجوز ان يكون كلا
من اسعد وابي ايوب ومعاذ ابن عفراء دفع لهما شيئا اي زيادة على الثمن ونسب
ذلك لكل منهم ● وجاء انه كان في تلك الارض قبور المشركين فامر بها صلى الله عليه
وسلم فنبشت وامر بالعظام فغيبت انتهى اي وفي رواية وامر بالعظام ان تغيب وفي رواية
كان في موضع المسجد نخل وخرب اي حرث ومقابر المشركين فامر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت
وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت ● اي وفي سيرة الحافظ الدمياطي فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالنخل الذي في الحديقة اي وهي تلك الارض التي كانت مربدا اي وسميت حديقة
لوجود النخل بها وامر بالغرقد الذي فيها ان يقطع والغرقد شجر معروف وبقيع الغرقد
مقبرة اهل المدينة وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود لانه لا يدل على اليهودي اذا توارى
به عند نزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال ولجنده من اليهود فاذا توارى اليهودي بشجرة
قالت يا روح الله هاهنا يهودي فيأتي حتى يقف عليه فاما ان يسلم واما ان يقتله

الاستجمار فوجد فانه لا ينبغي لعلي اليهودي اذا توارى به فقيل له تنجر اليهود لذلك قال وكان
في المربد ما يستجمر بعيره حتى ذلك والمستجمر الذي يتمسح من البول ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبني به المسجد • وجاء انه صلى الله عليه وسلم
عند الشروع في البناء وضع لبنة ثم دعا ابا بكر فوضع لبنة اي بجانب لبنته صلى الله عليه
وسلم ثم دعا عمر فوضع لبنة بجانب لبنة ابي بكر ثم جاء عثمان فوضع لبنة بجانب لبنة
عمر اي وفيما اخرجه ابن حبان لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في البناء
حجرا او قال لابي بكر ضع حجرك الى جانب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك الى جانب حجر ابي
بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جانب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدي قال ابو زرعة
اسناده لا باس به فقد اخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلاء ولاة
الامر بعدي قال ابن كثير وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال بعضهم
وقوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ما ذكر اي ضع حجرك الى جنب حجر عمر يرد على من
زعم ان هذا منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى قبورهم اي اذ لو كان ذلك اشارة
الى ذلك لدفن عثمان بجانب عمر كما دفن عمر بجانب ابي بكر رضي الله تعالى عنهم
بل هو اشارة الى ترتيب الخلافة اي لانه يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم
هؤلاء الخلفاء بعدي الا ان في ثم جاء في رواية فسئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فقال امر الخلافة من بعدي وبتصحيح الحاكم لما ذكر يظهر التوقف
في قول بعضهم ان هذا لم يجيء في الصحيح الا ان يريد صحيح الشيخين واما قوله قال
البخاري في تاريخه ان ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور لان عمر وعثمان وعليا
قالوا لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم فقد بينا العلة بعيدة معناه لم يستخلف
استخلافا صريحا بعينه منصوصا وذلك لا ينافي الاشارة الى وقوع الخلافة لهؤلاء
بعده ولا ينافيه قوله هؤلاء الخلفاء بعدي لجواز ان يراد الخلافة في العلم ثم رأيت
ابن حجر الهيتمي اشار الى ذلك حيث قال قلت هذا اي وضع ذلك الاحجار وقوله
صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدي مع احتماله للخلافة في العلم والارشاد
على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت لم يكن نصا سالما من المعارضة
كلامه • ثم قال للناس صفوا اي الحجارة فوضعوا ورفع بالحجارة اي قرب من ثلاثة
اذرع وبنيا باللبن وجعل عضادتيه اي جانبيه بالحجارة وسقفه بالجريد وجعل
عمده وفي رواية سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامة اي كان ارتفاعه قدر
قامة • قال وعن شهر بن حوشب قال لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبني
المسجد قال ابنوا لي عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر

اعجل

اعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام اصاب رأسه السقف اي فالمراد ت
اجعلوا سقفه يكون بحيث اذا قمت اصاب رأسي السقف او رفعت يدي اصابت السقف
والجمع بين هاتين الروايتين يدل على ان المراد ما هو قريب من ذلك بحيث لا يكون كثير
الارتفاع فلا ينافي ما ياتي من انه جعل ارتفاعه سبعة اذرع وفي سيرة الحافظ
الدمياطي قيل له الا تسقف قال عريش كعريش موسى خشبات وثمام اي وقيل للحسن ما عريش
موسى قال اذا رفع يده بلغ العريش يعني السقف • وفي رواية لما اراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بناء المسجد قال ابنوا لي اي قال له جبريل عريش كعريش اخي موسى سبعة اذرع طولا
في السماء اي وكان سبعة اذرع بحيث يصيب رأسه ولا تزخرفه والامر اعجل من ذلك
اي وفيه ان هذا يقتضي ان موسى كان طوله سبعة اذرع وهو يخالف ما اشتهر ان قامة
موسى كانت اربعين ذراعا وعصاه كذلك ووثبته كذلك • وقد جاء ما امرت بتشييد
المساجد اي ولعل قوله ذلك كان لما جمع الانصار مالا وجاءوا به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه الى متى نصلي تحت هذا الجريد
وجاء لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد • وجاء من اشراط الساعة ان
يتباهى الناس في المساجد اي يزخرفونها كما زخرفت اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم
ولم يكن على السقف كثير طين اذا كان المطر يكف اي ينزل منه ماء المطر المخلوط بالطين
عليهم بحيث يمتلئ اي المسجد طينا فقالوا يا رسول الله لو امرت فطين اي جعل عليه طين
كثير بحيث لا ينزل منه المطر فقال لا عريش كعريش موسى فلم يزل كذلك حتى قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم • وعند بنائه عمل فيه المسلمون المهاجرون والانصار وعمل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ليرغب المسلمون في العمل فيه • قال وجاء
انه صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن اي في ثيابه وفي رواية في ردائه حتى اغبر
صدره الشريف وصار يقول • هذا الحمال لا حمال خيبر • هذا ابر ربنا واطهر •
اي هذا المحمول من اللبن ابر واطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب فالحمال
بالحاء المهملة بمعنى المحمول ووقع في رواية بالجيم جمع جمل قال بعضهم وللروحه وللاول
اظهر ولا يحسن هذا الوجه الا اذا كانت جمال خيبر تستعمل جمال غيرها وما ربنا يقول

• اللهم ان الاجر اجر الاخرة • فارحم الانصار والمهاجرة •

قال البلاذري وهذا القول لامرأة من الانصار قال وتمامه •

• وعاقهم من حر نار ساعرة • فانها للكافر ذكا فره •

والذي في البخاري فاغفر للانصار والمهاجرة • ولعله صلى الله عليه وسلم هو الذي اخرجه
عن الوزن كما هو عادته في انشاد الشعر كما سياتي وفي لفظ فاصلح وفي لفظ فاكرم وفي رواية

اللهم لا خير الا خير الاخره فارحم المهاجرين والانصار وفي رواية فانصر الانصار والمهاجره
وعن الزهري انه كان يقول اللهم لا خير الا خير الاخره فارحم المهاجرين والانصار
لانه كان لا يقيم الشعر اي لا ياتي به موزونا ولو تمثله • وفيه انه صح قوله اللهم ان
الاجر الى اخره لا يكون شعرا موزونا الا ان حذف ال من اللهم وقال لاهم وكسر همزة
فارحم وحينئذ تكون المراة من الانصار انما نطقت بذلك اي قالت لاهم الى اخره
وهو صلى الله عليه وسلم هو الذي غيره • ونقل عن الزهري انه صلى الله عليه وسلم لم يقل
بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال البيت ولم اقف على قائله وسياتي عن
الزهري انه من انشائه صلى الله عليه وسلم وسياتي ما فيه • وفي كلام بعضهم قال ابن
شهاب يعني الزهري لم يبلغنا في الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر
تام اي موزون الا هذه الابيات قال ابن عايذ اي التي كان يرتجز بهن وهو
ينقل اللبن لبنا المسجد اي وفيه ان هذا يخالف ما تقدم عن الزهري انه صلى الله
عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال قلت يجوز ان يكون مراده
بذلك على انه تمثل ببيت شعر تام موزون غير ذلك فقد جا انه صلى الله عليه وسلم
جعل يده وهو يتلو بدرا يقول • نفلق هاما من رجال اعزة علينا وهم كانوا اعق
واظلما وفي المواهب وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشا الشعر لا انشاده
اي وقد جا انا ابي ما اتيت ان انا قلت الشعر من قبل نفسي • وفي الكشاف وقد
صح ان الابيات معدودات من الشعر ولا يدل على منع انشاده الشعر موزونا متمثلا
انه قد نقل الحافظ الدمياطي عن الزهري انه كان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يقل
شيا من الشعر الا ما قد قيل قبله الا قوله • هذا الحمال لا حمال خيبر • هذا ابر ربنا
واطهر اي فانه من قوله وهو يخالف ما تقدم عنه ولعله سقط من عبارة الزهري
المذكور شي والاصل انه لم يقل شيا من الشعر الا ما قد قيل قبله ولم يقل ما قيل تاما
اي موزونا الا قوله هذا الحمال الى اخره فلا يخالف ما تقدم عنه • وكونه كان لا يقيم
الشعر اي لا ياتي به موزونا ولو تمثله هو المنقول عن عايشة رضي الله عنها فقد قيل لها
هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي بشي من الشعر فقالت كان ابغض الحديث اليه
الشعر غير انه كان يتمثل به ويجعل اوله اخره واخره اوله اي غالبا كان يقول ويانيك
من لم تزود بالاخبار ويقول كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا اي وقد قيل قول سحيم
بمهملة مصغرا عبد بني الحسحاس شاعر مشهور مخضرم • كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا
ولما غير ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الصديق رضي الله عنه انما قال الشاعر
كذا فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق اشهد انك رسول الله وما علمناه

الشعر

الشعر فلما سمع صلى الله عليه وسلم قول سحيم • الحمد لله حمدا لا انقطاع له • فليس احسانه عنا بمقطوع
قال احسن وصدق وقول الصديق اشهد انك رسول الله وما علمناه الشعر يدل على انه صلى الله
عليه وسلم لا يجري الشعر على لسانه موزونا • وقد قيل له صلى الله عليه وسلم من اشعر الناس قال
الذي يقول • الم تر اني كلما جئت طارقا • وجدت بها وان لم تطيبي طيبا • الاصل وجدت بها
طيبا وان لم تطيبي • وكان ابو بكر رضي الله عنه يقول بابي انت وامي يا رسول الله ما انت بشاعر
ولا راويه • والمراد بكون الشعر لا ينطلق لسانه به والا فقد كان يسمع الشعر كما تقدم
ويستنشده • فقد ذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنسا اخت صخر لامه
ويعجبه شعرها فكانت تنشد وهو يقول هيه يا خنسا ويومي بيده • وقد قال بعضهم
اجمع اهل العلم بانه لم تكن امراة قبلها ولا بعدها اشعر منها ومن شعرها في اخيها المذكور
اعيني جودا ولا تجمدا • الا تبكيان لصخر الندا • طويل النجاد عظيم الرماد • وساد
عشيرته امردا • وللجلال السيوطي كتاب سماه نزهة الجلسا في اشعار النسا •
وقوله في قول عايشة انه كان يتمثل بالشعر ويجعل اوله اخره اي غالبا حتى لا ياتي
به تاما فقد جا انه كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويانيك بالاخبار من لم تزود وقولها انما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد شعرا الا بيتا واحدا • تفاءل بما تهوى يكن فلقلما
يقال لشي كان الا تحققا • وفي الخصايص الكبرى قال المزني ولم يبلغني انه صلى الله عليه وسلم
انشد بيتا تاما على رويه بل اما الصدر كقول لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل او العجز
كقول طرفة ويانيك بالاخبار من لم تزود • اي وفيه ما تقدم عن عايشة • وكقوله وقد
انشده اعشى بني مازن ابياتا في ذم النسا اخرها هذه الابيات • وهن شر غالب لمن غلب
فانه انشد بيتا كاملا غيره اي غالبا لما تقدم كبيت العباس بن مرداس اي فانه صلى الله
عليه وسلم قال للعباس بن مرداس ارايت قولك وفي لفظ انت القايل • اتجعل نهبي ونهب العبيد
بين الاقرع وعيينة فقيل له انما هو بين عيينة والاقرع فقال عليه الصلاة والسلام
انما هو الاقرع وعيينة فقال ابو بكر بابي انت وامي يا رسول الله وفي لفظ اشهد انك رسول
الله ما انت بشاعر ولا راويه ولا ينبغي لك انما قال بين عيينة والاقرع كما لا ينبغي
لك ان تكون شاعرا اي قال الله تعالى لا ينبغي لك ان تكون راويا للشعر اي بان
تاتي به على وجهه اي شانك ذلك يكون قاعدة من الشعر وكونه لا ياتي به
وجوده منه على وجهه في بعض الاوقات قليلا نادرا ولا يخالف ما تقدم عن تعريف الشعر
المواهب لانه يجوز ان يكون هذا المنقول عن عايشة وعن المزني وعن بعضهم كان اغلب احواله
كما قدمناه في المنقول عن عايشة • ولا يخفى ان الشعر عرفا بانه كلام عربي موزون عن قصد
قال البدر الدماميني وقولنا عن قصد يخرج ما كان وزنه اتفاقيا كايات شريفة اتفق

جريان الوزن فيها أي من بحور الشعر الستة عشر وقد ذكرها الجلال السيوطي في حاشيته التلخيص ولذا
كان في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون • وقوله وجفان كالجواب وقدور راسيات
وقوله نصر من الله وفتح قريب • وكلما أن شيئا منه بحرا جاء الوزن فيها اتفاقا غير مقصود
كان قول النبي صلى الله عليه وسلم هل أنت إلا إصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت
على تسليم أنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم • ذكر الماوردي من أئمتنا أنه كان يحرم عليه قول
الشعر أي إنشاؤه يحرم عليه روايته أي دون إنشاده متمثلا وفرق بعضهم بين
الإنشاد والرواية بأن الرواية يجوز فيه أن قال كذا وأما إنشاده متمثلا فلا يقول
ذلك هذا الكلام • قال وهذا أنسب لبعضهم وكان الفرق بين الرواية والإنشاد أن في قول
قائله نقصا للقائل بسبب قوله وهذا أنسب لرفع شأنه عن الشعر والمطلوب
منه الإعراض عن الشعر من حيث كونه شعرا • وفيه أن الصديق قال له عند كل من الرواية والإنشاد
لست براويه كما تقدم • وعن الخليل كان الشعر أحب إليه صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام أي وقد
ينافي لا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان أبغض الحديث إليه صلى الله عليه
وسلم الشعر لأن المراد بالشعر الذي يحبه ما كان مشتملا على حكمة أو وصف جميل من مكارم الأخلاق
والذي يبغضه ما كان مشتملا على ما فيه هجنة أو هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه
حسن وقبيحه قبيح • وفي الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح
الكلام الشعر الحسن أحد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
إذا خفي عليكم شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب • وفي كلام
سيدنا عمر رضي الله عنه نعم الأبيات من الشعر يقدمها الرجل في صدر حاجته يستعطف بها
قلب الكريم ويستنزل بها لؤم اللئيم • والحاصل أن الحق الحقيق بالاعتماد وبه يجتمع الأقوال
أن المحرم عليه صلى الله عليه وسلم إنما هو إنشاء الشعر أي الإتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه
وهذا هو المعنى بقوله تعالى وما علمناه الشعر فإن فرض وقوع كلام موزون منه صلى الله عليه
وسلم لا يكون ذلك شعرا اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه صلى
الله عليه وسلم أنه إذا أنشد بيتا من الشعر متمثلا أو منسوبا لقائله لا يأتي به موزونا وربما أتى
موزونا وادعى بعض الأدباء أنه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر أي يأتي به موزونا قصدا ولكنه
كان لا يتعاطاه أي لا يقصد الإتيان به موزونا قال وهذا أتم وأكمل مما لو قلنا بأنه كان لا يحسن
وفيه أنه يخدش تكذيب القرآن • وفي التهذيب للبغوي من أئمتنا قيل كان صلى الله عليه وسلم
يحسن الشعر ولا يقوله والأصح أنه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديه ولعل المراد
يميز بين الموزون منه وغير الموزون ثم رأيته في ينبوع الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين
بالإسلام حفظا لنفسه وماله يعرض في كلامه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر ويقصد به

تكذيب

تكذيب كتاب الله تعالى في قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له • قال بعضهم والحكمة في تنزيه القرآن
عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره أن القرآن منبع الحق ومجمع
الصدق وقصارى أمر الشاعر التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق والإفراط في الإطراء والمبالغة
في الذم والإيذاء دون إظهار الحق وإثبات الصدق ولهذا نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه
ولأجل شهرة الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان
والكذب شعرية • وقد جاء النهي عن إنشاد الشعر في المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رأيتموه
ينشد شعرا في المسجد فقولوا له فض الله فاك ثلاث مرات والأخذ بعمومه فيه من العسر ما لا
يخفى • وفي الغرائب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال من قال إن آدم قال الشعر فقد كذب
على الله ورسوله ورمى آدم بالإثم وإن محمدا والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم في
النهي عن الشعر سواء • وفي كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي في قوله تعالى وما علمناه الشعر
وما ينبغي له اعلم أن الشعر محل الإجمال واللغز والتورية أي ما رمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم
شيئا ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئا آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم
يفهم وأطال في ذلك • وهل يشكل على ذلك الحروف المقطعة أوائل السور ولعله
رضي الله تعالى عنه لا يرى أن ذلك من المتشابه أو أن المتشابه بين مما استأثر الله تعالى
بعلمه والله أعلم • ولما رأى صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله تعالى عنهم ينقلون اللبن
بنفسه وأبوا أي ذلك أي من نقل اللبن أي وهو المراد بالصخر في قول بعضهم وجعل
أصحابه ينقلون الصخر أو المراد الصخر الذي يبنى به الجدار وجاء في الباب كما تقدم
حتى قال قائلهم • لئن قعدنا والنبي يعمل • لذاك منا العمل المضلل • وجعل يحمل كل
رجل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض
التراب عن رأس عمار بن ياسر ويقول يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال إني أريد الأجر
من الله تعالى • وفي رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عنه صلى الله عليه وسلم فمسح
رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال يا ابن سمية للناس أجر ولك أجران وآخر
زادك من الدنيا شربة من لبن • وجاء في حق عمار رضي الله عنه ابن سمية ما عرض عليه
أمران قط إلا اختار أرشدهما • إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وتقتله
الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار وعمار يقول أعوذ بالله • وفي رواية
بالرحمن من الفتن أي وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يستمر ينقل اللبن
بل نقل ذلك في بعض الأوقات • وفي مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال أخبرني
من هو خير مني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين شرع يحفر الخندق جعل يمسح
رأس عمار ويقول بؤس ابن سمية تقتلك فئة باغية وفي رواية تقتلني ما أتهمه أبو سعيد

فضل عمار بن

وهو ابو قتادة وزاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق وكان الناس يحملون
لبنة لبنة اي من الحجارة التي تقطع وعمار ناقه من وجع كان به فجعل يحمل لبنتين قال لعمار
ابو سالك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ثم رأيت بعضهم قال يشبه ان يكون ذكر
الخندق وهما او قالها عند بناء المسجد وقاله يوم الخندق فهذا كلامه اي ويكون عمار
ابن ياسر في الخندق صار يحمل الحجرين وكان في بناء المسجد يحمل لبنتين • وكان عثمان
ابن مظعون رضي الله عنه رجلا متنظفا اي متنزها فكان اذا حمل اللبنة يجافي بها عن
ثوبه لئلا يصيبه التراب فان اصابه شئ من التراب نفضه فنظر اليه علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وانشد يقول اي مباسطة مع عثمان بن مظعون لا طعنا فيه •

لا يستوي من يعمر المساجدا • يدأب فيها قائما وقاعدا •
ومن يرى عن الغبار حائدا • اي وكان عثمان هذا •

من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال لا اشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك
بي من هو ادنى مني • وذكر ابن اسحاق قال سألت غير واحد من اهل العلم بالشعر عن هذا
الرجز هل تمثل به علي او انشاه فكل يقول لا ادري فسمع ذلك الرجز عمار ابن ياسر
فصار يرتجز به ذلك وهو لا يدري من يعني به فمر به بحجر به على عثمان فظن
عثمان ان عمارا يقصد التعريض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما اعرفني بمن تعرض
بي لتكفن او لاعترضن بهذه الحديدة لحديدة كانت معه وجهك وفي لفظ والله
اني ارى اني ساعترض هذه العصا الانف ط لعصاة كانت في يده فسمعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فغضب وقالوا لعمار بن ياسر جلدة ما بين عيني ووضع يده الشريفة
بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار رضي الله عنه قد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي ونخاف ان ينزل فينا قرآن فقال انا ارضيه فقال يا رسول الله ما لي ولاصحابك
قال ما لك ولهم قال يريدون قتلي يحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين لبنتين
اي وفي لفظ يحملون علي اللبنتين والثلاث اي ولعله حمل ثلاث لبنات في بعض الاوقات
فاخذ بيده وطاف به المسجد وصار يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة
الشعر الذي جمعه القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة
الباغية ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة اي الى سببها وهو
اتباع الامام الحق لانه كان يدعوا الى اتباع علي وطاعته وهو الامام الواجب الطاعة
اذ ذاك ويدعونه الى النار اي سببها وهو عدم اتباع علي وطاعته واتباع معاوية
وطاعته وبينوا ان تلك الفئة التي كان فيها قاتله كان فيها جمع من الصحابة وهم
معذورون بالتاويل الذي ظهر لهم الا ان بناء يدعونه الى النار باعتبار اعتقاده
والملاقى

والملاقى لهم علي جيشه باعتبار ذلك • قال بعضهم وفيه معاوية وان كانت باغية لكنه
بغي لا فسق به لانه انما صدر عن تاويل يعذر به اصحابه انتهى اي وما زاده بعضهم في
الحديث لا انالهم الله شفاعتي يوم القيامة • قال ابن كثير من زاد هذا فقد افترى في
هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يقلها اذ لم ينقل من طريق
وقال الامام ابو العباس بن تيمية وهذا اكذب مزيد في الحديث لم يروه احد من اهل
العلم باسناد معروف وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم عمار جلدة ما بين عيني لا يعرف
له اسناد والذي في الصحيح تقتل عمارا الفئة الباغية • وعن ابي الغادية سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قاتل عمار في النار ومن العجب ان ابا الغادية هذا هو
القاتل لعمار يوم صفين فكان ابو الغادية مع معاوية وكان عمار مع علي اي ويقال ان عمارا
لما برز للقتال قال اللهم لو اعلم رضاك عني ان اوقد نارا فاري نفسي فيها لفعلت
او اغرق نفسي لفعلت واني لا اريد بقتالي هؤلاء الا وجهك الكريم وانا ارجوا ان لا
تخيبني وجعلت يده ترتعش على الحربة اي لان عمره يومئذ كان ثلاثا وسبعين سنة
اي وقد كان جئ له بلبن فضحك فقيل له ما يضحكك قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اخر شراب تشربه حين تموت لبن وفي رواية اخر زادك من الدنيا
ضيح من اللبن ثم نادى اليوم زخرفت الجنان وزينت الحور الحسان اليوم نلقى الاحبة
محمدا وحزبه • ولما قتل عمار دخل عمرو بن العاص على معاوية فزعا وقال قتل عمار فقال
معاوية قتل عمار فماذا قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتله الفئة
الباغية فقال له معاوية دحضت اي زلقت في بولك انحن قتلناه انما قتله
من اخرجه وفي رواية قال له اسكت فوالله ما تزال تدحض اي تزلق في بولك
انما قتله علي واصحابه جاءوا به حتى القوه بيننا • ويذكر ان عليا رضي الله تعالى عنه
لما احتج على معاوية رضي الله عنه بهذا الحديث ولم يسع معاوية انكاره قال انما قتله
من اخرجه من داره يعني به عليا فقال علي رضي الله عنه فرسول الله اذا قتل حمزة
حين اخرجه • ولما قتل عمار جرد خزيمة ابن ثابت رضي الله عنه سيفه وقاتل مع علي
وكان قبل ذلك اعتزل عن الحربين وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تقتل عمارا الفئة الباغية فقاتل معاوية حتى قتل • وكان ذو الكلاع رضي الله تعالى عنه
مع معاوية وقال له يوما ولعمرو بن العاص كيف تقاتل عليا وعمار بن ياسر فقالا له انه
عمارا يعود الينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية لو
كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس الى علي اي لان ذا الكلاع كان ذو ورع [illegible]
العرب وقتل عشرة الاف • وكان عبد الله بن بديل بن ورقاء رضي الله عنه مع علي رضي الله

قتل عمار
بن ياسر

فلما قتل عمار اخذ سيفه ولبس درعه ولم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى الى معاوية فازاله عن موقفه
وازال اصحابه الذين كانوا معه عن موقفهم ثم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال الا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع الامر اهله ومن ليس
مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب وزين لهم
الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر وانتم والله على الحق على نور
من ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة الجفاة فقاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين فقاتلوا الفئة الباغية الذين
نازعوا الامر اهله فقوموا رحمكم الله . ولما قتل عمار ندم عمرو رضي الله عنه على عدم نصرة
علي رضي الله عنه والمقاتلة معه وقال عند موته ما اسفي على شيء ما اسفي على تركي قتال
الباغية . قال بعضهم شهدنا صفين مع علي بن ابي طالب في ثمانمائة من اهل بيعة
الرضوان وقتل منهم ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر . وكان خزيمة بن ثابت الذي
جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين كان حضر يوم صفين
كافا سلاحه حتى قتل عمار جرد سيفه وقاتل حتى قتل لانه كان يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول عمار تقتله الفئة الباغية . وفي الحديث من عادى عمارا
عاداه الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله عمار يزول مع الحق حيث يزول عمار
خلط الايمان بلحمه ودمه عمار ما عرض عليه امران الا اختار الارشد منهما .
وجاء ان عمارا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالطيب المطيب ان
عمار بن ياسر حشي ما بين اخمص قدميه الى شحمة اذنيه ايمانا . وفي رواية ان عمارا
ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه . وتخاصم عمار وخالد
ابن الوليد في سرية كان فيها خالد اميرا فلما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم استبا عنده
فقال خالد يا رسول الله ايسرك ان هذا العبد الاجدع يشتمني فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فانه من سب عمارا فقد سب الله ومن ابغض
عمارا فقد ابغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله ثم ان عمارا قام مغضبا فقام خالد
فتبعه حتى اخذ بثوبه واعتذر اليه فرضي عنه . وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار ما لم تغلب عليه دلهة
الكبر وهذا الحديث من اعلام النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان
بعض الشحنا واجمع عند ان يريد ان يخلع عثمان فاستدعاه سعد بن ابي وقاص
وكان مريضا فقال له ويحك يا ابا اليقظان كنت فينا من اهل الخير فما الذي بلغني
عنك من السعي في الفساد بين المسلمين والتاليب على امير المؤمنين امعك عقلك ام لا

فقام

ومن الغرائب

فقام عمار ونزع عمامته وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه فقال سعد انا لله وانا اليه راجعون
ويحك حين كبر سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك وخرجت من
الدين عريانا كما ولدتك امك فقام عمار مغضبا موليا وهو يقول اعوذ بربي من فتنة
سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال فقد لزم خرف عمار واظهر عمار القوم على
ذلك . قال وجعلت قبلة المسجد الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة ابواب
باب في مؤخره والباب الذي كان يقال له باب عاتكة وكان يقال له باب الرحمة
والباب الذي يقال له الان باب جبريل انتهى اي وهو الباب الذي كان يدخل
منه صلى الله عليه وسلم ويقال له باب عثمان لانه كان يلي دار عثمان وهو الذي في
يمينه الان الى البقيع . اقول وجعل قبلته الى بيت المقدس كان قبل ان تحول
القبلة ولما حولت القبلة الى الكعبة وهذا محل قوله صلى الله عليه وسلم ما وضعت
قبلة مسجدي هذا حتى رفعت لي الكعبة فوضعتها امامها اذ اتمها اي اقصدها
وفي رواية ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى فرج لي ما بيني وبين الكعبة والله اعلم
ومن كلام بعضهم ومن الغرائب الحسنة ما ذكره مغلطاي ان موضع المسجد كان ابتاعه
تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بالف سنة وانه لم يزل على ملكه اي
متعلقا به من ذلك الوقت على ما يدل عليه كتاب تبع . اقول سيأتي ان تبعا بنى
للنبي صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة اذا قدمها ينزل في تلك الدار وان
يقال ان تلك الدار دار ابي ايوب وقد يجمع بانه يجوز ان يكون ذلك المربد وذا الدار ابي ايوب
يجمعهما تلك الدار وان تلك الدار قسمت فكان دار ابي ايوب بعضها وذلك
المربد بعضها الاخر وان الايدي تداولت تلك الدار الى ان صارت لابي
ايوب وهذا هو المراد بقول الحافظ تداولت الدار الملاك الى ان صارت لابي ايوب .
لكن قد يتأيد لو كانت الدار مذكورة في الكتاب لذكر ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فان الكتاب كما سيأتي وصل اليه وهو بمكة من اول البعثة ويذكر دار
ابي ايوب واصله المربد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك اي انه ذكر له امر
تلك الدار والله اعلم . قال ومكث صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد بعد ما اسس
الى بيت المقدس ستة عشر شهرا ولما حولت القبلة حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الباب الذي كان في مؤخر المسجد . ومن كلام بعضهم لما حولت القبلة لم يبق من
الابواب التي كان يدخل منها صلى الله عليه وسلم الا الباب الذي يقال له باب جبريل
اي فانه بقي في محله واما باب الرحمة الذي كان يقال له باب عاتكة فاخر عن محله
[illegible] مع الحصا في المسجد ان المطر جادت ليلة فاصبحت الارض مبتلة فجعل

لو جئتنا بالحصا فيؤتى به فيبسطه تحته ليصلي عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ما احسن هذا وفي رواية ما احسن هذا البساط ● ويستفاد من هذا ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحصب المسجد فان قيل ذلك تحصيبه عمر رضي الله عنه ● اقول لا يقال لا تعارض لانه يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم لما احبه ذلك من فعل بعض الصحابة امر ان يحصب جميع المسجد لان الواضح تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع فرش المساجد الا ان يراد بالحصر ونحوها لانه لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا امر به ثم رايت بعضهم ذكر ذلك حيث قال اول من فرش الحصر في المساجد عمر بن الخطاب وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصا اي في زمنه كما تقدم ● وفي الاحيا اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذ من غرر المعروف في زماننا فرش المساجد بالبسط الرفيعة وقد كان يعد فرش البواري في المساجد بدعة كانوا لا يرون ان يكون بينهم وبين الارض حائل هذا كلام الاحيا اي والحصبا لا تعد حائلا وسياتي ان المسجد بني بعد فتح خيبر وهي التي عناها رضي الله عنه بقوله لما كثر الناس قالوا يا رسول الله لو زيد فيه ففعل ولعلها هي الارض التي ادخل فيها الارض التي اشتراها عثمان رضي الله عنه من بعض الانصار بعشرة الاف درهم ثم جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتشتري مني البقعة التي اشتريتها من الانصار اي التي كانت مجاورة للمسجد فاشتراها منه ببيت في الجنة اي وفي رواية ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما حصر اي الحصرة الثانية واشرف على الناس من فوق سطح داره وقد اشتد به العطش قال اهاهنا علي قالوا لا قال اهاهنا طلحة قالوا لا قال انشدكم بالله الذي لا اله الا هو اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بني فلان اي لمربد كان مجاور المسجد غفر الله له فابتعته بعشرين الفا او بخمسة وعشرين الفا شك عثمان رضي الله تعالى عنه وتقدم انه اشتراها بعشرة الاف درهم فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد ابتعته فقال اجعله في مسجدنا واجره لك قالوا اللهم نعم قد كان ذلك وفي لفظ انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان لبقعة كانت الى جنب المسجد فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها في المسجد له مثلها وفي لفظ بخير له منها في الجنة فاشتريتها ووسعتها في المسجد فانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها ركعتين اي وقد زاد فيه عثمان رضي الله عنه بعد ذلك زيادة كبيرة

من فرش الحصر المسجد

وبنى

وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج اي في البخاري وعن عثمان رضي الله عنه انه اشرف عليهم فقال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ولم يكن يشرب منها احد الا بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفي لفظ فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين بخير له منها في الجنة وفي لفظ له بها مشرب في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل قالوا اللهم نعم قال فانتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها بل وتمنعوني الماء الا ما يسقيهم فانا اشرب من الماء الملح وفي رواية اي اهل عثمان من يبلغ عليا عطشنا فابلغوه فلما بلغ ذلك عليا ارسل اليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من بني هاشم وبني امية اي وكانت هذه البئر ركية ليهودي يقال لها رومة يقال انه اسلم وكان يبيع المسلمين ماءها وكانت بالعقيق وقيل فيها صلى الله عليه وسلم عذب ماؤها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب في الجنة اتى عثمان اليهودي فساومه فيها فابى ان يبيعها كلها فاشترى نصفها باثني عشر الف درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودي يوما فكان اذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما راى اليهودي ذلك قال لعثمان افسدت علي ركيتي فاشترى النصف الآخر بثمانية الاف درهم وقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون الفا ● وقول عثمان جعلتها للغني والفقير وابن السبيل يدل على انه لم يخصها بالفقراء وقد يقال على انه لم يشترط ذلك بل فعله به التعميم من الموقوف عليهم فلا دليل فيه على جواز ان يكون للواقف ان يشترط لنفسه الانتفاع بها وقفه كما زعمه بعضهم ● وكان حصار عثمان رضي الله تعالى عنه شهرين وعشرين يوما ● وفي كلام سبط ابن الجوزي كان الحصار الاول تسعة وعشرين يوما والثاني اربعين يوما وفي يوم من تلك الايام قال وددت لو ان رجلا صادقا اخبرني عن نفسي هذا اي من اين اتيت فقام شاب من الانصار فقال انا اخبرك يا امير المؤمنين انك تقطعت لهم فركبوك وما جرأهم على ظلمك الا حلمك فقال له صدقت اجلس ● واول من دخل عليه الدار محمد بن ابي بكر فسور عليه هو وجماعة من الحائط من دار عمرو بن حزم فاخذ بلحيته فقال له دعها يا ابن اخي فوالله ان كان ابوك ليكرمها فاستحى وخرج وفي رواية لما اخذ بلحيته هزها وقال له ما اغنى عنك ابن ابي سرح فقال له يا ابن اخي ارسل لحيتي فوالله انك لتجر لحية كانت تعز على ابيك وما كان ابوك يرضى مجلسك هذا مني فتركه وخرج ويقال انه قال له لما قال ذلك لا ما اريد بك اشد من قبضي على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله عليك واستعين به ثم طعن جبينه بمشقص كان في يده ثم ضربه بعضهم بالسيف فاتقته نائلة زوجة عثمان

حصار عثمان رضي الله عنه

فقطع اصابع يدها اليمنى • وعن ابن الماجشون ان عثمان لما قتل القي على
المزبلة ثلاثة ايام وقيل لبث ملقى على بابه بعد قتله ثلاثة ايام لا يستطيع احد ان
يدفنه فلما كان في الليل اتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم
ابن حزام وعبد الله بن الزبير وقيل صلى عليه الاربعة وان ابن الزبير لم يشهد
قتل عثمان فاحتملوه فلما اجازوا به للمقبرة منعوهم دفنه فقالوا والله لا يدفن في
مقابر المسلمين فدفنوه بحش كوكب كان الناس يتوقون ان يدفنوا موتاهم به فكان يمر به
ويقول سيدفن هنا رجل صالح فيتاسى به الناس في دفن موتاهم به وكان ذلك المحل
بستانا فاشتراه عثمان وزاده في البقيع فكان هو اول من قبر به وحملوه على باب
وان راسه ليقرع الباب لاسراعهم به من شدة الخوف ولما دفنوه عموا قبره خوفا
عليه ان ينبش واما غلاماه اللذين قتلا معه فجروهما برجليهما والقوهما على
التلال فاكلتهما الكلاب • ومن اسباب الفتنة انهم انكروا عليه امورا منها عزله
لاكابر الصحابة من ولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من اوصى عمر رضي الله
عنه بان يبقى على ولايته وهو ابو موسى الاشعري رضي الله عنه عن البصرة فان عمر
رضي الله عنه اوصى بان يبقى على ولايته سنة فعزله عثمان وولى ابن خاله عبد الله بن
عامر مكانه • وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن ابي سرح • وعزل المغيرة بن شعبة
عن الكوفة • وعزل ابن مسعود رضي الله عنه ايضا واشخصه الى المدينة • وعزل سعد
ابن ابي وقاص رضي الله عنه عن الكوفة وولاها اخاه لامه الوليد بن عقبة ابن ابي
معيط الذي سماه الله فاسقا بقوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا وصار
الناس يقولون بئس ما فعل عثمان عزل اللين الهين الورع المستجاب الدعوة وولى
اخاه الخائن الفاسق المدمن للخمر ونقل مستندهم في ذلك ما رواه الحاكم في صحيحه
من ولى رجلا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو ارضى لله منه فقد خان الله
ورسوله والمؤمنين • ومنها انه رد عمه الحكم بن ابي العاص والد مروان المدينة
وكان طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفيه وقد كان صلى الله عليه وسلم
طرده الى الطائف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة ابي بكر بعد ان سأله عثمان في ادخاله
المدينة فابى فقال له عثمان عمي فقال عمك الى النار هيهات هيهات ان اغير شيئا فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله لا رددته ابدا فلما توفي ابو بكر وولي عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له
ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله
فلما ولي عثمان رده الى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والانصار فانكروا ذلك عليه
اعيان الصحابة فكان ذلك من اكبر اسباب القيام عليه • واعتذر عثمان عن ذلك بان النبي
صلى الله عليه وسلم كان وعده برده وهو حديث موضوع فقال شهدت عند ابي بكر فقال انك شاهد واحد

ولا

في قتل عثمان رضي الله عنه

ولا تقبل شهادة الواحد ثم قال لعمر كذلك فلما صار الامر الي قضيت بعلمي • واما عزله لابي موسى فان جند
عمله شكوا شحه فعزله خوف الفتنة • ومنها انه اتى لعثمان اهل مصر يشكون من والٍ عليهم
وهو ابن ابي سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد اباح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الفتح دمه ولتقدم عزله عمرو بن العاص عنها ورد هذا بان عزله لعمرو انما كان لكثرة شكايتهم منه وابن
ابي سرح اسلم بعد الفتح وحسن حاله ثم وجدوه لسياسة الامارة اقوى من عمرو بن العاص • وعزله للمغيرة
بانه انها اليه فيه اشياء فراى المصلحة في عزله فلما عادوا الى مصر قتل ابن ابي سرح رجلا منهم فعادوا
الى عثمان وكلموا اكابر الصحابة كعلي وطلحة بن عبيد الله فقالا له اعزله عنهم فانما يبغون
رجلا مكانه فقال لهم عثمان تختارون رجلا اوليه عليهم فاختاروا محمد بن ابي بكر فكتب
اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه جماعة من المهاجرين والانصار وجماعة من التابعين ثم
لينظروا بين المسلمين وبين ابن ابي سرح فلما كان محمد بن ابي بكر ومن معه على مسيرة ثلاث
مراحل عن المدينة فاذا هم بغلام اسود على بعير فقالوا له ما قضيتك فقال لهم انا
غلام امير المؤمنين ارسلني الى عامل مصر فقال له واحد منهم هذا عامل مصر يعني محمد بن
ابي بكر فقال ما هذا اريد فلما اخبر بذلك الرجل محمد بن ابي بكر استدعاه فقال له
بحضور من معه من المهاجرين والانصار انت غلام من فصار تارة يقول غلام امير
المؤمنين وتارة يقول غلام مروان فعرفه رجل من القوم وقال هذا غلام عثمان
فقال له محمد الى من ارسلت فقال الى عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فاذا معه
كتاب عثمان الى ابن ابي سرح في قصبة من رصاص في جوف اداوة فلما فتح الكتاب بحضرة
جميع من معه فاذا فيه اذا اتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم ومن دونهم ابطل كتابه
وقر على عملك واضرب اعناقهم وعاقب فلانا بكذا وفلانا بكذا ومنهم نفر من
الصحابة ونفر من التابعين وقادوا ابنه الى محمد بن ابي بكر واخرجه حلة نبينا وكن على
عملك حتى ياتيك كتابي فلما قرؤوا الكتاب فزعوا ورجعوا الى المدينة وقرؤوا الكتاب على
جميع من بالمدينة من الاصحاب والتابعين فما منهم احد الا واغتم لذلك فدخل عليه علي
مع جماعة من اهل بدر ومعه الكتاب والغلام فقال له هذا الغلام غلامك قال نعم
قالوا والبعير بعيرك قال نعم قال فانت كتبت هذا الكتاب فقال لا وحلف بالله
ما كتبت هذا الكتاب ولا امرت به ولا علم لي به فقال له علي فالخاتم خاتمك قال نعم
قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك وانت لا تعلم به فحلف بالله ما امر
بهذا الكتاب ولا وجهت هذا الغلام الى مصر فعرفوا انه خط مروان لا عثمان لان
عثمان لا يحلف باطلا وفي رواية الخط خط كاتبي والخاتم خاتمي وفي رواية انطلق
الغلام بغير امري واخذ الجمل بغير علمي قالوا انما انتحلتها فلما غلبت فثاروا عليه فسالوه
ان يدفع لهم مروان وكان مروان عنده في الدار فابى فخرجوا من عنده غضابا وقالوا

لا يبرأ عثمان الا ان يدفع الينا مروان حتى نبحث وننظر هذا الكتاب فان كان عثمان امر به
عزلناه وان كان مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون في امر مروان فابى عثمان
ان يخرج اليهم مروان خوفا عليه من القتل فحوصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الماء ونحو
ما تقدم ● وذكر ابن الجوزي انه لما دخل المحربون على عثمان رضي الله عنه والمصحف
في حجره بين يديه فمدوا اليه ايديهم بحديده فضربه فقال بسم الله وقيل وقعت قطرة
على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فقال اما انها اول يد خطت
المفصل هذا كلامه اي وهذا من اعلام النبوة فقد اخرج الحاكم عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرا
سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال الذهبي انه حديث مناقب عثمان رضي الله عنه
موضوع اي قوله فيه وانت تقرا الى اخره ● وروى انه لما حوصر قال والله
ما زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت ان لي بديني بدلا منذ هداني الله
ولا قتلت نفسا فلم تقتلوني وقال يا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب
قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد يا قوم لا تقتلوني
انكم ان قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين اصابعه وقال [illegible] الله تعالى
عليه ما وضعت يدي على فرجي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما مرت بي جمعة منذ اسلمت الا وانا اعتق فيها رقبة قال بعضهم وجملة من
اعتقه عثمان الفان واربعمائة رقبة تقريبا ● وذكر انه رأى في الليلة التي
قتل في يومها المصطفى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر في المنام وقالوا له انك تفطر
عندنا الليلة القابلة فلما اصبح دعى بالمصحف فنشره بين يديه ولبس السراويل ولم يكن
لبسها قبل ذلك في الجاهلية ولا في الاسلام خوفا ان يطلع احد على عورته عند قتله ● وكان
من جملة ما نقم على عثمان رضي الله عنه انه اعطى ابن عمه مروان ابن الحكم مائة الف ووهبه
اوقية واعطى الحارث عشر ما يباع في السوق اي سوق المدينة وانه جاء اليه ابو موسى بحلية
ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته وانه انفق اكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره
وانه حمى لنفسه دون ابل الصدقة وانه حبس عبد الله بن مسعود وهجره وحبس عطاء ابي
ابن كعب ونفى ابا ذر الى الربذة واشخص عبادة ابن الصامت من الشام لما شكاه معاوية وضرب
عمار بن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطا ونفاه الى بعض الجبال وقال لعبد الرحمن بن
عوف انك منافق وانه اقطع اكثر اراضي بيت المال وان لا يشتري احد قبل وكيله وان لا تسير
سفينة في البحر الا بتجارته وانه احرق المصاحف التي فيها القرآن وانه اتم الصلاة بمنى ولم
يقصرها لما حج بالناس وانه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان وقد اجاب عن ذلك كله
في الصواعق فراجعه ● ومما رواه الزبير بن بكار عن انس بن انه صلى الله عليه وسلم لم يصل [illegible]

ولم

ذا بنى عمر المسجد بعد اربع سنين من الهجرة وابن زبالة في تاريخ المدينة ونقله الماوردي عن انس
وغيره والاول هو المعروف فلعله فيه والله اعلم ● وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
عليه وسلم قال لو بني مسجدي هذا الى صنعاء كان مسجدي قال بعضهم ان صح هذا كان من اعلام
نبوته صلى الله عليه وسلم اي لا يزداد بعد ذلك اي وسعه المهدي وزاد فيه في سنة ستين وما بين
ثم زاد فيه المأمون في سنة ثنتين ومائتين ورد بعض العلماء بان المضاعفة خاصة بالموجود
حين الاشارة اي لكن المحافظة على الصلاة فيما كان في زمنه صلى الله عليه وسلم اولى ● قال
وبنى حجرتين لعائشة وسودة اي بناهما مجاورتين للمسجد وكانتا ملتصقتين على طرز بناء المسجد
من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد اي وقدم رجل من اهل اليمامة عند الشروع
في بناء المسجد يقال له طلق من بني حنيفة رضي الله عنه قال قدمت على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون معه فيه وكنت صاحب علاج الطين فاخذت
المسحاة وخلطت بها الطين فقال لي يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ
احسن صنعته وقال لي الزم انت هذا الشغل فاني اراك تحسنه وفي لفظ ان هذا الحنفي
لصاحب طين وفي لفظ قربوا اليمامي من الطين فانه احسنكم له مسا واشدكم منكبا وفي مناقب ز
لفظ دعوا الحنفي والطين فانه من اصنعكم للطين ● وارسل وهو في بيت ابي ايوب ابن حا
زيد بن حارثة وابا رافع الى مكة واعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ليأتيا باهله اي
والحقهما [illegible] اخذهما من ابي بكر ليشتريا بها ما يحتاجان اليه فاشترى بها زيد ثلاثة
ابعرة وارسل معهما ابو بكر رضي الله عنه عبد الله بن الاريقط دليلا الى بعيرين او ثلاثة
فقدما بفاطمة وام كلثوم بنتيه صلى الله عليه وسلم وسودة زوجته وام ايمن
حاضنته صلى الله عليه وسلم زوج زيد بن حارثة وابنها اسامة بن زيد فانه
اخو ايمن لامه وكان اسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وابن
حاضنته عن عائشة رضي الله عنها ان اسامة عثر يوما في اسكفة الباب فشج وجهه
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اميطي عنه الدم قالت عائشة فكأني تقذرته
اي لانه كان اسود فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه يمج الدم ثم يمجه
واما بنته صلى الله عليه وسلم زينب التي هي اكبر بناته فكانت مع زوجها ابن
خالتها ابي العاص بن الربيع فمنعها من الهجرة وسيأتي انها هاجرت بعد ذلك قبله
وتركته على شركه وبعد ان اسر في بدر واطلق وامره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يخلي سبيلها ففعل ثم لما اسلم ردها اليه ● واما بنته رقية فتقدم انها هاجرت
مع زوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ● وخرج مع فاطمة ومن ذكر معها عبد الله
ابن ابي بكر ومعه عيال ابي بكر فيهم زوجته ام رومان وعائشة واختها اسماء زوج
الزبير اي وهي حامل بابنها عبد الله بن الزبير وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت

رومان

حملوها على بعير في محفة فنفر البعير قال فجعلت امي تقول وا بنتاه وا عروساه فسمعت قائلا يقول ارسلي خطامه فارسلت خطامه فوقف باذن الله وسلمنا الله. وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها لما صارت اي نفرت قالت وا عروساه وا بنتاه. وام رومان توفيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ست من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها وقال اللهم انه لم يخف عليك ما لقيت ام رومان فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم. وعورض القول بموتها في حياته صلى الله عليه وسلم بما في البخاري عن مسروق قال سألت ام رومان وهي ام عائشة وذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف فروايته في البخاري حديث صحيح ومسروق ولد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم. وفي البخاري ان اسماء حملت بعبد الله بن الزبير قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بالتمرة اي بتلك التمرة ثم دعا له وبارك عليه وهو اول مولود ولد في الاسلام اي للمهاجرين

اول مولود ولد في الاسلام

المواهب فحكمه بما ذكر ويدل ان اسماء اتت المدينة اي الى قبا بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم اليها ويدل له قول بعضهم قدم الى ابي بكر من مكة وهو صلى الله عليه وسلم بقي سبعة وانزلهم ابو بكر في السنح الا ان يقال يجوز انه صلى الله عليه وسلم جاء الى قبا بعد ذلك. فقد قال بعضهم وهذا انما يدل على ان عبد الله بن الزبير ولد في السنة الاولى لا في الثانية كما قاله الواقدي وتبعه جمع فقال ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به المسلمون فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم مولود وهذا يرد القول الثاني الا ان يقال يجوز ان يكون عبد الله مكث في بطنها المدة المذكورة. فقد ذكر ان مالكا رضي الله عنه مكث في بطن امه سنتين وكذا الضحاك بن مزاحم التابعي مكث في بطن امه سنتين. وفي المحاضرات للجلال السيوطي ان مالكا مكث في بطن امه ثلاث سنين واخبر سيدنا مالك ان جارة له ولدت ثلاثة اولاد في اثني عشر سنة تحمل اربع سنين وحينئذ يجوز ان اسماء جاءت الى قبا فولدت عبد الله بن الزبير وصادف مجيئه صلى الله عليه وسلم الى قبا في ذلك اليوم وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه ابا بكر بكنية جده الصديق رضي الله عنه. وروي انها جاءت به الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع او ثمان سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بذلك والده الزبير فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه. وكون ابي بكر نزلوا منه

في بطن

٣٢٧

واول مولود ولد للمهاجرين بالحبشة

بينهم المدينة في السنح لا ينافي كونها ولدت بها لانه يجوز ان يكون تردد اسماء في السنح بعد نزولها قبا قصدا للراحة لكونها كانت حاملا متما حتى زعمت والسياق المتقدم يدل على ذلك. وكان عبد الله بن الزبير اول مولود ولد للمهاجرين بالمدينة كما ان عبد الله بن جعفر بن ابي طالب اول مولود ولد للمهاجرين بالحبشة ويقال له عبد الله الجواد واتفق ان النجاشي ولد له مولود يوم ولد عبد الله فارسل الى جعفر يقول له كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشي ابنه عبد الله وارضعته اسماء بنت عميس مع ابنها عبد الله المذكور فكانا يتواصلان بتلك الاخوة من الرضاع. واول مولود ولد للانصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد وقيل النعمان بن بشير. وذكر ان ام اسماء قدمت المدينة وهي مشركة على اسماء بهدية فلم تقبل اسماء وردت عليها هديتها فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فامر اسماء ان تؤوي امها وتقبل هديتها. قيل وفي ذلك وقد ارسل عبد الرحمن ابن ابي بكر وهو بمكة على دينه قبل ان يسلم الى ابيه يسأله النفقة فابى ابو بكر ان ينفق عليه انزل الله الاذن في الانفاق على الكفار. وقال ابو ايوب الانصاري لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في اسفل البيت وانا وام ايوب في العلو فقلت يا رسول الله بابي انت وامي اني اكره واعظم ان اكون في العلو وتكون تحتي فاظهر انت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل فقال يا ابا ايوب ارفق بنا اي الاسفل ارفق بنا وبمن يغشانا وفي لفظ ان ارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون في سفل البيت قال ابو ايوب فانكسر حب لنا فيه ماء والحب بضم الحاء المهملة الجرة الكبيرة فقمت انا وام ايوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شيء فيؤذيه ولا زال ابو ايوب يتضرع للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تحول في العلو اي وفي رواية عن ابي ايوب قال نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت في السفل فلما خلوت الى ام ايوب قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا ينتثر التراب عليه من اقدامنا وتنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي وفي رواية ينزل عليه القرآن وياتيه جبريل فما نمت تلك الليلة انا ولا ام ايوب فلما اصبحت قلت يا رسول الله ما نمت الليلة انا ولا ام ايوب فقال لم يا ابا ايوب فقلت كنت احق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي والذي بعثك بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا. اي ومن ذلك ما في ابي ايوب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل اسفل وابو ايوب في العلو انتبه ابو ايوب ذات ليلة فقال نمشي فوق رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم فباتا في نجات فلما اصبح الحديث • وعند نزوله صلى الله عليه وسلم في بيت
ابي ايوب صارت تاتي اليه جفنة سعد بن عبادة وجفنة اسعد بن زرارة كل ليلة اي وكان
جفنة سعد بن عبادة تجدد تدور معه صلى الله عليه وسلم في بيوت ازواجه فقد
جا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من سعد بن عبادة جفنة من ثريد اي عليهم
اوخبز في لحم او في سمن او خل وزيت في كل يوم تدور معه اينما دار من نسائه صلى الله
عليه وسلم وما زال وهو في بيت ابي ايوب ياتينا الطعام من غيرهما اي فقدها وما كان
من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون الطعام
يتناوبون حتى تحول صلى الله عليه وسلم من منزل ابي ايوب • اي وفي لفظ وجعل بنو
النجار يتناوبون في حمل الطعام اليه صلى الله عليه وسلم مقامه في منزل ابي ايوب
رضي الله عنه وهو سبعة اشهر • واول طعام جيء به اليه صلى الله عليه وسلم في دار ابي
ايوب قصعة ام زيد بن ثابت قال زيد بن ثابت اول هدية دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيت ابي ايوب قصعة ارسلتني بها امي اليه فيها ثريد خبز بر وسمن
ولبن فوضعتها بين يديه وقلت يا رسول الله ارسلت بهذه القصعة امي فقال بارك
الله فيها وفي رواية بارك الله فيك ودعا صحابه فاكلوا قال زيد فلم ارم الباب
اي اذهب حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم اي بفتح العين عظم
عليه لحم فان اخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين • وقد جاء كان احب الطعام الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال له الثفل بالثاء المثلثة والفا • ولما بني
المسجد جعل في المسجد محل مظلل ياوي اليه المساكين يسمى الصفة وكانوا اهله
يسمون اهل الصفة • وكان صلى الله عليه وسلم في وقت العشاء يفرقهم على اصحابه
ويتعشى معه منهم طائفة وظاهر السياق ان ذلك اي المحل فعل من زمن بنا المسجد وان
اوى اليه المساكين من حينئذ لكن روى البيهقي عن عثمان بن اليمان قال لما كثر المهاجرون
بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا ماوى انزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم
اصحاب الصفة وكان يجالسهم ويانس بهم اي وكان اذا صلى اتاهم فوقف عليهم فقال
لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فقرا وحاجة • اقول وذكر ان المسجد
كان اذا جاءت العتمة يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الداري المدينة صحب
قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسواري المسجد واوقدت فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لي ابنة
لانكحتكها وفي كلام بعضهم اول من جعل في المسجد المصابيح عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ويوافقه قول بعضهم والمستحب من بدع الافعال تعليق القناديل فيها يعني المساجد واول
من

اول طعام اهدي اليه صلى الله عليه وسلم

اهل الصفة

اول من اسرج المسجد

من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جمع الناس على ابي بن كعب في صلاة التراويح
علق القناديل فلما راها علي تزهر قال نورت مساجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب •
ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الداري • ثم رايت في اسد
الغابة عن سراج غلام تميم الداري قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
خمسة غلمان لتميم الداري فامرني فاسرجت المسجد بقنديل فيه زيت وكانوا
لا يسرجون فيه الا بسعف النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسرج مسجدنا
فقال تميم غلامي هذا فقال ما اسمه فقال فتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل اسمه
سراج فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا • وعن بعضهم قال امرني المامون
ان اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم ادر ما اكتب لانه شيء لم اسبق اليه
فاريت في المنام اكتب فان فيها انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم
فانتبهت وكتبت بذلك • قال بعضهم لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من
شعبان ويقال لها ليلة الوقود ينبغي ان يكون ذلك كغيره من البدع المستقبحة وقد كرهه
بعضهم والله اعلم • قال وذكر ابن اسحاق في كتاب المبدا وقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام
ان تبع ابن حسان الحميري وهو تبع الاول الذي ملك الارض كلها شرقها وغربها وتبع
بلغة اليمن الملك المتبوع ويقال له الرايش لانه راش الناس بما اوسعهم من العطا
وقسم فيهم من الغنائم وكان اول من حمى لما عمد الى البيت يريد تخريبه رمي بداء تمخض
منه راسه قيحا وصديدا وانتن حتى لا يستطيع احد ان يدنو منه قدر رمح كما تقدم ثم
وتقدم امره بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك جاء يثرب وكان في ركابه مائة الف وثلاثون
الفا من الفرسان ومائة الف وثلاثة عشر الفا من الرجالة فاخبر ان اربعمائة رجل
من اتباعه من الحكماء والعلماء تبايعوا ان لا يخرجوا منها فسالهم عن الحكمة في ذلك فقالوا
ان شرف البيت انما هو بنبي يخرج يقال له محمد هذه دار اقامته ولا يخرج منها
فبنى فيها لكل واحد منهم دارا واشترى له جارية واعتقها وزوجها منه واعطاهم عطا
جزيلا وكتب كتابا وختمه ودفعه الى عالم عظيم منهم وامره ان يدفع ذلك الكتاب
لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه وفي ذلك الكتاب انه امن به وعلى دينه وبنى دارا
له صلى الله عليه وسلم ينزلها اذا قدم تلك البلد ويقال انها دار ابي ايوب اي كما تقدم
وانه ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب اي فهو صلى الله عليه وسلم لم ينزل الا في
داره اي كما تقدم • ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دعا الى الاسلام
ارسلوا اليه ذلك الكتاب مع شخص يسمى ابا ليلى فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له انت ابو ليلى الذي معه كتاب تبع الاول فقال له ابو ليلى من انت قال انا محمد

قصة تبع الاول

فان الكتاب بعينه قرأه ابي قرين خليفة وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب اما بعد يا محمد فاني امنت بك
وبربك ورب كل شيء وبكل ما جاءك من ربك من شرائع الاسلام والايمان واني قلت ذلك فان
ادركتك فبها ونعمت وان لم ادركك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني فاني من امتك الاولين
وبايعتك قبل مجيئك وقبل ان يرسلك الله وانا على ملتك وملة ابيك ابراهيم وختم الكتاب ونقش
عليه لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فقد قرأ هذا قبل
نزوله وكتب عنوان الكتاب الى محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب
العالمين من تبع الاول حمير امانة الله في يد من وقع هذا الكتاب في يده الى ان يدفعه
الى صاحبه ودفعه الى رأس العلماء المذكورين ثم وصل الكتاب المذكور الى النبي صلى الله عليه
وسلم على يد بعض ولد العالم المذكور حين هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية
لا يدل على ان ذلك كان في اول البعثة وبعد قراءة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم
قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات وكان بين تبع هذا اي تبع قولنا الذي ابتدئ به
وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة سواء اي وتقدم ان تبعا الذي
بناه دارا له ... بالف سنة فليتأمل ويبعد ان الاوس والخزرج من اولاد اولئك
العلماء والحكماء انتهى . اقول وقد علمت ان نزوله صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب على الوجه
المتقدم واضح المرتب على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب اليه اولا للبعثة اي بمكة
والمدينة وهو مهاجرا الى المدينة يبعد جدا وفيه ايضا ان الذي في التنوير لابن دحية انه
هذا تبع الاوسط وانه الذي كسا البيت بعد ما اراد غزوه وبعد ما غزى المدينة واراد خرابها
انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبي اسمه محمد . اي فقد ذكر بعضهم ان تبعا اراد تخريب المدينة
واستئصال اليهود فقال له رجل منهم بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة الملك اجل ان يستخفه
غضب وامره اعظم من ان يضيق عنا حلمه او نحرم صفحه ان هذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين
ابراهيم فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك الكتاب الى ان هاجر النبي صلى الله
عليه وسلم فادوه اليه ويقال ان الكتاب كان عند ابي ايوب الانصاري وكان ذلك قبل
مبعثه بسبعمائة عام . وفي التنوير ايضا ان ابن ابي الدنيا ذكر انه حفر قبر بصنعاء في الاسلام
فوجد فيه امرأتان لم تبليا وعند رؤوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانة
وفلانة ابنتي تبع ماتتا وهما تشهدان ان لا اله الا الله ولا تشركان به شيئا وعلى ذلك مات
الصالحون قبلهما . وجاء لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا . وفي رواية لا تسبوا تبعا الحميري
فانه اول من كسا الكعبة . قال السهيلي وكذا تبع الاول كان مؤمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال
شعرا ينبئ فيه بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم . وكانت المدينة في الجاهلية معروفة
بالوباء اي الحمى وكان اذا اشرف على واديها احد ونهق نهيق الحمار لا يضره الوباء وقد كان اذا

غريبة

دخلها

دخلها غريب في الجاهلية ينادي لئن اردت السلامة من الوبا فانهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك سلم وفي
حياة الحيوان كانوا في الجاهلية اذا خافوا وبا بلد عشروا كتعشير الحمار اي نهقوا عشرة اصوات في طلق
واحد قبل ان يدخلوها وكانوا يزعمون ان ذلك ينفع من الوبا . ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة
وجد اهلها من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين الاية فاحسنوا الكيل بعد ذلك ولما
قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هو واصحابه اصابت اصحابه الحمى وفي لفظ استوخم المهاجرون هواء
المدينة ولم يوافق امزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا حتى كانوا يصلون من قعود فخرج صلى الله عليه وسلم
فقال اعلموا ان صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشموا المشقة وصلوا من قيام .
قالت عائشة رضي الله عنها قدمنا المدينة وهي اوبأ ارض الله اي ولما حصلت لها الحمى قال لها صلى الله
عليه وسلم ما لي اراك هكذا قالت بابي انت وامي هذه الحمى وسبتها فقال لا تسبيها فانها مأمورة ولكن
ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن اذهبها الله تعالى عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي
الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس
ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها اخر قالتها فذهبت
عنها . وعن علي رضي الله عنه لما قدمنا المدينة اصبنا من ثمارها فاجتويناها وعك اي حم اي ومن جملة
من اصابته الحمى سيدنا ابو بكر رضي الله عنه ومولياه عامر بن فهيرة وبلال اي وكان ابو بكر اذا اخذته
الحمى انشد . كل امرئ مصبح في اهله . والموت ادنى من شراك نعله . اي وهذا من شعر حنظلة بن سيار
بناء على الصحيح ان الرجز يقال له شعر كما تقدم وليس من شعر ابي بكر ففي عن عائشة رضي الله تعالى عنها
ان ابا بكر لم يقل شعرا في الاسلام اي ولا في الجاهلية كما في رواية عنها والله ما قال ابو بكر بيت شعر
في الجاهلية ولا في الاسلام اي لم ينشئه حتى مات اي وهذا ربما ينافي ما في الينبوع ليس على الشعر
رذيلة فقد كان الصديق وعمر وعلي رضوان الله تعالى عليهم يقولون الشعر وعلي رضي الله تعالى عنه
اشعر من ابي بكر وعمر وما تقدم عن عائشة مما مر يظاهر ما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه
قال كان ابو بكر الصديق اذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول . امين مصطفى بالخير يدعو .
كضوء البدر زايله الظلام . الا ان يحمل قولها على انها لم تبلغها ذلك او يقال ان ذلك من انشاء الصديق

دعا الحمى

وكان بلال اذا انقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اي صوته ويقول متشوقا الى مكة .

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة . بواد وحولي اذخر وجليل .
وهل اردن يوما مياه مجنة . وهل يبدون لي شامة وطفيل .

اللهم العن شيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوبا واراد بلال بالوادي وادي
مكة والاذخر نبت معروف وجليل بالجيم نبت ضعيف وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة اي وفي رواية وهل
يبدون لي عامر وطفيل وعامر ايضا جبل من جبال مكة . وفي شرح البخاري للخطابي كنت احسب شامة وطفيل
جبلين حتى مررت بهما فاذا هما عينان من ماء هذا كلامه وقد يقال يجوز ان تكون العينان بقرب الجبلين

المذكورين فاطلق اسم كل منهما على الاخرين ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهي عن لعن
المعين لانه لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح الا ان علم موته على الكفر كابي جهل وابي
لهب دون الكافر الحي لانه يحتمل ان يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام لان اللعن هو
الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها واما اللعن على الوصف كآكل الربا فجائز وانه لك
محمول على الاهانة والطرد عن مراتب الكرامة لا عن الطرد عن رحمة الله الذي هو حقيقة اللعن
وكان كل من ابي بكر وعامر وبلال في بيت واحد قالت عائشة رضي الله عنها فاستأذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب
فاذا بهم ما لا يعلمه الا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم اي وقالت لابيها يا ابت
كيف اصبحت فانشدها الشعر المتقدم قالت فقلت انا لله ان ابي ليهذي قالت فقلت
لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال • اني وجدت الموت قبل ذوقه • ان الجبان حتفه من فوقه
قالت فقلت هذا والله لا يدري ما يقول ثم قلت لبلال كيف اصبحت فاذا هو لا يعقل
وفي رواية انشدها البيت قالت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت انهم ليهذون
وما يعقلون من شدة الحمى اي وهذا السياق يخالف ما في السيرة الهشامية ان الصديق لما
قدم المدينة اخذته الحمى هو وعامر بن فهيرة وبلال الا ان يقال لا مخالفة لانه يجوز ان
تكون اخذتهم اولا واقلعت عنهم ثم عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة
او ان عائشة استأذنته في ذلك وذكرت له حالهم قبل دخوله بها لانها كانت معقودا عليها
ولعل الصديق كان في بيت غير بيت ام عائشة • والذي في تاريخ الازرقي عن عائشة رضي
الله عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة اشتكوا بها فعاد النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر
فقال كيف تجدك فانشده ما تقدم ثم دخل على بلال فقال كيف تجدك يا بلال فانشده ما تقدم
ثم دخل على عامر بن فهيرة فقال كيف تجدك فانشده ما تقدم ولا مانع من التعدد فليتأمل
وحين ذكرت عائشة رضي الله عنها له ذلك نظر الى السماء اي لانها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب
الينا المدينة كما حببت الينا مكة او اشد • وفي رواية واشد وبارك لنا في مدها وصاعها
وصححها لنا ثم انقل وباءها الى مهيعة اي الجحفة كما في رواية وهي قرية قريبة من رابغ
محل احرام من يجيء من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك يهود • ودعاؤه صلى الله عليه وسلم
ان يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء في حديث
ان عائشة رضي الله عنها سألت رجلا لما قدم المدينة من مكة بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت له كيف تركت مكة فذكر من اوصافها الحسنة ما عرفت منه عبارة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا فلان وفي رواية دع القلوب تقر • اقول ودعاؤه صلى الله عليه
وسلم بنقل الحمى كان في اول الامر واما بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة فخيره جبريل

والحمى

والحمى اي بنقلها فامسك الحمى بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام كما جاء في بعض الاحاديث اتاني جبريل
بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وقولنا اي بنقلها الخ
رد لما قد يتوهم من الحديث ان الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم اليها وانما اختار
الحمى على الطاعون لانه كان حينئذ في قلة من اصحابه فاختار الحمى لقلة الموت بها غالبا
بخلاف الطاعون ثم لما احتاج للجهاد واذن له في القتال وجد الحمى تضعف اجساد الذين
يقاتلون دعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة اصح بلاد الله تعالى بعد
ان كانت بخلاف ذلك كذا قيل وفيه نظر فانه يقتضي ان الحمى لما انتقلت الى الجحفة لم يبق
منها بقية بالمدينة وهو المخالف لما ياتي عن الخصائص وحين نقلت الحمى الى الجحفة صارت
الجحفة لا يدخلها احد الا حم بل قيل اذا مر بها الطائر حم • واستشكل جعلها حينئذ ميقاتا
للاحرام وقد علم من قواعد الشرع انه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بما فيه ضرر واجيب بان
الحمى انتقلت اليها من قيام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من الحجاز او قبله حين التوقيت بها
كذا قيل فليتأمل • وعنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت اي في النوم امرأة سوداء ثائرة
الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فاولتها ان وباء المدينة نقل الى مهيعة • وفي
الخصائص الصغرى للسيوطي وصرف الحمى عنها يعني المدينة اول ما قدمها ونقلها الى الجحفة
ثم لما اتاه جبريل بالحمى والطاعون امسك الحمى بالمدينة وارسل الطاعون الى الشام ولما
عادت الحمى الى المدينة باختياره صلى الله عليه وسلم اياها لم تستطع ان تأتي احدا من اهلها
حتى جاءت ووقفت ببابه واستأذنته فيمن يبعثها اليه فارسلها الى الانصار • فقد جاء
ان الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت انا ام ملدم وفي رواية انا الحمى
ابري اللحم واشرب الدم قال لا مرحبا بك ولا اهلا • وفيه انه تقدم انه صلى الله عليه وسلم
نفى عائشة عن بيتها فقالت له امض الى احب قومك او احب اصحابك اليك فقال اذهبي
للانصار فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا ادع الله لنا بالشفاء فقال ان شئتم دعوت الله عز
وجل يكشفها عنكم وان شئتم تركتموها فاسقطت ذنوبكم وفي رواية كانت لكم طهورا
قالوا اي دعها يا رسول الله ولعل هذا كان لطائفة من الانصار فلا ينافي ما جاء ان الانصار
لما شكوا له الحمى وقد مكثت عليهم ستة ايام بلياليها دعا لهم بالشفاء وصار صلى الله عليه وسلم
يدخل دارا دارا وبيتا بيتا يدعو لهم بالعافية وهذا الذي في الخصائص يدل على ان الحمى
لما ذهبت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وانها بعد ذلك عادت الى المدينة باختياره
صلى الله عليه وسلم والذي نقله هو عن الحافظ ابن حجر ان الحمى كانت تصيب من اقام
بالمدينة من اهلها وغيرهم فارتفعت بالدعاء عن اهلها الا القليل ومن لا يألف هواها
وقد جاء ان حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كانت له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم

صورة الحمى

كفارة الحمى

بيان ان المدينة محفوظة عن الطاعون والدجال

ولد نزلته. والذي رواه الامام احمد وابن حبان في صحيحه عن جابر استأذنت الحمى
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قالت ام ملدم فامر بها الى اهل قبا
فلقوا منها ما يعلمه الا الله تعالى فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان شئتم دعوت
الله ليكشفها وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا او يفعل قال نعم قال فدعها والله اعلم
ثم دعى صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة
وفي رواية واجعل مع البركة بركتين. وجاءه شكوا اليه صلى الله عليه وسلم من غنم
فنا طعامهم فقال لهم قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه فبلغناه نفعهم الا رغفة وذهبي لعلهم
كانت نزعى بالمدينة فقال اللهم اجعل نفعها كراشها مثلهما في غيرها من البلاد اي
ولعل الله عاين لذ ليس خاصا بتلك الاغنام الموجودة في زمنه صلى الله عليه وسلم ويدل
لذلك ما ذكره السيوطي في الخصائص الصغرى مما اختصت به المدينة ان غبارها يطفي
الجذام ونصف اكراشها فيها مثلها في غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان
وكما صينت المدينة من الطاعون بارساله الى الشام صينت عن الدجال روى البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على انقاب المدينة
اي على ابوابها ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وفي رواية لها اي المدينة
سبعة ابواب على كل باب ملك فان قيل كيف تعد صون المدينة بعدم دخول الطاعون
وكيف ارسله صلى الله عليه وسلم الى الشام مع انه شهادة. واجيب بانه انما ارسله
الى الشام لما تقدم وصينت عنه بعد انتقاله لما تقدم لان سببه طعن كفار الجن وشياطينهم
ممنوع من المدينة احتراما لها ولم يتفق دخول الطاعون بها في زمن من الازمنة بخلاف
مكة فانه وجد بها في بعض السنين وهي سنة تسع وثمانين وسبعمائة ووقع في سنة
تسع وثلاثين بعد الالف لما هدم السيل الكعبة اي الجانب الذي جهة الحجر قال بعضهم
ممن حضر الهدم وجد الطاعون بمكة واستمر الى ان اقاموا الاخشاب مواضع الهدم
وجعلوا ايلها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون كذا اخبر بعض الثقات من اهل
مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون في المدينة في زمن من الازمنة يخالفه قول بعضهم

ومن فضائل المدينة المنورة.

وفي السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون في المدينة اعني الخلف وهو اول طاعون
وقع في الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع بارض فلا تخرجوا منها
وان سمعتم به بارض فلا تقربوها. ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل عنا الوبا ثلاثا اي وفيها ان هذا يخالف
ما سبق من ان هذا كان في احد الاقوال عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الا ان
يحمل على ان قدومه كان من سفر لا من الهجرة. وفي الحديث يأتي على الناس زمان
يلتمسون

يلتمسون فيه الرخاء فيحملون باهليهم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يصبر فيها
احد فيصبر على لاوائها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيامة شهيدا او شفيعا
وفي مسلم لا يصبر على لاواء المدينة وشدتها احد من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيامة
او شفيعا للعاصي وشهيدا للطائع واللاواء بالمد الجوع. وعن ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت فاني اشفع لمن يموت
بها لا يريد احد اهل المدينة بسوء الا اذابه الله كما يذوب الملح في الماء وفي رواية اذابه
الله تعالى ذوب الرصاص او ذوب الملح في الماء لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة
شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد اي وفي رواية في مسلم تنفي الخبث كما تنفي النار خبث
الفضة وتقدم ان هذا ليس عاما في الازمنة ولا في الاشخاص وفي رواية مكة
والمدينة تنفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد من اخاف اهل المدينة ظلما اخافه
الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا
ولا عدلا اي وبهذا الحديث تمسك من جوز اللعن على يزيد لما تقدم عنه من اباحة
المدينة في وقعة الحرة ورده بان لا دلالة للاحد على جواز لعن يزيد باسمه بل انما هو
الكلام فيه وانما يدل على لعنه بالوصف وهو من اخاف اهل المدينة وليس الكلام
فيه والفرق بين المقامين واضح كما علمت. وجاء اهل المدينة جيراني وحقيق على
امتي حفظ جيراني ما اجتنبوا الكبائر من حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة
ومن لم يحفظهم سقي من طينة الخبال اي وهي عصارة اهل النار وروي لفظ من اخاف اهل
هذا الحي من الانصار فقد اخاف ما بين هذين ووضع يديه على جنبيه. وقيل لها
طيبة لطيب العيش بها ولان للعطر اي الطيب بها رائحة لا توجد في غيرها
ومن خصائصها ان ترابها شفاء من الجذام كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من كل داء
وعجوتها شفاء من السم. اي وفي الحديث تخرب المدينة قبل يوم القيامة باربعين سنة
وان خرابها يكون من الجوع وان خراب اليمن يكون من الجراد اي ودعا صلى الله عليه
وسلم على الجراد فقال اللهم اهلك الجراد واقتل كباره واهلك صغاره واقطع دابره
وخذ بافواهها عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء. وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله
عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى باول الثمر فيقول اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا
وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه اصغر من يحضره من الولدان اللهم ان ابراهيم
عبدك وخليلك ونبيك دعاك لمكة واني عبدك ونبيك ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك
لمكة ومثله معه. ثم بحثه صلى الله عليه وسلم بقية الحجر التفت عنده الحاجز الذي
وهذا هو الموافق لما سبق ان بعضها يدخل المسجد وهي حجرة سودة وحجرة عائشة رضي الله

تعالى عنهما كما تقدم. وفي كلام بعضنا ان بيوته صلى الله عليه وسلم كانت [illegible]
كان بعيدا عن المسجد وكلام الاصل يقتضي انها كلها بنيت في السنة الاولى من الهجرة
حين قال وفيها اي السنة الاولى بنى مسجده صلى الله عليه وسلم ومساكنه اي وخط
صلى الله عليه وسلم للمهاجرين في كل ارض ليست لاحد وفيما وهبته له الانصار من خططها
واقام قوم منهم ممن لم يمكنه البناء بقباء عند من نزلوا عليه بها. قال عبد الله بن زيد
الهذلي رايت بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز
بامر الوليد بن عبد الملك اي بعد موت ازواجه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم
حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرا بادخالها في المسجد فما رايت اكثر باكيا
من ذلك اليوم اي وكانت تسعة ابيات بعضها مبنية باللبن اي وسقفها من جريد
النخل مطين بالطين وبعضها حجر من جريد اي غير مبنية ام سلمة فانها جعلت حجرتها
بناء وكان صلى الله عليه وسلم في غزاة دومة الجندل فلما قدم دخل عليها اول نسائه
فقال لها ما هذا البناء قالت اردت ان اكف ابصار الناس فقال صلى الله عليه
وسلم ان شر ما ذهب فيه مال المرء المسلم البنيان. وعن علي رضي الله تعالى عنه
ان [illegible] فاذا اكتسب الرجل المال من الحرام سلط الله عليه
الماء والطين ثم لا يبغضه اي وكانت تلك الحجر التي من الجريد مغشاة من خارج
بمسوح الشعر وعرضه ابيات من جريد مطينة لا حجر بها على ابوابها ستور من شعر
اسود اي وهي التي يقال لها البيت من ذرع الستر فوجدته ثلاث اذرع في ذراع هذا
وفي كلام السهيلي كانت مساكنه صلى الله عليه وسلم مبنية من جريد عليه طين وبعضها
من حجارة مرضومة وسقوفها كلها من جريد وكانت حجرته عليه الصلاة والسلام
اكسية من شعر مربوطة بخشب من عرعر هذا كلامه قال بعضهم وليتها تركت ولم تهدم
حتى يقصر الناس عن البناء ويرون ما رضي الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح
خزائن الارض بيده اي فان ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر بالبنيان
وجاء انه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض طرف المدينة فراى قبة مشرفة فقال لمن هذه
فذكروا له رجلا من الانصار فجاء ذلك الرجل فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض
عنه فعل ذلك مرارا فاعلم بالقصة فهدمها الرجل. وعن الحسن البصري قال كنت وانا
مراهق ادخل بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان فاتناول سقفها
بيدي اي لان الحسن البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب وكانت امه
مولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت ام سلمة تخرجه للصحابة
يباركون عليه واخرجته الى عمر رضي الله عنه فدعا له بقوله اللهم فقهه في الدين وحببه الى
الناس

صفة حجر نسائه صلى الله عليه وسلم

شر الاموال ما ذهب في الماء والطين

مولد الحسن البصري وفضائله

الناس وكان والده من جملة السبي الذي سباه خالد بن الوليد في خلافة الصديق من [illegible]
وروى عن علي رضي الله عنه لان عمره كان قبل ان يخرج علي من المدينة الى الكوفة وولد بعد قتل
عثمان اربعة عشر سنة قيل له يا ابا سعيد انك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك
لم تدركه فقال لقد سالت عن شيء ما سالني عنه احد قبلك كل ما سمعتني اقوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه غير اني في زمان لا استطيع ان اذكر عليا اي خوفا من الحجاج
وهذا الخبر لا يعل على جماعة من الحفاظ كالترمذي والنسائي والحاكم والدارقطني وابو نعيم
يقولون حسن وصحيح وبه يرد قول من انكر سماعه من علي لان المثبت مقدم على النافي او هو
محمول على انه لم يسمع من علي بعد خروج علي من المدينة. قال بعضهم وتلك الفصاحة التي كانت
عند الحسن والحكمة من قطرات لبن شربها من ثدي ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها وان
امه ربما غابت فيبكي فتعطيه ام سلمة ثديها تعلله به الى ان تجيء امه فيدر عليه ثديها فشربه
قال بعضهم كان الحسن البصري اجل اهل البصرة. وفي كلام ابن كثير كان الحسن البصري
شيخا مهيبا لها هذا كلامه وكان اذا اقبل كانه اقبل من دفن حميم واذا جلس فكانه
اسير امر بضرب عنقه واذا ذكرت النار فكانما لم تخلق الا له. وعن الواقدي كانت
لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله فكلما احدث رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي
وهذا يخالف ما تقدم عن الاصل ان مساكنه بنيت في السنة الاولى. ومات عثمان ابن
مظعون وهو اخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وامر صلى الله عليه وسلم ان يرش قبره
بالماء ووضع حجرا عند راس القبر اي بعد ان امر رجلا ان ياتيه بحجر فاتاه فلم يجد حجرا ضعف عن
حمله فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله ووضعه في المحل المذكور
وقال اعلم به قبر اخي وادفن اليه من مات من اهلي ودفن عنده ولده ابراهيم عند رجليه
وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت قالت ورايت دموع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدي عثمان بن مظعون. اي وفي الاستيعاب انه مات
بعد شهوده بدرا وانه لما غسل وكفن قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولما وضع قبله
بيده وبكى حتى عائشة رضي الله عنها السابقة كان يحيى وجعل النساء يبكين فجعل عمر
يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياكن ونعيق الشيطان
ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان
وقالت امراته وهي خولة بنت حكيم وقيل ام العلاء الانصارية هنيئا لك الجنة ابا السائب
فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة غضب وقال وما يدريك فقالت يا رسول الله
فارسك وصاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ادري ما يفعل بي فاشفق

وفاة عثمان ابن مظعون

فاستفز الناس في عثمان ◦ وعن عائشة رضي الله عنها ان خولة بنت حكيم دخلت عليها
وهي متشوشة الحال فقالت لها عائشة ما بالك قالت زوجي يعني عثمان بن مظعون
يقوم الليل ويصوم النهار فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة فذكرت له ذلك ف
لقي عثمان فقال له يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا اما لك بي اسوة والله ان
اخشاكم لله واحفظكم لحدوده لانا اي وسماه السلف الصالح فلما مات عنده دفن ولده ابراهيم الحق
بسلفنا الصالح وقال لما دفن بنته زينب الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ◦ ومات

وفاة اسعد بن زرارة

اسعد بن زرارة رضي الله عنه في هذه ووجد ان حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجدا شديدا عليه وكان نقيبا لبني النجار فلم يجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
نقيبا بعده اي بعد ان قالوا اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من امرنا ما كان يقيم وقال لهم
انتم اخوالي وانا نقيبكم وكره ان يخص بذلك بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم ف
اي ورد ما ابن سعد وابو نعيم في قولهما ان ابا امامة كان نقيبا لبني ساعدة لانه
صلى الله عليه وسلم كان يجعل نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بني ساعدة سعد بن
عبادة اي وقد قيل قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مات البراء ابن معرور
فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو واصحابه فصلى على قبره
وقال اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت وهي اول صلاة صليت على
الميت في الاسلام بناء على ان الصلاة حقيقتها والا جاز ان يراد بالصلاة الدعا
ويوافقه قول الامتاع لم اجد في شيء من كتب السيرة متى فرضت صلاة الجنازة
ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على عثمان بن مظعون وقد مات في السنة
الثانية وكذلك اسعد بن زرارة مات في السنة الاولى ولم ينقل انه صلى الله عليه
وسلم صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما فيه ◦ وكتب رسول

ذكر مواخاته صلى الله عليه وسلم بين الانصار

الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود اي بني قينقاع
وبني قريظة وبني النضير اي صالحهم على ترك الحرب والاذى اي انه لا يحاربهم
ولا يؤذيهم وان لا يعينوا عليه احدا وانه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم
واقرهم على دينهم واموالهم وقد ذكر في الاصل صورة الكتاب ◦ وآخى صلى الله عليه
وسلم بين المهاجرين والانصار في دار انس بن مالك وهي دار ابي طلحة زوج ام انس
اي والدته زيد بن سهل وقد ذكرت الحجر عار بالمهاجرين فلم يجدوا اجرته يدفعونه لها الا بعد
سبعة ايام قد ذكره بناد لم يتغير وعن انس رضي الله عنه ان ابا طلحة لم يكن يكثر من
الصوم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغزو فلما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم سرد الصوم وكانت المواخاة بعد بناء المسجد وقيل والنبي يبني المسجد على المواساة
والحق

والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وفي لفظ ودون القرابة فقال تآخوا في
الله اخوين اخوين اقول ذكر ابن الجوزي عن زيد بن ابي اوفى قال دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول اين فلان اين فلان فلم يزل يتفقدهم ويبعث
اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال اني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان
الله اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الاية الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس واني
اصطفي منكم من احب ان اصطفيه واواخي بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته قم يا ابا بكر فقام ف
فجثا بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال ان لك عندي يدا الله يجزيك بها ولو كنت متخذا ف
خليلا لاتخذتك فانت مني بمنزلة قميصي من جسدي وحرك قميصه بيده ◦ ثم قال ادن يا عمر
فدنا فقال قد كنت شديد البأس علينا يا ابا حفص فدعوت الله تعالى ان يعز بك الدين
او بابي جهل ففعل الله ذلك بك وكنت احبهما الى الله فانت معي في الجنة ثالث ثلاثة
من هذه الامة وآخى بينه وبين ابي بكر هذا كلام ابن الجوزي وهو يقتضي ان النبي
صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة آخى بين المهاجرين ايضا كما آخى بينهم قبل الهجرة وهذا
لا ينتظم الا لو آخى بين غير ابي بكر وعمر من المهاجرين ويكون ابن ابي اوفى اقتصر والمعروف
المشهور ان المواخاة انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل الهجرة ومرة بين المهاجرين
والانصار بعد الهجرة والله اعلم ويدل لذلك قول بعضهم كانوا اذ ذاك خمسين من
المهاجرين وخمسين من الانصار اي وقيل كانوا تسعين فاخذ بيد علي بن ابي طالب
وقال هذا اخي فكان علي ورسول الله صلى الله عليه وسلم اخوين وآخى بين ابي بكر وخارجة
ابن زيد وكانت ابنة خارجة تحت ابي بكر وبين عمر وعتبان بن مالك وبين
ابي رويم الخثعمي وبلال وبين اسيد بن حضير وبين زيد بن حارثة وكان اسيد ممن كناه
النبي صلى الله عليه وسلم كناه ابا عيسى وكان من احسن الناس صوتا بالقرآن وكان احد
العقلاء اهل الرأي وكان الصديق رضي الله عنه يكرمه ولا يقدم عليه احدا وآخى بين
ابي عبيدة وبين سعد بن معاذ وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع
وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمن يا عبد الرحمن اني من اكثر الناس مالا فانا مقاسمك
وتحتي امرأتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له بارك الله
لك في اهلك ومالك وفي الاصل عن ابن اسحاق آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم ف
بين اصحابه من المهاجرين والانصار فقال تآخوا في الله اخوين اخوين ◦ وفي كلام ف
بعضهم انه صلى الله عليه وسلم آخى بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه اوصى حمزة يوم احد
قيل لعلهما مهاجران ◦ ثم آخى بين جعفر بن ابي طالب وهو غائب بالحبشة ف
وبين معاذ بن جبل اي ارصد معاذ الاخوة جعفر اذا قدم من الحبشة وبه يرد ما قيل

اخا سلمان وابا الدرداء

جعفر بن ابي طالب لما تقدم في فتح خيبر سنة سبع فكيف يواخي بينه وبين معاذ بن جبل او لم تقدم عليه الصلاة
والسلام واخا بين ابي ذر الغفاري والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وبين
مصعب بن عمير وابي ايوب • وفي الاستيعاب انه اخى بين سلمان وابي الدرداء واخا سلمان لابي
الدرداء زائرا فرأى ام الدرداء مبتذلة فقال لها ما شانك قالت ان اخاك ليس له حاجة
في شيء من الدنيا فقال له سلمان ان لربك عليك حقا ولاهلك عليك حقا ولجسدك
عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه فقال ابو الدرداء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
سلمان فقال له مثل ما قال سلمان ولعل هذه المواخاة بين سلمان وابي الدرداء كانت
قبل عتق سلمان لانه تاخر عتقه عن احد لانه اول مشاهده الخندق كما تقدم • وروى
الامام احمد عن انس انه اخى بين ابي عبيدة وبين ابي طلحة وقد تقدم انه اخى بينه وبين
سعد بن معاذ • وقال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن
مواساة في قليل ولا احسن بذلا في كثير كفونا المؤنة واشركونا في المهنأ اي الخدمة
حتى لقد خشينا ان يذهبوا بالاجر كله قال لا ما اثنيتم عليهم ودعوتم لهم اي فان ثناءكم
عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم نوع مكافأة فالدعية والمواخاة من خصائصه صلى الله عليه
وسلم ولم يكن ذلك لنبي قبله • ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لي بعياش
بن ابي ربيعة وهشام بن العاص اي المحبوسين عند قريش المانعين لهما من الهجرة
فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة اي بعد ان خرج الى المدينة من حبس اهله له بمكة
كما تقدم انا لك يا رسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امراة تحمل
طعاما فقال لها اين تريدين يا امة الله قالت اريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها
حتى عرف موضعهما وكانا في بيت لا سقف له فلما امسى تسور عليهما ثم اخذ مروة اي حجرا
فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة ثم حملهما
على بعيره وساق بهما فعثر فدميت اصبعه فانشد اي متمثلا • هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم ان ذلك يرد
المنقول ان عياشا استمر محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد دعى
صلى الله عليه وسلم في قنوت الصلاة بقوله اللهم انج الوليد بن الوليد اي وذلك
قبل ان يتخلص من حبسه بمكة اي فان الوليد اسر يوم بدر اسره عبد الله بن جحش فقدم
في فدائه اخواه خالد وكان اخاه لابيه وهشام وكان اخاه لامه وابيه ثم لما ابى
عبد الله ان ياخذ في فداء الوليد الا اربعة الاف درهم وما زال خالد يابى ذلك قال له
هشام انه ليس بابن امك والله لو ابى فيه الا كذا وكذا لفعلت • ويقال انه صلى الله
عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش لا تقبل في فدائه الا شكة ابيه وهي درع فضفاضة

ومغفر

سترها بخمار وقطعا بها وسلماها الى عبد الله فلما افتدى وقدم الى مكة اسلم فقيل له هلا
اسلمت قبل ان تفتدي فقال كرهت ان يظنوا اني جزعت من الاسر فلما اسلم حبسه
اهل مكة ثم افلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عمرة القضاء وكتب الى
اخيه خالد فوقع الاسلام في قلب خالد وكان خالد من خروجه من مكة فارا لئلا
يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كراهة للاسلام واهله فسأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الوليد عنه وقال لو اتانا خالد لاكرمناه وما مثله يجهل الاسلام
فكتب له اخوه الوليد بذلك • ومدة حبس الوليد كان صلى الله عليه وسلم في كل ليلة
اذا صلى العشاء الاخرة قنت في الركعة الاخيرة يقول اللهم انج الوليد بن الوليد
اللهم نج سلمة بن هشام بن العاص اللهم نج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد
وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاكلوا العلهز ثم لم
يزل يدعو للمستضعفين حتى نجاهم الله اي بعد ان نجا عياش وهشام والوليد
اقول هذه الرواية تدل على انه كان يدعو لما ذكر في الركعة الاخيرة من العشاء الاخرة
وفي البخاري ان ذلك كان في الركعة الاخيرة من الصبح وقد يقال لا مخالفة لانه
صلى الله عليه وسلم تارة كان يدعو في الركعة الاخيرة من صلاة العشاء الاخرة •
وتارة في الركعة الاخيرة من الصبح او كان يدعو بذلك فيهما وكل روى بحسب ما رأى
والله اعلم • ثم لا زال المهاجرون والانصار يتوارثون بذلك الاخاء دون القرابات
الى ان نزل قوله تعالى في وقعة بدر واولوا الارحام اي القرابات بعضهم اولى ببعض اي في
الارث في كتاب الله اي اللوح المحفوظ فنسخ ذلك اي لانه كان الغرض من المواخاة
ذهاب وحشة الغربة ومفارقة الاهل والعشيرة وشد ازر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام
واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وذوي رحمه
اي ومن ثم قيل لزيد بن حارثة زيد بن حارثة بعد ان كان يقال له زيد بن محمد وكانت
المواخاة بعد الهجرة بخمسة اشهر وقيل غير ذلك • اقول تقدم ان سبب امتناع ان يقال
زيد بن محمد قوله تعالى ادعوهم لآبائهم اي ومن ثم قيل للمقداد بن عمرو وكان يقال له
المقداد بن الاسود لان الاسود كان تبناه في الجاهلية ومن لم يعرف ابوه رد الى مواليه
ومن ثم قيل لسالم مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بعد ان كان يقال له
سالم بن ابي حذيفة فكان ابو حذيفة يرى انه ابنه ومن ثم انكحه ابنة اخيه فاطمة بنت
الوليد بن عتبة • وجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو امرأة ابي حذيفة الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل علي وقد بلغ ما يبلغ الرجال
وانه يدخل علي واظن في نفس ابي حذيفة من ذلك شيئا فماذا ترى فيه فقال ارضعيه تحرمي ومن

ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لعائشة ما نرى هذه الا حفصة [illegible] رسول الله صلى الله
عليه وسلم لسانا وكان سالم رضي الله عنه يؤم المهاجرين الاولين في مسجد قبا فيهم ابو بكر وعمر
وفي ينبوع الحياة كانت المواخاة بين المهاجرين والانصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ
ذلك قبل بدر وانما قول ابن عباس رضي الله عنهما في عصبتها كانوا يتوارثون بذلك
حتى نزلت واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض معناه انهم التزموا هذا الحكم وتوابعه
ومن المشكل جنينه مثل ان الختان بضم الخاء وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله
عليه وسلم اخى بينه وبين معاوية وكانت الختانة عند معاوية فضلة فتنه ورثته
بالاخوة مع وجود اولاده ثم رايت الحافظ ابن حجر في الاصابة تردد كونه ذلك ونظر فيه
والله اعلم

باب بدء الاذان وشروعيته

اي والاقامة وشروعيتها وكل منهما من خصائص هذه الامة كما ان من خصائصها الركوع
والجماعة وافتتاح الصلاة بالتكبير فان صلاة الامم السابقة كانت لا ركوع
فيها ولا جماعة وكانت الانبياء كانهم يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح
والتهليل اي وكان دابه صلى الله عليه وسلم في احرامه لفظ الله اكبر ولم ينقل عنه
سواها كما تقدم ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم واسجدي واركعي مع الراكعين
لان المراد به في ذلك الخضوع او الصلاة لا الركوع المعهود كما قيل لكن في البغوي
قيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقيل بل كان الركوع
قبل السجود في الشرائع كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا الكلام فليتأمل
وكان وجود ذلك اي الاذان والاقامة في السنة الاولى وقيل في الثانية. ذكر
ان الناس انما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها اي لدخول اوقاتها من غير
دعوة احد وقد نقل ابن المنذر وهو صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ
فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة الى ان وقع التشاور. وقد ورد
ما يدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة من ذلك الاحاديث ما في الطبراني
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله
تعالى اليه بالاذان فنزل به وعلمه بلالا. قال الحافظ ابن رجب هو حديث موضوع
ومنها ما رواه ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا لما اسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم اذن جبريل فظنت الملائكة انه اي جبريل يصلي بهم فقدمني فصليت
قال فيه الذهبي حديث منكر بل موضوع هذا الكلام على انه يدل على ان المراد بالاذان الاقامة
كما تقدم انما المرادة بالاذان انتهى. اقول ومن اغرب ما وقع في بدء الاذان ما رواه
ابو نعيم في الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل نادى بالاذان لآدم حين اهبط من الجنة

دنى

وقد سئل الحافظ السيوطي هل ورد ان بلالا او غيره اذن بمكة قبل الهجرة فاجاب بقوله ورد ذلك
باسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها والمشهور الذي صححه اكثر العلماء ودلت عليه الاحاديث الصحيحة
ان الاذان انما شرع بعد الهجرة وانه لم يؤذن قبلها لا بلال ولا غيره. وذكر في الدر في
قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة في شان
المؤذنين والاذان انما شرع في المدينة فهي مما تاخر حكمه عن نزوله هذا كلامه
وفي كلام الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث ذكر ان الحق انه لا يصح شيء من الاحاديث
الدالة على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم عن ابن المنذر من
انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر
صلى الله عليه وسلم الى المدينة والى ان وقع التشاور في ذلك اي فقد اهتم صلى الله
عليه وسلم هو واصحابه كيف يجمع الناس للصلاة. قيل له انصب راية عند حضور
الصلاة فاذا راها الناس اذن اي اعلم بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك فذكر له بوق يهود
اي ويقال له الشبور بفتح المعجمة ثم موحدة مشددة مضمومة ثم واو ساكنة ثم را
ويقال له القنع بضم القاف واسكان الموحدة وقيل بفتحها وقيل باسكان النون
وبالعين المهملة قاله السهيلي وهو اولى بالصواب وقيل بالمثناة فوق وقيل
بالمثلثة وهو القرن الذي ينفخ به للصلاة فيهم اي يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه
صلى الله عليه وسلم وقال هو من امر اليهود فذكر له الناقوس الذي يدعون به
النصارى لصلاتهم فقال هو من امر النصارى اي فقالوا لو رفعنا نارا اي فاذا
راها الناس اقبلوا الى الصلاة فقال ذلك للمجوس. وقيل كما في حديث الشيخين
عن ابن عمر ان عمر رضي الله عنه قال اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلاة اي كصورتها
اي فيفعلوا ذلك وكان المنادي هو بلال رضي الله عنه قال الحافظ ابن حجر
وكان اللفظ الذي ينادي به بلال اي قبل رويا عبد الله الصلاة جامعة كما رواه
ابن سعد وسعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلا. وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم
قال لقد هممت ان ابث رجالا ينادون الناس بحين الصلاة اي في حينها اي
وقتها وقد هممت ان امر رجلا يقوم على الاطام ينادون المسلمين بحين الصلاة اي وبعد
هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم امر بلالا بما تقدم. وقيل
اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه بالناقوس اي اتفقوا عليه فنحت ليضرب
به المسلمون اي وهي خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فنام عبد الله بن زيد فاري
الاذان اي والاقامة في منامه. وفيه رضي الله عنه قال لما امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالناقوس فطاف بي وانا نائم رجل وفي لفظ اني لبين نائم ويقظان اذ طاف بي رجل

رويا عبد الله ابن زيد

والمراد انه نائم نوما خفيفا قريبا من اليقظة فهو حالة كالمتوسطة بين النوم واليقظة قال
الحافظ السيوطي ظهر من هذا ان يحمل على الحالة التي تعتري ارباب الاحوال ويشاهدون
فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة رضي الله تعالى عنهم هم رؤوس ارباب
الاحوال اي وهذه الحالة التي عناها الشيخ عبد الله الدلاصي بقوله كنت بالمسجد
الحرام في صلاة الصبح فلما احرم الامام واحرمت اخذتني اخذة فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي اماما وخلفه العشرة فصليت معهم فقرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الركعة الاولى بسورة المدثر وفي الثانية بعم يتساءلون ثم سلم الامام
فعقلت تشهده فسلمت • اي ويؤيد ذلك قول عبد الله ابن زيد كما جاء في رواية ولولا
ان يتهمني الناس اي تستبعد الناس ذلك لقلت اني كنت يقظانا غير نائم وذلك
الرجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس
فقال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك
من ذلك فقلت بلى اي وفي رواية فقلت اتبيع الناقوس فقال لماذا تريد به
فقلت اريد ان ابتاعه لكي اضرب به للصلاة لجماعة الناس فقال فانا احدثك
بخير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر
اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا
رسول الله حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله اكبر الله
اكبر لا اله الا الله قال عبد الله ثم استاخر عني اي ذلك الرجل غير بعيد ثم
قال وتقول اذا قمت الى الصلاة الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد
ان محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة
الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله اي ففي هذه الرواية افراد الفاظ الاقامة
الا لفظها ولفظ التكبير اولا واخرا • وفي رواية راى رجلا عليه ثياب خضر
وهو قائم على سقف المسجد وفي رواية على جذم حائط بكسر الجيم وسكون المعجمة
اي اصل الحائط ولا مخالفة لاحتمال فاذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها اي مثل
الكلمات اي كلمات الاذان الا انه يزيد قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة اي
زيادة على تلك الكلمات التي هي الاذان ففي هذه الرواية تثنية الفاظ الاقامة
والاتيان بالتكبير في اولها اربعا كالاذان اي وهذا اي كونه على سقف المسجد
وكونه على جذم حائط لا مخالفة بينهما لانه يجوز ان يكون لما قال له تقول الله اكبر الى اخر
الاذان والاقامة كان قائما على سقف المسجد قريبا من جذم الحائط فنسب قيامه الى
كل منهما ويكون قوله ثم استاخر عني غير بعيد اي سكت غير طويل قال عبد الله فلما اصبحت

اتيت

اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما رايت • اي وفي رواية انه اتاه ليلا واخبره
وهي المذكورة في سيرة الحافظ الدمياطي ولا منافاة لانه يجوز ان يكون قول عبد الله
فلما اصبحت اي قاربت الصباح فقال له صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله
تعالى فقم مع بلال فالق عليه ما رايت فليؤذن به فانه اندى وفي رواية امد
صوتا منك اي اعلى وارفع وقيل اعذب واحسن ولا مانع من ارادة ذلك كله
قال فقمت مع بلال وفي رواية فقال لبلال قم فانظر ما امرك به عبد الله بن زيد فافعله
فجعلت القيه عليه ويؤذن به • اي فبلال اول مؤذنيه صلى الله عليه وسلم اي وقيل (اول مؤذنيه صلى الله عليه)
اول مؤذنيه عبد الله بن زيد ذكره الامام والغزالي وانكره ابن الصلاح اي حيث
قال لم اجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه وحينئذ لا منافاة لان عبد الله اول
من نطق بالاذان وبلال اول من اعلن به وحينئذ يكون اول مشروعيته كان في
اذان الصبح فلما سمع بذلك اي باذان بلال عمر بن الخطاب وهو في بيته خرج يجر رداءه
وفي رواية ازاره عجلا اي وقد اعلم بالقصة فقال والذي بعثك بالحق يا رسول الله
لقد رايت مثل ما راى عبد الله بن زيد وفي رواية مثل ما يقول بلال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلله الحمد قال الترمذي عبد الله بن زيد هو ابن عبد ربه (فلله الحمد)
لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يصح الا هذا الحديث الواحد في الاذان
وقيل راى مثل ما راى عبد الله ابو بكر رضي الله عنه وقيل سبعة من الانصار وقيل
اربعة عشر • قال ابن الصلاح لم اجد هذا بعد امعان البحث وتبعه النووي فقال
هذا ليس بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر يجر رداءه وقيل انه صلى الله
عليه وسلم ليلة الاسراء سمع ملكا يؤذن اي فقد جاء في حديث تضعيفه وانه متروك
بل قيل انه من وضعه انه لما اراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان جاء جبريل عليه
السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما
هو كذلك خرج من الحجاب ملك فقال الله اكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا
اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان نحو رؤيا عبد الله ونبه على ان هذا الذي راه في السماء
يكون سنة في الارض عند الصلوات الخمس اي التي فرضت عليه تلك الليلة اي فلذلك
قال انها لرؤيا حق ان شاء الله • وفيه ان الذي تقدم عن الخصائص ان المراد بهذا
الاذان الذي اتى به الملك الاقامة لا حقيقة الاذان اي ويدل لذلك ان الملك
قال فيه قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقال الله صدق عبدي انا فرضتها
ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فام اهل السماء فيهم ادم ونوح قال بعضهم
والاذان ثبت بحديث عبد الله بن زيد باجماع الامة لا يعرف بينهم خلاف في ذلك الا

ما روي عن محمد بن الحنفية وعن ابي العلاء قال قلت لمحمد بن الحنفية انا لنتحدث ان بدء
هذا الاذان كان من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه قال ففزع لذلك محمد بن الحنفية
فزعا شديدا وقال عمدتم الى ما هو الاصل في شرائع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم انه انما كان
من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون اضغاث احلام •
قال فقلت له هذا الحديث قد استفاض في الناس قال هذا والله هو الباطل ثم قال
وانما اخبرني ابي ان جبريل عليه السلام اذن في بيت المقدس ليلة الاسراء واقام ثم اعاد
جبريل الاذان لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء فسمعه عبد الله بن زيد وعمر بن
الخطاب • وفي رواية عنه انه لما انتهى الى مكان من السماء وقف به وبعث الله ملكا فقيل
له علمه الاذان فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقال الله صدق عبدي انا الله اكبر
الى ان قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفيه ما علمت ان هذا اقامة
لا اذان وقد رد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل لما احتاج صلى الله عليه وسلم الى
المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة والاولى ان يتمسك ابن الحنفية بما يأتي
عن بعض الروايات من قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله لقد سبقك بذلك الوحي
وكونه اتي بالبراق الى الحجاب هو مبني على ان العروج كان على البراق وتقدم ما فيه
ويحتمل ان يكون هذا عروجا اخر غير ذلك وحينئذ لا يخالف هذا ما تقدم انه لما
اسري به اذن جبريل وتقدم ما فيه ولا ما جاء عن علي رضي الله عنه مؤذن اهل السماء
جبريل لجواز حمل ذلك على الغالب وحينئذ لا يخالف ايضا ما جاء اسرافيل يؤذن لاهل
السماء وامامهم ميكائيل عند البيت المعمور وفي لفظ يؤم بالملائكة عند البيت المعمور
وقد يكون ميكائيل امام اهل السماء لا يخالف ما جاء عن عائشة رضي الله عنها امام اهل السماء
جبريل والله اعلم • وجاء ان مؤذن اهل السماء يؤذن لاثنتي عشرة ساعة من النهار ولاثنتي
عشرة ساعة من الليل • اقول وفي النور لو رآه اي الاذان ليلة الاسراء لم يحتج الى
ما يجمع به المسلمين الى الصلاة ويرد بانه لم يكن يعلم قبل هذه الرؤية ان ما رآه في السماء
يكون سنة للصلوات الخمس التي فرضت عليه تلك الليلة فبتلك الرؤية علم ان
ذلك سنة في الارض كما تقدم • وعبارة بعضهم ولا يشكل على اذان جبريل ببيت المقدس
ان الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسراء قبل شرعيته
للصلوات الخمس وهذا الحل على تسليم ان المراد الاذان حقيقة لا الاقامة وقد
علمت ما فيه ثم رأيت بعضهم قال واما قول الغزالي لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسراء
ان يكون مشروعا في حقه ففيه نظر لقوله في اوله لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله
الاذان اي لان المتبادر من تعليمه الاذان الذي يأتي به في الارض وقد يقال على تسليم
ذلك

اول من اذن جبريل

ذلك فقد علمت ان الاذان الذي سمعه ليلة الاسراء الاقامة وقد قال الحافظ ابن حجر
الحق انه لم يصح شيء من هذه الاحاديث الواردة بانه سمعه ليلة الاسراء قال ابن
كثير في بعض الاحاديث الواردة بانه سمع هذا الاذان في السماء ليلة المعراج
هذا الحديث ليس كما زعم البيهقي انه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر
ابو الجارود الذي تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين • وفي بعض
كتب الخصائص الصغرى خص صلى الله عليه وسلم بذكر اسمه في الاذان في عهد
آدم وفي الملكوت الاعلى والله اعلم اي • وروي بسند واه ان اول من اذن
بالصلاة جبريل عليه السلام في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال رضي الله تعالى
عنهما فسبق عمر بلالا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء بلال فقال له سبقك
بها عمر وهذا اي لا اصل له لانه لا يجوز ان يكون ذلك بعد رؤيا عبد الله وذكر
ان عمر رضي الله تعالى عنه رآه من عشرين يوما وكتمه ولما اخبر صلى الله عليه وسلم
بذلك قال له ما منعك ان تخبرني قال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت منه
اقول في هذا الكلام ما لا يخفى مليا فليتأمل والله اعلم • وقيل انما قال ذلك اي انها
رؤيا حق لانه يجوز ان يكون جاء صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك قبل ان
يجيء اليه عبد الله بن زيد به • ومن ثم قال له حين اخبره بذلك على ما في بعض
الروايات قد سبقك بذلك الوحي فالاذان انما ثبت بالوحي لا بمجرد رؤيا
عبد الله بن زيد قال بعضهم في قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها
هزوا الاية كان اليهود اذا نودي للصلاة وقام المسلمون اليها يقولون قد
قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق الاستهزاء والسخرية وفيها دليل على
مشروعية الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده هذا الكلام ورده ابو حيان
بان هذه جملة شرطية دلت على سبق المشروعية لا على انشائها هذا الكلام اي
وذلك على تسليم ان يكون المدعو به للصلاة خصوص اللفظ الذي وجد في المنام
اي وما زال بلال يؤذن بذلك للصلوات الخمس وينادي للناس لغير الصلوات
الخمس لامر يحدث يطلب له حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء
الصلاة جامعة قيل وكان بلال اذا اذن قال اشهد ان لا اله الا الله حي
على الصلاة فقال له عمر قل على اثرها اشهد ان محمدا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل كما قال عمر وهذا روي عن ابن عمر وفي حديثه
فيه راو ضعيف ولولا التعبير بذلك لكان لامكن حمل ذلك على ان بلالا اي
تركه ناسيا في ذلك الوقت لما لقنه عبد الله بن زيد • ثم رأيت ابن حجر

المبتغى قال والحديث الصحيح الثابت في ادلة شرعية الاذان يرد هذا اعني الكلام
فيه وزاد بلال في اذان الصبح بعد الحيعلتين الصلاة خير من النوم مرتين
فاقرها صلى الله عليه وسلم اي لان بلالا كان يدعو النبي للصلاة فيقول له
الصلاة فدعاه ذات غداة الى الفجر فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نائم فصرخ باعلى صوته الصلاة خير من النوم مرتين اي اليقظة الحاصلة للصلاة
خير من الراحة الحاصلة بالنوم • اقول وهذا ايضا دليل التثويب وذكر فيما رواه
انه صلى الله عليه وسلم لقن بذلك لابي محذورة اي قال له فان كانت صلاة
الصبح قلت الصلاة خير من النوم ولا منافاة لان تعليم ابي محذورة للاذان
كان عند سفره صلى الله عليه وسلم من حنين علمنا بما تقدم وكذا ما روي من
انه صلى الله عليه وسلم قال ان ذلك من السنة لانه يجوز ان يكون ذلك
صدر منه بعد ان اذن بلال عليه ثم ذكروا انه ينبغي ان ابن ام مكتوم كان يقول
اي يقول بلال ذلك في الاذان الاول وهو يدل على قال انه اذا قيل في الاذان
الاول لا يقال في الثاني لان اذانه للصبح كان متاخرا عن اذان بلال في اكثر
الاحوال وهو محمل ما جاء في كثير من الاحاديث ان بلالا يؤذن بليل فكلوا
حتى يؤذن ابن ام مكتوم ومن غيره الاكثر محمل ما جاء ان ابن ام مكتوم ينادي
بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال لان ابن ام مكتوم اعمى فان اذن ابن ام مكتوم
فكلوا واذا اذن بلال فامسكوا او لا تاكلوا • والراجح انه يقول فيهما لكن ربما
يجاب عن ذلك لما في الموطا ان المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما
فقال الصلاة خير من النوم فامره عمر ان يجعلها في اذان الصبح • وفي الترمذي
ان بلالا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثويب في شيء من الصلوات
اي من اذان الصلوات الا في صلاة الفجر اي يقول الصلاة خير من النوم • وعن
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه سمع الاذان في مسجد فاراد ان يصلي فيه فسمع
المؤذن يثوب في غير الصبح فقال لرفيقه لنخرج بنا من عند هذا المبتدع فان هذه
بدعة اي سمع المؤذن يقول بين الاذان والاقامة على باب المسجد الصلاة
الصلاة وهذا هو المراد بالتثويب الذي سماه ابن عمر كما قال بعضهم • وفي
كلام بعضهم من المحدثات ان المؤذن يجيء بين الاذان والاقامة الى باب المسجد
فيقول حي على الصلاة • تنبيه ولعل احدث المؤذن لمعاوية رضي الله عنه فكان
ياتيه بعد الاذان وقبل الاقامة يقول حي على الصلاة حي على الصلاة حي على
الفلاح حي على الفلاح يرحمك الله اما قول المؤذن بين الاذان والاقامة
الصلاة

الصلاة الصلاة فليس بذلك لان بلالا كان يقول ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم واما
قوله حي على الصلاة فمحدث لم يعد في زمنه صلى الله عليه وسلم • ثم رايت في در المباحث
في احكام البدع والحوادث • اختلف الفقهاء في جواز دعاء الامير الى الصلاة بعد الاذان
وقبل الاقامة بان ياتي المؤذن باب الامير فيقول حي على الصلاة حي على الفلاح
ايها الامير وتسمى التثويب فاخذ من قال بجوازه اي بسنيته ان بلالا كان
اذا اذن ياتي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول حي على الصلاة حي على الفلاح
الصلاة يرحمك الله اي كما كان يفعل مؤذن معاوية رضي الله عنه فليس من المحدثات
وفي الحديث المشهور انه في مرضه صلى الله عليه وسلم اتاه بلال فقال السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فقال له صلى الله
عليه وسلم مروا ابا بكر فليصل بالناس • واحتج من قال بالمنع بان عمر رضي الله عنه
لما قدم مكة اتاه ابو محذورة فقال الصلاة يا امير المؤمنين حي على الصلاة
حي على الفلاح فقال ويحك امجنون انت اما كان في دعائك الذي دعوتنا
ما يكفيك حتى تاتينا ولو كان هذا سنة لم ينكر عليه اي وكون عمر
رضي الله عنه لم يبلغه فعل بلال بعيد • وعن ابي يوسف لا ارى باسا
ان يقول المؤذن السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة
حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال الامراء بمصالح المسلمين اي ولهذا كان
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يفعله • وذكر بعضهم ان في دولة بني بويه كانت
الرافضة تقول بعد الحيعلتين حي على خير العمل فلما كانت دولة السلجوقية
منعوا المؤذنين من ذلك وامروا ان يقولوا في اذان الصبح بدل ذلك الصلاة
خير من النوم مرتين وذلك في سنة ثمان واربعين واربعمائة • ونقل عن ابن عمر و
عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم انهما كانا يقولان في اذانهما بعد حي
على الصلاة حي على الفلاح حي على خير العمل • وورد الترجيع في خبر اذان ابي
محذورة ايضا وهو ان يخفض صوته بالشهادتين قبل رفعه بهما • ففي مسلم عن
ابي محذورة انه قال قلت يا رسول الله علمني سنة الاذان قال فمسح مقدم
راسي وقال تقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان
محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك
بالشهادتين اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله
اشهد ان محمدا رسول الله وكان ابو محذورة يشفع الاذان ويشفع الاقامة اي
يكرر الفاظهما فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله

اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله حي على الصلاة
حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله اكبر
الله اكبر لا اله الا الله لقنه صلى الله عليه وسلم ذلك وهما الروايتان الثابتتان اللتان تقدمت
عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه ● وذكر الامام ابو العباس بن تيمية رحمه الله ان النقل
ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم علم ابا محذورة الاذان فيه الترجيع والاقامة مثناة
كالاذان وانه لم يكن يشفع الاذان ويوتر الاقامة اي ولا يرجع الاذان
في الصحيحين امر بلال ان يشفع الاذان اي بدء من شفع الاذان التكبير اولا اربعا
ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه على مرتين وان كان هو عمل اهل المدينة
كما سيأتي ● ثم يرد على شفع الاذان التهليل اخره فانه مفرد فالاولى ان يقال شفع
معظم الاذان ويوتر الاقامة الا الاقامة اي لفظها ايضا جمع قد قامت الصلاة
فانه يكررها مرتين بقوله قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه صلى الله
عليه وسلم افرادها البتة اي وان كان هو عمل اهل المدينة كما سيأتي ● وصح عنه
تكرير لفظ التكبير مرتين اولا واخرا وحينئذ يكون المراد بافراد الاقامة
معظمها فكان يقول في الاقامة الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان
محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة
الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله ولم يجئ في اذانه ترجيع اي وهو الاتيان بالشهادتين
مرتين سرا ثم يأتي بهما جهرا اي كما تقدم فاذا فنقل افراد الاقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها
صحيح بلا ريب اي وكلا روي عن عبد الله بن زيد كما علمت قال ابن تيمية فاحمد وغيره قد
اخذوا باذان بلال واقامته اي فلم يستحبوا الترجيع في الاذان واستحبوا افراد
الاقامة الا لفظها والشافعي رضي الله عنه اخذ باذان ابي محذورة واقامة بلال
فاستحب الترجيع في الاذان والافراد في الاقامة الا لفظها ● وابو حنيفة رضي الله عنه
اخذ باذان بلال واقامة ابي محذورة اي فلم يستحب الترجيع واستحب تثنية الفاظ الاقامة
قال في الهدي واخذ مالك بما عليه اهل المدينة من الاقتصار في التكبير على مرتين في
الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة اي ولعل هذا بحسب ما كان في المدينة والا ففي
ابي داود ولم يزل ولد ابي محذورة وهم الذين يلون الاذان بمكة يفردون الاقامة
اي معظم الفاظها ويحكونه عن جدهم غير ان التثنية عند اكثر يحتمل ان اتيان ابي محذورة
بالاقامة فرادى واستمرار ولده بعده على ذلك كان بامر منه صلى الله عليه وسلم بذلك
بعد امره اولا بتثنيتها اي فيكون اخرا من الافراد ● وقد قيل لاحمد رضي الله عنه
وقد كان يأخذ باذان بلال اي كما تقدم اليس اذان ابي محذورة بعد اذان بلال اي

اختلاف الائمة في الاذان والاقامة

لان

لان النبي صلى الله عليه وسلم علمه له عند منصرفه من حنين على ما سيأتي وهو الذي رواه امامنا
الشافعي رضي الله عنه عن ابي محذورة انه قال خرجت في نفر وكنا ببعض طريق حنين فقفل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حنين فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الطريق فاذن مؤذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون اي عن الطريق فصرخنا
نحكيه ونستهزئ به فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال صلى
الله عليه وسلم ايكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فاشار القوم كلهم الي فحبسني اي ابقاني عنده
وارسلهم وقال قم فاذن فقمت ولا شيء اكره الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرني
به فقمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى علي التأذين هو بنفسه صلى الله
عليه وسلم الحديث ثم دعاني حين قضيت التأذين فاعطاني صرة فيها شيء من فضة ثم
وضع يده على ناصيتي ثم امرها على وجهي ثم بين ثديي ثم على كبدي حتى بلغت يده سرتي
ثم قال بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يا رسول الله مرني بالتأذين بمكة
فقال صلى الله عليه وسلم قد امرتك به وذهب كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه
من كراهة وعاد كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن اسيد
رضي الله عنه عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فاذنت بالصلاة عن امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وقيل علمه صلى الله عليه وسلم ذلك يوم فتح مكة لما اذن
بلال رضي الله عنه على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش يستهزؤن به ويحكون
ويحكون صوته وكان من جملتهم ابو محذورة فاعجبه صلى الله عليه وسلم صوته فدعاه وعلمه الاذان وامره
ان يؤذن لاهل مكة قيل ما قبل الجمع وانما يؤخذ بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي لان المتاخر ينسخ المتقدم فقال الذي لما عاد الى المدينة اقر بلالا
على اذانه ● قال ابو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب اكثر العلماء
وجرى به العمل في الحرمين والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر وديار المغرب
اي والا فيعتبر في المساجد التي تقام صلاة الاروام بها فان الاقامة تثنى
كالاذان ● وقد ذكر ان ابا يوسف رحمه الله ناظر امامنا الشافعي رضي الله عنه في
المدينة بين يدي مالك رضي الله عنه او الرشيد فاحضر الشافعي احفاد اولاد بلال واولاد
سعد مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم كيف تعلمتم الاذان والاقامة من
ابائكم فقالوا الاذان مثنى مثنى والاقامة فرادى هكذا تعلمناه من ابائنا وابائنا
عن ابائهم الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ● وجاء انه صلى الله عليه وسلم سمع
بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة قال صلى الله عليه وسلم
اقامها الله وادامها ● وفي البخاري من قال حين يسمع النداء اي الاذان اللهم رب هذه الدعوة

التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي
وعدته وجبت له شفاعتي يوم القيامة . قال بعضهم كان المؤذنون في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم مؤذنان بلال وابن ام مكتوم فلما كان زمن عثمان رضي
الله عنه جعلهم اربعا وزاد الناس بعده . ولما مات صلى الله عليه وسلم ترك بلال
الاذان وهو بالشام فمكث زمانا فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
فقال له يا بلال جفوتنا وخرجت من جوارنا فاقصد الى زيارتنا . وفي لفظ اخر قال
ما هذه الجفوة يا بلال ما آن لك ان تزورنا فانتبه بلال رضي الله عنه فقصد
المدينة فلما انتهى الى المدينة تلقاه الناس اي واتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وجعل يبكي عنده ويتمرغ عليه واقبل على الحسن والحسين يقبلهما ويضمهما والحوا
عليه ان يؤذن فلما صعد ليؤذن اجتمع اهل المدينة رجالهم ونساؤهم وخرجت
العذارى من خدورهن ليسمعوا اذانه رضي الله عنه فلما قال الله اكبر ارتجت المدينة
وما حولها بكوا فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ضجوا جميعا فلما قال اشهد ان
محمدا رسول الله لم يبق ذو روح الا بكا وصاح وكان ذلك اليوم كيوم موت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى الشام وكان يرجع الى المدينة في كل سنة
مرة فينادي بالاذان الى ان مات رضي الله عنه . اقول في كلام بعضهم كان سعد
القرظ رضي الله عنه مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقبا فلما لحق بلال بالشام في
ايام عمر رضي الله تعالى عنه امر سعد القرظ ان يؤذن في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي فانه بلالا كان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى ابي
بكر رضي الله عنه فقال يا خليفة رسول الله اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول افضل اعمال المؤمن الجهاد في سبيل الله وقد اردت ان اربط في سبيل الله
حتى اموت فقال له ابو بكر رضي الله عنه انشدك الله يا بلال وحرمتي وحقي
عليك ان لا تفارقني فاقام بلال حتى توفي ابو بكر وهو يؤذن ثم جاء الى عمر
فقال له كما قال لابي بكر ورد عليه رضي الله عنه كما رد عليه ابو بكر فابى وخرج الى
الشام مجاهدا . وفي انس الجليل لما فتح امير المؤمنين عمر رضي الله عنه بيت المقدس
حضرت الصلاة فقال يا بلال اذن لنا رحمك الله قال بلال يا امير المؤمنين والله ما اردت
ان اذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد ولكن ساطيعك اذا امرتني في هذه الصلاة
وحدها فلما اذن بلال وسمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم صوته ذكروا النبي صلى الله
عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من الصحابة يومئذ اطول بكاء من ابي عبيدة ومعاذ بن جبل
حتى قال لهما عمر رضي الله عنه حسبكما رحمكما الله فلم يؤذن بلال بعد رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم الا مرة واحدة لما اتى عمر بالاذان هذا اما في انس الجليل ايضا المراد بالمرة هذه المرة
التي كانت ببيت المقدس وتنبيه ان هذا يخالف ما تقدم ما ظاهره انه استمر يؤذن مدة خلافة
ابي بكر رضي الله عنه وما تقدم من اتيان الحسن والحسين عليه فان يؤذن عند مجيئه للمدينة
الا ان يقال المراد لم يؤذن خارج المدينة فلا يخالف ما سبق من انه بعد اتيان الحسن والحسين
ولعل ما سبق كان بعد فتح بيت المقدس بل ويجعون الخلفاء الاربعة . ثم رأيت الزين
العراقي قال لم يؤذن بلال لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم لاحد من الخلفاء الا ان عمر لما
قدم الشام حين فتحها اذن بلال لهذا الكلام فبينا تلامح ما سبق . وفي الكتاب المذكور
روى عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله اي الخلق اول دخولا الجنة
قال الانبيا قال ثم من قال الشهدا قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال
مؤذنو البيت الحرام قال ثم من قال مؤذنو مسجدي قال ثم من قال سائر المؤذنين ثم
رأيت في نسخة من شرح المنهاج للدميري عن جابر فقدم مؤذني المسجد الحرام على
مؤذني بيت المقدس ولا ابيت في بعض الروايات ما يوافقه وهي اول من يدخل الجنة بعدي
ابو بكر ثم الفقرا ثم مؤذنو المسجد الحرام ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدي
ثم سائرهم على قدر اعمالهم . وفي البدور السافرة عن جابر رضي الله عنه ان رجلا
قال يا رسول الله اي الخلق اول دخولا الجنة يوم القيامة قال الانبيا قال ثم من
قال الشهدا قال ثم من قال مؤذنو الكعبة قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس
قال ثم من قال مؤذنو مسجدي هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين على قدر اعمالهم
وفيها عن جابر ايضا اول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم
النبيون والرسل ثم يكسى المؤذنون . وجاء ان الصحابة رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله
لقد تركتنا نتنافس في الاذان بعدك فقال اما انه يكون قوم بعدكم سفلتهم مؤذنوهم
قيل ذهبت الزيادة سكوته وقال الدارقطني ليست محفوظة . وجاء اذا اخذ المؤذن في اذانه
وضع الرب جل وعز يده فوق راسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من اذانه وانه ليغفر له
مد صوته فاذا فرغ قال الرب صدق عبدي وشهد شهادة الحق فابشروا والله اعلم
قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود اي من النجار وعن
السدي من النصارى بالمدينة سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الله
الكاذب وفي رواية احرق الله الكاذب فدخلت خادمه بنار وهو نائم واهله نيام
فسقطت شرارة فاحرقت البيت واحترق هو واهله انتهى اي وفي بعض الاسفار حضرت
الصلاة اي صلاة الصبح وطلبوا بلالا يؤذن فلم يوجد اي لتاخره في السير عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذن زياد بن الحارث الصدائي اي بامره صلى الله عليه وسلم

اول من يدخل الجنة

غريبة

فقال لي اذن يا اخا صداء وصداء حي من اليمن. وعنه رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يؤمرني على قومي فقال لا خير في الامرة لرجل مؤمن فقلت حسبي ثم سار النبي صلى الله عليه
وسلم سيرا فسرت معه فانقطع عنه اصحابه واما الفجر فقال لي اذن يا اخا صداء فاذنت
ثم لما حضرت الصلاة اراد بلال ان يقيم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انما يقيم من اذن
واختلف هل اذن صلى الله عليه وسلم بنفسه فقيل نعم اذن مرة واستدل لحديث لكن بلا نزاع
في بعض الاحاديث اي وقد صح انه صلى الله عليه وسلم اذن في السفر وصلى بهم على رواحلهم
تقدم على راحلته صلى الله عليه وسلم فصلى بهم يومي ايماء اي يجعل السجود اخفض من الركوع
وقيل ما اذن وانما امر بلالا بالاذان كما في بعض طرق ذلك الحديث فهي الهدي وصلى بهم
اعترض على الراوي لاجل المطر والطين. وقد روى احمد والترمذي انه صلى الله عليه
وسلم انتهى الى مضيق هو واصحابه والسماء من فوقهم والبلة من اسفل منهم فحضرت الصلاة
فامر المؤذن فاذن واقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم الحديث:
والمعتمد يحمل على المجمل وفي رواية فاذن اختصارا اي امر بالاذان اي وهذا المجمل
الذي يشير اليه هو فاذن صلى الله عليه وسلم على راحلته واقام اي ويروى ان
بلالا كان يبدل الشين في اشهد سينا فقال صلى الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين
قال ابن كثير لا اصل لرواية سين بلال شين في الجنة ولا يلزم من كون هذه الرواية لا اصل
لها ان تكون تلك الرواية كذلك. وكان بلال وابن ام مكتوم يتناوبان في اذان الصبح
فكان احدهما يؤذن بعد نصف الليل الاول والليل باق والثاني يؤذن بعد طلوع الفجر
روى الشيخان ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم. اي وفي مسلم
عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن احدا منكم اذان بلال
قال نداء بلال من سحوره فانه يؤذن او قال ينادي ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم لانما يؤذن
بليل بعد نصف الليل الاول ليرجع القائم المتهجد الى راحته لينام غفوة ليصبح نشيطا ويتيقظ
النائم ليتاهب للصبح قال في الهدي وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن ام مكتوم
ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي بلال اي وقد علمت انه لا قلب وانهما كانا
يتناوبان فكان بلال تارة يؤذن بليل وابن ام مكتوم عند الفجر الثاني وتارة يكون ابن
ام مكتوم بالعكس فوقع كل من الاحاديث باعتبار ما هو موجود عند النطق ولم يكن بين
اذانيهما الا ان ينزل هذا ويرقى هذا اي ان ينزل المؤذن الاول من اذانه ويرقى المؤذن
الثاني كما ذكر ممن كان يؤذن اولا يتربص بعد اذانه للدعاء ثم يرتقب الفجر فاذا
قارب طلوعه نزل فاخبر صاحبه فيرقى ويؤذن مع الفجر وعقبه من غير فاصل وهذا
هو المراد بما تقرر ان ابن ام مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له اصبحت اصبحت. وعن ابن عمر
كان

وكان في الجمعة اذان واحد

كان ابن ام مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه. وفي ابي داود عن ابن عمر ان بلالا اذن قبل طلوع الفجر فامره النبي
صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادي الا ان العبد نام فرجع فنادى الا ان العبد نام الا ان العبد نام
اي غفل عن الوقت او رجع لينام لبقاء الليل ولعل هذا كان قبل ان يتخذ ابن ام مكتوم مؤذنا
ثانيا اذ كان اذان بلال في هذه المرة بعد اذان ابن ام مكتوم على ما تقدم فلا مخالفة. والثابت
في الجمعة اذان واحد كان يفعل بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا
قاله فقهاؤنا واستدل بعضهم لذلك بحديث البخاري عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة
حين يجلس الامام على المنبر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وليس فيه ان ذلك الاذان كان بين يديه ولما كثروا يسمعونه امر عثمان رضي الله عنه اي وقيل
عمر وقبلهما ويذكر بان يؤذن قبله على المنار. وعبارة بعضهم وفي السنة الثالثة والعشرين
زاد عثمان النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمع الناس فياتوا المسجد. واول من احدث الحجاج

اول حدوث الصلاة والسلام بعد الاذان

والتذكير قبل الاذان الاول الذي هو التسبيح احدث بعد السبعمائة في زمن الناصر محمد بن
قلاوون. واول ما احدثت الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم اي على الكيفية المعهودة
الان بعد تمام الاذان على المنارة اي في غير المغرب في زمن السلطان المنصور حاجي ابن
الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون بامر المحتسب نجم الدين الطنبدي في اواخر
القرن الثامن واستمر ذلك الى الان لكن في غير اذان الصبح الثاني وغير اذان الجمعة:
اول الوقت اما اذان الصبح الثاني واذان الجمعة المذكور فتقدم الصلاة والسلام عليه
صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان احداث ذلك في زمان صلاح الدين بن ايوب ولعل
الحكمة في ذلك اما في الاول فلتنبيه النائم واما في الثاني فلاجل حصول التكبير المطلوب
في الجمعة. ولا يخفى ان من السنة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد
فراغ الاذان ففي مسلم اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي وقيل فيسن
بين الاقامة فالاذان والاقامة من المواطن التي يطلب فيها الصلاة والسلام على
النبي صلى الله عليه وسلم لكن لم ار ما يدل على ذلك وقد قيل من معناه لا اذكر الا وتذكر معي
لكن بعد فراغهما لا عند الابتداء بهما كما يفعل بعض الاروام ان يقول المقيم للصلاة عند
ابتداء الاقامة اللهم صل على سيدنا محمد الله اكبر الله اكبر فان ذلك بدعة. ومن البدع
التطريب في الاذان والتلحين فيه. وفي كلام امامنا الشافعي رضي الله عنه ويكون الاذان
مرسلا بغير تمطيط ولا بغي فيه لتمطيطها التطريب في المد والبغي ان يرفع صوته حتى يجاوز
المقدار. ومن البدع رفع المؤذنين اصواتهم بتبليغ التكبير لمن يقتدي بالامام من المقتدين
قال بعضهم فلا باس برفع الصوت من النفخ اي حيث لم يبلغهم صوت الامام بخلاف ما اذا بلغهم
ففي كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الائمة الاربعة حيث بلغ المأمومين

خطباء بني أمية

من الايام ويعين منكره انما مكروهة • قال لما احدث التسبيح بالاسحار في زمن موسى عليه السلام
حين كان بالتيه واستمر الى ان بنى داود عليه الصلاة والسلام بيت المقدس ترتب فيه جماعة
يقومون به على الالات الى ثلث الليل الاول ثم بعد ثلث الليل الاخير يقومون به على
الالات عند الفجر • واول من احدثه في ملتنا كان بمصر اول ما امر به مسلمة بن مخلد
الصحابي رضي الله عنه لما اعتكف بجامع عمرو وسمع اصوات النواقيس عالية فشكى ذلك
الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو فعمل ذلك من نصف الليل الى قرب الفجر
ومسلمة هذا نزل بمصر من معاوية رضي الله عنه بعد عتبة بن ابي سفيان وعتبة تولاها
حين مات اميرها عمرو بن العاص وهذا مما يدل على ان عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان
عتبة خطيبا فصيحا • قال الاصمعي الخطباء من بني امية عتبة بن ابي سفيان وعبد الملك
ابن مروان • خطب عتبة يوما اهل مصر فقال يا اهل مصر خف على السنتكم مدح الحق ولا
تاتونه وذم الباطل وانتم تفعلونه كالحمار يحمل اسفارا اثقله حملها ولا ينفعه علمها
واني لا اداوي داءكم الا بالسيف ولا ابلغ السيف ما كفاني السوط ولا ابلغ السوط
ما صلحتم على الدرة فالزموا ما الزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا وهذا
يوم ليس فيه عقاب ولا بعده عتاب • ومما يؤثر عنه اذا حام الكلام في الاسم مضلة
للفهم وقال لبنيه يوما تلقفوا الاسم بحسن مجاورتها واحملوا الحريد منها بالشكر عليها
ومسلمة اول من جعل بنيان المنابر التي هي محل المؤذنين في المساجد فلما ولي احمد بن
طولون رتب جماعة يكبرون ويسبحون ويحمدون فيها وولي صلاح الدين يوسف بن ايوب
وحمل الناس على اعتقاد مذهب الاشعري والخروج عما كان يعتقد الفواطم امر المؤذنين
ان يجهروا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هي ثلاث ورقات
ولم اقف على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها في كل ليلة • قيل في سبب نزول قوله تعالى
كل من عند الله ان اليهود قالوا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل
المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل كل من عند الله
اي يبسط الارزاق ويقبضها • وعداوة اليهود للاسلام وفوزه في المدينة فانها
نفوس احبار يهود وبغضوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى
قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر وقال تعالى ان تمسسكم حسنة
تسؤهم • وعن صفية ام المؤمنين بنت حيي رضي الله عنها قالت كنت احب ولد ابي
اليه والى عمي ابي ياسر وكانا من احبار اليهود واعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة غدوا اليه ثم جاءا من العشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم والله
قال اتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت قال

عداوة اليهود للنبي عليه السلام

وما

وقد روينا في السيرة انها قالت ان عمي ابا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب
اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم اطيعوني فان الله قد جاءكم
بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق ابي الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم اتيت من عند رجل والله لا
ازال له عدوا فقال له اخوه ابو ياسر يا ابن ام اطعني في هذا الامر واعصني
فيما شئت بعده لا تهلك فقال والله لا اطيعك ابدا ثم وافق اخاه حيي فكانا
اشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس عن الاسلام
بما استطاعا فانزل الله تعالى فيهما وفيمن كان موافقا لهما في ذلك ود كثير من اهل
الكتاب • لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق
وحيي بن اخطب هذا قيل هو الذي قال حين نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغني فانزل الله تعالى لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء الاية وقيل في سبب نزولها ان
ابا بكر دخل بيت المدارس فقال لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا
رسول الله فقال والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب
ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال والله لولا العهد الذي بيننا
وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ابو بكر
ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزلت الاية • وقيل في سبب نزولها ايضا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ارسل ابا بكر الى فنحاص بن عازوراء بكتاب وكان انفرد
بالعلم والسيادة على يهود بني قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام يامرهم في
ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فلما قرا فنحاص الكتاب قال قد احتاج ربكم سنمده وفي رواية قال يا ابا
بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان
ما تقول فان الله جل وعلا اذا لفقير ونحن اغنياء فضرب ابو بكر وجه فنحاص
ضربا شديدا وقال لقد هممت ان اضربك بالسيف وما منعني ان اضربك بالسيف الا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الي الكتاب قال لي لا تفتاتن علي بشيء حتى
ترجع الي فجاء فنحاص الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا ابا بكر فقال صلى الله عليه
وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه قال قولا عظيما
زعم ان الله عز وجل فقير وانهم اغنياء فغضبت لله تعالى فجحد فنحاص وقال ما قلت
هذا فنزلت الاية تصديقا لابي بكر رضي الله عنه وقد قال بعض اليهود لبعض

وسبب نزول الآية

سحر لبيد النبي صلى الله عليه وسلم

العلماء انما قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء لانه استقرضها منا فقال لهذا ان كان الله
استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها للفقراء ايكم ثم يجازي عليها فهو الغني
الحميد • ومن شره مكايدهم اي اليهود اذ لبيد بن الاعصم اليهودي سحر
النبي صلى الله عليه وسلم في مشط اي له صلى الله عليه وسلم وقيل اسنان من مشطه
صلى الله عليه وسلم ومشاطة وهي ما يخرج من الشعر اذا امشط اي من شعره صلى الله
صلى الله عليه وسلم اعطاها له غلام يهودي كان يخدمه صلى الله عليه وسلم
وجف طلعة قال ابن سهم وقيل من لحيته كتبه د رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرز فيه
ابرا وجعل معه وترا فيه احد عشر عقدة وفي لفظ ان الابر كانت في العقد
ودفن ذلك تحت راعوفة من بئر ذي اروان وقد مسخ الله تعالى فمها حتى صار
كنقاعة الحناء فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم انه يفعل الفعل وهو لا يفعله
اي ومكث في ذلك سنة وقيل ستة اشهر وقيل اربعين يوما قال بعضهم ويمكن
ان تكون السنة اول الستة اشهر من ابتداء تغير مزاجه الشريف وان مدة اشتداده
كانت في الاربعين وقيل اشتد عليه ثلثة ايام وقد يقال يجمع اشتد الاربعين فلا
منافاة • وعند ذلك نزل جبريل عليه السلام وقال له ان رجلا من اليهود سحرك
وعقد لك عقدا او دفنها بمحل كذا فارسل صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه
فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم بذلك خفة حتى قام
كانما نشط من عقال ومن ثم روي ان اليهود فسد ذلك بئرا فانزل الله تعالى سورة
الفلق وسورة الناس وهما احد عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس
ست ايات كلما قرا اية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها • وفي لفظ فاذا وتر فيه
احد عشرة عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت المعوذتان
فكلما قرا جبريل اية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم بعض الخفة حتى قام
عند انحلال العقدة الاخيرة كانما نشط من عقال وجعل جبريل يقول بسم الله ارقيك
والله يشفيك من كل داء يوذيك اي ولعله كان يقول ذلك عند حل كل عقدة بعد قراءة
الاية اي وكان ذلك بين الحديبية وخيبر • وذكر بعضهم ان بعد خيبر جاء رؤساء
يهود الذين بقوا في المدينة ممن يظهر الاسلام الى لبيد بن الاعصم وكان اعلمهم بالسحر
فقالوا له يا ابا الاعصم قد سحرنا محمدا فسحره منا الرجال فلم يصنع شيئا ايام بدر
سحره وانت ترى اثره فينا وخلافه ديننا ومن قتل واجلى ونحن نجعل لك على
سحره ثلثة دنانير ففعل ذلك • ثم انه صلى الله عليه وسلم قال جاءني رجلان
اي وهما جبريل وميكائيل كما في بعض طرق الحديث فقعد احدهما عند راسي والاخر
عند

٢٤٤

عند رجلي فقال احدهما ما وجع الرجل فقال الاخر مطبوب اي مسحور فقال من طبه قال
قال لبيد بن الاعصم قال فيم قال في مشط ومشاطة وفي لفظ ومشاقة اي وهي المشاطة
وقيل هي مشاقة الكتان وجف بالجيم والفاء وقيل بالباء الموحدة طلعة ذكر اي غشاء
طلع الذكر الذي يبادر كوز الطلع قال فاين هو قال في بئر ذي ذروان على وزن
مروان وفي لفظ بئر ذي اروان وفي لفظ بئر ذروان وعليه اقتصر في الامتاع تحت
صخرة في الماء قال فما دواء ذلك قال تنزح البئر ثم تقلب الصخرة فيوجد الكرية فيها
تمثال احد عشر عقدة فتحرق فانه يبرا باذن الله تعالى ثم امر صلى الله عليه وسلم
لبيدا فاعترف فعفى عنه لما اعترف واعتذر له بان الحامل له على ذلك حب الدنانير
وقيل له يا رسول الله لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافاني الله وما وراءه
من عذاب الله تعالى اشد ويحتاج الى الجمع بين كون جبريل قال له سحرك الى اخره
وكون جاءه رجلان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما للاخر
ما وجع الرجل الى اخره • قيل وهذا اي العفو قبل ان يشاع وبما يعاد من القول بان الساحر
يجب قتله وفيه انه عند من يوجب قتله ولا يقتل الا اذا قتل سحره والمعروف بان
سحره يقتل غالبا ولبيد هذا قيل انه [illegible] قال بنفي [illegible] البارى وقال بخلقها
الجهم بن صفوان واظهرها فقال له تباعه في ذلك الجهمية فعند ذلك بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر الى تلك البئر فاستخرجا ذلك وقيل الذي
استخرج السحر بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن • وفي الصحيح
عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم توجه الى البئر مع جماعة من اصحابه
ماءها كانه نقاعة الحناء فاستخرجا اي الى النبي صلى الله عليه وسلم وجاء عنه ما ذلك
ويحتاج الى الجمع بين كونه صلى الله عليه وسلم اخرج لاستخراج السحر عليا وكونه بعث
لاستخراجه عليا وعمار بن ياسر وكونه امر قيس بن محصن باستخراجه وكونه صلى الله
عليه وسلم ذهب هو وجماعته لاستخراجه فاذا وتر فيه احد عشر عقدة اي واذا فيها
ابر مغروزة ونزلت المعوذتان فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرا اية انحلت
عقدة حتى انحلت العقد فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجد اي ولا ينافي ما تقدم
ان القاري لذلك جبريل لجواز ان يكون كل منهما قرا تلك الاية اذ انه صلى الله عليه
وسلم صار يقرا بعد قراءة جبريل • وفي الامتاع عن عائشة رضي الله عنها انها قالت
له افلا استخرجته قال لها اما انا فقد عافاني الله تعالى وكرهت ان اثير على الناس
شرا وقول عائشة يقتضي انه ما استخرجه ابدا ان استخرج السحر من الجف والمشاطة
حتى تنظر اليه فقال اكره ان اثير على الناس شرا قال ابن بطال اي كره ان يخرجه

فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الشر الذي كرهه صلى الله عليه وسلم. وذكروا انه يجوز
ان يكون الشر غير هذا وهو انه لو اظهره للناس لربما تعلمه طائفة من ... وبعض اخر
من عشيرته بني زريق. وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم
هلا تنشرت اي استعملت النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال
النشرة جاء بيكرها فوقها وكرهها جمع واستندوا لحديث في ابي داود مرفوعا
النشرة من عمل الشيطان وحمل ذلك على النشرة التي تصنعها اهل العزائم المشتملة على الاسما
التي لا تفهم معانيها فدفنت اي طمت البير وحفروا بيرا اخرى فاما بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حفرها حيث طمعا الاخرى التي سحر فيها هذا الحلامر فيما تكلم
ثم ما قبله وقيل انما سحره بنات اعصم اخوات لبيد ودخلت احداهن على عائشة
فعرفت عائشة ذلك الكرب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره ثم خرجت الى اخواتها
فاخبرتهن بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا فسيخبر وان يكن غيره فذلك سوف
يدهله هذا السحر حتى يذهب عقله فدلنا الله عليه. وقد يجمع بين كون الساحر
له صلى الله عليه وسلم لبيد وبين كون الساحر اخوات لبيد ونسبة السحر الى لبيد
لانه جا اي الذي ذهب به فادفنه تحت راعوفة البير اي او في القبر كما تقدم ولا
منافاة لجواز ان يكون وضعه في القبر ثم اخرجه منه ووضعه تحت راعوفة البير
اي وهو حجر يوضع عند راس البير يقوم عليه المستقي وقد يكون في اسفل البير
يجلس عليه الذي ينظف البير والنتا موضحا المراد به ليلها سبق. وحمى الهولابي
خيانة ونقض القرآن والحديث ان السحر تخييل اي لا يقلب الاعيان ولا شك
في وجوده في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم واما في زماننا الان فكلما رفعنا عليه
من كتبه فهو كذب وافترا لا يترتب عليه شيء ولا يصح منه شيء البتة. وطعنت المعتزلة
وطوائف من اهل البدع في كونه صلى الله عليه وسلم سحر وقالوا لا يجوز على الانبيا
ان يسحروا ولو جاز ان يسحروا لجاز ان يجنوا وقد غفلوا عن الناس ورده بان
الحديث الدال على ذلك صحيح والعصمة انما وجبت لهم في عقولهم وادبانهم واما ابدانهم
فيبتلون فيها والسحر انما اثر في بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم من غاية
ما ذكرها انه كان صلى الله عليه وسلم من بصره لكن تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان
يخيل اليه انه يفعل الفعل ولا يفعله وهذا يتعلق بالعقل ثم رايت ابا بكر ابن العربي
قال لم يبلغ كل الرواة انه اختلط عليه صلى الله عليه وسلم امره وانما هذا اللفظ زيد
في الحديث لا اصل له قال وتشبه هذه الاخبار من وضع بعض الملحدين تلعبا والسحر انا
الى القول بابطال معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام والقدح فيها وانه لا فرق

بين

ووجبت عصمة الانبيا في عقولهم وادبانهم

خبر شاس بن قيس

٢٤٥

بين معجزات الانبيا وبين فعل السحرة وان جميعه من نوع واحد هذا الكلام. وممن كان حريصا
على رد الناس عن الاسلام ايضا شاس بن قيس كان شديد الطعن على المسلمين شديد
الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما راى
من الفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم
اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا من اليهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر
يوم بعاث اي يوم الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه وانشدهم ما كانوا يتقاولون
به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك اي قال احد الحيين قد قال شاعرنا كذا
وقال الاخر فقد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة اي قالوا انا لو
نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هولا يا ال الاوس ونادى هولا يا ال الخزرج ثم
خرجوا اليها وقد اخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين
الله الله اي اتقوا الله ابدعوى الجاهلية اي ودعوى يا للخزرج يا للاوس وانا
بين اظهركم بعد ان هداكم الله الى الاسلام والفكم به وقطع به عنكم امر الجاهلية
واستنقذكم به من الكفر والف به بينكم فعرف القوم انها نزغة شيطان وكيد من
عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى في شاس بن قيس يا اهل الكتاب لم تصدون
عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا الاية وقد جاء في ذم هذه الكلمة التي هي دعوى
الجاهلية وهي يا ال فلان قوله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية
فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا اي قولوا له اعضض على ذكر ابيك ولا تكنوا عنه بالهن
فلا تقولوا له اعضض على هن ابيك بل قولوا على ذكر ابيك تنكيلا له وزجرا عما اتى به
اي وقد كان انزل الله تعالى فيهم يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب الاية وقد قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين الصفين
رافعا بها صوته فالقوا السلاح وفعلوا ما تقدم. وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ان يهود كانوا يستفتحون اي يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه اي يقولون سيبعث نبي صفته كذا وكذا تقتلكم معه
قتل عاد وارم كما تقدم عند بيان صفته فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء يا معشر
يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن اهل
شرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام اي بالتشديد
ابن مشكم من عظما يهود بني النضير ما جانا بشي نعرفه ما هو الذي كنا نذكر لكم فانزل

سبب نزول هذه الاية

فانزل الله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ٭ وتقدم سبب نزول قوله تعالى ما انزل الله على بشر
من شي انه صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان رئيسا على اليهود انشدك بالذي
انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت
من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت الى عمر رضي الله عنه فقال
ما انزل الله على بشر من شي فقالت له اليهود ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني
فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف اي لان في قوله المذكور طعنا في
التوراة ٭ وقيل ان يهود المدينة من بني قريظة وبني النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا
من يليهم من مشركي العرب من اسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الذي وعدتنا بانك باعثه في اخر الزمان
ان لا تنصرنا عليهم وفي لفظ قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته
وصفته في التوراة فينصرون وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الذي نجده في التوراة
يعذبهم ويقتلهم ٭ وفي لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود
فدعت يوما اللهم انا نسالك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في اخر
الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان ٭ وما زال اليهود يسالونه
صلى الله عليه وسلم عن اشيا ليلبسوا الحق بالباطل اي ومن جملة ما سالوه صلى الله عليه
وسلم عن الروح ٭ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم
في حرث المدينة يتوكا على عسيب اي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال
بعضهم لبعض لا تسالوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشي تكرهونه
اي يجيبكم بما هو دليل عندكم على انه النبي الامي وانتم تنكرون نبوته فقاموا اليه فقالوا
يا محمد وفي رواية يا ابا القاسم ما الروح وفي رواية اخبرنا عن الروح فسكت قال
ابن مسعود فظننت انه صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فقال ويسالونك عن الروح اي التي
يكون بها الحيوان حيا قل الروح من امر ربي فقالوا هكذا نجده في كتابنا اي التوراة وقد
تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على فترة الوحي ٭ وتقدم عن صاحب الافحام انه انما
سال اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا لان الروح تطلق بالاشتراك على الروح للانسان
وعلى القران وعلى عيسى وعلى جبريل وعلى ملك اخر وعلى صنف من الملائكة فقصد اليهود
ان اي شي اجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا الجواب لرد كيدهم لان كلا احدهما
ذكر امر من امور ذات الحق تعالى ٭ ولما انزل الله تعالى في حق اليهود وما اوتيتم من العلم الا قليلا
قالوا اوتينا علما كثيرا اوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فانزل الله تعالى
قل

وبما سالوه يهود المدينة

قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ٭ وفي الكشاف
انهم قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وانتم لم
تؤتوا من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله هذا كلامه ٭ وسالوه صلى الله عليه وسلم متى الساعة ان كنت نبيا فانزل
الله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي الاية ٭ وجا يهوديان الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسالاه عن قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فقال صلى
الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا
ولا تسحروا ولا تمشوا ببري الى السلطان ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة وعليكم يا يهود خاصة
ان لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي الله قال فما يمنعكما ان تسلما
قالا نخاف ان اسلمنا تقتلنا يهود ٭ اي وسالوه صلى الله عليه وسلم عن ابتدا خلق السموات
اي في اي زمن والارض وما بينهما اي مدة ما بينهما فقال لهم خلق الارض في يوم الاحد والاثنين
وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثا ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق الشجر والما
والمداين والعمران والخراب يوم الاربعا وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس والقمر
والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد
اصبت لو اتممت ثم استراح اي لو قلت هذا اللفظ لانهم يقولون انه استراح عز وجل يوم
السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة فانزل الله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي تعب فاصبر على ما يقولون وفي رواية خلق الله
الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثا وخلق الانهار والاشجار يوم
الاربعا وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والافة يوم الخميس وخلق الانسان
يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا يشكل على ما تقدم ان مبدا الخلق يوم السبت
حتى يكون اخر الاسبوع الجمعة وهو الراجح على ما تقدم ٭ وقد قيل في سبب نزول قوله
تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة الى قوله ان الدين عند الله الاسلام ان
حبرين من احبار الشام لما بلغهما مبعثه صلى الله عليه وسلم قدما المدينة فقال
احدهما للاخر ما اشبه هذه المدينة بمدينة النبي المبعوث في اخر الزمان فاخبرا بها حرم النبي
صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فلما راياه قالا له انت محمد قال نعم قالا له
نسالك عن مسيلة ان اخبرتنا بها امنا فقال صلى الله عليه وسلم اسالا فقالا اخبرنا
عن اعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فنزلت هذه الاية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما
فاسلما ٭ وعن قتادة رضي الله عنه ان رهطا من اليهود جاوا الى رسول الله صلى الله

وبما سالوه
٣٤٦
وبما سالوه ايضا
وسبب نزول شهد الله

عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الذي خلق الجن والانس من خلقه وفي لفظ خلق الله الخلق بكن
من نور الحجاب وآدم من حما مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء
فاخبرنا عن ربك اي من اي شيء خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل
عليه السلام وقال له خفض عليك وانزل الله تعالى قل هو الله احد السورة اي من جعل
من صفات الجلال ذو الكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود له انه اي اقتضت ذاته وجوده
مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه انتهى • اقول نزول جبريل بذلك وبما يدل على انه
صلى الله عليه وسلم توقف ولم يدر ما يقول كما وقع له لما سأله عبد الله بن سلام وقال له
سنخبرك كما سياتي • ثم رايت عن الشيخين وغيرهما ان ابن مسعود رضي الله عنه ذكر في
نزول هذه الاية غير ما ذكر ولعله ما سياتي في قصة اسلام ابن سلام ولا مانع من تكرر
النزول لاسباب مختلفة ثم رايت في الاتقان ذكر ان سورة الاخلاص مما تكرر نزولها
فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة وقال قبل ذلك انها انما
نزلت بالمدينة وفي دعوى تكرر نزولها بناء على سبق اوله ونزلت جوابا كيف يتوقف
ثانيا عند السؤال الثاني حتى يجاء الى نزولها مع بعد نسيان ذلك له صلى الله عليه وسلم
ثم رايت في البرهان قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشانه وتذكيرا عند حدوث سببه
خوف نسيانه وهو كما ترى لا يدفع التوقف • وكان من اعلم احبار يهود عبد الله بن
سلام بالتخفيف وكان قبل ان يسلم اسمه الحصين فلما اسلم سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق اي وفيه انزل الله عليه في قوله
تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع
تقدم مجيئه الى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه اي في اول يوم دخل فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم دار ابي ايوب اي وهذا الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم هو
قوله ايها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا الطعام وصلوا بالليل
والناس نيام تدخلون الجنة بسلام • قصته رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس اي بالجيم اسرعوا فكنت ممن اتى اليه
اي وهذا يدل لما تقدم انه جاء في قباء وسياتي قال فلما رايت وجهه صلى الله عليه وسلم
عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب اي لان صورته وهيئته وسمته صلى الله عليه وسلم
تدل الفطنة على صدقه وانه ليس بكذاب قال عبد الله فسمعته صلى الله عليه وسلم
يقول ايها الناس الى اخره اي ولا مانع ان يكون ذلك تكرر منه صلى الله عليه وسلم
وعند ذلك قال اشهد انك رسول الله حقا وانك جئت بحق ثم رجعت الى اهل بيتي
فامرتهم فاسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم اي في بيت ابي

اسلام عبد الله ابن سلام

ايوب وقلت له قد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فاخبئني •
يا رسول الله قبل ان يدخلوا عليك وادعهم فاسألهم عني قبل ان يعلموا اني اسلمت فانهم
قوم بهت اي يبهتون اي يواجهون الانسان بالباطل واعظم قوم عضهة اي كذبا
وانهم ان يعلموا بي قد اسلمت قالوا في ما ليس في وجد يعلمهم شيئا قال اني ان اتبعتك •
وامنت بكتابك ان يؤمنوا بك وبكتابك الذي انزل عليك فادخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم
اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم بحق
اسلموا قالوا ما نعلم ذلك فاعاد عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فاي رجل فيكم
ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا وفي رواية خيرنا وابن
خيرنا بالخاء المعجمة والياء المثناة تحت افعل تفضيل وقيل بالمهملة والباء الموحدة اي اعلمنا
بكتاب الله تعالى سيدنا وعالمنا وافضلنا قال افرايتم ان شهد اني رسول الله وامن
بالكتاب الذي انزل علي تؤمنون بي قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم
فخرج عليهم فقال يا عبد الله ابن سلام اما تعلم اني رسول الله تجدني عندكم مكتوبا في
التوراة والانجيل اخذ الله ميثاقكم ان تؤمنوا بي وان تتبعوني من ادركني منكم قال
ابن سلام بلى يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله والله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول
الله حقا وانه جاء بالحق زاد في رواية تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة اسمه وصفته
قالوا كذبت انت اشرنا وابن اشرنا وهذه لغة رديئة والفصحى شرنا وابن شرنا بغير
همز وفي رواية البخاري قال ابن سلام رضي الله عنه هذا الذي كنت اخاف يا رسول
الله الم اخبرك انهم قوم بهت اهل غدر وكذب وفجور انتهى فاخرجهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم واظهرت اسلامي وانزل الله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله يعني الكتاب
او الرسول وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل يعني عبد الله بن سلام على مثله
يعني لليهود فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين • اقول هذا السياق
لا ينافي ما حكاه في الخصائص الكبرى عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام
اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالذي انزل التوراة على
موسى هل تجد صفتي في كتاب الله يعني التوراة قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي
صلى الله عليه وسلم اي توقف ولم يدر ما يقول فقال له جبريل قل هو الله احد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله
وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله تعالى يا ايها

يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي ورسولي الى اخر ما تقدم عن التوراة
فاتزيد لعل ان ابن سلام اسلم بمكة وكتم اسلامه ولو كان كذلك لما قال فلما رايت وجهه
الشريف عرفت انه وجه غير كذاب ولما قال وكنت عرفت صفته واسمه ولما سأله
عن الامور الثلاثة وما احتاج الى السؤال ثانيا الا ان يبنا على تسليم صحة ما قاله
ابن عساكر جاز ان يكون قال ذلك وفعل ما ذكر اقامة للحجة على اليهود • وقد وقع لابن
سلام هذا انه نصح عليا بالمدينة وقد خرج بعد قتل عثمان وبعد ان بويع بالخلافة قبل
خروجه الى البصرة لما بلغه ان عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير ومن معهم خرجوا الى
البصرة في طلب دم عثمان وكان ذلك سببا لوقعة الجمل فاخذ بعنان فرس علي وقال
يا امير المؤمنين لا تخرج منها يعني المدينة فوالله لئن خرجت منها لا تعود اليها سلطان
المسلمين ابدا فسبه بعض الناس فقال لمن قال ذلك وقالوا يا ابن اليهودية فقال علي
دعوه فنعم الرجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم • وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال لقيت عبد الله بن سلام فقلت له اخبرني عن ساعة الاجابة يوم الجمعة فقال
هي اخر ساعة في يوم الجمعة قلت وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا صلاة فيها فقال ابن سلام الم يقل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي
وفيه ان في الصحيحين ان في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله
عز وجل شيئا الا اعطاه اياه • ثم رايت من سنن ابن ماجه ان جواب ابن سلام تلقاه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ونص السنن المذكورة عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه
قال قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتاب الله يعني التوراة
في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله عز وجل شيئا الا قضى له حاجته قال
عبد الله بن سلام فاشار الي رسول الله صلى الله عليه وسلم او بعض ساعة فقلت
صدقت يا رسول الله او بعض ساعة قلت اي ساعة هي قال اخر ساعة من
ساعات النهار قلت انها ليست ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن اذا صلى ثم
جلس لا يحبسه الا الصلاة فهو في الصلاة اي وبهذا لفظ قائم في رواية الصحيحين
يراد به مريدا القيام الى الصلاة اي صلاة العصر • وقيل ان تلك الساعة
رفعت بعد موته صلى الله عليه وسلم وتنبدهى بانقيته وهو الصحيح وعليه فقيل
لا زمن لها معين وقيل هي في زمن معين وعليه ففي تعيينها احد عشر قولا وقيل
اربعون قولا • وقد وقع لميمون اي ابن يامين وكان راس اليهود مثل ما وقع لابن سلام
مع اليهود فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم واجعلني

ساعة الاجابة يوم الجمعة

اسلام ميمون ابن يامين

حكما

حكما فانهم يرجعون الي فادخله داخلا وارسل اليهم فجاؤوه صلى الله عليه وسلم فقال لهم
اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا بميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فقال
اشهد انه رسول الله فابوا ان يصدقوه والله اعلم وقد اشار الى انكارهم نبوته صلى
الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله •

عرفوه وانكروه فظلما • كتمته الشهادة الشهداء •
او نور الاله تطفئه الافواه • وهو الذي به يستضاء •
كيف يهدي الاله منهم قلوبا • حشوها من حبيبه البغضاء •

اي عرفوا انه النبي المنتظر وانكروه بظواهرهم ولاجل ظلمهم كتمت الشهادة به العارفون
به او نور الاله الذي هو النبوة تطفئه الالسن لا يكون ذلك وكيف يكون ذلك وهو
الذي يستضاء به في الظاهر والباطن كيف يوصل الله لقلوبا الحق وفيها البغض لحبيبه
صلى الله عليه وسلم • اقول وقيل في سبب نزول سورة قل هو الله احد ان وفد نجران
لما نظروا الى التثليث قال لهم المسلمون من خلقكم قالوا الله قالوا لهم فلم عبدتم غيره
وجعلتم معه الهة فقالوا بل هو الواحد لكنه حل في جسد المسيح اذ كان في بطن امه
فقالوا لهم هل كان المسيح ياكل الطعام قالوا كان ياكل الطعام فانزل الله تعالى قل
هو الله احد الله الصمد تكذيبا لهم في اشراكهم وفي تثليثهم والصمد هو الذي لا جوف له
فهو غير محتاج الى الطعام • وقيل سبب نزولها ان قريشا هم الذين قالوا انسب لنا
ربك يا محمد وتقدم ما فيه والله اعلم • وقد جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم قال الله تعالى
للاحبار من اليهود اوفوا بعهدي الذي اخذت في اعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم
اذا جاءكم بتصديقه واتباعه اوف بعهدكم انجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم
من الاصر والاغلال ولا تكونوا اول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم
وتكتمون الحق وانتم تعلمون اي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به
وانتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بايديكم • قال بعضهم ولم يسلم من
رؤساء علماء اليهود الا عبد الله بن سلام ومن اليه المنتهى عبد الله بن صوريا قال
الحافظ ابن حجر لم اقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح وانما نسب
تسميته الثعلبي اي وضم لعبد الله بن سلام ميمون المتقدم ذكره • وروي في سبب
اسلام عبد الله بن سلام اي اظهارا لاسلامه على ما تقدم انه لما بلغه مقدم النبي صلى
الله عليه وسلم المدينة اتاه في قباء فقال رضي الله عنه جاء رجل حتى اخبر بقدومه صلى
الله عليه وسلم وانا في راس نخلة اعمل فيها وعمتي تحتي جالسة فلما سمعت بقدوم النبي

وسبب نزول الاخلاص

ومن اسلم من اليهود

قوله نبي الساعة

صلى الله عليه وسلم كيوت فقالت لي عمتي لو كنت سمعت بموسى ابن عمران ما زدت فقلت لها يا
اي عمة هو والله اخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به فقالت يا ابن اخي
اهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة وفي لفظ مع نفس الساعة قال نعم ●
فقلت لها نعم اي وقد جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بعثت بين يدي الساعة
بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل
والصغار على من خالف امري ● وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة
كهاتين وقال باصبعيه هكذا يعني السبابة والوسطى اي جمع بينهما وفي رواية
بعثت في نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه هذه وفي رواية سبقتها بما سبقت
هذه هذه واشار باصبعيه الوسطى والسبابة قال الطبري الوسطى تزيد على
السبابة بنصف سبع اصبع كما ان نصف يوم من سبعة ايام نصف سبع اي وقد تقدم
عن ابن عباس رضي الله عنهما الدنيا سبعة ايام كل يوم الف سنة وبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اخر يوم منها ● وتقدم في حديث اخرجه ابو داود
ان يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة ● قال بعضهم
فان قبلنا وجه الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن
الساعة ما المسؤول عنها باعلم من السائل لدلالة الرواية الاولى على علمه
بها ● اجيب بان المراد نطق بان علمها عند الله لا يجليها الا هو ● ومعنى قوله
بعثت انا والساعة كهاتين اي ليس بيني وبينها نبي اخر يأتي بشرع بعدي ●

مسائل عبد الله ابن سلام

يجر الي ان تندرس شريعتي فهو صلى الله عليه وسلم اول اشراطها لانه نبي اخر
الزمان وهذا لا ينافي ان يكون لها خصوص وقتها ● قال ابن سلام وكنت
عرفت صفته واسمه اي في التوراة زاد في رواية فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه
حتى قدم المدينة فجئته صلى الله عليه وسلم فقلت يا محمد اني سائلك عن ثلاث
لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة وما
بال الولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن
جبريل انفا فقال ابن سلام ذلك يعني جبريل عدو اليهود من الملائكة وقيل
قائل ذلك عبد الله بن صوريا ولا مانع من ان يكون قال ذلك كل منهما اي وعن
ابن صوريا انه قال له صلى الله عليه وسلم من ينزل عليك بالوحي قال جبريل
قال ذلك عدونا ولو كان غيره وفي لفظ لو كان ميكائيل لامنا بك لان جبريل
ينزل بالخسف والحرب والهلاك وميكائيل ينزل بالخصب والسلم ومن العداوة
انهم زعموا انه امر ان يجعل النبوة فيهم اي يجعل النبي المنتظر من بني اسرائيل الذين

ثم

ثم اذا لاد اسحاق فجعلها في غيرهم اي في ولد اسماعيل ● ومن اسباب عداوتهم لجبريل انه انزل
علي نبيهم ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثوا من يقتله [illegible]
فاراد قتله فمنعه عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره باهلاككم فانه لا يسلطكم عليه ثم
فصدقه ورجع عنه اي فان بني اسرائيل اعتدوا وقتلوا شعيا فجاء بخت نصر ملك
فارس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة واحرق التوراة واخرب بيت المقدس
وقيل في سبب العداوة كونه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع من ان
يكون كل ذلك سببا للعداوة ● ثم قال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط الساعة
فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد
الحوت اي وهي القطعة المنفردة المعلقة بالكبد قال بعضهم وهي في الطعم في غاية
اللذة ويقال انها اهنا طعام وامراه ● وروي ان الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت
فتاكل منه اهل الجنة ثم يحيى فينحر الثور بذنبه فتاكل منه اهل الجنة ثم يحيى قال واما
الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المراة نزع الولد اليه وان سبق ماء المراة ماء الرجل
نزع الولد اليها اي لكن في فتح الباري عن عائشة رضي الله عنها اذا علا ماء الرجل

ومسائل اليهود

ماء المراة اشبه اعمامه واذا علا ماء المراة ماء الرجل اشبه اخواله والمراد بالعلو
السبق ● وعن ثوبان اذا علا مني الرجل مني المراة جاء الولد ذكرا وان علا مني المراة
مني الرجل جاء انثى والعلو فيه على بابه هذا الكلام اي واذا استوى الماآن جاء خنثى
وفي رواية فقالوا له صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات ومن اول الناس اجازة وما تحفتهم اي الناس حين يدخلون
الجنة وما غذاؤهم على اثرها وما شرابهم عليه فاجابهم عليه الصلاة والسلام بانهم
يكونون في ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط لكن في رواية مسلم اين
الناس يومئذ قال على الصراط ● ثم رأيت عن البيهقي ان قوله على الصراط مجاز
لكونهم بمجاوزته ● ونقل القرطبي عن صاحب الافصاح ان الارض والسما يبدلان
مرتين المرة الاولى تتبدل صفتهما فقط وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر كواكبها
وتخسف الشمس والقمر وتنشق السما كالمهل وتكشط الارض وتسير الجبال والمرة
الثانية تتبدل ذاتهما وذلك اذا وقفوا في المحشر فتبدل الارض بارض من فضة
لم يعمل عليها خطيئة وهي الساهرة اي والسما تكون من ذهب كما جاء عن علي رضي الله عنه
وفي الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة
يكفاها الجبار كما يكفا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة ● فيأكل المؤمن من تحت
رجليه ويشرب من الحوض قال الحافظ ابن حجر ويستفاد منه ان المؤمنين لا يعذبون

بالجوع في طول زمان الموقف بل يقلبه الله تعالى بقدرته بطبع الارض حتى يأكلوا منها من تحت
اقدامهم ما شاء الله تعالى من غير علاج ولا كلفة قاله ويؤيد ان هذا هو المراد الحديث ما جاء
تبدل الارض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها اهل الاسلام حتى يفرغوا من الحساب هذا كلامه
وللبيضاء مما يتجدد من ان الارض تبدل بارض من فضة وان هذا آية لا تدل على ان تلك الارض
التي تكون خبزة تكون في موقف الحساب ومما جاء عن علي رضي الله عنه يدل على انها تكون
بعدهما وبعد الصراط ● واول الناس اجازة فقراء المهاجرين وتحفة اهل الجنة حين يدخلونها
زيادة كبد الحوت وغذاؤهم على اثرها ثور الجنة الذي يأكل من اطرافها وشرابهم من عين
تسمى سلسبيلا ● وسألوه صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن علامة هذا النبي فقال
عليه الصلاة والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه ● وسألوه اي طعام حرم اسرائيل
على نفسه قبل ان تنزل التوراة قال انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى
هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله لئن شفاه
الله تعالى من سقمه ليحرمن احب الشراب اليه واحب الطعام اليه فكان احب
الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم اي حرمها
دعا لنفسه وسقط لها من سمواتنا وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك
هاج به ● وذكروا سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم
وانت تاكل لحوم الابل وتشرب البانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى
انتهى الينا اي علمه في التوراة فتحداهم في الناس بابراهيم مثلك ومن غيرك فانزل الله
تعالى هذه الاية تكذيبا لهم اي بان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه ومن ثم جاءهم قال فأتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ● وكانت اليهود اذا حاضت المرأة منهم اخرجوها
من البيت ولم يؤاكلوها ولم يشاربوها اي وفي كلام الواحدي قال المفسرون كانت
العرب في الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها
في بيت كفعل المجوس هذه الكلمة ● فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
اي قال له بعض الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن
بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فانزل الله تعالى
ويسألونك عن المحيض قل هو اذى الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا
كل شيء الا النكاح اي الوطء وما في معناه وهو المباشرة ما بين السرة والركبة اي فان
الاية لم تنص الا على عدم قربانهن بالوطء في الحيض ومن ثم جاء في رواية انما امرتم ان
تعتزلوهن اي مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت فبلغ ذلك اليهود

فقالوا

وسألوه ايضا

وسألوه ايضا

فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد
ابن بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا ان اليهود قالت كذا افلا نجامعهن اي
لو افقهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وعند ذلك قال بعض الصحابة
فظننا انه قد وجد اي غضب عليهما فلما خرجا استقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسل في آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما ● وذكر المفسرون
ان منع الوطء للحائض اقتصاد اي بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم لا يمتنعون
من وطء الحيض ● اي وذكر ان ابن سلام وغيره ممن اسلم من يهود استمروا على تعظيم السبت
وكراهة اكل لحم الابل وشرب البانها فانكر ذلك عليهم المسلمون فقالوا ان التوراة
كتاب الله فنعمل به ايضا فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ● قال
وفي رواية فقالوا لو اخبرتنا ما هذا السواد الذي في القمر فجاءهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك
بانهما كانا شمسين اي شمسا في الليل وشمسا في النهار قال الله تعالى فمحونا آية
الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذي ترى هو المحو اي اثره ● قال بعضهم
في قوله تعالى فمحونا آية الليل نسخ منه النهار ان الليل كون النهار انثى فالليل كآدم والنهار
كحواء وقد ذكر ان الليل من الجنة والنهار من النار ومن ثم كان الانس بالليل اكثر منه
وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود انشدك الله اني رسول الله قال لا قال
اتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم قال فانشدك هل تجدني في التوراة والانجيل
قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا ان تكون انت فنظرنا
فاذا انت لست هو قال ولم ذلك قال لان معه من امته سبعين الفا ليس عليهم حساب
ولا عذاب وانما معك نفر يسير فقال والذي نفسي بيده لانا هو وانهم اكثر من سبعين
الفا وسبعين الفا ● وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود عن الرعد اي والبرق
فقال صوت ملك موكل بالسحاب بيده مخراق اي مخراق من نار يزجر به السحاب
الى حيث امره الله تعالى ● وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال البرق مخاريق
من نار بايدي ملائكة يزجرون بها السحاب والمخراق المنديل يلف ليضرب به
اي وحينئذ فالمراد بالملك الجنس ● وفي رواية ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن
النطق ويضحك احسن الضحك فمنطقها الرعد وضحكها البرق ● وفي بعض الآثار
ان لله ملائكة يقال لهم الحيان فاذا حركوا اجنحتهم فهو البرق اي وتحريكهم لاجنحتهم
يكون غالبا عند الرعد لان الغالب وجود البرق عند الرعد ● وعن بعضهم قال بلغني
ان البرق ملك له اربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه اسد
فاذا مصع بذنبه اي حركه فذلك البرق اي وتحريكه غالبا يكون عند الرعد ● وعن ابن

السواد الذي في القمر

وسألوه عن الرعد والبرق

عباس رضي الله عنهما المخراق ملك يسوقه اي يظهره ويحثه ❊ وفي رواية الرعد ملك يزجر السحاب والبرق
طرف ملك اي يظهر عند وجود الرعد غالبا ❊ وفي رواية انه ملك موكل بالسحاب في يده مخراق فاذا رفع
برقت واذا زجر رعدت واذا اضرب صعقت ❊ وعن مجاهد الرعد ملك والبرق اجنحته يسوقون بها
السحاب فيكون المسموع صوته او صوت سوقه فليتامل الجمع بين هذه الروايات ❊ وذهبت
الفلاسفة الى ان الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب والبرق ما ينقدح من اصطكاكها
فقد زعموا انه عند اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض تخرج نار لطيفة حديدة
لا تمر بشيء الا اتت عليه الا احرقته هذه تناسب حربية الحنود ❊ وفيه سبب نزول قوله
تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ان اليهود انكروا النسخ فقالوا الا
ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه فهو يقول اليوم قولا ويرجع
عنه غدا فنزلت ❊ وسالوه صلى الله عليه وسلم لم يخلق الولد فقال يخلق من نطفة
الرجل ومن نطفة المراة اما نطفة الرجل فنطفة غليظة اي يخلق منها العظم والعصب
واما نطفة المراة فنطفة رقيقة اي يخلق منها اللحم والدم فقالوا هكذا كان يقول
من قبلك اي من الانبيا وتقدم في ترجمة سطيح ايراد عيسى عليه السلام على ذلك اي
وقالوا انما نقم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نرى لهذا الرجل هم الا النسا والنكاح ولو كان
نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النسا فانزل الله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم ازواجا وذرية ❊ فقد جاء انه كان لسليمان ماية امراة وثلاثماية سرية قال
وسالوه صلى الله عليه وسلم عن رجل زنى بامراة بعد احصانه اي كان شريفا من خيبر زنى بامراة
شريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي قالوا لهم ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب
فسالوه فاجاب بالرجم فلم يفعلوا ذلك فقال لحبر من علمائهم انشدكم بالله الذي انزل التوراة
على موسى اما تجدون في التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فانكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام
كذبتم فان فيها اية الرجم فاتوا بالتوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الاية فقال له ابن
سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا اية الرجم اقول هذا كان في السنة الرابعة وهو
يخالف ما في بعض الروايات ان نفرا من احبار يهود اي وهم كعب بن الاشرف وسعيد
ابن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة ابن ابي الحقيق اجتمعوا في بيت المدارس
حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنى رجل من يهود بعد احصانه
بامراة محصنة من يهود وقالوا ان افتانا بالجلد اخذنا به واحتججنا به عند الله
وقلنا فتيا نبي من انبيائك وان افتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا
من مخالفته ❊ وفي رواية الصحيحين عن ابن عمر ان اليهود جاوا الى رسول الله صلى الله
عليه

وسألوه أيضا

عليه وسلم فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا اي بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تجدون في التوراة في شان الرجم قالوا نفضحهما اي نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما
من قبل دبار الحمار وفي لفظ يحملان على الحمار وتقابل اقفيتهما ويطاف بهما
ويجلدان اي يجلدون بليف مطلي بقار ❊ فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها اية
الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على اية الرجم فقرا ما قبلها وما
بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فوضع يده فاذا فيها اية الرجم
فقالوا صدقت يا محمد فيها اية الرجم ❊ وقد جاء ان موسى عليه الصلاة والسلام
خطب بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين
جلدة ومن زنى وليست له امراة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امراة رجمناه حتى
يموت والله اعلم ❊ قال ولما جاوا اليه صلى الله عليه وسلم قالوا يا ابا القاسم ما ترى
في رجل وامراة زنيا اي بعد احصان فقال لهم ما تجدون في التوراة فقالوا دعنا
من التوراة فخذنا ما عندك فافتاهم بالرجم فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الي
اعلمكم فاخرجوا اليه عبد الله بن صوريا وابا ياسر بن اخطب ووهب بن يهودا فقالوا
هولا علماونا فقال انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة
على من زنى بعد احصان قالوا يحمم اي يسود ويجبب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان
فيها اية الرجم ❊ اي وفي رواية لما سالهم واجابوه الا الشاب منهم فانه سكت فالح
عليه صلى الله عليه وسلم في المسالة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد في التوراة
الرجم ولكن راينا انه اذا زنى الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف
فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت فعند ذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا احكم بما في التوراة ولعل هذا الشاب ابن صوريا ففي
الكشاف انه لما امر عليه الصلاة والسلام بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال
له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما اي ووصفه له جبريل فقال
صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن
صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى في التوراة
ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو
انزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق فرعون وظلل
عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقالوا خفت ان

كذبته انه ينزل علينا العذاب وفي رواية قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان تحرقني
التوراة الا ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد
اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم
فقال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة
على موسى فلما كثر الجحد بين هذه الوادي اتاك على نفسه بر صحتها ثم سأل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله النبي الامي وهذا انما يدل على اسلامه وتقدم انكار صحته عن الحافظ
ابن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا باليهود فجاوا باربعة فشهدوا
انهما زنيا واذكروا في فرجها مثل الميل في المكحلة فامر بهما فرجما عند باب مسجده صلى
الله عليه وسلم قال ابن عمر فرايت الرجل يجنى على المراة يقيها الحجارة فكان
ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ولنزول قوله
تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وفي اية اخرى فاولئك
هم الفاسقون وفي اخرى فاولئك هم الكافرون • وعن عمرو بن ميمون قال رايت
الرجم في الجاهلية في غير بني ادم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجا قرد ومعه قردة فتو
سد يدها ونام فجا قرد اصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت راس القرد برفق
وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها وصاح فاجتمعت القردة فجعل
يصيح ويومي اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاوا بذلك القرد بعينه فحفروا
لهما حفيرة فرجموهما وفي لفظ رايت في الجاهلية قردة زنت فرجموها يعني
القردة ورجمتها معهم • قال في الاستيعاب وهذا عند جماعة من اهل العلم منكر
لاضافة الزنا الى غير المكلف واقامة الحدود في البهايم ولو صح هذا لكانوا من الجن
لان العبادات في الانس والجن دون غيرهما هذا كلامه فليتامل والله اعلم • وقد
ذكر غير واحد ان احبار اليهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة
خوفا على انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيامهم بالتوراة فخافوا ان
يؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة اي وكانوا يقولون لمن اسلم لا تنفقوا اموالكم
على هولا يعني المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اي من صفة النبي صلى الله
عليه وسلم التي يجدونها في كتبهم فقد كان فيها اكحل العينين ربعة جعد الشعر حسن
الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا ازرق العينين سبط الشعر واخرجوا ذلك الى اتباعهم
وقالوا هذا نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج اخر الزمان وعند ذلك انزل الله
تعالى

تعالى ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب الاية • وكان اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم اي كان ذلك كما قال ابن عباس
رضي الله عنهما بلغة اليهود السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شي
كان اهل الكتاب يعظمون به انبياءهم فصاروا يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
ففطن سعد بن معاذ لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا اعدا الله لئن سمعتها من
رجل منكم بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا • وفي رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله تعالى عنهم
يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيا يا رسول الله راعنا اي انظر الينا وتان
علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتسابب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين
يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا و
يعنون بها تلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود قال لهم يا اعدا
الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا الستم تقولونها فنزلت • وجاء صلى الله
عليه وسلم جماعة من اليهود باطفالهم فقالوا يا محمد هل على ولدنا هولا من ذنب
قال لا فقالوا والذي نحلف به ما نحن الا كهيئتكم ما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار
وما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم
الاية • وجا ان احبار يهود منهم ابن صوريا اي فيما تقدم وشاس
ابن قيس وكعب بن اسيد اجتمعوا وقالوا انطلقوا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه
فجاوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار يهود واشرافهم
وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي
لنا عليهم فنؤمن بك فابى ذلك عليهم فنزل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
الاية • ومن اليهود من دخل في الاسلام تقية من الشك لما فيه من الاسلام وليظهروا
واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع يهود في السر اي وهم المنافقون • وقد ذكر
بعضهم ان المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة
منهم الجلاس بجيم مضمومة ثم ميم مخففة فالف فسين مهملة ابن سويد بن الصامت
قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضي الله
عنه وهو ابن زوجة جلاس فان الجلاس كان زوج ام عمير وكان عمير يتيما
في حجره لا مال له وكان يكفله ويحسن اليه فجا الجلاس ليلة [illegible] على
[illegible] فقال كان ما يقوله محمد حقا فنحن شر من الحمير فقال له عمير

نزول [illegible]
ومن اليهود من دخل في الاسلام تقية

يا جلاس انك لاحب الناس الي واحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن ذكرتها لتفضحني ولئن صمت عليها اي سكت عنها ليهلكني على ديني ولاحداهما ايسر علي من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر مقالة الجلاس فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجلاس فحلف بالله لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال عمير فقال عمير بلى والله لقد قلته فتب الى الله ولولا ان ينزل القرآن فيجعلني معك ما قلته وجاء انه استحلف الجلاس عند المنبر فحلف انه ما قال واستحلف الراوي عليه فحلف لقد قاله وقال اللهم انزله على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين فنزلت يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الى ان قال فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يفعله مع عمير فكان ذلك مما عرفت به حسن توبته وقال صلى الله عليه وسلم لعمير وفت اذنك • ومنهم نبتل بنون مفتوحة فموحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فلام ابن الحارث قال النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث كان يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه للمنافقين وهو الذي قال لهم انما محمد اذن من حدثه بشيء صدقه فانزل الله تعالى فيه ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن الاية وجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس اليك رجل صفته كذا ينقل الحديث الذي تحدث به كبده اغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره • ومنهم عبد الله ابن ابي بن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من اعظم اشراف اهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم للمدينة قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم اي كما تقدم لان الانصار من الخزرج ولم يتوج من العرب الا الخزرج ولم يتوج من الخزرج الا هوذة واما الاوس فكانت عندهم من اليهود فلما جاءهم الله تعالى برسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عنه قومه الى الاسلام فضغن اي اخذ العداوة لانه راى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلبه ملكا عظيما فلما راى قومه قد ابوا الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على النفاق اي وكان له اماء يكرههن على الزنا ليأخذ اجورهن فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء • وقد قيل في سبب نزول

قوله تعالى

تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم فقال عبد الله بن ابي انظروا كيف اردهؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال له عبد الله مهلا ابا الحسن الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين اي المترددة بينهما تعير الى هذه مرة والى هذه مرة • وفي هذه السنة الاولى من الهجرة اعرس صلى الله عليه وسلم بعائشة كذا في الاصل وفي المواهب ان ذلك كان في السنة الثانية من الهجرة في شوال على راس ثمانية عشر شهرا وقيل بعد سبعة اشهر وقيل بعد ثمانية اشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى بي في شوال فاي نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت احظى عنده مني اي فما توهمه بعض الناس من التشاؤم بذلك لكونه بين العيدين يحصل المفارقة بين الزوجين لا عبرة به ولا التفات اليه • ولما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال ونساء من الانصار فجاءتني امي واني لفي ارجوحة بين عذقين اي نخلتين فانزلتني من الارجوحة ولي جميمة اي شعر لاني وعكت اي مرضت لما قدمنا المدينة اي اصابتنا الحمى • وعن البراء رضي الله عنه قال دخلت مع ابي بكر الصديق على اهله فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد اصابتها الحمى فرايت اباها يقبل خدها ويقول كيف انت يا بنية قالت عائشة فمزقت شعري فغرقتها ومسحت وجهي بماء ثم اقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب واني لانهج حتى سكن نفسي ثم دخلت بي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار فاجلستني في حجره ثم قالت هؤلاء

دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة

ومن المنافقين

ومن المنافقين

اهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثبت الرجال والنسا فخرجوا وبنى بي رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بيتنا اي فحقيقة بنى بها عشاء • وفي الصحاح العامة تقول بنى باهله وهو
خطا وانما يقال بنى على اهله قال الحافظ ابن حجر ولا يبعد عن الخطا كثرة استعمال
الفصحا له اي كانها دعابة لزفتها • وفي الاستيعاب وامرق عن عايشة رضي الله عنها
ان ابا بكر قال يا رسول الله ما يمنعك ان تبني باهلك قال الصداق فاعطاه ابو بكر اثنتي
عشرة اوقية ونشا فبعث بها الينا وبنى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي هذا الذي
انا فيه وهو الذي توفي فيه ودفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وفيه ان سياق
ما تقدم وما ياتي يدل على انه انما دخل بها في بيت ابيها بالسنح • ثم رايت بعضهم صرح
بذلك فقال كان دخوله بها عليه الصلاة والسلام بالسنح نهارا وهذا خلاف ما يعتاده
الناس اليوم من هذه الحالة • ومن رواية عنها اتتني امي واني لفي ارجوحة مع صواحب لي فصرخت
بي فاتيتها ما ادري ما تريد مني فاخذت بيدي حتى وقفتني على باب الدار وانا انهج
حتى سكن بعض نفسي ثم اخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي وراسي ثم ادخلتني الدار
فاذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فاسلمتني
اليهن واصلحن من شاني فلم يرعني الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمنني اليه
وانا يومئذ بنت تسع سنين • قال بعضهم دخل صلى الله عليه وسلم بعايشة ولعبتها معها
اي وعنها رضي الله عنها انها كانت تلعب بالبنات اي اللعب عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان ياتيها جويريات يلعبن معها بذلك وربما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسربهن اليها اي يطلقهن لها ليلعبن معها • قالت وقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غزوة تبوك او حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر على صفة في البيت
عن بنات لي فقال ما هذا يا عايشة قلت بناتي وراى بينهن فرسا له جناحان من رقاع
فقال وما هذا الذي ارى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي عليه قلت جناحان
قال فرس له جناحان قلت اما سمعت ان لسليمان خيلا لها اجنحة فضحك صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه • وفيه حمل الوها بتغيير ذلك واجيب بان هذا استثني من عدم
جواز الصور لاجل التدريب وانما قولها اما سمعت ان لسليمان خيلا لها اجنحة واقراره
صلى الله عليه وسلم لها على ذلك يدل على صحته • ثم رايت بعضهم اورد انه كان لسليمان
خيل لها اجنحة • وقد ذكرت ذلك عند الكلام على اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه في
اوائل هذه السيرة • وعنها رضي الله عنها انها قالت وما نحرت على جزور ولا ذبح
علينا شاة اي عند بنائه صلى الله عليه وسلم بها حتى ارسل الينا سعد بن عبادة بجفنة كان
يرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دار في كلام بعضهم ودوران صلى الله عليه

تا او لم

تا او لم على عايشة بشي غير ان قدحا من لبن اهدي من بيت سعد
ابن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم بعضه وشربت •
عايشة رضي الله عنها باقيه • اقول يجوز ان يكون سعد
ابن عبادة رضي الله عنه ارسل بالقدح من اللبن وبالجفنة وان
بعض الرواة اقتصر على احدهما • ثم لا يخفى انه يجوز ان تكون
الرواية الاولى واقعة بعد هذه الرواية الثانية وانها ذهبت
الى الارجوحة ثانيا بعد ان اصلح النسا من شانها وفعلن بها ما
تقدم ذكره وانه وقع الاقتصار في الرواية الاولى والله تعالى اعلم
وقد تم الجزء الاول من السيرة الحلبية • بحمد الله وعونه
والحمد لله وحده • وصلى الله على من لا نبي بعده
عبدك ورسولك سيدنا محمد الذات المكملة
والرحمة المنزلة من عندك • اللهم
احشرنا في زمرته • واجعلنا
من خالص امته • وحسبنا الله
ونعم الوكيل • ولا
حول ولا قوة
الا بالله
العلي
العظيم
ويليه في الجزء الثاني باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
اللهم اعنا على اتمامه وتخفيفه بحولك وقوتك يا ارحم الراحمين